حجاب بن يحيى الحازمي

التواصل الثقافي بين السعودية واليمن

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

حجاب بن يحيى الحازمي

التواصل الثقافي بين السعودية واليمن

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ-٢٠١٢م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي، حجاب يحيى

التواصل الثقافي بين السعودية واليمن./ حجاب بن يحيى الحازمي. -

الرياض، ١٤٣٣هـ

٧٦٠ص ؛١٧×٢٤سم

ردمك: ٢-٩٥٨٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الثقافة العربية - العالم العربي أ. العنوان

ديوي ٣٠١,٢٩٥٦ ١٤٣٣/٢٧٩٤

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٧٩٤

ردمك: ٢-٩٥٨٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

تصميم الغلاف (الفنان): محمد الدويري

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أساطين الفكر والثقافة

في جزيرتنا العربية

على مر التاريخ

فيضاً من نبعكم الغزير

توطئة:

ترتبـط بلاد اليمن بروابط متينـة وعلاقات أزلية ببـلاد الحرمين الشريفين (تضـرب بجذورها في عمق التأريـخ، توثقت بوشائج الدين والـدم واللغة والتأريخ والحضارة والجوار)[1] وقد تأكدت وتعززت وترسخت تلك الروابط بعد قيام الدولة السعوديـة الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـ) وازدادت روابط البلديـن وعلاقاتهما المتينة رسوخا وعمقـا وتكاملا في عهد مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٣١٩-١٣٧٣هـ)، فشملت سائر مناحي الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصاديـة، والثقافية، واستمر أبناؤه الملوك: سعود، و فيصـل، وخالد، وفهد يرعـون تلك العلاقات ويسعون لتعزيـز وتقوية تلك الروابط بـكل الوسائل الممكنة، حتـى إذا ما جاء عهد خادم الحرمـين الشريفين الملك عبد الله بـن عبد العزيز تحولت تلك الروابـط إلى (لُحْمه) وسعى جاهدا بالتعاون مع قادة اليمن لإزالة كل معوقات التقارب والاندماج فتحققت بذلك أهداف القيادتين والشعبين في البلدين الشقيقين الجارين.

ولأنَّ هـذا البحـث اختار أن يُقـدِّمَ لمحات عـن التواصل الثقافي بـين البلدين الشقيقـين الجاريـن: اليمن، والبـلاد السعودية فـإن ذلك ربما صعَّـبَ عليه مهمة الحديث في الجوانب السياسية والتاريخية المتينة بين البلدين، وكذلك - ربما جعله

---

(١) الحدود والعلاقات السعودية اليمنية للدكتور عيد مسعود الجهني ص ١٣ طبع دار المعارف السعودية الرياض ١٤١٤هـ.

بمنــأى عن تناول الجوانب الاقتصاديــة، والاجتماعية، وغيرها من الجوانب المهمة التــي تربط بين البلديــن الجارين، لا لشيء، إلا لأن لتلــك الجوانب مسارات كثيرة جــداً، ومجالات القول فيها واسعة لا تحيط بها المساحــة الممنوحة لهذا البحث، بل إن كل جانــب منها جدير بــأن يفرده المختصون بأبحاث معمقــة تستقصي جوانبه المتعــددة وتلم بأطرافه الشاسعــة، وأوراق هذه البحث لا تطمــح لمثل هذا الشرف، ولا تستطيــع أن تدعيه حتــى وإن مست بعض جوانبه مساً خفيفاً تقتضيه الضرورة؛ ذلــك لأنها قــد اختارت أحــد الجوانب المهمــة ألا وهــو جانب:(التواصــل الثقافي بــين البلدين)، ولأهميته الكبــيرة فإنني سأحاول أن أضيئ بعضــ جوانبه وأقدِّم عنــه لمحات تُجلــي أهم مساراتــه، محاولاً البعد عــن التفصيــلات المملة – قدر الإمــكان–، وستكــون البداية بعد هذه المقدمة المختصــرة بتسجيل أهم العناصر التي سأتناولها–بمشيئة الله–، وهي:

مدخل تأريخي للتواصل الثقافي بين أقطار الجزيرة العربية.

التواصــل الثقافي بين اليمن والدولة السعودية الأولى (١١٥٧- ١٢٣٣هـ)، جاعلاً مــن الشوكاني، والصنعاني، وابن وصال الأحسائــي، و عبدالله بن مبارك بن عبدالله ابن بُشَير [١] نماذج لذلك الاتصال الثقافي بين البلدين خلال تلك الفترة.

وسنعتــبر عصر الدولــة السعودية الثانية وما تزامن معــه من عهود الأئمة في اليمــن هو الفصل الثاني من فصول هذا البحث وإن ضعف التواصل الثقافي خلاله

(١) سنترجم لهؤلاء الأعلام في ثنايا البحث - بمشيئة الله-.

بـين البلدين بسبب ما أحاطهما من قلاقـل وتحولات أضعفت كل شي مشيرين إلى ما بقي للثقافة من وميض خافت والى الأقاليم التي أحيت بعض أوصاله واتصالاته ذاكرين بمشيئة الله بعض نماذج لذالك التواصل بين بعض مفكري ومثقفي البلدين.

التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة العربية السعودية.

وفي هذا الفصل سنتوسع قليلا حيث سنبدأ بتمهيد نشير فيه إلى بداية ميلاد المملكـة العربيـة السعودية مع ذكر أهـم التحديات التي واجهـت الملك عبدالعزيز في تلـك البدايات، ثم نتبع ذلك بلمحة موجزة عـن الأحوال السياسية في الجزيرة العربية قبل بداية الملك عبد العزيز بملاحم توحيد الوطن، ثم نردف ذلك بوصف الحالـة السياسيـة في اليمن قبل وأثناء عهد الإمـام (يحيى) مع الإشارة إلى أهم الأحـداث والمعـارك التي واكبت تثبيـت حكمه وبسط نفوذه علـى أجزاء واسعة من ربـوع اليمن، ثم نتبع ذلك بإعطاء لمحات عن قصة ميلاد المملكة العربية السعودية علـى يد الملـك المؤسس عبد العزيز، بدءاً بملحمة اسـترداد الرياض وما تلاها من أحـداث وسنأتي على الفتوحات وعلـى أهم المعارك الحربية والسلمية التي خاضها الملك المؤسـس في سبيل توحيد أجزاء الوطن حتى تم إعلان اسم: (المملكة العربية السعودية)، ثم نشير إلى صدى هذا الإنجاز الوحدوي في الأوساط المحلية والعربية، ثـم نتحدث عن بدايـات التواصل بين الملك عبد العزيز والإمـام يحيى حول قضية الحـدود بين البلديـن وما صاحب ذلك من مفاوضات ووفـادات طال أمدها بسبب تحريضـ الإنجليـز الجاثمين على جنوب اليمن، فقد كان مـن الواضح أن الحرب

بين اليمن والسعودية إنما كان يسعرها عدوهما المشترك وهو المستعمر الجاثم على جنوب اليمن، (فلقد عرض المبعوثون الإنجليز تقديم الأسلحة لابن سعود على انفراد من أجل الحرب مع اليمن، كما وعدوا الإمام يحيى بالمساندة والتسليح ضد نجد والحجاز)[١]، وبهذا استطاع أعداء العرب وأعداء السلام إطالة أمد المفاوضات بين اليمن والسعودية فطالت حتى انتهت إلى صدام مسلح بين البلدين كانت نهايته ونهاية كل المشكلات العالقة بين السعودية واليمن بتوقيع معاهدة الطائف التي أبرمت بين البلدين في عام ١٣٥٣هـ والتي أنهت كل خلاف، ثم نشير بعد ذلك إلى أهم الأحداث التي سبقت معاهدة الطائف وبعض الأحداث التي تلتها، ثم نتحدث عن التواصل الثقافي الذي حصل في عهد الملك عبد العزيز (١٣١٩-١٣٧٣هـ) (مؤسس المملكة العربية السعودية) المتزامن عهده مع عهد إمام اليمن (يحيى بن محمد حميد الدين ١٣٢٢-١٣٦٧هـ) ممهدين لذلك بإعطاء لمحات سريعة عن الأحوال الثقافية في السعودية أيام عهد الملك عبد العزيز نتبع ذلك بلمحات سريعة أخرى عن الأحوال الثقافية في اليمن أيام عهد الإمام يحيى، ثم نتحدث عن التواصل الثقافي في عهد (الملك سعود) وعهد (الإمام أحمد) ونكمل الحديث في بقية هذا الفصل عن التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة العربية السعودية في العهود التي تلت عهديهما حتى أيامنا هذه من عام ١٤٣١هـ في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز.

---

(١) يوميات دبلوماسي في اليمن لـ: (ج. انكارين) ص١٧٧، ترجمة د. قائد محمد طربوش، ومحمد إسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي في القاهرة ١٩٩٣م.

على أنه في إمكاننا أن نعتبر العلامة الشيخ حمد الجاسر، والعلامة محمد بن أحمد العقيلي، والعلامة محمد بن علي الأكوع، والعلامة إسماعيل الأكوع والأديبين الكبيرين علي أحمد با كثير و أحمد محمد الحضراني نماذج كبيرة للتواصل الثقافي بين البلدين خلال العهد السعودي الحالي؛ وذلك لأن بعضهم عاصر الملك عبد العزيز، والملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد وبعضهم عاصر الملك عبد الله بن عبد العزيز، كما عاصروا ملوك اليمن: الإمام يحيى، والإمام أحمد، والإمام البدر، وبعضهم عاصر الثورة اليمنية ورؤساءها حتى عهد الرئيس علي عبد الله صالح.

ثم نختم هذا البحث باختيارات لنماذج شعرية ونثرية ومراسلات تمثل بعض ذلك التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة العربية السعودية، غير مكتفين بأعلام البلدين ممن ذكرناهم آنفاً، أو ممن لم نذكرهم، أمثال: محمد محمود الزبيري، وأحمد إبراهيم الغزاوي، وطاهر الزمخشري، ومحمد عبده غانم، و أحمد محمد الشامي، وعبدالقدوس الأنصاري[1]، وأمثالهم، بل سنحاول ذكر نماذج شعرية ونثرية لهم ولآخرين من الشعراء والأدباء في البلدين تؤكد التواصل الثقافي المتين.

ثم أذيل عملي هذا بخاتمة أُجمل فيها أهم المحطات التي توصلت إليها هذه الأوراق، مستمداً من الله العون والسداد والتوفيق فهو حسبي ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سوف تأتي تراجم هؤلاء الأعلام في ثنايا هذا البحث - بإذن الله - .

مدخل تاريخي

للتواصل الثقافي بين أقطار الجزيرة العربية (اليمن وبلاد الحرمين نموذجا)

لا شك بأن التواصل الثقافي والفكري بين أقطار الجزيرة العربية وأقاليمها قديم قدم تأريخها، وأن التمازج الحضاري بين شعوبها متأكد كتأكد تلاحمها الأسري والاجتماعي، من قبل سيل العرم ومن بعده، ومن قبل ظهور الإسلام وبعد ظهور الإسلام، غير أن ظهور الإسلام ومبعث نبي الرحمة والإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ كان نقلة نوعية في تقوية عرى الاتصال والتواصل بين أبناء الجزيرة العربية فقد أدى إلى انصهار أبناء مجتمعاتها، ونسج لحمتهم، وقوّى أواصرهم، وفي القرآن الكريم إشارات واضحة إلى شيء من ذلك التواصل الذي سبق ظهور الإسلام ربما لخّصتْ بعضه الآيات الواردة في سورة (قريش) التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ (1) إلى آخر آيات السورة. وقد تضاعفت أسباب ذلك التواصل بعد توالي نزول الوحي على رسولنا الخاتم الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق وبعثه مبشراً لأمته ونذيراً وخاطبه سبحانه قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ (2) فدعا أمته بالحسنى استجابة لأمر ربه القائل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (3) وأخذهم بالرفق

(1) سورة قريش: آية ١-٢.

(2) سورة الأحزاب: الآيتين: ٤٥-٤٦.

(3) سورة النحل: آية ١٢٥.

واللـين، وحـين شرع ﷺ يستقبل الوفود التي بدأت تدخـل في دين الله أفواجاً، أتاه وفد اليمن فاستقبلهم في المدينة المنورة بالود والمرحمة وقابلهم بالترحاب وقال ﷺ مستبشـراً بقدومهم إليه مبايعين: (**الله أكبر جاء نصـر الله، وجاء الفتح، وجاء أهـل اليمن، نقيـة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمـان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**)[1] وفي رواية الإمام البخاري:(أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرقّ أفئدة، الفقـه يمان، والحكمة يمانية) وفي رواية الإمـام مسلم: (**جاء أهل اليمن هم أرقّ أفئدة، وأضعف قلوباً، الإيمان يمانٍ، والفقه يمانٍ، والحكمة يمانية**) وبمثل ذلك الترحـاب أخذ يستقبل عليـه السلام بقية وفود القبائل المبايعـة التي انصهرت في بوتقة الإسلام.

- وتم ترسيـخ ذلك التواصـل بعد أن بعث الرسول ﷺ (معـاذاً) إلى اليمن وزوَّده بتلـك التوجيهات النبويـة الكريمة المعروفة، ثم تضاعفـت بعد ذلك أسباب التواصـل الثقافي والفكري بـين أبناء الجزيرة العربية عامـة، وشهدت مجتمعاتها ألوانـاً من التمـازج الحضاري بعد أن عمها نور الإسـلام ودخل الناس في دين الله أفواجـاً، وكان اليمن وأبناؤه من أكثر الأقاليم العربية والإسلامية اتصالاً وتمازجاً ببلاد الحرمين، فقد قوي تلاحمهم وخاصة بعد أن شاركوا في الفتوحات، وترسّخت

---

(١) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، لعبد الرحمن (ابن الديبع) ص٣٧، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، طبـع مكتبـة الإرشـاد بصنعـاء ١٤٢٥هـ، وقـد ذكر بأن هـذا الحديث رواه ابـن حبان في صحيحـه عن ابن عباس.

صلاتهم التي لم تغيرها الأحداث ولم تذهب بجدَّتِها الأيام، بل استمر ذلك التواصل حتى في تلك العصور التي سجلت تقطع أوصال الدولة الإسلامية إلى دويلات، ولم يكن ذلك التواصل مقتصراً على مجاورة بعضهم للحرمين الشريفين – كغيرهم من علماء بعض البلدان الإسلامية، ولكنه شمل جوانب أخرى وظل مستمراً وبارزاً من خلال تلك التنقلات العلمية أيضاً التي شهدتها المراكز العلمية في الجزيرة العربية بين العلماء والمفكرين في أقاليمها المختلفة خلال بعض تلك العصور، حتى إنك حين تتصفح سير نفر من علمائنا في تلك الحقب المضيئة وبخاصة في كتب السير والتراجم التي تحدثت عن عدد من أولئك الأعلام أمثال: كتاب: (مطلع البدور) لابن أبي الرجال، و (نشر النور والزهر) لعبد الله مرداد المكي، و (والضوء اللامع) للسخاوي، و (النور السافر) للعيدروس، و (عقد الجواهر والدرر) لأبي بكر الشلي، و (وخلاصة الأثر، ونفحة الريحانة) للمُحِبِّي، و (فوائد الارتحال) لمصطفى الحموي، و (عقود الدرر، وحدائق الزهر) لعاكش، و (البدر الطالع) للشوكاني، و (نشر الثناء الحسن) للوشلي، و (نيل الوطر، ونشر العرف، ونيل الحسنيين) لزبارة، و (والروض الأغن) لآل حميد الدين وغيرها، حين تتصفح سير أولئك الأعلام في تلك المصادر ستجدُ لبعضهم إجازات علمية من أقطار ومراكز مختلفة، بل إنك ستجد بأن عدداً منهم قد أجيز من بعض علماء الحرمين وأجيز من علماء المخلاف السليماني وأجيز من بعض علماء وأئمة اليمن، وسيتضح لك أن أصحاب تلك الموسوعات لم تفسد مشاربهم الإقليميات الضيقة،

مما يؤكد ذلك التواصل الفكري الحاصل بسبب تنقل أولئك العلماء بين المراكز العلمية المشهورة في الجزيرة العربية عامة وتنقلهم بين بلاد الحرمين واليمن خاصة، فقد تنقلوا بين صنعاء، وزبيد، وصعده، وكذلك تنقلوا بين المراكز العلمية في منطقة جازان (المخلاف السليماني سابقاً)، وفي الحرمين الشريفين، وفي رجال ألمع بتهامة عسير وغيرها، وعبّوا من نمير ينابيع تلك المراكز العلمية حتى أرتووا، فحققوا التواصل الثقافي في أجمل صوره.

نماذج للتواصل الثقافي

بين اليمن وبلاد الحرمين خلال الفترة (٦٥٠-١١٥٧هـ):

ومع أن التواصل الثقافي قد شمل أقطار الجزيرة العربية كلها إلا أننا حين نضرب الأمثلة سنركز كثيراً على تواصل أعلام اليمن بأعلام بلاد الحرمين، وسيكون رصدنا لنماذج التواصل الثقافي بين بلاد اليمن وبلاد الحرمين حسبما أمدتنا به مصادرنا من منتصف القرن السادس الهجري وحتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري المتزامن مع بدايات الدولة السعودية الأولى، وهي فترة ذهبية للتواصل الثقافي بين مفكري البلدين وبخاصة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين كما سنرى في بعض النماذج التي ستختارها.

- ففي بداية القرن السادس الهجري مثلاً نجد العلامة الشاعر الكبير المؤرخ الشهير: (عمارة الحكمي) (٥١٥ - ٥٦٩هـ)[1] قد غادر بلدته

(١) عماره الحكمي: عماره بن علي بن زيدان الحكمي: (.... -٥٦٩هـ) صاحب الاهتمامات الكثيرة، والأبداعات الوفيرة، ورجل السفارات الخطيرة، الأديب الشاعر المؤرخ الشهير، قال عنه الزركلي: (مؤرخ ثقه،وشاعر، وفقيه، وكاتب، ولد في تهامة المخلاف السليماني، ورحل إلى زبيد في سنة ٥٣١هـ وفي سنة ٥٥٠هـ قدم من مكة المكرمة إلى مصر يحمل رسالة من شريف مكة (القاسم بن هشام) إلى حاكم مصر الفاطمي (الفائز الفاطمي) أثناء وزارة (طلائع بن رزّيك) فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فمدحهم وأقام عندهم بمصر ولم يزال موالياً لهم حتى دالت دولتهم وملك البلاد السلطان (صلاح الدين الأيوبي)، فرثاهم عمارة الحكمي فاتهم بموالاتهم وقتل في عام ٥٦٩هـ له تصانيف كثيرة ومنها: النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، والمفيد في أخبار زبيد، وديوان شعر انظرترجمة عماره: في الأعلام ج٥، ص ٣٧ وفي تأريخ اليمن الفكري لأحمد الشامي ج٤ ص ١٧٦وفي كتاب: الفاطمية دولة التفاريح والتباريح لجمال بدوي ص ١٢٩، وفي التأريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص ٨٩ وغيرها.

(الزرائـب)[1] بالمخلاف السليمـاني في سن مبكرة، متجهاً إلى اليمن حيث قصد مدينـة زبيد [2] وحلقاتها العلمية؛ حيث كانت تعتبر إحدى المراكز العلمية في اليمن آنـذاك، فنهـل من حلقاتها العلمية وتلقـى العلم على علمائها، (حتـى أصبح عيناً مـن أعيـان زمانه، فصاحـب الملوك من آل زريـع ومدحهم، ثم قـام بالسفارة بين أمـير مكة «الشريف القاسم بن هاشم بـن فليتة العلوي[3]» وصاحب مصر آنذاك: الفائـز الفاطمي[4] مـن العبيديين وظل عماره متنقلاً بين مكـة المكرمة ومصر ثم تَدَيَّـرَ مصر وسكنها وصحب ملوك الفاطميين وألزمه « القاضي الفاضل » أن يضع

---

(١) الزرائـب: بلدة مندثرة من قرى وادي (وُسَـاع) أحد أودية منطقة جازان المشهورة ويقع شمال وادي (نخلان) قال عنها محمد بن أحمد العقيلي (الزرائب): هي بلدة الشاعر عماره الحكمي، وتقع على وادي وُسَاع، ولا يعرف في وقتنا الحاضر موقعها على وجه التحقيق) انظر كتابه: المعجم الجغرافي لمنطقة جازان ط٢، ص ٢٠٨.

(٢) زبيـد: مدنيـة يمنيـة تهامية وهي عاصمـة لحكومات مختلفة ويرجع تاريـخ تأسيسها لبدايـة القرن الثالث الهجري في عهد مؤسس الدولة الزيادية في اليمن (محمد بن زياد) وتقع جنوب غرب مدينة الحديدة وهي إلى جانـب كونها عاصمـة تاريخية فهي معقل من معاقل العلم يقصدها الطـلاب من أقاليم مختلفة. انظر معجم البلدان ج٣ ص ١٣١ ومعجم القبائل والمدن اليمنية ص ١٨٩.

(٣) القاسـم بـن هاشم بن فليته العلوي الحسينـي: (٠٠٠ - ٥٥٧) كان أميراً لمكة المكرمـة، وليها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤٩هـ، ووقعت فتنة بينه وبين عمه عيسى بن فليته سنة ٥٥٣هـ فاستولى عيسى على مكة، وجمع القاسم جموعـاً دخل بها مكة سنة ٥٥٧هـوأقام أيامـاً، فأعاد عليها عمه الكرَّة، فهرب وصَعَدَ جبل أبي قبيس فسقط عـن فرسه فقتله بعض أصحاب عيسى، انظر ترجمته في الأعلام لخير الدين الزركلي ج٥، ص ١٨٦ط٥طبع دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٠م.

(٤) الفائـز الفاطمي: هو أبو القاسم عيسى بـن الظافر بن إسماعيل الفاطمي (٥٠٠-٥٥٥) أحد ملوك الدولة الفاطميـة المتأخريـن في مصر، تـولى الخلافة سنة ٥٤٩هـ، استوزر (ابن رزيّـك) الذي كان يلقب بـ(الملك الصالـح) تـوفي الفائز سنة ٥٥٥ الأعلام ج٥ ص ١٢٥ (بتصـرف). انظر كتابنا الشعر والشعراء في جازان خلال ٨ قرون ط١ص ٦٥.

مجموعـاً متضمناً لأخبـار اليمن فصنف كتابـه: (المفيد في أخبار زبيـد) [1]، كما صنـف في مصر أيضاً كتابه: (النكـت العصرية في أخبار الوزارة المصرية)، وفيها كتب بعض شعره، ومات بها مقتولاً على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ [2]. وكان عمـارة يمثل بمشواره ذلك حلقة تواصل واتصال ثقـافي متين ليس فقط بين اليمن وبلاد الحرمين، بل بين بلدان الجزيرة والبلدان العربية.

- وفي منتصـف القـرن السابع الهجـري نرى الشاعر العلامـة: (القاسم بن علي ابن هتيمل الضمدي) [3] (شاعر المخلاف السليماني المشهور، العالم في علوم الفقـه، والنحو، واللغة، والتاريـخ، والسير، والأنساب، وأيـام العرب) [4] نرى هذا الشاعـر يمثل نموذجـاً جيداً لذلك التواصـل الثقافي؛ فقد اتصـل بأمراء وشعراء

---

(١) العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، لعلي بن الحسن الخزرجي ج٣ ص١٥٤٢-١٥٦١، تحقيق عبد الله قائد العبادي، ومبارك بن محمد الدوسري، وعلي بن عبد الله الوصابي، وجميل بن أحمد الأشول، من منشورات الجيل الجديد ناشرون صنعاء ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

(٢) انظر عن عمارة الحكمي في: الأعلام ج٣ ص٣٦، وفي مصادر الفكر ص٣١٦، وفي العقد الثمين ج٦ ص٢٤١، وفي غربال الزمان ص٤٥٣، وفي الروض الأغن ج٢ ص١٤٣، وفي كتاب: الفاطمية دولة التفاريح والتباريح ص١٢٩ وغيرها.

(٣) القاسـم بن على بن هتميل الخزاعي الضمـدي: (٠٠٠-٠٠٠) شاعر المخلاف السليماني في القرن السابع الهجـري، كان كثـير التنقل بين الحجـاز واليمن والمخلاف السليمـاني، شعره فنياً يرقـى إلى أبرز مدارس الشعـر في القرنـين الثالـث والرابـع الهجريين، لـه غزل رقيـق وشعر وصفي جميـل وفي الرثاء يـبرز وفاؤه وصـادق أحاسيسه، وقوة شاعريته، وله في المديح اليد الطولى، له ديوان شعري كبير حققه الدكتور عبد الولي الشميري، توفى ابن هتميل في أوآخر القرن السابع. انظر ترجمته في: الأعلام ج٥ ص ١٧٨، وفي تاريخ اليمن الفكري للشامي ج٤ ص ٤٧-٦٣ وفي كتابنا: القاسم بن هتميل الضمدي حياته من شعره، وفي التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي، ج١، هامش ص ١٦٤ وغيرها.

(٤) العقد الفاخر الحسن للخزرجي ج٤ ص١٧٢٤-١٧٤٠.

وأعيان عصره في معظم أقاليم الجزيرة العربية وبلدانها كالحجاز، واليمن، وظفار، وبلـدان المخلاف السليمـاني، وحلي ابن يعقـوب وغيرها من أقاليـم الجزيرة[١]، ففـي اليمـن مثلاً اتصل بعـدد من ملوكه وأئمتـه وأمرائه البارزيـن (فمدح الملك المظفـر الرسولي، ومدح الإمـام أحمد بن الحسين القاسمي، ومـدح الأمير شمس الديـن بن أحمد بـن الإمام عبد الله بن حمزة)[٢] وهكذا فقـد شكل هذا الشاعر مـع مُعَاصِرَيه الشاعرين الكبيرين: مواطنـه المخلافي الشاعر: منصور بن سحبان الضمـدي ورصيفه الشاعر اليمنـي الكبير: محمد بن حمير، شكّلـوا ثالوثاً شعرياً عظيمـاً، أشار إليه العلامـة الخزرجي[٣] في كتابيه الشهيريـن: (طراز الزمن) و (العقـود اللؤلؤية في تاريخ الدولـة الرسولية)، ونقلت لنا كتـب التاريخ الأدبي بأنه كانـت بين شاعر اليمن: ابن حمير وبين شاعـر المخلاف السليماني: (ابن هتيمل) تواصل أدبي مشهود، ومراسلات شعرية ونثرية، ظلا يتبادلانها برغم بعد المسافات قياسـاً بصعوبات عصرهما، وقد حفظت لنا كتب الأدب شيئاً منها، ومن ذلك تلكم الرسالتين الأدبيتين المطولتين اللتين تبادلهما الشاعران وبثا فيهما لواعجهما شعراً ونثراً يقطران عسلاً وجواهر حسان، فقد أرسل شاعر اليمن: (محمد بن حمير)[٤]

(١) القاسم بن علي بن هتيمل حياته من شعره ص٦٥، لحجاب الحازمي، مطابع الشرق الأوسط الرياض ١٤٢٤هـ.

(٢) العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن ج٤ ص١٧٢٥، لعلي الحسن الخزرجي تحقيق أربعة باحثين: هم العبَّادي، والدوسري، والوصابي والأشول - من منشورات الجيل الجديد ناشرون - صنعاء ١٤٣٠هـ.

(٣) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج١ ص١١١، لعلي بن الحسن الخزرجي، مطبعة الفجالة بمصر ١٣٢٩هـ.

(٤) محمـد بـن حمير: أبو عبدالله جمال الدين محمد بن حمير الهمداني أحد شعراء اليمن الكبار في القرن السابع الهجـري، لم تذكـر المصادر شيئاً عن تحديـد زمن ولادته ولا مكانها ولم تحدثنا عـن نشأته، وإن أجمعت على=

إلى رصيفه شاعر المخلاف السليماني: (القاسم بن علي بن هتيمل) رسالة مطولة جمعت بين الشعر والنثر واستهلها بقوله:

إن سعت بيننا صروف الليالي ... أو تناءت منا ومنك الخيام
أو رمى البين سهمه، فحوتني ... يَمَنٌ، واحتوتكَ عنيَ، شَامُ
فَوادِيْ، ذاكَ الوِدَادُ، ووجدي ... ذلك الوجد، والغرام الغرام
والذي كان بيننا فمقيم ... لم تكدر صفاءه الأيام
فعليك السلام مني، وأرضي، ... أنت من أهلها، عليك السلام
أنت يا قاسم المراد وقوم ... أنت منهم، قوم عليَ كرام
وبيوم السباق انت المجلي ... كم جرى بعدك الرجال وقاموا

ومضى في قصيدته التي تخللها نثرٌ كالشعر حسناً وانتقاءً، إلى أن قال في ختامها:

أنت مولى الكرام لا غالك ... الدهر وفحل الكلام حيث الكلام

= قوة شاعريته وعلو كعبه، قال عنه العلامة المؤرخ الخزرجي: (كان شاعراً فصيحاً مفهوهاً، مدّاحاً للملوك وغيرهم، وكان شاعر عصره، وكان صاحب نوادر وطرائف وغرائب وقصص معجبة، له عدة أشعار ورسائل حسان) ولأنه عاش في أواخر العصر العباسي، فقد ظهرت على شعره آثار مدارس الشعر فيه، ودارس شعره سيجد فيه روح المتنبي وأبي تمام والبحتري وآثارهم، قال الشعر في مختلف الأغراض السائدة في عصره وكان شاعراً مكثراً، له ديوان شعري مطبوع، وله رسائل أدبية وقد ضمَّها ديوانه الذي قام بتحقيقه ونشره العلامة اليمني محمد بن علي الأكوع، توفى ابن حمير سنة ٦٥١هـ بمدنية زبيد ودفن بها، انظر عنه: (العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن للحسن الخزرجي، ج٤ ص ١٨٧٧-١٨٩٥، والأعلام للزركلي، ج٦ ص ١١١، والموسوعة اليمنية ج٢ ص ١٢١٩، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي، ج٤ ص ١٠١-١٠٢، وانظر كتاب: (بين شاعرين من شعراء تهامة) لمجدي محمد خواجي، وغيرها من المصادر.

ضمد مذ حللت فيه ،عليه — حرج ان يحل فيه الملام
فَسَقَتْ بَلْدَةً حوَتْكَ الغَوادي — ولكَ العزُّ دائماً، والسلام

فردَّ على تلك الرسالة: شاعر المخلاف السليماني: (ابن هتيمل) رداً مؤثراً يؤكِّدُ على عمق الصلات وكريم التواصل، وقد أطلق لنفسه العنان، فناجى في شعره ونثره الأحباب كل الأحباب وبادل صديقه الشاعر (ابن حمير) أصدق المشاعر وعرَّج على الدِّيار، فَبثَّها لواعجه، مستحثاً نياقه التي ستقله بكل الشوق إليها وإلى صديقه في بلدة (سهام) باليمن، ومما قاله في رسالته تلك:

سيدي ما دمي عليك حرام — ليس في سفكه عليك أثام
أنت أولى مني بروحي، فاحكم — لك فيها مما إليَّ كلام

وقد جاءت رسالة ابن هتيمل كرسالة صديقه (ابن حمير) مزيجاً من الشعر والنثر، فأما الشعر فقد مضى فيه ابن هتيمل إلى أن قال:

أفبدعاً إن قُلتُ: يا دارحُيِّيت — ويا ربعهم عليك السلامُ
لا نَبَا الغيثُ عن (سهام) ولا — زال يَمُجُّ المِيَاهَ، ريّاً (سهامُ) (١)
بلدةٌ توجد المروءةُ والثَّروَةُ فيـ — ـها، ويُعْدَمُ الإعدَامُ

---

(١) سهام: بلدة يمنية معروفة بتهامة اليمن تقع في شمال مدينة زبيد سميت باسم واديها (سهام) وهو وادٍ مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر، ومأتيه من جبال حضور على بعد ست مراحل من صنعاء، قال الحجري، نقلاً عن ياقوت الحموي: (وسهام: اسم رجل سمي به الموضع، وهو سهام بن سماق بن الغوث بن حمير .... إلى أن قال: ووادي سهام شمال زبيد بيوم ونصف) معجم بلدان اليمن وقبائلها لمحمد أحمد الحجري ج٢ ص١٣٥-١٣٦، تحقيق إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء ط٣، ١٤٢٥هـ.

جُمِعَتْ في (محمدٍ) آلة الفضل، فَحَارتْ في وصفه الأفهامُ
الجواد الجواد، والسِّيدُ السـ ـيِّد، والصَّارم، الحسامُ الحسامُ)
وإذا ما عددت في شرف المسـ ـعى عصاما ، فأين منه عصام ؟
إنما لابن حمير قدم السبق وحيدا وتستوي الأقدام
نحن سيفا غمد وقد علم العالم أنا ذو (النون) ، و (الصمصام)
نسب بيننا إلى نسب يجمع فيه الآداب والأرحام

وختمها بقوله:

بأبي أنت يا (محمد) أنعمت بفضل من دونه الإنعام[1]

وهما – كما أشرنا – رسالتان طويلتان تبادلها الشاعران، وأكدا فيها على عمق الصلات الثقافية ووثيق الروابط، كما أن الرسالتين تؤكدان بأن لهما مثيلات من قبل ومن بعد وتؤكدان كذلك بأن لمعاصريهما من شعراء البلدين وعلمائهما مثل تلك الرسالتين وربما أكثر عمقاً وأندى شعوراً.

– وفي أواخر القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن الهجري نجد العلامة الأديب الشاعر الناثر المؤرخ صاحب المصنفات الكثيرة الشيخ: عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني المتوفى سنة ٧٤٤هـ[2] نجدهُ يتنقل في سبيل

(١) القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، حياته من شعره ص١١٧- ١١٩. وانظر كتاب: (بين شاعرين من شعراء تهامة) لمجدي خواجي ص ٥٠ - ٦٥ من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٤.

(٢) عبدالباقي بن عبدالمجيد بن عبدالله اليماني (٦٨٥-٧٤٤هـ): عالم وشاعر وناثر ومؤرخ، ولد بمكة المكرمة حيث كان والده مجاوراً بها، ثم رحل إلى اليمن وأقام بها مدة، ثم رحل إلى مصر بعد سنة سبعمائة فأقام بها مدة، ثم رحل إلى الشام فدَّرس بها علم العروض ثم رجع إلى اليمن في سنة ٧١٦هـ فولاه المؤيد =

طلب العلم بين اليمن ومكة المكرمة بل يقيم بمكة مع والده سنوات، ثم لا يكتفي بذلك بل يرحل إلى الشام فيدرس بها ويدرّس في جامعها الأموي، ثم يتنقل بين بلدان الشام ثم يرحل إلى مصر ويدرس ويدرّس بها كذلك[1]، وبعد أن يتلقى العلم في تلك البلدان ويُعلم في بعضها ينتهي به المطاف كاتباً للإنشاء ووزيراً في عهد السلطان الغساني باليمن المؤيَّد الرسولي وهكذا يحقق هذا العلم بتطوافه بين هذه البلدان أهم أهداف التواصل العلمي والثقافي.

- وفي منتصف القرن الثامن الهجري وأوائل القرن التاسع نجد العلامة الشاعر: محمد بن الحسن بن عيسى العليف[2] المولود في (حلي ابن

=الرسولي الوزارة، فاستمر بها حتى توفي المؤيد فخلفه ابنه الظافر فقرَّب العلامة عبدالباقي وعظَّمه حتى إذا تولى المجاهد بعد الظافر فصادر أموال العلامة عبدالباقي وضيق عليه فهرب إلى مكة المكرمة وهاجر منها إلى مصر ٧٣٠هـ، ودرّس فيها فترة ثم رحل إلى بيت المقدس ببلاد الشام وما زال يتردد بين حلب ودمشق وطرابلس ومصر حتى توفي سنة ٧٤٤هـ، له مؤلفات كثيرة منها اختصار تاريخ ابن خلكان في مجلد مع الإضافة إليه، وله كتاب مطرب السمع في حديث أم زرع، وله اهتمام باللغة والأصول، وفنون الأدب. انظر ترجمته في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج١ص ٣١٧-٣١٨ وفي كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي ج٧، ص٣٣١وغيرها.

(١) من أدب جنوب الجزيرة بحوث ودراسات لمحمد بن أحمد العقيلي ج١ ص١٠٧-١٣٨، ط١ مطابع البلاد بجده ١٤٠٤هـ.

(٢) محمد بن الحسن العليف: (٧٤٢-٨١٥هـ) عالم وشاعر من أعلام بلدة (حلي) الواقعة بين منطقة جازان (المخلاف السليماني) ومنطقة مكة المكرمة، ولد بمدينة حَلي سنة ٧٤٢هـ وتلقى العلم بمكة المكرمة على عدد من علمائها ومنهم العلامة (العز بن جماعة)، واتصل بأمير مكة في عصره (حسن بن عجلان) الشريف فمدحه وصار من خاصته ثم رحل إلى اليمن واتصل بإمام اليمن آنذاك الناصر صلاح الدين ومدحه بغرر قصائده فأعجب الإمام الناصر بشعره وصار يفضله على كثير من الشعراء، توفي الشاعر العليف سنة ٨١٥هـ. انظر ترجمته في كتاب: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج٢، ص ١٥٧-١٥٩.

يعقــوب) [١] عام ٧٤٢هـ نجده يؤكد ذلك التواصل الثقافي فيتنقل بين مكة المكرمة واليمن بعد أن تلقى العلم بمكة على العلامة العزّ بن جماعة، ولأن ابن العليف كان شاعــراً مجيداً فقد مدح أمير مكة في عصره: الشريف حسن بن عجلان وصار من خاصتــه، ثم قدم على (الإمام الناصر) إمام اليمن آنذاك فمدحه بغرر قصائده فأعجب الإمــام الناصر صلاح الدين بشعره وصار يفضله على المتنبي أحياناً، قال الشاعر بن العليف في مدحه:

جـادك الغيثُ من طلولِ بوالي — كــبروج مـن الـنـجـوم خـوالي
فـقـدتْ بيضَ أُنسـهـا فتـسـاوت — بـيضُ أيّـامـهـا وسـودُ الليـالي

ومن شعره كذلك في الإمام الناصر قوله في مطلع قصيدة على روي الفاء:

يـا وجــه آل محـمـدٍ في وقتـه — لم يـبق بـعـدك منهمُ إلاَّ قَفـا
لـو كـانـت الأبـــرار آل محمد — كتب العلوم لكنت فيهم مَصْحَفا

وبعــد أن أورد الشــوكاني نمــاذج من شعــر (العليف) متنوعــة، ختم ترجمته بقوله: (وقــد اشتهــر ذكره وبَعُدَ صيته وقــال الشعر الفائق، تــوفي سنة ٨١٥هـ) [٢]،

(١) حلــي بــن يعقوب : مدينة ساحلية تقــع جنوب مكة بمراحل، سميت باسم واديهــا (حلي) الواقع جنوب بلدة (السريــن) الأثريــة المندثرة قــال عنها الهمداني : (حلي مخــلاف وقصبتها الصحاريــة موضع رؤساء بلد بنــي حــرام، وقرية حلي العلياء والسرين ساحــل كنانة) . وتضم (حلي) منطقــة تهامية عرفت بهذا الاسم وقامــت بهــا حكومة بني حرام الكنانية منــذ القرن الثالث الهجري وظلت في تجاذبــات بين الحكومات التي تقوم في الحجاز أو في المخلاف السليماني. انظر كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ص١٢٠ ، وانظر كتاب الأوضــاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان لأحمد الزيلعي ص١٣٤ ، وكتاب أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما لعبد الله أبو داهش ص ٧١.

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج٢ ص١٥٧-١٥٩.

وهو غير (العليف) الذي لقبه المؤرخ المكي (ابن فهد) بمتنبي زمانه والمولود بمكة سنة ١٨٥١هـ والذي تنقل كذلك بين الحجاز ومصر، صاحب المؤلفات الكثيرة والشعر الرائق ومنه القصيدة ذات المطلع:

خذ جانب العليا ودع ما ينزلُ فرضى البرية غايةٌ لا تُدرَكُ[(١)]

- وفي النصف الأول من القرن التاسع نجد العلامة الشاعر: أبا المحاسن القرشي العبدري: محمد بن علي الجمال المكي الشافعي[(٢)] الذي كان أحد سدنة الكعبة المشرفة بل أحد من ولي نظارة الحرم المكي الشريف، نجد هذا العلامة المكي الكبير يؤكد ذلك التواصل بين أبناء أقطار جزيرة العرب حيث كان يتقلب بين الحجاز واليمن ويتصل بعلماء اليمن وأئمته ويتواصل معهم، حتى قال عنه الشوكاني: (أبو المحاسن القرشي العبدري محمد بن علي الجمال المكي الشافعي، ممن وَلِيَ سدانة الكعبة المشرفة ونظارة الحرم، وتقلب بين الحجاز واليمن.

- وشهد القرن العاشر الهجري تواصلاً ثقافياً وعلمياً كبيراً بين علماء اليمن وعلماء بلاد الحرمين، ولكثرة النماذج فسنختار شيئاً يسيراً من تلك النماذج:

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١ ص٥٤-٥٦ لمحمد بن علي الشوكاني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت- دون ذكر سنة النشر.

(٢) محمد بن علي الجمال المكي الشافعي: أبو المحاسن محمد بن على الجمال المكي القرشي العبدري: (٧٩٩-٨٣٧هـ) عالم وشاعر قرشي مكي كبير ولي نظارة الحرم المكي وولي سدانة الكعبة المشرفة، كان شاعراً وناثراً وصاحب مؤلفات كثيرة، وكان ممن حققو التواصل الثقافي المبكر بين اليمن وبلاد الحرمين فقد ظل يتنقل بن الحجاز واليمن، وكانت له صلات متينة بعلماء اليمن وأئمته، وهو صاحب مؤلفات كثيرة ومنها: (اللطف في القضاء) وكتاب: (تمثال التمثال) وكتاب: (الحاوي الصغير) وغيرها، توفي سنة ٨٣٧هـ. انظر ترجمته في كتاب: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) لمحمد بن علي الشوكاني، ج٢، ص ٢١٤.

- فهذا علامة المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري: (محمد بن علي ابـن عمر الضمدي[1] كان يمثـل نموذجاً حياً لذلك التواصل بين البلدين الجارين؛ فقـد تلقـى العلم في بلده ثـم انتقل إلى بـلاد اليمن وتلقى العلم علـى علماء اليمن وأئمتـه ونـال إجازة علمية من إمـام اليمن في عصره الإمام شـرف الدين)[2] ثم يرحـل إلى مكة المكرمـة ويتلقى العلم على علمائها ويحصـل على إجازة علمية من العلامة المجاور (ابن حجر الهيثمي)[3].

(١) محمـد بن علي بن عمـر الضمدي: (٨٨٣-٩٩٠هـ): علامة المخلاف السليمـاني في القرن العاشر الهجري نشـأ في بلدتـه (ضَمَدْ)، وتلقـى العلم على بعضـ علمائها، ثم رحـل إلى اليمن، وتلقى العلـم على عدد من علمائـه، وأجيـز من الإمام شرف الديـن، ثم رحل إلى مكة مراراً وتلقى العلم علـى كبار علمائها وأجيز من العلامـة (ابـن حجـر الهيثمـي)، لازم شريف مكـة (أبى نمي) وابنـه (حسن) وكانت لـه مكانتة كبيرة لديهمـا، تـوفي سنة ٩٩٠هـ. انظر ترجمتـه في ملحق البدر الطالـع لمحمد محمد زبارة صـ٢٠٤، وفي مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج١ ص٦٠، ٣٧٠، وفي اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمـد إسماعيـل الكبسي ص٢٧٥، وفي التاريـخ الأدبي للعقيلي ج١ صـ٣٣٠، وفي مخطوطة العقيق اليماني الورقة ٢٦٨، وفي كتابنا الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون ص٢٤٨-٢٦٩ .

(٢) الإمـام شـرف الدين (٨٧٧-٩٦٥هـ): هو الإمـام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بـن شمس الدين بن الإمـام المهـدي، ترجم لـه الشوكاني، والواسعـي، وزبارة، والزركلـي، والحبشي، دعا لنفسـه بالإمامة سنة ٩١٢هـ، وفي أيامـه دخل(الجراكسة) اليمن ثم العثمانيون، له مؤلفات كثيرة منها: (قصص في مدح وذكر معجـزات سيد الخلق) وفي (الأثمار في فقه الأئمة الأطهار) توفي سنة ٩٦٥هـ بظفير حجة، انظر ترجمته في البـدر الطالـع للشوكاني، ج١ ص ٢٧٨، وفي كتاب الأعلام للزركلي ج٨، ص ١٥٠ ومصادر الفكر للحبشي من ص ٦٥٦- ٦٥٩.

(٣) العلامـة أحمد بـن حجر الهيثمي (٩٠٩-٩٧٣هـ): المصـري ثم المكي الوائلي خاتمة أهـل الفتيا والتدريس ولـد سنـة ٩٠٩هـ، نشـأ ببلده، ثم انتقل إلى مكة بعـد أن تضلع في العلوم وبرع في جميـع الفنون خصوصاً في فقة الإمام الشافعي الذي صنف فيه التصانيف واستقر مجاوراً بمكة منذ العام ٩٤٠هـ يفتي ويؤلف ويدرِّس حتى توفاه الله بها سنة ٩٧٣هـ، تتلمذ على يده في مكة كثير من طلاب العلم وفي مكة صنف الكتب المفيدة:=

لقـد (لازم الإمام شـرف الدين وكان من أعيان حضرتـه)[1]، (وكان يقيم معظـم أيام السنة في مكة المكرمة حيث انظـم إلى جلساء شريف مكة أبى نمي بن بركات)[2].

وعـن تواصـل ابن عمر مع علمـاء وشعراء اليمـن فقد ساق ابـن أبي الرجال هـذه المعلومـة: (روي أنّ العلاّمة الحسـين المسوري[3] كان مقيمـاً بالشرف الأعلى فوفـد عليه العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي في جماعة من أصحابه، وأهل جهاته، فتلقاه بالبشر والإنصاف، فنزل القاضي (ابن عمر) عنده في أحسن نزل، يدخلون للآداب في أبواب، ويتعاطون كؤوس العلم أكواباً بعد أكواب:

حُبَّ الأديب على الأديب فريضة　　　كمحبة الآبـاء للولـدان

ومضـى ابن أبي الرجـال في رصد تلك المطارحات إلى أن قـال: (وأما هذين

= (الصواعـق المحرقة) و(شرح العباب)و(مبلغ الأرب في فضائل العرب). انظر ترجمته في: البدر الطالع ج١، ص١٠٩، وفي: الأعلام ج١، ص ٣٣٣، وفي النور السافر ص ٢٨٧ وغيرها.

(١) ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زباره ج٢، ص ٢٠٤.

(٢) التاريـخ الأدبي لمنطقـة جازان لمحمد أحمد العقيلي ج١ ص٣٣٠، من منشـورات نادي جازان الأدبي ١٤١٣هـ، وأبو نمي بن بركات هو: أبو المكارم محمد بن بركات بن محمد بن الحسن بن عجلان أبو نمي (٩٠٧-٩٩٣) كان علـى جانـب عظيم من السياسة والعدل والكرم والفضل ، شارك والده في الحكم ثم ولي إمارة مكة منفرداً بعد وفـاة والـده سنة ٩٣١هـ، كان الشريف (أبا نمي كريماً ممدحاً توفى سنة ٩٩٣هـ، انظر ترجمته في: الأعلام ج٦ ص ٢٧٦ وفي تاريخ مكة للسباعي ص ٣٤٨، وفي الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش ص ٦٩ وغيرها.

(٣) هـو الحسين بن محمد بـن علي المسوري (٠٠٠-٩٨٣هـ): عالم فاضل من علمـاء اليمن الكبار لازم الإمام شرف الدين وكانت له أشعار بليغة، انظر ترجمته في ملحق البدر الطالع لزبارة ص٩٠، وانظر عنه في كتابنا الشعر والشعراء خلال ثمانية قرون هامش ص٢٥٠.

الأديبين: (المسوري وابن عمر) فمجلسهما مجمع البحرين، ومطلع البدرين ...... الخ) [(١)]، ثم ساق ابن أبي الرجال بعض ما دار في مجلسهما من مطارحات شعرية وأدبية ممتعة ومن ذلك المداعبة التي حصلت بين (المسوري) وضيفه (ابن عمر) حين قدَم المسوري الطعام فقال معتذراً:

أُوسِّعُ رحلي على من نزل — وإن لم يكن غير خُبزٍ وخلّ

فأما الكريم فيرضى به — وأما اللئيم فمن لم أبل

فرد عليه ضيفه (ابن عمر) قائلاً:

ليس الكريم الذي يأتيك جفنته — مملوءة ويكون الفيصل الفصلا

إن الكريم الذي تأتيك جفنته — على الدوام وفيها (أيش) ما حصلا[(٢)]

وهكذا كان ابن عمر والمسوري كما رأينا مثالاً للتواصل الثقافي المتين، ولقد كانت (لابن عمر) صلات أدبية، ومطارحات شعرية، ومحاورات مع بعض أعلام عصره وشعرائه في الحجاز وفي المخلاف السليماني وفي اليمن معطياً بذلك أنموذجاً للتواصل الثقافي الفاعل بين أبناء أقاليم الجزيرة العربية.

وفي الجانب الآخر نجد نماذج كثيرة لتواصل المثقفين اليمنيين بإخوانهم في بلاد الحرمين وربما آثر بعضهم الاندماج التام سواء عن طريق المجاورة للحرمين الشريفين أو الإقامة الدائمة أو المؤقتة، فحققوا بذلك أجمل صور التواصل الثقافي، وفي كتب التراجم سير لأعلام كثيرين من هؤلاء وأولئك، فقد ذكر ابن أبي الرجال

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٣ ص١٩٧-١٩٨، تحقيق عبدالرقيب مطهر، من منشورات مؤسسة أهل البيت - صعده - اليمن ١٤٢٥هـ.

(٢) المصدر السابق، ج٣ ص١٩٧ ، ١٩٨.

(١٠٢٩-١٠٩٢هـ) على سبيل المثال في كتابه الموسوعي: مطلع البدور ومجمع البحور نماذج كثيرة لذلك التواصل كما أشار إلى الصلات الثقافية المتينة التي ربطته هو شخصياً بالعلامة المخلافي الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي[١] وأشار إلى أن (حفيد ابن عمر هذا) كان مرجعاً له في تراجم علماء المخلاف السليماني الذين ترجم لهم في كتابه المشار إليه وبخاصة علماء الهجرة الضمدية [٢].

- وتحدث العلامة اليمني عبد الله الحبشي في كتابه: الأدب اليمني عصر خروج الأتراك عن علاقة شاعر القرن الحادي عشر في اليمن: الأديب الشاعر احمد بن احمد بن محمد الآنسي المعروف بـ(الزنمه) [٣]، بأمير مكة في عصره

---

(١) الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي(١٠٢٢-١٠٦٦هـ) : عالم وأديب ومؤرخ وينتمي إلى أسرة علمية عريقة، ولد في مدنية ضمد وتلقى العلم على يد عدد من علمائها وفي مقدمتهم المطهَّر بن علي النعمان الضمدي ثم رحل إلى صعده فدرس على عدد من علمائها حتى كان يرجع إليه بعض زملائه، قال عنه صاحب كتاب (هجر العلم ومعاقله في اليمن): من أعلام المائة الحادية عشرة: شاعر وأديب حفّاظه راوية للشعر والقصص. وذكر صاحب كتاب (مطلع البدور......) وهو معاصر له بأنه (كان من أدباء الوقت وأنه كان في غاية النباهة وكان واسع الإملاء في الأدبيات بأنواعها وأجناسها، وكان من أهل التأني والوقار، ومع كل هذا فإنهم لم يشيروا إلى مؤلفاته التي لا نعلم عنها شيئاً. توفي سنة ١٠٦٦هـ انظر ترجمته في : مطلع البدور ومجمع البحور ج١، ص ٦٠ وفي كتاب هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣، ص ٢٢٢ وغيرها.

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣ ص٣٦٩.

(٣) العلامة الشاعر: أحمد بن أحمد بن محمد الآنسي المشهور بالزنمة(٠٠٠-٠٠٠): شاعر وعالم يمني من أعلام القرن الحادي عشر الهجري وصفه معاصره (الحيمي) بأنه كان شاعراً قوي الشخصية ذا جرأة وصلف، إذا مدح غالى، وإن ذم لم يترك للذم مقال وكان حاد الطبع شديد التحول اتصل بشعراء بلده كما اتصل بشعراء مكة وببعض المجاورين فيها. انظر الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن، لعبد الله الحبشي ص٥٠٤.

وبشعرائها فذكر بأنه التقى في مكة بنخبة من الأدباء ، ومما قاله الحبشي: (وقد ذكروا بأنه اجتمع بلفيف من الأدباء في منزل أمير مكة، وكان من بينهم الخفاجي حفيد صاحب (الريحانة) وابن معصوم (المؤرخ) فقال الخفاجي: هانحن اجتمعنا بأدباء اليمن وأدباء الشام ومصر فهلموا لينظم كلٌ منا قصيدة نبوية هذه الليلة ومن أحرز قصب السبق حكمت بانحياز الأدب إلى قطره، فنظم كل واحد قصيدة، ونظم صاحبنا (الزنمة) قصيدته المشهورة ذات المطلع:

ألا حيِّ ذاك الحي من ساكني صنعا — فكم أحسنوا بالنازلين بهم صُنعا

تحية صبٍ، صبَّ ماء جفونه — يشوقه برق الدجى إن شرى لمعا

فحكم الخفاجي له بالسبق) ثم قال الحبشي: (وفي مكة تعرف الزنمة بالأديب المؤرخ محمد أمين المحبي وبينهما مساجلات ومناظرات شعرية[1].

وأضاف إسماعيل الأكوع إلى قصة فوز (الزنمة) قوله: (فتنفس عليه الشعراء وكادوا له، وزعموا أنه تزندق لقوله في القصيدة نفسها:

بعيشك إن شارفت حيِّ أحبتي — فطف حوله ياعمرو، عن عمرتي سبعا

ورد زمزم الورد النمير حياضه — وحلق، إذا قصرت في ذلك المسعى

فأفتى قوم بإراقة دمه ففارق مكة عائداً إلى اليمن) [2].

- كما تحدث ابن أبي الرجال في كتابه: (مطلع البدور) عن تواصل علامة

---

(١) الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن (١٠٤٥-١٢٨٩هـ) لعبد الله الحبشي- من مطبوعات مركز الدراسات اليمنية- صنعاء- دون ذكر سنة النشر، ص٥٠٤-٥٠٥.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٧٦٧-١٧٦٨، طبع دار الفكر بدمشق ١٤١٦هـ ودار الفكر المعاصر بلبنان - بيروت ١٤١٦هـ.

المخلاف السليماني: (المطهر بن علي النعمان الضمدي) [1] مع أعلام عصره في اليمن أمثال العلامة (صلاح بن أحمد المهدي المؤيدي) [2] وذكر بعض مطارحاتهم الشعرية ومداولاتهم الفكرية[3] وذكر من تلك المطارحات الشعرية التي كانت تحصل بين العلامة المطهر بن علي النعمان الضمدي، علامة المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري والعلامة اليمني: صلاح بن أحمد المهدي قول المطهر في إحدى إخوانياته مباهياً برقة بنات تهامة:

تزوج هُديْتَ تهامية ... تروقك في المئزر المطرف
ودع عنك بيضاء نجدية ... ولو برزت في (بها) يوسف
عليها قميص وسروالةٌ ... وليسَتْ تَرِقُّ لمستعطف

فرد عليه صديقه صلاح المؤيدي بقوله:

أردت بها الذم، ألبستها ... سرابيل مدحٍ ولا تختفي

---

(١) المطهر بن علي النعمان الضمدي (١٠٠٤-١٠٤٨هـ): عالم محقق في الفقه، لغوي، مفسر، نحوي، طبيب، وشاعر. له في كل فن مصنفات كثيرة من أهم مؤلفاته: (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير). انظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج٤ ص٤٠٥، وفي مطلع البدور ج٢ ص٤٥٨-٤٦٥، وفي الأعلام لخير الدين الزركلي ج٧ ص٢٥٣، ط٥ بيروت ١٩٨٠م ، وفي كتاب هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣ ص١٩، ٢٠، وفي كتابنا الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون ص٣٩٤-٤١٠. وغيرها.

(٢) صلاح بن أحمد المهدي المؤيدي (١٠١٠-١٠٤٤هـ): علامة يمني صاحب مصنفات علمية كثيرة يصفه بعض المؤرخين بأنه إمام مجتهد، وفارس شجاع، ورئيس كريم، وكاتب وشاعر، وأن له اليد الطولى في كل فن، صنف عدداً من المصنفات في سن مبكرة منها: (اختصار شرح العيني لشواهد التلخيص) وغيره، وله ديوان شعري. انظر ترجمته في هامش ص٤٠٠ من كتابنا: الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون، وفي البدر الطالع للشوكاني ج١ ص٢٩٣، و مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن لعبد الله الحبشي ص١٦١، وفي الأعلام ج٤ ص ٤٠٣-٤٠٤ وغيرها.

(٣) مطلع البدور ج٢ ص٤٤٨.

نعم هكذا شيمة المحصنات إذا شئت تمدح مدحاً وفي
قسا، في القلوب، ولين القدود وخد نقي، وصوت خفي
وإن رام منها الوفا طارق فليست ترق لمستعطف)[1]

وهكذا سعى (المطهر) لتفضيل الفتاة التهامية على الفتاة الجبلية غير أن صديقه (صلاح المؤيدي) قد ردَّ عليه مفضلاً الفتاة (النجدية): الجبلية في مداعبات شعرية جميلة تمتع القارئ والسامع.

- وفي لفتة أخرى من لفتات التواصل الثقافي بين علامة اليمن: (الصلاحي) وعلامة وشاعر المخلاف السليماني: (المطهر) نجد العلامة اليمني الكبير: (صلاح بن أحمد المؤيدي) يهنئ العلامة (المطهر بن علي النعمان الضمدي) بكتابه الموسوعي: (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير) في قصيدة شعرية يذكر فيها بعض مزايا هذا التفسير، ومما قاله المؤيدي:

هذا الفرات، فرد مشارب مائه تجد الشرائع أودعت في سفره
كشَّافُ كل غوامض ببيانها أسرار منزل ربنا في سره
لا عيب فيه سوى وَجَازَةَ لفظه والاحتواء على الكمال بأسره
حبس المعاني الرائقات برقة والحق أطلق، والظلال بأسره[2]

وواضح بأن (حبس) في الشطر الأول من البيت الأخير تقابلها كلمة: (أطلق)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد المحبي ج٤ ص٤٠٥، ٤٠٦ دار الكتاب الاسلامي بالقاهرة دون ذكر سنة النشر وانظر: الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون لحجاب الحازمي ص٤٠٢.

(٢) فوائد الارتحال ونتائج السفر في أعيان القرن الحادي عشر ج٣ الورقة ٣٧٦ (مخطوط) للعلامة مصطفى=

في الشطر الثاني وأن معنى كلمة (أسره) الثانية في البيت الرابع غير معناها في البيت السابق وإن كان بينهما جناس تام[1].

- وحين عاد (صلاح بن أحمد المؤيدي) من الحج مَرَّ في طريقه إلى اليمن على مدينة أبي عريش[2] إلا أنه لم يتفضل بزيارة صديقه (المطهر) المقيم بها آنذاك فعاتبه المطهر بقصيدة جميلة تتجلى فيها إخوانياته الشعرية الرائعة كما يتجلى عمق الصلات، يقول المطهر في تلك القصيدة:

إن كان أحبابنا بالهجر قد طابوا   قلباً، فَسَيَّان: أعداء، وأحباب
وهل يريد بك الأعداء أقتل من   هذا المصاب الذي من دونه الصاب
شدوا المطايا غداة البين فانزعجت   نفس، كأنَّ غراب البين أقتاب
وثارت العيس بالأضعان راغية   يوم النوى، فاستوى: راغ، ونعَّابُ
لله روحي، وقلبي، بعد بعدهم   ورحمة لعيوني غبّ ما غابوا

= الحموي يقع في ثلاثة مجلدات كل مجلد يحتوي على ما يزيد عن ثمانمائة صفحة، نسخة مصورة لدى الباحث مأخوذة عن نسخة الدكتور عائض الردادي المصورة من النسخة الأصلية المحفوظة بدار الكتب المصرية في القاهرة تحت الرقم: (١٠٩٣).

(١) انظر ص٤٠٠ من كتابنا: الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون.

(٢) أبو عريش: مدينة تاريخية من أقدم وأشهر مدن المخلاف السليماني (جازان) وهي إلى جانب كونها عاصمة أولى في أيام دولة آل خيرات، وعاصمة ثانية أيام الأشراف القطبيين فهي إلى جانب ذلك مدينة علمية تأريخية ورد ذكرها في كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى كاليعقوبي والهمداني وغيرهما وتبعد عن مدينة جازان شرقا بحوالي ٣٠ كيلا ، انظر صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد الهمداني ص١٤٧، تحقيق محمد بن عبد الله بن بليهد، مراجعة محمد بن سعد بن حسين، ط٣ دار الجوهرة بالرياض ١٤١١هـ، وانظر المعجم الجغرافي لمحمد أحمد العقيلي ص٥٨.

فالروح طيرٌ، وهذا القلب قد فتحت ... سماؤه، فهو يوم البين أبواب

والعين كالعين، من بعد الرحيل فما ... ينفك من جفنها فيض وتسكاب

وكل جارحة مجروحة بسكاكـ ... ـين الفراق كأن البعد قصَّابُ

أحبابنا إن نأت عنا دياركم ... وقُوِّضَتْ من خيام الوصل أطناب

فالقلب قد ضربت فيه خيامكم ... وما لكم عنه طول الدهر إضراب

وكيف يسلو أخلاء الصفاء وقد ... شبوا الجوى، ولمحض الود ما شابوا[1]

أرأيت أرق من هذا العتاب الذي صارت روح الشاعر المطهر فيه كالطير والعين قد صارت كالعين الثجاجة، و (القلب قد فتحت سماواته) و (كل جارحة) مجروحة، وقلب الشاعر قد أصبح مسكناً لأخلاء الصفاء، فهو لا يستطيع السلوّ!!

- ولقد استمرت المطارحات الشعرية بين شاعر المخلاف السليماني: (المطهر) والشاعر اليمني الصلاحي كما استمرت الحوارات الفكرية بينهما متواصلة.

- ولما توفي صديق (المطهر): (صلاح بن أحمد المؤيدي) رثاه المحب الصادق (المطهر) فقال من قصيدة طويلة:

مصاب جلَّ في كل النواحي ... فلم نملك به غير النواح

ورزء فَتَّ أفئدة البرايا ... ولا سيما قلوب ذوي الصلاح

أردنا أن نكتمه احتساباً ... فلاح لأهل حيَّ على الفلاح

هي الأيام، تخفظ كل عالٍ ... وتلطم بالمسا، وجه الصباح[2]

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٢ ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) مطلع البدور ج٢ ص٤٦٥.

- كما تحدث المؤرخ ابن أبي الرجال في كتابه الموسوعي ذاك عن صلاته (نفسه) بالعلامــة عبد العزيز الضمدي[1]، وأشار إلى الحوار الفكري الذي دار بينهما حول مسألة العقوبة المادية التي يأخذها ولي الأمر من بعض المواطنين المذنبين وأشار إلى الرسائل الشعرية والنثرية التي تبادلاها وأنه سمى (جوابه على العلامة الضمدي) بـ (الجواب الشافي للصدي إلى عبد العزيز الضمدي)[2]، وقد نقل الجرموزي تلك المحاورات في كتابه (التحفة) [3].

- وربمــا كانــت صــور التواصل الثقافي بين علمــاء وشعــراء البلدين في القرن الحادي عشر أجمل وأبهى وأظهر، منها في عصور سابقة وربما لاحقه.

ولعلنــا في السطــور التالية نختم اختياراتنــا بذكر بعض أعــلام علماء اليمن الكبار في القرن الحادي عشر ممن كانت لهم صلاتهم الثقافية المتينة بعلماء بلاد الحرمــين الشريفين، كما نختــم كذلك بذكر بعض أعلام بــلاد الحرمين من ذوي الصلات العلمية والفكرية بعلماء ومفكري بلاد اليمن.

---

(١) عبــد العزيز بن محمد النعمــان الضمدي (١٠١٣-١٠٧٨هـ): عالم، وشاعر، وقاضي، وصاحب خط جميل، ومصنــف غزيــر العلم ينتمــي إلى أســرة آل النعمان الضمدي وهــي أسرة علمية عريقة مــن اسر المخلاف السليمــاني من مؤلفاته: شــرح على الموشح سماه: (البغية) ومنها: (السلــم في أصول الفقه شرح المعيار) وغيرهــا تــوفي سنة ١٠٧٨هـ. انظــر ترجمته في مطلع البــدور ج٣ ص٤٦-٤٧، البدر الطالــع ج١ ص٣٥٧ وما بعدهــا، تاريخ اليمن لابن الوزير ص٢٣٢، مصادر الفكــر للحبشي ص٥٦، وفي هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣ ص١٢٢١، وفي كتابنا: الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون ٣٢٧-٣٣٤.

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٣ ص٣٩٦.

(٣) تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، للمطهر الجرموزي، ج٢ ص٥٣٧-٥٩٦، تحقيق عبد الحكيم الهجري، من منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية صنعاء ١٤٢٣هـ.

- ومن الطائفة الأولى العلامة: محمد بن أبي بكر الشلي[1] (١٠٣٠-١٠٩٣هـ) الذي رحل من بلدته (تريم) إلى (ظفار) ثم رحل إلى الحجاز فأقام بمكة مجاوراً فتعلم وعلم وعاش بها متنقلاً بين حلقاتها العلمية حتى توفي سنة ١٠٩٣هـ رحمه الله، وقد ألف بها بعض كتبه وكانت له صلاته بعلمائها ومفكريها وقد تحدث عنه (المحبي) طويلاً وتحدث عن جهوده العلمية الكبيرة وعن مؤلفاته الكثيرة[2].

- وثانيهم العلامة: لطف الله بن محمد الغياث بن الشجاع الظفيري (....-١٠٣٥هـ)[3] الذي ترجمه ابن أبي الرجال في مطلع البدور، وترجمه

---

(١) العلاَّمة: محمد بن أبي بكر الشلّي: (١٠٣٠-١٠٩٣هـ): من العلماء الأجلاء، كان يطلق عليه (نزيل مكة) ويكنى بأبي علوي، تلقى القرآن الكريم على يد معلمه: عبدالله بن عمر با غريب وحفظه وهو ابن عشر سنين كما حفظ عدداً من المتون في صغره ثم تلقى العلوم الشرعية على يد عدد من علماء بلده وفي مقدمتهم والده الذي أخذ عنه التفسير والحديث والتصوف، وعن العلامة عبدالرحمن بن علوى أخذ في الفقه والأصول والعربية، كما تلقى علومه على عدد كبير من بقية علماء بلده ثم ارتحل إلى مكة والمدينة فتلقى العلم على أكابر علمائها ومنهم: العلامة أحمد بن محمد المدني، والعلامة عبدالعزيز الزمزمي، وأجازه كثير منهم ثم درَّس بالمسجد الحرام وانتفع بعلمه عدد كبير من طلاب العلم، له مؤلفات كثيرة ومنها: شرح على مختصر الإيضاح لابن حجر، رسائل في علم الميقات، وشرح لجامع الجوامع للسيوطي، وذيل النور السافر في أخبار القرن العاشر وغيرها، تحدث عنه (أمين المحبي) في كتابه (خلاصة الأثر) وذكر جهوده العلمية في خدمة العلم وطلابه، وأكّد بأنه أفاد في كتابه هذا (خلاصة الأثر) من مؤلفات الشلي، وأنه نقل عنه كثيراً من التراجم جاور بمكة المكرمة حتى توفي سنة ١٠٩٣هـ. انظر ترجمته في: خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبّي ج٣، ص ٣٣٦-٣٣٨ وانظر ترجمته في كتاب مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال ج٤، ص ١٢١-١٢٤، وغيرهما.

(٢) خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبي ج٣ ص ٣٣٦.

(٣) العلامة: لطف الله بن محمد الغياث الظفيري: (٠٠٠-١٠٣٥هـ) عالم وأديب مبرز في علوم العربية من نحو وصرف، ومعانٍ وبيان وله إلمام بالطب، قال عنه الإمام الشوكاني: (لم يكن باليمن في زمنه من يبلغ=

الشوكاني في البدر الطالع باستفاضة وتوسع، كما ترجمه (الأكوع) في كتابه: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ومما قاله عنه ابن أبي الرجال: (أديب لبيب عالم بالعربية لطيف الطباع والشمائل له يد في الطب) [1]، وقال عنه إسماعيل الأكوع: (عالم مبرز في علوم العربية من نحو وصرف، ومعانٍ وبيان، وله مشاركة تامة في كثير من العلوم الإسلامية وله أيضاً معرفة بالطب ......) إلى أن قال: (رحل إلى مكة المشرفة فجاور بها مدة وأخذ عمن لقي فيها من العلماء، وأقام في الطائف ثم عاد إلى اليمن في بضع وعشرين بعد الألف) [2] وقال عنه الشوكاني: (لم يكن باليمن في زمنه من يبلغ إلى درجته في علوم المعاني، والبيان، والأصول، والنحو والصرف، فقد تبحر في جميع المعارف العلمية وصنف التصانيف كشرح الشافية لابن الحاجب في علم الصرف وحاشيته لشرح التلخيص.... إلى أن قال: ولعله

= إلى درجته في علوم المعاني والبيان والأصول والنحو والصرف) معللاً تبحره في هذه العلوم بإقامته الطويلة في مكة المكرمة فقد ذكر أحمد بن أبي الرجال بأن الظفيري (قد رحل إلى مكة المشرفة وجاور بها مدة وأخذ العلم عمن لقي فيها من العلماء، ويروى بأن شريف مكة في زمنه (الشريف جعفر) قد التمس منه أن يصنف له كتاباً في الفقه والفرائض؛ فنظم له أرجوزة في الفرائض، وجمع له مختصراً في الفقه. توفي رحمه الله في موطنه: ظفير حجه باليمن سنة ١٠٣٥هـ ومن مؤلفاته: (الإيجاز في المعاني والبيان) و(شرح الشافية لابن الحاجب في الصرف) وغيرها. انظر ترجمته في (البدر الطالع للشوكاني ج٢، ص ٧١-٧٤) وفي: (مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٢، ص ١٢١-١٢٤) وفي كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن، لإسماعيل الأكوع ج٣، ص ١٣٢٨) وغيرها.

(١) مطلع البدور ج٤ ص١٢١-١٢٤.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٣٢٨،.

استفاد تلك المعارف في رحلته إلى مكة واستقراره هنالك)[1].

وبعد أن تحدث الشوكاني عن مؤلفات العلامة الظفيري وعن تبحره في العلوم معللاً ذلك بإقامته في مكة واتصاله بعلمائها تحدث أيضاً عن صلاته بأمراء مكة ومكانته العلمية عندهم فقال: (وقد التمس منه الشريف (جعفر) صاحب مكة أن يصنف كتاباً في الفقه والفرائض وكتب إليه في ذلك نظماً قال فيه:

أيا شيخ لطف الله إني لقائلٌ ... بلا شك من سماك فهو مصيب

سألتك سفراً نستعين به على ... عبادة ربي لا برحت تجيب

فنظم له الشيخ أرجوزة في الفرائض وجمع له مختصراً في الفقه يختص بالعبادات وأجاب على النظم بقوله:

أتاني عقد يخجل الدر نظمه ... ويعجز عنه أحمد وحبيب

وما كان قدري يقتضي أن أجيبه ... ومثلي لذاك السمط ليس يجيب

وهي أبيات تسعة ختمها بقوله:

وأمركمُ ماضٍ وحظي قبولكم ... وإني على قدر القصور مجيب[2]

-وقبيل منتصف القرن الحادي عشر نجد الشريف الأمير الشاعر: (احمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي (....- ١٠٤١هـ)[3] من بلاد الحرمين بل من أشرافها

(١) البدر الطالع ج٢ ص٧١-٧٤.

(٢) البدر الطالع ج٢ ص٧٣-٧٤.

(٣) أحمد بن مسعود بن حسن بن أبي نميّ (٠٠٠-١٠٤١): أحد أدباء وشعراء أشراف مكة، وصفه العلاّمة عبدالله مرداد بـ(نابغة بني حسن، وباقعة الفصاحة واللسن) اختلف مع ابن عمه أمير مكة أحمد بن عبدالمطلب فرحل إلى اليمن واتصل بإمامه في (شهاره) وطلب منه مساعدته في تخليص إمارة مكة=

وأمرائها، نجده بعد أن شعر بضياع حقه في الإمارة يتوجه إلى بلدة شهاره من بلاد اليمن في عام ١٠٣٨هـ ويمتدح إمامها: (محمد بن القاسم) بقصيدة يطلب فيها المساعدة وتخليص مكة المشرفة له، وكان ملكها آنذاك ابن عمه (الشريف أحمد بن عبد المطلب)، ومطلع قصيدته التي مدح بها إمام اليمن آنذاك:

سلا عن دمي ذات الخلاخل والعقد ... بماذا استحلت أخذ روحي على عمد

فإن أمنت أن لا تقاد بما جنت ... فقد قيل: ألاّ يقتل الحر بالعبد

ولكن الشريف (أحمد بن مسعود) لم يحصل من (إمام اليمن) على طائل، فيتجه إلى الاستانه ويتصل بالخليفة العثماني (سلطان مراد) ويوجه إليه قصيدة أخرى يطلب فيها المدد والعون على تخليص الحجاز من ابن عمه: (عبد المطلب) فيقول في بعض أبياتها:

فيا ملك الملوك ولا أحاشي ... ولا عذراً أسوق ولا احتشاما

إلى جدواك كلفنا المطايا ... دواماً، لا نفارقها، دواما

وجبنا أيها الملك الموامي ... إلى أن صرن من هزل هلاما

= المشرفة له فلم يحصل منه على طائل فعاد إلى مكة وأقام بها سنتين ثم رحل إلى القسطنطينية قاصداً السلطان العثماني (مراد خان) وحين التقى به مدحه بقصيدة طلبه فيه أن يوليه إمارة مكة المكرمة فأجاب طلبه غير أنه توفي أثناء عودته إلى مكة قبل أن يتحقق مطلبه، وذلك في عام ١٠٤١هـ . انظر ترجمته في كتاب: (المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر) لعبدالله مرداد أبو الخير ص ٨٠-٨١ من مطبوعات نادي الطائف الأدبي ١٣٩٨هـ، وانظر مقالاً للأديب عبدالله الشباط بعنوان: أدباء على هامش التأريخ: الشريف أحمد بن مسعود نشره في مجلة المنهل عدد شهري محرم وصفر من عام ١٤٣٠هـ، ص ٤١-٤٣).

إلى أن قال:

تــؤم رحــابـك الـفـيـح اشـتـيـاقـاً   وتــأمــل مـنـك آمـــالاً جـســامـا

ومــن قـصـد الـكـريم غـدا أمـيـراً   عـلـى مـا في يـديـه، ولـن يـضـامـا

ومـع الاختلاف الحاصـل بين (المحبي) وبـين المؤرخ (العصامـي) والمؤرخ (مـرداد) حول ما حباه به الخليفة العثمـاني فقد عاجله الأجل في أثناء عودته إلى وطنه. وذلك أثناء عودته إلى مكة في عام ١٠٤١هـ[١].

- وفي القرن الحادي عشر الهجري كذلك نجد صاحب كتاب: (نفحات العنبر) يتحـدث عن أديب حجـازي ولد وتوفي باليمن الشقيق ومـع ذلك احتفظ بحجازيته لذلك وجدنا المؤلف ينسب هذا الأديب إلى الحجاز وإلى اليمن في آن واحد محتفياً بـه وبشعره الذي اختـار منه نماذج جيدة وهذا الشاعر كما عرفه العلامة إبراهيم بـن عبد الله الحوثـي الصنعاني صاحب كتاب: (نفحـات العنبر) (هو أحمد بن محمد الينبعي الحجازي الأصل الصنعاني المولد والوفاة (....-١٠٩٥هـ)[٢] شاعر

(١) المختصر من كتاب نشر النور والزهر لعبدالله مرداد ابو الخير ص٨٠-٨١ اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العمودي واحمد علي مطبوعات نادي الطائف الأدبي ١٣٩٨هـ، وانظر مقالاً بعنوان: (أدباء على هامش التاريـخ): الشريف أحمد بن مسعود كتبـه الأستاذ: (عبد الله الشباط) في مجلة المنهل العدد ٦١٠ المجلد ٧٠ العام ٧٤، ونشر المقال بالعدد الصادر في شهري محرم وصفر ١٤٣٠هـ على الصفحات (٤١-٤٣).

(٢) الشاعـر: أحمد بن محمد الينبغي الحجازي الصنعاني(٠٠٠-١٠٩٥): شاعر حجازي ولد في صنعاء، ونشأ في كفالـة خاله (إبراهيم اليافعـي) كان شاعراً مجيداً، فقد وصفه صاحب كتاب (نفحات العنبر) بأنه في شعـره حسن الوصـف، وأورد له نماذج شعرية جيدة، كما تحدث عنه صاحب كتـاب (نسمة السحر) وأشاد بشاعريتـه ، تـوفي في مدينة صنعـاء سنة ١٠٩٥هـ. انظـر ترجمته في كتاب نفحات العنـبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر، لإبراهيم بن عبدالله الحوثي الصنعاني ج١، ص ٢٠٣-٢٠٩.

مشهور تخرج على خاله إبراهيم اليافعي فأجاد النظم وأحسن في الوصف، وشعره قليـل الوجود، ذكره صاحب نسمة السحر وأثنى عليه وأورد له شعراً، توفي بصنعاء في حدود سنة ١٠٩٥هـ) [(١)].

وقد أورد له ثلاثة نماذج شعرية في أغراض مختلفة ومن ذلك قصيدته الطويلة التــي مدح بها أحد الولاة حيث بدئها بالتشبيب ثم انتقل إلى الوصف ولم يصل إلى الممدوح إلا بعد رحلة شعرية جميلة، يقول في بعض أبيات هذه القصيدة:

(سلوا عن فؤادي إن مررتم على سلع — فعهدي به لما التقى الركب بالجزع

يُـلـمُّ بـه تـذكـاره، فيشـوقـه — وتغريه ورقـاء الحمائم بالسَّجع

وبي قاصرات الطرف حـوراءُ كَلَّةٌ — توالت على بيني، وآلت على قطعي

وحين يصل الشاعر إلى الوصف يُجَلّي فيه فيقول:

كـأن الـثريـا وهـي في شـرق أفقها — وقد طلعت ، طلعٌ على كُرَبِ الجذع

كـأن سـهيـلاً غُـرةٌ فـوق أدهـمٍ — يـجاذبه رب الـعنـانِ عـن الـدفعِ

كأن شخوص العين في فاحم الدجى — أحاديث سرٍ، أُودِعَـتْ جيد السمع

أمـا حين يصل الشاعر في هـذه القصيدة إلى ممدوحه فإنـه يجيد التخلص فيقول:

إلى أن تجلى عن دجى الليل صبحه — تَجَلِّي أمـير المؤمـنين عـن النقع

(١) نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر لإبراهيم بن عبد الله الحوثي الصنعاني ج١ ص٢٠٣-٢٠٩، مؤسسة التاريخ العربي للنشر بيروت ١٤٢٩هـ.

نمـا أصـلـه عـن دوحـــة نـبـويـة فيا حبذا أصلٌ نماه إلى الفرع)[1]

ومضـى الشاعر الحجازي في قصيدتـه التي يمدح فيها ذلك الوالي فأغرق في المبالغـات كعادة بعض الشعراء علـى أن قصيدته لم تخل بعض مقاطعها من ملمح فني ظاهر.

وفي النصـين الشعريين الآخرين اللذيـن اختارهما له صاحب كتاب: (نفحات العنـبر) نجد شاعرنا الحجـازي لا يقل روعة وجمالاً عن هـذا النص ولولا خشية الإطالة لاخترنا بعض نماذج منهما.

- وفي هــذه الفترة نفسها من أواسط القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر نجد العلامة اليمني الكبير صالح بن المهدي المقبلي[2] نجده يهاجر إلى مكة

(١) المصدر السابق، ج٢ ص ٢٠٥.

(٢) العلامة: صالح بن مهدي بن علي بن عبدالله بن سلمان .... المقبلي الصنعاني: (١٠٤٧-١١٠٨هـ) ولد بقرية المقبـل مـن أعمال بلاد كوكبان تلقى العلم على عدد من علماء اليمن وفي مقدمتهم العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل من أهالي (ثلا) ثم انتقل المقبلي إلى صنعاء وجرت بينه وبين علمائها مناظرات ثم ارتحل إلى مكة المكرمـة واستقـر بها عالماً ومعلماً ومتعلماً حتى توفي، حيث أخـذ على العلامة إبراهيم الكردي وغيره قال عنه الإمـام الشوكاني (برع في جميع علوم الكتاب والسنة، وحقق الأصولين وحذق في علوم العربية والمعاني والبيان وفي التفسير والحديث، كما ذكر بأن للمقبلي مؤلفات كثيرة منها: (حاشية على البحر الزخار) ومنها: (العلم الشامخ في إيثار الحق على العلماء والمشايخ) رَدَّ فيه على علماء الكلام وعلى الصوفيه ومن مؤلفاته: (الاتحاف لطلبـة الكشـاف) في التفسير وغيرها كما كانت للعلامة المقبلي صلات بعلمـاء مكة المكرمة وبأشرافها وكانت لـه حوارات فكرية مع بعض علماء مكـة والمدينة كالذي حصل له مع العلامة محمد بن عبدالرسول البرزنجي المـدني الذي هاجـم أراء العلامة المقبلي لتأييده مبدأ رفض التقليد، وقد اتخـذ المقبلي مكة المكرمة دار إقامة حتـى تـوفي سنة ١١٠٨هـ. انظـر ترجمته في: البدر الطالـع للشوكاني ج١، صـ ٢٨٨-٢٩٢. وانظر ترجمته في مصادر الفكر للحبشي ص ٥٨ وفي طيب السمّر للحيمي ص ٢٦١-٢٦٦ وغيرها.

المكرمة ويقيم بها ويتصل بأشرافها وعلمائها ويكون مع علماء الحجاز حوارات فكرية كما حصل مع علامة الحجاز محمد بن عبد الرسول البرزنجي المدني الذي هاجم آراء المقبلي لتأييد مبدأ رفض التقليد) [1] ويؤلف بها بعض كتبه ككتابه: (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشائخ) ويتخذ مكة دار إقامة حتى وفاته في سنة ١١٠٨هـ[2] وهكذا استمر التواصل الفكري والثقافي بين أبناء أقاليم الجزيرة العربية عامة وبين علماء ومفكري اليمن، ومفكري وعلماء بلاد الحرمين خاصة، بل ظل قوياً وفاعلاً، وربما وصل إلى التمازج والاندماج حتى وجدنا علامة كالشوكاني يترجم في كتابه البدر الطالع لبعض الأعلام فينسبهم إلى إقليمين فيقول مثلاً: أحمد بن محمد الحجازي اليمني[3]، أو يقول السيد العلامة إسماعيل الشامي اليمني [4]، ونجد العلامة محمد زبارة يقول في ترجمته لأحد الأعلام أيضاً (الشيخ عبد الرحمن القحطاني اليمني) [5] كما نجد صاحب كتاب: (نفحات العنبر) حين ترجم لأحد أعلام القرن الحادي عشر قال في ترجمته: (أحمد بن

---

(١) دورية (المسار) اليمنية وهي دورية فكرية ثقافية تصدر عن مركز البحوث والتراث اليمني يرأس تحريرها زيد الوزير، العدد الخامس الصادر عام ١٤٢٢هـ ص٤٣-٤٤ من مقال بعنوان: (علماء أهل الحديث عند زيدية اليمن) للدكتور برنارد هيكل من جامعة نيويورك.

(٢) طيب السمر في أوقات السحر لشهاب الدين الحيمي المتوفى سنة ١١٥١هـ، تحقيق عبد الله الحبشي ص٢٦١-٢٦٦. مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤١٠هـ.

(٣) انظر البدر الطالع للشوكاني ج١ ص١٠٤.

(٤) المصدر السابق ج١ ص١٤٥.

(٥) ملحق البدر الطالع لمحمد محمد زبارة ص١١٦.

محمد الينبعي الحجازي الصنعاني) [1] كل ذلك يعتبر أثراً من آثار ذلك التواصل الثقافي بين البلدين الذي استمر قوياً ومؤثراً حتى في أحلك الظروف وأقساها، تُرَسِّخُهُ جهود العلماء والمفكرين في البلدين على مر التاريخ.

وربما كان قريبا من تلك الفترة الأديب حسن الزمزمي اليماني(....-١١٣٢) [2] الذي كان يقيم في مكة المكرمة إقامة دائمة، حتى اعتبره بعض من ترجم له مكيا.

وممن ترجم له العلامة (عبد الله مرداد ابو الخير) في كتابه: (المختصر من كتاب نشر النور والزهر) حيث قال: (الشيخ حسن زمزمي اليماني وطنا، الشافعي مذهبا، ثم المكي، أديب طلع صباحا، وسطع مصباحا، حل من الأدب في شرفه....) إلى أن قال: (ومن شعره متغزلا:

مليـاني مـن سـلاف العنب	وأعـلاني رضـاب الشنب
وأتحفـاني بأحـاديث الحمى	والنقا ، والمنـحنى والكثب
لا أسمي من سباني حسنه	إنما التمـويه فيه مذهبي
كلما يخـفق قـلبي طربا	صفقت أيـدي الهوى من طرب

(١) نفحات العنبر ج١ ص٢٠٣.

(٢) الشيخ حسن زمزمي اليماني المكي(٠٠٠-١١٣٢هـ) : ترجم له العلامة المكي، عبد الله مرداد أبو الخير فقال: (حسن زمزمي اليماني وطناً ثم المكّي، الشافعي مذهباً) وتحدث (مرداد) عن علمه وأدبه ثم أشاد بشاعريته فقال: (حلّ من الأدب في شرفه، وعلا إلى غرفه) وشعر الزمزمي يقطر عذوبةً وبخاصة شعره الغزلي الذي أورد له (مرداد) نموذجاً يؤكد شاعرية الزمزمي فيه. توفي سنة ١١٣٢هـ . انظر ترجمته في كتاب: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكه من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ص ١٣٧لعبد الله مرداد.

لـو تـرى الطـــرة والخـــد الـذي   جـمـع المـــا، واضـطــراب اللـهب

قلت مثلي : وبـــروحي ذا الرشا   وبـــأهـلـي ثـم مـــــالي ، ثـم بي

وفي ختام القصيدة قال مرداد :(توفي صاحب الترجمة عام١١٣٢) [١]

- أمـا في القـرن الثاني عشر الهجري فقـد وجدنا العلامـة الحسين بن عبد الشكـور الطائفـي[٢] ثم المدني يهاجـر إلى مدينة زبيد (داعيـاً أهلها إلى إحسان الوضـوء والصـلاة وتعريفهم طريق ذلك وقد عقد للتعليـم والإفادة لما هو بصدده مجلساً بمسجد الأشاعرة[٣] يحضـر لسماع إملائه الخاص والعام) وكان الحسين بـن عبدالشكـور يتلقى العلم في أثناء إقامته بزبيد علـى علامتها عبد الله بن عمر بن خليل الزبيدي[٤] وقد نقل لنا المؤرخ (زبارة) ما كتبه الطائفي إلى شيخه ورده

---

(١) المختصر من كتاب نشر النور والزهر ص ١٣٧.

(٢) الحسـين بـن عبد الشكـور الطائفي: هو الحسـين بن علي نور الدين بـن عبد الشكـور الطائفي (٠٠٠٠-١٢٠٦هـ) ولد بالطائف وتفقه بالحرمين ورحل إلى مصـر سنة١١٧٤هـ ثم رحل إلى الشام وبلاد الروم، ثم استقر بالمدينة المنورة إلى أن توفي سنة١٢٠٦هـ ومن مؤلفاته النفحة العنبرية من الرياض المرعية في الأذكار الصلاتيـة) انظـر ترجمته في الأعلام ج٢ صـ٢٤٨، وفي عجائب الآثار في التراجـم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي ج٢ص١٤٢، دار الجيل بيروت دون ذكر سنة النشر، وفي حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر للحسن بن احمد عاكش ص٧٣، تحقيق إسماعيل البشري، مطابع العبيكان ١٤١٣هـ.

(٣) النفـس اليماني صـ١٢٨ لعبد الرحمن بن سليمان بن يحيى الأهدل من منشـورات مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٣١هـ.

(٤) عبد الله بن عمر بن خليل الزبيدي (....-١١٩٣هـ): من كبار علماء مدينة زبيد المشهورين نشأ بها وتلقى العلم علـى كبار علمائها حتى برع في جميع العلـوم وبخاصة العقلية منها فقصده طلبة العلم من كل مكان واستجازوه، توفي بزبيد سنة ١١٩٣هـ بعد أن تجاوز عمره التسعين انظر ترجمته في نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لمحمد محمد زبارة ج٢ ص١٢٩-١٣٥، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار الآداب بيروت ط٢ ١٤٠٥هـ.

عليه فقال: (وكتب الحسين بن عبد الشكور الطائفي بعد قدومه من المدينة المنورة إلى زبيد قصيدة يطلب فيها الإجازة من شيخه عبد الله بن عمر بن خليل الزبيدي يقول فيها:

يا عفيفاً كن بالإله عفيفا عن سواه وسر إليه خفيفا

فهو يدعوك للقاء ليحبو ك حبوراً في العالمين منيفا

إلى أن قال فيها:

وأفدني لازلت خير مفيد عالماً، عاملاً، حكيماً، حنيفا

وأجزني معمماً وأجزني بدعاءٍ مؤمناً لي مخيفا

هاتها لي إجازة منك تروي خبراً فاق في العلا تعريفا

من علوم منطوقة وفهوم أحسنت من كمالك التأليفا

وهي طويلة اختار منها زباره أبيات كثيرة، وقال بعد نهاية اختياره: (إلى آخرها وقد رد عليه العلامة عبد الله بن عمر خليل الزبيدي فأجاد وأفاد بقوله رحمه الله:

يا إماماً قد حاز قدراً منيفا وحوى المجد تالداً وطريفا

جاءني من سنا علاك قريض زادني حسن لفضه تشريفا

من معانٍ بديعة وبيان نحوه زاد منطقي تصريفا

إلى أن قال:

إن ترد مني الإجازة حسبي أنني أحقر الورى تعريفا

فلي الأخذ عن شيوخ ثقات أولاً أذكر العماد الشريفا

ثم أخذ العلامة عبدالله بن عمر يعدد شيوخه واحداً واحدا إلى أن قال:

لم أفارقهمُ شتاءً وصيفا وربيعاً، دروسهم وخريفا

وختمها بالقول:

قد أجزت المولى الحسين عظيم الـ ـقدر فيما رويت عنهم صنوفا

زادك الله يا حسين سمواً تقف الشمس من سناه وقوفا)[1]

- وهذا الطائفي حسين بن عبد الشكور أجاز محدث اليمن وعلامة زبيد: (عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (١١٧٩-١٢٥٠هـ) كما يقول العلامة (الحسن بن أحمد عاكش) [2]، وكما أجاز عبد الرحمن الأهدل فقد (أجاز والده سليمان بن يحيى الأهدل – بطلب منه – فكتب له الحسين بن عبد الشكور الطائفي إجازة عامة نظمها في قصيدة تجاوزت أبياتها التسعين بيتاً نختار منها قوله:

يا ابن يحيى الذي بك العلم يحيا دمت بدراً لا يعتريه محاق

جاءني منك ما علمت من الفيـ ـض بنظم له الكمال براق

فيه رقم من الحقير مراماً ليس لي في مدى هداه سباق

فتفضل، واقبله مني وعني عن شيوخ في منهج الحق فاقوا[3]

(١) نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لمحمد محمد زبارة ج٢ ص١٣٢-١٣٤، من منشورات مركز البحوث والدراسات اليمني ط٢، دار الآداب - بيروت- ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر للحسن بن أحمد عاكش ص٤٣.

(٣) النفس اليماني للأهدل ص١٩٣-١٩٧ (بتصرف).

- كما نجد العلامة المكي: (محمد خليل سمرجي المكي)[1] نزيل اليمن المتوفى في أواخر القرن الثاني عشر الذي ترجمه المؤرخ اليمني محمد محمد زبارة في الجزء الأول والثاني من كتابه: (نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف) وسماه زبارة: (نزيل اليمن) وأورد له أشعاراً يؤكد بها ذلك التواصل الثقافي الحاصل بين علماء ومفكري اليمن وعلماء ومفكري بلاد الحرمين آنذاك وقد اختار المؤرخ زبارة لهذا الشاعر المكي خمسة نماذج شعرية ومنها:

سقى جانبي (صنعاء) درّ سحابة ... ترشفَ من ثدي الهناء رضيعها

منازه، لم تستوف أقسام حسنها ... منازل بدر التَّم، لولا ربوعها

أثاب بها ذهني، ودمّث منطقي ... شموسٌ، بغير النيِّرين طلوعها

جمعت بها شمل الليالي بفتية ... تنضّمَ في سلك الثريا جموعها

وإخوان ودٍّ، ما تكلفت في الهوى ... لهم خُلّة، غير الوفا، أستطيعها

فيا أفق (صنعا) لا عدتك بوارق ... يطرِّز موشيّ السحاب لموعها[2]

وبعد: فقد عرضنا لشيء من التواصل الثقافي المتين بين أقطار الجزيرة العربية وبلاد الحرمين وبينها وبين بلاد اليمن على وجه الخصوص خلال العصور الإسلامية الوسيطة.. ممهدين بذلك لتناول شيء عن التواصل الثقافي بين السعودية واليمن.

---

(١) العلامة الشاعر: محمد خليل سمرجي المكي (٠٠٠-٠٠٠) : عالم وشاعر من علماء الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري، نزح إلى اليمن واستقر به فترة تمازج خلالها مع أدبائه وشعرائه ترجم له المؤرخ اليمني محمد محمد زباره في كتابه: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف – ضمن أعلام وشعراء القرن الثاني عشر الهجري، ومع أنه لم يذكر شيئاً عن تأريخ ولادته ومكانها ولا عن تأريخ وفاته إلا أنه قد أورد له خمسة نماذج شعرية تؤكد قوة شاعرية هذا الحجازي وتواصله الثقافي مع إخوته في اليمن. انظر ترجمته في كتاب: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لمحمد محمد زباره ج٣، ص ١٥٠-١٥٢.

(٢) نشر العرف ج٣ ص١٥٠-١٥٢.

التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية

خلال الفترة (١١٥٧-١٢٣٣هـ)

الصلات الثقافية بين الدولة السعودية واليمن

- في بداية هذا الفصل لا بد من التوضيحات الآتية:

أولاً: لعله من المناسب أن أوضح بأن المقصود بـ (الدولة السعودية) هنا: هي الدولة السعودية في دورها الأول، وهي التي تمّ تأسيسها في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري على يدي الإمامين: محمد بن عبد الوهاب[1] إمام الدعوة السلفية، ومحمد بن سعود[2] الذي ناصر الدعوة السلفية وانتصر لها

(١) الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: (١١١٥-١٢٠٦هـ): زعيم النهضة الإصلاحية في العالم العربي عامة وفي جزيرة العرب على وجه الخصوص؛ ولد ببلدة العيينة في (نجد) وبها نشأ وتلقى مبادئ العلوم على بعض علماء نجد وفي مقدمتهم والده ثم رحل في سبيل العلم رحلات كثيرة، فقد رحل إلى المدينة المنورة وتلقى العلم على عدد من علمائها، ورحل إلى الأحساء ودرس على بعض علمائها، ورحل إلى البصرة فأوذي فيها فعاد إلى نجد، واستقر ببلدة (حريملاء) حيث كان والده يعمل بها قاضياً، كان منهجه في الدعوة إلى الله منهج السلف الصالح وقد جهر بالدعوة في عام ١١٤٣هـ فقبلها من قبلها وهم قليلون وصد عنها الكثير، ولكن الشيخ واصل السير في سبيل الدعوة إلى الله حتى هيأ الله له الإمام محمد بن سعود (أمير الدرعية) آنذاك حيث تلقاه بالإكرام وآزره وبايعه على نصرتها والسير معه في طريق الخير والصلاح كما آزره من بعده الأئمة: عبد العزيز بن محمد بن سعود وسعود بن عبدالعزيز، وعبدالله بن سعود بن عبدالعزيز، وقاتلوا مخالفي الدعوة فاتسع نطاق ملكهم حتى عم أغلب نواحي الجزيرة العربية. توفي الإمام محمد بن عبدالوهاب بالدرعية في عام ١٢٠٦هـ. انظر ترجمته في عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ص٦-١٤ طبع مكتبة الرياض الحديثة دون ذكر سنة النشر، وفي: الأعلام ج٦ ص٢٥٧، وغيرها.

(٢) الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي مؤسس الدولة السعودية الأولى، كان مقامه بالدرعية، بويع بالإمارة سنة ١١٣٩هـ، وفي عام ١١٥٧هـ وفد على الدرعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة السلفية الإصلاحية فتبايعا على أن يكون محمد بن سعود حارساً للدين وناصراً للسنة، وأن يستمر محمد بن عبد الوهاب على الجهر بدعوته، فاتسعت الإمارة وشملت أكثر نجد وكثر أتباعها. توفي الإمام محمد بن سعود في عام ١١٧٩هـ فخلفه ابنه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. الأعلام للزركلي ج٦ ص١٣٨.

ولإمامها وتم بينهما الاتفاق المشهور باتفاق الدرعية[1] ذلك الاتفاق الذي حقق الله به قيام الدولة السعودية في عام (١١٥٧)، (وقد عرفت باسم الدولة السعودية الأولى)، وذلك بعد أن توفرت لها كل مقومات الدولة حسب مفهوم ذلك العصر، فامتدت من البحر الأحمر غربا إلى الخليج العربي شرقا ومن الشام شمالا إلى اليمن جنوبا) [2]؛ (وتبدأ هذه الدولة بقبول محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحدوث الارتباط بين القوة السعودية والفكر والإصلاحي) [3]، (ومنذ تلك اللحظة التي تعاهدا فيها أصبحا يداً واحدة ورأساً واحداً فقد اتحدا عقيدة وعملاً) [4] وهكذا كانت انطلاقة الدعوة السلفية مرتبطة بانطلاق الدولة السعودية الأولى؛ لذلك فإننا حين نتحدث عن بداية الدعوة السلفية ومواقف بعض العلماء والمفكرين المسلمين منها ومن قادتها فلأنها رافدٌ قويٌّ من روافد قيام الدولة السعودية الأولى، فهي إحدى مكوناتها الأساسية، إلى جانب كونها من الأحد اث الدينية المهمة التي حركت راكد الفكر في جزيرة العرب وبعض البلدان الإسلامية وقامت بسببها للفكر والأدب سوق أحياها المؤيدون والمعارضون هنا وهناك.

(١) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار السياسي والاجتماعي، ص١٣، لمحمد عبد الله السلمان، من منشورات جائزة المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ص٦٢، لعبد الله الشبل، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٠هـ.

(٣) الموسوعة العربية العالمية ج١٢، ص٢٨٤، من منشورات مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض ١٤١٦هـ.

(٤) محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبد الغفور عطار ص٩٩، طبع مكتبة العرفان- بيروت ١٣٩٢هـ .

ثانيـا: لابـد من الإشارة إلى أنـه في عصر الدولة السعوديـة الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هــ) وكذلك عصر الدولة السعودية الثانيــة (١٢٤٠- ١٣٠٨هـ لم يكن العالم العربي يعرف الثقافة بمفهومها الشامل الذي نعرفه اليوم فلم يكن يعرف الاتفاقيات الثقافيــة إذ لا وزارات للثقافة ولا جامعات للعلوم بالمعنى المتعارف عليه في عصرنا ولا ملحقيات ثقافية ولا مراكز للبحث العلمي ولا حتى مراكز ثقافية ذات مرتكزات تنظيميــة تقــوم بينها الاتفاقــات الرسمية ومعاهــدات التعــاون والتواصل الثقافي؛ لذلك فقد كان الاتصال الثقافي خلال تلك الفترات يتم بمبادرات فردية بين علماء ومفكري وأعــلام معظم الأقاليم العربيــة واليمن والسعوديــة في مقدمتها، وكانت الثقافــة في تلك الفترات تعني في مجملهــا العلم والفكر والأدب فحسب، ولم تندرج الفنــون المختلفــة تحت لوائهــا إلا منذ وقت قريــب جداً بل لقد استمــر هذا الحال شطــرا كبيرا من عهد الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) فلم ترد إشــارة للثقافة في بنود معاهــدة الطائف الثلاث والعشريــن وملحقاتها التي جرت بين المملكة العربية السعودية واليمــن في عام١٣٥٣هـ الموافق١٩٣٤م[1] وأول إشارة

(١) انظــر عــن معاهدة الطائف وملاحقها في الكتــب الآتية : تأريخ اليمن لعبد الواســع الواسعي ص٣٩١-٤٠٨ ط٣ الــدار اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء ١٤٠٢هـ وكتاب: اليمن عبر التاريخ حتى القرن الرابع عشر لأحمد شــرف الديــن ص٢٨٨-٣٠٠ ط٣، ١٤٠٠هـ دون ذكر مكان النشر ، وكتاب : بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمــن تولى ملــك اليمن من ملك وإمام للقاضي حسين العرشي صــ٢٢٢-٢٣٩ حققه ونشره في عام ١٩٥٨م الأب (انستاس الكرملي) مكتبة الإرشاد صنعاء ١٤٢٩هـ ، وكتاب العلاقات السعودية اليمنية لعبد الله القباع صــ٣٧٨-٤٣٢ مطابع الفرزدق بالرياض ١٤١٣هـ ، وكذلك كتاب : الحدود والعلاقات السعودية اليمنية لعيد مسعود الجهني ص٣١٢-٣٦٧ دار المعارف بالرياض ١٤١٤هـ وغيرها.

للاتصال الثقافي الرسمي بين البلدين وردت في مذكرة التفاهم المحررة بينهما في عام١٩٩٥م الموافق١٤١٥هـ في مادتها السادسة[1].

ثالثاً: لا بد من الاعتراف بأن بعض جوانب من هذا الموضوع قد سبقني إلى الحديث عنها اجمالا بعض الباحثين وفي مقدمتهم الشيخ العلامة (حمد الجاسر)[2] الذي نشر في مجلته الرائدة: (العرب) بحثاً ضافياً بعنوان: (الصلات الأولى بين صنعاء والدرعية) وذلك بعددها الصادر لشهري: محرم، وصفر من عام ١٤٠٨هـ وقد أفدت منه في الجانب الثقافي الذي يخص موضوعي في تلك الفترة وأشرت إلى ذلك في مكانه.

---

(١) العلامة حمد الجاسر: هو: حمد بن محمد بن جاسر، ولد سنة ١٣٢٨هـ في بلدة (البرود) بإقليم السر في نجد طلب العلم في الرياض على عدد من المشايخ ثم انتقل إلى مكة المكرمة فالتحق بالمعهد العلمي السعودي، وبعد تخرجه عمل مدرساً في ينبع فقاضياً في بلدة ضبا، ابتعث إلى مصر في ١٣٥٨هـ فالتحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة لكن ظروف الحرب العالمية الثانية أجبرته على العودة. تولى عمل أول مدير لكليتي الشريعة واللغة العربية، وهو أول معتمد للمعارف في نجد، أسس مكتبة العرب في الرياض، ونشأ أول مطبوعة صحفية (اليمامة) في الرياض، وشارك في تأسيس مؤسسة اليمامة الصحفية، أسس دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، وأصدر مجلة (العرب) عضو في عدد من المجامع اللغوية والعلمية العربية، نال جوائز علمية كثيرة من أهمها: - منح جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٤هـ، - منح جائزة الملك فيصل في الأدب عام ١٤١٦هـ، - ومنح وسام الملك عبد العزيز عام ١٤١٧هـ، له مؤلفات كثيرة طبع بعضها في حياته وقد توفي سنة ١٤٢١هـ وخلف ثروة علمية وأدبية وفكرية كبيرة أصبحت منهلاً للواردين من الباحثين وطلاب العلم تتمثل في عشرات المعاجم والكتب المحققة، والدراسات التاريخية واللغوية والأدبية وفي (مركز حمد الجاسر الثقافي) الذي أسسه أبناؤه ومحبوه تفاصيل أكبر عن حياته وأعماله ومؤلفاته.

(٢) اليمن ودول مجلس التعاون الخليجي للدكتور عبد الله الأغبري ص٤٧١-٤٨٨، من منشورات المكتب الجامعي الحديث، الأريطة الإسكندرية ١٩٩٩م، وانظر كتاب السياسة الخارجية اليمنية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي لخالد ناجي حبيش ص٢٤٣-٢٤٦، المكتب العربي الحديث الأريطة بالإسكندرية ٢٠٠٨م.

- كمـا اشتمـل كتاب الأستاذ: عبـد الله خادم العمـري: (النهضة الأدبية في اليمن وبيوتات العلم في مثلث التواصل: (صنعاء – تهامة – المخلاف السليماني) الصادر عام ١٤٢٥هـ عن وزارة الثقافة اليمنية، اشتمل هذا الكتاب على مراسلات ومطارحـات أدبية ومحاورات وتبادل مقامات بين أدباء وشعراء من اليمن وشعراء وأدبـاء من المخـلاف السليماني وشعـراء وأدباء من تهامة عسـير تؤكد على عمق التواصل الثقافي بين اليمن وبلاد الحرمين، وقد أفدت من بعض نصوص وحوارات ومطارحـات هذا الكتاب التي تتناول حقبة من عهد الدولة السعودية الثانية وعهود من عاصرها من أئمة اليمن وقد أشرت إلى ذلك في مضانه.

رابعـاً: ومما ينبغي التأكيد عليـه أن الدولة السعودية في كافة أدوارها الثلاثة كلهـا كانت علـى صلات قوية بجيرانها وبخاصة البلـدان اللصيقة بها (كاليمن)؛ وذلك بحكم رعايتها للحرمين الشريفين والقيام بشرف خدمتهما وخدمة قاصديهما والسهـر على راحتهم ممـا يتطلب مد جسور التعاون في كافـة المجالات مع الجميع وبخاصة دول الجوار وفي مقدمتها (اليمن).

ولكـن كيف كان حال شبه جزيـرة العرب قبل قيام الدولة السعودية؟؟ هذا ما ستجيب عن بعضه بإيجاز السطور التالية:

(أحوال أقاليم شبه جزيرة العرب قبل قيام الدولة السعودية الأولى):

تحولت شبـه الجزيرة العربية – بعد ضعف الدولة الإسلامية المركزية وتمزق أوصالهـا – إلى دويـلات صغيرة وإمارات ومشيخات ضعيفـة وبخاصة في العصور الإسلاميـة الوسيطة، فكنت ترى دويلة هنا وإمـارة هناك، ومشيخة هنالك، وكنت

تشهد صراعاً وتناحراً بين تلك الكيانات الضعيفة لأتفه الأسباب مما أدى إلى التشرذم والتمزق والإنهيارات، وكانت نجد وما حولها من أكثر أقاليم الجزيرة العربية تمزقاً وتشرذماً وضعفاً، ولم يكن هذا هو حال إقليم (نجد) وحده بل كافة أقاليم شبه الجزيرة، وإن كانت لإقليم (نجد) من ذلك الضعف والتمزق أوفر نصيب فحين قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته السلفية التجديدية كانت في إقليم نجد وحده أعداد كثيرة من تلك الإمارات لا يجمعها كيان ولا يوحدها هدف، (ولا علاقة بين أمير وأمير إلا علاقة الخصومة غالباً) [1] ففي (العيينة) مسقط رأس الشيخ إمارة، وفي بلدة (حريملاء) إمارة، وفي (الدرعية) إمارة، وفي (الرياض) إمارة، وفي معظم بلدات نجد إمارة وأمير، كما هو الشأن في غالب بلدان الجزيرة شمالها وجنوبها وشرقها وغربها، وهكذا وصلت الأمور إلى أنك تجد في كل ركن وفي كل زاوية إمارة وأمير، وتجد هذه الإمارة تعادي تلك، وتلك تحارب هذه، وجميعها تتقاذفها ويلات الحروب لأتفه الأسباب وتعيث بعامة مواطنيها أضاليل الشرك وأوهام الخزعبلات، وتعصف بها (حالة من الفوضى الضاربة والحروب القبلية التي أدت إلى الانقسام والتناحر) [2]. ففي الأحساء وما جاورها إمارات تعاني من الصراعات الدائمة وفي حائل وما جاورها إمارات وأمراء وفي الحجاز أمارة أو شرافة اسمية لا ينتهي الصراع بين أشرافها أولاً،

---

(١) انظر كتاب لسراة الليل هتف الصباح (دراسة وثائقية) تأليف عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري ص٦٩. الدار العربية للعلوم (ناشرون) ط٤ ١٤٢٩هـ.

(٢) الحدود والعلاقات السعودية اليمنية ص٧٩.

ولا بينهم وبين الإمارات التي تليهم من الجهة الجنوبية كحكومات المخلاف السليماني وحكومات عسير السراة اللتين كانتا تتصارعان تارة مع أشراف الحجاز وتارة مع حكومات اليمن الشافعية في تهامة والزيدية في الجبال وتارة فيما بينهما كما كان لحكومات اليمن كذلك صراعات داخلية وصراعات خارجية، وقد تزامن ظهور الدعوة السلفية وقيام الدولة السعودية الأولى في عام (١١٥٧هـ) مع أيام دولة إمام اليمن الأعلى: المنصور الحسين بن القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن[١] الذي كانت ولايته خلال الفترة من (١١٣٩-١١٦١) وتعاقب على السلطة أبناؤه وأحفاده وهؤلاء الأئمة تزامنت ولاياتهم مع أئمة الدعوة السلفية (الإمام محمد بن سعود) (١١٣٩-١١٧٩) والإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود: (١١٧٩-١٢١٨)[٢] والإمام

(١) الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن القاسم: (١١٠٧-١١٦١هـ) دعا لإمامته سنة ١١٣٩هـ ثم تنازع هو والسيد العلامة الناصر محمد بن إسحاق بن المهدي، فبايعه الحسين على شروط لم يقع الوفاء بها فاستمر المنصور على دعوته وغلب على القطر اليماني وبايعه الناس، وظفر بجيوش الناصر وأسر أولاده وإخوته وقرابته ورؤساء أجناده – كان المنصور مشهوراً بالشجاعة وعلو الهمة والمصابرة على القتال، وفي الأسر بايعه الناصر (محمد بن إسحاق) واجتمع الناس عليه، ولم يبق له مخالف إلا أخوه أحمد بن المتوكل ولم يزل الحرب بينهما إلى أن مات سنة ١١٦١هـ كان إماماً عظيماً، وسلطاناً فخيماً فحين توفي المتوكل دخل المنصور صنعاء ودامت خلافته في سعادة وظفر ودخل القطر اليماني جله تحت طاعته عدى (تعز). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج١ ص٢٢٥-٢٢٦، المقتطف من أخبار اليمن لعبد الله بن عبد الكريم الجرافي ص٢٥٠-٢٥١، منشورات دار العصر الحديث بيروت ١٤٠٧.

(٢) الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود: (١١٣٣-١٢١٨): ولد بالدرعية، وحين وفد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على والده بالدرعية سنة ١١٥٧هـ كان عمر الإمام (عبد العزيز) قد جاوز الخامسة والعشرين مما هيأه للاستفادة الدينية والعلمية من مجالسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فازداد حرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تولى الحكم بعد وفاة والده في عام ١١٧٩هـ فأكمل مسيرة والده في نصر =

سعود بن عبد العزيز (١٢١٨-١٢٢٩)[1]

والإمام عبد الله بن سعود (١٢٢٩-١٢٣٣)[2].

- وممن عاصر أيام الدولة السعودية الأولى من أئمة اليمن: (المهدي عباس: (١١٦١-١١٨٩) [3] وابن المهدي المنصور علي: (١١٨٩-

= الدعوة ونشرها، وفي عهده توسعت الدولة السعودية الأولى فشملت معظم أنحاء جزيرة العرب وزاد أتباعها ومؤيدوها من أنصار الدعوة السلفية الصافية وفي عهده استتب الأمن وعم الخير. توفي رحمه الله عام ١٢١٨هـ فتولى الأمر بعده ابنه سعود. انظر ترجمته في عنوان المجد لابن بشر ج١ ص١٢٥-١٣١ وفي غيره من الكتب.

(١) سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٦٣-١٢٢٩هـ): إمام من أئمة الدولة السعودية الأولى وعرف بـ (سعود الكبير) وهو من أقوى آئمة الدولة السعودية الأولى، ولد بالدرعية وتلقى العلم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، له معرفة في الحديث والفقه، كان فارساً حاذقاً شجاعاً، وكان ذا رأي باهر وعقل وافر، وقد يسر الله له الهيبة عند الأعداء، والحشمة في قلوب الرعايا، قاد عدداً من المعارك، وبلغت الدولة السعودية أوجها في عهده واستطاع أن يبسط نفوذها على معظم أنحاء الجزيرة العربية؛ حيث امتد ملكه من أطراف عمان ونجران واليمن إلى الفرات وبادية الشام ومن الخليج العربي إلى البحر الأحمر، وفي أواخر عهده بدأت الحملات العسكرية المصرية بقيادة (محمد علي باشا) على شبه الجزيرة العربية، واستطاع أن يلحق بجيوشهم الهزائم في عدد من المعارك. توفي سنة ١٢٢٩هـ. انظر ترجمة الإمام سعود في: الأعلام ج١ ص٢٦٢، وفي عنوان المجد ج١ ص١٦٧، وفي نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود لعبد الرحمن البهكلي ص٢٧٨، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤٠٢هـ، وغيرها.

(٢) الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود (....-١٢٣٤هـ): آخر أئمة الدولة السعودية الأولى كان شجاعاً تقياً ولي الإمامة بعد وفاة أبيه سعود سنة ١٢٢٩هـ، وحين تغلب عليه (إبراهيم باشا) قائد الحملة المصرية أرسله إلى مصر ثم حمل إلى الاستانه مع مرافقيه: سري، وعبد العزيز بن سلمان فطيف بهم ثلاثة أيام في شوارعها وأعدموا في ميدان مسجد (أيا صوفيا) ثم صلبوا وذلك في عام ١٢٣٤هـ. الأعلام ج٤ ص٨٩-٩٠، انظر كتاب: المملكة العربية السعودية (مسيرة البناء) ص ١٠-١١ من إصدارات وزارة الإعلام السعودية (الإعلام الخارجي) الرياض ١٤١٧هـ. وأنظر كتاب المملكة العربية السعودية تاريخ وإنجاز ص ٢٠-٢١ من إصدارات وزارة الإعلام.

(٣) الإمام المهدي: عباس بن الحسين بن القاسم: (١١٣١-١١٨٩هـ) ولد بمدينة (إب) وكانت سيرته حسنة=

١٢٢٤) [1] وابن المنصور علي: المتوكل أحمد (١٢٢٤-١٢٣١) [2].

ولقد كان اليمن في تلك الفترة مسرحا للصراعات الداخلية والخارجية، يستوي في هذا (اليمن الأعلى) (واليمن الأسفل)، يصف أحد المؤرخين أحوال اليمن الأعلى في تلك الفترة فيقول: (أصبح معظم الأئمة من آل القاسم يتكالبون على الحكم تاركين وراءهم رعاية الأمة والعمل على نشر العدل وإقرار الأمن في

=وله ميل للزهد – قرب العلماء وأهل الفضل والتدبير، ونظم الأمور على منهج الشرع المنير، تولى الإمامة سنة ١١٦٠هـ، ضاعف الصدقات وبنى المساجد، وله مآثر عظيمة وأحيا سبلاً عظيمة منها بركة بمطرح العُر من (الحيمة)، وبركة في سوق (حجة) وقد أجمع على عدالته وحسن سيرته وفي أيامه انقطعت الفتن وأمن الخائف فنشر العدل وأحيا اليمن أقصاه وأدناه فكثرت في أيامه الخيرات وتباهى الناس بالعلم: توفي بصنعاء عام ١١٨٩هـ. تاريخ اليمن لعبد الواسع بن يحيى الواسعي ص٢٢٩-٢٣٠، طبع الدار اليمنية للنشر صنعاء ١٤٠٢هـ، المقتطف من أخبار اليمن ص٢٥١-٢٥٧.

(١) الإمام علي بن العباس بن الحسين بن القاسم: (١١٥١-١٢٢٤هـ) سلك مسلك الملوك وجعل له ثلاثة وزراء ولاهم جميع الأمور، واشتغل بالجمائر والإصلاحات في صنعاء وما حولها وكان له من دأبه الميل إلى الاحتجاب عن الناس مع اتصافه بالكرم وتفقد الأرامل وذوي الحاجات واستمرت ولايته في سعة وإقبال حتى سنة ١٢١٦هـ ثم انتقضت بعض الأطراف وملكت بعض السواحل، بنى الدور والقصور وسعى فيما يصلح مملكته وتقوم به الرياسة وتستقيم عليه الشريعة وقد طالت مدة حكمه ولم يخرج لغزو وفي آخر حكمه خرج الناس عن طاعته وحوصرت صنعاء حصاراً شديداً وقطعت الطرق، توفي بصنعاء وقبر ببستان المسك سنة ١٢٢٤هـ، تاريخ الواسعي ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) المتوكل على الله الإمام أحمد بن علي بن العباس بن الحسين بن القاسم: (١١٧٠-١٢٣١هـ) كان حازماً عاقلاً، قرب العلماء وأصلح ما أفسده والده، وجمع بين الخلافة والملك والحكمة في جميع العلوم والتدبير والشجاعة، جمع من الذخائر والجواهر والمنسوجات والعقاقير الطبية والخيل وغيرها أشياء كثيرة، وجد في خزانته من الكتب زيادة على مائة ألف كتاب تزامن حكمه مع استيلاء الشريف حمود أبو مسمار باسم الدولة السعودية الأولى على إجزاء من تهامة اليمن، وحصلت له قلاقل كثيرة، توفي بصنعاء سنة ١٢٣١هـ ودفن ببستان المسك. تاريخ اليمن للواسعي ص٢٣١، المقتطف من أخبار اليمن ص١٢٦٠-١٢٦١.

البلاد كما نجد أن البلاد قد تفرقت إلى شيع وأحزاب نتيجة لقيام عدد من الأئمة في آن واحد وكل فريق يقود الحملات ضد منافسيه، الأمر الذي سبب إضعاف البلاد وتأخرها، وسبب عودة الأتراك إلى اليمن، كما هيأ الفرصة للإنجليز بأن يحتلوا (عدن) وما حولها ....) [1].

ولم تكن الحالة في إقليم نجد إلا صورة مكبرة لتلك الأحوال التي تعاني منها بقية أقاليم الجزيرة العربية، فلقد أصبحت بلدات (نجد) مشيخات صغيرة متناحرة ينتشر في ربوعها الجهل ويعيث بعقول أبنائها الوهم، ويقتل أوقاتهم الفراغ... كما هو الحال في كثير من أقاليم شبه الجزيرة العربية، ولقد وصف المؤرخ ابن غنام بعض الاحوال التي سبقت ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال: (كان غالب الناس في زمانه متضمخين بالأرجاس، متلطخين بأوضار الأنجاس، حتى انهمكو في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس فعمدوا إلى عبادة الأوثان والصالحين .) [2].

---

(١) اليمن عبر التاريخ لأحمد حسين شرف الدين ص٢٥٠ (بتصرف)، ط٣ ١٩٨٠م، مطابع البادية بالرياض.

(٢) مراجعات في مصادر التاريخ السعودي لعبد الله العثيمين ص ٤٦ من منشورات مكتبة الملك فهد الرياض ١٤٣٠هـ.

بداية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وسط هذه الاضطرابات السياسية[1] ووسط هذه الأجواء المعتمة كانت بدايات ظهور دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (١١١٥-١٢٠٦هـ) فبعد أن رأى ما وصلت إليه أحوال الناس من اختلالات عقدية أخذ - رحمه الله - يتنقل بين بلدات نجد وإماراتها يعرض دعوته السلفية بينهم محاولاً إنقاذهم من الحال التي ترددوا فيها، (فانحاز إليه لدعوته جم غفير، وكان الناس عند ذلك حزبين: فريق أحبه وما دعى إليه فعاهده على ذلك وبايعه وحذى حذوه وتابعه، وفريق أنكر عليه وهم الأكثر حتى أعزه الله عليهم وأظهر)[2] وزاد حرص الشيخ حين لم يجد عند كثير منهم آذاناً تصغي للنصح الصادق، ولا عيوناً ذات رؤىً مبصرة لدى بعض المعاندين من المناوئين للدعوة تستقبل النور، برغم جهود الشيخ المخلصة التي بذلها، غير أنه حين وصل إلى الدرعية والتقى بأميرها الهمام: (محمد بن سعود) وجد عنده كل الترحاب؛ لأن ابن سعود (كان معروفاً بالتقوى والصلاح والقوة)[3]، (فلقد شعر بالارتياح حين علم بقدوم الشيخ لأنه كان سلفي العقيدة)[4] لذلك فإنه قد استقبل الشيخ مرحباً، وقال له:

(١) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب ص٣٥، لديفيد كوبر، وجورج رينتر، ترجمة عبد الله الوليعي، طبع مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، الرياض ١٤١٧هـ.

(٢) عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر للحسن بن أحمد عاكش ج٢ ص٧٦٠. عن نسخة مسحوبة من الحاسوب معدة للطبع بتحقيق إسماعيل البشري.

(٣) الحدود والعلاقات السعودية اليمنية لمسعود الجهني ص٧٩.

(٤) محمد بن عبد الوهاب - لأحمد عبد الغفور عطار ص٦٢، ٦٣.

(يا شيخ محمد أبشر بالعز والتمكين والمنعة، أبشر ببلاد خير من بلادك) [١]

فردَّ عليه الشيخ محمد قائلاً: (وأنا أبشِّرك بالعز والتمكين وهذه كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد) [٢].

ثم بايع الأمير محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأظهر الاستعداد التام للعمل بالكتاب والسنة وذلك كما يقول المؤرخ: ابن غنّام: (في سنة (١١٥٧هـ) أو في سنـة: (١١٥٨هـ) وذكـر ابن غنام أجزاء من الحوار الـذي دار بين الإمامين وفيـه قـول الأمير محمد بن سعـود: (إن هذا ديـن الله ورسوله الـذي لا شك فيه فابشـر بالنصرة لك ولما أمـرت به، والجهاد لمن خالف التوحيـد) [٣] وهكذا وقف معـه الإمام محمد بن سعود وقفة صادقـة يصفها الحسن ابن أحمد عاكش بقوله: (قام معه محمد بن سعود فأجدَّ وأمدَّ، وعن ساعده شمر واجتهد، وأعد للجهاد ما استطاع) [٤]: ومنذ تلك اللحظة التي تعاهدا فيها أصبحا يداً واحدة، وقلباً واحداً، ورأساً واحداً، فقد اتحدا عقيدة وعملاً) [٥].

وهكذا كانت انطلاقة الدعوة السلفيـة مرتبطة بانطلاقة الدولة السعودية الأولى التي ظلت طيلـة فترة بقائها (١١٥٧-١٢٣٣) وفية لتعهداتها، ملتزمة بنشر

---

(١) المصدر السابق ص٦٣.

(٢) المصدر نفسه ٩٩.

(٣) محمـد بن عبد الوهاب مصلح مظلـوم ومفترى عليه ص٤٣، لمسعود الندوي، ترجمـة عبد العليم البسنوي، مراجعة وتقديم تقي الدين الهلالي، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ.

(٤) عقود الدرر ج٢ ص٧٦٤.

(٥) محمد بن عبد الوهاب للعطار ص٩٩.

الدعـوة، وترسيخ ما تدعو إليه من تنقية الديـن من شوائب الشرك والوثنية وجعل العبـادة خالصـة لله وحده، متحملة في سبيل ذلك ما واجههـا به أعداؤها من كيد ودسائـس وحـروب شرسـة أدت إلى سقوطهـا في عـام ١٢٣٣هـ على أيـدي رجال قـوات محمد علي باشـا الهمجية والمدعومة من العثمانيـين الحاقدين و من الدول الاستعمارية المتربصين.

مواقف علماء بعض البلدان الإسلامية من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الدولة السعودية الأولى بقيادة الإمام (محمد بن سعود) قامت بمناصرة الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عودة الناس إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح فما هي هذه الدعوة وما هو موقف علماء المسلمين منها هذا ما سنحاول الإشارة إليه في السطور التالية:

لا شك بأن أهداف هذه الدعوة السلفية كانت واضحة لدى الإمامين (ابن سعود وابن عبد الوهاب حين تعاهدا) وقد أخذا يوضحانها للجميع؛ فهي تدعو الناس إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وإلى توحيد الله بالعبادة وإلى محاربة الشرك والبدع والخرافات، ومع هذا النقاء والصفاء فهي لم تسلم من بعض المناوئين، ممن أساءوا فهم مقاصدها، أو ممن أعماه الحقد؛ غير أن الله قد هيأ لها الأعوان من العلماء والمفكرين المنصفين الذين دافعوا عنها بتجرد، فوجدت هذه الدعوة السلفية وصاحبها قبولاً كبيراً لدى عدد من العلماء المنصفين في شتى بقاع الأرض التي بلغها صداها، (وبخاصة لدى المثقفين الجدد الذين أخذوا يكتبون في الصحف والكتب ويذكرون الوهابية ذكرا رائعا، ودافعوا عنها، وأثنوا عليها وعلى إمامها ثناء عظيما) [1] وقد أشار العطار إلى أقوال بعض المنصفين من المفكرين العرب والغربيين الذين أكدوا حقيقة الأهداف النقية للدعوة السلفية، ومنهم:

---

(١) محمد بن عبد الوهاب للعطار ص١٩٣.

عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين[1] الذي نشر مقالاً في مجلة الهلال المصرية بتاريخ (١٩٣٣م) وخصصه للحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأهدافها وآثارها، ومما جاء في ذلك المقال قوله: (إن الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق والغرب، واضطرته أن يهتم بأمرها... هذه الحركة هي حركة الوهابيين التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد) ثم أخذ (طه حسين) يتحدث عن نشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورحلاته العلمية وبداية عرض دعوته وما انتهى به من مبايعة محمد بن سعود على نشر الدعوة...) إلى أن قال: (قلت إن هذا المذهب الجديد قديم، والواقع أنه جديد بالنسبة للمعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية، هو دعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً لله وحده) [2]، لقد كانت دعوة الشيخ

---

(١) الدكتور طه حسين: (١٣٠٧-١٣٩٣هـ): طه بن حسين بن علي سلامة، ولد في قرية الكيلو بمغاغة بمحافظة المنيا بصعيد مصر، وأصيب بمرض الجدري في الثالثة من عمره فكف بصره، بدأ حياته العلمية بالأزهر ثم بالجامعة المصرية، وهو أول من نال فيها درجة الدكتوراه من المصريين عام ١٩١٤م. عن كتابه: (ذكرى أبي العلاء) ثم سافر في بعثة إلى فرنسا فتخرج في السوربون عام ١٩١٨م وعاد إلى مصر محاضراً بجامعة القاهرة ثم عميداً لكلية الآداب ثم وزيراً للمعارف، كان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق ثم رئيساً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. أصدر عدداً كبيراً من الكتب منها: (حديث الأربعاء) في ثلاثة مجلدات، و (على هامش السيرة) ثلاثة أجزاء، و (الأيام)، وغيرها وغيرها وقد ترجم كثير من كتبه إلى عدة لغات. توفي بالقاهرة سنة ١٣٩٣هـ. الأعلام ج٣ ص٢٣١-٢٣٢.

(٢) محمد بن عبد الوهاب للعطار ص١٩٧، ١٩٨-١٩٩.

محمـد بن عبد الوهاب دعـوة صادقة للدين الخالص حيث حاولت إنقاذ الناس في ذلك الوقت من الجهالات التي ترددوا فيها والتي وصفها أحد الباحثين بقوله: (لقد كانـت الجزيرة العربية عندما دعى محمد بـن عبد الوهاب أشبه شيء بحالتها في الجاهلية)[١].

ولقـد مضى الدكتور (طه حسين) في توضيح أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهـاب وإنصافها بروح علمية مجردة في مقاله الطويـل إلى أن قال: (ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب، وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو جداً أن يوحِّد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول)[٢].

وكمـا أنصف الدكتور طه حسين دعوة الشيـخ محمد بن عبد الوهاب وتحدث عـن أهدافها السامية ومراميها فقد تحدث عنها كذلك علماء ومفكرون من جهات الشرق والغرب ومنهم:

- علامـة الشام الكبير: محمد كرد علي[٣]، (الذي كتب عن الدعوة في مجلة

---

(١) لسراة الليل هتف الصباح ص٦٩.

(٢) محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبد الغفور عطار ص١٩٩-٢٠٠.

(٣)محمد كرد علي: (١٢٩٣-١٣٧٢هـ): محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، أصله من أكراد السليمانية مـن (أعمـال الموصل) ولد بدمشق، توفي والده وهو في الثانية من العمر فأقبل على التعليم واعتمد على الله ثـم على نفسه، تولى تحرير جريدة الشـام الأسبوعية سنة ١٣١٥-١٣١٨هـ وكان يكتب في مجلة (المقتطف) زار مصـر في عـام ١٣١٩هـ وتـولى تحرير جريدة الرائد المصـري، ثم عاد إلى دمشق ثـم هاجر إلى مصر وأنشـأ بهـا مجلة (المقتبس) وولي وزارة المعارف في سوريا مرتين، ورأس المجمع العلمي فيها أصدر عدداً=

المقتطف بحثاً عظيماً بعنوان: أصل الوهابية)[1].

- كما كتب عنها (العقاد)[2] وعن تأثيرها المباشر في العالم الإسلامي والعربي وقد ربط بينها وبين جهود الإمام الشوكاني في اليمن قائلاً: (فكلاهما ينادي بالإصلاح على نهج واحد، وهو العود إلى السنن القديم ورفض البدع)[3]. وقال عن ابن عبد الوهاب: (ما ابن عبد الوهاب إلا داعية، هداهم من الضلال وساقهم إلى الدين السمح)[4]، ثم أثنى على أنصار هذه الدعوة فقال: (وقلما رأينا شعبا من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم)[5].

(ولا يبعد عن هذا الرأي مفكروا مصر وأدباؤها، فهم جميعاً يرون في دعوة

=من المؤلفات منها: (خطط الشام) في ستة مجلدات و (تاريخ الحضارة) مجلدان، و (غرائب الغرب) مجلدان، و (دمشق مدينة السحر والشعر) وغيرها. انظر ترجمته في الأعلام ج٦ ص٢٠٢-٢٠٣.

(١) محمد بن عبد الوهاب، للعطار ص١٩٤.

(٢) عباس بن محمود إبراهيم مصطفى العقاد: (١٣٠٦-١٣٨٣هـ) أديب عربي مصري كبير ومفكر وكاتب وإعلامي شهير ولد في (أسوان)، عمل في جهات حكومية في بلاده كان عضواً بارزاً في المجامع العلمية القاهرة، وبغداد ودمشق ثم تفرغ للكتابة الأدبية والصحفية وكان يجيد بعض اللغات كالإنجليزية والفرنسية والألمانية مما ساعده على الاطلاع على الفكر الأوربي الحديث كتب في عدد من الصحف والمجلات وألف عدداً من الكتب تجاوزت ثمانين كتاباً من أهمها: (العبقريات) و (ساعات بين الكتب) و (رجعة أبي العلاء) و (المرأة في القرآن) كتب عن الملك عبد العزيز بإعجاب شديد فكشف بعض جوانب عبقريته، وكان من حراس الأصالة ومن الغيورين على اللغة، توفي بالقاهرة في عام ١٣٨٣هـ ودفن في مسقط رأسه بأسوان. انظر ترجمته في الأعلام ج٣ ص٢٦٦-٢٦٧، وفي الأدب العربي المعاصر لشوقي ضيف ج١ ص١٢٠، دار المعارف بمصر ١٩٦٣م وغيرها.

(٣) المصدر نفسه ص٢٠٧، والعطار يحيل إلى كتاب العقاد: (الإسلام في القرن العشرين) ص٨٥-٨٦.

(٤) المصدر نفسه ص١٢٣.

(٥) المصدر والصفحة نفسهما.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب الخير للإسلام والمسلمين، فالمرحوم (أحمد أمين) في كتابه: (زعماء الإصلاح)، والشيخ (محمد أبو زهرة) في كتابه: (المذاهب الإسلامية)، والدكتور (طه حسين) في كتابه: (ألوان) كل أولئك متفقون على سلامة هذه الدعوة من أي انحراف يخالف الدين)[1].

- كما تحدث عن أهداف هذه الدعوة علامة الشام صاحب (المنار) العلامة: محمد رشيد رضا[2] فقال: (مما لا شك فيه أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد قامت وهي تهدف إلى تصحيح العقيدة الإسلامية في نفوس أتباعها وتطهيرها ممّا علق بها من أدران الشرك والبدع والخرافات)[3].

- وتحدث عنها العلامة المؤرخ الحضرمي (صلاح البكري) المولود باندونيسيا

---

(١) إتجاهات الشعر المعاصر في (نجد) لحسن بن فهد الهويمل ص٥٨، ط١، من مطبوعات نادي القصيم الأدبي ١٤٠٤هـ.

(٢) محمد رشيد رضا: (١٢٨٢-١٣٥٤هـ): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الأصل الحسيني النسب صاحب (مجلة المنار) أحد علماء الحديث والتفسير، وهو أديب كبير ومؤرخ ورجل من رجالات الإصلاح الإسلامي، ولد في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وبها نشأ وتعلم، نظم الشعر في صباه، وكتب بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر في عام ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه، أصدر مجلة: (المنار) تضلع في علوم الشريعة حتى أصبح مرجع الفتيا، له إسهام في التأليف، زار بلاد الشام، وخطب في الجامع الأموي، له مؤلفات كثيرة منها: (تفسير القرآن الكريم) طبع منه اثنا عشر مجلداً ولم يتمه، و تاريخ (محمد عبده) في ثلاثة مجلدات وأصدر من مجلته (المنار) أربعة وثلاثين مجلداً وكتاب: (يسر الإسلام) و(أصول التشريع) وغيرها. توفي أثناء عودته من السويس إلى القاهرة ودفن بالقاهرة. الأعلام ج٦ ص١٢٦.

(٣) (رشيد رضا) ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمد عبد الله السلمان ص١٠، من إصدارات نادي القصيم الأدبي ١٤٠٨هـ.

(١٩١٢-....) ذاكراً تاريخ وصولها إلى حضرموت مفصلاً أهدافها السامية ومما قاله عنها وعن أئمتها: (لم يكن للوهابيين هدف سياسي ولا اقتصادي، وإنما كانوا يهدفون إلى الرجوع بالمسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح، فهي دعوة صادقة لا همَّ لها إلا رضا الله وإعلاء كلمته) (١).

- ولم يتوقف الإنصاف لهـذه الدعوة الإصلاحية وإمامها على مفكري العرب والمسلمـين فهذا أحد قادة الاحتلال البريطاني لما كان يعرف باليمن الجنوبي يقول عن هذه الدعوة وأئمتها: (في حوالي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت دعـوة جديـدة في جزيرة العرب كان لها أثر كبير في التغييرات التي حدثت في ذلك البلد أكثر من أي حادث آخر منذ عهد الرسول محمد ﷺ ومؤسس هذه الدعوة هو عبد الوهاب، وهو من أبناء نجد، ومن قبيلة تميم ......) (٢).

كمـا نقلت (جاكلين بيين) في كتابهـا: (اكتشاف جزيرة العرب) الذي نقله إلى العربيـة: قدري قلعجي، وقدم له (حمـد الجاسر) نقلت عن (رحالة أوربيين كبـار) تصادفت زيارات بعضهـم مع انتشار دعوة الشيخ محمـد بن عبد الوهاب في أواسـط الجزيرة العربية ومنهم: الرحالة الأسباني: (دوفجو باديا بليخ) الذي

(١) الجنوب العربي قديماً وحديثاً (٤٠٠ق.م -١٩٦٧م) للمؤرخ صلاح البكري ص١٤٧، طبع دار العلم للطباعة والنشر بجده دون ذكر سنة النشر.

(٢) انظـر كتـاب: النهضـة الأدبية في اليمن بين عهدي الحكـم العثماني: (١٠٤٥-١٣٣٣هـ) وبيوتات العلم في مثلـث التواصـل (صنعاء - تهامة - المخلاف السليماني) لعبـد الله خادم العمري ج١ ص٧٢(بتصرف)، مـن إصدارات وزارة الثقافة اليمنية صنعاء ١٤٢٥، والعمـري ذكر بأنه نقل تلك الفقرات عن كتاب العربية السعيدة أو اليمن للمؤلف الإنجليزي (بلاي فير) ص١٢٥-١٢٨.

شاهد زحوف جيوش الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود على مكة المكرمة ووصف شيئاً من تعامل هذه الجيوش بإنصاف - وإن كان يصفهم كغيره بـ(الوهابيين) فقال: (إن الحقيقة تفرض عليّ أن أعترف أنني وجدت جميع الوهابيون الذين تحدثت إليهم على جانب من التعقل والاعتدال وقد استقيت منهم كل المعلومات التي أوردوها عن مذهبهم ....) ومضى في وصف محاولاتهم في إقناع الناس بعبادة الله وحده وإلغاء بعض الطقوس الشركية إلى أن قال: (وقد طبق الوهابيون نصوص الشريعة كما وردت في القرآن الكريم تطبيقاً مشدداً بحماسة كلية) [(١)]، كما تنقل عن (آرنو، وفايسيير) الفرنسيين؛ ومما نقلته عن آرنو قوله: (إن الإصلاح لوشيك الحدوث من القفقاس إلى رأس زنجبار أي على مسافة ألفي ميل من الشرق إلى الغرب، إن مأتي مليون مسلم اليوم يتعادون ويتنازعون ويتماحكون تجمعهم نقطة عقائدية واحدة هي الحج لكن المستقبل في غمرة كل ذلك للوهابيين وحدهم، ولمذهبهم الذي يختفي أمامه ألوف الأولياء والشيوخ والمتصوفين، وأمام مبادئهم الخلقية) [(٢)].

لقد أدرك المنصفون من مسلمين عرب وغير عرب ومن مفكرين غربيين الحالة الدينية التي بلغتها الأمة الإسلامية قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وحاجتها إلى مصلح مثله،

---

(١) اكتشاف جزيرة العرب (خمسة قرون من المغامرة والعلم) لجاكلين بيرين) ترجمة: قدري قلعجي ص٢٠٢-٢٠٣، من منشورات الفاخرية بالرياض، ودار الكتاب العربي في بيروت.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٧.

يقول لوثورت استودارد في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) واصفاً الحال في القرن الثامن عشر الميلادي: (كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة، وأطبقت الظلمة على كل صقع من أصقاعه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب ......) [1].

وهكذا كان صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية قد طبق الخافقين، فكسبت بعض المنصفين الذين أشادوا بها وبأئمتها وبما أيقظته من صحوة لأمة العرب عامة ولجزيرة العرب وفكرها خاصة، ولكن هذا لا يعني أن هذه الدعوة السلفية المباركة لم يكن لها أعداء ومناوئون في الداخل والخارج، شحذوا فكرهم وانتضوا أقلامهم فنظموا القصائد، وكتبوا الرسائل، وألفوا الكتب، الأمر الذي ألقى بظلاله على حركة الفكر والأدب سلباً وإيجاباً، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) [2].

وبعد: فإذا كان تأثير هذه الدعوة السلفية التي تزعمها محمد بن عبد الوهاب لدى أولئك المفكرين بتلك المثابة التي ألمح إليها بعض من نقلنا شيئاً من رؤاهم في الصفحات السابقة!! فلا شك بأن التفاعل معها ومع طروحاتها سيكون في أقطار الجزيرة أشد وأعظم وبخاصة في البلدان المجاورة واللصيقة، (كاليمن) فكيف كانت مواقفهم وتواصلهم يا ترى؟ لعل الصفحات الآتية تجيب على هذا التساؤل.

---

(١) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وأعلامها بعده ص٦٢، لعبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار التدمرية بالرياض ١٤٢٥هـ.

(٢) جزء من الآية الكريمة (١٧) من سورة الرعد.

اتصال علماء ومفكري اليمن بقادة الدولة السعودية وبعلماء ومفكري الدعوة السلفية

كان صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية -كما أشرنا- قد تجاوز الآفاق، وأبدى كثير من علماء المسلمين اهتماماً كبيراً بها وبأئمتها، وكان اهتمام علماء ومفكري اليمن (الجار) بهذه الدعوة السلفية كبيراً كذلك، وكان تفاعلهم معها جيداً، فكما أيقضت هذه الدعوة لدى علماء الجزيرة العربية عامة غاية الفكر، فقد أحدثت لدى علماء اليمن ومفكريه صحوة دينية، وعلمية، وثقافية، وفكرية جادة شملت شتى مناحي الحياة الثقافية، فهب الأدباء والشعراء يعبرون عن مواقفهم منها، وظهرت المناظرات والمراسلات، ووجدت المؤلفات والرسائل التي تؤيد هذا أو تعارض ذاك، وهكذا أيقضت هذه الدعوة السلفية ذلك الركود الفكري الذي كان رائناً، وحرّكت الحياة الأدبية والثقافية، وانقسم العلماء في اليمن إزاء هذه الدعوة حسب ميولهم المذهبية إلى: مُؤيِّد، ومعارض[1]، وباحث عن الحقيقة بين ركام الإشاعات المغرضة.

- فأما المؤيدون: فقد كانوا لحسن حظ الدعوة السلفية من كبار أئمة علماء اليمن ومفكريه وممن يعتد برأيهم القوي، وفي مقدمتهم العلامة: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١٠٩٩-١١٨٢) والإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢-١٢٥٠هـ)[2].

(١) الكتاب السنوي: (حوليات سوق حباشة) الذي يعده ويصدره عبد الله أبو داهش، العدد ٦ ص٧٠، مطابع الجنوب، أبها ١٤٢٢-١٤٢٣هـ.

(٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ص٤٧-٥٤، وانظر كتاب عنوان المجد=

- وأما المعارضون للدعوة السلفية في اليمن وإن كان بعضهم من العلماء والشعراء المشهورين كالعلامة: عبد الرحمن بن يحيى الآنسي (١١٦٨-١٢٥٠) صاحب القصيدة المشهورة في مدح حاكم المخلاف السليماني الشريف حمود بن محمد آل خيرات (أبو مسمار) التي قال في مطلعها:

لعمرك ما الليث الذي هولوا به ولكنما الليث الهصور حمود

وفي هذه القصيدة خاطب الآنسي ممدوحه (الشريف حمود) قائلاً:

فدتك الأعادي يا ابن بطحاء مكة ومدتك من عون الإله جنود(١)

- وكالعلامة محسن بن عبد الكريم (١١٩٤-١٢٦٦) صاحب المنظومة المشهورة التي شرحها برسالة سماها: (لفحات الوجد من فعلات أهل نجد) (٢) والتي يقول في بعض أبياتها:

يا أهل نجد أتتنا من شمائلكم أنفاس دين نبي يظهر الدينا

ويغلو فيها ويشتد على رجال الدعوة حتى يقول:

وفي تهامة قد عاثت جيوشكم بَغْيَاً، وكنتم لأهليها مبيحينا(٣)

=في تاريخ نجد ج١ ص٥٤، ٥٥، وكتاب أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، لعبد الله أبو داهش ج٢ ص٥٥٧، وما بعدها ط٢ من منشورات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ وغيرها.

(١) نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، لعبد الرحمن البهكلي ص٢٧٤، تحقيق محمد أحمد العقيلي، من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض، عام ١٤٠٢هـ، وانظر كتاب المقتطف من تاريخ اليمن، لعبد الله الجرافي ص٢٥٩، من منشورات دار العصر الحديث ببيروت ١٤٠٧هـ.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣ ص١٥١٩.

(٣) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، لعبد الله أبو داهش، ج٢ ص٥٧٧.

وكالعلامة يوسف بن إبراهيم الأمير (١١٥٧-١٢٤٤) حفيد العلامة محمد ابن إسماعيل الأمير الصنعاني الذي نسبت إليه بعض القصائد المتحاملة على أئمة الدعوة السلفية والتي قال في بعض أبيات إحداها:

وفتية ظل سعي قائدهم لجهله لا إله إلا الله[(١)]

إلا أنهم وأمثالهم من المعارضين الذين حاولوا الوقوف في وجه المد الفكري للدعوة السلفية لم يكن لمعارضتهم جدوى وحالهم في تلك المعارضة قد لا يختلف كثيراً عن حال غيرهم من المناوئين لهذه الدعوة في البلدان الأخرى، حيث كان موقفهم في الغالب ضعيفاً؛ (وذلك لأن بعض المناوئين إنما كان دافعهم التعصب للهوى بغرض النيل من هذه الدعوة الإصلاحية ورجالها) [(٢)] ولأنهم لم يأتوا بجديد حينما وقفوا أمام هذه الدعوة يحاولون صد الناس عنها بالشعر تارة، وبالنثر أخرى وبالحجج التي يريدونها أن تكون مقنعة تارات أخرى إذ لم يكن لديهم من الأدلة والبراهين القوية ما يقاومون به صفاء هذه الدعوة السلفية التي تدعو إلى إفراد الله بالعبادة دون شريك وتدعو إلى محاربة البدع والضلالات والخرافات والخزعبلات؛ (فلقد كافح الوهابيون – كما كان يسميهم خصومهم – ضد مخلفات العبادات القبيلية، ودمروا الأضرحة وحرموا السحر والعرافة، وكافحو الصوفية والدروشة وتلك الأشكال التي يمارسها الأتراك والتي نشأت عبر القرون) [(٣)] وهكذا فقد

---

(١) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية لعبدالله أبو داهش ط٢ ج٢ ص٥٧٨، من منشورات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٥٧٦.

(٣) ذكريات الإمام الشوكاني ص١٠٥ تحقيق: د. صلاح رمضان محمود أستاذ التاريخ بجامعة عدن، والكتاب من=

جاءت هـذه الدعوة لتخلص عقيدة التوحيد مما أدخلـه عليها أصحاب الضلالات فكانت دعوة صافية تدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبادة دون سواه فلم يجد خصومها مـن البراهين ما يقاومون به دعاتها؛ (وذلـك لأن ما جاء به الشيخ محمد بن عبد الوهـاب أدلته واضحة وبراهينه قاطعة ولهذا لم يجـد المخالف له دليلاً إلا السب، والنسبة إلى الكفر والضلال) [(١)] ومع ذلك فلم يكن موقف أولئك المناوئين للدعوة في اليمـن بمستغـرب؛ فقد وجد معارضـون لها في قلب (نجد) أمثـال عبد العزيز الرزينـي المعروف بعداوته للشيخ محمد بـن عبد الوهاب وأمثال سليمان بن محمد بـن سحيم الذي وصل بـه الحقد إلى استعداء الولاة الأتـراك في العراق على إمام الدعوة[(٢)]. بل لقد ناوأه بعض أقاربه كشقيقه سليمان بن عبد الوهاب الذي (أبدى معارضته لدعوة أخيه ورد عليها، وألقى الشبه على أتباعها) [(٣)] بل لقد بلغ به الأمر إلى أن ألف كتاباً يرد به على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سماه: (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) وهو من أوائل الكتب التي ألفت في الرد على الدعوة

=منشورات وزارة الثقافة في عهد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ١٩٨٣م بالتعاون مع دار العودة في بيروت.

(١) إيقـاظ الوسنـان علـى بيـان الخلل الذي في صلـح الإخوان ص٥٦، لمحـدِّث الحرم المكي: محمـد بن ناصر الحازمي (....-١٢٨٢هـ) تحقيق علي أبو زيد الحازمي، طبع دار الشريف بالرياض ١٤٢٢هـ.

(٢) مجلـة الدرعية ص٤٠-٤٥، العدد الرابع عشر، ربيع الأخر ١٤٢٢هـ (مجلة فصلية محكمة يصدرها الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل)..

(٣) الحيـاة العلمية في وسـط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثـاني عشر وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها لأحمد بن عبد العزيز بن محمد البسام ص٣٤٠، من إصدارات دارة الملك عبد العزيز (سلسلة الرسائل الجامعية) الرياض ١٤٢٦هـ.

السلفيـة وقد بقي الشيخ سليمان بن عبد الوهـاب وقتاً طويلاً معارضاً لدعوة أخيه محمد بن عبد الوهاب ثم التحق بركب الدعوة بعد ذلك) [١].

(لقد كانت الرياض أول مدينة نجدية تعلن الحرب على الدعوة السلفية وكان رئيسها حينذاك دهام بن دواس) [٢].

- كمـا ظهر مناوئون مـن أقاليم أخرى أمثال أحمـد زيني دحلان في الحجاز (وكان مـن كبـار المناوئين للدعـوة الإصلاحية حيث ألف رسالـة سماها: (الدرر السنيـة في الرد علـى الوهابية) [٣] وأمثال ابن عفالـق الأحسائي، وأحمد با علوي التريمـي[٤] ومن المعارضين كذلك جعفر البيتي (١١١٠-١١٨٢هـ) الذي كان كاتباً ووزيراً للشريف بالمدينة [٥] وغيرهم.

- وربما كان بعض مناوئي الداخل ممن درسوا على علماء خارج الوطن فتأثروا بهم، ومع ذلك فقد وجد مناوئون من أقارب إمام الدعوة – كما أشرنا إليهم سابقا- حرَّكتهم الغيرة ودفعهم الحسد، وبعضهم ما لبث أن ندم وعاد إلى جادة الصواب.

- وهكذا تنوعت دوافع المناوئين في الداخل، فبعضهم دافعه الحسد، وبعضهم

---

(١) مراجعات في مصادر التاريخ السعودي لعبد الله العثيمين ص٢٥-٢٦ وهامشهما.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه الإصلاحي ص٦٤.

(٣) شبـة الجزيـرة في عهد الملـك عبد العزيز لخير الديـن الزركلي ص١٧٧، دار العلـم للملايين بيروت، ط٧، ١٩٩٧م.

(٤) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه للندوي ص١٧٠.

(٥) الكتـاب الـدوري (حوليات سوق حباشة) العـدد ٩ ص١١٥. لعبد الله أبو داهشـ، السنة التاسعة طبع دار البتراء للأفست الرياض ١٤٢٥هـ دون ذكر اسم الجهة الناشرة.

دافعه التعصب لأمراء بلدته وعلمائها، وبعضهم يخاف على مركزه الديني أو الاجتماعي، حتى إن بعضهم قد هاجر إلى اليمن وأخذ ينشر الأراجيف عن الدعوة السلفية وأئمتها أمثال: مربد بن أحمد التميمي المولود بحريملاء (....-١١٧١هـ) [1].

وربما كان بعض معارضي الداخل ممن هاجروا إلى بلدان أخرى كعبد الله المويسي[2] الذي رحل إلى الشام[3]، وعبد العزيز الرزيني[4] الذي هاجر إلى

---

(١) انظر في مجلة (الدرعية) ص٢٣-٦٠، وانظر ديوان محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص١٣٤-١٣٥، تقديم وإشراف علي صبح المدني، مطابع المدني القاهرة، دون ذكر سنة النشر.

و (مربد بن أحمد التميمي) (.... – ١١٧١هـ) ورد في بعض المصادر بالزاي (مزّبد) فهو مربد أو مزبد بن أحمد بن عمر التميمي النجدي ولد بحريملاء وأخذ عن علماء نجد ثم رحل إلى الشام لطلب العلم، وبعد عودته من الشام ولي القضاء في حريملاء وكان من أوائل المعارضين للدعوة السلفية في نجد وقد رحل إلى الحجاز ثم رحل إلى اليمن سنة (١١٧٠هـ) ومكث باليمن تسعة أشهر يشوه الدعوة السلفية وأئمتها وينسب إليها ما ليس فيها وقد عاد إلى نجد وقتل ببلدة رغبة في عام ١١٧١هـ. انظر ترجمته في: عنوان المجد ج١ ص٤١، وفي كتاب علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ج٣ ص ٩٤٧-٩٥٠.

(٢) (عبد الله المويسي: هو: عبد الله بن عيسى الوهبي التميمي المشهور بالمويسي (تصغير موسى) ولد ببلدة حرمة وتلقى العلم في بلاد نجد ثم رحل إلى الشام ورجع إلى بلاده حيث تولى القضاء فيها، وكان معاصراً لظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد عارضه فيما يدعو إليه). انظر هامش رقم ٧ ص ١٣٨ من تاريخ الفاخري لمحمد عمر الفاخري، تحقيق عبد الله يوسف الشبل ط٢ من مطبوعات الأمانة العامة للاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية الرياض دارة الملك عبد العزيز، وانظر كتاب: علماء نجد خلال ستة قرون ج٢ ص ٦٠٤-٦٠٦.

(٣) مجلة الدرعية الدورية ص٤٣.

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن رزين بن عدوان الرزيني التميمي: (.... – ١١٧٩هـ)، ولد بقرية أثيثة إحدى قرى الوشم وأخذ العلم على علماء نجد ثم رحل إلى الأحساء وأخذ عن عالمها الشيخ محمد بن فيروز الوهبي التميمي (١١٤٢-١٢١٦هـ) المعروف بمعارضته للدعوة السلفية، وكانت وفاة الرزيني في عام ١١٧٩هـ انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ستة قرون لعبد الله عبد الرحمن البسام ج٣ ص٤٠٦-٤٠٩، ط١، مؤسسة الخدمات للطباعة بيروت ١٣٨٤هـ.

البصرة في العراق[1]، وهؤلاء وأولئك قد أسرفوا في مناوأة الدعوة السلفية دون سند شرعي أو عقلي سوى إتباع الهوى، (وألصقوا بها الأكاذيب وزورا عليها الدعايات الباطلة حتى اغترّ بهم من لا يعرف حقيقتها)[2] فبثوا الشكوك لدى العامة وبعض الخاصة، ونشروا عن الدعوة السلفية أضاليل الأقوال في البلدان التي انتقلوا إليها حتى قيل بأن ما نسب إلى الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني من رجوعه عما كتبه في قصيدته التي أيّد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته وكتابة قصيدة أخرى ينقض بها قصيدته الأولى ومطلعها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

إنما حصل تراجعه بسبب إرجاف (مربد التميمي) وأضاليله وما زيفه عن الدعوة السلفية[3] وأئمتها أثناء إقامته الطويلة بصنعاء في حين يرى بعض الباحثين: (أن قسماً من المعارضين المحليين إنما نشأت معارضتهم بسبب رحلاتهم العلمية إلى أقطار خارجية)[4].

ومن المناوئين للدعوة السلفية ممن ربما حسبوا على معارضي الداخل: (داود بن سليمان البغدادي الشافعي الذي قام برحلات إلى الشام والحجاز وأقام بمكة عشر سنوات وألف رسالة طويلة هاجم فيها الدعوة السلفية وإمامها

(١) مجلة الدرعية العدد الرابع عشر ص٤٥-١١٧.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون للبسام، ج٣ ص ٦٤٩.

(٣) الكتاب الدوري: (حوليات سوق حباشة) العدد ٣ ، الصادر عام ١٤١٩هـ ص٢٧، والكتاب الدوري هذا إصدار سنوي لعبد الله أبو داهش.

(٤) دورية (الدرعية) ص٥٤.

وسماهـا: (صلح الإخوان) وقد رد عليها وفنـد شبهاتها وأضاليلها محدِّث الحرم المكـي العلامة محمد بـن ناصر الحازمي: (....-١٢٨٢هـ) [1] في كتابه: (إيقاظ الوسنـان على بيان الخلل الـذي في صلح الإخوان) تحقيق ونشـر العلامة علي أبو زيـد الحازمي يقول المؤلف في مقدمة كتابه هذا: (أما بعد فإنه وصلت إلينا رسالة سماهـا مرسلها (بصلح الإخوان) مملوءة بالشرك والطغيان، لداوود بن سليمان البغـدادي [2] وقـد بنى رسالتـه على ثلاثة أمـور ....) وبعـد أن انتهى من ذكر

(١) الإمـام المحـدث بالحـرم المكـي الشريـف العلامة محمـد بن ناصـر بن حسين بـن عز الديـن الحازمي: (....-١٢٨٢هـ): ولـد ونشـأ ببلدة ضمد وتلقـى العلم على علمائها ثـم رحل إلى صنعاء وزبيـد فأخذ على عـدد من علمائهـا وفي مقدمتهم الإمام الشوكاني، والعلامة عبد الرحمن بـن سليمان الأهدل، ثم رحل إلى الحرمـين الشريفـين وأخذ العلـم على بعض علمائها حتى بـرع في جميع العلوم وجلّـى في علم الحديث متناً وإسنـاداً يحفظ أكثر المتـون ويتكلم على رجال السند مولداً ومنشأً، ونسباً، وبلداً، وتعديلاً، وجرحا، وما لكل راو في الصحيح وغيره من رواية وقد أجاز عدداً من العلماء ومنهم العلامة: داود بن حجر القديمي المتوفى سنـة ١٣١٣هـ (النهضة الأدبية في اليمن ج٢ ص٢٤). وللعلامة الحازمـي عدد من المؤلفات منها: (إيقاظ الوسنـان علـى بين الخلل الذي في صلـح الإخوان) حققه ونشـره علي أبو زيد الحازمـي رحمه الله. وكتاب (الصفات) و (مسلسلات الحديث)، توفي العلامة محمد بن ناصر الحازمي في شهر شعبان عام ١٢٨٢هـ رحمـه الله. انظـر ترجمتـه في: الأعلام ج٧ ص ١٢٢ وفي عقود الدرر ج٢ ص٧٢٣ وفي نيـل الوطر في تراجم رجـال القرن الثالـث عشر لمحمد محمد زبارة ج٢ ص ٣٧٢ ، المطبعة السلفية بالقاهـرة ١٣٥٠هـ، وفي نشر الثناء الحسن ج٢ ص ١٢٢ وفي النهضة الأدبية في اليمن ج٢ ص ٢٤.

(٢) داود بن سليمان البغدادي الخالدي الشافعي: (....-....) متفقه ومتأدب من أهل بغداد، قام برحلات إلى الحجـاز والشام وأقام بمكـة عشر سنوات له بعض المؤلفات ومنها رسالة بعنـوان (أشد الاجتهاد في إبطال دعوى الاجتهاد) رد بها على العلماء الحنابلة فيما نسب إليهم من دعوى الاجتهاد وله كتاب: (صلح الإخوان مـن أهـل الإيمان) وكتـاب (بيان الدين القيم في تبرئة ابـن تيمية وابن القيم وغيرهـا. انظر ترجمته في: الأعلام ج٢ ص٣٣٢، وفي إيقاظ الوسنان هامش ص٢٩.

الأمر الأول والرد عليه قال الحازمي: (الثاني: كتاب الانتقاد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، وأن ما جاء مخالف للحق ....) ثم ذكر الحازمي الأمر الثالث الذي اشتملت عليه رسالة البغدادي وقال عن منهجه في الرد عليه وتفنيد إدعاءاته: (وقد التزمت في الرد طريق الإنصاف وتثبيت ما هو الحق مما جرى عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ......) ومضى الحازمي في الرد على داوود البغدادي والتأكيد على صواب منهج الدعوة السلفية وإمامها إلى أن قال: (ما جاء به الشيخ محمد بن عبد الوهاب حق، وأدلته واضحة، وبراهينه قاطعة؛ ولهذا لم يجد المخالف له دليلاً إلا السب والنسبة إلى الكفر والضلال كما تراه في هذه الرسالة التي نحن بصدد الرد عليها، وهذا ليس من أخلاق العلماء العاملين بل من شأن من أمر الله بالإعراض عنه من الجاهلين)[1].

وهكذا - كما رأينا - فقد وجدت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مناصرين لها ومدافعين عنها في الداخل والخارج كما انتصب لها معارضون في الداخل والخارج ولم تنحصر المعارضة الخارجية على علماء اليمن فقط ومع ذلك فإن أغلب المعارضين لا تستند إلى أدلة قوية.

- وأما الباحثون عن الحقيقة من علماء اليمن وأعلامه فقد كاتبوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه مستفسرين فأجابهم عن استفساراتهم بإجابات شافية، ومن خلال هذه اليقضة الفكرية وتلك المراسلات يتأكد لنا ذلك التواصل الفكري والثقافي

---

(١) مقدمة كتاب: (إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان) ص٢٩-٥٦.

الـذي أحدثته هذه الدعوة، وفي رسائل الشيخ إجابات عـن تلك الاستفسارات ومنها جوابه على استفسار العلامة محمد بن إسماعيل الجراعي الذي كاتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مستوضحاً عن بعض الأمور التي بلغته عن الدعوة وصاحبها، ومباركاً ما تجرَّد له الشيخ (من الإقامة على الشريعة في آخر الزمان وفي غربة الإسلام ..... الـخ) فرد عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالـة أوضح له فيها ما تساءل عنه ... ومما أجابه به الشيخ قوله: (أما القول بأنّا نُكَفِّرُ بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم).

واعلـم رحمك الله أن الذي ندين به وندعـو الناس إليه هو إفراد الله سبحانه بالعبـادة، وهـي دين الرسـل قال الله تعـالى: (وإذ أخذنا ميثاق بنـي إسرائيل ألا تعبدوا إلا الله)[1].

- وكتـب إليـه العلامة عبد الله بن عبد الله الصنعـاني مستفسراً عن حقيقة الدعـوة فأجابـه بقولـه: (إلى عبد الله بـن عبد الله الصنعاني وفقـه الله وهداه، وجنبـه الإشراك والبدعة وحماه، أمـا بعد: فوصل الخط وتضمن السؤال عما نحن عليـه من الدين فنقول وبالله التوفيق: الـذي ندين به عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بعبادة غيره ومتابعة الرسول النبي الأمي محمد ﷺ ......)[2].

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج٥ (الرسائل الشخصية) ص١٠٠-١٠١، صنفها وأعدها للتصحيح تمهيداً لطبعها: عبد العزيز الرومي، د. محمد البلتاجي، د. سيد حجـاب، من مطبوعات جامعة الإمام في أسبوع الإمام محمد بن عبد الوهاب.

(٢) المصدر السابق ص١٠٤-١٠٧.

- أما العلامة أحمد العديلي البكيلي فقد كان الرد عليه من الإمامين الكريمين: الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والإمام محمد بن عبد الوهاب وقد جاء فيه: (إلى الأخ في الله أحمد بن محمد العديلي البكيلي سلمه الله..... لفانا كتابكم وسُرَّ الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم عما نحن عليه، وما دعونا الناس إليه........ أما ما نحن عليه من الدين فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وأما ما ندعو الناس إليه، فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطاباً لنبيه : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) [(١)].

- وبهذا يتضح (أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يقتصر في مراسلاته ومناقشاته على العلماء النجديين بل كتب إلى علماء الأقاليم والمناطق الأخرى شارحاً لهم مبادئ دعوته) [(٢)].

وهكذا كانت تلك الرسائل المتبادلة بين إمام الدعوة السلفية وبين عدد من علماء اليمن وسائل اتصال وتواصل ثقافي جيدة أسهمت في تسليط الأضواء على أهم أهداف الدعوة السلفية، وأدت دوراً مهماً في التواصل الثقافي الذي أذكته هذه اليقضة المباركة التي هزت الوجدان الإسلامي والعربي في جزيرة العرب عامة وفي اليمن على وجه الخصوص.

---

(١) المصدر نفسه ص٩٤-٩٨.

(٢) الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للبسام ص٣٧٨.

وواضح بأن تلك الرسائل التي أجاب عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تكن كلها محل رضاً من الشيخ، حيث قال عن بعضها:

(لقد أنهى إلينا مع (ابن محمسه) عالم من علماء صنعاء أسئلة كثيرة، وغالبها ما يصير سؤال مسترشد، وكل مسألة جاوبناه عنها بما يكفي ويشفي من الأدلة التي لا تنكر) [(١)].

(١) مجلة العرب عدد شهري محرم وصفر لعام ١٤٠٨هـ (افتتاحية العدد) مقالة الشيخ حمد الجاسر: (الصلات الأولى بين صنعاء والدرعية) ص٤٣٧ وما بعدها.

بعض مؤرخي اليمن يرصدون بداية المراسلات العلمية بين قادة وعلماء البلاد السعودية وقادة وعلماء اليمن

تمهيد:

وهكذا فإن تلك الرسائل التي بعثها بعض علماء اليمن إلى إمام الدعوة السلفية مستوضحين فيها عن حقيقة الدعوة مع أن بعضهم ربما كانوا من المتعصبين الذين أجابهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجوابات شافية (هدم عليهم بها جميع ما بنوه وأبطل جميع ما دونوه) كما يقول الإمام الشوكاني[(١)].

ومع ذلك فإن تلك الرسائل العلمية التي وجهها بعض علماء اليمن إلى إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب يستفسرون فيها عن حقيقة هذه الدعوة قد شجعته على إقناع أمراء الدعوة السلفية بتوجيه رسائل إلى أئمة وعلماء اليمن لتوضيح حقيقة الدعوة وسد الأبواب على المغرضين، وإقناعهم كذلك بإرسال علماء سلفيين إلى اليمن وتزويدهم بالرسائل الموجهة إلى العامة والخاصة في هذا البلد الجار، فتمَّ شيء من ذلك وحصلت مبادرات التواصل من الطرفين، وقد أشار الإمام محمد بن علي الشوكاني [(٢)] إلى بعض ذلك التواصل في كتابه الموسوعي:

---

(١) انظر كتابه : البدر الطالع ج٢ ص٧.

(٢) الإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢-١٢٥٠هـ) : إمام مجتهد من كبار علماء اليمن، له جهود علمية كبيرة في خدمة علوم القرآن والسنة، فهو صاحب المؤلفات الموسوعية الشهيرة، ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٢هـ وتلقى العلم على والده وعلى عدد من علماء اليمن البارزين أمثال: العلامة عبد القادر الكوكباني، والعلامة أحمد محمد الحرازي، والعلامة القاسم بن يحيى الخولاني وغيرهم حتى أصبح مرجعاً لطلاب=

(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، وأشار إلى كثير منه العلامة: لطف الله بن أحمد جحّاف[1] في كتابه التوثيقي: (درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين) ذاكراً بعض أسماء أعضاء تلك الوفود التي أرسلها ابن سعود وإمام الدعوة إلى اليمن، متحدثاً عن مكانتهم العلمية، ومشيراً إلى بعض صفاتهم الخُلُقِيَّة والخلقية، ومشيراً كذلك إلى أسرهم وأقاليمهم التي ينتمون إليها وإلى شيوخهم في العلم، وتحدث عن روابط الصداقة التي تعمقت بينه وبين بعض علماء تلك الوفود: كالشيخ عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم النجدي، والشيخ عبد الله بن مبارك الأحسائي موضحاً بعض جهود ذلك الوفد وسعيهم

= العلم، تولى منصب القضاء الأكبر في اليمن، واتخذه أئمة اليمن الثلاثة الذين عاصرهم مستشارهم الشرعي، وقصده طلاب العلم من كل مكان فأصبح وقته موزعاً بين القضاء والفتيا والتعليم والتأليف، فقد ألف عدداً كبيراً من الموسوعات العلمية ومنها: فتح القدير، في خمسة مجلدات، ونيل الأوطار في ثمانية مجلدات، والسيل الجرار في خمسة مجلدات، وإرشاد الفحول، والبدر الطالع..... وغيرها. توفي سنة ١٢٥٠. انظر ترجمته في الكتب التالية: هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٤، ص ٢٢٥١-٢٢٨٧، نيل الوطر ج٢، ص ٣٤٤-٣٥٠، درر نحور الحور العين ص ١٩، وفي الموسوعة اليمنية ج٣ ص١٧٩٠-١٧٩٢ مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن ص ٢٤٢ وفي الأعلام ج٦، ص ٢٩٨ وغيرها.

(١) العلامة لطف الله بن أحمد بن لطف الله جحاف (١١٨٩-١٢٤٣هـ) عالم وأديب وشاعر ومؤرخ يمني كبير، ينتمي إلى أسرة علمية عريقة، ولد ونشأ وتعلم بمدينة صنعاء، وتلقى العلم على علمائها وفي مقدمتهم: العلامة علي بن عبدالله الجلال، والعلامة القاسم بن يحيى الخولاني والإمام محمد بن على الشوكاني، وآخرين ممن نهل عنه حتى أصبح من أعيان عصره وهو في سن مبكرة، له جهد وافر في علم التاريخ واهتمام بعلم المواقيت، وملكة راسخة في المباحث العلمية الدقيقة مع قوة حافظة، وسعة صدر فهو كما يقول شيخه الشوكاني من محاسن عصره علماً وأدباً وتحقيقاً. ألف عدداً من الكتب وتوفي سنة ١٢٤٣هـ، ومن مؤلفاته: (درر نحور الحور العين) مطبوع، وكتاب (المرتقى إلى المنتقى) مخطوط، ذكر الحبشي أن منه نسخة بمكتبة جامع صنعاء تحت رقم ٩١٧، وغيرهما. انظر ترجمته في: مصادر الفكر ص ٤٥٣، البدر الطالع ج٢ ص٦٠-٧١، نيل الوطر ج٢ ص ٢٣١-٢٣٤، الموسوعة اليمنية ج٢ص ٨٧٠-٨٧١.

المخلص لتنفيذ مهماتهم،كما تحدث عن التواصل الثقافي الذي تعمق بين بعض علماء تلك الوفود وبعض علماء اليمن.

الإمام الشوكاني يرصد بداية وصول رسل قادة الدولة السعودية إلى قادة اليمن ويشير إلى بعض رسائلهم

كان اهتمام الإمام الشوكاني برسل قادة الدولة السعودية وأئمتها إلى قادة اليمن وعلمائه كبيراً فرصد ذلك رصداً تاريخياً في كتابه الموسوعي: (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) وإن كان الشوكاني قد اكتفى في ذلك الرصد بالتوصيفات الرسمية لتلك الوفود حيث ذكر بأنه: (في سنة ١٢١٥هـ) وصل من صاحب نجد مجلدان لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بالأدلة من الكتاب والسنة، والمجلد الآخر يتضمن الردّ على جماعة من فقهاء صنعاء وصعده، ذَاكَرُوهُ في مسائل متعلقة بأصول الدين وبجماعة من الصحابة، فأجاب عليهم جوابات محرَّرَة مقرَّرة، تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة)[1]، وقال الشوكاني أيضاً عن تواصل علماء الدعوة السلفية وأئمتها مع علماء وأئمة اليمن: (في سنة ١٢٢٢هـ وصل إلينا جماعة من صاحب نجد (سعود بن عبد العزيز) لبعضهم معرفة في العلم ومعهم مكاتيب إلى الإمام المنصور وإليَّ

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ج٢ ص٧.

أيضاً، ثم وصل جماعة آخرون في سنة ١٢٢٨هـ ودار مع هؤلاء الواردين ومع غيرهم من المكاتبة مالا يتسع المقام لبسطه)[١].

- وفي ترجمة الشوكاني للإمام (سعود بن عبد العزيز) قال: (وما زال الوافدون من سعود يفدون إلى حضرة الإمام المنصور وولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة)[٢].

وهكذا أكد الإمام الشوكاني على تعاقب الرسل واستمرار الحوار والمكاتبات بين قادة اليمن وعلمائه من جهة وقادة الدعوة السلفية وعلمائها من جهة أخرى تعزيزاً للتواصل الحاصل بين البلدين، ملمحاً إلى أثر ذلك في تعميق التواصل الثقافي المتين.

لقد كان الإمام الشوكاني: (معجباً ببعض آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد شارك في معظم الأحداث المتعلقة بالوهابية حيث كان يقابل مندوبيهم ويناقش معهم ويرد عليهم حتى لقد كاتبهم بثمانية وثلاثين خطاباً، وكثيراً ما كان يبدي إعجابه بما ينادون به)[٣].

العلامة اليمني: لطف الله جحاف يسجل تفاصيل الحوارات الثقافية بين علماء الوفد السعودي وبعض علماء اليمن

- أما لطف الله جحّاف فإنه قد أفاض في الحديث عن التواصل العلمي،

(١) المصدر السابق ج٢ ص٨.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٦٢.

(٣) مقدمة كتاب ذكريات الشوكاني بقلم محقق الذكريات الدكتور صالح رمضان محمود ص١٠-١١ (بتصرف).

والفكـري، والثقافي الذي جـرى بين وفود علمـاء الدولة السعوديـة وعلماء اليمن، وممـا أورده عـن ذلك التواصل قوله: (في أواخر جمـادى الآخرة من عام ١٢٢٢هـ وصلـت رسـل متولي نجد إلى بـلاد (كوكبـان) [1] واستقروا بحضـرة (شرف الديـن) [2] فأكرمهم وفيهم رجـلان من علمائهم أحدهما يدعـى عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى ابن عبد القادر بن راشد الدرعي[3] يجتمع مع محمد بن عبد الوهاب داعية نجد في

(١) كوكبان: مدينة يمنية ذات تاريخ علمي عريق، كانت تُتخذ عاصمة ثانية إلى جانب صنعاء في القرن العاشر الهجـري، وتضـم (كوكبان) حصنـين منيعين شديدي الارتفـاع كل واحد منهما يشبـه الكوكب في ارتفاعه فسميت البلدة باسمهما: (كوكبان) وتبعد عن صنعاء حوالي خمسة وأربعين كيلاً، انظر في كتاب: (معجم المدن والقبائل اليمنية) لإبراهيم المقحفي ص٣٥٢، ٣٥٣، ط٢، دار الحكمة بصنعاء ١٤٠٦هـ.

(٢) شرف الدين أحمد بن محمد بن الحسين وهو ابن الإمام شرف الدين الحسني الكوكباني، كان أميراً للبلاد الكوكبانية وهو علامة كبير صاحب مؤلفات كثيرة، انظر ترجمته في البدر الطالع ج١ ص٢٧٤، وفي نيل الوطر في تراجـم رجال القرن الثالث عشر لمحمد محمد زبـارة ج٢ ص١٠ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٠ هـ ، وفي مصادر الفكر للحبشي ص ١٧٨ وغيرها.

(٣) العلامـة عبدالعزيـز بن حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب بن موسى بن عبدالقـادر بـن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشـرف، وعند العلامة جحاف يلتقى مع الإمام محمد بـن عبدالوهـاب في : (راشد)، وعند العلامـة البسام ينتهي نسب العلامة عبدالعزيـز إلى (الوهبه) أحد أفخـاذ بنـي حنظلة من قبيلة بني تميم، وأن الإمـام محمد بن عبدالوهاب جده لأمه فقـد ترجم له البسام ترجمـة تقتطـف منهـا قوله: (أحد علمـاء نجد البارزين قدم والـده على الشيخ محمد بـن عبدالوهاب في الدرعيه وتزوج ابنته فولدت له (عبدالعزيز) فهو قد نشأ في الدرعية وتلقى العلم على عدد من علمائها وفي مقدمتهم: العلاّمتين: عبدالله، وحسين، أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب فمهر في سائر العلوم (الشرعية) وكان صاحب عقل راجح وفكر ثاقب ولسان بليغ، لذلك اختاره الإمام سعود بن عبدالعزيز في سفارة إلى إمام صنعاء) وترجمه العلاّمة اليمني: لطف الله جحاف فقال: الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن إبراهيم..... أحد علمـاء الفقه الحنبلي وله مشارفـة في علم الحديث واطلاع واسع على أيام العرب ، يحفظ السيرة النبوية=

(راشد)، يعرف فقه الحنابلة معرفة تامة وله مشارفة على الحديث ورغبة في أهله، واطلاع على أحوال بعض العرب وحفظ للسيرة النبوية وأيامها، رجلاً طوالاً، خفيف العارضين، رضيّ الوجه، لسناً فصيحاً، طلق اللسان، شديد السطوة، وله مشارفة في التفسير، وميل إلى مصنفات ابن كثير، لذلك اهتم بنسخ تفسيره بصنعاء.

والعالم الآخر هو: عبد الله بن المبارك بن عبد الله بن حمد بن راشد بن بُشَيِّر مصغراً ....[1] وهو من بيت وزراء لملوك الأحساء، ولي والده الوزارة لثلاثة من كبراء الأحساء .... وكان هذا المترجم له قد دخل تحت ولاية سعود عام أخذه للأحساء، فنقله عنها، لمعرفته؛ فإنه كما خبرناه له معرفة بالنحو والصرف، وهو مالكيّ المذهب عارفاً بمذهب مالك أتم المعرفة، أديباً ظريفاً لطيفاً خَفيفاً، فيه رقة أهل الحضر

=وأيامها، وله مشارفة في علم التفسير، فصيح اللسان قوي البنيان، صاحب شخصية قوية واضحة، ذكر المؤرخ البسَّام بأنه توفي قبل عام ١٢٤٠هـ.انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ج٢ ص ٤٤٣-٤٤٤، وفي كتاب: (درر نحو الحور العين) للطف الله جحاف ص ٥٥٠ وما بعدها.

(١) العلامة عبدالله بن مبارك بن عبدالله بن حمد بن راشد بن بُشَيِّر (مصغراً) (٠٠٠-٠٠٠): عالم، وأديب، وشاعر من كبار علماء وأدباء الأحساء، وينتمي إلى أسرة عريقة، فوالده تولى الوزرارة لثلاثة من كبراء الأحساء، وشيوخه الذين تلقى العلم على يديهم من كبار علماء الدعوة السلفية وفي مقدمتهم العلامة حسين ابن غنام، وعبدالله بن المبارك كان أحد رجالات الوفد العلمي الذين أوفدهم الإمام سعو بن عبدالعزيز في عام ١٢٢٢هـ إلى إمام اليمن وعلمائه ليشرحوا لهم حقيقة الدعوة السلفية فكان (ابن المبارك من أبرز علماء ذلك الوفد وأقواهم بياناً وكانت له مع علماء اليمن وأدبائه حوارات ومطارحات شعرية أثبت كثيراً منها العلامة اليمني لطف الله جحاف وأشار إلى بعضها العلامة حمد الجاسر في مقال له عن (ابن بشيِّر). انظر ترجمة عبدالله بن المبارك وشيئاً من حواراته العلمية في اليمن في كتاب: (درر نحو الحور العين) للطف الله جحاف ص ٥٥٠ وما بعدها، وانظر مقال الشيخ حمد الجاسر: (أديب أحسائي مغمور عبدالله بن بشير) مجلة (العرب) عددي: (٧،٨) لشهري محرم وصفر من عام ١٤٠٨هـ، ص ٤٩٢-٤٩٨.

وسلاستهم مع رصانة وتؤدة وحذق باهر، جهير الصوت طويل القامة، بطيء الحركة، كثير الصمت، بعينه نقطة بياض من الجدري، له يد في الأدب طولى).

لقـد تحدث (جحاف) - كما ترى- عن ابن المبارك، وعن أسرته، وعن علومه ومعارفه، وأدبه، وظرفه، كما وصفه وصفا حسيا حتى جعل القارئ يتحسس شخصية المترجـم لـه وهي تتحرك أمامـه بلحمها وشحمها تماما كما فعـل أثناء حديثه عن العلامة عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم، حيث استوفى ذكر تلك الجوانب كلها.

- وهكـذا استمـر العلامـة اليمني: (لطـف الله جحاف) في تقـديم تراجم مفصلة لهذين العالمين الجليلين:

العلامـة عبـد العزيز بـن أحمد بـن إبراهيم النجـدي. والعلامـة عبد الله بـن مبارك بـن بُشَيِّر الأحسائي، حيـث أشار إلى أقاليمهـم وأسرهم، وتحدث عن أوصافهـم الجسديـة والحسيـة والمعنوية وعن المكانـة العلمية والأدبيـة لكل واحد منهما، ورسم شخصياتهم رسما تفصيليا دقيقا لا مزيد عليه، حتى أنه تحدث عن شيوخ كل منهما في كل فن بل ترجم لبعض شيوخهم، مما صعب مهمتي على اعتبار أن هذين العلامتين الكبيرين ممثلان للوفد السعودي في التواصل الثقافي مع اليمن وقد اخترتهمـا نموذجاً للتواصل الفكري والثقافي مـن الجانب السعودي مع اليمن وكل واحـد منهما جديـر بأن نتناول ترجمتـه بشيء من التفصيـل، حتى أنني بعد قراءتـي لما سجله (جحـاف) عنهما كدت أن أكتفي بما كتبه عن مسيرتهما العلمية حيـث وجدته قد أعطى القارئ أشياء دقيقـة ومفصلة عن كل واحد منهما وتحدث

عنهما حديث معرفة وثيقة رسم من خلاله شخصياتهم رسما دقيقا كقوله عن العلامة عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم : (كان رجلا طوالا، خفيف العارضين، رضي الوجه، لسنا فصيحا، طلق اللسان، شديد السطوة،...... الخ)، وعن علومه ومعارفه يقول : (له مشاركة في الحديث، ورغبة في أهله، وله مشاركة في التفسير، وميل إلى مصنفات ابن كثير) [1].

وكقوله عن العلامة عبد الله بن المبارك الأحسائي بعد أن تحدث عن والده (مبارك الذي زار الهند وبلاد الفرنجة وتعلم هناك صنائع كثيرة، وأنه تولى الوزارة لثلاثة من كبراء الأحساء.....) [2] بعد ذلك تحدث عن معارف العلامة السعودي (ابن المبارك) وعن صفاته الشخصية ومما قاله عنه: (طويل القامة، جهير الصوت، بطيء الحركة، كثير الصمت، مع رصانة وتؤدة وحذق باهر، بعينه نقطة بياض من آثار الجدري) وعن مشائخه يقول جحاف: (أخذ ابن المبارك عن الحسين بن غنام علم الفقه والنحو وقليلا في الحديث وعلم البيان وشيئًا من المنطق، وأخذ عن عبد الوهاب بن غنام في الرسالة لابن أبي زيد في فقه (مالك) وفي شرح الألفية لابن هشام في النحو، وعن الحسين بن راجح في تلخيص المفتاح وفي عقود الجمان في المعاني والبيان، وعن عثمان بن خضروه في التصريح لخالد الأزهري ......) [3] وعن معارفه وأدبه يقول : (له معرفة بالنحو والصرف، مالكيُّ

(١) درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي للعلامة لطف الله جحاف ص٦٩٢، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء ١٤٢٥هـ.

(٢) المصدر نفسه ص٦٩٣.

(٣) المصدر نفسه ص١٤٢٥،٦٩٨هـ.

المذهب، عارفا بمذهب (مالك) أتم المعرفة، له اليد الطولى في الأدب، كان أديبا ظريفا، لطيفا خفيفا، فيه رقة أهل الحضر وسلاستهم، مع رصانة وتؤدة)[1].

ولم يكتف (جحاف) بالحديث عن هذين العلامتين: (عبد العزيز) و (ابن المبارك) بل عرَج على أعلام آخرين من الوفد المشارك لهما معرفا ببعضهم، تجده يقول مثلا: (قلت وكان مع (ابن المبارك) و (عبد العزيز) من رسل سعود رجل يقال له: (ابن سعدون)، وآخر يقال له: (ابن هويشل)[2]، فأما (ابن سعدون) فهو: من القويعية وهو محمد بن سعدون بن مانع بن محمد بن غيلان بن محمد بن ميمون، وأما (ابن هويشل) فهو: عبد الله بن محمد بن علي بن هويشل ...)[3].

بل إن جحاف رصد حتى المكاتبات التي كانت ترد إلى العلامة عبد العزيز بن أحمد وإخوانه من رجالات الوفد السعودي، فقد ذكر الرسائل التي وردت إليهم من عسير ومن الطائف وغيرها وذكر أسماء بعض المرسلين لتلك الرسائل أمثال: (عمر بن إبراهيم) و(عبد الله بن زيد الشقري) و (جمعان بن ناصر) و (عبدالله بن عيسى) و (حمود بن محمد) بل حرص على نقل بعض تلك الرسائل بنصها معللاً صنيعه ذلك بقوله:

---

(١) المصدر السابق ص٦٩٢.

(٢) (ابن سعدون)، و(ابن هويشل): لم تسعفني مصادري بترجمة لأي منهما سوى ما ذكره عنهما المؤرخ اليمني (جحاف) في المتن حيث قال عن الأول: (ابن سعدون: هو محمد بن سعد بن مانع بن محمد بن غيلان بن محمد بن ميمون، وهو من أهل القويعية، وقال جحاف عن الثاني: (وأما ابن هويشل: فهو عبدالله بن محمد بن علي بن هويشل) انظر كتاب جحَّاف: درر نحور الحور العين ص ٦٩٩. ويفهم من سياق الكلام أن (ابن سعدون) و(ابن هويشل): من أعوان بن مبارك وعبدالعزيز وبعض رجال رحلتهما، وهذا ما يغلب عن الظن.

(٣) المصدر نفسه ص٦٩٩، وهؤلاء الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا النص التوثيقي لم تسعفني مصادري بترجمة أي علم منهم.

(وقد أحببت نقل الكتب برمتها لتكمل الفائدة وليطلع المتشوف لألفاظهم) [1].

وهكذا تحدث جحاف عن بعض رجال الوفد السعودي وخص عبد الله بن المبارك وعبد العزيز بن أحمد باهتمام أكبر حيث تحدث عنهما حديث معرفة ورصد لهما مواقف رائعة مع محاوريهما من علماء اليمن ومفكريه وسجل بحيادية تامة آراءهما وآراء محاوريهما حتى وإن كان الحوار معه شخصيا، ولم يخف إعجابه بهذين العالمين خلال ذلك الرصد الجميل.

ولقد تحدث عن أوضاع الوفد السعودي حينما طال بهم الانتظار في بلدة (كوكبان) بالشرف الأعلى قبل أن يسمح لهم بمقابلة إمام اليمن في العاصمة (صنعاء) واصفا معاناة ذلك الوفد وما تعرضوا له من حصار ومضايقات من بعض الرعاع وكيف تغلبوا عليها بالصبر وبمحاولة الاتصالات المباشرة ببعض علماء تلك الجهة وإجراء بعض الحوارات العلمية والفكرية والأدبية معهم، كما سجل موقف عبد الله بن المبارك الأحسائي الذي اتخذه بعد أن استنفدوا الوسائل وشرح جحاف كيف أن الأحسائي أخذ زمام المبادرة فكتب باسم الوفد السعودي قصيدة شعرية جميلة صدرها برسالة نثرية رائعة موجهة لإمام اليمن وألح فيها على مقابلته أو الإذن لهم بالعودة إلى بلادهم وقد ذكر جحاف بأن تلك المبادرة قد حققت هدفها، حيث وجه الإمام بعد وصول تلك الرسالة بالسماح للوفد العلمي السعودي لمقابلته في صنعاء، ولشدة إعجاب «جحاف» فقد نقلهما كاملتين وهانحن

(١) المصدر نفسه ص٧١١-٧١٤.

نزيـن بهما هذه الأوراق لأنهما تقدمان نموذجـا أدبيا راقيا لأدب الرسائل في ذلك العصر شعرا ونثرا، وتؤكد على التواصل الثقافي الذي تحقق آنذاك.

يقول جحاف مقدما للقصيدة والقطعة النثرية:

(ولمـا حالت قبائل (بكيـل) بين العلماء السعوديين وبـين الدخول إلى حضرة الإمام كتـب ابن المبارك الأحسائي هذا الكتاب، المصحـوب بهذه الأبيات المعدودة في فصل الخطاب:

(إن أبهـى ما رقمته رؤوس الأقـلام، وأبهر ما ولدته نتائج الأفهام، وأسنى ما توشحـت به هواطل الطروس، فـكان بمنزلة التيجان على الرؤوس، سلام يتنفس مـن أرجائه نفائس الروائح، ويشدو بعذب ألفاظه كل غاد ورائح، يؤم سوح عز الملة والديـن علي بن العباس أمير المؤمنين، وبعد أن أبـان الله لنا ولك معالم التحقيق، وسلـك بنا وبك سبيـل السعادة والتوفيـق لا يخفى على جنابـك الشريف، وقدرك العالي المنيف، ما أوجب المسير إلى هذه البلاد، وتلقي هول ما لا يستطاع من المشاق والأنـكاد، من السعي في إصلاح هذا العالم الضعيف، وإنقاذهم من دركات المظالم والتخويـف، وما يصحبه من إصلاح ذات البـين، ورفع ما على أفئدتهم من الرين، حسبمـا صـدر إلينا من حضرة جنابـك الحسيب، ومن بحبـوح رحبك الخصيب، مـن وصول الجمـالي (علي بن محمد الكبسي المراجل) وفقنـا الله وإياكم طريق الرشاد، وأمدنا بنوافح الألطاف والإسعاد، فحال من دون ذلك حائل أوجب التمثل بقول القائل:

أبى دهرنا إسعادنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فينا أتمها ودع غيرنا إن الأهم المقدم

فالمطلوب من جنابك الإسعاف فيما ذكرناه، والتحيل في دخولنا لبذل ما قصدناه، وإنا والله في آنس مكان وعند أحسن جيران، قد ضاق منا الذرع والفنا، وأدركنا النصب والعنا، فلم يحل لنا منام، ولم يعذب لنا شراب ولا طعام، مع ما نحن إليه من الإلف إلى الوطن، وتذكر من هناك من الشجن، فإن لم يحصل لنا الإسعاف فيما ذكرناه فليرجع إلينا الخبر، ونرجع مع الأثر الذي قد أثرناه فإنا لم نقدم لغير ذلك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذا ما أنشد لسان المقال بعد ما غير قشيب البال:

ما بالرزايا وما بالناس من باس إذا صفى لك ما تهوى من الناس
وطاب عيشك في أمن وفي دعة ودار بينك والخلان بالكاس
ولم يحل دون ما يممت داهية فيما تجاوزها من شدة الباس
وقد قضى الله في صنعا بأقضية يقضي العجائب منها كل مكياس
جاءت بكيل فحطت في جوانبها واستوقفت عند أرجاها بحراس
وقطعت سبل الداعين واتخذت من بغيها كل جَبَّاءٍ، ومكاس
ظلماً، وبغياً، وعدواناً بلا سبب رماهم الله بالضراء والباس
وزاد ما بهمُ غيظاً بغيظهمُ وصولنا لجنابٍ، منك مياس
يتلو الحنيفية السمحا إلى جهة قد أطلع الدهر فيها كل أنجاس
وفد الإمام الذي خاضت صواعقه وصدر كل شريف كابن عباس

سعد السعود، سعود المرتقي فلك الـ ـعليا إلى فلك من غير أمراس
صعب البديهة لا تكبو قوادمه عند الخطاب ولا يعنى بسوّاس
ضخم الدسيعة قد عمت فواضله شرقاً وغرباً، وأغنت كل مفلاس
ما البحر؟ ما القطر؟ إلا من فضائله قد كُوِّنا، وهو بحر غير مقياس
كالشمس عم ضياها كل ناحية من البلاد مقيماً غير خَنّاس
ترى العفاة بأرجا داره حلقاً من كل قطر، حداهم قاتم الباس
فيرحلون بممن لا أداء به من الرغائب في أمنٍ وإيناس
ما بالغضنفر من بأس كنجدته يوم الهياج أبيٌّ، غير شماس
أعدى الرفاق على أنيابه حرباً وقادهم بصفا قلب واحساس
ذلت أكاسرة الدنيا لهيبته وأقبلت نحوه سعياً على الراس
جاء الجمالي (عليٌّ) طالباً ثقة فأسعدوه بأمر غير متعاس
فيه السلام، كذا الإنعام، للضعفا وللرعايا، وللمنصور ذي الباس
الهاشمي أبا الأملاك من شهدت كل الأنام بعدل منه في الناس
الفاطمي كريم المحتدى نسباً أطاعه كل قَوَّادٍ وسَوَّاس
من كان في يمن الدنيا له رهج ودولة تستذل الصعب بالناس
ما ساد أبناء صنعا مثله ملك ولا بُلي خبر عنه بقرطاس
يعطي الرغائب من قبل السؤال له ويستفيد ثناء الناس بالناس
علَّ الإمام يرى أحوالنا فإذا ثنى العنان فيهدي طيب الفاس
فإننا في شبام بئس منزلة كنا بها حِلف إبلاس وإفلاس
لا نستطيع خروجاً من دويرتنا كأنما نحن في مسجان حبّاس

لا نستضيء بنور نستريح به ولا يروِّحنا ريح بنسناس
فعل المضارع لا سينٌ تنفسه ولا تسوِّف من سين بإبلاس
فيرسل الجند تحمينا وتمنعنا من شر كل عدوٍ، فاجر، خاس
ثم الصلاة على المختار سيدنا ما هل رعد بترحاب وإبجاس[1]

وهي طويلة أوردها جحاف كاملة وأورد بعض بعض الردود الغليظة عليها... ومن تلك الردود التي يبدو فيها شدة الانفعال قصيدة العلامة اليمني السيد يحيى بن إسماعيل بن القاسم التي سنختار منها قوله:

أما الرزايا ففي أخلاق نسناس تدعو إلى الشر والتهويس والياس
يا للرجال أفيقوا أي مكرمة لنجد في مخير الغي خناس
وحدث القوم عن صنعا وساكنها وكل فرد غدا كالعين في الرأس
ومن مقيم صلاة كل آونة كم خالط القلب من نزر ووسواس
ظل الذي قال في أبياته حنقاً: (ما بالرزايا ولا بالناس من باس)
أم قاله قائل رَاشَ النصير إلى نحر العدو بهيما ذات أقواس

إلى أن قال:

فكم حوت من همام باذخ شرفاً وجهبذ كأشم في العلا راسي
وزاهد عن حساب المال مال فلا تراه يضرب أخماساً بأسداس
ومن أديبٍ تغذى بالفصاحة من ثدي البلاغة لا من طي قرطاس

وقال فيها:

(١) درر نحور الحور العين ص٦٩٢.

وقـائـل في بكيل بئس ما صنعوا لأنـهـم نـعـم فـتـاك لمـبـتـاس[1]

قـال محقق الكتـاب: إبراهيم المقحفي في الهامش معلقـاً على هذه القصيدة: (ليست لهذه القصيدة إشارة في النسخة الأصل، ولعلها أقحمت إلى الكتاب لأنها لا تتوافق مع منهج المؤلف)[2].

ومـع أن قصيـدة (ابن القاسم) المتحاملة هذه. ربما كانت تمثل وجهات نظر محـدودة حيث نجد من يخالفـه الراي حول (بكيل) وبعضـ تصرفاتها من علماء اليمـن الأعلام كالإمـام الشوكاني، الذي تحـدث عن أولئك الأشـرار وتحدث عن معاداتهـم لأهـل السنة حتى من أهـل اليمن في مواضع كثيرة مـن كتابه الموسوعي (البـدر الطالع) ومن ذلـك قوله: (ومن محن الدنيا أن أولئـك الأشرار يدخلون صنعـاء لمقـررات لهم في كل سنـة، ويجتمع منهم ألوف مؤلفة، فـإذا رأوا من يعمل باجتهـاده في أمـور الصـلاة كأن يرفع يديه عنـد التكبير أو يضمهـا إلى صدره أو يتـورك، أنكـروا ذلك عليه، وقد تحـدث بسبب ذلك فتنة ويتجمعـون ويذهبون إلى المساجـد التـي تقرأ فيها كتب الحديث على عالم من العلمـاء فيثيرون الفتن)[3]، وإذا فتصرفات أولئك الأشرار كانت تطال كل دعاة الخير والفلاح.

ومـع كل ذلـك فانه لم يكن لهـذه القصيـدة ولا لمثيلاتها تأثير علـى استمرار التواصـل الثقـافي بين علماء الوفـد السعودي وبين علماء (كوكبـان) وبعض علماء

---

(١) درر نحور الحور العين ص٦٩٥-٦٩٦.

(٢) المصدر السابق هامش ص٦٩٥.

(٣) البدر الطالع ج٢ ص١٣٦. وانظر كلام الشوكاني عنهم كذلك في الصفحات ١٣٤، ١٣٧ وغيرها.

اليمـن، فقد كانت الصلات بينهم قويـة ومؤثرة يقول جحاف مؤكداً ذلك التواصل الثقـافي بين علماء الوفد السعـودي وعلماء اليمن: (فبعـد أن استقر العلامة عبد الله بن مبارك الأحسائي بكوكبان رغب أهالي كوكبان في أدبه ،ودعوه من مكان إلى مكان، وطارحوه هو وزميله عبد العزيز بن احمد بن إبراهيم غرر المسائل)[(١)].

بـل إن ابـن المبارك هذا كانت لـه صلات متينة بعلماء بلـدة كوكبان، يتواصل معهم ، ويلتقي بهم ، ويسال عن أعلامهم، وذات مرة (سال عن العلامة الكوكباني: (عبـد الله بن عيسـى بن محمد) [(٢)] فقيل لـه إنه (بالأهجـر) [(٣)] فاستغرب ذلك الاسـم الذي ذكره بـ(هجر) [(٤)] إحـدى بلدات الأحساء أو هو أحد أسماء الأحساء،

(١) درر نحور الحور العين ص٦٩٦.

(٢) العلامـة عبد الله بن عيسـى بن محمد بن الحسين الكوكباني (١١٧٥-١٢٢٤هـ): أحد علماء اليمن الكبار وأحـد أعيـان علماء كوكبان فهو عالم محقق في علـوم العربية وعلوم الحديث وهو أديـب وشاعر تلقى العلم علـى والـده وعلى العلامة عبـد القادر الكوكباني والعلامـة علي بن محمد الكوكبـاني والعلامة الحسين بن عبـد الله الكبسي وغيرهم من العلماء الأعلام حتى تفـرد بالعلم في بلده له مؤلفات كثيرة منها: (الحدائق المطلعة من زهور أبناء العصر شقائق) و (اللواحق بالحدائق) و (خلع العذار في ريحان العذار) وله عدة رسائـل ومباحثات مع علماء عصـره كالإمام الشوكاني وغيره ومن رسائلـه: (رسالة في تحريم الزكاة على بنـي هاشـم) و له ديوان شعر. انظر ترجمته في البدر الطالع ج١ ص٣٩١، ٣٩٢، وانظر الأعلام ج٤ ص١١٢، وانظر كذلك في: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) ج٤ ص١٨٩٨ وغيره.

(٣) الأهجـر: قريـة وواد أسفـل جبل كوكبان وهـي إحدى بلدات شبـام كوكبان ضمن عدد مـن القرى والعيون الجاريـة. انظـر كتاب (مجموع بلدان اليمن) للحجري ج١ ص٩٣، وقال العزب: (الأهجر : عزلة من ناحية شبـام قضاء الطويلة) انظر كتابه (تاريخ اليمن الحديث فترة خروج العثمانيين الأخير لعبدالله بن محسن العزب ص٤٦ تحقيق عبدالله الحبشي دار التنوير ببيروت ١٤٠٧).

(٤) هجـر: تطلـق (هجر) على الأراضـي الواقعة شرق الجزيرة العربية على الشاطـئ الغربي للخليج والجزر المقابلة له، من البصرة شمالاً إلى عمُان جنوباً، ومن الخليج شرقاً إلى الدهناء غرباً. حيث تضم المنطقة=

فكتب قصيدة حنين لبلده وأهله وإخوانه يقول فيها:

جرى ذكر هَجْر في خروق المسامع ... سُحيراً ففاضت مقلتي بالمدامع

وقلت عسى طيف يلم بذكرها ... يقرب لي منها إذاً كل شاسع

إذا مرّ ذكراها تذكرت جيرتي ... وإخوان ودّ، في جميع المواضع

لئن هجرتني حين أن كنت غائبا ... خيالي إذن يغزوهم في المضاجع

ويدنيهم مني وان كنت نائيا ... ثنائي عليهم بابتذال المطامع

كأني بهم يوما إذا ما تنادموا ... على كاس بنت البن وسط المجامع

حديثهم (فيني)[1] إلى وقت بينهم ... وان وقعوا مني على كل باقع

فلله ما أحلى وأهنى حديثهم ... وان وقعوا مني على كل باقع[2]

هو الفخر أن فاخرت يوما منازعا ... ففاخر به أن شئت كل منازع

رأيت الندى والفخر يشدو بذكره ... أنا عبدُ عبد الله مُعْطيً مانعي

فقلت شراء؟ قال (لا) بل وراثة ... وحاشاي أن آتيه من كف بائعي

فأنساني اللائي أباهي بذكرهم ... وكانوا كأن لم يجلسوا في الشوارع[3]

= الشرقية من المملكة العربية السعودية وأراضي كل من دولة الكويت ودولة البحرين ودولة قطر وكانت تطلق على هذا الإقليم أسماء كثيرة ك: (هجر) و (البحرين) و (الخط) و (الأحساء) ومن أشهر عيون الأحساء: (عين هجر) سميت بهذا الاسم نسبة إلى: (هجر بنت المكفف) من العماليق التي سميت مدينة (هجر) باسمها. انظر كتاب: (تاريخ هجر) ج١ ص٩-١٩ لعبد الرحمن الملا. مطابع الجواد بالأحساء ١٤١١هـ.

(١) فيني: لفظة عامية ربما اضطر إليها الشاعر ليستقيم الوزن ولو قال: (عني) لكانت أفضل.

(٢) هكذا أورد (جحاف) هذا الشطر تكراراً للشطر الثاني في البيت الذي سبقه فهل هذا خطأ من الناسخ؟ - ربما -.

(٣) درر نحور الحور العين ص٦٩٦.

وهكذا تحقق التواصل العلمي والثقافي كما رأينا برغم كل المعوقات فهاهم علماء كوكبان يدعون بعض علماء الوفد السعودي إلى منتدياتهم ومنازلهم ويتحاورون معهم في قضايا الفكر والأدب ويطلعونهم على بعض الرسائل العلمية التي يثار حول بعضها الجدل فقد اطلع عالم بلدة كوكبان: (عبد الله بن عيسى) العلامة عبد الله بن المبارك الأحسائي على مؤلف للقاضي محمد بن علي الشوكاني انتصف فيه لما صنعه القاضي يحيى السحولي) [1]. في (منع المسلمين من التقاط الأذى لوقيد الحمامات؛ حيث إن القاضي السحولي ألزم اليهود بالتقاط الأزبال والأذى، ومنع المسلمين من ذلك ميلا إلى شرف الإسلام وصيانة لهم عن التلوث) [2].

وحين اطلع عالم الوفد السعودي: (عبد الله بن المبارك) على ذلك الحوار العلمي حول هذه القضية العلمية شارك فيه بفاعلية وتأثير، وقد رصد جحاف ملخصاً لذلك الحوار الذي دار حول إجبار اليهود على التقاط الأزبال التي تستخدم لوقيد الحمامات وركز على مشاركة (ابن المبارك الأحسائي) وعلى رده العلمي على الإمام الشوكاني حول تفسيره للآية الكريمة: « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون «. يقول جحاف: (فاستدل القاضي الشوكاني بأن قوله تعالى: « وهم صاغرون» يقتضي إنزال الصغار بهم، فقال ابن المبارك ما لفظه: أخرج الشوكاني الآية الكريمة من حيز التفسير إلى

(١) المصدر السابق ص٦٩٦.

(٢) المصدر السابق ص٦٩٦.

حيـز التعبير، فـإن الله تعالى بعث نبيه فأمر بقتلهـم أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فقوله: «حتى يعطوا الجزية» أي: قاتلوهم واقتلوهم إلا أن يعطوا الجزية، فإذا اطمأنت نفوسهم على أدائها إليكم في وقتها المضروب فكفُوا عنهم ولا تقاتلوهم ولا تقتلوهم ولا تعرضوا لشيء من خفر ذمة الله... الخ) [1].

وقـد نقـل (جحـاف) رأي (ابن المبـارك الأحسائي) كامـلا في صفحتين من صفحات كتابه: (درر نحور الحور العين) .

أما العلامة حمد الجاسر فبعد أن نقل عن (جحاف) رأي (ابن المبارك) حول هذه القضية قال: (ولم يقف النقاش في هذه المسألة عند حد الشوكاني وابن بُشير الأحسائـي بل شاركهما علماء آخرون كما يتضح من مجموع رسائل تدور كلها حول هذه المسألة وهي:

حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزبال لشيخ الإسلام الشوكاني.

إرسـال المقـال على إزالـة حل الإشـكال للسيد عبد الله بـن عيسى بن محمد الكوكباني.

تفويق النبال إلى إرسال المقال لشيخ الإسلام الشوكاني.

توضيـح وجوه الاختـلال في إزالـة الإشكال للسيـد الفقيه علي بـن عبد الله الجلال [2].

---

(١) درر نحور الحور العين ص٦٩٧-٦٩٨.

(٢) علـي بن عبـد الله بن أحمد الحسني المعـروف بالجلال: (١١٦٩-١٢٤٠هـ) علامـة يمني مجتهد ومؤرخ=

الإعلال لتحقيق المقال لشيخ الإسلام الشوكاني.

ثم تحدث الجاسر حول هذا الموضوع وحول مشاركة الأحسائي إلى أن قال: (والطريف في هذا النقاش أنه تبارى فيه عدد من العلماء اليمنيين، وشارك فيه عبد الله بن بشير الأحسائي[(١)] بما أورد المؤرخ (جحاف) ملخصه من رسالة لا تزال مخطوطة تقع في خمس عشرة ورقة، وأصلها موجود في مكتبة حسين السيّاغي في صنعاء)[(٢)].

وهكذا فقد أعطانا هذا المؤلف اليمني (جحاف) إضافات وتسجيلات متميزة لرجال الوفد العلمي السعودي وما حققوا من صور التواصل الثقافي الفاعل أكد بها حرصهم على أداء رسالتهم بإخلاص وأمانة، متحملين للمصاعب الكثيرة،

=صنعاني كبير، نصبه الإمام المنصور (علي بن العباس) في جملة الحكام بالديوان فحمدت سيرته له مؤلفات كثيرة من أهمها: (التاريخ المختصر في التراجم) جعله طبقات وتحدث فيه عن العلماء، والشعراء، والملوك، والكتاب، وبلغ فيه إلى سنة ٨٢٠هـ، وله كتاب: (الطريق الأسلم في المتشابه والمحكم)، وكتاب (نهاية المأمول في توضيح عبارات جامع الأصول) وغيرها، توفي سنة ١٢٤٠هـ وقيل سنة سنة ١٢٢٥هـ. انظر ترجمته في الأعلام ج٤ ص٣٠٨، وفي البدر الطالع، ج١ ص٤٦٩، وفي نيل الوطر ج٢ ص١٤٥ وغيرها.

(١) مجلة العرب عدد محرم وصفر من عام ١٤٠٨هـ ص٤٩٢-٤٩٨. من مقال للشيخ حمد الجاسر بعنوان: (أديب أحسائي مغمور).

(٢) حسين بن أحمد بن الحسين بن أحمد السياغي الحيمي الصنعاني: (١١٨٠-١٢٢١هـ) ولد بصنعاء ونشأ في حجر والده الذي كان أحد قضاة صنعاء المشهورين وقرأ عليه وعلى غيره من العلماء، حقق في النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والأصول، والمنطق، والحديث، والتفسير، والفقه، وصنف عدداً من المصنفات منها: (حاشية على الروض الناضر في آداب المناظر)، وشرح على مسند الإمام زيد المسمى (الروض النضير) وغيرها من المؤلفات توفي سنة ١٢٢١هـ. انظر ترجمته في البدر الطالع ج١ ص٢١٥، وفي الأعلام ج٢ ص٢٣٢، وفي نيل الوطر ج١ ص٥٠٨-٥١٦ وغيرها.

والمضايقات الجمة.

وكما كانت هناك وفود علمية من البلاد السعودية تصل إلى اليمن وتجري حواراتها العلمية والفكرية مع علمائهم، كان هناك علماء من اليمن يفدون إلى البلاد السعودية ويتحاورون مع علمائها وقادتها ومفكريها، فقد وجدنا العلامة (عبد الله بن عيسى الكوكباني) يرحل إلى مكة المكرمة، ويلتقي بعلمائها ويتعرف على مكتباتهم، ويتباحث معهم في بعض القضايا العلمية ويحاورهم في شؤون الكتب ويسأل عن النادر الموجود منها ويطلب رؤيتها والاطلاع عليها كل هذا يذكره لنا (الحبشي) قائلاً: (وعندما رحل الأديب عبد الله بن عيسى الكوكباني المتوفى سنة (١٢٢٤هـ) إلى مكة التقى بأحد علمائها فكان يسأله بشغف زائد عن كتب ليست موجودة في اليمن، وينقل الحبشي قول الكوكباني: وما سألته عن كتاب إلا قال هو عندي بلا ارتياب فسألته عن كتب يقل وجودها باليمن منها: (نفح الطيب) وعن (نفحة الريحانة) وعن (سلافة العصر) وعن (تاريخ عبد الملك العصامي) وأطلعني على الكتابين الأخيرين) [1].

وسواء أحققت تلك الرسل من الطرفين كل أهدافها أم لا فلا شك بأنها قد حققت شيئاً منها بل أشياء كثيرة، فلقد تأكد التواصل الثقافي وآتت تلك الاتصالات التي أجرتها وفود البلدين ثمارها.

(١) الأدب اليمني في عصر خروج الأتراك الأول من اليمن.

فكما استطاع (ابن محمسة) و (الكبسي)، و (الكوكباني) وزملاؤهم محاورة علماء البلاد السعودية وأئمة الدعوة السلفية، تمكن العلماء الموفدون من البلاد السعودية كابن المبارك الأحسائي وزملاؤه من محاورة علماء اليمن ومشاركتهم في لقاءات علمية فاعلة تمخضت عن مذاكرات ومراسلات وقصائد متبادلة وثقها لنا المؤرخ (جحاف) في كتابه: (درر نحور الحور العين)، وأشار إلى بعضها الإمام الشوكاني في كتابه (البدر الطالع) وتلك الاتصالات والحوارات قد رسخت ما بين البلدين الجارين من صلات ثقافية ذات جذور عميقة.

ولقد حرص (جحاف) على رصد كثير من تلك الحوارات وبخاصة ما دار بين علماء الوفد السعودي الذين طال بهم المقام في بلدة (كوكبان) وبين بعض علماء اليمن حتى لقد سجل ما دار بينه وبين بعضهم شخصياً حيث كان يحاورهم في أمور كثيرة ويسأل عن أحوال شتى؛ فقد سأل عن بعض أئمة الدعوة وقادتها، وسأل عن أنسابهم، وسأل عن أبنائهم، وسأل عن أمور أخرى فمن أمثلة ذلك: أسئلته عن إمام الدعوة وأبنائه؛ نجد جحاف يقول مثلاً عن أحد أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[1] قال ابن المبارك فيما كتبه إليّ هو رجل متضلع في حفظ متون الحديث وعقائد الناس وله مشاركة في علم

---

(١) الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي: (١١٦٥-١٢٤٣هـ)، ولد في الدرعية وتلقى العلم على والده وبرز في علوم الشرع، ثم تولى الإفتاء بعد وفاة والده، له عدة مؤلفات ومنها: مختصر السيرة النبوية، وقد أخذ عنه العلم مجموعة من العلماء، توفي بمصر سنة ١٢٤٢ هـ. انظر هامش ص١٨٥ من ديوان صالح بن سليمان بن سحمان. تحقيق إبراهيم الفوزان، طبع دار الفكر دمشق ١٤٠١هـ.

النحـو، واللغة، والفقـه، وله أخ يسمى علي بن محمد بن عبـد الوهاب[1] وهو رجل عارف بتفسير كتاب الله تعالى، يحفظ أقوال السلف، وله مشاركة في علم الحديث، والفقـه، والعقائد، وهو أشدهم ورعاً، وأقواهـم في دينه، وله أخ يسمى إبراهيم بن محمـد بن عبد الوهاب...... إلـخ)[2] واستمر في ذكر أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهـاب وسرد أحوالهم نقلاً عن ابن المبارك الـذي كانت له معه حوارات لا تنتهي كما كانت له حوارات أخرى مع الرجل الثاني في الوفد العلمي السعودي الشيخ عبد العزيـز بن أحمـد رصد كثيرا منها أيضا، من ذلك قولـه: « ودارت بيني وبين عبد العزيز بن أحمد مسائل أنكرتها على محمد بن عبد الوهاب وقومه »[3].

ثـم سرد تلـك المسائل التي حـاور فيها العلامـة السعودي عبـد العزيز وذكر إجابته عنها.

ويقول في موضع آخر راصدا لبعض حواراته مع ابن المبارك الأحسائي: «وكتب إلي ابـن المبـارك الإحسائي مفصلاً لأحوال أولاد عبـد العزيز بن محمد بن سعود فذكـر سعـود بن عبد العزيز وقال إنه ولد سنة ثلاث وستين ومائة وألف ثم ذكر لي

(١) الشيـخ علـي بن محمد بن عبد الوهـاب بن سليمان التميمـي: (....-١٢٤٥هـ)، ولـد بالدرعية وتتلمذ على والـده، وبـرز في علـوم عدة، وبعد سقوط الدرعية على يد محمد علي باشا نُقـل ضمن من بقي من أسرة آل الشيـخ إلى مصـر، وبقي هنالك إلى أن توفي سمة ١٢٤٥ هـ. انظـر شيئا من ترجمته في هامش ص ١٨٥ من ديوان ابن سحمان، تحقيق إبراهيم الفوزان.

(٢) انظر عقود الدرر لعاكش ج٢ ص٧٦٨.

(٣) درر نحور الحور العين لجحاف ص٥٥٠-٥٥٢.

أولاد سعـود فقـال: عبد الله أكـبر أولاده ....) [1]. وبعد أن ينهـي النقل عن (ابن المبارك الإحسائي) يقول: « وأخبرني بعض المكيين ممن لهم اطلاع على خاصة عبد العزيـز بن محمد بن سعود ...... إلخ) [2]. ونجده في موضع آخر يقول: «وأخبرنا عبد الله بن المبارك الأحسائي عن نسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبمثل خبره أخبرنـا عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم النجـدي اليمامي قالا: هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ...» ثم ساق نسبه وشيئاً عن حياته رواية عنهما، وهكذا فقد كان الحوار العلمي والثقافي متصلاً بين علماء ومفكري البلدين.

- لقـد كان التواصل بـين علماء الوفد السعـودي وعلماء اليمن قويـاً ومؤثراً، وبخاصـة علماء الوفد السعودي الذين أقاموا ببلـدة (كوكبان) مدة تزيد عن ستة أشهـر بانتظـار أن يؤذن لهم بمقابلة الإمام، فكان وقـت انتظارهما الطويل فرصة لتقوية التواصل بينهم وبين علماء بلدة كوكبان،وبينهم وبين بعض علماء اليمن.

ولأن هذه الأوراق ليست معنية بتفاصيل قضايا الاتصال السياسي بإمام اليمن وتفاصيـل استقبالـه للوفد لذلك فلن نطيـل الوقوف عندها وسنكتفـي بالإشارات الموجزة لأن الذي يعنينا هو تحقق التواصل الثقافي بين علماء ومفكري البلدين.

لقـد وصلت قصيدة عبد الله بن المبارك الإحسائـي مع مقدمتها النثرية إلى إمام اليمن وأحيط علماً بما حصل للوفد العلمي السعودي من الحصار والمضايقات

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٤٩.

وبخاصة من قبائل بكيل وهمدان (إذ كانوا قد تحشدوا وأرادوا الفتك بهم وقد تحدثوا بأنهم لو ظفروا بأحدهم أو بجملتهم لما تركوهم على قيد الحياة)[1] لذلك وجه الإمام بحمايتهم ونقلهم إليه في صنعاء (فبادر سيف الإسلام حين علم بالخطر المحدق بذلك الوفد واستنزلهم من كوكبان ومنع عليهم من قبيلة همدان)[2] وبذلك تحقق أمر وصول الوفد العلمي السعودي إلى صنعاء في يوم الخميس السادس من شعبان من سنة ألف ومائتين واثنين وعشرين في مشهد ذكر تفصيله (جحاف) كما سرد بعض الترتيبات التي وضعت لذلك الوفد أثناء مقابلته للإمام وخلال إقامته بصنعاء وما وجه به الإمام لاستقبالهم والحفاوة بهم، ومضى (جحاف) في وصف كل ذلك برصد تفصيلي إلى أن قال: «وكان الإمام قد منع دخول الناس إليهم ومنع الوفد من الخروج، ثم أطلق لهم العنان فخرج علماء الوفد السعودي وقصدوا الأعلام اليمنيين إلى منازلهم، فنزلوا بالقاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني، وبالمحدث الهاشمي: عبد الله بن محمد الأمير، ونزلوا عليَّ، وذكروا لي محبتهم لملاقات حفظة السنة، فاجتمع بهم عندي خلق، كالعلامة: إبراهيم بن عبد القادر، وإبراهيم بن محمد بن يحيى المهدي، وإبراهيم بن عبد الله الحوثي، والحسن بن يحيى الكبسي في أناس آخرين .... وسألني عنهم بعض المتأدبين فترجمتهم له، فرغب في مكاتبتهم)[3].

(١) درر نحور الحور العين ص٦٩٩.

(٢) المصدر والصفحة السابقين (بتصرف).

(٣) درر نحور الحور العين ص٧٠٠.

وقـد تحدث (جحاف) عن لقاءات كثيرة وحوارات لرجالات هذا الوفد وغيره مـن الوفود.. مما شكل أنموذجاً للتواصل الثقافي الذي آتى ثماره اليانعة بين علماء ومفكري البلدين كأجمل ما يكون التواصل الفكري والثقافي، وكان من عوامل نجاحه وتحققه سعة صدور علماء البلدين المتحاورين وفهمهم لروح الدين وسماحته ولروح الفكر وروح الإخاء في الله وما أبداه علماء البلدين الجارين من سعة أفق وسماحة في تقبل ما لدى الآخر وفي مقدمتهم: إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونفر من تلامذته العلماء الأجلة ممن ذكر بعضهم في ثنايا نقلنا عن جحاف أو ممن لم نذكرهم من الأعلام وهم كثيرون لا يتسع المجال لاستعراضهم وجلهم ممن نشروا الدعوة بصبر وجلـد وإخلاص وتفان مشهود. يقابلهم ويماثلهم في سعـة الأفق عدد من العلماء الأجلة في اليمن (بلد العلم والعلماء) وفي مقدمتهم الإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢-١٢٥٠هـ) الذي (كان معجباً ببعض آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب) [١] والذي تابع نشاطـات أئمة الدعوة السلفية عن كثب واستقبل بعض وفودهم العلمية ورصد في كتابه: (البدر الطالع) معلومات قيمة عن الوفود العلمية المتبادلة بين البلدين.

وكذلك العلامة: لطف الله جحاف الذي كان ينسق لبعض اللقاءات بين علماء الوفـد السعودي وعلماء كوكبان وبخاصة حينمـا كان رجال الوفد العلمي السعودي يقيمون في بلدة كوكبان.

وإلى جانب هذين العالمين اليمنيين الفاضلين نجد علماء آخرين سابقين لهما

(١) مقدمة ذكريات الإمام الشوكاني ص١٠-١١، وانظر كتابه: البدر الطابع ج٢-ص٧ وما بعدها.

ولاحقين ممن تحاوروا مع علماء الدعوة السلفية بوعي وسعة بال وتقبل لمجريات الحوار، فمن السابقين العلامة الكبير:

صلة العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١٠٩٩-١١٨٢هـ) بعلماء بلاد الحرمين وبالشيخ محمد بن عبد الوهاب

كان أحد العلماء المشهورين على مستوى العالم الإسلامي في زمنه، كتب عنه كثيرون وألفت عنه الدراسات والكتب وترجم له عدد كبير من كتاب التراجم وأصحاب الموسوعات، وصفه العلامة إسماعيل الأكوع بأنه: (الإمام المطلق المجتهد الملقب بالبدر، عالم مبرز في علوم المعقول والمنقول ولا سيما علوم الحديث الذي انتهت إليه رئاستها)[١]، وقال عنه صاحب نفحات العنبر: (شيخ مشائخنا الامام العلامة المجتهد المتقن المتفنن المحدث الحافظ خاتمة المحدثين وسلطان الجهابذة واستاذ الاساتذة صاحب المصنفات المشهورة)[٢]، ونعته آخرون بنعوت كثيرة هو جدير بها، لعلنا نكتفي باختصار ترجمة كتبها عنه معاصره الإمام الشوكاني وقال فيها: (الإمام الكبير صاحب التصانيف الكثيرة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ولد بكحلان سنة١٠٩٩هـ وانتقل مع والده إلى صنعاء سنة ١١٠٧هـ فأخذ العلم على علمائها، ورحل إلى مكة وأخذ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة وبرع في جميع العلوم.... له مصنفات جليلة منها: (سبل السلام) و(منحة الغفار) و(العدة) و (شرح الجامع الصغير للسيوطي)

---

(١) هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٤ ص١٨١٥-١٨٥٧.

(٢) نفحات العنبر في تراجم أيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر لإبراهيم الحوثي ج٣، ص٣٢١،.

وكتاب: (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) وكتاب: (توضيح الأفكار على تنقيح الأنظار) وغيرها من المصنفات وله ديوان شعر جمعه ولده عبد الله في مجلد كبير وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين توفي رحمه الله سنة ١١٨٢هـ) (١).

- لقد كان العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني – كما رأينا- سابقاً لجحاف والشوكاني زمناً كما كان سابقا في تواصله مع أئمة الدعوة السلفية – كما سنرى- ؛ لذلك فإنه كان يمثل رمزاً ثقافياً مهماً من رموز الثقافة اليمنية بل والعربية، وكان في مبادراته يجسد أقوى نماذج التواصل الثقافي الفاعل بين اليمن والبلاد السعودية آنذاك فقد كان تواصله الثقافي مستمراً قبل انطلاق الدعوة السلفية وبعد انطلاقها، نجد البراهين على ذلك في ديوانه الذي حفظ لنا قصائد كثيرة، راسل بها علماء في الأحساء وعلماء في مكة المكرمة، وعلماء في المدينة المنورة، كما نجدها في رسائله التي راسل بها بعض علماء تلك الجهات، وكان لإقامته أحيانا في الديار الحجازية صدى كبيرا في شعره فقد اشتمل ديوانه على قصائد في مدينة الطائف، وقصائد في مدينة جده، وحفظ لنا ديوانه بعض قصائد وجهها إلى بعض علماء المخلاف السليماني، وكثير من تلك القصائد ذُكرت مناسباتها وسُجل تاريخها وغالبها قبل النصف الأول من القرن الثاني عشر، فقد

---

(١) انظر ترجمة العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في: البدر الطالع ج٢ ص١٣٣-١٣٩، وفي الأعلام ج٦ ص٣٨، وفي عنوان المجد ج١ ص٥٣-٥٤، ١٣٩، وفي درر نحور الحور العين لجحاف ص٣٠، ٣١، وما بعدها، وفي نشر العرف ج٣ ص٢٩-٦٨ وفي كتاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٤ ص١٨١٥، وفي كتاب: نفحات العنبر ج٣ ص ٣٢٠-٤٣٦ وغيرها وغيرها.

راسـل العلامة محمد بن سالم وصال الأحسائـي في سنتي ١١٢٧هـ[١] و ١١٢٨هـ[٢] وكتب لمدينة الطائف في عام ١١٤٠هـ قصيدة يقول في بعض أبياتها:

ورجعنا من مكة نقصد الطـ ـائف نار لحرها إشعار
واقتطفنا لطائف الطائف وفي الروض تقطف الأنوار
حبذا هذه الديار فلولا حب من لا يقر عنهم قرار
لا تخذنا بها دياراً وأهلاً وسلونا أرضاً إليها يُسار
حبذا بلدة بها لذة العيش وكأس السرور فيها يدار
بلد أخصبت رياضاً وأرضاً وتغنت في دوحها الأطيار
بلد خُصصت بما هو فيها من حبور تنفى به الأكدار[٣]

وعن (المحصب) من (منى) وجيرته وخلانه يقول العلامة الأمير الصنعاني متشوقاً:

فيا أين أيام تولت على الحمى وليلِ مع العشاق فيها قطعناه
ونحن لجيران (المحصب) جيرة نوفي لهم حسن الوداد ونرعاه
نَحِنُّ إلى تلك الربوع تَشَوُّقاً ففيها لنا عهد، وعقد عقدناه [٤]

وهكذا تتأكد صلات العلامة محمد بن إسماعيل الأمير العلمية والفكرية بعلماء

---

(١) ديوان محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص١٧٣، تقديم وإشراف علي صبح المدني، القاهرة، دون ذكر اسم دار النشر أو تاريخه.

(٢) المصدر السابق ص٢٥٧.

(٣) المصدر السابق ص١٨٩.

(٤) هـذه الأبيـات الثلاثـة اقتطعناها من قصيدة: (ذكـرى الحج ومنافعه) ص٩-١٠، لمحمـد بن إسماعيل=

ومفكـري بلاد الحرمـين قبل ظهور الدعـوة السلفية، ثم تضاعفـت تلك الصلات الثقافيـة بعد قيام الدعوة فقـد أيّد الصنعاني إمامها وباركها فكاتب الشيخ محمد بـن عبد الوهاب بقصيدته الشهيرة التي تجاوزت أبياتها السبعين بيتاً، مؤكدا فيها دعمـه وتأييده للمنهج السوي الذي تسير عليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ ولعـل لنشأة العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في بيئة علمية، واتصاله المبكـر بعلماء الحرمـين وتلقيه علوم السنـة على كبارهم لعل لذلـك وغيره تأثيره المباشر في اهتمامه الكبير بعلـوم السنة المطهرة وفرحه بانطلاق الدعوة السلفية، ومسارعته إلى مباركتها وتأييدها كل هذا تؤكده مسيرته العلمية بوضوح؛ فقد تلقى العلـم على علماء بلده ثم رحل مـراراً إلى مكة المكرمـة وإلى المدينة المنورة ودرس علـى كبار علماء الحرمين، وأطال الإقامة في بعض رحلاته بمكة وألف فيها بعض كتبه ومنها: كتابه: (الإحراز لما في أساس البلاغة من الإيجاز) [1] كما أقام بجده والطائـف وكتب لهما القصائد الحسان، وفي مقدمة ديوانـه الذي قدَّم له وأشرف على طبعه العلامة: علي السيد صبح المدني بيان برحلاته الكثيرة إلى مكة المكرمة والمدينـة المنـورة، وإشـارة إلى أن بعض رحلاتـه كان فراراً من المكائـد التي كانت تثـار عليه في بلده بسبب نشره لعلوم السنة واهتمامه الكبير بها[2]، كما ذكر مقدم

= الأمـير الصنعاني وهي قصيدة طويلة يصل عـدد أبياتها إلى مائتين وثلاثة وثمانين بيتاً، حققها الدكتور. ناصـر بـن علي بن عايض بن حسن الشيخ وطبعت مع كتـاب: (منسك في هدي المصطفى في حجة الوداع) للأمير الصنعاني نفسه وبتحقيق الدكتور ناصر أيضاً، من مطبوعات دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٣٠هـ.

(١) انظر مقدمة الديوان ص٩.

(٢) مقدمة ديوان محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص٨. وعن بعض المكائد التي ابتلي بها (الصنعاني) =

الديوان مشايخ الأمير الصنعاني في مكة المكرمة وفي المدينة ومنهم: العلامة محمد بن أحمد الأسدي – نسبة لآل الأسدي بالمخلاف السليماني –[1]، والعلامة: أبو الحسن بن عبد الهادي السندي المدني، والعلامة: عبد الرحمن الخطيب بن أبي الغيث، والعلامة: طاهر بن إبراهيم الكردي المدني، والعلامة: الحسن بن الحسين شاجور، والعلامة: سالم بن عبد الله البصري .... الخ[2].

وتحدث المدني (مقدم ديوان الصنعاني) عن مشايخه في اليمن فذكر منهم العلامة: صلاح بن حسين الكحلاني، والعلامة: علي بن محمد العنسي، والسيد هاشم الشامي وغيرهم.

وحين تتصفح ديوان الصنعاني تجد فيه القصائد الطنانة الموثقة بتواريخ مناسباتها منها ما كاتب بها بعض مشايخه الذين تلقى عليهم العلم في مكة والمدينة، ومنها قصائد كاتب بها بعض زملائه في الطلب، أو كاتب بها بعض تلامذته ومحبيه في بلاد الحرمين.

يقول العلامة: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في بعض أبيات قصيدة يتحدث فيها عن مشائخه في مكة المكرمة والمدينة المنورة:

= انظر في كتاب البدر الطالع للشوكاني ج٢ ص١٣٣-١٣٩.

(١) وهو والد العلامة الشاعر: أحمد بن محمد الأسدي انظر ترجمته في كتابنا: (الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون) في الصفحات (٢٩٢-٣٠٢) حيث ذكرنا بأن والده العلامة محمد بن أحمد الأسدي كان أحد علماء مكة الكبار في زمنه وأشرنا إلى أهم مصادر ترجمته.

(٢) مقدمة ديوان محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص٦، ٧.

وأمـا شـيوخي في العـلوم فإنهم — أئـمـة أهـل الأرض في كـل مشهد

إلى أن قال:

وفي طيبة الفيحا شيوخي ومكة — شيوخ علومي في الحديث المحمدي

أئـمـة علـمٍ ليس في الـنـاس مثلهم — لهم سندٌ عـالٍ على كـل مسند[1]

وهاهو في صفحة ٣٣٥ يوجه لمشائخه في بلاد الحرمين قصيدة يتعهدهم فيها، كما يكتب قصيدة أخرى لأشراف مكة في ص٣٧٠ يبثهم فيها حنينه ويشاركهم بعض الرؤى، ويكاتب شيخه المدني: أبو الحسن السندي بغرر قصائده[2] كما سنرى.

وهكـذا فقد ظلت تربطـه بعلماء الحرمين صلات متينـة كان وفياً لها كيف لا وهم مشائخه؟ (وقد استجازهم في علوم السنة) [3].

وكما استمر تواصـل الإمام الصنعاني مع مشائخه فقد ظل وفياً لزملائه وها هو يتذكر رفيق دربه وصديقه العلامة: الحسن بن علي البهكلي (١٠٩٩-١١٥٥هـ) الـذي كانـت له معـه أُلفة وتواصل في أيـام الطلب، غير أنه بعـد أن أصبح البهكلي حاكمـاً لأبي عريش اشتغـل بعمله في القضاء عـن مواصلة الأصحـاب، فكتب إليه العلامة الصنعاني معاتباً يقول:

سلا إن مررتم عن فؤادي على سلع — وقولا لقد طال الوقوف بذا الربع

ولا تـسـمـعـاه في الخـطـاب ملامـة — مـلام جـفـوني مـا تمكن مـن جذعي

---

(١) ديوان الأمير الصنعاني ص١٥٠.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٣.

(٣) النهضة الأدبية في اليمن ج١ ص٩١.

تعاملني بالفضل إن رمت وصلها كأني معدود من الجمل السبع
وغانية بالجزع حلت وحليت به، فهي لاستخدام قلبي تستدعي

وبعد وقوفه على الأطلال – كعادة الشعراء الفحول – وبعد ذكره للأحباب يعود إلى غرضه فيقول:

أفيقا فقد غالطت في البحث مقصدي فو الله ما بالجزع قلبي ولا سلع
ولكن إذا عرّجتما بتهامة فعوجا بها واستفتيا حاكم الشرع
وقولا له هل جاز في شرعة الوفا مقاطعة الإخوان، أو صحَّ في السمع
وهيهات يفتي بالجواز وإنما أريد بذا إلزامه حجة (القطع)
وماذا الذي أنساه ذكر أخوتي وهلا رفا خرق التهاجر بالرقع

ويداعب صديقه البهكلي بأبيات لا تخلو من الطرافة يقول فيها:

أَزهَدَهُ في الخمول؟ وأنه سما جُلّ أترابي إلى الجاه والوسع؟
وحصَّل مملوكاً، وداراً، وبغلةً وأسرج مركوباً، وسرَّج بالشمع؟
وأني على ما كان يعهدُ، خامل؟ ولم أتحوّل عن طريقي، وعن وضعي[1]

وهي قصيدة إخوانية طويلة، عرَّج فيها بعد عتابه الرقيق للبهكلي إلى الهمّ العام، فشكا غربته، وحنَّ لإخوان الوفاء، وتألم لواقع الإسلام والمسلمين بشاعرية متدفقة.

– وكان الإمام الصنعاني قد راسل قبل ذلك عالم الأحساء العلامة: محمد بن سالم وصَّال الأحسائي[2] رداً على مكاتبة وصلت من الأحسائي إلى الإمام الصنعاني

(١) ديوان الأمير الصنعاني ص٢٤٥-٢٤٧.

(٢) العلامة: محمد بن سالم بن وصال الأحسائي: (....-....) تفرد بترجمته محمد محمد زبارة ولم يذكر=

في عام ١١٢٧هـ يخبره فيها برحلته إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج.. فردّ عليه الصنعاني قائلاً:

أقلب قلباً بعد بُعدك في الجمر　　وأسبل دمعاً في خدودي كالجمر
وأسأل عنكم كل غادٍ، ورائح　　وهيهات ما الأخبار تغني عن الخبر

إلى أن قال في بعض أبياتها:

سلام على الأخ الكريم ابن سالم　　سمِّي حبيب الله في الشرف الوفر
فتىً، كملت أخلاقه، فنظيره　　يَعِزُ إذا فتشت عنه بني الدهر
وحق علوم قد أدرنا كؤوسها　　تشنفها الأذهان أحلى من الخمر
لأنت وإن طال النوى وتباعدت　　ديارك، لا ينساك قلبي من الذكر

إلى أن يقول مؤكداً لذلك التواصل، (ومُضمِّناً):

وقد وصلت منكم إلينا رسائل　　جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري (١)

كما رد على قصيدة أخرى وجهها إليه (ابن وصال الأحسائي) فقال الأمير الصنعاني:

بنت فكر وافت كشمس النهار　　فعلت في الفؤاد فعل العقار
يا لها من خريدة صاغها الفكر　　فازرت بسائر الأشعار

=له تاريخ ميلاد ولا تاريخ وفاة ولم يتحدث عن نشأته واكتفى بالقول: (هو رجل صالح فاضل له اشتغال بالعلم، وصل إلى صنعاء في سنة: ١١٢٢هـ وقرأ على السيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني شرح (الغمرطاشية) في النحو، وقرأ عليه في قواعد الإعراب الكبرى لابن هشام، وطلب من الأمير (البدر) نظمها؛ فنظمها نظماً بديعاً، ثم سافر الشيخ محمد بن سالم الأحسائي من اليمن ولم تزل مكاتبته إلى السيد محمد الأمير الصنعاني مستمرة .....) انظر كتاب: نشر العرف لزبارة ج٣ ص١٦٤.

(١) الديوان ص١٧٣، والشطر الثاني ضمَّن فيه العلامة الصنعاني شطرا من بيت شعري للشاعر العباسي: (علي بن الجهم) يقول فيه: **عيون المها بين الرصافة والجسر & جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري.**

قد سمعنا فيها طيور المعاني ساجعات تغني عن الأوتار
أنت ربان كل بحر نظام جئت بالفلك حاملاً للدراري
إن أرضاً نشأت في سوحها الر حب لأرض الكرام والأحرار

إلى أن قال مخاطباً للأحسائي:

إن أرض الحسا افتخاراً وفخراً ستزاحم مصراً وكل الديار

إلى أن يقول الصنعاني:

قد علمنا أن العلوم ستحيا بك في جملة من الأقطار
لك ذهن به تفض المعاني وغرام بالعلم، لا بالجوار
فانفق العمر في طلابك للعـ ـلم ففي العلم غاية الافتخار
وتطلب علم الحديث سماعاً من شيوخ رووه في الأسفار
إن علم الحديث علم رجال أنفقوا فيه طيب الأعمار(1)

وكتب العلامة الصنعاني قصيدة إخوانية أخرى يتشوق فيها للقاء العلامة محمد بن سالم وصال الأحسائي فقال فيها:

فؤاد، إلى لقياكم الدهر مشتاق وقلب وإن جد النوى لك خفاق

إلى أن قال:

يعز على قلبي فراق محمد وأن يتناءى منه خلق وأخلاق
أيا ابن (وصال) أين وصلك إنني أرى الاسم لكن ما لمعناه مصداق

(١) ديوان الصنعاني ص١٧٤-١٧٥.

فجيد (أزال) [1] بعد بعدك عاطل   وكان عليه من معاليك أطواق

إلى أن قال:

لئن فرقت بيني وبينك غربة   فقد جمعتنا بعد ذلك أوراق [2]

وهكذا كان الأمير الصنعاني مثالاً حياً للتواصل الثقافي بين بلاد الحرمين وعلمائها وبين اليمن وعلمائه وكانت بلاد الحرمين ومعالمها وعلماؤها وأعلامها حاضرة في عقل الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ووجدانه قبل ظهور الدعوة السلفية بعشرات السنين، وكان الصنعاني حين يراسل علماء بلاد الحرمين يؤكد في رسائله على اهتمامه بنشر علوم السنة ويبثهم بعض معاناته بسبب نشرها فقد كتب إليه شيخه أبو الحسن السندي رسالة وجهها إليه من المدينة المنورة وضمنها البيت المشهور:

وخير الأمور السالفات على الهدى   وشر الأمور المحدثات البدائع

فرد عليه تلميذه الصنعاني بقصيدة طويلة يقول في بعض أبياتها:

لقد خلطت بالابتداع عقائد   ترى كل ذي علم عليها يدافع

يدافع عما أسس الناس قبله   ويبني على ما أسسوا ويشايع

إلى أن قال:

لقد فاض بحر الابتداع وأصبحت   قلوب ذوي التقليد فيها المصانع

---

(١) (أزال): اسم من أسماء مدينة صنعاء التاريخية قال في معجم البلدان سميت باسم: (صنعاء بن أزال) انظر معجم بلدان اليمن وقبائلها للقاضي الحجري ج١ ص٦٩.

(٢) ديوان الامير الصنعاني ص٢٥٧-٢٥٨.

فمن لك بالفحل الذي لا تهوله ... سيوف ابتداع جردت وزعازع
فكل مقال غير قول محمد .... عن الله، أو عنه، فذاك قعاقع[1]

كما كاتب العلامة الصنعاني علماء مكة بقصيدة شكا فيها سوء الأحوال وقدمها بقوله: (وكنت قلت أبياتاً إلى إخواننا من أهل مكة المشرفة أصف لهم الواقع، وأستمد دعاءهم، وأذكر لهم ما نقم منا أهل جهتنا .... بسبب اشتغالنا بنشر السنة وإعلائها ....) ثم ساق الأبيات التي أرسلها لعلماء مكة من السجن – كما – يقول (زبارة) [2].... ومن تلك الأبيات قوله:

لقد صدرت إلى أعلى مقام ... لإعلام وأعلام كرام
تسير مهامهاً وتمر بيداً ... وتياراً إلى البلد الحرام
وتهدى من (أزال) من أسير ... لودكم السلام من السلام
وتلتمس الدعا من كل برّ ... وبحر زاخر يشفي أوامي

إلى أن قال الصنعاني:

وما آليت جهداً في بلاغ ... وتنبيه لأبناء الأنام
وتطهير اعتقاد من شريك ... بسهم صائب عرض اللئام)[3]

وهكذا استمر الأمير الصنعاني يشكو الحال لمشائخه في بلاد الحرمين ويتواصل معهم ملتمساً الدعاء الصادق بأن ينصر الله السنة المحمدية وأن ينصر

(١) المصدر السابق ص٢٣٣.

(٢) نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ج٣ ص٤٢.

(٣) ديوان الأمير الصنعاني ص٣٣٤ ، ٣٣٥.

من نصرها.

ولم يكتف العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في اتصالاته وتواصله الثقافي بعلماء ومفكري بلاد الحرمين بالمراسلات الشعرية فقد كاتبهم شعرا ونثرا، وهو في نثره ينتقي العبارة الجميلة القريبة من الجمل الشعرية مشكلا بذلك أنموذجا راقيا لأدب الرسائل، فمن رسائله النثرية التي وجهها لبعض علماء بلاد الحرمين هذه الرسالة التي أرسلها للعلامة عبد الهادي بن بكري العجيلي عام ١١٧٩هـ وأكد فيها على انتصاره للسنة النبوية وإعلاء شأنها يقول الصنعاني في رسالته: (من الفقير إلى الله محمد بن إسماعيل الأمير عفا الله عنهما وتفضل برضوانه عليهما إلى أخيه في الله وولده الشيخ العلامة التقي البَرِ الأوحد النقي، زينة الإخوان في طاعة الرحمن من جمع الله شمل قلبه شمل قلبي، وامتزج حبه إياي بحبي، نور الإسلام ورفيقنا إن شاء الله في دار السلام الشيخ عبد الهادي بن الشيخ بكري بن محمد، أدام الله توفيقه وهدانا وإياه إلى أشرف طريقة، وإلى طريق سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإنه شرفنا كتابكم الكريم، وشربنا من كأس خطابكم كأسا (مزاجه من تسنيم) وقرأنا منه ألفاظا أشهى من الحلوى، وأطيب من تلاقي قلوب أهل التقوى، وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله: (إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف.......) إلى أن قال الصنعاني في بعض مقاطع رسالته: (وقد عقدت بيني وبينكم عقد الوداد الذي لا ينحل إلى يوم المعاد، يوم نرجو

شفاعـة سيد الأنام في يوم يقوم الناس لـرب العالمين ....) [1]، وهي رسالة أدبية علميـة إخوانية جميلة ختمها العلامة الأمير بالدعاء لصاحب (رجال ألمع) وطلب منه خالص الدعاء واستمرار التواصل.

وعلامة كالأمير الصنعاني، ذلك نهجه وهذا معتقده، وتلك مواقفه التي تؤكد اهتمامـه بمـا أثر عن السلف الصالح كما تؤكد ذلك (كتبه التي ألفها في الرد على المشركـين، وفي الرد كذلك على المعتقديـن في الأشجار والأحجار، وكتبه التي ألفها في الـرد على أهل وحدة الوجود) [2]، ورسائلـه الشعرية والنثرية إلى علماء السنة في بـلاد الحرمين، علامة كهـذا لا يستغرب منه فرحه الشديـد بالدعوة السلفية، ومبادرتـه بتأييدها وثناؤه على أئمتها، ولا يستكثر منه إعجابه بالمنهج السوي الذي يسـير عليـه إمامها الشيـخ محمد بن عبد الوهـاب كما عبَّرت عنـه قصيدته التي وجهها إليه قائلاً في مقدمتها النثرية:

(ولما طارت الأخبار بظهور عالم في (نجد) يقال له (محمد بن عبد الوهاب) ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣هـ وأرسلناها من طريق مكة المكرمة وهي:

---

(١) الكتاب الدوري: (حوليات سوق حباشة) العدد الأول ص١٤٢-١٤٣، كتاب سنوي يصدره الدكتور عبد الله أبو داهش وهذا العدد من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤١٦-١٤١٧هـ.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي الحنبلي ج١ ص٥٢-٥٤..

سلامي على نجدٍ، ومن حلَّ في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رباها، وَحَيَّاها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح أن سرت ... ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجدا وأهله ... لقد زادني مسراك وجدا على وجدي

إلى أن قال:

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ظل عن منهج الرشد
(محمد) الهادي لسنة (أحمد) ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الردِ والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل قدراً عن الردِ
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه، فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً ... مشاهد ظل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى (سُواع) ومثله ... (يغوث) و(ود) بئس ذلك من ودِ[1]

وهي قصيدة طويلة تزيد أبياتها عن السبعين بيتاً أكد فيها الأمير الصنعاني تأييده للدعوة السلفية وإمامها (ابن عبد الوهاب) ولقد كان لهذه القصيدة صدى واسعاً في الأوساط العلمية وكانت محل تقدير وإعجاب عدد من العلماء والمفكرين، فأشاد بها

(١) ديوان الأمير الصنعاني ص١٢٨-١٣٢.

وبموقف الصنعاني الداعم للدعوة السلفية وصاحبها عدد كبيرٌ من العلماء والمؤرخين وفي مقدمتهم المؤرخ عثمان بن بشر الذي نقل من هذه القصيدة أكثر من نصفها في كتابه: عنوان المجد، مشيداً بها وبقائلها وبمن قيلت فيه[1]. كما أشار إليها العلامة البسام في الجزء الثاني من كتابه: (علماء نجد خلال ستة قرون) [2] و (أشار إليها وإلى صاحبها مؤرخ وعلامة المخلاف السليماني الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١-١٢٩٠هـ) في كتابه: (الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني) [3] وأشاد بها وبالصنعاني: العلامة مسعود الندوي في كتابه: (محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه) كما تحدث عنه وعن هذه القصيدة: عبد الواحد راغب في كتابه: (مطالعات في الكتب اليمنية ص٣٤٥) وتحدث عنها علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في بحثه القيم: (الصلات الأولى بين الدرعية وصنعاء) [4] وتحدث عنها وعن قائلها أيضاً عبد الله سعود القباع في كتابه: (العلاقات السعودية اليمنية) [5]، ولم يخل كتاب باحث، أو مؤرخ، تناول فترة بداية تأسيس الدولة السعودية الأولى وظهور

---

(١) عنوان المجد ج١ ص٥٣، ٥٤، ٥٥.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ج٢ ص٣٦٥.

(٣) الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني للعلامة الحسن بن أحمد عاكش ص٧٩، تحقيق إسماعيل البشري، من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٣هـ.

(٤) مجلة العرب، العددان محرم وصفر من عام ١٤٠٨هـ، ٤٣٣ -٤٣٥ الافتتاحية للشيخ حمد الجاسر بعنوان: (الصلات الأولى بين صنعاء والدرعية).

(٥) العلاقات السعودية اليمنية لعبد الله القباع ص٤٦، ٤٧.

دعـوة الشيخ محمد بـن عبد الوهاب من إشـارة إلى الإمـام الصنعاني وقصيدته في الإشـادة بالدعـوة السلفية وإمامهـا. في مقدمتهم العلامة المـؤرخ اليمني لطف الله جحاف والعلامة محمـد بن ناصر الحازمي والدكتور المؤرخ عبد الله العثيمين والمؤرخ محمد بن أحمد العقيلي والدكتور عبد الله أبو داهش وغيرهم وغيرهم.

ولعلنا بعد أن ذكرنا أسمـاء كوكبة من العلماء والمؤرخين والباحثين والمفكرين الذين تحدثوا عن موقف العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني من الدعوة السلفيـة وعـن قصيدته التي حيًّا بها الدعوة وحيًّا بها إمامها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لعلنا نختار لبعض المشيدين بها شيئاً من تلك الشهادات.

- يقـول العلامة: رشيد رضا صاحب (المنار): (في اليمن وجد مجموعة من العلماء تأثروا بالدعوة السلفية وأهمهم الشيخ الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٠٩٩-١١٨٢هـ)........)[(١)].

- ويؤكـد العلامة: مسعود الندوي بأن (الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني كان مـن أبرز الملبين لدعـوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمؤيدين لها لذلك فإنه حين بلغته دعوة الشيخ أنشأ قصيدة بليغة تلقاها العلماء بالقبول ومطلعها:

سلامي على نجدٍ، ومن حلَّ في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وفي هـذه القصيدة مـدح للشيخ وثناء عليـه وذم للبـدع، ورد شديد على أهل عقيـدة وحدة الوجود، وأمور أخرى نافعة جداً، وكان من أعظم أسباب فرح محمد

(١) رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمد عبد الله السلمان ص٢٣.

بــن إسماعيل الأمير أنه كان يظن نفسه منفرداً في هذا الميدان كما يظهر ذلك من شعره هذا الذي يقول في أحد أبياته:

لقد سـرني ما جـاءني من طريقه وكنت أرى هذي الطريقة لي، وحدي[1]

وكمـا سـر الإمام الصنعاني بما وصله مـن أخبار الدعوة السلفيـة وإمامها فقد سر الإمام محمد بن عبد الوهاب بقصيدة الصنعاني وظل يشير إليها في بعض رسائله) [2].

- وقـد أشاد علامـة الجزيرة الشيخ حمـد الجاسر بمبـادرة العلامة اليمني محمـد بن إسماعيـل الأمير الصنعاني قائـلاً: (ليس غريباً أن تجـد هذه الدعوة السلفية من علماء صنعاء قبولاً واستجابة؛ فهي دعوة تنبعث من التعاليم الإسلامية الصافية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولأولئك العلماء في اليمـن عنايـة واهتمام بما أثر عن السلـف الصالح، من هنـا كان عالم صنعاء محمـد ابـن إسماعيل الأمير الإمام المجتهد المشهور ممن سـارع إلى استقبال تلك الدعوة السلفية بالتأييد) [3] ثم تحدث الجاسر بعد ذلك عن ديوان العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني مشيراً إلى قصيدته المشهورة العصماء التي حيًّا بها الشيـخ محمد بن عبد الوهـاب وحيًّا بها دعوته السلفية ذاكراً نصّ المقدمة النثرية التي قدّم بها الأمير الصنعاني تلك القصيدة الجميلة ذات المطلع:

---

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ص٤٨.

(٢) المصدر والصفحة السابقين.

(٣) العرب، عددي محرم وصفر من عام ١٤٠٨هـ ص٤٣٣.

سلامي على نجدٍ، ومن حلَّ في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي[1]

ومن المشيدين بموقف الأمير الصنعاني العلامة محمد بن ناصر الحازمي (....-١٢٨٢هـ) محدث الحرم المكي في القرن الثالث عشر الذي يقول: (ولما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبلغت الأمصار وأعجز الله من عاداه وناوأه، وملَكهم أكثر ديارهم فاستجاب لدعوته الكثير من الناس من غير قتال، كأهل الحجاز وتهامة إلى زبيد وصعده إلى أقصى عمان وأهل فارس وما دون تيماء من بادٍ وحاضر وأقر له بصحة دعوته كثير من العلماء من أهل صنعاء وزبيد والحرمين ومصر والشام والمغرب والعراق ودارت مصنفاته بينهم ونفقت عندهم فمدحه منهم العلماء ، وأقر له بالفضل والعلم وصحة ما دعا إليه (محمد ابن إسماعيل الأمير الصنعاني) وهو إذ ذاك رئيس صنعاء ، فأنشأ قصيدته الدالية التي يقول فيها رحمه الله:

سلامي على نجدٍ، ومن حلَّ في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد)[2]

وقد أورد الحازمي خمسة عشر بيتا من هذه القصيدة وبعد أن أثنى على القصيدة وقائلها ومن قيلت فيه أورد قصيدة أخرى في الثناء على الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ودعوته لعلامة الأحساء أبو بكر بن غانم الأحسائي.

---

(١) العرب عددي محرم وصفر من عام ١٤٠٨هـ ص٣٣٤.

(٢) إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان لمحمد ناصر الحازمي ص١١٢-١١٥.

ولعلنا في السطور والصفحات السابقة قد أشرنا إلى شيء من أحوال ناصر السنة في اليمن ومعلي منارها العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني وألمحنا إلى بعض صلاته الثقافية والعلمية بعلماء البلاد السعودية قبل ظهور الدعوة السلفية، وبعد ظهورها، ونقلنا آراء العلماء المنصفين الذين أشادوا بموقفه المؤيد للدعوة السلفية وإمامها وزيّنوا بقصيدته كتبهم وصحائفهم، وربما تناولها بعضهم بالشرح والتحليل مشيرين إلى القواسم المشتركة بين الإمامين مؤكدين على الرابط العقدي بين الصنعاني وابن عبد الوهاب؛ فكلاهما ناصر للسنة محيي لآثارها، محارب للشرك والبدع والمنكرات.

لكن ذلك كله لا يمنعنا من الإشارة إلى ما قيل حول تراجع العلامة الصنعاني عن موقفه المساند للدعوة السلفية وإمامها وبعض ما قيل حول القصيدة الثانية المنسوبة إليه والمثبتة في ديوانه حاملة وزن وقافية القصيدة الأولى التي حملت دعمه الكامل وتأييده الصادق للدعوة وإمامها، ومناقضة لمضامين تلك القصيدة، فماذا في الأمر؟ هذا ما سنشير إلى شيء منه في السطور التالية:

- فأما المؤيدون للدعوة السلفية فيشككون في نسبة القصيدة الثانية ويعللون ذلك بأمور:

- منها: ضعف بنائها اللغوي وتفاوت في مستوى ألفاظها وتراكيبها وأسلوبها عن القصيدة السابقة ، وبعدها عن المستوى الفني الذي تزينت به القصيدة الأولى.

- ومما يقوي حجج من يشكون في نسبتها للصنعاني (اختلال الوزن في بعض

أبياتها) الذي تكرر في عدد من أبياتها، وسلمت منه القصيدة الأولى.

- وبعضهم يؤكد بأن ديوان العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني جُمع ونُقـح بعد وفاته على يـد أحد أبنائه وهؤلاء يرون بأن القصيـدة الثانية ضمت إلى ديوانه ونسبت إليه ..

وأمـا غير المؤيدين للدعـوة السلفية فقد وجدوا في هذه القصيـدة ضالتهم وأكدوا على تراجع العلامـة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني عن مناصرة الدعوة السلفية وإمامها كيف لا وقد أعلنها - كما يدعون - مدوية في قصيدة مثبتة في ديوانه مطلعها :

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي   فقد صح لي عنه، خلاف الذي عندي

وخلف قرينة إثبات القصيدة في الديوان يتمترس من يقف من الدعوة السلفية موقف المعارض.

- أمـا كاتب هـذا البحث فليس مع من يظن بأن العلامـة محمد بن إسماعيل الأمـير الصنعـاني قد أعلـن تراجعه عن مناصـرة الشيخ محمد بـن عبد الوهاب ودعوته السلفية التي سبق له أن أيدها وكتب للشيخ في ذلك قصيدته العصماء:

سلامي على نجدٍ، ومن حلَّ في نجد   وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ولست مع من يرى صحة نسبة القصيدة الأخرى إلى الصنعاني التي يقال إنه أعلن فيها تراجعه حتى وإن كانت مثبتة في ديوانه المطبوع؛ لأن من يقرأها بتمعن يجدها غير وثيقة الصلة بأسلـوب الصنعـاني ولا بنفسه الشعري، ولا بمنهجه الذي اختـاره في مناصرة السنة ، ولعلي أشـارك القـارئ في تأمل الأبيات الخمسة الأولى فقط مـن القصيدة المنسوبة إلى الصنعاني

ليرى البون الشاسع بين فكر وأسلوبي القصيدتين يقول مطلع القصيدة الثانية:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي ... فقد صح لي عنه، خلاف الذي عندي

ظننت به خيراً وقلت: عسى، عسى ... نَجِدْ ناصحاً يهدي الأنام، ويستهدي

فقد خاب فيها الظن، لا خاب نصحنا.. ... وما كل ظنٍّ للحقائق لي مهدي

وقد جاءنا من أرضه الشيخ (مزبد) ... فحقق من أحواله كل ما يبدي

ومن جاءني من تأليفه برسائل ... يكفر أهل الأرض على عمد[1]

ولا شك بأن القارئ الحصيف سيلمس الفارق الكبير بين لغة وأسلوب القصيدتين! يضاف إلى ذلك أن هذه القصيدة المنسوبة إلى العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني قد أتت متضمنة لأبياتٍ كثيرة مختلة الأوزان كما رأينا في البيت الخامس كما أن في بعض أبياتها ركاكة وضعفاً تجعل قارئها يشك في انتسابها لقائل القصيدة العصماء السابقة التي قال في بعض أبياتها:

سلام على أهل الحديث فإنني ... نشأت على حب الأحاديث من مهدي

هُمُ بذلوا في حفظ سنة أحمدِ ... وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد

وأعني بهم أسلاف أمة أحمد ... أولئك في بيت القصيد هُمُ قصدي[2]

فليس بين القصيدتين كما نرى أية صلة قربى، حتى وإن كان واضع القصيدة الثانية من أقارب الأمير الصنعاني وذويه؛ ولذلك فمن حق القارئ أن يشك في نسبة تلك القصيدة العرجاء إلى إمام السنة وناصرها في اليمن العلامة : محمد

(١) ديوان الأمير الصنعاني ص١٣٥ والبيت الخامس -كما ترى- مختل الوزن ، وهناك أبيات أخرى في القصيدة المنسوبة مختلة الأوزان كذلك.

(٢) المصدر السابق ص١٣٠.

بن إسماعيل الصنعاني، ولن يكون منفرداً برأيه وإنما سيكون مقتدياً بعلماء كبار استبعدوا أن يكون الصنعاني قد ناقض نفسه، ومنهم العلامة الشيخ سليمان بن سحمان الذي كتب رسالة سماها: (تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين)، وأكد فيها افتراء ناظم هذه القصيدة على (الأمير الصنعاني) [1]، وكذلك العلامة حمد الجاسر فقد أكد على ما جاء في رسالة ابن سحمان العلمية التي ألفها في دفع تهمة تراجع العلامة الصنعاني عن مناصرة الدعوة السلفية حيث قال الشيخ الجاسر: (هناك من العلماء من يرى عدم صحة نسبة هذه القصيدة الأخيرة إلى محمد بن إسماعيل ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان[2] الذي ألف رسالة في الموضوع عنوانها: (تبرئة الشيخين)، وديوان شعر الأمير محمد بن إسماعيل لم يجمعه هو، وإنما جمعه ابنه (عبد الله)، على ما ذكر الشوكاني[3]، والسيد محمد زبارة في كتابه: (نشر العرف) [4] وإلى جانب الشيخ ابن سحمان

---

(١) دورية (الدرعية) العدد الرابع عشر هامش (٣) ص٥٤.

(٢) الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر البيشي العسيري النجدي (١٢٦٨-١٣٤٩هـ) شاعر الدعوة السلفية وابن شاعرها و أحد علماء نجد ولد ببلدة (السقا) من أعمال أبها في عسير التي انتقل إليها والده من بلدة تبالة في بيشة، وينتمي إلى قبيلة خثعم وقد انتقل مع أبيه إلى الرياض أيام فيصل بن تركي (أحد أمراء الدولة السعودية الثانية) لطلب العلم، وتلقى العلم على علماء الرياض حيث درس التوحيد والفقه واللغة وتولى الكتابة للإمام عبد الله بن فيصل ثم تفرغ للعلم فألف كتباً كثيرة ورسائل ومنها: (الضياء الشارق في رد شبهات المارق) وهو رد على جميل صدقي الزهاوي وله كتاب: (الهدية السنية)، وكتاب (تبرئة الشيخين) انظر ترجمته في الأعلام ج٣ ص١٢٦، وفي مقدمة ديوان صالح بن سليمان بن سحمان الذي حققه وقدم له الدكتور إبراهيم الفوزان ص٣١-٤٢.

(٣) البدر الطالع ج٢ ص١٣٨.

(٤) مجلة العرب مقالة الشيخ الجاسر: (الصلات الأولى بين صنعاء والدرعية)ص٤٣٥، عدد شهري محرم وصفر لعام ١٤٠٨هـ.

والشيخ الجاسر هناك علماء آخرون كالعلامة: عبد العليم عبد العظيم البسنوي، مترجم كتاب العلامة مسعود الندوي: (محمد ابن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه) فقد استنكر ما أشيع من رجوع الأمير الصنعاني عن قصيدته التي مدح بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثنى فيها على دعوته السلفية، وتكلم في هامش صفحتي ٤٨، ٤٩ كلاما جميلاً في هذه القضية، ومما قاله البسنوي: (لقد نالت هذه القصيدة رواجاً عظيماً بين دعاة التوحيد من العلماء والطلاب، وضاق بها ذرعاً أعداء التوحيد في كل مكان وزمان .....) إلى أن قال: (وقد افترى بعض أعداء التوحيد قصيدة على لسان الإمام الصنعاني وأدخلها في ديوانه، وزعم أنه رجع عن هذه القصيدة، وقد احتوت هذه القصيدة المزورة وشرحها على أمور لا يتصور صدورها عن أي طالب علم، فضلاً عن إمام عظيم كالصنعاني)[1]، واستمر البسنوي في كشف أمر من أدخلوا تلك القصيدة إلى ديوان الأمير الصنعاني وزعموا أن الصنعاني قد أعلن فيها تراجعه عن مناصرة الدعوة السلفية وإمامها، مستبعداً ذلك من إمام كالصنعاني نصب نفسه لمناصرة السنة.

وللدكتور إسماعيل البشري[2] محقق كتاب: (الديباج الخسرواني) للحسن

---

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترىً عليه، هامشي الصفحات: (٤٨، ٤٩).

(٢) الأستاذ الدكتور: إسماعيل بن محمد البشري: (١٣٧٦-) ولد بمدينة أبها عاصمة عسير سنة ١٣٧٦هـ تولى عدداً من المناصب الأكاديمية ومنها: وكيل جامعة الملك خالد بأبها، ومدير جامعة الإمارات، وهو الآن عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، حقق ونشر عدداً من كتب العلامة الحسن بن أحمد عاكش ومنها: كتاب (الديباج الخسرواني) وكتاب (عقود الدرر) و كتاب (حدائق الزهر)، وله عدد من الدراسات والمؤلفات التاريخية، انظر ترجمته على أغلفة بعض الكتب التي حققها ونشرها.

ابـن عاكش تعليق جميل على هذه القصيدة المنسوبة للعلامة (الصنعاني) نقتطف منه قوله: (هنا أمران: أولهما أن هذه القصيدة لم تثبت نسبتها للعلامة الصنعاني وإنمـا هي من وضع بعض معارضي الدعوة والمعادين لهـا، إذ لا يعقل قبولها؛ لأنها تتعارض مع ما يدعو إليه العلامة الصنعاني من الإصلاح، ولذا فإن القول بوضعها يرجحـه العقل. والثاني ما ذكر في القصيدة من إدعاءات بأن أئمة الدعوة يكفرون عامـة الناس ويسفكون دماءهـم..... الخ كل ذلك لا يعـدو أن يكون تكرار لدعاوى أعداء الدعوة السلفية) [1].

ولا شـك بـأن منهج العلامة محمد بـن إسماعيل الصنعـاني في خدمة السنة المطهـرة وتنقيتهـا مما يعكر صفوها، يجعلـه قريب الصلة بإمـام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويجعل المنصف يستبعد ما روجت له هذه القصيدة المنسوبة إليه، والله أعلم.

وسـواء أصحت نسبة هـذه القصيدة إلى العلامة محمد بـن إسماعيل الأمير الصنعاني أم لم تصح نسبتها إليه فقد كانت صلاته العلمية وتواصله بعلماء البلاد السعودية متأكدة قبل ظهور الدعوة السلفية وأثناءها وبعد ظهورها لم يعكر صفوها معكر حتى لقد توارث ذلك التواصل بعض أفراد أسرته، فهذا ابنه العلامة إبراهيم بـن محمد بن إسماعيل يتواصل مع علامة تهامـة عسير محمد بن أحمد الحفظي (١١٧٦-١٢٣٧هـ) حيث بعث إليه الحفظي بقصيدة يقول في بعض أبياتها:

---

(١) الديباج الخسرواني هامش ص٨٠.

آل الأمير لكم في العلم أطوار	وفي معاني كتاب الله أطوار
وفي اقتفاء رسول الله حثحثة	وفي منازل سفر الله أسفار
وفي الهداية والإرشاد معرفة	تقود طلابها طوعاً إذا جاروا
وفي رجاء ثواب الله همهمة	وهمة من هموم الغير تغتار
وفي فؤادي لكم ودّ ومنزلة	وفي التردد بالأخبار إخبار

إلى أن قال:

محبوب قلبي مولاي الإمام وذي الـ	ـعرفان من ليس بعد العرف نكران
عليك منّي سلام لا انتهاء له	ولا يقيده حصر وإحصار[(١)]

وهي طويلة تقارب أبياتها الثلاثون.

كما وجدنا ابنه العلامة: (عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير (١١٦٠-١٢٤٢هـ) يتلقى العلم على علماء الحرمين ويجاز منهم[(٢)] وكذلك فعل حفيده: (يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٧٥-١٢٤٤هـ) الذي سكن في مكة المكرمة وتزوج فيها وأولد وكان يفد إلى أمير المخلاف السليماني الشريف حمود بن محمد آل خيرات، ويبقى لديه أياماً)[(٣)]، وهكذا كان الصنعاني رمزاً للتواصل الثقافي بين علماء ومفكري البلاد السعودية وبين علماء ومفكري

---

(١) شعاع الراحلين الديوان الثاني من شعر آل الحفظي ص٦٠-٦٢، جمع عبد الرحمن إبراهيم الحفظي، طبع نادي أبها الأدبي ١٤٠٣، طبع دار المعارف بمصر.

(٢) النهضة الأدبية في اليمن.... لعبد الله خادم العمري ج١ ص٩٦.

(٣) حدائق الزهر ص٢٢٥.

البـلاد اليمنيـة، وظـل تواصله الثقافي فاعـلاً قبل وإبّـان ظهور الدعـوة السلفية، وهكـذا فقد توزع الأدباء والمفكرون هنالك بين مؤيد، ومناصر، ومعارض، ومناوئ، فاستيقظ لذلك غافي الفكر، حيث نشط كل فريق لإيصال رسالته وتوضيح فكرته، وتحركـت سوق الثقافـة والأدب، فتحاور المتحـاورون، وتراسل المتراسلـون، وأُلِّفت الكتـب، وشهدت الحياة الأدبية في اليمـن وفي البلاد السعودية آنذاك حواراً ثقافياً جاداً أذكاه المعارضون والمؤيدون ويأتي في مقدمة المؤيدين للدعوة السلفية وأئمتها: بعد العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني يأتي الرمز الثاني للتواصل الثقافي بين اليمن والسعودية العلامة الكبير محمد بن علي الشوكاني صاحب المؤلفات الكثيرة والمواقـف الشهيرة.. فمن هو الشوكاني؟ وما هو موقفه من الدعوة السلفية؟ وكيف كان تواصله؟؟ لعلنا نجد في السطور التالية إجابة على بعض هذه التساؤلات.

الإمام محمد بن علي الشوكاني[1] وبداية صلاته الثقافية بعلماء البلاد السعودية.

هـو إمام جليل من أئمـة العلم والقضاء والفتيا، وواحد مـن العلماء الكبار في اليمـن، ألفـت عن سيرته العلميـة الكتب والدراسات، وتحدثـت عنه كتب التراجم الكثيرة والموسوعات وبعضها أفردت له الصفحات الطوال لكننا رغبة في الاختصار اخترنا الترجمة الموجزة التي كتبها عنه الزركلي في كتابه الشهير (الأعلام) حيث قـال: (محمـد بن علي الشوكاني علامة مجتهد من كبـار علماء اليمن ولد بهجرة شوكان ونشأ بصنعاء وولي قضاءها وتوفي بها له مؤلفات كثيرة تزيد على المائة من أهمها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخيار) في ثمانية مجلدات، و(فتح القدير) في التفسـير في خمسة مجلدات، و(البدر الطالـع بمحاسن من بعد القرن السابع) في مجلدين وله ديوان شعر بعنوان (أسلاك الجوهر) [2].

هـذه ومضات عن هـذا العلم الشامخ الـذي كانت له جهـوده العلمية الكبيرة وصلاته المتينة بأئمة العلم وقادة الفكر في العالم الإسلامي:

ويُعتـبر الإمام محمد بن علـي الشوكاني – رحمه الله – استمـراراً للتواصل

(١) سبقت ترجمته في ص ٨٦-٨٧ وانظر ترجمة الإمام الشوكاني في معظم كتب التراجم ومنها: حدائق الزهر للحسن بن أحمد عاكش ص٣١-٦٠، ونيل الوطر ج٢ ص٢٩١، وفي درر نحور الحور العين لجحاف ص١٩، وفي مواضع كثيرة، وفي مصادر الفكر للحبشي ص٧٢، وغيرها، وفي البدر الطالع ج٢ ص٢١٤-٢٢٥، وفي الأعلام للزركلـي ج٦ ص٢٩٨، وغيرها من كتب التراجم وألفت عنه الكتب والدراسات ومنها: (التقصار) للشّجنّي الذماري وكتيب: (الشوكاني أديباً شاعراً) لأحمد حافظ الحكمي وغيرها.

(٢) الأعلام للزركلي ج٦ ص٢٩٦، ط٥ بيروت ١٩٨٠م.

الثقافي الواعي بين البلدين الشقيقين الجارين، حيث كان لموقعه العلمي الكبير تأثيره المباشر في تقوية ذلك التواصل؛ فقد كان عالماً موسوعياً حتى لقد لقبه بعض معاصريه بـ (سلطان العلماء) [١] واعتبره بعض معاصريه من العلماء: (مجدد القرن الثالث عشر الهجري) [٢] وقد هيأت له مكانته العلمية احتلال موقع علمي شرعي قرَّبه من صانع القرار (فقد وُلِّيَ منصب القضاء الأكبر في اليمن، كما تولى منصب الفتيا) [٣] واتخذه الإمام المنصور مستشاراً في الأمور الشرعية وغيرها فكان له الناصح الأمين والموجه المعين.

لقد عاصر الإمام الشوكاني حركة الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أوج نشاطها، وإن لم يظهر تفاعله معها إلا متأخراً، وعاصر الجيل الثاني من أجيال الدعوة السلفية فكان حفيا بهم يستقبل وفودهم ويحاورهم ويكاتب غائبهم ويحتفي برسائلهم، فقد (عرف الإمام الشوكاني بانتصاره للسنة وحرصه على تطبيقها في الأحكام الشرعية التي تولى تنفيذها)[٤]، بل وفي سائر

---

(١) النهضة الأدبية ج١ ص١١١. وممن أطلق عليه هذا الوصف: لطف الله جحاف في إحدى رسائله إليه (انظر البدر الطالع ج٦ ص٦٨)، وأطلقه عليه الحسن بن أحمد عاكش في ترجمته للشوكاني (انظر كتابه: حدائق الزهر ص٣١).

(٢) المصدر السابق ص١١٤، (ولقبه بهذا اللقب شيخه عبد القادر الكوكباني (١١٣٥-١٢٠٧هـ)، وانظر حدائق الزهر للحسن بن أحمد عاكش ص٣٤.

(٣) الإمام محمد بن علي الشوكاني أديباً شاعراً (بحث للدكتور أحمد حافظ الحكمي منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد (٧) عام ١٤١٧هـ) ص٣١٧.

(٤) المصدر السابق ص٣٢٤.

شـؤون الحياة وكانـت منطلقاته الفكرية تتفق مع منطلقات أئمـة الدعوة السلفية؛ (حيـث كان يلتقـي في بعضـ مناحي توجهـه الإصلاحي مع الإمـام محمد بن عبد الوهـاب، ومن ذلك منـادات كل منهما بالعودة إلى منهج سلـف الأمة الصالح وفي أمـور كثيرة) [1]، وكانت للإمام الشوكاني – برغـم مسئولياته الجسام – صلاته العلميـة والفكريـة بعلمـاء بلاد الحرمـين يكاتبهـم ويكاتبونه، فقد كاتبـه وحاوره واستجـازه عدد منهم وكان يجيبهم شعـراً ونثراً، ويأتي في مقدمة المتحاورين معه: علامة المخلاف السليماني في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر: شيخ الإسلام... العلامة: أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الضمدي[2] الذي يعتبر من معاصريه فقد سبقه في الولادة بعامين وكانت له مع الإمام الشوكاني الحوارات المتصلة والمراسلات العلمية ومنها تلك المحاورة العلمية الشعرية التي دارت بينهما في موضـوع: (كتابـة الصلاة علـى النبي ﷺ) (وقد بدأها علامـة ضمد الشيخ

---

(١) محمـد بن عبد الوهـاب لأحمد عبد الغفور عطار ص٢٠٧ ، وقد أحال العطار على كتاب العقاد: الإسلام في القرن العشرين.

(٢) أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الضمدي (١١٧٤-١٢٢٢هـ): هو القاضي العلامة المحقق صاحب المؤلفات الكثـيرة وصاحـب المكانة العلمية الكبـيرة جده محمد بن علي بن عمر علامة المخـلاف السليماني في القرن العاشـر، وابنـه علامة القرن الثالث عشر (الحسن بن أحمد عاكش) وأسرته أسرة العلم والأدب والفضل، ولـد في بلـدة (ضمـد) وتلقى العلم على علماء أسرتـه وبلده، ثم رحل إلى صنعاء وزبيـد وصعده فقرأ على علمائها وبرع في علوم كثيرة، وأصبح مرجعاً للفتيا في المخلاف السليماني، له مؤلفات كثيرة من أهمها كتابه الشهـير في الفقـه : (مشارق الأنوار) في أربعة مجلدات (مخطوط) وقد حققت بعض أجزائه،وكذلك كتابه (شرح ملحة الإعراب في النحو)، توفي بأبي عريش سنة ١٢٢٢هـ. انظر ترجمته في: البدر الطالع ج١ ص٧٦، وفي حدائق الزهر ص٩-٣٠، وفي عقود الدرر مخطوط، وفي نيل الوطر ج١ ص٢٤٤-٢٥٢ وغيرها.

أحمد بن عبد الله الضمدي بأرجوزة وجهها للإمام الشوكاني ومطلعها:

ماذا يقول سيدي زينة أهل اليمن
في فعل أصحاب لنا يروون بعض السنن
وعند ذكر المصطفى الهاشمي، المؤتمن
صلى عليه ربنا والآل، كل الزمن
لا يملكون حقه في الخط، يا ذا الفطن
من بعد تحرير له فالرمز شأن الممعن

إلى أن قال علامة المخلاف السليماني في عصره:

هل قد روى هذا لنا أيُّ إمام؟ بين
غير الذي تعليله نقص البياض البين
فبينوا الإذن لنا في رمزه بالسنن

فأجابه الإمام محمد بن علي الشوكاني بكتاب ربما احتوى على إجابات أخرى عن حوارات ومساءلات حاوره بها الضمدي في شؤون أخرى لأن الشوكاني قد سمى كتابه ذلك بـ: (عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمد) وقد صدَّرَ كتابه هذا بإجابة على أرجوزة الضمدي قال فيها:

أقـــول بـعـد حـمـد مـن ... طـــوَّقـــنـــا بـــالمـــنن

مـصـلـيـاً مـسـلـمـاً ... عـلـى الـنـبـي المـدني

وآلــــه وصـــحـبـه ... حـــلال عـــقـد المـحـن

لم يــأت في الـزبـر لـنا ... عـلــى مـــرور الــزمــن

كـيـفـيـة نـسـلـكـهـا ... في واضـــحـــات الـسـنن

لأنـــه تـــواضــــع ... مـــا بـــين أهـــل الـفـطـن

مـا فـيـه تـكـلـيـف لـنـا ... ولا لـــزوم الـسـنن

فـــأيّ نـقـش نـاقـش ... يـعـرفـه مــن يـعـتـنـي

يـقـوم بـالمـقـصـود مـن ... بـيـــان مـــا لم يـبن

فـذلـك الـرسـم الـذي ... عـلـيـه ذا الأمـــر بـنـي

وختمها الشوكاني بأبيات أوضح فيها الحكم ومنها قوله:

فـلـم يـرد عـن حـافـظ ... حـاشـاهـمُ عـن كـل شَـيَن

وربمـــا أهـمـلـهـا ... مـن لم يـكـن مـنـهـم أني

بـل ذاك سـوء أدب ... مـن أهـل هـذا الـزمـن

تمَّ الجـــواب حـامـداً ... لله رب المحســـن[1]

ومـع أن عنوان كتاب الشوكاني يشي بأن هناك تواصل علمي وثقافي بينه وبين الضمـدي وحوارات: (جيد مسائل علامـة ضمد) فقد كانت هذه الأرجوزة مفتاحاً

(١) حدائـق الزهـر صـ٢٢، وانظر كتاب النهضة الأدبيـة في اليمن لعبد الله خادم العمـري ج٢ ص١٥٢-١٥٥، وغيرهما، ككتاب التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي ص٥٧٧-٦٠٣.

لتواصل أشمل وأجمل على مستوى بعض الأقاليم ... يقول العقيلي في كتابه: (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان): ولما اطلع على أرجوزة الضمدي الشيخ العلامة: أحمد بن عبد القادر الحفظي[1] صاحب (رُجَال) بعسير شارك بأرجوزة قال فيها:

أهلاً بها من منن — مستعذبات المزن
أهلاً بها من طُرَقِ — وتُحَف تتحفني
قرت بها إذ قرأت — عيني وقوَّت وهني

إلى أن قال الحفظي:

ولا أراه هكذا — بالأدب المستحسن
ولا أتى عن أحد — من الصحاب، أو بني[2]

قال صاحب النهضة الأدبية في اليمن: (وقد يكون اشترك غيرهم في هذه المحاورة ممن لم نقف على ما جاشت به أقلامهم).

إذاً فالتواصل الثقافي كان متأكداً بين البلدين ويتفاعل معه علماء البلدين كما

---

(١) أحمد بن عبد القادر بن بكري الحفظي الرُّجالي (١١٤٠-١٢٢٨هـ): كان من أئمة العلم والعمل، أخذ العلم عن والده عبد القادر، عن عمه (عبد الهادي) وعن آخرين من علماء بلده ثم ارتحل إلى زبيد فلازم شيخ الإسلام (سليمان بن يحيى الأهدل) واستجاز منه، وقرأ على علامة عصره (عبد الخالق المزجاجي)، ولما عاد إلى بلده أصبح مقصداً لطلاب العلم، كان إمام المنظوم والمنثور له شعر جيد وله أراجيز وعظية، ومن مؤلفاته: (الأزهار الفائحة في أسرار الفاتحة) وله (ضياء الشمعة في شرح خصوصيات الجمعة) وغيرها من الرسائل والأراجيز في فنون مختلفة توفي ببلدته (رُجَال) سنة: (١٢٢٨هـ) انظر ترجمته في عقود الدرر ج١ ص١٥٥، وفي نيل الوطر ج١ ص٢٣٣-٢٣٦، وغيرها.

(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد أحمد العقيلي ج١ ص٥٧٢-٦٠٣، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤١٣هـ.

حصـل مع هذه الأرجوزة ومع قصيدة (الخال) التـي شارك فيها شعراء البلدين كالعاملـي، والضحوي، وعاكش، والحازمي وغيرهم ممن تفنن في استخراج معاني (الخـال) في شعـر جميل[1]، كما حصلت مطارحـات شعرية ومناظرات، وتهادي مقامات بين علماء وشعراء وأدباء البلدين الجارين[2]، تؤكد ذلك التواصل الثقافي كثير من المصـادر، ولعل ديوان الإمام الشوكانب يأتي في مقدمة تلك المصادر التي تؤكد التواصل الثقافي بين علماء ومفكري وأدباء البلدين، فها هو الإمام الشوكاني يتفاعل مع مطارحة العلامة الشاعر المخلافي عبد الرحمن البهكلي، ويجيبه بأبيات ملؤها الود الأكيد الـذي يطالب بالوصال والتواصل حيث يقول الإمام الشكواني في

(١) انظـر كتـاب النهضـة الأدبية في اليمن ج٢ صـ١٧٤-١٨٣، وانظر عن قصيدة (الخـال) في كتاب: تحفة القـارئ والسامـع باختصار تاريـخ اللامع اليماني لعبـد الله العمودي ج٢ صـ٢٧٠-٢٧١، تحقيق عبد الله أبـو داهشـ مطابع الجنوب أبها ١٤٢١هـ، وفي التاريخ الأدبي لمنطقة جـازان للعقيلي ج٢ ص٧٥٠-٧٥٣، وفي أضـواء على الأدب والأدباء في منطقة جـازان للعقيلي ص٤٤-٤٦، من منشورات نادي مكة الثقافي ١٤٠٠هـ، وقصيدة الخال هذه تبدأ قصتها التي رواها الحسن بن أحمد عاكش بقوله : (حدثنا الفاضل المقرئ حسين بـن إسماعيل الحازمي أن الصدر العـالم (داوود باشا) أرسل وهو مستقر بدمشق قصيدة للأديب إبراهيم بن بطرس بن كرامة الحلبي إلى بغداد وهي قصيدة التزم قائلها إيراد معاني (الخال) فيها ومستهلها :

أمن خدها الوردي افتنك الخال فسحّ من الأجفان مدمعك الخال

وقـد عارضهـا عدد كبير من شعراء اليمـن وشعراء المخلاف السليماني) وكان مطلـع معارضة عاكش لهذه القصيدة هو :

نسيم الصبا هبت وقد لع الخال فهزت غصون الروض إذ جادها الخال

انظر كتاب النهضة الأدبية في اليمن للعمري ج٢ ص١٧٤-١٨٣.

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب: (النهضة الأدبية في اليمن للعمري ص٨٩- ٢٣٤، وحدائق الزهر، ونشر العرف والبدر الطالع وغيرها.

إجابته على مطارحة الشاعر العلامة البهكلي:

على العالم البحر خدن الكمال ... وحاوي الخلال الجلال الجزال
سلام يفوح بكل الفيوح ... يروح روح الربا والتلال
سلام يضوع بتلك الربوع ... يعطر أيامها والليال
ينادي بناديكم جهرة ... يحيّي محيّاكم بالتوال
فيصبو بصبيا للقياكم ... ويجتاز جازان (صحباً وآل)
يعشعش في عشش المكرمات ... ويسرح ما حل بعد الرحيل
وينهى عهاد أسير الوداد ... حليف سهاد الليالي الطوال
إلى راحل يا خل باللقاء ... إلى متهم منهم بالمطال[1]

والإمام الشوكاني في نص آخر من تلك النصوص الشعرية التي وجهها لعلامة وشاعر المخلاف السليماني (عبدالرحمن البهكلي) نجده يثني على أسرته (البهاكلة) ويدعو لمعاقلهم وموطن اسلافهم في المخلاف السليماني: (صبيا وضمد) بالخير والنماء وصيب الأمطار يقول في بعض أبياته:

فصاروا الصدور وشراحه ... ونالوا برغم القصار القُصارى
فقلدْهمُ معضلات العلوم ... وسل بهم المنقلات الكبارا
سقى الله من (ضمد) موطناً ... أقالوا به، وأقالوا العثارا
وجاد الحيا الجود (صبيا) التي ... أمالت بهم عطفها، افتخارا

(١) ديوان الإمام الشوكاني: (أسلاك الجوهر) ص٢٧٦-٢٧٧، تحقيق عبد الله العمري، مطابع دار الفكر بدمشق ١٤٠٢هـ.

لـوفـد المـعـالي غـدت رحـلـة بـه، ولـوفـد المـغـاني مـزارا[1]

وكما كاتب الإمام الشوكاني نظراءه من علماء بلاد الحرمين فقد كاتب أئمة الدعوة السلفية باسم الإمام المنصور وكاتب باسمه الشخصي بعض زعماء المخلاف السليماني أمثال: (الشريف حمود بن محمد آل خيرات) الشهير بأبي مسمار حينما كان أميراً على تهامة في عهد الدولة السعودية الأولى وبالتحديد أيام الإمام (سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود) حيث كان الشريف حمود آنذاك والياً على تهامة المخلاف السليماني وأجزاء من تهامة اليمن فقد جاء في كتاب: (ذكريات الإمام الشوكاني) ما يلي: (وهذه صورة كتاب كتبته إلى الشريف حمود بن محمد آل خيرات مناصحاً له ومحذراً من الاغترار بالأتراك)[2] ورسالة الإمام الشوكاني طويلة اشتملت على النصائح المدعومة بأدلة العقل والنقل، كما اشتملت على شيء من شعره الجميل خص به الشريف حمود (ناصحاً) ولعلنا فيما يلي نقتطف شيئاً من رسالته حيث يقول الإمام الشوكاني بعد الديباجة: (وبعد فسلام السلام عليك ورحمة الملك العلام، وإني أنهي إليك نصيحة خالصة عن سوء الكدر مطهرة عن القذا والقذر، لم يحملني عليها إلا حامل الدين، ولم يزعني عليها إلا وازع عباد الله الصالحين، هي أني شممت من أنفاس (بني الأصفر) الوافدين إلينا وإليك روائح ظواهرها يدعو إلى الصلح، والتئام الجرح، وباطنها

(١) المصدر السابق ص١٨٥-١٨٦.

(٢) ذكريات الإمام الشوكاني ص١٥٦-١٥٨.

يشـير إلى نكء القـرح، وتوسيع دائرة الفرقة، وتسعير النـاس .... وأنا أعيذكم بالله أن يكون هذا الاختلاف من أسباب ما لا يكون له تلاف، ....) إلى أن يقول الإمـام الشـوكاني: (ولا أطيل المقال في هـذا المجال، فالأمر يفهمـه ذووا الألباب .... ولكنني أقول:

محضتكمُ النصح مني جهارا وأوردتـــه معلناً لا سرارا

إلى أن يقول:

فقل (لحمـود)، عميد العلا حذارِ - لك الخير - عن ذا، حذارا

أفيقوا فقد أبدت الحرب عن نا جذيها عند ذا ما توارا

وإن دمتموا في افتراقٍ كما أرى، فالفرار، الفرار، الفرارا)

وهي أحد عشر بيتاً اخترنا منها أربعة أبيات دون ترتيب وبعد أن ختم الأبيات عـاد إلى رسالته النثرية الطويلة الداعيـة إلى التعاون على البر والتقوى والمدعومة بالأدلـة مـن الكتاب والسنـة إلى أن ختمها بقولـه داعياً: (اللهم ألـف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1].

وقـد رد أمير المخلاف السليماني على رسالـة الإمام الشوكاني التي أشرنا إليها آنفـاً برسالة طويلة أوضـح فيها أنه كان ملتزماً باتفقيـات ومعاهدات مع إمام اليمن نقضها عماله وفي مقدمتهم علي بن يحيى بن علي سعد الذي أثار الفتنة ونقض العهود إلى آخر ما جاء برسالة الشريف حمود التي أوردها الشوكاني بعد رسالته [2].

(١) ذكريات الإمام الشوكاني (انظر رسالته) ص١٥٦-١٥٨.

(٢) المصدر السابق ص١٥٩-١٦٠.

وهكـذا كان الإمام الشوكاني – رحمه الله – رمـزاً كبيراً من رموز التواصل الثقـافي في بين البلدين الجارين وكانت له صلات وتواصل علمي وفكري وثقافي بعلماء البـلاد السعوديـة وقادتهـا ومثلـه كان عدد كبير مـن معاصريه من علمـاء القرن الثالـث عشـر في البلدين فبعضـ علماء اليمـن تتلمذ على علمـاء الحرمين وأجيز منهم، وبعضُ علماء بلاد الحرمين تتلمذ على علماء اليمن وأجيز منهم، ولهذا كان بينهم من التواصل الثقافي المتمثل في المحاورات والمناظرات والمطارحات الأدبية ما يشـكّل ثروة فكرية كبـيرة، وفي (البدر الطالع) للشوكاني شيء من تلك المناظرات والمراسلات والمحاورات التي سجلها لنا الإمام الشوكاني مع ردودها... وحفظت لنا كتـب (زبـارة): (نيل الوطر) و (نشر العـرف) صفحات مشرقة من مناظرات ومطارحات وتقريضات أدباء البلدين كما نجد في كتب (عاكش): (عقود الدرر) و (حدائـق الزهـر) نجد حدائق ذات بهجة من تلك المطارحات الأدبية بين علماء وشعـراء وأدبـاء البلديـن الجاريـن الشقيقين، وقد أتـى على كثير منهـا الأستاذ: عبـد الله خادم العمـري) في كتابه: (النهضة الأدبيـة في اليمن وبيوتات العلم في مثلـث التواصل: صنعاء، تهامـة، المخلاف السليماني بين عهـدي الحكم العثماني ١٠٤٥-١٣٣٣هـ) حيث خصص الجزء الثاني مـن كتابه لرصد ذلك التواصل بين علمـاء الأقاليم الثلاثة صنعـاء، وتهامة اليمن، والمخلاف السليمـاني وبدأ ذلك بـ (المطارحـات العلمية في عصـر النهضة) ص٣٥ ثم تناول بعـد ذلك التقريضات التـي تبادلها العلماء حول عدد من الكتب والموضوعات، ورصد بعض المناظرات ثم

تحدث عن المقامات والمراسلات بينهم، ثم عقد فصلاً للمطارحات العلمية وتحدث عـن المباريات الشعرية والمناظرات الأدبية، والمطارحات الأدبية ...... الخ، وعرض نمـاذج لكل لون مـن هذه الألوان التي تباري وتنافس علمـاء وشعراء البلدين فيها، وجعل الباب الأخير مـن الجزء الثاني بعنوان: (أروع المناظرات وأرقى التواصلات لـرواد عصر النهضة في مثلـث التواصل) ويقصد بمثلـث التواصل – كما جاء في عنوان الكتاب الرئيسي – صنعاء، وتهامة اليمن، وتهامة المخلاف السليماني) مع أن الكتـاب لا يخلو من معارضات ومناظرات لعلماء الحرمين وعلماء عسير وعلماء أقاليـم أخـرى من أقاليم الجزيـرة العربية، وهـذا الباب من أجمـل وأمتع أبواب وفصـول هذا الكتاب الـذي جمع فيه (العمري) من كتـب: الشوكاني، وزبارة[1]،

---

(١) المـؤرخ اليمني الشهير العلامة: محمد بـن محمد بن يحيى زبارة ولد بصنعاء ونشأ بها: (١٣٠١-١٣٨١هـ) وأخـذ علومـه على جماعـة من علمائها مـن كبار علمـاء ومؤرخي اليمـن ومنهم العلامة محمـد بن قاسم الظفـري والعلامة محمـد بن محمد السنيدار وغيراهم وأخذ من عدد من علمـاء اليمن ومكة المكرمة لازم الإمـام (يحيى) وكلفه بعدة مهـام سياسية ،تولى القضاء سنة ١٣٣٠هـ وشارك في صلح (دعان) بين الإمام والأتراك، أرسله الإمام يحيى في سنة ١٣٤٠هـ مندوبا إلى ملك الحجاز آنذاك الشريف الحسين بن علي، ثم بعثه الإمام في سنة ١٣٤٦هـ لمفاوضة الملك عبد العزيز آل سعود ضمن وفد يمني سياسي كبير، رحل(زبارة) إلى عـدد مـن البلدان العربية والإسلاميـة وكانت له صلات ببعض رجال الملك عبـد العزيز وصلات بعلماء الحرمـين الشريفـين، له مؤلفات كثيرة منهـا: (نيل الوطر من تراجم رجال القـرن الثالث عشر) و (نشر العـرف لنبـلاء اليمن بعد الألـف) و (نيل الحسيين) وغيرهـا. انظر ترجمته في الأعـلام ج٧ ص٨٥،وفي مصـادر الفكـر الإسلامي والعربي للحبشـي ص٤٦٧، وهجر العلـم ومعاقله في اليمن للأكـوع ج٢ ص٥٨٨، ونزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر لمحمد محمد زبارة وأتمه ابنه العلامة: أحمد محمد زبارة، تحقيق ونشـر مركز الدراسـات والأبحاث اليمنية بصنعاء ١٩٧٩م شارك في التحقيق عبد الله عبد الكريم الجرافي ج٢ ص٥٨٥.

وعاكش[١]، والوشلي[٢]، وغيرهم – جمع فيه فأوعى وأمتع كثيراً؛ ففي ص٣٨٣ أشار بإيجاز إلى محاورات ومناظرات ومطارحات ومراسلات الإمام الشوكاني فقال: (ثامن عشر: تواصلات شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني) حيثُ بدأ العمري حديثه عن اتصال الإمام الشوكاني بعلماء ومفكري عصره فقال: (تواصلاته لا تحصى وهي متعددة وممتدة إلى كل المحاور وموزعة في كل باب وفي كل فصل من هذا الكتاب)[٣].

---

(١) العلامة: الحسن بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الضمدي الشهير بـ(عاكش) (١٢٢١-١٢٩٠) ولد ببلدة ضمد العلمية من أسرة علمية شهيرة هي أسرة آل (ابن عمر)، تلقى العلم على عدد من علماء بلده ثم رحل إلى زبيد وبيت الفقيه وصنعاء كما رحل إلى مكة المكرمة وتلقى العلم أشهر علماء تلك البلدان واستجازهم، وحين عاد إلى موطنه اشتغل بالتدريس فأقبل على حلقته طلاب العلم من كافة نواحي المخلاف السليماني وكان مقرباً من حاكم المخلاف السليماني في زمنه الشريف الحسين بن علي بن حيدر وقد نظم فيه درراً من شعره وقوي اتصاله بأدباء ومفكري وشعراء عصره في المخلاف السليماني والحجاز واليمن ألف في مختلف العلوم ومن أبرز مؤلفاته: (فتح المنان بتفسير القرآن) و (روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمي المعاني والبيان) و (الديباج الخسرواني) و (حدائق الزهر) و (عقود الدرر) وغيرها وله ديوان شعر حققه حسن أحمد النعمي ونشره نادي جازان الأدبي. انظر ترجمته في الأعلام ج٢ ص١٨٣ وفي نيل الوطر ج١ ص٤٥١-٤٥٦ وغيرها.

(٢) الوشلي هو: العلامة إسماعيل بن محمد الوشلي التهامي (١٢٨٤-١٣٥٦هـ) ترجم لنفسه ترجمة طويلة نقتطف منها قوله: (مولدي في عام أربعة وثمانين ومئتين بعد الألف، بمدينة الزيدية وبعدها نشأت في حجر والدي وقرأت القرآن على شيخي العلامة حسين بن إسماعيل صايم الدهر ولما توفي والدي لازمت خالي (حسين) المذكور وقرأت عليه علوماً عدة كما أخذت بعض العلوم على العلامة إبراهيم القديمي وعلى العلامة عبد الرحمن القديمي ومن مشائخي عبد الله بن حسين الزواك وأحمد بن محمد الزواك وغيرهم كما أخذت العلم عن السيد محمد بن علي الإدريسي) توفي سنة ١٣٥٦هـ وله مؤلفات كثيرة من أهمها (نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن) وقد نشر في أربعة مجلدات، انظر ترجمته في كتابه المذكور ج٢ ص١٨٦-١٩١.

(٣) النهضة الأدبية في اليمن لعبد الله خادم العمري ج٢ ص٣٨٣.

قلتُ: ومشاركات ومحاورات وتواصلات الشوكاني مع علماء بلدان الجزيرة العربية عامة وبلاد الحرمين خاصة كثيرة جداً، ولو تتبعنا ما سجله عالم المخلاف السليماني (الحسن بن أحمد عاكش) فقط مع شيخه الشوكاني من محاورات ومساجلات شعرية ونثرية لخرجنا بحصيلة ثقافية تؤكد على ذلك التواصل الثقافي الكبير الذي شهدته العصور الأدبية الماضية بين البلدين ويكفي أن تقرأ قول الحسن بن أحمد عاكش: (و لم تزل المسائل والمشكلات دائرة بيننا لتوضيحها بأحسن عبارة، وجواباته عندي مدونة بقلمه) [1]، ولقد كان نصيب القرن الثالث عشر وافراً ربما لوجود عدد من العلماء الذين دونوا تلك المساجلات والمناظرات والمحاورات كعاكش والشوكاني رحمهما الله.

وليس غريباً على إمام كبير كالإمام الشوكاني أن تكون له كل هذه الاتصالات بعلماء عصره وأن يكون له كل هذا التأثير في الصلات الثقافية بين اليمن وبلاد الحرمين كيف لا وهو ذلك المفكر الكبير والعالم الموسوعي الذي ألف في كل فن وتجاوزت مؤلفاته المائة وكثير منها في مجلدات: ككتابه الشهير: (فتح القدير في التفسير) الذي يقع في خمسة مجلدات، ويدرس في بعض الجامعات العربية، وكتابه: (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار) وهو من المراجع المهمة في الحديث ويقع في ثمانية مجلدات، و (السيل الجرار) .... وغيرها وغيرها... والشوكاني قبل هذا وبعده إمام مجتهد معروف على مستوى العالم الإسلامي وهو صاحب

(١) النهضة الأدبية في اليمن لعبد الله خادم العمري ج١ ص١٢٥.

منهج يعتمد على الكتاب والسنة في الأحكام وفي استخراج الأدلة والعمل بها.

وبرغم هذه المكانة العلمية والأدبية الكبيرة للإمام الشوكاني إلا أن أعماله العلمية والرسمية التي مارسها (تكاد تنحصر في: التدريس، والتأليف، والفتيا، والقضاء، وكان في غالب الأحيان يجمع بين هذه الأعمال) [(١)]، وهكذا فقد استطاع الشوكاني أن (يقسم وقته بين تنفيذ الأحكام، وإزاحة علل الأنام، ومباحثة السادة الأعلام في تحرير الأفهام) [(٢)]، (كان – رحمه الله – صاحب منهج قويم سلكه واعتمده في استنباط الأحكام من كتاب الله ومن حديث رسول الله ﷺ لذلك عده كثير من العلماء من المجددين الإسلاميين في القرن الثالث عشر الهجري) [(٣)]، كل هذا يؤكد تقارب منهج الإمام الشوكاني مع أئمة الدعوة السلفية حتى وإن تأخرت كتاباته المنصفة عنهم، وصلاته القوية بهم.

---

(١) حوليات سوق حباشة، كتاب عبد الله أبو داهش السنوي العدد (٦) ص٧٦، (دراسة وتحقيق دالية الشوكاني الموجهة للإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، مطابع الجنوب، أبها ١٤٢٢هـ.

(٢) النهضة الأدبية في اليمن ج١، ص١١٣.

(٣) (بتصرف) عن كتيب بعنوان: الإمام محمد بن علي الشوكاني أديباً شاعراً ص٣٢٢ وهو بحث مستل عن بحث الدكتور أحمد حافظ الحكمي الذي نشره في مجلة اللغة العربية بجامعة الإمام في الرياض العدد (٧) الصادر عام ١٣٩٧هـ.

تواصل الإمام الشوكاني مع أئمة الدعوة السلفية وقادتها

ربما كانت أصداء بعض أخبار دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية قد طرقت مسامع الإمام محمد بن علي الشوكاني مبكراً، فتطلع لاستجلاء حقيقة أمرها باهتمام مشوب بالحذر الذي نجده في بعض ما كتبه آنذاك كقوله: (لقد رأيت كتاباً من صاحب (نجد) أجاب به على بعض أهل العلم وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقده، فرأيت جوابه مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة، فالله أعلم بحقيقة الحال) [1]؛ فمع ثنائه على جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومعتقده الموافق للكتاب والسنة إلا أن حذره جعله يذيل كلامه الجميل بقوله: (فالله أعلم بحقيقة الحال)!! فهل ذلك مما أملاه عليه موقعه الرسمي؟؟ ربما!.

وفي واقع الأمر فإن الإمام الشوكاني لم يكتب عن الدعوة السلفية بوضوح وشفافية إلا بعد انقشاع غيوم الشائعات المغرضة التي كانت تثار ضدها وبعد أن تيقن أن هذه الدعوة المباركة توافق معتقده الذي يدعو إليه من العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله.

فبعد أن وصلت رسل صاحب (نجد) إلى إمام اليمن حاملة بعض الكتب، تمت إحالتها إلى الإمام الشوكاني، فوجدها تجلّي حقيقة الدعوة وإمامها (محمد بن عبد الوهاب) حينئذ أخذ الإمام الشوكاني يتحدث عنها بإنصاف فقد وصف

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ج٢ ص٧.

مـا اشتملـت عليه بإعجاب وبدأت الدعـوة السلفية تأخذ مكانهـا الطبيعي في كتبه ورسائله بعد أن تغلغل صداها إلى وجدانه لذلك تغير أسلوبه في الحديث عنها وعن إمامها، نجدُ ذلك في مثل قوله: (وفي سنة ١٢١٥هـ وصل من صاحب نجد مجلدان لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بالأدلة من الكتاب والسنة، والمجلد الآخـر يتضمن الرد على جماعة من المقصريـن من فقهاء صنعاء وصعده، ذاكروه في مسائـل متعلقة بأصول الديـن وبجماعة من الصحابة، فأجـاب عليهم جوابات محـررة مقررة محققة تدل علـى أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنـة)[1]. ترى أين هذه المعاني الجميلة التي عبر عنها هنا من تلك التساؤلات الحائرة التي سبقت الإشارة إليها لقد اختلف الأمر هنا كما نرى.

ثم توالت بعد ذلك متابعاته المنصفة للدعوة وأئمتها وأصبح كثير الاهتمام بهـا وبعلمائهـا، يستقبلهـم ويحاورهم ويسجـل أخبارهم في كتبـه ورسائله.. حتى اعتـبر – عنـد بعض الباحثين – مـن مؤيدي دعوة الشيخ محمد بـن عبد الوهاب الذين يغترفون من معينها السلسبيل ويتفقون معها في صفاء العقيدة وصدق المعتقد وشريـف الغاية ونبيل المقصـد لذلك عده كثير من المفكرين مـن الذين يلتقون مع إمـام الدعوة السلفية في كثير مـن أهدافها الدينية السامية، فهاهو المفكر (عباس

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ج٢ ص٧.

محمود العقاد) يؤكد بأن الإمام الشوكاني يلتقي مع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في الدعوة إلى تطهير الاعتقاد من الشرك (فكلاهما ينادي بالإصلاح على نهج واحد، وهو العود إلى السنن القويم ورفض البدع)[1]، وهذا الرأي يذهبُ إليه آخرون أمثال المفكر الأستاذ (إبراهيم هلال) الذي يرى: (أنّ الإمام الشوكاني يلتقي مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى تطهير الاعتقاد، وكون كل منهما يعتبر موجهاً للنهضة العلمية الدينية وجهة عقلية سلفية) [2].

ولهذا اعتبر الإمام الشوكاني من كبار مؤيدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية: (فقد تأثر به و أفاد من علمه ومن مؤلفاته) [3].

وتؤكد المصادر بعدئذ على صلات الإمام الشوكاني المتينة بأمراء نجد وبعلمائه من أئمة الدعوة السلفية؛ فقد أصبح يثني على نهضتهم الإصلاحية برغم موقعه الرسمي في بلاده، لنستمع إليه وهو يتحدث عن بعض إنجازاتهم فيذكر: (بأنهم أقاموا الدين الحنيف في جميع البلاد التي فتحوها، وأن من دخل في حوزتهم أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام) [4] وأشار العلامة محمد

---

(١) الإسلام في القرن العشرين لعباس محمود العقاد ص٨٥ وما بعدها، وانظر كتاب: (محمد بن عبد الوهاب) لأحمد عبد الغفور عطار ص٢٠٧ وما بعدها.

(٢) الكتاب السنوي: (حوليات سوق حباشة) العدد (٦) ص٨٠ وقد أحال أبو داهش على كتاب (الإمام الشوكاني والاجتهاد والتقليد) لإبراهيم هلال.

(٣) انظر كتاب: قادة الفكر الإسلامي عبر القرون، لعبد الله بن سعد الرويشد ص٢٥١، وانظر حوليات سوق حباشة لأبي داهش العدد (٦) ص٨.

(٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج٢ ص٥.

بـن الحســن الشجني الذماري[1] في كتابـه (دُرَّة التقصار في جيـد عالم الأقاليم والأمصــار) الـذي ألفه عن الإمام الشوكاني وأتى فيـه على سيرته وذكر مشايخه وتلاميـذه وأورد فيه بعض شعـره. وفي هذا الكتاب أشار العلامة (الشجني) إلى تلك الصلة القوية بين الشوكاني وبين علماء نجد فقال: (وكان علماء نجد يطلبون مصنفات الإمام الشوكاني، وكانت تدور بينه وبينهم المكاتبات) [2].

وإلى جانب ذلك فقد كان الشوكاني حفياً برسلهم الذين يفدون إلى بلاد اليمن، يستقبلهم ويحاورهم ويسجل أخبارهم في كتبه ورسائله، فقد ترجم في كتبه لعدد من علماء نجد وأئمتهم، بل كان يمنح بعض علمائهم الإجازات العلمية كما فعل مع الشيخ سليمـان بن عبـد الله بن محمد بن عبد الوهـاب (١٢٠٠-١٢٣٣هـ) [3] والباحث في

---

(١) العلامـة الأديب المـؤرخ محمد بن الحسن بن علي الشجني الذمـاري (١٢٠٠-١٢٨٦هـ): تتلمذ على الشيخ الشـوكاني وعلـى عدد من علماء صنعاء، ولـه مؤلفات كثيرة وشعر حسن. انظر ترجمتـه في: نيل الوطر ج٢ ص٢٥٧، وفي الأعلام ج٦ ص٩٣ وفي الروض الأغن ج٣ ص٤٥.

(٢) درة التقصار في جيد عالم الأقاليم والأمصار ومشايخه وتلاميذه في الافتخار للشجني، مخطوط وهو موزع على ثلاثة أبواب الباب الأول خصصه لشيخه الشوكاني: نشأته، مؤلفاته.. رسائله .... الخ الباب الثاني عن مشايخ الشوكاني، والباب الثالث خصصه لتلاميذه، مع استطرادات جميلة.

(٣) العدد الثاني من الكتاب السنوي: (حوليات سوق حباشة) الذي يصدره عبد الله أبو داهش انظر الصفحات (٥١-٥٩) بتصـرف. والشيـخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التميمي: (١٢٠٠-١٢٣٣) ولد بالدرعيـة وبها نشأ وتلقى تعليمه على والـده وعلى أعمامه: (علي) و (حسين) وعلى بعض علماء الدرعية ومنهـم الشيـخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، فحفظ القرآن الكـريم وبرز في علوم الشرع وكان محباً للعلم وله عدة مؤلفات من أهمها: (شرح كتاب التوحيد) و (حا شية على المقنع) في الفقه وهو أحد قضاة الإمـام عبـد الله بن سعود توفي سنة ١٢٣٣هـ. انظر ترجمته في عنـوان المجد ج١ ص٢١١، وفي الحاشية رقم (١) ص١٨٦ من ديوان ابن سحمان تحقيق إبراهيم الفوزان، وغيرها.

كتب الشوكاني خلال تلك الفترة يتضح له اهتمامه الكبير بالدعوة السلفية وأئمتها وحرصــه الشديد عليها؛ لذلك فقد حزن لوفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب حزناً شديــداً ورثــاه بقصيدة عصماء ذكــر فيها مناقبه، وأشاد بمنهجــه في الدعوة وأن وفاتــه تمثل ثلمة كبــيرة في مسيرة الدعــوة الإسلامية. وقد أطلــق لمشاعره العنان فجاءت قصيدته مشحونة بالأسى والألم، وقد أراد لها أن تعبر عن وجدانه المكلوم، وأن تصــور لوعته وأليم حزنــه على فقد الشيخ محمد بن عبــد الوهاب الذي يمثل فقــده لديــه فقد عدد كبير من أعلام الدعوة الإسلامية؛ فــكان حزنه شديداً وكان الخطــب عليه جللاً صورت بعض ذلك قصيدته هذه التي ربما عبر بها عن مشاعر كثير من المفكرين المسلمين.

يقول الشوكاني في بعض أبياتها:

مُصــابٌ دهـا قلبي وأذكــى غلائلي ... وأصـمـى بسهم الافـتـجـاع مقاتلي
مصابٌ بـه أعـشـار قلبي تصدعت ... فأمست بفرط الـوجـد أي ثواكل
ورزءٌ تـقـاضـاني صـفـاء معيشتي ... وأنـهـلـنـي قـســراً أمــرَّ المنـاهـل
فـعـدتُ بـه رهـن الـتـيـاع ، ولاعـج ... حـلـيـف أســىً للقلب غـيـر مـزايـل
مـصـاب بـه قـامـت عـلـيَّ قيامتي ... ومـن كـرب ما لاقـيـتُ أعـظـم هائل
مصاب بـه ذابـت حشاشة مهجتي ... وعـن حـمـلـه قـد كـلَّ مـنـي كاهلي
مصاب به الدنيا قد اغـبرَّ وجهها ... وقـد شمخت أعـلام قـوم أسـافـل
مـصـاب بـه قـد أظـلـم الـكـون كله ... وكـان على حـال من الحـزن حائل

به انهد ركن الدين وانْبَتَّ حبله ... وشُدَّ بناء الغيّ مع كل باطل
وقام على الإسلام جهراً وأهله ... نعيقُ غراب بالمذلة، هائل
وسيْمَ منار الاتباع لأحمد ... هوانُ انهدامٍ، جاء من كل جاهل
وهبَّت لنار الابتداع سمائم ... بسمٌ لنفس الدين مُردٍ وقاتل

إلى أن قال مطالباً نفسه بمزيد الحزن والأسى لفقد هذا الإمام:

فيا مهجتي ذوبي أسىً، وتأسفاً ... ويا كبدُ انفتّي، بحزن مُواصل
ويا مقلتي نَحِّ الكرى عنك جانباً ... وجودي بدمع، دائم السّكب هاطل
فقد مات طود العلم قُطْبُ رحى العلا ... ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طرّاً لموته ... وغُيِّب وجه الحق تحت الجنادل
إمام الهدى، ماحي الردى، قامع العدا ... ومُرْوي الصدى من فيض علم ونائل
إمام الورى، علامة العصر، قدوتي ... وشيخ الشيوخ، الحَبْر، فرد الفضائل
محمد ذو المجد الذي عزَّ دركه ... وجلّ مقاماً عن لحوق المطاول
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه ... وقام مقامات الهدى بالدلائل
إمام له شأن كبير، ورتبة ... من الفضل، تثني همة المتطاول
فريد كمال في العلوم فهل ترى ... له في تقارير لها من مماثل
على خلق يحكى النسيم لطافة ... وكامل أوصاف وحسن شمائل
فما هو إلا قائم في زمانه ... مقام نبي في إماتة باطل

تُبَكِّيه أجفاني، حياتي وإن أمت سيبكيه عني جفن طلّ ووابل
وتبكيه أقلامي أسىً ومحابري ويبكيه طرسي دائماً وأناملي

ثم استمـر الإمام الشوكاني في مرثيته للإمام محمد بن عبد الوهاب فتحدث عن جهوده التي بذلها في سبيل الدعوة الإسلامية حتى استقامت قناتها، فعز الدين وأهله بفضل الله ثم بفضل تلك الجهود المخلصة؛ لذلك فلا غرو أن يحزن الجميع لفقد هذا الإمام، وهكذا وجدنا الإمام الشوكاني يواصل رثاءه الصادق قائلا:

عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن يميد ببحر فائض العلم سائل
ولله نعش كان حامل جسمه هنيئاً له، إذ كان أكرم حامل
فلا غرو أن يبكي الزمان لفقده فقد كان غيث الجود، كهف الأرامل
فمن للبخاري بعده، ولمسلم؟ يُبينُ المخبّا منهما، للمحاول؟
ومن ذا؟ لتفسير الكتاب ومن نرى لأحكام فقه الدين؟ من للرسائل؟
ومن لمسانيد سمت؟ ومعاجم؟ وكشف لثام الحكم عند النوازل؟
ومن بعده للصدع بالحق قائم؟ بجدٍ، ولا يخشى ملامة عاذل؟

وقبـل أن يختم هـذه القصيدة العصماء تحدث بلهجة زاجـرة لشانئي الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحاسديه ومنتقدي مسيرة الدعوة السلفية فقال:

أفق يا معيب الشيخ!! ماذا تعيبه؟ لقد عبت حقاً، وارتجلت بباطل
نعم. ذنبه التقليد قد جذّ حبله وفلّ التعصب بالسيوف الصياقل
ولما دعا لله، بالحق صارخاً صرختم له بالقذف مثل الزواجل

أفيقوا. أفيقوا. إنه ليس داعياً إلى دين آباء له، وقبائل
دعا لكتاب الله، والسنة التي أتانا بها طه النبي، خير قائل
فوآ أسفي!! وآلهف قلبي وحسرتي عليه، ويا حزني لأكرم راحل
ويا ندمي، لو كان يجدي من القضا ولكن قضاء الله أغلب حائل
ولو كان من ريب المنية مخلص لكنت له بالجهد أيّ محاول
وما مات. كلاّ. بل إلى جنة العلا أتاه من الرحمن أكرم ناقل
ولما له الفردوس زاد اشتياقها وكان لها كُفؤاً وأسرع واصل
شدت ورق أغصان الهناء، ترجعاً تقول له قد فزت يا خير عامل[(١)]

إنه البوح الصادق الذي عكس مشاعر الإمام الشوكاني وصور حزنه الأليم لفقد إمام الدعوة السلفية الشيخ: (محمد بن عبد الوهاب) رحمهما الله.

وهكذا جاء شعر الإمام الشوكاني ونثره الموجهان لقادة الحركة الإصلاحية جاءا معبران عن بالغ اهتمامه بالدعوة السلفية التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذلك أمر غير مستغرب من إمام سلفي كالشوكاني شديد الانتماء للسنة ومن يخدمها؛ فحتى قصيدته الدالية التي وجهها ناصحاً نصح المحب للإمام: سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود قد أتت حافلة بما يؤكد غيرته

(١) الكتاب السنوي: (حوليات سوق حباشة) لعبد الله أبو داهش، العدد الثاني ص٤٩-١٠٢، تحقيق ودراسة لقصيدة الإمام الشوكاني في رثاء الإمام محمد بن عبد الوهاب من إصدارات دارة الملك عبد العزيز بالرياض في عام ١٤١٧-١٤١٨هـ، وانظر الكتيب: الإمام محمد علي الشوكاني أديباً شاعراً لأحمد حافظ الحكمي.

علـى الدعوة السلفية، وحرصه الشديد على ثبات نهجهـا حبّاً منه ودعماً لمسيرتها المباركة وخشية عليها، فكانت قصيدته الدالية تلك تؤكد على هذه المضامين برغم الظروف الحرجة التي كان يمر بها اليمن والعالم الإسلامي حين كتبها، حيثُ كانت الأخطار تحدقُ بالجزيرة العربية وحروب محمد علي باشا[1] على الدولة السعودية بالإنابـة قـد بدأت منـذ العام ١٢٢٨هـ[2]. وما هـي إلا فترةٌ يسـيرة توالت بعدها الأحداثُ وعاد الأتراك وبسطوا نفوذهم على أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية بما في ذلـك اليمن، وعاد التشـرذمُ إلى أقاليمها بعد الوحدة. لذلك كانت روح النصح بارزة في تلك القصيدة.

وكأنمـا كان الإمام الشوكاني وبحدس المؤمن يستشرف المستقبل المظلم الذي سيحـل بالجزيرة العربية كلها حين أرسل (داليته) إلى (الملك سعود)، فبمقدار حرصـه علـى بـلاده كان حرصه على بلـدان الجزيـرة العربية وعلى نهـج الدعوة السلفية التي نهض بها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وناصرها وحمل رايتها

---

(١) محمـد علي باشا: هو محمد علـي باشا بن إبراهيم أغا بن علي: (....-١٢٦٥هـ) مؤسس آخر دولة ملكية بمصـر، ألباني الأصـل، قدم إلى مصر ضمن قوة تركيـة لردع الفرنسيين، تمكن مـن الوصول إلى السلطة سنـة ١٢٢٠هـ بعد صراع طويل مـع المماليك.... اختـاره العثمانيون للقضـاء على الدولـة السعودية الأولى فجهـز الجيوش التي قادهـا (إبراهيم باشا) و (طوسـون) وقد منيت جيوشه في البدايـة بهزائم نكراء مـن السعوديين ثم تمكن بعد ذلـك من القضاء عليهم في سنة ١٢٣٣هـ ثم دخل بعد ذلك في صراع مع الباب العالي، وسيطر على بلاد الشام والسودان، وبعد معاهدة لندن حصرت دولته في مصر. توفي سنة ١٢٦٥هـ.. انظـر ترجمتـه في: الأعلام ج٧ ص١٩١، وفي هامش ص١٣٠ من كتاب: (الديباج الخسرواني لعاكش تحقيق إسماعيل البشري) وغيرها.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ج١ ص١٦٥.

الغــر الأماجد مــن آل سعود آباء الملــك سعود الذي وجه إليه هــذه القصيدة غيرة ووفاء للدعوة وأئمتها وقادتها حيث قال فيها:

إلى الـدرعـيـة الـغـراء تـسـري	فـتـخـبرهـا بمـا فـعـل الجـنـود
وتـصـرخ في ربـا نجـدِ جـهـاراً	فيسمعها إذا صرخت (سعود)
وابـنـا مـقـرنِ، وهـمُ لـيـوث	إذا الحـرب الـعـوان لـهـا وقـود
ففـي أبـنـاء شيخ الفضـل فضل	إلى الإنـصـاف فضلهم يقـود
كـذاك بـقـيـة الأقــوام طـراً	وكـل مـسـود مـنـهـم يـسـود
ألمَّـا تـعـلـمـوا أنَّـا، وأنـتـم	على صـوب الصـواب لنا قعود
ونـهـج الحـق لا نـبـغـي سـواه	إلـيـه جُـلُّ مقـصـدنـا يـعـود
وأنـا نجـعـل الـقـرآن جـسـراً	فـمـصـدرنـا عـلـيـه، والـورود
نـرد إلى الـكـتـاب إذا اختلفنا	مـقـالـتـنـا، ولـيـس لـنـا جـحـود
كـذاك إلى مقال الطهر (طـه)	نـرد وفي الـكـتـاب لـنـا شـهـود
كـتـاب الله قـدوتـنـا ومـا في	كـلام المصطفى، وهـمـا الـعـمـود
وهـدي الصحب أفضل كـل هـدي	وأشـرفـه، وإن جـحـد الجـحـود
فـهـل لـكـم إلى هـذا رجـوع	فـإن عـدتم، فـنـحـن كـذا نـعـود
نـقـوم بـديـنـنـا فـنـنـال أجـراً	كـمـا قـد نـالـه مـنـا الجـدود
عـلـى المخـتـار صـلـى ذو المعالي	عـلـيـه مـا تـقـهـقـهـت الـرعـود

وهي طويلــة جداً قاربت أبياتها الستين وقد ختمهــا الإمام الشوكاني بالدعوة

إلى الوفاق واجتماع الكلمة وتقويم كل اعوجاج فقال:

فيا أهل الجزيرة من معدٍّ وقحطان إلى المعهود عودوا

وقد آن الوفاق فلا تكونوا على الإسلام فاقرة تؤود

وذودوا من أتى منكم بنكر فخير المسلمين فتى يذود

وذا نصح صحيح من نصيح فساعدني عليه، يا (سعود)[1]

والقارئ بتمعن لقصيدة الإمام الشوكاني هذه يحس بأن فيها إلى جانب النصح الصادق نعياً مبكراً للدولة السعودية الأولى بل نعياً لكل إنجازٍ جميل في الجزيرة العربية، فكأنما كان يدرك بحدس المؤمن وبصيرة المفكر ما يحاك لهذه الدولة الفتية من مكائد ستعجل بنهايتها أو هكذا استشعرها الشوكاني رحمه الله؛ (فسعود) الذي وجه إليه تلك القصيدة لم تطل مدته كثيراً حيثُ توفي سنة ١٢٢٩هـ بعد أن بدأت حروب محمد علي باشا وأبناؤه (طوسون، وإبراهيم) – بالإنابة عن الدولة العثمانية – عليه وعلى دولته، تلك الحروب والملاحم التي أدت في النهاية إلى سقوط الدرعية وتدميرها وأسر قائدها الإمام عبد الله بن سعود ثم قتله فيما بعد وقتل أعداد كبيرة من آل سعود وأعداد كبيرة كذلك من أئمة الدعوة وأتباعها ومناصريها.

ولقد صدقت توقعات الإمام الشوكاني للأخطار المحدقة بالدعوة

---

(١) الكتاب السنوي: (حوليات حباشة) الذي يعده عبد الله أبو داهش (العدد السادس) ص٩٩-١١٠) الصادر عن مطابع الجنوب بأبها في عام ١٤٢٣هـ. وانظر كتاب: النهضة الأدبية في اليمن لعبد الله خادم العمري ص٤٤، وانظر هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٤ ص ٢٢٦٨-٢٢٧٢.

السلفيــة وأئمتها بــل بالجزيرة العربيــة وأهلها ،وحصل المكــروه الذي كان يخشاه ويحذر منه بشدة في هذه القصيدة الرائعة، وإن كان الإمام الشوكاني في موقــعٍ آخر كان يتحدث فيه عــن غزو جنود الأتراك لليمن واستيلائهم علــى أجــزاء كبــيرة منه؛ فقد نســب خروج الأتــراك وعودتهــم لليمن إلى مقاومة الشريف الحسن ابن خالد الحازمي[1] لهم بعد أن بويعَ في عام ١٢٣٣هـ

(١) الشريــف الحســن بن خالــد الحازمي هو: الإمام العلامــة الوزير الحسن بن خالد بن عــز الدين الحازمي (١١٨٨-١٢٣٥هــ): قائد من أبــرز قادة وأعلام المخلاف السليماني كان إمامــاً في عددٍ من العلوم ومرجعاً لطلابــه في دقائقهــا فهو (رب السيف والقلم) في عصره، ولد ببلــدة ضمد من أسرة علمية هاشمية عريقة، وتلقى العلم على علماء بلده وفي مقدمتهم العلامة أحمد بن عبد الله الضمدي وبرع في علوم: النحو والصرف والأصــول، وأقبل على علوم القرآن والسنة حتى بلغ درجة الاجتهــاد، كانت لديه حلقة علمية يلازمه طلابها في حلــه وترحاله وقد أجــاز عدداً منهم كما أجاز بعض علماء في نجد أثنــاء زيارته للدرعية ومنهم العلامة : سليمــان بــن عبدالله بــن عبدالوهاب – كما يقول البســام في كتابه: علماء نجد خــلال ستة قرون ج٢ ص ٣٤٢ – ، وكانــت لديــه مكتبة علمية كبيرة ليس لها مثيل – كما يقول عاكش – ويقول هاشم النعمي: (يعتبر العلامــة الحازمي من مفاخر رجال الجنــوب في علمي الكتاب في السنة)، كان رئيســاً لوزارة دولة الشريف حمــود أبــو مسمار (وكان هو المتكلــم في الأمور الشرعية والدولية لا يرد له قــول) – كما يقول الشوكاني –، بويــع أميراً لعسير بعد وفاة الشريف حمود وبعد القبض على ابنه (أحمد) من قبل الأتراك، وبعد اضطراب الأحــوال في المخلاف السليماني وفي عسير فقاد الجيوش وتصدى للأتراك فهزمهم في عدة معارك ووصلت جيوشه إلى أطراف غامد وزهران وقد دامت إمارته على بلاد عسير أكثر من سنة وثمانية أشهر (كما يقول عبــد الله القباع) في كتابــه: العلاقات اليمنية السعودية ص١٦ – وكما أشــار الشوكاني في البدر الطالع ج٢ صــ٣٧٢– وضــل على صلة قوية بالدرعيــة وإمامها (عبد الله بن سعود) يراسلــه ويتابع أخبار معاركهم مع الأتراك ويبشره ببعض انتصاراته عليهم في عسير، وقد حزن حزناً شديداً حين سقطت الدرعية واعتبر ذلك فاقرة على الإسلام والمسلمين وبداية استعمار للجزيرة العربية، بل رأى في ذلك أفول نجم العرب – كما عبر عــن ذلــك في رسائله المنشورة – ، وظل الحازمي يقاوم الأتراك ويدافع عن الدعوة السلفية ومنجزاتها حتى استشهد في إحدى معاركه مع الأتراك في موقع قريب من بلدة (أحد رفيدة) يعرف بجبل (شكر) وذلك في=

أميراً على عسير[1] معللا ذلك بقوله: (وهناك سببٌ آخر في خروج الأتراك إلى اليمن وهو أن الشريف الحسن بن خالد الحازمي قد جمع طائفة من قبائل عسير وغزا بهم إلى قريب الطائف فارتجف من ذلك من في مكة من الأشراف ...)[2]، والواقع أن الشريف الحسن بن خالد الحازمي إنما كان يقاوم زحوف الأتراك التي أتت عن طريق الحجاز، فبعضها عن طريق القنفذة وتهامة، وبعضها عن طريق جبال الحجاز عدا تلك القوات الضاربة التي تحاصر الدرعية بقيادة إبراهيم باشا وهدفها القضاء على أتباع الدعوة السلفية، وكتاب الشريف الأمير الحسن بن خالد الحازمي: (من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي حافل بالرسائل التي كان يوجهها للإمام عبد الله بن سعود قبل سقوط الدرعية مبشراً ببعض انتصاراته في المعارك التي كان يخوضها ضد فلول الأتراك في عسير وبعض أطراف الحجاز)

=عام ١٢٣٥هـ، وبرغم انشغاله السياسي ومع أنه استشهد قبل بلوغه سن الخمسين فقد ترك عدداً من المؤلفات منها: كتاب (قوت القلوب في توحيد علام الغيوم) و كتاب (رسالة في حكم الجهر بالبسملة والإسرار في الصلاة الجهرية) حققهما ونشرهما علي أبوزيد الحازمي، وله رسائل ومسائل بينه وبين علماء عصره ومنها: رسالة (نشر الدرر شرح لمنظومة محمد سعيد سفر في ذم التعصب)، و شرح لمنظومة (عمدة الأحكام) لم يكمل، وله شعر جيد رحمه الله رحمة واسعة انظر ترجمته في الأعلام ج٢ ص١٨٩، وفي عقود الدرر ج١ ص٢٧٨-٢٩٥، وفي نفح العود للبهكلي ص١١١، وفي عنوان المجد ج١ ص٧٧، وفي أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان للعقيلي ص٨٦-١٠٢، وفي تاريخ عسير لهاشم النعمي ص١٦٥، وفي كتاب من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي تحقيق عبد الله أبو داهش ص١٠-٦٥، وفي مصادر الفكر للحبشي ص١٤٠، وفي نيل الوطر لزبارة ج١ ص٣٢٣، وفي كتاب النهضة الأدبية في اليمن للعمري ج١ ص٥٠٩-٥١٣، وفي كتابنا نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير ص٥٥-٥٧ وغيرها من كتب التراجم والموسوعات.

(١) تاريخ عسير لهاشم النعمي ص١٦٥.

(٢) البدر الطالع ج٢ ص٣٧٢ (بتصرف).

انظر كتابه: (من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي تحقيق عبد الله محمد أبو داهش).

ولعل قصيدة الإمام الشوكاني هذه تندرج في باب النصيحة التي يعتبرها علماء المسلمين من الواجبات الدينية (لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) فقد سبق للإمام الشوكاني أن وجه قصيدة مماثلة نصح بها إمام اليمن في وقته (المنصور علي بن العباس) المتوفى سنة ١٢٢٤هـ وقال في بعض أبياتها:

نداء له في الناس فالأمر أعظم ... وإن أمير المؤمنين المقدم

فأمر جميع الناس في كل موطن ... إليه، ومنه العقد والحل ألزم

وناد بني المنصور قاسم الذي ... بنى لهمُ مجدا يجل ويعظم

وناد رجال العلم جهراً فإنهم ... بما جاء في كتم البيانات أعلم

إلى أن قال مشدداً في النصيحة:

وقل للذي ناديت من كل فرقة ... أفي يقظة؟ أم أنتمُ اليوم نُوَّم

أما لكمُ فكرٌ؟ فكل مفكر ... يؤخر رجلا فيكمُ ويُقدِّم

وكم قائل قد صرتمُ مثل آلة ... يقلبها في كفه الدهر أبكمُ

وآخر قال الأمر أدبر عنكم ... فَدَبَّرْهُمُ من ليس للرشد يفهم

وأصدق من هذا وأولى بأنكم ... تركتم أموراً وهي أولى وأحزم

إلى أن قال مخاطباً الإمام بصوت قوي:

فقل لأمير المؤمنين إلى متى؟ ... يُدبِّر أمر الملك من ليس يفهم

رعاياكمُ ماتوا من الجوع جهرة   ومات رجال فضلهم ليس يكتم
وكم ناصح لم تقبلوا منه نصحه   وإن جاء بالحق الذي هو أبرم
فهل منكم ذبَّ عن الملك إنه   على جرف هار غدا يتهدم[1]

وهي قصيدة طويلة بلغت أبياتها الستين بيتاً وصارت بتلك القوة حتى آخر بيت فيها.

ونصائح العلماء الكبار لقادة المسلمين أمر متعارف عليه، حض عليه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لذلك فنصيحة الإمام الشوكاني للإمام سعود بن عبد العزيز تأتي في هذا السياق الجميل وقبل الإمام الشوكاني وجه العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (نصحاً صادقاً لأشراف مكة وعلى رأسهم قائدهم آنذاك الشريف (مساعد) يقول فيه من قصيدة:

إلى الأشراف أعيان الأنام   وأهل البيت والبلد الحرام
بني حسنٍ، وآل أبي نميٍّ   وأبنا (أحمدِ)، خير الأنام
أتانا عنكمُ خبر غريبٌ   تواتر عن يمانيٍّ، وشامي
بأن عبيدكم أضحوا لصوصاً   يخيفون الحجيج بكل عام
فقل (لمساعد) الملك المفدى   لماذا لا تذبَّ عن الأنام؟
أيأمن من يحج بكل فج   ويلقى الخوف في البلد الحرام؟

(١) الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن (١٠٤٥-١٢٨٩هـ) لعبد الله الحبشي ص٣٥، وانظر: ديوان الإمام الشوكاني: (أسلاك الجوهر) ص٣٠٧-٣١٥.

فـأمِّـن مـن أتـاهـا مـن حجيج	**أمـان الـوُرْقِ في الحـرم الحـرام**
وطـهـر مـكـةِ مـن كـل عـبدِ	**قـبيح الـفـعـل مـن أولاد حـام**
فـمـا الـبـلـد الأمـين محل عـاصٍ	**ولـيس بـه لـعـاص مـن مـقـام**
وكـيـف (ومـن يُـرِدْ فيه بظلم)	**يـذاق مـن الـعـذاب على الـدوام**

ومضى الصنعاني في نصيحته إلى أن قال:

ودونـكـمُ الـنـصـيـحـة مـن محب	**بلطف قـد أحـاط بـه نظامي**[1]

وكان قد سبقهما إلى النصيحة العلامة الشاعر إسماعيل بن أبي بكر المقري (٧٥٤-٨٣٧هـ) الذي وجه في عام ٨٠٦هـ نصيحة في قصيدة يدعو فيها إلى المصالحة بين شريف مكة وأمير (حَلِي) وقد وجهها إلى شريف مكة حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي (٧٧٥-٨٢٩هـ) يدعوه فيها إلى الصفح عن أمير حلي (موسى بن أحمد بن عيسى الكناني الحرامي) الذي تولى إمارة حلي بعد مقتل أخيه (دريب) فأغار عليه شريف مكة (حسن بن عجلان) وأخرجه من إمارة (حلي) ثم أعاده بشفاعة من إمام اليمن وقد أشار الشاعر المقري إلى شيء من ذلك في قصيدته تلك التي يقول في بعض أبياتها:

أحسنت في تدبير ملكك يا (حسن)	**وأجـدت في تحليل أخـلاط الفتن**
ما كنت بالنزق العجول لدى الأذى	**عند النزاع، ولا الضعيف أخا الوهن**
داء الـرئـاسـة في متابعة الهوى	**ودواءهـا في الدفع بالوجه الحسن**
لا تصغ إن شـر دعـا، فالشر إن	**تنهض له ينهض، وإن تسكن سكن**

(١) نشر العرف لزبارة ج٣ ص٦١.

ومضى في تلك القصيدة يهدئ من روع شريف مكة ويحضه على تحكيم العقل وعلى المسامحة إلى أن قال:

أما (حلي) فإن خوفك لم يدع ... أهلاً بها للزائرين، ولا وطن

فانظر إلى موسى وقد لعبت به ... لما سخطْتَ عليه، أحداث الزمن

بِعْ، منه مهجته، وخذ ما عنده ... ثمناً، يكن منك المثمن والثمن[1]

وكان علامة تهامة عسير: محمد بن أحمد الحفظي (١١٧٨-١٢٣٧هـ)[2] قد وجه رسالة نثرية وشعرية إلى إمام اليمن آنذاك (المنصور علي بن المهدي ١١٥١ـــ١٢٢٤هـ) يدعوه فيها إلى الوئام وجمع الكلمة وإلى قبول الدعوة السلفية حيث يقول في بعض أبياتها:

فهبّ لنا من نجد أنصار دعوة ... لسنة خير الخلق طابت مساعيه

لهم برسول الله أسٌّ وقدوةٌ ... ومن تبع المختار فالله يُنجيه

فيا أيها الحيّ اليمانيّ دونَكم ... نداءٌ إلى التوحيد، لبُّوا لداعيه[3]

---

(١) الكتاب السنوي: (حوليات سوق حباشه) لأبي داهش العدد ١١ ص٨٧-٨٨، وانظر كتاب أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب لأبي داهش ص٧٤، مطابع العبيكان الرياض ١٤٢٠هـ.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي العجيلي: (١١٧٨-١٢٣٧هـ) ولد ببلدته رُجال وتلقى العلم على والده وعلى بعض علماء بلده وبرع في علوم عدة وأصبح المرجع لأهل بلده بعد وفاة والده، ولما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيدها الحفظي ودعى إليها، له مؤلفات عديدة منها تكملة الظل الممدود وكتاب النفحات العنبرية توفي سنة ١٢٣٧هـ. انظر ترجمته في الأعلام ج٦ ص١٧-١٨، وفي نيل الوطر ج٢ ص١٢٥وغيرها.

(٣) اللجام المكين والزمام المتين لمحمد أحمد الحفظي، تحقيق عبد الله أبو داهش ص٢١، مطابع مازن بأبها ١٤٠٥هـ.

- وكان محدث الحرم المكي العلامة محمد بن ناصر الحازمي (....-١٢٨٢هـ) (يواجه أمراء زمانه بالنصائح، وينعى عليهم ما هم عليه من المظالم ويرشدهم إلى العدل وإتباع الشريعة في معاملة الخلق) [١] ولعلماء الأمة الإسلامية مع قادتهم وأئمتهم في مختلف العصور مواقف مخلصة يمحضونهم فيها النصيحة ويوجهونهم إلى الخير.

وأيًّا كانت بواعث هذه القصيدة الجميلة التي وجهها الإمام الشوكاني للإمام سعود بن عبد العزيز فقد أدّت دورها الاستشرافي وأظهرت لنا الدور الكبير للإمام الشوكاني – رحمه الله – في استمرار وتقوية التواصل الثقافي بين البلدين الشقيقين الجارين (اليمن والسعودية) حتى في أحلك الظروف فبرغم ما تخلل بعض أبيات قصيدته هذه من عتاب (بعضه في لهجة شديدة) إلا أن روح الحرص على الدعوة السلفية حاضرة في مقاطعها بل حتى بين كلماتها وحروفها، فقد أملتها مشاعره الإسلامية، وعواطفه الدينية المتأججة التي ظلت وفيّةً للدعوة السلفية الصافية، وللحوار الأخوي، ولحسن الجوار.

هكذا قرأ قصيدة الشوكاني كثير من المنصفين الذين لامسوا روحَهُ الحريصة المشفقة على الدعوة بين سطورها، حتى أن بعض الباحثين (اعتبرها من الشعر الإخواني الموجه) [٢]، يؤكد هذا الرأي محقق ديوان الإمام الشوكاني: (حسين

(١) عقود الدرر ج٢ ص٧٢٤.

(٢) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوب البلاد السعودية لعبد الله أبو داهش ج٢ ص٦١٨.

العمري) الذي قدم لها بقوله: (وقال الامام الشوكاني رضوان الله عليه وقد كتبها إلى آل سعود النجدي وعلماء نجد في أيام انتشار ملكهم في جزيرة العرب، فكانت ترد عليه منهم أسئلة فقال في بعض جواباته هذه القصيدة على طريقة النصح) [1] ثم سرد أبيات القصيدة التسعة والخمسين محققة ومضبوطة بالشكل؛ وإذاً فغرض الإمام الشوكاني من قصيدته التي وجهها للملك سعود بن عبد العزيز هو النصح وليس غير النصح، وإن كان العلامة اليمني: محمد بن حسن الشجني الذماري صاحب كتاب (درة التقصار في جيد علامة الأقاليم والأمصار...) قد فهم مناسبة القصيدة تلك بطريقته الخاصة؛ حيث قال عن مناسبتها: (إن من جملة ما دار بين الإمام الشوكاني وبين أهل نجد من المكاتبات تلك القصيدة التي كتبها إليهم أيام ثورتهم، وانتشار أجنادهم في البلاد (اليمنية) بعد أن وصل إليه منهم ما أوجبها) [2]. ثم ذكر شيئاً من القصيدة الدالية ذات المطلع:

إلى الدرعية الغراء تسري فتخبرها بما فعل الجنود
وتصرخُ في ربى نجدٍ جهاراً فيسمعُها إذا صرخَتْ (سعود)

والواقع أن أجناد الدعوة السلفية كانوا في ذلك الحين – الذي وجه فيه الشوكاني قصيدته – قد انتشروا في أنحاء كثيرة من الجزيرة العربية وحققوا نجاحات كبيرة في فتوحاتهم (التي امتدت إلى بادية الشام، وإلى اليمن، ومن

(١) ديوان الإمام الشوكاني: (أسلاك الجوهر) ص١٥٤-١٥٨، تحقيق حسين العمري.

(٢) النهضة الأدبية في اليمن لعبد الله خادم العمري ج٢ ص٤٤-٤٦.

الخليج إلى البحر الأحمر ....) [1].

و(سعود بن عبد العزيز) هذا الذي وجه له الإمام الشوكاني قصيدته الدالية تلك كان برغم قصر فترة حكمه قد أتم (غزو شبه الجزيرة العربية، وأصبحت مملكته تضم إلى جانب نجد الحجاز، وعسير، واليمن، وحضرموت) [2]، وقد ثبت الأمنَ في تلك الأنحاء حتى قال أحد الغربيين واصفاً للحالة الأمنية في عهده: (لعل هذا الأمن والأمان قد استتب في البلاد لأول مرة بعد النبي العربي، فوجد البدو لأول مرة فرصة النوم آمنين مطمئنين على أموالهم و ...) [3].

(١) انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ج٣ ص٩٠ (ترجمته لسعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود).

(٢) المصدر والصفحة السابقين.

(٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ص١٠٥.

من أسباب سقوط الدولة السعودية الأولى في عام ١٢٣٣هـ

ربما كان الكمال أو التكامل في الأشياء بداية لنهاياتها؛ فلربما كانت تلك النجاحات التي حققتها الدولة السعودية الأولى بذلك الامتداد السريع والتوسع في البلدان قد أثار رعب قادة الدولة العثمانية فهاجت أقادهم بعد أن زعزعت تلك الدولة الفتية نفوذهم فجيشوا جيوشهم الجرارة للقضاء عليها.

وصف أحد الباحثين ما حققته الدعوة السلفية وقادتها آنذاك قائلاً: (لقد حققت الحركة الوهابية نجاحاً ضخماً في الجزيرة العربية وعصفت بنفوذ الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر آنذاك) [1].

ولقد سبب هذا النجاح الذي حققه الملك سعود ودولته حرجاً شديداً للدولة العثمانية التي تسيطر على أكثر البلدان الإسلامية آنذاك فحاولت جاهدة إيقاف طموح هذه الدولة الفتية بطرق مختلفة (وكانت قد فشلت في محاربة السعودية عن طريق ولايتي الشام والعراق العثمانيتين) [2]، (ولما تبينت الحكومة العثمانية عجزها عن التغلب على هذه الدولة العربية الناشئة التي كانت تستند إلى عقيدة دينية تمكنت من أتباعها وأرست قواعدها في قلب شبه الجزيرة العربية، لجأت إلى مصر وكان واليها محمد علي باشا فكلفته بأن يتولى هذه المهمة نيابة عن

(١) اليمن شماله وجنوبه، تاريخه وعلاقاته الدولية لمحمد كامل المحامي ص٢٢٧، طبع دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨م.

(٢) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره الفكري والسياسي والاجتماعي لمحمد عبد الله السلمان ص١٣.

الدولـة العثمانية صاحبة السيادة على شبه الجزيـرة العربية ومصر)[1]، وهكذا استطاعت الدولة العثمانية أن تتخذ من محمد علي باشا (آلة للثأر من السعوديين الذيـن ثـاروا في وجهها وحرروا هذه المنطقـة من الشرق العربـي) كما يقول أحد المؤرخـين الإنجليز[2]؛ فبعـد أن (رأى العثمانيون أن سلطـان الدولة السعودية قد غلب على معظم الجزيرة العربية أمروا محمد علي باشا بالقضاء على تلك النهضة العربية، وساعدت على ذلك الدول الاستعمارية)[3].

وحـين تم لهـم مـا أرادوا من القضـاء على الدولـة السعوديـة الأولى وقادتها وعاصمتها، فرح العثمانيون وفرح معهم الغربيون فرحا شديدا وصفه أحد المفكرين فقـال: (كان الحكام الإنجليز مسرورين بهـلاك أعدائهم النجديين على يد محمد علي باشا ... لذلك أُرسلت سفينة حربية بريطانية من بومباي إلى الخليج بدون أي إشـارة مباشرة أو غير مباشرة من المصريين في سنة ١٨١٩ الموافق ١٢٣٤هـ، وكان علـى ظهرها الكابـتن (سادلير) قائد الفرقة السابعة والأربعـين موفداً خاصّا إلى إبراهيـم باشا وكانت مهمته تقديم التهاني إليـه على فتح الدرعية والقضاء المبرم على الدولة الوهابية)[4].

---

(١) اليمن شماله وجنوبه ص٢٢٧.

(٢) المصـدر والصفحة السابقين. نقلاً عن كتاب: (ابـن سعود ومولد مملكة) لألبان ميشيل، كما يقول محمد كامل المحامي.

(٣) أضـواء علـى تاريخ الجزيرة العربية الحديث لمحمد أحمد العقيلـي ص٦٣، طبع دار البلاد للطباعة والنشر بجده ١٤١٢هـ.

(٤) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ص١٢٢.

وقـد تم تدميرهم للعاصمة الدرعية بصـورة بشعة لم يشهد لها التاريخ مثيلا أشـار إلى بعضه المؤرخ (ابن بشر) فقال : (ثم أمر (إبراهيم باشا) [1] العساكر أن يهدمـوا دورها وقصورهـا وان يقطعوا نخلها وأشجارهـا ولا يرحموا كبيرها أو صغيرهـا ، فابتدر العساكر مسرعين وهدموها وبعض أهلها فيها مقيمين) [2]. فقد قتـل عدداً كبيراً من أتبـاع الدولة السعودية (ومن بين القتلـى واحد وعشرون من أفراد الأسرة الحاكمة .... بل إن إبراهيم باشا (قد ارتكب أعمالاً إجرامية كبيرة فعذب عدداً من زعمائها وقتل آخرين) [3]، وما كاد يرحل عن الدرعية بعد تدمير أسوارها وبعض مساجدها حتى أعطى توجيهاته إلى قائده محمود أفندي، فأحرق الدرعية بعد مغادرته بقليل) [4].

ووصـف العلامة (الندوي) آثار ذلك التدمـير العبثي فقال : (لقد كان هذا أسوأ مظهر للجنون الانتقامي المصري) [5].

---

(١) إبراهيـم باشـا بن محمد علي باشا (١٢٠٤-١٢٦٤هـ) : قائد بعيـد المطامح ولد في (نصر تلي) بالقرب مـن (قولـه) ، قدم مصر مـع طوسون سنة ١٢٢٠هـ وتعلم بهـا وأرسله أبوه أو (متبنيـه) محمد علي باشا بحملة إلى الحجاز ونجد في عام ١٢٣١ ثم جعله قائداً للحملة المصرية على (المورة) سنة ١٢٣٩هـ كما قاد الحملـة المصريـة على (سوريا) سنة ١٢٤٧هـ تنازل له والده عن إمارة الديار المصرية وتوفي سنة ١٢٦٤هـ. انظر ترجمته في الأعلام ج١ ص٧٠.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ج١ ص٢١٣.

(٣) تاريـخ المملكـة العربية السعوديـة لعبد الله العثيمين ج١ ص٢٠٧-٢١١، ط٢، مـن مطبوعات الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ.

(٤) تاريـخ الدولـة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيـرة العربية لفيلكس مانجان ص١٩٤، عرض وتعليق محمد خير البقاعي، من إصدارات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤٢٤هـ.

(٥) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ص٢٢١.

ووصف أوضاع الدرعية أيضا (الحسن بن احمد عاكش) مصوراً الحال الذي آلت إليه الدرعية فقال: (أصبحت الدرعية مأوى للبوم يتجاوب فيها الصدى مؤذنة أن هذه الدنيا متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً ينشدهم لسان الحال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

فيجيبُ عنهم لسان المقال:

بلى نحنُ كنّا أهلها فأبادنا صروفُ الليالي، والجدود العواثرُ) [1]

وهكذا طويت صفحة ناصعة البياض من صفحات التاريخ الحديث فقد تحقق لمحمد علي باشا وأعوانه القضاءُ على الدولة السعودية الأولى ودمّرت عاصمتُها ومزّقت أوصالها وعادت بلدانها إلى التشرذم والانقسام فتحول الكيان الواحد إلى دويلات وإمارات هزيلة ممزقة، (فنجد) قد رجعت إليها بعض إماراتها الضعيفة، وعاد الحجاز إلى الأشراف (اسماً) يقتل بسببه الابن أباه والأخ أخاه والقريب قريبه، أما المخلاف السليماني فقد تحول إلى إمارتين متصارعتين، كما أن اليمن تحول إلى يمن أسفل ويمن أعلى ويمن مستعمر وبينها صراع لا ينتهي وكذلك الحال من الإنقسامات والتشرذم في وسط الجزيرة وأطرافها الأخرى.

لقد تحقق لخصوم الدعوة السلفية وأعداء الدولة السعودية الأولى ما أرادوا من القضاء عليها والحد من فتوحاتها التي أعادت للجزيرة شيئا من ماضيها الجميل وكان من نتائج ذلك أن أغلب نواحي الجزيرة العربية قد تأثرت بالدعوة

---

(١) الديباج الخسرواني ص٢٠٦.

السلفية (بما في ذلك غالبية علماء وفقهاء اليمن الذين رحبوا بها وساهموا في نشر بعض ما تدعو إليه)[1] وحين حققت إنجازاتها لأهليها شيئا من العزة والسؤدد لم يطب ذلك للشانئين مما جعل حسادها يكيدون لها كل الكيد ويحاولون مسحها من الوجـود ظنا منهم أنهم قد تخلصـوا منها إلى الأبد ولكن الله غالب على أمره فقد عادت إلى النور ممثلة في:

الدولـة السعودية الثانية التي بعثها مـن مرقدها: أبناء وأحفاد أولئك الرجال الذيـن نصروا دعـوة الإصلاح وأقاموا بها الدولة السعوديـة الأولى، وسنتحدث في الصفحـات التاليـة عن أهم محطـات مراحل عودة الـروح إلى الدولـة السعودية الثانية، كما سنتحدث عن الصلات الثقافية بينها وبين أقاليم الجوار وفي مقدمتها اليمن بمكوناته آنذاك فإلى هذه الصفحات المضيئة..

(١) بتصرف عن كتاب: (العلاقات اليمنية السعودية) ص٣٦٤ لعبد الله القباع.

التواصل الثقافي بين اليمن وبعض أقاليم بلاد الحرمين خلال عهد الدولة السعودية الثانية

(١٣٠٩ – ١٢٤٠)

لمحة عن الدولة السعودية الثانية: (١٢٤٠ـ ١٣٠٩هـ) وتأثيرها السلفي في فكر بعض دول الجوار

لا شك بأن كل مطلع منصف على المصادر التاريخية التي وثقت للأحداث الجسام التي أدّت إلى سقوط الدرعية وإلى القضاء على الدولة السعودية الأولى في عام ١٢٣٣هـ سيجدها تؤكد بأن ذلك لم يتم بسهولة ويسر ولم يكن بالأمر الهين الذي تحقق لمحمد علي باشا وأبنائه وحلفائه بين عشية وضحاها، ولكن بعد أن تكبَّدوا خسائر فادحة في حروبهم الشرسة التي استمرت مع أئمة الدعوة وقادتها سنوات طوال، تلك الحروب التي مورست فيها أبشع أنواع وسائل التدمير السائدة في وقتهم؛ فقد بدأ محمد علي باشا حربه على الدولة السعودية قبل عام ١٢٢٨هـ، ومني بهزائم كثيرة، إلا أن إصراره المدعوم من الدولة العثمانية ومن الدول الاستعمارية قد جعله يواصل معاركه الطاحنة حتى استطاعوا في عام ١٢٣٣هـ القضاء على الدولة السعودية الأولى قضاءً مبرماً وتمكنوا في عام ١٢٣٤هـ من إتمام تدمير عاصمتها (الدرعية) وبصورة بشعة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، حتى إن كثيراً من المؤرخين لذلك التدمير قد وصفوه وصفا يثير الاشمئزاز، ومنهم: المؤرخ (ابن بشر) مثلاً الذي يقول: (أمر إبراهيم باشا العساكر أن يهدموا دورها وقصورها، وأن يقطعوا نخلها وأشجارها ولا يرحموا كبيرها أو صغيرها، فابتدر العساكر مسرعين وهدموها وبعض أهلها فيها مقيمين) [١]، كما وصف

(١) عنوان المجد لابن بشر ج١ ص٢١٣.

شناعة التدمير الذي ارتكبه إبراهيم باشا في الدرعية المؤرخ: جورج خير الله فقال: (لقد دمر إبراهيم باشا مباني الدرعية ومنازلها وأماكن العبادة فيها وقطع أشجار النخيل، وردم آبار الماء، ونشر فيها القتل الجماعي)[1] وممن وصف الحال التي آلت إليها الدرعية: الحسن بن أحمد عاكش فقد تحدث عن آثاره قائلاً: (أصبحت الدرعية مأوى للبوم، يتجاوب فيها الصدى مؤذنةً أن هذه الدنيا متى أضحكت أبكت، وغدا ينشدهم لسان الحال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس، ولم يسمر بمكة سامر[2]

وكما وصفها (عاكش) و(ابن بشر) فقد وصفها مؤرخون آخرون، عرب وغير عرب، مؤكدين شناعة الدمار الذي لحق بالدرعية منطلق الدعوة السلفية وعاصمة الدولة السعودية الأولى....

ولم يكتف جنود محمد علي باشا بتلك المذابح ولا بذلك التدمير البشع وإنما مارسوا شيئاً من أحقادهم على أئمة الدعوة؛ فحين أخذوا آخر أئمة الدولة السعودية الإمام عبد الله بن سعود[3] أسيراً إلى مصر وبعد أن عرضوه لأقسى

(١) نهضة الجزيرة العربية لجورج خير الله ص٩٢، ترجمة وديع فلسطين، من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤٣٠هـ والكتاب نشر في أمريكا بجامعة نيو مكسيكو باللغة الإنجليزية عام ١٩٥٢م.

(٢) الديباج الخسرواني ص٢٠٦.

(٣) الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود (....-١٢٣٤هـ): آخر أئمة الدولة السعودية الأولى كان شجاعاً تقياً ولي الإمامة بعد وفاة أبيه سعود سنة ١٢٢٩هـ ونازعه أخوه فيصل فضعفت شوكته.... وحين تغلب عليه (إبراهيم باشا) قائد الحملة المصرية أرسله إلى مصر ثم حمل إلى الاستانه مع مرافقيه: سري، وعبد العزيز بن سلمان فطيف بهم ثلاثة أيام في شوارعها وأعدموا في ميدان مسجد (أيا صوفيا) ثم صلبوا وذلك في عام ١٢٣٤هـ. الأعلام ج٤ ص٨٩-٩٠.

أنواع التعذيب نقلـوه إلى الأستانه وأخذوا يطوفون به وبأعوانه الذين أسروهم معه في شوارعها في موكب مشين وصفه المؤرخ المصري (عبد الرحمن الجبرتي) فقال: (وصلت قافلة أمير نجد إلى مصر في سنة ١٢٣٤هـ واتخذهم المصريون أضحوكة يستهزؤون منهم، وأن كل إساءة كان من الممكن تصورها مع أمير دولة منهزمة فقد أبيحت معهم ولم يترك منها شيء) [١] ومع كل هـذا لم يشف غليلهم إلا الذهاب بهم إلى الأستانه وقتلهم وصلبهم، - كما سبقت الإشارة - ونتيجة لذلك التدمير (انفـرط عقد الوحدة الذي حققتـه الدولة السعودية الأولى فـبرزت ظاهرة الإمارات المتعـددة المتصارعـة وبخاصة في البلدان التـي حول الدرعيـة) [٢] وكان هذا التدمير البشع وذلك التمـزق الذي منيت به بلدان الدولة السعودية الأولى قد أعطى للعثمانيين وللـدول الاستعمارية أمـلاً كبيراً بأن الدولة السعودية لن تقـوم لها قائمة بعد أن قضي عليهـا قضـاءً مُبْرماً وبخاصة (بعد أن هدم إبراهيم باشا أسوارها، وقتل بعض زعماء نجـد وأسـر آخرين من آل سعـود وآل الشيخ في مصر) [٣] حتى قـال قائلهم: (إن الدولـة السعودية في العرب ينبغـي أن تعرف كقصة من الماضي) [٤] لكن الله خيب

(١) محمد عبد الوهاب مصلح مظلوم ص١١٦، وانظر وصف (الجبرتي) لبعض تلك الإهانات في كتابه (عجائب الآثارج٣ ص٦٠٦).

(٢) بطولات وقائع معركة الدرعية الخالدة لمحمد عبد الله السلمان ص٣٦، من منشورات نادي الطائف الأدبي، مطابع دار الحارثي بالطائف ١٤١٩هـ.

(٣) تاريخ المملكة العربية السعودية لعبد الله العثيمين ج١ ص٢١٢.

(٤) محمـد بن عبـد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليـه ص١٢، والندوي ينقل عن (هـو غارث) وعن فيلبي والمقولة لعدو العروبة والإسلام (زويمر).

ظنهـم وأبطل كيدهـم، فقد بقي أفراد مـن آل سعود يتطلعـون بشجاعة لاسترداد ملـك آبائهم، ويلتمسـون الأسباب لتحقيق مطامحهم حتـى وإن كان الوصول إليها محفوفاً بالمخاطر (فإذا كانت الدولة السعودية الأولى قد انتهت على يد « إبراهيم باشا » وتحت أنقاض الدرعية المدمرة؛ فإن الدولة السعودية الثانية قد ولَّدها أيضاً تدمـير الدرعيـة)[1] وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه، فقد ترك إبراهيم باشا خلفاً لـه في القصيم بعد أن اطمأنّ على تدمير الدرعيـة، ترك في عنيزة ضابطاً ضعيفاً اسمـه (عبوشـ) أو (أبوش)[2] - كما يكتب اسمه في بعض المصادر- (فدارت بينـه وبين الأميريـن: مشاري بن سعود، والإمام تركي بـن عبد الله معارك عديدة قتل فيها الأمير مشاري فتولى الإمارة تركي بن عبد الله)[3]. (ثم حاربهم القائد

(١) التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري لأحمد حسين العقبي ص٣٠٥، دارة الملك عبد العزيز بالرياض « سلسلة الرسائل الجامعية ٣٤» ١٤٣٠هـ.

(٢) (أبوشـ): ضابـط تركي كان متمركزاً في عنيزة، وقائـداً بها للجيش الذي تركه إبراهيم باشا في القصيم وتكتب اسمه بعض المصادر: (عبوش)، وفي كتاب شبه الجزيرة سماه الزركلي (أبوش أغا) انظر ص٤٢، ومثلـه عبد الله العثيمـين في كتابه السابق ج١ ص٢١٨ ،وبرغم تكرار اسمه في تلـك المصادر إلا أنني لم أجد لـه ترجمـة وافية فيها . انظر الصفحات (٢٢٣-٢٢٦) من كتاب عنوان المجد لابن بشر ، تجد اسم (أبوش) يتكرر بصفته قائدا دون ذكر أي شيء عن حياته.

(٣) مقدمـة كتـاب: (هـذه بلادنا) بعنوان: (شـيء من التاريخ) مـن إصدار وزارة الإعلام صـ١٣ وإن كان الدكتـور السلمان يقـول بأن الإمام تركي كانت بداية عهده عام ١٢٤٩هـ. انظر كتابه : توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ١٤ ، والإمام تركي هو :

الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود: (....-١٢٤٩هـ): ولي الإمامة بعد مقتل ابن عمه (مشاري بـن سعـود)، فقـد كان (تركي) فاراً مـن جيوش محمد علي باشـا وحين علم أن (ابـن معمر) قد قبض علـى ابـن عمه (مشاري) وسلّمـه للترك فقتلوه حينئذ خرج الإمام (تركي) مـن مخبئه ودخل العارض=

التركـي حسـين بيك ثلاثة أيام وبعد أن طلبوا الأمـان خرجوا له إلا (تركي بن عبد الله آل سعود) فإنه خرج من القلعة ليلاً)[1]. (ثم تمكن الإمام (تركي) بعـد ذلك من السيطرة على الرياض فبايعـه معظم أهالي نجد إماماً لهم)[2] (ولذلك يجمع المؤرخون على أن تركي بن عبد الله هو مؤسس الأسرة السعودية الثانية)[3].

وهكـذا تمكن الإمـام تركي بن عبد الله مـن العودة إلى نجـد، وتمكن كذلك من تأسيـس الدولة السعودية الثانية بعد صراع طويـل تشيب لهوله الولدان، بعض ذلـك الصراع مع بقايا قادة الأتراك وبقايـا عساكرهم وأعوانهم، وشيء من ذلك الصراع خاضه مع رؤساء عشائر بعض بلدات نجد الذين خلت لهم الساحة فعادوا إلى تشرذمهـم، ولقـد سجل (ابن بشر) ألواناً من تلـك الصراعات التي سنختار في السطـور التالية بعض شيء منها قد يغاير في وصفه ما رصده (الجبرتي) لتلك الأحـداث حيث نجـد ابن بشر يقول: (ثـم دخلت سنة ست وثلاثـين ومأتين وألف ١٢٣٦هـ وفيها قدم (حسين بيك)[4] ومعه عساكر من الترك، فنزلوا القصيم ثم

=فنـازع (ابن معمر) على السلطة، كان شجاعـاً قاوم الأتراك وجنودهم دفاعاً عن بلاده واسترد الأحساء والقطيـف وصالحه أمير حائـل وبسط نفوذه في القصيم واستمر في الحكم حتى اغتاله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن عام ١٢٤٩هـ. الأعلام ج٢ ص٨٤، وانظر تأريخ الفاخري هامش ص ٢٠٦-٢٠٧.

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي ج٢ ص٦٢٨-٦٢٩ ، دار الجبل بيروت دون ذكر تاريخ النشر.

(٢) التنافس الإنجليزي الفرنسي على شبه الجزيرة العربية ص٣٠٥-٣٠٦(بتصرف).

(٣) السعوديون والحل الإسلامي ص٢٢٤ لمحمد جلال كشك ط٢ ١٤٠٢، دون ذكر اسم دار النشر ومكانها.

(٤) حسـين بيـك: قائد تركي من قواد جيش (إبراهيم باشا) لم تسعفني مصادري بمعلومـات عن حياته ونشأته. =

رحلوا منه واجتمع بـ (أبوش) وعساكره .... فقدم الجميع الرياض ورئيسه يومئذٍ (تركي بن عبد الله)، فتصدى لحرب الترك وجمع عنده رجالاً وظن أن أهل البلد سيحاربون معه، فلما وصلت تلك الجموع دخلوا البلد بغير قتال واحتصر تركي ومن معه في القصر فرماه الترك بالقبوس وحاربوه .....) [(١)]. ويقول في موضع آخر: (ولما ارتحل حسين بيك من نجد وقعت الحرائب والفتن في البلدان وترأس عليهم الشيطان فثارت الحرب في سدير والقصيم والعارض والجنوب ....) [(٢)]، (ثم دخلت السنة السابعة والثلاثون بعد المأتين والألف) وفيها وقع في نجد حرب وفتن وقتل رجال، وأخذ أموال، ونبذ للشرائع، ومحن، وصار ذلك في جميع النواحي والأقطار وتقاتلوا في وسط الأسواق والبيوت، وتقطعت الأرحام) [(٣)] ويواصل (ابن بشر) نقل وتسجيل بعض تلك الصراعات فيقول: (ودخلت (سنة تسع وثلاثين بعد المأتين والألف) وتركي بن عبد الله في بلدة (عرقة) محارب لأهل الرياض ومنفوحه وأهل الخرج وضرمى وثرمدا وحريملا وأكثر بلدان أهل نجد يكاتبونه) [(٤)].

= وإن كان المؤرخ عبد الله العثيمين قد وصفه بـ (الظلم والجور والغدر) انظر كتابه تاريخ الدولة السعودية ج١ ص٢٢١.

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ج١ ص٢٢٦.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٢٩.

(٣) المصدر السابق ج١ ص٢٣١.

(٤) المصدر نفسه ج٢ ص١٣.

وهكذا استمر الإمام تركي في صراعه الطويل من أجل تأسيس الدولة السعودية الثانية حتى أطل عليه العام ١٢٤٠هـ الذي لا نشك بأنه العام الذي دانت فيه نجد للإمام تركي وكما تشير بعض المصادر فقد امتد نفوذ الإمام تركي إلى معظم أنحاء نجد والأحساء والقطيف، واستمر في الحكم إلى أن قتل اغتيالاً في عام ١٢٤٩هـ[١] فولي الأمر بعده الإمام فيصل بن تركي الذي استمر حكمه من سنة ١٢٤٦ – ١٢٥٥هـ ثم حكم بعده عبد الله بن ثنيان من عام ١٢٥٥ حتى عام ١٢٥٨هـ ثم عاد الإمام فيصل بن تركي فحكم نجد إلى عام ١٢٨٢هـ وهكذا فقد تعاقب أو تناوب على حكم البلاد خلال السبعين عاماً وهو عمر الدولة السعودية الثانية تسعة أمراء لم تتمتع بلادهم بكامل الاستقرار الحقيقي وذلك بسبب صراع ذوي القربى على الحكم؛ لكن الصراع الأسوأ كان قد حصل بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله في عام ١٢٨٢هـ[٢]، حيث دب الخلاف بين أبنائه الأربعة (عبد الله بن فيصل) [٣] الذي بويع بالإمامة بعد وفاة والده باعتباره أكبر أولاده سناً، و

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ص١١٤ ،وانظر تاريخ الفاخري لمحمد بن عمر الفاخري ص٢٠٦، وانظر مقدمة كتاب: (هذه بلادنا) بعنوان: (شيء من التاريخ) ص١٣ ، من إصدارات وزارة الثقافة والإعلام عام ١٤١٩هـ.

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية لعبد الله العثيمين ج١ ص٢٨٧.

(٣) الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود (....-١٣٠٧هـ): أحد أئمة الدولة السعودية الثانية، بويع بالإمامة بعد وفاة والده الإمام تركي بن عبد الله في عام ١٢٨٢هـ الذي كان ينيبه في آخر حياته واتخذه ولياً للعهد فهو الأكبر سناً على إخوانه، وقد خالفه أخوه سعود فنشبت بينهما معارك كثيرة استولى خلالها سعود على الرياض وخلع أخوه عبد الله فلجأ إلى الترك ليعينوه ضد أخيه سعود وقد استمرت=

ولي عهـده[1]، و (سعـود بن فيصل) [2] الذي لم يرض عن مبايعة أخيه (عبد الله) فنازعـه علـى الحكم و (محمد بن فيصـل) [3] الذي كان يقف إلى جانب أخيه الأكـبر (عبد الله) و (عبد الرحمن بن فيصل) [4] أخوهم الأصغر، والد (الملك

= المعارك بينهما حتى توفي سعود بن فيصل في سنة ١٢٩١هـ فولي الأمر بعده أخوهم الأصغر (عبد الرحمن والـد الملـك عبد العزيز) فزحف إليه أخوه الأكبر عبد الله فتنازل لـه الإمام عبد الرحمن عن الإمامة ولكن الأمـر لم يصـف له فقد ثار عليـه أبناء أخيه (سعود) وضـل الصراع بينهم على الحكـم حتى زحف عليهم (محمد بن عبد الله بن رشيد) أمير (حائل) واستولى على الرياض وأخذ معه الإمام عبد الله بن فيصل إلى حائل ولم يأذن له بالعودة إلى الرياض إلا في عام ١٣٠٧هـ وحين عاد إلى مدينة الرياض لم يستقر الإمام عبد الله بهـا سوى يوماً واحـداً ثم وافته المنية، فخلفه أخوه الإمام عبد الرحمن بن فيصل. الأعلام ج٤ ص١١٣، وانظر كتاب: تاريخ المملكة العربية السعودية للعثيمين ج١ ص٢٦٥-٢٨٧.

(١) شبـه الجزيـرة ص٤٧، وانظـر الموسوعة العربيـة العالمية ج١٢، صـ٢٦٢، مؤسسة أعمـال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض ١٤١٦هـ.

(٢) الإمام سعود بن فيصل بن تركي بن عبد الله : (....- ١٢٩١هـ): ولد ونشأ بالرياض وكان شجاعاً مقداماً ولما توفي والده ثار على أخيه (عبد الله بن فيصل) فنشبت بينهما معارك كثيرة انتهت باستيلاء سعود على الرياض والأحسـاء ...... وبسبب صراعهمـا على الحكم كانت نهاية الدولة السعوديـة الثانية حيث تفرقت الديار النجدية إلى إمارات متصارعة مما أطمع الخصوم.
توفي سعود بن فيصل عام ١٢٩١هـ. الأعلام ج٣ ص٩١-٩٢.

(٣) محمـد بـن فيصل بن تركي بن عبـد الله آل سعود: (....-....) هو الابن الثالـث للإمام فيصل بن تركي بـن عبد الله، لم أعثر له فيما بين يدي من المصـادر على ترجمة تتناول ولادته ونشأته ومشوار حياته ووفاته وإن لم تخـل بعض المصـادر من شذرات بسيطة ككتاب: الزركلي وكتاب العثيمين فهما يذكران عنه بأنه كان يقف إلى جانب أخيه الأكبر (عبد الله) وأنه كان ينيبه في بعض الأمور ومنها أن أخاه عبد الله قد أنابه في التفاوض مع ابن رشيد حول تقاسم مناطق النفوذ في الوشم كما ورد في كتاب (شبه الجزيرة) ص٥٢، وقال عنه بأنه قاتل أخاه (عبد الرحمن) نيابة عن أخيه (عبد الله) بعد وفاة أخيهم سعود في عام ١٢٩١هـ إلى غيرها من الشذرات التي لا تقدم شيءً تفصيلياً عن حياته.

(٤) عبـد الرحمـن بن فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعـود: (١٢٦٨-١٣٤٦هـ): آخر ملوك الدولة السعودية الثانية ووالد الملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية ورابع أبناء الإمام فيصل بن تركي وأصغرهم=

عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية) وكان عهدهم عهد صراع وعهد فتن فيما بينهم بل (كاد أن يكون أسوأ عهد في تاريخ الأسرة السعودية) [1] حتى لقد وصل بهم سوء الأحوال إلى استعانة بعضهم بأعدائهم ضد أشقائهم ولم يكن العثمانيون، والمصريون والمتربصون بمعزل عن النفخ في أتون ذلك الصراع وتلك الفتن، فقد نشب الصراع بمجرد موت الأمير فيصل بن تركي بين ابنيه: (عبد الله، وسعود) وأفاد الأتراك من هذه الفرصة فاستولوا على الأحساء) [2] وتلك بعض الآثار السيئة لصراع أبناء البيت السعودي كما (ظهرت على مسرح الأحداث جهات أخرى أرادت الاستفادة من تلك الظروف لصالحها، فكما نجحت الدولة العثمانية في حكم الأحساء عن طريق واليها على العراق (مدحت باشا) [3] الذي أرسل

=سناً، وقد اصطلى بصراع إخوانه على الحكم وأطماع الطامعين من خارج الأسرة الذين استغلوا ذلك الصراع للقضاء على آخر حائط للدولة السعودية الثانية، وكان آخرهم هو الإمام عبد الرحمن ابن فيصل الذي استطاع (ابن رشيد) أن يهزم أتباعه في (حريملاء) و (المليدا) فرحل الإمام عبد الرحمن إلى بادية الأحساء، ثم أرسل أهله إلى قطر ثم إلى البحرين واستقروا أخيراً في الكويت حيث أقام بها مع أسرته قرابة عشر سنوات وبعد أن فتح ابنه الملك عبد العزيز مدينة الرياض عام ١٣١٩هـ عاد إلى وطنه، وقد طال عمره حتى شهد ملك ابنه عبد العزيز يمتد من البحر الأحمر إلى الخليج العربي ومن بادية الشام إلى اليمن. توفي رحمه الله سنة ١٣٤٦هـ. الأعلام بتصرف ج٣ ص٣٢٢.

(١) أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث لمحمد بن أحمد العقيلي ص١٠٦.

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج لـ (ج – ج لويمر) ص١٩٩، صنفه وصوبه وعلق عليه سعيد بن عمر آل عمر، مطابع العبيكان الرياض ١٤١٧.

(٣) مدحت باشا : هو أحمد مدحت بن حاجي حافظ أشرف أفندي (١٢٣٨-١٣٠١هـ) ، قائد عثماني شجاع ، ولد في اسطنبول ، وتعلم اللغة العربية والفارسية ، تولى عدة مناصب ، فقد كان واليا على الدانوب وأسندت=

حملة على الأحساء بناء على طلب من الإمام: (عبد الله بن فيصل) ليساعده ضد أخيـه: (سعود) فاحتلـت تلك الحملة الأحساء في عـام (١٢٨٨) [١]، نجح كذلك المنافس الجديـد: (محمد بن عبد الله بن رشيد في الاستفادة أيضاً من اختلاف (عبـد الله بـن فيصل) وأخيه (سعود) فقوي أمـره وتعاظم شأنه) فأخذ يتحين الفرصة للاستيلاء على الرياض فبدأ يخطط لهذا بقوة، وجاءته الفرصة السانحة بعد هزيمته لأهل القصيم في موقعة (المليداء) المشهورة عام ١٣٠٨هـ، ثم هزيمته للإمـام عبد الرحمن الفيصـل في موقعة (حريملاء) عام ١٣٠٩هـ) [٢]، وبذلك تمكن ابن رشيد مـن الانقضاض على الرياض فاستولى عليها وهدم سورها وهدم القصر القديم والقصر الجديد وبسط نفوذه على ما جاورها[٣].

ومع أن الدولة السعودية الثانية قد استمرت فترة تقترب من سبعين عاماً وامتد

=إليـه مهمـة إخماد ثورة البلغار ، ثم انتقل إلى الأستانة رئيسا لمجلس شورى الأمة ، ثم عين واليا على بغداد سنة ١٢٨٦هـ ، وظل حاكما لها حتى سنة ١٢٨٨هـ ثم دعي إلى الأستانة فتولى منصب الصدارة العظمى، وهو الـذي أصـدر الدستور العثماني في عام ١٢٩٣هـ ، وقد عين واليا على الشام ، وفي آخر أيامه نفي إلى الحجاز ، وتوفي بالطائف سنة ١٣٠١هـ . الأعلام ، ج ٧ ، ص ١٩٥ (بتصرف).

(١) توحيـد المملكـة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسـي والاجتماعي ص١٥ ، وانظر كتاب: شبه الجزيرة العربة في عهد الملك عبد العزيز لخير الدين الزركلي ص٤٨.

(٢) المصدر السابق ص١٥.

(٣) عقـد الـدرر فيما وقع في نجد من الحـوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائـل الرابع عشر لإبراهيم بن عيسـى النجـدي ص١١٤-١١٥ ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ من مطبوعات الأمانة العامة للاحتفـال بمناسبـة مرور مائة عام على تأسيـس المملكة العربية السعودية الرياضـ ١٤١٩هـ، والعلاقات= =السعودية اليمنية لعبد الله سعود القباع ص٥٢. (بتصرف).

سلطانهـا على مساحات واسعة مـن إقليم نجد وإقليم الأحساء وما جاورهما إلا أنها لم تستطـع أن تمـد نفوذهـا على كل التراب الـذي وصل إليه حكم الدولـة السعودية الأولى، ولم يتحقق لها كامل الاستقرار الذي يمكنها من استعادة مكانتها، مع أنه قد تعاقـب على سلطانها تسعة أئمة من أئمة الأسرة السعودية؛ وذلك بسبب ما أحاطها من صراعات عنيفة ليست مع أعدائها الخارجيين فقط، ولكن مع بعض أفراد البيت السعودي بدعـم ومباركة من محمد علي باشا وأبنائه، ومن العثمانيين وبعض الدول الاستعمارية؛ مما عجّل بنهايتها[1] – كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وبعد: فهذه لمحة موجزة عن أهم محطات الصراع في الدولة السعودية الثانية التـي كانت برغم طول الفترة التي استمـرت فيها إلا أن سلطانها كان محدوداً فلم يتجاوز إقليم (نجد)، وإقليم الأحساء الذي كان أكثر ولاء للدولة السعودية الثانية مـن بعض بلدان نجـد[2]، كما كانت إمكاناتها محـدودة وإن بقي من آثار منهجها الإصلاحي السلفي شيء في نفوس سكان بعض أقاليم الجزيرة العربية المختلفة حتى بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، يؤيد هذا القول ما ذكره الدكتور (ماديلونغ) في بحثـه: (موقف الزيدية إزاء الصوفية) حيث نقل في ثنايا بحثه عن (عبد الله الحبشي) كلاما يذكر فيه موقف الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين: (١٣٦٧ إلى

---

(١) أضـواء علـى تاريخ الجزيرة العربيـة الحديث ص١٠٦، وانظـر: توحيد المملكة العربيـة السعودية وأثره في الاستقرار .... ص١٤ وغيرها.

(٢) توحيـد المملكـة العربيـة السعودية للسلمان ص١٤، وانظر هامش ص١٠٣ من كتـاب (رحلة إلى الرياض) للويس بلي ترجمة وتحقيق عبد الرحمن الشيخ وعويضة بن متيريك الجهني.

١٣٨٢) من هدم القباب المبنية على بعض القبور في اليمن فقال : (يذكر عبد الله الحبشي بأن الإمام الناصر أحمد حميد الدين قد أمر بهدم قبر الشيخ الصوفي (أحمد بن علوان) في (يفرس) وقبور أخرى للصوفيين في الحديدة وتعز) ثم علق الباحث على موقف الإمام أحمد هذا فقال: (وهذه الأفعال ربما أشعل وتيرتها النفوذ الوهابي أكثر من تأثير المذهب الزيدي التقليدي) [١]، هكذا إذا كان تأثير الدعوة الإصلاحية في بعض أقاليم الجزيرة العربية، وتلك كانت بعض أحوال إقليم نجد وما حوله طيلة أيام الدولة السعودية الثانية من عام (١٢٤٠ – ١٣٠٩هـ).

(١) (دورية المسار) العددان الثاني والثالث لعام ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧م ص١١٨-١١٩، في بحث بعنوان: (موقف الزيدية إزاء الصوفية) للدكتور (ماديلونغ) الذي نقله إلى العربية الطبيب الصحافي المصري علي القباني، وهذه الدورية (المسار) دورية يمنية فكرية محكَّمة تصدر عن مركز التراث والبحوث اليمني ويرأس تحريرها الأديب اليمني المفكر زيد بن علي الوزير ..

أحوال اليمن وبعض أقاليم الجزيرة العربية بعد سقوط الدولة السعودية الأولى

أمـا أحـوال بقيـة أقاليم الجزيـرة العربية خـلال الفترات التـي تلت سقوط الدولـة السعوديـة الأولى فلم تكـن أحسن حالاً، فقد امتد نفـوذ الأتراك على أكثر أقاليـم الجزيرة العربية من جديد بما في ذلك إقليـم نجد وجثم فوقها ليل شديد السـواد فعاد لها تشرذمها وأصبحت بسبب ضعف حكم الأتراك وإهمالهم إمارات متصارعة يخيم عليها الجهل ويستشري فيها الفقر والمرض وتفتك بها الصراعات المريـرة التي مزقـت شملها؛ (وهكذا فقد ساعـد اهمال الدولـة العثمانية للشئون الداخليـة على اشاعـة الفوضى والفتن بـل إنه مزق أقاليم الجزيـرة العربية حتى تحولت إلى دويلات وإمارات متصارعة)[1]

فآل خالد في الأحساء، وآل رشيد في حائل، والأشراف في الحجاز، وآل عايض في عسـير، وآل المكرمـي في نجران، والشريـف علي بن حيدر وأبنـاؤه في المخلاف السليماني، والأئمة في الجزء الأعلى من اليمن، وفي عدن والضالع وحضرموت ويافع ولحج وما حولها يُطنِّب الاستعمار الإنجليزي الذي ظل أكثر من مائة سنة وبين كل يمـن ويمن يمن ثالث ورابع وربمـا خامس صنعتها الصراعـات السياسية والقبلية والمذهبيـة ويكفـي أن تقرأ لبعض مؤرخـي اليمن توصيفاً مخيفـاً لشيء من أحوال

(١) سياسـة بريطانيـا في عسـير اثناء الحـرب العالمية الاولى بحث للدكتـور فاروق عثمان اباظـة منشور بمجلة دراسات الخليج العدد التاسع ص ٢٢ وما بعدها، وانظر كتاب: عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية (١٣٣٨-١٣٧٣هـ) للدكتور عصام ضياء الدين السيد، ط١، دار الزهراء للنشر بالقاهرة، ١٤٠٩، ص٢٩.

اليمـن في فـترة من تلك الفترات المظلمة، يقول المـؤرخ الحيمي في كتابه: (الروض البسـام): (ودخلت سنة ثمان وستين ومائتين وألـف وفي مفتتح هذه السنة، وأمور الأقطار اليمنية جميعها فاسـدة وسبلها خائفة وفتنها ثائرة وكلمة الحق والشريعة غامضـة والبواطـل وأحكام الطاغوت ناهضة، وصار الناسـ في أشنع حال)[1]، أو تقـرأ قـول مؤرخ آخر يصف بعض أحداث عام ١٢٨٩هـ حيث يقول: (وفي سنة تسع وثمانـين ومائتـين وألف في شهر صفـر دخل الأتراك صنعاء فأذعنـت لهم القبائل المجـاورة ولكـن تخلف عـن الخضوع لهـم علي بن الحسـين الدفعـي وجماعة من أصحابـه وقد قطع الطريق وأكـثر من القتل والسلب فوجه إليه الأتراك قوة أراحت الناس من شره، ثم نزلت قوة من الأتراك إلى اليمن الأسفل فاستولت عليه وذعرت منهـا القبائـل، كما زحفت قوة أخـرى لحصار حصن كوكبـان ودام الحصار ستة أشهر)[2]، وهكذا (فقد ساد اليمن ألوانٌ من الفوضى والاضطراب وكانت الدولة العثمانيـة تبذل كل الجهد لتوطيد نفوذهـا في اليمن، ولكنها تفشل رغم محاولاتها المستمرة بدعم قواتها أو تغيير ولاتها هناك)[3]

تلك بعض أحوال المجتمعات الواقعة تحت الحكم العثماني فقد أصبح الأتراك مصدر إزعاج لكثير من الأقاليم.

---

(١) الروض البسام فيمـا شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام لمحمد بن لطف الباري الحيمي، تحقيق عبد الله الحبشي ص١٠٩، مكتبة الإرشاد بصنعاء، ط٢ ١٤٢٨هـ.

(٢) المقتطف من تاريخ اليمن لعبد الله الجرافي ص٢٧٤ ، منشورات دار العصر الحديث - بيروت - ١٤٠٧هـ.

(٣) التنافس الإنجليزي الفرنسي في القرن الثالث عشر ص٢٣٥ (بتصرف).

وقد عاصر أئمة الدولة السعودية الثانية (١٢٤٠-١٣٠٩) عدد من أئمة اليمن الأعلى وعدد من حكام اليمن الأسفل (تهامة اليمن)، فعايشوا تلك الصراعات وتلك الفتن التي كانت تُحْدِقُ ببلدان اليمن وما جاورها.

ومن الأئمة الذين عاصروا الدولة السعودية الثانية الإمام الهادي أحمد بن علي السراجي (١٢٤٧-١٢٤٩) والإمام المنصور علي بن المهدي: (١٢٥١-١٢٥٢) والإمام الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد المهدي: (١٢٥٢-١٢٥٦) والإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد (١٢٥٦-١٢٥٩) والإمام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور (١٢٦٠-١٢٦٥) والإمام المنصور أحمد بن هاشم: (١٢٦٤-١٢٦٥) والإمام المؤيد العباس بن عبد الرحمن: (١٢٦٦-١٢٦٦) والإمام الهادي غالب بن المتوكل محمد: (١٢٦٧-١٢٦٨) والإمام المنصور محمد بن عبد الله الوزير (١٢٦٩-١٣٠٧) [١].

أمّا اليمن الأسفل(تهامة اليمن ففي جزء منه أقام الاستعمار الإنجليزي مشيخات وإمارات عدة. أمّا الجزء المتاخم للمخلاف السليماني فقد امتدت إليه حكومة الشريف علي بن حيدر آل خيرات وحكومات أبنائه وأحفاده : (١٢٣٤-١٢٦٩) [٢]، التي لم تسلم من المنغصات سواءٌ من الإنجليز والفرنسيين أو من العثمانيين أو من آل عائض في عسير أو من بعض أئمة اليمن الأعلى .

(١) الديباج الخسرواني في تاريخ المخلاف السليماني، ص ١٤٠ وما بعدها .

(٢) اليمن عبر التاريخ لأحمد حسين شرف الدين ص٢٦٠-٢٦١ .

- وهكذا حل الشتات والفرقة بديلاً عن الوحدة، وسيطر الصراع والانقسامات عوضاً عن الاستقرار واجتماع الكلمة، وعادت أقاليم الجزيرة العربية إلى انقساماتها وتقطع أوصالها .

تلكم لمحات قدمناها عن بعض أحوال معظم أقاليم الجزيرة العربية التي رزحت تحت نير الحكم العثماني منذ العام ١٢٣٣هـ حتى بعيد انقضاء القرن الثالث عشر الهجري وهي أحوال لا تسر أحداً؛ ذلك لأن غالب بلدان وأقاليم الجزيرة العربية قد ظلت ممزقة الأوصال منذ سقوط الدولة السعودية الأولى وما أعقبه من عودة الأتراك للاستيلاء على أقاليمها وما تلا ذلك من فتن وحروب وصراعات ضاعفت انقساماتها ودهورت أوضاعها، واستمر أغلب تلك الأقاليم في أحوال من الشتات والتشرذم التي لا تشجع الأدباء والمفكرين والشعراء على التواصل الثقافي وإنما ساعدت على وجود جو من العزلة الفكرية التي جعلت كثيراً من الأدباء والشعراء ينكفئون على ذواتهم في إطار مجتمعاتهم الممزقة، ولعل السؤال المشروع في ظل تلك العزلة والشتات هو: كيف كانت الصلات الثقافية بين أقاليم الجزيرة العربية؟ وكيف كانت صلات بلدان اليمن بمكوناتها الثلاثة، اليمن الجبلي، واليمن التهامي، واليمن المستعمر؟ وكيف كانت صلاتها ببلاد الحرمين المجزأة كذلك خلال تلك الفترة المظلمة؟ وكيف كانت صلات بقية أقاليم الجزيرة العربية ببعضها؟!، قد نجد في السطور التالية بعض إجابات لهذه التساؤلات وإن كانت غير كافية فلنتأملها:

صور للتواصل الثقافي بين اليمن، والحجاز، والمخلاف السليماني

قبل البدء في الحديث عن التواصل الثقافي بين تلك الأقاليم لعلنا نحاول في السطور التالية إعطاء شيء من الإجابات على بعض التساؤلات السابقة فقد يكون هناك شيء من التواصل بين بعض أقاليم الجزيرة العربية ربما حالت دون تسجيله ظروف الصراعات وعدم الاستقرار، لكنني أجزم بأننا لن نعدم بوادر الاتصال العلمي والثقافي بين بعض علماء ومفكري اليمن مع بعض علماء ومفكري بلاد الحرمين، وكذلك بين علماء بعض بلدان اليمن وبعض علماء بلدان المخلاف السليماني المجاورة لها على وجه الخصوص حتى في أشد الظروف ظلاماً وتمزقاً وحلكة، وسوف نجد بعض إجابات لدى علامة المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر العلامة المؤرخ: الحسن ابن أحمد عاكش (١٢٢١-١٢٩٠هـ) الذي رصد لنا في عدد من كتبه التوثيقية أشياء مفيدة عن التواصل الثقافي بين تلك الأقاليم خلال فترة تقترب من نصف قرن وبخاصة في كتابيه :

١- حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر. الذي حققه إسماعيل البشري ونشرته دارة الملك عبد العزيز.

٢- عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر. الذي حققه كذلك إسماعيل البشري وطبع على الحاسوب في مجلدين.

كما أننا قد نجد بعض إجابات على تساؤلنا لدى العلامة المؤرخ: إسماعيل

بـن محمد الوشلـي (....-١٣٥٦هـ) الذي اقتفى أثر عاكشـ وكانت بدايات رصده قريبــة أو متزامنة مع تاريخ وفاة عاكشـ وبخاصة في كتابه: (نشر الثناء الحسن) الـذي بـدأ الرصد فيه مـن عام ١٢٨٧هـ [1] فـكان متمما لما بـدأه عاكش في كتابيه (حدائـق الزهر) و (عقود الـدرر) اللذين رصد فيهما شيئاً من التواصل الثقافي خـلال تلك الفـترة والفترات السابقة لهما فحفلا بحـزم ضوئية جيدة عن مسيرة التواصـل الثقافي بين بعض تلك الأقاليم، لذلـك تعتبر جهود الوشلي مكملة لجهود عاكشـ زمنيـاً فقد جاء بعـده واقتفى أثـره وسار علـى سننه، فابتـدأ الرصد من حيـث انتهى (عاكش) وظهـر كتابه التوثيقي: (نشر الثنـاء الحسن) الذي نشر عـام ١٤٢٥هــ في أربعة مجلدات حافـلا برصد شيء عن مسـيرة التواصل الثقافي مـن عـام ١٢٨٧هـ إلى قبيـل منتصف القـرن الرابع عشر، وقد حفلـت تلك الكتب التوثيقيـة بصور مشرقـة لومضات من التواصل الثقافي بـين بعض علماء ومفكري اليمـن وبعض علماء ومفكري بعض أقاليـم بلاد الحرمين وبخاصة علماء ومفكري المخـلاف السليماني، وفي الصفحات التالية سنختار نماذج لذلك التواصل الثقافي الـذي رصده لنا (عاكش) في كتابيه: (عقـود الدرر)، و (حدائق الزهر) ورصد لنـا بعضه (الوشلي) في كتابه: (نشر الثناء الحسن) وإن جاء بعضه يوثق لمراحل من حياة المؤلفـين الفاضلين وصلاتهما العلمية بعلماء البلدين وإن أتى أيضاً بعض ذلـك الرصد غير موثق بتاريـخ، إلا أننا مع ذلك سنفترض متوسط تاريخ التواصل

(١) مقدمة محقق كتاب نشر الثناء الحسن إبراهيم المقحفي ص٦، وانظر مقدمة مؤلف الكتاب نفسه ص١٣.

خلال فترة ولادة ووفاة الشاعرين أو العلمين اللذين حصل بينهما التواصل الثقافي بصوره المتعددة فإلى نماذج من صور ذلك التواصل:

وإذا كانت الدرعية قد سقطت في عام ١٢٣٣هـ وبسقوطها طويت صفحات مضيئة من تاريخ الدولة السعودية الأولى، فلعل أول رصد للتواصل الثقافي بين بعض علماء الحرمين وبين بعض علماء اليمن من جهة وبين بعض علماء المخلاف السليماني (الذي أصبح مجزءاً) مثل بقية أقاليم شبه الجزيرة، وبعض علماء اليمن لعل أول تواصل ثقافي يمكن أن يحسب على الفترة التالية لسقوط الدولة السعودية الأولى هو ما رصده لنا العلامة الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١-١٢٩٠هـ): حيث ذكر بأن تواصلاً ثقافياً قد تمَ بين أحد علماء مكة المكرمة وبين أحد علماء المخلاف السليماني وقد كان حاكماً آنذاك لإحدى المدن اليمنية؛ لقد رصد لنا عاكش ذلك التواصل الثقافي الذي تم بين هذين العلامتين وذلك أثناء ترجمته للعلامة عبد الله بن عبد الرحمن السراج المكي: (١٢٠٠-١٢٤٧هـ) [1] فقد تحدث عن العلاقة المتينة التي توثقت بين العلامة المكي (السراج) وبين العلامة الأديب الشاعر: علي الحسن العواجي[2]، والسراج المكي هذا عالم كبير من علماء بلاد الحرمين وشاعر

(١) العلامة عبد الله بن عبد الرحمن السراج المكي (١٢٠٠-.....) ولد بمكة المكرمة سنة وبها نشأ وتلقى العلم على علمائها ثم تصدر للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام وجعله الشريف محمد بن عون رئيساً على علماء مكة، وهو أول من تولى بها هذه الوظيفة وله شعر جيد. انظر ترجمته في: عقود الدرر ج٢ ص٥٤٤، وفي المختصر من نشر النور والزهر لعبد الله مراد ص٢١٧.

(٢) علي بن الحسن بن محمد العواجي: (....-١٢٢٤هـ) عالم جليل وشاعر أصيل وصاحب صلات جيدة=

يحـب الأدب وأهلـه، وقد لقبـه عاكش بأديب مكة و وصفه بسعـة العلم وبخاصة في علـم التفسير – كما أشار إلى مكانته العالية لـدى ملوك الحجاز وأعيانها بل ذكر بأنـه كان أحـد المسئولين في حكومة الأشراف بمكة المكرمة وتحدث عن حبه للأدب وأهلـه والاشتغال بـه وأشار إلى صلته بأدباء المخلاف السليمـاني واليمن وأنه كان يفضلهـم على أدباء مصر في اللطافة ورقة الشعر [(١)]، ونقل عنه قصيدة يثني فيها علـى العلامة الحسن العواجي الذي كان حاكمـاً لمدينة (اللُّحَيَّة) [(٢)] اليمنية حين كانـت تابعـة للدولة السعودية الأولى، وعاكش وهو يرصد لنـا تواصل السراج المكي مع بعض علماء المخلاف السليماني فإنه من خلال هذا الرصد يتحدث عن صلاته الثقافيـة (هو) بهذا العلم المكي: (السـراج) ومما قاله عاكش عنه: (أول اتفاقي بالعلامـة (السراج) في الحرم المكي وهو يدرِّس التفسـير ويملي عباراته عن ظهر قلـب ويوضح الإشكال ويأتـي بالنظائر في تفسير الآية والأمثـال ويستطرد عبارات

= بأعلام ومفكري عصره، تلقى العلم على مشائخ كبار وأخذ عنه العلم طلاب أصبحوا علماء كبار كالعلامة إسماعيـل الوشلي وغيره، تحدث عنـه الشوكاني في البدر الطالع فقال: (جميل الصورة، تام الخلقة، حسن الهيئـة، بهـي الشكل، يستدل مـن رآه بذاته على جميل صفاته وجليل سماته جامع بـين العلم والعمل) وقال عنـه البهكلـي في نفح العود: (كان إماماً في العلوم وله اليد الطولى في فروع الفقه وأصوله وفي النحو والبيان وله شعر رقيق). انظر ترجمته في البدر الطالع ج١ ص٣٢٤، وعقود الدرر ج٢ ص٥٣٩، ونفح العود ص٢٤٦.

(١) عقـود الـدرر في تراجـم رجال القرن الثالث عشـر للحسن بن أحمد عاكشـ ج٢ ص٥٤٤وما بعدها، تحقيق إسماعيل البشري، نسخة مصورة عن نسخة الحاسوب التي أعدها المحقق.

(٢) اللُّحيـة: مدينة يمنية ساحلية تقع علـى ساحل البحر الأحمر، وتبعد عن ميناء الحديدة شمالاً بحوالي مائة كيـل وهي من الموانئ اليمنية المهمة يرجع تاريخ تأسيسها إلى أوائل القرن الثامن الهجري بعد أن استوطنها العلامة (أحمد بن علي الزيلعي سنة ٧٠٤هـ) انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي ج١ ص٣٥٦.

المفسريـن ويرجح بـين الأقوال، عرفت بذلـك أنه كامل في سائر الفنـون) إلى أن قـال: (لـه اشتغال كُلِّي بالأدب، ويكـثر الثناء على أدباء اليمـن سيما أهل صنعاء، ويقول إنهم غلبوا أدباء المصريين في اللطافة ورقة الشعر، وله شعر جيد..... ومما أملانيـه قصيدته التي كاتـب بها القاضي الشاعر علي بـن الحسن العواجي الذي اتفق به في (اللحيّة) وأقام بها عنده مدة) ومنها:

إن جُزْتَ أرض (اللّحية) صل مَعَاهِدَ مَنْ ... أضحى إمام الورى في العلم والأدب
واستنثر الـدر مـن ألـفـاظـه وأقـم ... عكفاً على الباب ترقى ذروة الرُّتب
ولا تمـل طـرفـه عـمـا يـــروم، فـإن ... ترجو سواه، فقد عرضت للنصب
مـا كـل فـاطـمـة مـثـل الـبـتـول ومـا ... كل الحجار تحاكي حمرة الذهب
وما الغروس التي شاخت قوائمها ... مثل النخيل التي تبديك بالرطب
وما الكماة التي تبدي صوارمها ... تحكي (علياً) وإن قامت على السحب
ذاك الـذي اشتهرت أفعاله وغدا ... مـن عـزم همته يعلو على الشهب
وكم له من مزايا في الحديث أتت ... ومـن قضايا روت للدهر عـن كثب

وبعد أن أثنى على أسلافه بقوله:

قاموا على هامة العلياء واكتسبوا ... مجد الأصول وفخر العلم والحسب
حموا حمى الدين واجتثوا بواطله ... وشـيـدوا مـلـة الأحـكـام عـن كثب
وللشريعة حـاكـوا جـدهـم خلقاً ... يجنو افتخاراً، فنالوا غاية الطلب

ثم ختمها باعتذار وتواضع قائلاً:

نظم كسير، وألفاظ مبعثرة ترجوا الوصول وتخشى اللوم من عطب

إلى أن قال عن نفسه تواضعاً :

من سار في معرض التقصير منفرداً يدعى (السراج) بلا ضوء ولا لهب

- وكما تواصل العلامة (السراج المكي) مع أحد ولاة المدن اليمنية من قبل أمير المخلاف السليماني الشريف (علي بن حيدر) فقد تواصل علامة المخلاف السليماني (الحسن بن أحمد عاكش) مع أحد علماء اليمن ومؤرخيه حيث يروي لنا (عاكش) ما حصل بينه وبين العلامة اليمني: أحمد محمد الذماري[1] من تواصل ثقافي مثمر أدى إلى تواصل علمي وثقافي مع آخرين فيقول:(وجمع العلامة أحمد محمد الذماري تاريخاً ترجم فيه لعلماء عصره بعناية شيخنا لطف الله جحاف (١١٨٩-١٢٤٣هـ) وكان العلامة الذماري ضنيناً بتاريخه لا يكاد يطلع عليه أحداً، وفي بعض الأيام جرت المحادثة في شأن ذلك التاريخ مع جماعة من أهل صنعاء من علمائها، فعوّلوا عليّ في طلبه منه، فأرسلت له بهذه الأبيات:

إني إلى تأليفكم شيّق والأذن قبل العين قد تعشق

مذ فاح لي طيب ثناء له ما زلت من ريّاه أستنشق

---

(١) أحمد بن محمد الذماري: (....-١٢٤٣هـ) عالم يمني جليل القدر، وشاعر متمكن، ومؤرخ حاذق، ولد بذمار وتلقى العلم على علمائها، كما تلقى العلم على العلامة لطف الله جحاف، له إلمام بالنحو، وشغف بالأدب والأدباء، ترجم لعلماء وشعراء ذمار وصنعاء وبعض علماء تهامة، كانت صلاته الثقافية بعلماء عصره جيدة كالعلامة الحسن بن أحمد عاكش الذي التقى به كثيراً، له شعر جيد. انظر ترجمته في الأعلام ج١ ص٢٤٦، وفي نيل الوطر ج١ ص٣٣٠-٣٣١، وفي عقود الدرر ج١ ص١٥٢.

تقيَّد الفكر على مدحه ... يا ليت في روضاته نطلق
فأسعفوا العبد بإرساله ... فإن قلبي فيه مستغرق
أليس هو كالشمس في ضوئه ... والشمس من لازمها تشرق
جمعت فيه كل فرد غدا ... في العلم والآداب لا يسبق
لله من رقَّش ألفاظه ... فبالبلاغات غدا ينطق
قد استرق الناس من لفظه ... وللحجا من لطفه يسرق
همُ عيون الدهر هذا بلا ... شك، وذا جفن بهم محدق

فكان الجواب من العلامة الذماري:

مقيد الحب بكم مطلق ... وروض شوقي بكم مُورق
ومهجتي شيقة للقا ... والشوق في لقياكم أشوق
يا فتية إن فاخروا فتية ... كانوا إلى ما فاخروا يسبقوا
طيبتم العلم، وحَلاَّكمُ ... والجهل من تحقيقكم يفرق
تاهت بكم صنعا وأربابها ... والشام والمغرب، والمشرق
طلبتمُ التاريخ كي تنظروا ... جماعة للعلم قد حققوا
كذاك من بالأدب الغض قد ... أضاء عنه حالك مطبق
فهاكمُ سفراً يُروِّي عطا ... شاً فيه أهل العلم قد وثقوا
لا زلتمُ أهل العلا في الملا ... إليكمُ لحظ الهدى يحدق(1)

---

(1) عقود الدرر ج٢ ص١٥٢-١٥٣.

يقول (عاكش): (وبعد وصول التاريخ وقع الاطلاع عليه فإذا هو قد أجاد فيه، وما زال بعد ذلك يقع الاجتماع به، ويستملي في حال علماء تهامة لأنه لم يترجم إلا لأهل بلده (ذمار) و علماء (صنعاء) [1].

قلت: وهذا هو التواصل الثقافي الحقيقي أدباً وشعراً وتبادلاً للمعارف بين عالم من اليمن هو (الذماري) وعالم المخلاف السليماني هو (عاكش) وتواصل ثقافي مع علماء صنعاء بغض النظر عن فارق (السن) بين العالمين الجليلين: (عاكش والذماري) رحمهما الله.

مثله في هذا التواصل غالب علماء ومفكري البلدين الجارين آنذاك .

ولقد كانت للحسن بن أحمد عاكش من خلال كتابيه: (حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر) و (عقود الدرر بتراجم رجال القرن الثالث عشر) جهودٌ كبيرةٌ فقد سطر فيهما سيراً لأعلام من اليمن ومن المخلاف السليماني ومن الحجاز، هم صفوة مشائخه وصفوة زملائه في الدراسة، وخيرة معاصريه ومجايليه، ودوّن من خلال سيرهم العطرة بعض ما دار بينه وبينهم من مراسلات ومكاتبات ومحاورات، وسجل كذلك بعض ما حصل بينه وبين عدد من أعلامهم من مطارحات ومكاتبات ومحاورات ومراسلات أدبية وثقافية، يشاطره في هذا الجهد الثقافي الجميل كل من العلامتين: محمد محمد زبارة صاحب كتابي: (نشر العرف) و (نيل الوطر)، وإسماعيل الوشلي صاحب كتاب: (نشر الثناء الحسن).

(١) المصدر نفسه ص١٥٣.

علماء من اليمن، وعلماء من الحجاز، ومن المخلاف السليماني مدوا جسور التواصل الثقافي

وربما جاء الرصد خافتاً في بعض الفترات، لظروف حالت بين مفكري بعض الأقاليم في تلك الحقب وبين أداء أدوارهم في التواصل الثقافي كما ينبغي، ومع ذلك فقد كانت هناك استثناءات مضيئة ظهرت في بعض الأقاليم، واستطاعت أن تثقب عتمة ليل التشرذم وتكسر أبواب الانكفاء على الذات، وتتنفس الهواء والنور، تلك الاستثناءات تتمثل في جهود نفر من العلماء والأدباء والمفكرين والشعراء الذين برزوا خلال تلك الفترة في بلاد الحرمين وفي المخلاف السليماني وفي اليمن وسجلوا حضورا ثقافيا فاعلا ومدوا جسور التواصل الثقافي بين أدباء ومفكري بلدانهم قد نأتي في هذه الأوراق بنماذج لتواصلات بعضهم ففي المخلاف السليماني مثلاً ظهر أعلام كبار كان لهم تواصلهم مع العلماء الآخرين في الأقاليم المجاورة لهم وفي مقدمتهم :

١- العلامة الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١-١٢٩٠هـ)

٢- العلامة إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الضمدي (١٢٢٢-١٢٩٥هـ).

٣- العلامة أحمد بن عبد الله النعمان الضمدي المتوفى سنة (١٢٤١هـ).

٤- العلامة أحمد بن علي بن أحمد الضمدي المتوفى سنة (١٢٧٤هـ).

٥- العلامة أحمد بن محمد الضحوي التهامي الصبياني المتوفى سنة (١٢٨١هـ).

٦- العلامة أحمد بن محمد الحازمي المتوفى سنة (١٢٨١هـ).

٧- العلامة أحمد بن محمد النعمي المتوفى سنة (١٢٤١هـ).

٨- العلامة إسماعيل بن علي فارس الأمير المتوفى سنة (١٢٨٧هـ).

٩- العلامة الحسن بن أحمد بن الحسن البهكلي المتوفى سنة (١٢٣٤هـ).

١٠- العلامة محمد بن أحمد بن الحسين البهكلي المتوفى سنة (١٢٦٨هـ).

١١- العلامة محمد بن ناصر الحازمي المتوفى سنة (١٢٨٢هـ).

وغيرهم من العلماء والمفكرين في المخلاف السليماني.

كما كان هناك علماء من مكة المكرمة تواصلوا مع علماء ومفكري المخلاف السليماني وعلماء ومفكري اليمن ومنهم :

العلامة الشاعر عبد الله السراج المكي : المتوفى سنة (١٢٤٧هـ)

والعلامة أبو بكر بن عبد الوهاب الزرعة المكي : المتوفى سنة (١٢٦٢هـ)

- يعاصرهم في اليمن علماء ومفكرون تواصلوا مع إخوانهم علماء المخلاف السليماني وعلماء الحجاز ومنهم:

١- العلامة يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة (١٢٤٦هـ).

٢- العلامة لطف الله بن أحمد جحاف المتوفى سنة (١٢٤٣هـ).

٣- العلامة محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن إسحاق المتوفى سنة (١٢٦٦هـ).

٤- العلامة محمد بن علي العمراني الصنعاني المتوفى سنة (١٢٦٤هـ).

٤- العلامة محمد بن الزين المزجاجي المتوفى سنة (١٢٥٢هـ).

٥- العلامة عبد الكريم بن حسين العتمي المتوفى سنة (١٢٤٦هـ).

٦- العلامة عبد الرحمن بن محمد الشرفي المتوفى سنة (١٢٥١هـ).

٧- العلامة محمد بن المساوى الأهدل المتوفى سنة (١٢٦٦هـ).

٨- العلامة أحمد بن زيد بن عبد الله الكبسي المتوفى سنة (١٢٧١هـ).

٩- العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المتوفى سنة (١٢٥٠هـ).

١٠- العلامة محمد بن مهدي بن أحمد الحماطي المتوفى سنة (١٢٦٩هـ).

١١-العلامة إبراهيم بن محمد الكوكباني المتوفى سنة (١٢٥٩هـ).

١٢- العلامة أحمد بن عبد الرحمن صايم الدهر المتوفى سنة (١٢٦٩هـ).

١٣- العلامة يحيى بن محمد السحولي الصنعاني المتوفى سنة (١٢٥٦هـ).

ولا شك بأن لكل واحد من أولئك الأعلام الذين أشرنا إليهم في السطور السابقة جهوده العظيمة في التواصل الثقافي مع علماء ومفكري عصره، في إقليمه، وفي الأقاليم المجاورة، وإن تميز عدد منهم في كثافة التواصل الثقافي ومضاعفة الجهود، كالحسن بن أحمد عاكش شاعر المخلاف السليماني ومؤرخه في القرن الثالث عشر، الذي يعتبر بحق واحداً من الذين لم تثنهم تلك الظروف الصعبة عن الاتصال والتواصل الثقافي بمفكري عصره وأدبائه ليس في المخلاف السليماني ولا في حدود الأقاليم المجاورة كاليمن أو الحجاز، وإنما في أغلب بلدان الجزيرة العربية، بل ربما تجاوزتها اتصالاته الثقافية إلى بلدان خارجها يقول الدكتور عبد الله أبو داهش: (لقد كان عاكش على صلة بشعراء عصره داخل الجزيرة العربية وخارجها) [1].

(١) مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير تحقيق عبد الله أبو داهش ص٤٥.

ويقـول الدكتور حسن النعمـي محقق ديوان الحسن بن أحمد عاكش: (لعلي لا أعـدو الحقيقـة إن قلت: إنه لم يكن هناك شاعر في بـلاد المخلاف السليماني أيام عاكش إلا ولعاكش صلة به، سواء شاركه في محفل أدبي أو منتدى فكري، أو راسله بشعـره وحـاوره بنثره) [1] ويقـول في موقع آخر من كتابه هـذا: (لم تكن علاقات (عاكش) قاصرة على وجهاء بيئته القريبة وأعيانهم فقط، بل لقد تعدى ذلك إلى رجال ألمع وغيرها) [2] ويشير في مكان آخر من دراسته إلى (صلة العلامة عاكش بشاعـر مكة وعالمهـا (أبي بكر الزرعـة)[3] كما تحدث عن علاقـة عاكش كذلك بعـالم مكة وأديبها عبد الله السراج (....-١٢٤٧هـ) [4] الذي كانت له معه صلات مستمرة وعلاقات وطيدة يؤكدها عاكش في كتابه (عقود الدرر) قائلاً: (وما زلت أتـردد عليه أيام إقامتي في الحرم المكـي ......) إلى أن قال عاكش: (واستدعاني إلى بيته غربي باب إبراهيم وجرت بيننا وبينه المذاكرة) [5].

- وفي كتابـي (عاكـش) نفسه: (حدائـق الزهر) الذي ترجـم فيه لمشايخه،

---

(١) دراسة النعمي عن حياة عاكش وشعره التي بدأ بها تحقيق الديوان ص١١١، وهي رسالة علمية.

(٢) المصدر السابق ص١٠٩.

(٣) العلامـة أبـو بكر الزرعة هـو: أبو بكر بن عبد الوهـاب الزرعة المكي، (....-١٢٦٢هـ) ولد بمكة المكرمة وتلقى العلم على علمائها، وكان مغرماً بجمع الكتب له ديوان شعر وعدد من الرسائل وكانت له صلات علمية وثقافيـة بأمراء وعلماء عصره كالأمير الشريـف حسين بن علي بن حيدر والعلامة (عاكش) توفي العلامة أبـو بكـر الزرعة بمكة سنة ١٢٦٢هـ. انظر ترجمته في كتاب المختصر مـن كتاب نشر النور والزهر لعبد الله مرداد ص٦٥، وفي نشر الثناء الحسن ج٢ ص٤٠ وغيرها.

(٤) عقود الدرر ج٢ ص٥٤٤.

(٥) المصدر السابق ج٢ ص٥٤٤.

ومجايليـه، وبعض تلاميذه، وكتابه: (عقود الـدرر) الذي ترجم فيه لعدد كبير من أعلام وعلماء وشعراء ومفكري القرن الثالث عشر فيهما تأكيدٌ لما أشار إليه الباحثان الكريمـان (النعمي وأبو داهش) ومن يتصفحهما سيجد مدى شدة حرص العلامة (عاكش) علـى التواصل مع علماء ومفكـري عصره وسيجده قـوي الصلة بكل من ترجـم لهم في كتبه، فهذا حاوره وذاكره وهذا طارحه، وذاك ناظره، وأولئك قرضوا كتابـاً لـه أو قرض بعض كتبهم.....) الـخ، لذلك فليس بمستغـرب إذا اعتبرنا بأن العلامة (عاكش) : أحد رموز التواصل الثقافي مع مفكري عصره في اليمن وغيره:

- لقد كان المؤرخ الشاعر الحسن بن أحمد عاكش – رحمه الله – رمزاً ثقافياً فاعـلاً على مستوى الجزيـرة العربية كلها، وكانت له صلاته الثقافية القوية بأدباء المخلاف السليماني وببعض أدباء الحجاز وبكثير من علماء اليمن وأدبائه وشعرائه ومفكريـه وفي مقدمتهـم مشائخه، وزمـلاء دراسته، ومجايليه الذيـن ترجم لهم، وألف عنهم الكتب وعلى رأس هؤلاء وأولئك:

١- الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني: (١١٧٢-١٢٥٠هـ).

فقد تواصل الحسن بن أحمد عاكش مع الإمام الشوكاني نثراً وشعراً بعد أن تتلمذ عليه وأجازه بخط يده كما يقول (عاكش)، ومما رصده (عاكش) من تلك التواصلات مع شيخه الشوكاني قوله: (وقد رفعت إليه سؤلاً سنة ثمان وأربعين بعد المأتين والألف (١٢٤٨هـ) .... وكان ذلك السؤال من جملة أسئلة، فأجاب عليَّ بما لفظه) [١].

(١) حدائق الزهر ص٥٠.

كما رصد (عاكش) تواصله مع شيخه الشوكاني شعراً، فقال: (ومما قلته في الإمام الشوكاني تهنئة له بعيد الفطر المبارك عام ثلاثة وأربعين بعد المأتين والألف (١٢٤٣هـ):

أراك لدى ذكر الأحبة تطرب　　وقلبك في وادي الغرام يقلبُ

تعلل نفساً بالوصال تمنياً　　ودون الذي تهوى رمال وسبسب

ثم مضى في التشبيب إلى أن وصل إلى بيت التخلص الذي يصل به إلى الممدوح فقال:

فما الأنس إلا بالتداني لأنه　　كمدح جمال العصر للناس يَعْذُبُ

مجدد هذا القرن، لولاه في الورى　　لطار بكل العلم عنقاء مغرب

إمام له في كل فن مصنّف　　يُريك به الإنصاف لا يتعصب[(١)]

٢- كما تواصل عاكش أيضاً مع علامة ومحدث اليمن الحافظ: عبد الرحمن بن سليمان الأهدل: (١١٧٩-١٢٥٠هـ):

وقد سجل شيئاً من ذلك التواصل الفكري والثقافي بشيخه الأهدل فقال:

(ومما كاتبني به في صدر رسالة (جوابية):

وما شرح أشواقي إليك بممكن　　وليس له حدّ، فيحويه دفتر

ومما أطار القلب شوقاً إليكمُ　　كتاب أتى منكم، بديع، محبَّر

تضمن درّ القول، مضمون لفظه　　وياقوت مغنى، قد حواه، وجوهر

تأكد ودي منه، وهو مؤكد　　وهام به قلبي العميد المحير

---

(١) حدائق الزهر ص٥٢.

وذكـــرني أيـــام وصـــلٍ تـقـدمت بـهـا كـنـت أثـــواب الـوصـــال أخـــرر
تـفـضـلـت الأيـــام فـيـه بـجمعنا وغـــانٍ يـغـنـيـنـا رخـيـــم، ومـزهـــر
وإخـــوان فـضـل لا تـمـل حديثهم هو الشهد ممزوجاً، (رحيقاً يُقطّر)[1]
جزى الله ذاك العهد خيراً وجاده من السـاكـب الـهـتـان، غـاد ومبكرُ

ثـم قال في تلك الرسالة: (وإن تفضلتم بالسؤال عن حال الفقير، فهو من الله في نعم.......) الخ[2] وهي رسالة تؤكد على عمق الصلة وكريم التواصل.

٣- وتواصـل (عاكـش) كذلـك مـع العلامة اليمنـي الكبير محمـد بن علي العمـراني[3]: الـذي كانـت له صلاتـه وتواصله العلمـي والثقافي بعلمـاء الحرمين وبعلماء المخـلاف السليماني لكن صلته بعاكش متميزة وتواصله الثقافي معه متين، يؤكـد ذلـك (عاكش) بقوله: (وما بيني وبينه مـن مكاتبات يخرج في مجلد) [4]،

(١) تكملة البيت الذي قبل الأخير من اجتهادنا.

(٢) حدائق الزهر ص٧٨.

(٣) العلامـة: محمد بن علي بن حسـين العمراني الصنعاني (١١٩٤-١٢٦٤هـ) ولد ونشـأ بعمران وتلقى العلم على علماء بلده كالعلامة حسن بن يحيى الكبسي، والشوكاني، وبرع في جميع الفنون من نحو وصرف ومنطق وأصول وبيان وفي علم الحديث حتى صار يستحضر رجال كتب الحديث الستة تعديلاً وتجريحا، حتى أصبح مقصداً لطلاب العلم تتلمذ عليه الحسن بن أحمد عاكش وترجم له في حدائق الزهر وفي عقود الدرر وذكر بـأن العمراني هاجر إلى مكة وأقام بها ثلاث سنـوات ثم استدعاه أمير المخلاف السليماني الشريف (علي بـن حيـدر) وبنى له بيتاً بأبي عريش أقام به سنتين ثم عاد إلى موطنه (اليمن)، وللعمراني مؤلفات كثيرة منهـا: (عجالة ذوي الحاجة على سنن ابـن ماجه) وكتاب: (هداية العقول) وكتاب (مستدرك الحاكم) وكتاب (التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف) وله كتاب في (تراجم علماء عصره) توفي سنة ١٢٦٤هـ. انظر ترجمته في: الأعلام ج٦ ص٢٩٨، والبدر الطالع ج٢ ص٢١٤، وحدائق الزهر ص١٠٣-١١٦).

(٤) حدائق الزهر ص١١٢.

والعمـراني ممن قرض كتاب عاكش (روض الأذهـان) شعرا ونثرا، ولعلنا نختار فيمـا يلي شيئاً مما كتبه العمـراني إلى عاكش جواباً على بعض رسائله وأثبته لنا (عاكش) في أحد كتبه قائلا : (ومما كتبه إليَ العمراني :

قـد علـمت سـلمى وجـاراتـهـا — بـأنـنـي دهـــري خــدن الـوفـاء

فـلا أصـــون الـســر عـنـهـا ولا — أنــزح عـن وردي عـين الصـفـاء

إني لـهـا في الـغـيـب فـوق الـذي — تـشـهـد مـنـي، ليـس عـنـدي جفا

ولـيـس لي وجـهـان في صـاحـب — أو صاحب ما في جفاه خفا) [1]

وقـد كاتبـه (عاكش بغـرر القصائـد ومنها قصيدتـه الطويلـة ذات المطلع الغزلي:

مـن لحـظ عينيها أراشــت أسهما — ورمــت فـأقـصـدت المحـب المغـرما

وتـبـخـتـرت لمـا رأتـــه مـضـرجـاً — بـدمـائـه، والـدمـع يسفح عندما

والتي يقول في بعض أبياتها واصفاً شيخه العمراني:

عـلـم الـعـلـوم وبـحـرهـا وإمـامـهـا — مـن فـات آخـرهـا وفـاق الأقـدمـا

نـقـاد عـلـم الأولـــين فـكـم لـه — مـن مـبـحـث يـذر المـبرّد أبكـما

بـدرايـــة مـا جـازهـا مـن قـبـلـه — الرازي، ولا الشيخ التقي ومن هما [2]

٤- كمـا تواصـل وتطـارح (عاكش) مـع العلامة محسن بن عبـد الكريم بن إسحـاق (١١٩٤-١٢٦٦هـ) وابنه (محمد). فقد رصـد لنا عاكش تواصلاً ثقافياً

---

(١) المصدر والصفحة نفسهما.

(٢) المصدر نفسه ص١٠٨.

من نوع آخر، لقد تم ذلك التواصل بينه وبين زميل دراسة يصغره سناً هو: (محمد بـن محسن بن عبد الكريم الصنعـاني (١٢٣٠-١٢٤٣هـ) [١] نجل شيخه (محسن بـن عبـد الكريم) [٢] وقد كان فتـىً ذكياً ألمعياً، وكان على صلـة قوية بتلميذ والده: (الحسـن بـن أحمد عاكشـ) حيث كان والـده يأمره بملازمة (عاكشـ) والأخذ عنـه..... يقـول عاكش في رصده: (عرفتـه في حضرة والده في أوائـل بلوغه، وهو يتوقـد ذكاءً وسمـع معنا دروس والـده، وقد حفظ بعض المختصـرات، وله اشتغال بـالأدب ورغبة في مطارحة أهله، وكان يأمره والـده بملازمتي والقراءة عليّ، وكان بعد انفصالي من عند والده يصل إليّ وأنا بالمنزل فيقرأ عليّ في شرح (كافية ابن الحاجب) ويقرأ أيضاً على بعض مشايخ صنعاء، ويصل إلينا، يُعيد ما قرأه لا يكاد يختلـف يوماً واحداً، وفي بعض الأيام وصل إلينا ووجـد المنزل مغلقاً، فلم أشعر في اليوم الثاني إلا وقد وصلتني منه هذه الأبيات:

---

(١) محمـد بـن محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحـاق الحسني الصنعاني، (١٢٣٠-١٢٤٣هـ) حضـر دروس والده مبكـراً، وقرأ النحو على العلامة الحسن بن أحمد عاكشـ، كان ذكياً وألمعياً وله اشتغال بالأدب وشاعرية متدفقة برغم صغر سنه، مات قبل سن البلوغ فحزن عليه والده حزناً شديداً. انظر ترجمته في: عقود الدرر ج٢ ص٧٨٧، نيل الوطر ج٢ ص٣٥٣-٣٥٤، حدائق الزهر ص١٤٢.

(٢) العلامة محسن بن عبد الكريم بن أحمد الصنعاني (١١٩١-١٢٦٦هـ) عالم يمني فاضل ومؤرخ جيد وشاعر مجيد تتلمذ عليه عدد كبير من طلاب العلم الذين أصبحوا علماء أعلام من أمثال الحسن بن أحمد عاكش كانـت حلقتـه غاصة بطلاب العلـم له مؤلفات كثيرة منهـا: (لفحات الوجد من فعـلات أهل نجد) وكتاب (الروض النـادي في سـيرة الإمـام الهادي) وله ديـوان شعر سمـاه (ذوب العسجد) تـوفي بصنعاء سنة ١٢٦٦هـ. انظـر ترجمته في الأعلام ج٥ صـ٢٨٧، وفي البدر الطالع ج٢ ص٧٨، وفي عقـود الدرر لعاكش ج٢ ص٧٨٧، وفي نيل الوطر ج٢ ص٢٤٤-٢٥٠.

نوح حمام الأيك جنح الظلام ... هيَّج شوقاً لحليف الغرام
وشاقه للوصل حتى غدا ... للدمع من أعينه انسجام
وزاده وجداً على وجده ... فحَّرمتْ عيناه طيب المنام
إنْ أومض البرق بذاك الحمى ... جنح الدجى أذكَرَهُ الابتسام
وإن بدا للبدر في تمِّه ... أذْكَرَهُ تلك الوجوه الكرام
وإن رأى الورد وغصن النقا ... ذَكَّرَهُ الخدَّ ولينَ القوام
يا لائمي، لومك ما زادني ... إلا احتفالاً بالهوى، والتزام
فلو رأت عيناك بعض الذي ... رأيت، لاستصوبت دين الغرام
فكم ترى من أوجه أشرقت ... وأخجلت منه بدور التمام
وكم ترى من مقل إن رنت ... توجهت نحوك منها سهام
وكم ثغور يا فتى!! رشفُها ... يفعل في الألباب فعل المدام
فدع ملامي في هواهم وشنِّـ ... ـف مسمعي من مدح ذاك الهمام
الحسن البحر حليف التقى ... والزهد، حاوي الفخر عالي المقام
العالم المفضال من جوَّد الـ ... ـعلوم حتى صار فيها إمام
من ذا يضاهيه ومن ذا يسـ ... ـاويه، ومن ذا مثله في الأنام
بدر تبدّى في سماء العلا ... وأشرقت أنواره والسلام[1]

يقول عاكش: (فبعد أن وقفت عليها سرت إلى بيت والده (ببئر العزب)

---

(١) عقود الدرر ج٢ ص٧٨٧-٧٨٨.

فوجدتـه غاصاً بأعيـان العلماء فعرضت عليه هذه الأبيـات وكان إذ ذاك (ابنه) الفتـى (محمد بـن محسن بن عبد الكـريم) حاضراً، فَسُرّ والـده بذلك ودعا له بالبركة، وتعجب الحاضرون من بلاغة الشعر وجزالته مع حداثة سنة وقال العلماء في ذلك الموقف: تحتّم عليكم الجواب، فأجبتُ عليه بهذه القصيدة:

عج بالمصلى واقـر منّي السلام — على (الـذي حلّ) بتلك الخيام
واستند حديث الشوق عمن غدا — بعد النوى من أجلهم مستهام
لم أنـس يـومـاً مـرّ في زينـة — غـانٍ رشيق القد حلو الكلام
قـد قنـص الـلـب بـألحـاظـه — وقد أعـار الجسم منها السقام
طُـرَّتُـهُ كـالـليـل، لكـنـمـا — غُـرّتُـهُ تفضح بـدر التمام
مـوَرّدُ الخـدِّ هضيم الحشـا — يبسم عن ثغر كحب الغمام
وعـاذل قـد ألـف العـذل لي — لمـا رآني مغرمـاً فيـه، لام
حسبك ما قد كـان، إني امـرؤٌ — قد حلّ لي العشق بشرع الغرام
يـا بـدر والإنـصـاف من شأنه — إن الجفا من غير داعٍ حرام
هب أنـني عنك تجافيت هل — يحسن أن تتركني في هيام
فعمدة الحب اتصـالي بكم — لأن في الوصل بلوغ المرام
لله أيـام تـقـضـت لنـا — كنا جميعين بها في التئام
ونحن في روض زهـا زهـره — وكلنا كالزهر في الابتسام
قـد ساجلت أزهـاره للحيا — وأطـرب الـبرق هدير الحمام

فشابه الروض على حسنه - أستغفر الله - سجايا الهمام

المفرد المفضال عز الهدى المصقع السامي لأعلى مقام

قد أمَّ للعليا بلا مرية فنالها قبل سني الاحتلام

وشعره يشبه أخلاقه في اللطف والرقة والانسجام

إليّ قد أهدى نظاماً له أسحرني، فأعجب لسحر النظام(1)

إذا فعاكش - كما نرى - كان يتواصل مع كافة المستويات والأعمار ويتجاوب ويتفاعل مع الكلمة الشاعرة والموقف الكريم أياً كان وممن أتت؛ من شيخه، من زميله، من تلميذه!!

٥- كما تواصل عاكش وتحاور وتطارح مع علامة وأديب اليمن:

محمد بن المساوى بن عبد القادر الأهدل(٢):

كلن يلقبه (عاكش) بإمام البدائع واللطائف، ويصفه بدماثة الأخلاق، وخفة الروح، وسلامة الطبع.. حتى لقد قال عنه أيضا: (كان العلامة محمد بن المساوى

---

(١) عقود الدرر ج٢ ص٧٨٨-٧٩٠.

(٢) العلامة: محمد بن المساوى بن عبد القادر الأهدل: (١٢٠٢-١٢٦٦هـ) أحد علماء اليمن الكبار وصاحب صلات علمية وثقافية كبيرة بعلماء وأدباء عصره في اليمن وغيره، ولد سنة (١٢٠١هـ) وتلقى العلم على علماء أسرته، ومن شيوخه العلامة محمد بن عبد الخالق المزجاجي، والعلامة أمانة الله الهندي، والعلامة أحمد حماد الخزرجي، والعلامة محمد بن صالح الريس وغيرهم، فبرع في العلوم الآلية، ورسخ قدمه في علم البيان، وانفرد بعلم العروض والقوافي، وتصدر للإقراء فقصده طلاب العلم من كل مكان وصوب، فعكف على نشر العلم والأدب، فهو أديب وشاعر وكان من البلغاء المشهورين.. له شعر جيد ونثر رائق تواصل مع علماء وأدباء ومفكري عصره شعراً ونثراً. انظر ترجمته في عقود الدرر ج٢ ص٦٥٧، وفي نيل الوطر ج٢ ص٣٦٤ وفي كتاب هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٤ ص٢٠١٣ وغيرها.

الأهدل من البلغاء المشهورين، ومن الفصحاء المصقعين، مجيداً في النظم والنثر، وبينه وبيني مكاتبات أدبية نظماً ونثراً، فمما كاتبته به:

تذكر أياماً مضين بحاجر ... فأظهر درّاً من كنوز المحاجر

وأضحى بسفح الأبرقين مولعاً ... يهيم بربات الجفون الفواتر

وينشأ سحب الدمع من بحر جفنه ... فينبت فيه زهر داء مخامر

تنازع فيه البين، فالشوق، فالهوى ... فما إن له خل يكون بناصر

وقد سلبته العقل غيداء إذ بدت ... تباري سناء الشمس وقت الظهائر

وسلت له من غمد أجفانها ظباً ... فصار قتيلاً باللحاظ البواتر

إذا ظهرت في حندس الليل خلتها ... محيا إمام العلم، زاكي العناصر

(هو البحر من أي النواحي أتيته) ... هو البدر لا يخفى على كل ناظر

فريد زمان ليس تلقى نظيره ... رضيع المعالي، طيب الفرع طاهر

إذا اسودَ ليل المشكلات على الورى ... أضاء بصبح العلم ليل العذائر

فلولاه لم تزه العلوم بكتبها ... ولولاه لم ترقم بذات المحابر

تتوق إليه المكرمات كأنه ... معين مياه، للصديّ المسافر

أديب رست للعلم في بحصر صدره ... جبال فأضحى وهو عين الأواخر

أوآخر أرباب البلاغة كلهم ... يدين له، ما بين بادٍ، وحاضر

أديب حوى كل البلاغة واغتدى ... فريد المعالي، ما له من مناظر

فما (قسّ) و (الكندي) ومانَجلُ (ثابت) ... وما (كعب) و (الحلّي) وما كل شاعر

يكاد إذا ما جاء للكتب ناظراً ... تجيء إليه، وهو غير مبادر
وهاك أيا مولاي، فالباع قاصر ... فستراً عليها، نلت كل المفاخر
ودم في نعيم كل ما ذرّ شارق ... وما ناح طير بالغصون النواظر[1]

فأجاب، وأتى بما يسحر الألباب، ويعجز عن أدنى بلاغته أرباب البلاغة، وبهر القدامى والمتأخرين بقصيدته التالية:

لقد خطرت من لا تزال بخاطري ... كخوط تحركه النسيمات خاطر
ممنعة من أهلها بأولى القنا ... مثقفة، من دونها، وبواتر
سرت في دجى شعر فما شعرت بها ... وشاة، فأمسى غدرها بالغدائر
وقد كان مسودٌّ، لبيل انقطاعنا ... فعادت ليالي الوصل بيض الدياجر
أقول لها يا (سلم) والدمع مرسل ... جرى (عندما) أو (عنّدم) من محاجر
هجرت بلا ذنب وخنت عهودنا ... بذات الغضا أيام (حزوي) وحاجر
ألم أرشف الصهباء من فيك صرفة ... وبرق الثنايا لم يكد لي بزاجر
وأشتم أنفاساً روت عن نسيمه ... يخالط ريَاها لطيمة تاجر
رعى الله أياماً برامة واللوى ... تقضّين خضراً في رياض نواضر
سقاها وحياها الحيا كل ساعة ... وردت عليها مخلفات المواطر

إلى أن قال في قصيدته التي أوردها عاكش كاملة، ونحن سنختار منها قوله:

وهاتفة أغنى بكاها عن الغنا ... فردَّت بنوح محزن كل طائر
ونامت قبيل الصبح ثم انبرت على ... بشامتها تبدي جوىً غير ظاهر

(١) حدائق الزهر ص١٦٦-١٦٧.

إلى أن قال بعد نسيب وتشبيب طويل مخاطباً طيفه ليصل إلى الممدوح :

إلام التشكي مرة من شويدن ... سباك بطرف فاتن اللحظ فاتر
وأخرى من اللاتي رعين حشاشةً ... بقلبك ما بين الحشا والضمائر
وأنسب من هذا، نسيبك في فتىً ... نسيب، أديب، ناظم الدرّ، ناثر
هو(الحسن)الأخلاق والوجه والسما ... وإنسان عين الدهر، عين النواظر
تشقق قلب الصخر منه عبارة ... فيفهما منطوقه كل حاضر
وإن ركعت أقلامه فوق مسجد ... من الرق، رق الحرف من كل شاعر
أذاكره في كل فن فينبري ... يزيد نكاتاً، ياله من مذاكر
لطائف قد تخفى على السعد رمزها ... فيبرزها من زاويات السرائر
إليك ودادي مهرقاً من تشوقي ... موارده في وردكم كالمصادر
فذا أولٌ من شوقه للقاكم ... وفي منتهاه، ما له من أواخر
فجودوا، ولو في النوم منكم تفضلاً ... بزورته، يا ليت!! والحب زائر
وهاك بلا ريب عقيلة مدحه ... أتتك تهادى، من وراء الستائر
تحييك يا طلق المحيا بما ترى ... وتروى أسانيد الحمى بتواتر
إذا مرّ ذكراها حلاتي كأنها ... سلاف حساها كفُ أحوى الجآذر
ففخري بها يا ابن الصفي على سوى ... نظامك إن لقبتني بالمفاخر(1)

وهي قصيدة طويلة طارح بها (ابن المساوى الأهدل) وصديقه (عاكش) وردّ بها على قصيدته، وقد اخترت منها بحذر بالغ خشية أن أقطع أوصالها التي لا

(1) حدائق الزهر ص١٦٨-١٦٩.

أظنها سلمت من الأوخاز قبل أن تصل إلينا!!

وبين عاكش وابن المساوى حوارات لا تنتهي ومطارحات ومقارضات متصلة؛ فقد تحاورا في مواضيع بلاغية وتحاورا في قضايا فقهية، واتفقا واختلفا في شئون وشجون شتى.... كل ذلك يؤكد على فاعلية التواصل الثقافي ويعمقه، وإلى جانب مطارحاته الشعرية المستمرة فقد قرّض (ابن المساوى) كتاب عاكش: (روض الأذهان) نثراً ونظماً، فنقلهما عاكش في كتابه : (حدائق الزهر) وذلك في أثناء ترجمته لابن المساوى بقوله: (وهذه صورة ما كتبه مقرضاً على مؤلفي: (روض الأذهان) ثم نقل ذلك التقريض في ثلاث صفحات من كتابه المشار إليه حيث بدأه بالنثر الجميل وختمه بالنظم، ومن تقريض ابن المساوى نظماً قوله:

يهنا إمام الأدب قلائداً من ذهب

أبدع فيها، واقتفى أهل اللسان العربي

وشرحه فريدة هازلة بالشهب

ولم يحل في بحثه عن منتقاه النخب[1]

ثم يذكر عاكش بأن المكاتبات والحوارات والتواصل الثقافي بينه وبين ابن المساوى قد ظلت مستمرة، حيث يقول: (وبعد الرجوع إلى الوطن ما زالت المكاتبة التي بيننا متصلة، والمذاكرة بالمسائل العلمية غير منفصلة، من ذلك: هل تكون الاستعارة بالكناية مركبة كما تكون الاستعارة التصريحية، ومثلوا بقوله تعالى:

---

(١) حدائق الزهر ص١٧٠-١٧٣.

(أفمـن حـق عليه كلمة العذاب أفأنـت تنقذ من في النـار؟؟) إلى أن قال عاكش: وطالـت بيننا المذاكرة ......) [1] وفي مكان آخر يقول عاكش: (وجرى بيني وبينه مراجعـة في جـواز إطـلاق (الكفر) للزجر علـى بعض المعاصـي، وآل الكلام إلى مراسـلات، وانجرّت تلك المسألة إلى فوائـد ونظم ونثر....) إلى أن يقول: (وبعد تلـك الرسائل، ارتحلـت إلى تلك الجهة اليمنية ووقع الاتفـاق به، ووقعت المصافاة فيما زلّ به القلم....) [2].

٦- أمـا تواصلـه الثقافي مع العلامـة الأديب عبد الكريم بـن الحسين العتمي الزبيدي: [3] فقد كان حميمياً شاعرياً، سجل عاكش منه رسائل ومطارحات شعرية كثـيرة، ومنها قوله: (كنا مجتمعين في موقف أنس نحن وبعض أعيان مدينة زبيد، وكان (العتمي) غير حاضر، فبلغه ذلك فأرسل إليَّ هذه الأبيات:

خطب القمري وأنصت ... بلبل الروض وأخبت

والسحاب الغرّ (قالت) ... تسحب الذيل، (وأمست)

والنسيمات اللواتي ... بَعُدَت عهداً تمشت

---

(١) عقود الدرر ج٢ ص٦٦٣.

(٢) حدائق الزهر ص١٧٢-١٧٣.

(٣) عبد الكريم بن حسين العتمي الزبيدي: (١١٩٤-١٢٤٦هـ) ترجمه زبارة فقال: (مولده سنة ١١٩٤هـ تقريبا بمدينـة زبيـد وأخذ بهـا العلم عن الشيـخ محمد بن عبد الخالـق المزجاجي وبه تخـرج في الأدب وأخذ عن العلامـة عبد الرحمـن بن سليمان الأهدل وغيره وخالـط علماء صنعاء ونظم الشعـر وكاتب الأعيان ومدح الشريف (أحمد بن حمود الحسني) وتولى في آخر أيامه عمالة زبيد نيابة عن بعض الولاة ثم ترك المناصب وعكف على العلم والتدريس بمدينة زبيد توفي سنة ١٢٤٦هـ. انظر ترجمته في نيل الوطر ج٢ ص٧٥.

ونـــــديم ليَ، وَافَـــــى يـصـف الأنـــــس، ويـنـعـت
قـــال لي: كـنـت وكـــنـــا.... قـلـت: مـا كـــان قـد انـبـتّ
قـــال لي: انـبـــتّ، وشـعـبـان أتـــى، وذي الـعـشـريـن ولـت
فـتــصـــــافـحــت، لأني قـــد تحـقـقـت، وجـــرَّبـــت
وتـــولى يـنـفـض الـذيـل وأحـــشـــــاه تـفـتَّـت
هـاكـهـا نـفـثـة مـصـدور بـديـهـيـاً، تـأتَّـت(1)

ويستمـر الحسن بن أحمد عاكش في تسجيل بعض تلك المراسلات والمطارحات فيقول: (وفي يوم آخر لبست السماء حلل الغيم في أيام الربيع فغطى حاجب الشمس فأرسل إليّ العلامة عبد الكريم العتمي هذه الأبيات:

قـــال الـربـيـع وقـولـه مقبـول مـا لي جـفـيـتُ، كـأنـنـي مملـول
لا مـطـرب شـــادٍ، ولا متـنـزه بـأهـيـل ودٌّ مـنـكـم مـأهـول
وأنـا الـذي...، فعلام لا تصلونني والـعـهـد أني... بينكم موصول
لله أيـــامـــي الـقـديـمـة فـيـكـمُ إن شـمْـألٌ هـبـت، تـهـب شـمـول
والآن عـذري في الـتـحـول عنكم بـــادٍ، عـلـيـه شـاهـد ودلـيـل
فـلأرجـعنَ إلى (أزال) فـثـمّ لي فـيـهـا مـبـيـتٌ صـالـحٌ، ومـقـيـل
مـا بـين خـلان لـنـا، أخـلاقـهـم غـررٌ لأيـــام الـهـنـا، وحـجـول
كم شببوا بي، حين غبت وكم بدت منهم لبعدي، أنَّـةٌ، وعـويـل(2)

(1) عقود الدرر ج2 ص507-508.

(2) عقود الدرر ج2 ص508-509.

والعلامـة الشاعـر (العتمـي) جعل الربيع هـو الذي يبث مشاعـره في نظم بديع مليء بالصـور الجميلة التي تستنطق الأمكنة والأزمنة وهي قصيدة متوسطة الطول، اكتفينا منها بهذا القدر، وقد قال عاكش في ختامها: (وقد كاتبني العلامة (العتمي) بغير ذلك وهي مثبتة في مجاميعي) [(١)].

ومـع أن (عاكش) لم يذكر لنا ردوده على تلك المطارحات أو مبادراته إلا أنه قـد أكـد على تواصله المستمر مع هذا العلم الشامخ وأن ذلك مثبت في مجاميعه، - كما نقلنا عنه قبل قليل -.

٧- وكاتـب (عاكش) العلامة: محمد بـن الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن المحتسب (١١٧٠-١٢٤٧هـ) [(٢)] (من أبناء أئمة اليمن وعلمائهم) ووصف مجالسه وملتقياته قائلاً: (وقد حضرت مجالس أنسه، ومواطن أدبه الغض، وبديع مذاكراته، وقد أجتبيت منها زهراً) ....) [(٣)] إلى أن قال: (ومما كتبه إليَ قوله:

وَخـدُ القلاص آثـار دمعاً سائلاً وجـرى عقيقاً في الخـدود وسائلا
هل وقفة تشفي الفؤاد من الجوى وتـريـح صـبـاً في هـواكـم نـاحـلا

---

(١) المصدر والصفحة نفسيهما.

(٢) العلامـة محمد بن الحسـن المعروف (بالمحتسـب) (١١٧٠-١٢٥٧هـ) علم يمني كبـير ترجمه الشوكاني فقـال: (أخـذ العلم عـن جماعة من علماء صنعـاء ولازم العلامة محمد بن محمد المعـروف بـ (البنوس) واستفـاد في العلـوم الآلية وشارك في علم السنة مشاركة قويـة وله قراءة عليّ في الصحيحين وغيرهما، وهو بمكان عظيم من حسن الخلق والتودد والتعلق بكثير من أهل العلم وله اتصال بالإمام المتوكل وأولاده توفي في صفـر عام ١٢٥٧هـ ودفن بقرية القابـل. انظر ترجمته العلامة في: البدر الطالع ج٢ ص١٦٠، وفي نيل الوطر ج٢ ص٢٩٦-٢٩٨، وغيرهما.

(٣) عقود الدرر ج٢ ص٦١٩.

وهـي قصيـدة طويلة سنختـار منها بضع أبيـات، فقد أطـال المحتسب في مقدمتها التشبيبية إلى أن وصل إلى بيت التخلص فقال:

واتـرك هـواك ودع نسيبك وامتدح — رب الـقـوافي والـعـلـوم الـفـاضـلا

مـن شـاد أركـان الـعـلـوم، وطـالما — رسخت، فأعيت حاسدا، ومـزاولا

كـم مشكل أعـيـا الـورى فـأزاحـه — بـسـنـاء تحـقـيـق أقـام دلائـلا

إلى أن قال:

أعـنـى بـه شـرف المعـالي مـن غـدا — بـحـراً محـيـطـاً بـالـعـلـوم وكـافـلا

نجـل الصفي، وابـن عبد الله من — فـاق الأواخـر ثـم فـاق أوائـلا[1]

وهـي قصيدة طويلة اخترنا منهـا الأبيات السابقـة دون ترتيب وقد رد عليها (عاكش) مقدماً لرده بقوله: (وكان الجواب مني عليه بقصيدة قلت فيها :

إن جئـت في سـفـح العذيـب منـازلا — فهنـاك مـن في القلـب أضـحى نـازلا

وقد أطال فيها (عاكش) كذلك في التشبيب إلى أن وصل إلى ممدوحه فأثنى عليه بما هو أهله إلى أن قال:

ولـقـد أتـى نـحـوي بمعـجـز فكـره — ويـريـد مـنـي أن أكـون مـقـابـلا

قد صار (سحبان) القريض وإنني — قد صرت في فن الفصاحة (باقلا)[2]

والأبيـات السابقة وإن كانت تؤكد حميمية التواصل الثقافي فإنها لتؤكد كذلك تواضع (عاكش) وسمو أخلاقه مع الذين يتواصل معهم .

---

(١) عقود الدرر ج٢ ص٦٢١.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٦٢٣.

٨- وكاتب (عاكش) وطارح العلامة: (يحيى بن محمد السحولي[١] بل كان تواصله معه مستمراً ومما قاله عن ذلك: (ولم تزل الرسائل تدور بيني وبينه لسابق الألفة، وكتب إليّ بهذه القصيدة لأن له في الأدب اليد الطولى) [٢] ثم أورد قصيدة السحولي وهي طويلة بدأها بالتشبيب ومطلعها:

بين وادي العقيق من سفح رامه　　　بدر تمّ يحكي القضيب قوامه

أخجل البدر وجهه وهو بالأفـ　　　ـق فصار الخسوف فيه علامه

وبعد تشبيب جميل وصل إلى ممدوحه (عاكش) مباشرة حيث قال :

ليس يطفي لهيب قلبي إلا　　　مدح حبر العلوم، حاوي الكرامه

واحد الفضل والندى، شرف الد　　　ين من عظم الإله مقامه

وبعد أن أورد (عاكش) قصيدة السحولي قال : (وكان الجواب مني) ثم أورد قصيدته التي رد بها عليه ومطلعها:

إن تغنت على الغصون حمامة　　　أذكرتني عصراً بدار الإقامة

منزل ما ذكرته قط، إلا　　　أنشأت حسرة جفوني غمامه

ومضى عاكش في قصيدته إلى أن قال بعد تشبيب ممزوج بالحنين :

---

(١) يحيى بن محمد بن يحيى بن صالح السحولي الصنعاني: (....-١٢٥٦هـ) ولد ونشأ بصنعاء وتلقى العلم على علمائها وفي مقدمتهم أخوه أحمد والعلامة أحمد بن زيد الكبسي كما قرأ على الإمام الشوكاني في مؤلفاته ودرس على آخرين من علماء صنعاء ولي القضاء من قبل الأتراك في (بيت الفقيه) وكانت له صلات ثقافية بعلماء عصره كالعلامة (عاكش) وغيره توفي عام ١٢٥٦هـ. انظر ترجمته في حدائق الزهر ص٢٥٣ ،وفي نيل الوطر ج٢ ص٤٣٧-٤٤٣ ،وفي عقود الدرر ج٢ ص٨٨٧-٨٨٩.

(٢) عقود الدرر ج٢ ص٨٨٧.

مـا سـلـونـا بـعـد الـبـعـاد ولـكـن قـد لهونا بنظم حـاوي الفخامة

عالم العصر، ذو المحامد، (يحيى) مـن أتـانـا إبـداعـه ونـظـامـه

أعـجـزتـنـي تـلـك الـبـدائـع حتى صار لفظي هناك مثل العلامة[1]

والقصيدتـان متوسطتـا الطول لكنهمـا تتضوعان عبيرا ومشاعـر ودٍ صادق وتضمان صورا شعرية جميلة.[1]

وبـين العالمين الجليلـين: (عاكش والسحـولي) مراسلات أخـرى نثرية وشعرية نكتفـي بذكـر مقدمـة إحـدى رسائل عاكش النثرية التي يقـول فيها: (سيـدي وأخي القاضي العلامة، اللابس من التقوى ألف لامة، الأديب الذي أسكت البلغاء تبيانه، وبلّد أهـل الأدب برهانـه، القاضي الفاضـل سوى تقدمه، ولم يحز علـى السيف الآمد سوى تثلمه، إن حاور فما لابن نباته عنده فضيلة، وإن حاضر ترك الصفدي وآدابه عليلة:

أديـب ودست العلم في بحر صبره جبال جبال الأرض في حينها قفً

سلالـة أهل الفضـل الأثيل، وغاية أهـل العلم والمجد الأثيل، عمـاد الإسلام، واسطة عقد النظام، يحيى بن محمد السحولي:

أسـامـي لم تـزده مـعـرفـة وإنمـا لـذة ذكـرنـاهـا

خلّـد الله ملك سعادته، وأدام دولة سيادته، وأهدي إليك سلاماً لينضح برياه المسك السحيـق، ويستعير حسنه الروض الأنيق من رحمة الله وبركاته، ما تعاقبت سكناته وحركاته، وإني أحمد إليك الله تعالى الذي ألف بيننا، أسأل من ألف قلبينا وقدّر الفرقة أن يجمعنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه. صدرت

(١) عقود الدرر ج٢ ص٨٨٨-٨٩٠.

للسلام والمعاهدة، وإن كانت لا تغني عن المشاهدة:

ولكن للعيان لطيف معنى ... لذا طلب المعاينة: (الكليم)

إلى آخرها) [1].

٩- كما كان (لعاكش) تواصل أدبي بالعلامة (يحيى بن علي الشوكاني [2] - شقيق الإمام الشوكاني - يصف عاكش شيئاً من ذلك التواصل فيقول: (وقد جرت بيني وبينه اجتماعات هي غرة في جبين الزمان، ومحاضرات تذهب الهموم والأحزان، ومعاطات بكؤوس الأدب، ومحاورة أحلى من الضَّرب) [3] ومن مطارحاتهما الشعرية تلكم القصيدتين الشعريتين اللتين أوردهما عاكش في كتابه (عقود الدرر) مقدماً لقصيدته بقوله: (انقطع العلامة يحيى) عن الاجتماع بنا أياماً فكتبت إليه بهذه القصيدة)..... وهي قصيدة طويلة مطلعها:

قد شاقني برق تألق بالحمى ... جنح الظلام فبتُّ أرعى الأنجما

---

(١) من رسائل الحسن بن أحمد عاكش صورة مخطوطتها لدى الباحث، وعاكش يطلب في هذه الرسالة من صديقه (السحولي) تراجم لبعض الأعلام ليضمها إلى أحد كتبه الذي ما زال آنذاك يدون سير أعلامه.

(٢) العلامة يحيى بن علي الشوكاني الصنعاني: (١١٩٠-١٢٦٧هـ) ترجمه زبارة فقال: (مولده بصنعاء في رجب من سنة ألف ومئة وتسعين أخذ العلم عن أخيه محمد بن علي الشوكاني وبخاصة في النحو وكتب الأمهات وتفسير الزمخشري وسائر مصنفات أخيه الشوكاني حيث أجازه إجازة عامة كما أخذ العلم عن القاضي أحمد بن محمد الحرازي والقاضي عبد الرحمن البهكلي وغيرهم، له عناية بالعلم وإقبال على الطاعة ونجابة كاملة مع ذهن وقاد وهو جيد النظم تولى القضاء بصنعاء مدة وله صلات علمية بعلماء عصره كالعلامة الحسن بن أحمد عاكش وغيره توفي سنة ألف ومائتين وسبعة وستين. انظر ترجمته في البدر الطالع ج٢ ص٣٣٨، وفي نيل الوطر ج٢ ص٤٤٨.

(٣) عقود الدرر ج٢ ص٩٠٥.

كيف الخلوص من الصبابة والهوى   من بعد أن أصبحت صبا مغرما
جاذبت قلبي عن هـواه فلم يطع   شوقاً إلى البيض الأوانس والدمى

ومضى (عاكش) في أبيات التشبيب والغزل الرقيق إلى أن قال قبل بيت التخلص :

لله أيـــام مضـين (بـحـاجـرٍ)   ساق الزمان الوصل نحوي مغنما
قـد نلت فيها مـا أريـد كمثل ما   قد نال (يحيى) للمكارم إذ سما
حـبر تـفـرد بـالـعـلوم فـمـا لـه   مـن مشبـه حتـى أقــول : كأنما

وبعد أن أوردها كاملة قال عاكش: (فكان الجواب منه إليّ) ثم أورد قصيدة الشوكاني ذات المطلع:

كيف الخلوص من الصبابة بعدما   علق الـهـوى بـفـؤاده، وتحكما
فإليكما عـني فقلبي قـد غدا   كلفا بحب العـامـريـة مغرما

إلى أن قال في تشبيبه :

لم أنسها إن أنسَ إذ وافت على   دهش، وقـالـت: مـا حديث قد نما
وتبسمت فذكرت برقـا لامعا   جنح الظلام فبت أرعى الأنجما
قالت: فمن ذا قالها ؟ قلت: الذي   يستصغر العليا إذا ما انتمى
العـالم الـفـرد الإمــام أجـل من   حـاك القوافي كيف شاء وأحكما
شرف الفضائل نجل (أحمد) من سما   ورقى إلى نيل المعالي سلما[1]

وقد استخدم الشوكاني – كما رأينا – في مطلع قصيدته الجوابية صدر البيت

---

(١) عقود الدرر ج٢ ص٩٠٥–٩٠٨، وانظر كتاب: النهضة الأدبية في اليمن ج١، ص١٣٦–١٣٧.

الثاني من قصيدة عاكش مع شيء من التحوير البسيط .

والقصيدتان تحتويان على مطالع غزلية جميلة وتشتمل على صور شعرية بديعة لولا خشية الإطالة لأتينا ببعض روائعهما.

١٠- وممن راسلهم (عاكش) وتواصل معهم العلامة: أحمد بن هاشم المؤيدي الصنعاني[١] وعاكش يؤكد بهذا أنه قد تواصل مع كافة الفئات حيث يقول : (أرسلت إليه بخط معاهدة واستشهدت في أوله بأبيات والدنا العلامة محمد بن علي بن عمر (٨٨٣-٩٩٠هـ) التي طالعها:

أرى ظلمات الأرض قد عمت الأرضا ولم أر منقاداً إلى العمل الأرضا

وقد سرد (عاكش) بعد هذا البيت عشرين بيتاً من قصيدة جده (ابن عمر) ولم يكتف بمطلعها، ثم قال بعد ذلك: (هذا ما كتبته في صدر الرسالة المكتوبة إليه وهي خلاصة القصيدة وإلا فهي أكثر من هذا، وقد أجاب علينا بنثر بديع وشفعه بهذا النظم) [٢] ثم أورد (عاكش) قصيدة العلامة أحمد بن هاشم الصنعاني وعدد أبياتها اثنان وعشرون بيتاً، ومطلعها:

---

(١) العلامة الإمام: أحمد بن هاشم المؤيدي (....-١٢٦٩هـ) أحد أئمة اليمن بالقرن الثالث عشر الهجري يرجع نسبه إلى الإمام الهادي، نشأ بقرية (ويس) من بلاد كوكبان وتعلم بصنعاء وبويع بالإمامة في صعدة ١٢٦٤هـ واستمر في الإمامة عاماً كاملاً ثم تجاذب عليه أمراء اليمن الأعلى والأسفل حيث خذلته قبيلة سحار بقيادة محسن بن عباس، وثار عليه جنوده وأتباعه لانقطاع رواتبهم. توفي ببلاد (أرحب) في شهر شعبان سنة ١٢٦٩ ودفن بها. انظر ترجمته في الأعلام ج١ ص٢٦٥، وفي نيل الوطر ج١ ص٢٥٨، وفي عقود الدرر ج١ ص١٦٥، وفي الروض الباسم للحيمي ص٨٠ وما بعدها، وفي هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٤ ص٢٣٦٤-٢٣٦٥.

(٢) عقود الدرر ج١ ص١٦٥.

ألا هل لميمون الخليقة والأرضى ومن يطرق البدر المنير له الأرضا[1]

وقصيدة المؤيدي مليئة بالصور الشعرية، والإشارات التأريخية، محتشدة بلغة قاموسية رصينة، لولا الرغبة في الاختصار لذكرنا شيئا منها .

وهكذا تواصل عاكش مع عدد كبير من علماء ومفكري اليمن وأدبائه وشعرائه بل ربما تواصل مع أكثر معاصريه - كما سبقت الإشارة - .

ولعلنـا بعد هذا التطـواف الجميل وهذه الاختيارات لبعض من تواصل معهم علامتنا (عاكش)، لعلنا نختتم بهذا الحوار الشعري حتى وإن كان على هيئة ألغاز، وهـو حوار أجراه مـع العلامة (عاكش) أحـد أعلام اليمن ومفكريـه إنه العلامة: (الحسن بن الحسين) [2] الذي ينتهي نسبه إلى الإمام أحمد بن القاسم (صاحب شهـاره) – كمـا يقول عاكش – وتواصل (عاكش) مع هـذا العلامة ليس مقتصراً علـى هذا الحوار فلقد سجل لنـا عاكش في ديوانه شيئاً مـن تواصله ومساجلاته و محاوراتـه مع هذا العلامة اليمني، ومما رصده عاكش عنه قوله: (وبعد انفصاله مـن بلـده لم تزل تصل إليّ مكاتبته نظماً ونثراً، ومـن جملة ذلك أنه بعث إليّ بهذا الشعر) [3] ومع أن قصيدة العلامة اليمني أقرب إلى نظم العلماء من حيث مستواها

(١) المصدر السابق ج١ ص١٦٣-١٦٧.

(٢) العلامـة: الحسن بن الحسين: (.....-.....) لم يذكر لنا عاكش الذي راسله وتواصل معه شيئاً عن تاريخ ولادته أو وفاتـه غير أنه قد وصفه بالتواضع الجـم وبمحاسن الخلال وسيما الصلاح كما وصفه بأنه حسن المحاضرة وأنه لا يمل المذاكرة وأشار بأن له باعاً طويلاً في الأدب. انظر شيئاً عنه في عقود الدرر ج١ ص٣٠٥-٣٠٩.

(٣) الحسـن بـن أحمد عاكش حياته وشعره وتحقيق ديوانه ص٦٤٨ وما بعدهـا لحسن بن أحمد النعمي رسالة

الفنــي إلا أننــا سنوردهــا كاملــة لاشتمالها على أسئلــة على نمط الألغــاز، وجهها العلامة اليمني إلى عاكش داعبه و اختبره بها، وطالبه بالإجابة عنها، ولأنها تعبر عــن الحالة الفكريــة في الإقليمين آنذاك فسننقلها للقارئ مــع جواب عاكش عليها وهي كما أوردها (عاكش) من غير مقدمات ولا نسيب ولا تشبيب:

ألا أيـها القاضـي المحـكم، أفتنا ... فقد صرت في علم الشريعة محكماً
عن الحُـرّ في حكم الشريعة يقتل ... بـعـبـدٍ، إذا مـا هـو أراق لـه دمـا
وعــن قـاتـل حــراً تـقـيـاً ومسلماً ... ولم يـتـجـه شـيء عـلـيـه فيحكما
ولا شـبـهـة كـانـت عـلـيـه بقتله ... ولا رخـصـة جـاءت بـذاك لتعلما
وعـن سارق فيه الشروط جميعها ... ولم يـتـجـه قـطـع عـلـيـه فيـلـزما
ومــا شـبـهـة كـانـت عـلـيـه بفعله ... فـلا تغلط الفـتـوى بـذاك فتندما
وعــن حـكـم زان ليـس يـلـزم حـده ... مــع عــلـمـه، كــون الـزنـا محـرمـا
وفيه الشروط الكل ليس بناقص ... مـن الـكـل شـيء لـن يـزول وتعدما
وعــن شــارب خـمـراً يُـحـرَّم شربها ... عـلـيـه، وفـعـل الحــدّ، كـان محـرّمـاً
وعــن راهــن شيئاً فـفـات ولـن يجب ... على موثق المرهون يـدفـع درهما
ومــا كــان مــن ديــن عـلـيـه فـإنـه ... كـمـا كـــان، وفَـــاه الـغـريم وسلما
وعــن زوجــة قــال الأئـمــة مـا لها ... صــداق عـلـى زوج بـنـى، وتـقـدمـا
وعــن عــارةٍ، لـيـسـت تــرد لطالب ... إذا طـالـب فـيـهـا بـــذاك تكلما

علمية من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٤هـ.

وعن مؤمنٍ، قالوا: يجوز لمؤمن بأن يقتل المذكور ليس مؤثما[1]

وبغض النظر عن قربها من النظم وتجافيها عن ساحات (الشعر) فقد جاءت مؤكدة لروح التواصل الثاقفي، وقد أوردها عاكش كما وصلته قائلاً: (وكان هذا الجواب مني عليه بهذه الأبيات: ثم ساق قصيدته التي بدأها بالثناء على شعر محاوره وبالحنين لأيام تواصلهما وبالثناء على مساجلته وعلى أسئلته العلمية ثم عرج على ذكر فوائد الألغاز لشحذ الذهن – برغم النهي عنها – ثم شرع في الإجابة التي يحيل في بعضها على بعض المذاهب الفقهية، وقصيدة (عاكش طويلة سنختار منها قوله:

نظام كمثل الدرّ، صار منظما يفاخر في إبداعه أنجم السما

يذكرني عهداً تقضى برامة وبالشعب من سفح العقيق وبالحمى

وأهدى لنا ذاك النظام أخو العلا ومن قدرة فوق السماكين قد سما

إلى أن قال في البيت الحادي عشر:

يُساجلني بالملغزات، تظرفاً معاني يدقّ الفهم عنها تعظما

ووكلت فكري في فكاك للغزها إلى نيلها كان التأمل سلما

وفي (المغلطات) النهي في الشرع قد أتى ولكن تفيد الذهن منها تفهما

فقاتل ذاك العبد (ذميّ) قد غدا به صار مقتولاً، بشرع محتما

(١) الحسن بن أحمد عاكش حياته وشعره وتحقيق ديوانه ص٦٤٨.

وللقاسم (الرسيّ): قاتل عبده ... تمرده قد صار بالقتل ملزما
وفي (مذهب النعمان): يقتل حُرّنا ... بعبدٍ، كما نصوا لمن قد تعلما
وقاتل ذاك الحر (حربي) قد أتى ... بتوبته قبل اقتدار، فاعلما
على (مذهب الهادي) يكون وغيره ... هو الأصل يولي فرعه منه مخذما
وفي (سارق زوجاً) على مال زوجةٍ ... وعكس، كما قد جاء ذاك محكما
و(سارق بيت المال) من أي حرزه ... فلا قطع يأتيه، فكن متفهما
و(مشروكة في الملك) أيضاً فما أتى ... على واطئ حد، فكن متعلما
و(شارب خمر) (مكرهاً) صار جسمه ... على الحد في حكم النبي محرما
كذا أي شخص غص يوماً بلقمة ... يسيغ بها عند الضرورة مطعما
و(راهن مغصوب) لمرتهن فما ... يصير عليه عندما فات مغرما
كذا (راهن) ممن أعار ونحوه ... ومن عرف الأشباه حاز التكرما
وناكحة للشخص مع علم نفسها ... ببطلانه ليس الصداق محتما
مع جهل ذاك الزوج حقاً وإنما ... إليه انتساب النسل صاح قد انتمى
وبائنةٍ من زوجها بتقنع ... فذاك من قبل الدخول بها كما
وقد صار ذاك اللفظ في عرف زوجها ... صريحاً، فأوضح للذي كان مبهما
وعارية ليست ترد، لأنه ... أعار له ملكاً بجهل تحكما
وقاتل ذاك الشخص إن كان مؤمناً ... تترس بالكفار من كان مسلماً
فجاز لأهل الحق قتلٌ، لأنه ... لمصلحة، فاعط السهام لمن رمى

وذاك لأربـــاب المصـالح، مذهب ... بـه ينجلي عـمـن تحـقـقـه، العمى

وفـن (أصـول الفقه) حـرر مبحثاً ... لـهـذا، فـراجـعـه، تـنـل مـنـه مغنما

إلى أن قال قبل ختام قصيدته:

وكـان مــرادي أن أقـابـل لغزكم ... بمثلٍ، ولكني خشيت التوهما[1]

العلامة محمد بن المساوى الأهدل وبعض صلاته الثقافية:

وكمـا كان العلامة الحسن بـن أحمد عاكش رمزاً من رمـوز التواصل الثقافي بين مفكـري أقطار الجزيرة العربية وأعلامها فقد كان العلامة محمد بن المساوى الأهدل كذلـك رمزاً كبيراً من رموز التواصل الفكري والعلمي والثقافي بين مفكري وعلماء اليمن والمخلاف السليماني.

فكما تواصل (ابن المساوى) مع الحسن بن أحمد عاكش كثيراً فقد حاور آخرين من علماء ومفكري المخلاف السليماني ومنهم شقيق عاكش العلامة: إسماعيل بن أحمد بـن عبد الله الضمدي[2] فقد حاوره وساجلـه شعرياً، وفي إحدى مساجلاته كتـب إليه قصيدة يستعرض من خلالها قدرتـه على التشجير، وهي قصيدة مديح يدعـو فيها (ابن المساوى) لبلدة ممدوحـه العلامة (إسماعيل بن أحمد) بالخير

(١) الحسن بن أحمد عاكش، حياته وشعره وتحقيق ديوانه ص٦٤٩-٦٥٢.

(٢) العلامة: إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الضمدي (١٢٢٢-١٢٩٥هـ) ولد ونشأ ببلدة ضمد ودرس على علمائها ومنهم شقيقه الحسن بن أحمد عاكش والعلامة بشير بن شبير الحسني كما درس على العلامة (العمراني) أثنـاء إقامتـه بأبي عريش حيث قرأ عليـه في الفقه، والحديث، وعلوم العقائـد ولي القضاء في عدد من مدن المخلاف السليماني وهو الذي اختط قرية (القمري) وسماها (الخيمة) له مطارحات شعرية ونثرية كثيرة مع علماء وشعراء وقته توفي سنة ١٢٩٥هـ تقريباً. انظر ترجمته في عقود الدرر ج٢ ص٢٥٥-٢٥٧.

والنماء، وبـركات السماء ولم لا يدعو لها؟ وهي بلدة ممدوحه العلامة (إسماعيل بـن أحمـد ....) وتراه قـد جعل الحـرف الأول في كل بيت يشتمـل على حرف من حروف اسم ممدوحه العلامة (إسماعيل بن أحمد الضمدي) حيث قال:

(إ) ألا إن السّواري والغوادي ... قـرىً للحاضرات وللبوادي

(س) سقى ضمد الخصيب ملث وبلٍ ... بها، وسقت هناك كل وادي

(م) مساحب كل مُنْتَهِم دلوف ... وملعب كل منسجم العهاد

(ا) أما لبست من الديباج ثوباً ... من المخضّر من عشب البلاد

(ع) عليه من (معينة) كل نوءٍ ... معممة الهضاب مع الوهاد

(ي) يعاهدها (ضياء الدين) صبحاً ... وفي الأصال، وهو على جواد

(ل) لقد حاز الفخار بغير شك ... وأضحى قدوة في كل نادي

فأجابه العلامة إسماعيل بن أحمد الضمدي بقصيدة مماثلة شجّر فيها اسم ممدوحه، حيث جعل الحروف الأُوَلْ من كل بيت فيها يتضمن حرفاً من حروف اسم العلامة (محمد) بن مساوى الأهدل تواصلاً معه، ومجاراة له فقال:

(م) محبتكم منازلها فؤادي ... ورائق لفظكم أقصى مرادي

(ح) حماك الله أنت إمام علم ... نعمت وطبت من زاد المعاد

(م) مرامي أن أزورك كل يوم ... وأشفى القلب من قبل الأيادي

(د) دعاكم غاية السؤل ادِّكرْهُ ... لنا، إذ أنت بالإحسان بادي

فإن العبد يذكركم بخير ... وينشر فضلكم في كل نادي

فمن ضمد الخصيب أجل وادِ   رماه الشوق من سيف السهاد[1]

- كما تحاور (ابن المساوى) وتطارح شعرياً مع (شيخ) الحسن بن أحمد عاكش وأحد أقاربه العلامة: (محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين[2] الذي تتلمذ عليه عاكش قبل أن ينتقل شيخه (محمد بن يحيى) إلى عسير..... فقد ذكر الحسن بن أحمد عاكش بأن العلامة (ابن المساوى) كاتب (شيخه) وقريبه العلامة (محمد بن يحيى) بقصيدة مطلعها:

شأنه في الحب قد وضحا   فهو يشكو البين ما برحا

فكان جواب قريبه (محمد بن يحيى) بقصيدة على نفس الوزن والقافية، ومطلعها:

كل خل دمعه سفحا   وعلى الخدين قد نضحا

ثم يقول (عاكش): فاطلع عليهما أديب العصر السيد العلامة: (محمد بن المساوى الأهدل) فأرسل إلينا نثراً بديعاً شفعه بهذه الخريدة من النظم :

وشكى إلفاً قد انتزحا   يا حماماً بالحمى صدحا

---

(١) النهضة الأدبية في اليمن ج٢ ص٣١٩-٣٢٠، وفي نيل الوطر في تراجم رجال القرن الثالث عشر لزباره ج١ ص٢٥٧.

(٢) العلامة: محمد بن يحيى بن عبد الله بن حسين بن عبد الله الضمدي (١٢٠٦-١٢٦٦هـ) ولد ببلدة ضمد ونشأ بها وتلقى العلم على علمائها ثم رحل في طلب العلم إلى صعدة وزبيد ولازم العلامة عبد الرحمن الشرفي حتى برع في علم النحو ولما استولى الأتراك على اليمن عاد إلى بلاده (المخلاف السليماني) ثم رحل إلى رجال ألمع فتزوج بها ودرس عليه فيها عدد من طلاب العلم ثم عاد إلى أبي عريش فعين قاضياً بها وأقام فيها إلى أن توفي سنة ١٢٦٦هـ. انظر ترجمته في عقود الدرر ج٢ ص٧٠٣- ٧١٠، وفي حدائق الزهر ص١٩٤-٢٠٠، وفي مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن ص٢٢٧، وفي نيل الوطر ج٢ ص٣٩١-٣٩٢.

وهـي قصيدة طويلة يقول في بعض أبياتها التي تأتي بعد تشبيب طويل يصل بعده إلى ذكر العلمين: (عاكش) و (قريبه محمد بن يحي) يقول:

(حسن) السامي على زحل   وعلى السعد الذي ذبحا[1]

وكذا (عز الهدى)، وكفى   برضيع العلم ممتدحا

وكلا الفذّين صار هوى   لبني الدنيا، ومفترحا[2]

وهي قصيدة طويلة تقارب أبياتها الخمسين بيتاً تواصل بها العلامة اليمني (ابن المساوى الأهدل) مع علمين من أعلام المخلاف السليماني، أحدهما يقيم به وهو العلامة (الحسن بن أحمد عاكش الذي يقيم بالمخلاف السليماني)، والثاني هو العلامة: (محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن... الضمدي الذي يقيم برجال ألمع في تهامة عسير). واستمر تواصله الثقافي معهما ومع بعض أعلام المخلاف السليماني شأنه في ذلك شأن أكثر علماء الإقليمين الجارين.

- ومثل (عاكش) و (الأهدل) في المطارحات والتواصل الثقافي كثيرون في تلك الفترة يأتي في مقدمتهم العلامة: (أحمد بن عبد الرحمن صايم الدهر) [3]

---

(١) زحل: أحد كواكب المجموعة الشمسية، و (سعد الذابح): أحد الكواكب المرتبطة لدى المزارعين ببعض مواسمهم الزراعية.

(٢) حدائق الزهر ص١٩٨-١٩٩.

(٣) العلامة: أحمد بن عبد الرحمن صايم الدهر (١٢١٥-١٢٦٩هـ): أحد علماء اليمن الكبار وصفه عاكش بأديب الزمن والعين الناظرة في بلغاء اليمن ولد في مدينة الزيدية وتلقى العلم على بعض علماء أسرته ثم انتقل إلى مدينة الحديدة فلازم العلامة أحمد الطاهر ودرس على العلامة أحمد بن محسن المكين والعلامة عبد الله بن عيسى الدويهمي والعلامة علي بن أحمد الظفري الصنعاني حتى برع في جميع العلوم وكانت=

(١٢١٥-١٢٦٩هـ) الذي كانت له مطارحات شعرية مـع العلامة الشاعر خالد بن علـي البهكلي (....-١٢٩٠هـ) [١] ومع العلامـة المخلافي الشاعر أيضاً: (أحمد بن أبي بكـر القديمي الشقيقي) (....-١٢٤٨هـ) [٢] كمـا كانت له مطارحات شعرية مـع شاعر جازان في القرن الثالـث عشر العلامة الشاعر خـيري الزمّار (١٢١٤-١٢٥٧هـ) [٣]. ومثلهم: العلامـة الشاعر محسن بن عبد الكـريم بن إسحاق الذي تطـارح مع العلامة الشاعر عبد الرحمن البهكلي ومع العلامة الشاعر: الحسن بن

=له اليد الطولى في الأدب وكان شاعراً مجيداً وله ديوان شعر توفي ببندر الحديدة سنة ١٢٦٩هـ. انظر ترجمته في نيل الوطر ج١ ص٢١٤-٢١٦، وفي عقود الدرر ج١ ص١٣٣، وفي نشر الثناء الحسن ج١ ص٦٢-٦٩.

(١) خالـد بـن علي بن محمـد البهكلي التهامي (....-١٢٩٠هـ): تلقى العلم على علماء بلـده بتهامة المخلاف السليماني ثم رحل إلى زبيد وصنعاء وتلقى العلم على عدد من علماءهما ثم عاد إلى وطنه فولي القضاء في عـدد من مدن المخلاف السليمـاني، كان شاعراً بليغاً. انظر ترجمته في: نيـل الوطر لزبارة ج٢ ص٣ وانظر نشر الثناء الحسن لإسماعيل الوشلي ج٣ ص١٩-٢٠.

(٢) أحمـد بن أبي بكر القديمي الشقيقي التهامي (....-١٢٤٨هـ) ولد ببلدة الشقيق إحدى البلدات الساحلية الواقعة في شمال المخلاف السليماني ونشأ بها ثم رحل إلى (بيت الفقيه) في اليمن وتلقى العلم على عالمها وقاضيهـا آنذاك العلامة عبد الرحمن البهكلي وبرع في علوم الفقه، والحديث، والنحو ثم تعلق بالأدب وكان مجيداً في النظم والنثر وقد أورد له صاحب نيل الوطر شيئاً من شعره توفي سنة ١٢٤٨هـ، انظر ترجمته في: نيل الوطر ج١ ص١٣٨-١٤٠، وعقود الدرر ج١ ص١١١-١١٣.

(٣) خيري الزمار هو: خيري بن محمد بن عمر (١٢١٤-١٢٥٧هـ) ولد بمدينة أبي عريش وبها نشأ وتلقى العلم علـى علمائهـا ثم رحل إلى زبيد، كان جيد الخط وكان كاتب الإنشاء للشريف الحسن بن علي بن حيدر وكان شاعـراً مجيـداً وكان جيد الخط كتب عدداً من المصاحف بيـده. توفي بزبيد سنة ١٢٥٧هـ. انظر ترجمته في عقـود الدرر ج١ صـ٣٤٩-٣٥٤، وفي نيل الوطر ج٢ ص٣، وفي عن مطارحاته مع صـايم الدهر انظر التاريخ الأدبـي لمنطقـة جازان لمحمد أحمـد العقيلي ج١ صـ٦٣٦-٦٤٢، وانظر كتاب النهضـة الأدبية في اليمن ج٢ ص٢٩٦-٣٠١.

أحمد عاكش وغيرهما مـن شعراء وعلماء المخلاف السليماني. ولعلنا نكتفي بذكر مطالـع القصائـد التي تطارحها (صائـم الدهر) مع (خـيري الزمار) فقط، ومنها: مطلع قصيدة الزمار التي قال فيها:

يـا صـايم الدهـر قلبـي لا تفطِّـره رفقاً فشـعرك بالإعـراب يشـعره

فجـد لمـطلـق دمـع بعـد عبرتـه بنفحـة مـن وداد منـك تـؤسـره

فأجابه صائم الدهر بقصيدة مطلعها:

لا غرو أن صرت ما أخفيه أظهره فقد أتـى ما لقلب الصب يسحره

إلى أن قال

وافـى فأسكر عقلي عند رؤيتـه ما كنت أحسب أن اللفظ يسكره

فرد عليه خيري بقصيدة يقول فيها:

وافى النظام إلى الصب العميد بكم فأصبـح الشـوق يطويـه وينشره

معـرف الـوجـد لا شـيء ينكره فمـا تعظـم منـه لا تـصغره

إلى أن قال (خيري الزمار) في هذه القصيدة:

فطَّرت قلبي وما أسحرت منه غدا لصائم الدهـر بـالألفاظ يسحره

رب البيان فريد الدهر من خضعت لفضله حقب الماضـي وأعصـره

وحين وصلـت قصيدة (الزمـار) إلى(صائم الدهر) أجابـه أيضاً بقصيدة أخرى يقول فيها :

يـتيم حبـك لِمْ بـالـبين تقهره؟ وسـائل الـدمـع في خـديـه تنهره

إلى أن قال:

وافت فريدتك الغرا التي قصرا   عن درك عنصرها كسرى وقيصره

يا أهل تلك الربا طال البعاد فقد   أضنى وجار على ضعفي تجبُّرُه

فهل لصائم دهر في ربوعكم   عيدٌ، وفيه لهذا البين تنحره[1]

وللعلامة اليمني صائم الدهر مع خالد (البهكلي)، و(القديمي) ومع (الضحوي المعافى) وغيرهم من شعراء وعلماء المخلاف السليماني مطارحات شعرية كهذه المطارحات، بادلة فيها أولئك الأعلام بدائع الشعر وروائع المعاني.

(١) انظر عن مطارحات العلامة أحمد بن عبد الرحمن صايم الدهر وشعراء وعلماء المخلاف السليماني في كتاب: النهضة الأدبية في اليمن ج٢ ص٢٨٩-٣٠٤. وفي كتاب: التريخ الأدبي لمنطقة جازان ج١ ص٦٣٦ وما بعدها. (٢) هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن لأحمد فضل بن علي العبدلي ص ١٨٨-١٩٠، دار العوده بيروت ط٢، ١٤٠٠.

نماذج لبعض الصلات الثقافية بين علماء حضرموت وعلماء بلاد الحرمين

وفي الضفة الجميلة الأخرى من بلاد اليمن: (حضرموت) نجد علماء كبار تعلموا وعلموا في بلاد الحرمين ، وكانت لبعضهم صلاته العلمية المتينة ، وفي هذا السياق نجد المؤرخ (العبدلي) صاحب كتاب: (هدية الزمن) يرصد لنا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري هجرة أحد العلماء فيقول: (وفي سنه ١٣١١هـ تفضل سلطان (لحج): (فضل بن علي العبدلي، فدعا شيخ الساده بمكه المكرمه السيد العلامة: علوي بن أحمد السقاف فقدم إليه وطلب منه أن يسكن حوطة (لحج) لخدمة العلم فيها فلبىّ الشيخ (السقاف) دعوة السلطان (فضل) وجاء بعائلته من مكه، وتولى أمر التدريس (في لحج)، واقبل الناس على طلب العلم وتخرج على يديه جملة قضاة ونال بعضهم درجة الإفتاء)[1]، (وقد مدحه العلامة الفاضل سالم بن أحمد المحضار حينما زاره في (لحج) فقال:

يا ضاعناً عن مكة هل من لقا	بعد البعاد عن المحصب والنقا
وخرجت منها خائفاً مترقباً	مثل النبي الهاشمي المنتقى
لك في رسول الله أحمد أسوة	بمناله نصرا على أهل الشقا
وكذاك (موسى) حين فارق (مديناً)	وكفى (شعيباً) حبذاك الملتقى [2]

---

(١) هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن لأحمد فضل بن علي العبدلي ص٢٢٠، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ١٤٢٥هـ.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢١-٢٢٢ .

وهـي قصيـدة طويلة تزيـد أبياتها عن ثلاثـة وثلاثين بيتاً حيًّـا فيها العلامة (السقاف)، وحيًّا قدومه من مكة إلى (لحج) وأشاد بتوطنه فيها ثم دعا للسلطان (فضل العبدلي) الذي استقدمه من مكة وأكرمه خدمة للعلم وأهله.

وقـد نظم العلامة (علـوي بن أحمد السقـاف) قصيدة شكـر فيها سلطان (لحج) على حسن ضيافته ورد فيها على جميل أهل حوطة لحج فقال:

يـا أهـل حـوطـة لحـج صـار حبكم　　لأجـل فضلكم مخـالطـا لـدمي

مـا أمـكـم زائــر إلا وعــاد بمـا　　يـربـو عـلـى فـكـره في خـير مغتنم

أثقلتموا كاهلي، طوقتموا عنقي　　غـمـرتمـوني بـأنـواع مـن الـنـعـم

والله والله لا أنسـى صنيعكم　　ماهبت الـريـح من لحج إلى العلم

أو لاعَبَتْ حلةُ البيت العتيق صباً　　أو عانقت باكياً في خير ملتزم[1]

- وهـي قصيدة متوسطة عبر فيها (السقاف) عـن اغتباطه بكرم السلطان وحفاوة أهل حوطة لحج به.

- والسلطـان (العبـدلي) هـذا قد مدحه شعـراء كثيرون من شمـال اليمن وجنوبه

لأن سلاطـين لحج من آل العبدلي كانوا محـل ثناء الشعراء، ومن سلاطينهم المدوحـين السلطـان (أحمد بن فضـل بن محسن) الذي مدحـه شعراء كثيرون ومنهم الشاعر: (عبد الله المغيرة النجدي) الذي نقل لنا المؤرخ العبدلي في كتابه

(١) المصدر السابق ص٢٢٢-٢٢٣.

المصـدر السابـق صـ٢٢٢-٢٢٣. التوثيقي: (هديـة الزمن) قصيـده له في مدح السلطان أحمد بن فضل بن محسن العبدلي يقول في مطلعها:

لا تجار العذول مهما تَقَوَّل — انني عن هواك لم اتحول

يا غزالاً يرعى السويداء مهلاً — فارع عهدي، وبالفؤاد تمهل

(أحمد الفضل) سيد الناس طراً — وهو في قومه الأمير المبجل

سقلت ذهنه التجارب حتى — صور الكون ذهنه، فتمثل

يا أمير البلاد كن لي موالي — واذا نابني الزمان فموئل (١)

ومع أنني لم أجد في مصادري ترجمة لهذا الشاعر الموصوف بالنجدي إلا أن هـذه الصفـة أو النسبة تؤكد بأنه وافد من نجد على حضـر موت وأهلها مما يوثق الصلات بين البلدين.

وبعد: فهذه لمحات عن التواصـل الثقافي الذي استمر برغم الظروف المحيطة قويـاً وفاعـلاً بين بعض علمـاء ومفكري اليمـن شماله وجنوبه، وبـين بعض علماء ومفكـري المخـلاف السليماني، ونفر قليل من علماء ومفكـري بلاد الحجاز – كما رأينـا في تلك النمـاذج التي ذكرناها –، ذلك التواصل الثقافي الذي ظل يربط بين علمـاء ومفكري هذه الأقاليـم طيلة الفترة التي تلت سقوط الدولة السعودية الأولى وحتـى نهاية القـرن الثالث عشر الهجري وهـي الفترة التي كان فيهـا أئمة الدولة السعوديـة الثانيـة (١٢٤٠-١٣٠٩هـ) يحكمـون بعض أجزاء من بـلاد نجد وربما

(١) هدية الزمن ص٢٣٢-٢٣٣.

امتـد سلطان بعضهم على إقليـم الأحساء وما جاوره وربما جـاوزا ذلك قليلاً، إلا أنهـم لم يتمكنوا من بسـط نفوذهم على كثير من الأقاليم التي كانت تحت سيطرة الدولة السعودية الأولى، ومع ذلك فقد كانو يسعون جاهدين للسير في حكمهم على نهـج سلفهم الصالح، ولم تكـن حكوماتهم تعدم المؤيدين لهـا في الأقاليم الأخرى التـي تقطعت أوصالها حتى ولـو كان تأييداً قلبياً، تحـول دون إعلانه تغيُّر الأحوال والظـروف في بعض الأقاليـم، وبرغـم ذلك كله فقـد استمر التواصـل والاتصال الثقافي بـين علماء ومفكري البلدين الجارين، وشمل الحـوار بين مفكريهم قضايا بلاغيـة، وقضايا فقهية، ومطارحات أدبية، وإن كادت بعض تلك الحوارات العلمية أن تؤدي إلى قطيعة بين اؤلئك المتحاورين لولا غلبة الروح العلمية والأدبية والأخوية التي سادت حواراتهم الثقافية.

التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة العربية السعودية

تمهيد لابد منه:

تزامن بداية قيام المملكة العربية السعودية في عام ١٣١٩هـ على يد الملك المؤسس (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود)[١] الذي قاد بعد استرداد الرياض صراعات عنيفة استمرت قرابة ثلث قرن حتى استطاع استعادة ملك آبائه وأجداده وتحقيق وحدة كبرى لوطنه نادرة الوجود.

تزامن ذلك مع بداية قيام المملكة المتوكلية اليمنية في عام ١٣٢٢هـ على يد

(١) الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود (١٢٩٣-١٣٧٣): مؤسس الدولة السعودية الثالثة، وموحد أجزاء شبه الجزيرة العربية تحت مسمى: (المملكة العربية السعودية)، وأحد عباقرة السياسة، والحكم في العصور الحديثة، ولد في مدينة الرياض ،ونشأ نشأة قاسية، حيث شهد الصراع الذي حصل بين رجالات أسرته على الحكم حتى ذهبت دولتهم، تلقى مبادئ القراءة والكتابة على والده، وحفظ سورا من القرآن الكريم، ثم توسع في دراسة الفقه، والتوحيد على يد الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ، وفي سن الصبا علمه والده الفروسية واستعمال السلاح، وقد شهد وهو في بواكير صباه انهيار الدولة السعودية الثانية: (١٢٤٠-١٣٠٩)، فصحب والده في الرحلة المغادرة لعاصمة ملك آبائه وأجداده، تلك الرحلة القاسية التي تحمل فيها الكثير من المتاعب، حتى استقر مع والده في الكويت في أواخر سنة ١٣٠٩ هـ، وفي الكويت نشأ وتفتحت مداركه، واكتسب من تجاربه الشخصية خبرات كثيرة، فاصبح عسكريا شجاعا ، وقائدا مظفرا، وسياسيا محنكا ، وصف احد معاصريه تكوينه الجسمي فقال: كان طويل القامة، عريض المنكبين، بارز الصدر، ضامر البطن، حاد العينين، مفتول الساعدين، متناسق الأعضاء، حسن الخلقة، أبيض الوجه، وهذا إلى جانب تكوينه الفكري والسياسي، التي أهلته مع غيرها من المميزات لتحقيق مطامحه، واستعادة ملك آبائه وأجداده .

توفي -رحمه الله - في شهر ربيع الأول من عام ١٣٧٣ هـ . انظر شيئا من ترجمته في: الأعلام ج٤ ص ١٩. وفي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز للزركلي ص ٥٧ - ٧٣ . وفي كتاب : توحيد المملكة العربية السعودية وأثره الفكري والسياسي والاجتماعي للسلمان ص ١٥ - ٢٠ . وفي كتاب : فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة لعبد الله الشهيل ص ٤٤ ــــ ٤٧ وغيرها وغيرها من كتب التراجم والموسوعات.

الإمام (يحيى بن محمد حميد الدين) [1] الذي خاض صراعات عنيفة مع العثمانيين ومـع المنافسين في الجبال حتى استطاع بناء كيان المملكـة المتوكلية اليمنية، وواجه الزعيمـان في مراحـل التأسيس ظروفـاً قاسية وعقبات كأداء وخصـوم ألداء فقد كانـت الجزيرة العربية في ذلك الوقت تمر بظـروف سياسية صعبة للغاية، فكانت العقبـات التي واجهت الزعيمين في مراحل التأسيس كثيرة، وإن كان ما واجه الملك عبد العزيز خلال استعادة ملك آبائه وأجداده أكثر وأشرس، مع أن بعض المصاعب التـي تعرضـا لها تتشابه في بعض الوجوه، وتتشابك في ظـروف أخرى وتختلف في أخـرى وأخـرى، وإن كان إنجـاز الملك عبد العزيز التاريخـي في تحقيق وحدة هذا الوطـن المترامي الأطراف إنجاز غير مسبوق، وحـين اقترب الزعيمان من مراحل النجاح وجـدا بلديهما الجارين بحاجة إلى تفاهمات تؤسس لإقامة علاقات أخوية متينـة تقوم علـى رعاية حسن الجوار وتزيـل كل العقبات التـي تعرقل تحقيق هذا الهدف السامي النبيل.

---

(١) الإمـام يحيـى بن محمد بـن يحيى حميد الديـن: (١٢٨٦-١٣٦٧هـ): ولـد بصنعاء وتعلم بهـا وبالأهنوم فهـو عـالم محقق في علوم العربيـة والفقه وفروعه وأصوله تـولى إمامة اليمن بعد وفاة والـده سنة ١٣٢٢هـ وتصادم مع العثمانيين في معارك كثيرة حيث كانوا يسيطرون على اليمن ثم عقد معهم معاهدة (دعان) في عـام ١٣٢٩هـ وصفيت لـه أمور اليمن بعد جلاء الأتراك الأخير سنة ١٣٣٦هـ كان كما يقول الزركلي يفضل الاستبـداد علـى الشـورى وكان يؤثر العزلة على الانفتاح وقـد أثر عنه قوله: (لأن تبقـى بلادي خربة وهي تحكـم نفسهـا أولى من أن تكون عامـرة ويحكمها أجنبي) قتل غيلـة عام ١٣٦٧هـ وأعلـن قاتلوه قيام دولة دستورية رئيسها عبد الله بن الوزير لم تدم سوى أسابيع. الأعلام ج٨ ص١٧١-١٧٢، هجر العلم ومعاقله ج٣ ص١٦٩٦-١٧٣٧. وفي تاريخ اليمن للواسعي ص٣٠٠.

فبدأت المفاهمات بينهما منذ العام ١٣٤٥هـ واستمرت حتى عام ١٣٥٣هـ حيث انتهت بتوقيع معاهدة الطائف التي عالجت خلافات الحدود وأسست لعهد جديد يسوده الإخاء والتعاون وحسن الجوار.

ولكن الزعيمين قبل أن ينجزا لبلديهما تلك المكاسب الوطنية كانا قد بذلا في سبيل تحقيقها الغالي والنفيس وقاد كل منهما من أجل إحرازها صراعات عنيفة، عسكرية أحياناً وسلمية في أحيان أخرى، وفي الصفحات التالية سنشير إلى بعض تلك الصراعات التي خاضها كل واحد منهما لتحقيق وحدة وطنه وأمنه واستقراره.

لمحات عن قيام
(المملكة العربية السعودية «١٣١٩هـ»)

يعتبر قيام المملكة العربية السعودية في عام ١٣١٩هـ على يد الملك المؤسس (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود) امتداداً طبيعياً للدولة السعودية الثانية (١٢٤٠-١٣٠٩) التي انتهت باستيلاء محمد بن رشيد على الرياض وضمها إلى أمارته ورحيل آخر أئمتها الإمام عبد الرحمن الفيصل: (والد الملك عبد العزيز) وأسرته إلى الكويت[1]؛ وذلك لقصر المدة التي أعقبت سقوط الدولة السعودية الثانية فهي فترة قصيرة جداً؛ ومع ذلك فإن تلك السنوات العشر التي قضاها (الإمام عبد الرحمن الفيصل) وأسرته ضيفاً على الكويت وأميريها: (محمد بن صباح)[2] ثم (مبارك بن صباح)[3]، تعتبر مخاضاً طبيعياً لما تلاها من أحداث جسام، بل هي فترة إعداد نموذجي لابنه البطل: (عبد العزيز) وما يخطط له من بطولات وتضحيات حقق بها لهذه البلاد وحدة أنقذها الله بها

---

(١) المملكة العربية السعودية مسيرة البناء ص١٢ من إصدارات وزارة الإعلام السعودية (الإعلام الخارجي) ١٤١٧هـ الرياض.

(٢) محمد بن صباح بن جابر بن عبد الله آل الصباح: (....-١٣١٣هـ): وهو سادس أمراء الكويت من أسرة آل الصباح، وليها بعد وفاة آخيه عبد الله الصباح سنة ١٣٠٩هـ واستمر في الحكم حتى قتله أخوه مبارك سنة ١٣١٣هـ. الأعلام ج٦ ص١٦٦.

(٣) مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله آل الصباح: (....-١٣٣٤هـ): تولى إمارة الكويت بعد أخيه محمد، كان شجاعاً وداهية حاول الأتراك إبعاده عن الحكم فلم يستطيعوا وحاولوا الفتنة بينه وبين (ابن رشيد) أمير حائل ولكنه صمد وضل أميراً للكويت إلى أن توفي سنة ١٣٣٤هـ. الأعلام ج٥ ص٢٧٠.

من التشرذم والانقسامات والصراعات التي يريدها لها المتربصون، ويسر الله بها للملك المؤسس (عبد العزيز) استعادة ملك آبائه وأجداده في وقت قياسي أذهل دهاقنة أصحاب الاستراتيجيات العسكرية؛ فلا (ابن رشيد) تمتع بما سلبه من أصحاب الفضل[1]، ولا (مدحت باشا) [2] وقادته العثمانيون ومن وراءهم تمتعوا برطب نخيل الأحساء أو بما ينتظرونه من ميناء (العقير) ولا هُمْ انتفعوا بما نهبوه غدراً، فقد باغتهم عبقري القيادة ورجل الحسم التاريخي.. فاجأهم أسد الجزيرة وصانع أمجادها البطل الأسطوري: (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود) بتلك الضربة الخاطفة التي جعلت يوم الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ يوم عودة الحق إلى نصابه، لقد كانت صاعقة مدوية، (بل مغامرة أسطورية)[3] استعاد بها الرياض عاصمة ملك آبائه بنيف وستين رجلاً:[4]

ستون ليثاً مجدهم أو موتهم ... هاجوا يقود زئيرهم ضرغام

يحدوهم الأمل العظيم وشيخهم ... فأل، إذا ما قطب استفهام[4]

---

(١) تشير المصادر التاريخية إلى أن الإمام (فيصل بن تركي) جد الملك عبد العزيز قد كافأ (محمد بن عبد الله بن رشيد) على جهوده التي بذلها في خدمة الإمام فيصل حتى تمكن من قتل قاتل أبيه فأنعم على (ابن رشيد) بولاية (حائل) وذلك في عام ١٢٣٦هـ. انظر كتاب: أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث ص١٠٥ لمحمد أحمد العقيلي.

(٢) مدحت باشا: قائد تركي في العراق، استدعاه أحد أمراء الدولة السعودية الثانية لمعاونته ضد، أخيه فاستولى على الأحساء. انظر كتاب: توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار السياسي والفكري والاجتماعي ص١٤ ، ١٥ نقلاً عن كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية في دول الخليج (ج.ج لوريمر).

(٣) مسيرة التوحيد والبناء لعبد الله بن حمد الحقيل ص٥٧ ط١ مطابع الفرزدق بالرياض ١٤١٩هـ.

(٤) الملك عبدالعزيز كما صوَّره الشعراء العرب ص ١٢٤ من إعداد عبدالله بن إدريس - ومن منشورات نادي الرياض الأدبي ١٤٢٠هـ .

(لقد استرد الملك عبد العزيز عاصمة آبائه آل سعود خلال غزوته الأولى حيث مكنه تنقله في الصحراء من ذلك، وأظهر له الطريق لاسترداد مملكة آبائه) [1]، فكانت تلك الضربة وقوداً لما تلاها من ملاحم وبطولات وتضحيات كثيرة وعظيمة خاضها الزعيم المؤسس قرابة ثلث قرن بعزيمة القائد الشجاع الواثق من نصر الله حتى استطاع بتوفيق الله أن يوحد أجزاء هذا الوطن الكبير في دولة عصرية عزيزة الجانب هي: المملكة العربية السعودية، في زمن صعب، وظروف عالمية حرجة وكما (كسب الحروب التي خاضها بسلاحه فقد كسب حروبه مع أعداء بلاده (الفقر والجهل والمرض)) [2]، (فبعد أن انتهى الملك عبد العزيز من جمع أطراف الوطن وأنهى مرحلة النضال، بدأ مرحلة البناء والتنظيم وترسيخ الأمن وتأمين طرق الحج وتعمير البلاد وتوطين البادية وتثبيت كيان المملكة) [3] ثم بادر بالسعي لحل مشكلات الحدود؛ ... فكثّف اتصالاته بجيران بلاده وفي مقدمتهم: (اليمن) الذي بدأت اتصالاته به منذ العام ١٣٤٠هـ ثم تأكدت المفاوضات بين البلدين منذ العام ١٣٤٥هـ كما سنفصل ذلك – بمشيئة الله – فيما بعد، وإلى جانب اهتمامه الكبير بحل مشكلة الحدود مع اليمن فقد عقد قبل ذلك وبعده بعض

---

(١) الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة للدكتور: فان در مولين، ترجمة (ويسى، آي، سي) تعليق فهد السماري ص٤٤، (بتصرف) من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

(٢) نهضة الجزيرة العربية لجورج خير الله ص٢٥٤، ترجمة وديع فلسطين من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٤٣٠هـ.

(٣) المملكة العربية السعودية و مسيرة البناء ص١٩.

الاتفاقيات المهمة التي تصب في حل مشاكل الحدود، كـ(اتفاقية جدة) التي وقعها في عام ١٣٤٤هـ مع المندوب البريطاني (كلايتون) نائبا عن حكومته البريطانية التي تستعمر آنذاك كلا من العراق وبعض دول الخليج وشرق الأردن، وتتضمن تلك الاتفاقية حل مشكلة القبائل التي تسكن في الحدود النجدية العراقية.

- كما وقع الملك عبدالعزيز مع كلايتون ايضا اتفاقية أخرى في نفس العام وتقضي بتعيين الحدود بين المملكة العربية السعودية وحكومة شرق الأردن(١).

- وفي عام ١٣٤٥هـ وقع الملك عبد العزيز (معاهدة مكة) مع إمام المخلاف السليماني آنذاك الحسن بن علي الإدريسي وتقضي بأن تصير الأراضي التي يحكمها الأدارسة تحت حماية الملك عبد العزيز(٢).

- كما وقع خلال تلك الفترة وبعدها عددا من الاتفاقيات الأخرى التي تعالج مشاكل الحدود، وتحقق الاستقرار للوطن والمواطن.

وهكذا فقد كان مستهل شهر شوال من عام ١٣١٩هـ هو نقطة الانطلاق الكبرى للملك عبد العزيز نحو تأسيس المملكة العربية السعودية، لقد تحققت المعجزة بتوفيق الله ثم بعزيمة ذلك الشاب الممتلئ عزماً وتصميماً وقوة إرادة لقد كان استرداد الرياض هو الشرارة الأولى نحو استرداد بقية أجزاء الوطن ولست بحاجة لذكر كل تفاصيل إعداد وتنفيذ ملحمة (فتح الرياض) التي كانت بداية التأسيس

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج١ ص٢٩٤-٢٩٥.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ٥٣٥، وانظر كتاب: عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية (١٣٣٨-١٣٧٣هـ) ص١١١.

مـع أنها كانت مجازفة تجلت فيها عبقرية القائد الملهم، وبطولته الخارقة، وقدرته على تجاوز أحلك الظروف وأصعب العقبات، بنفر قليل وإمكانات محدودة...

ثـم تلت هذه الملحمـة ملاحم، وملاحـم، وملاحم، (فلقد خاض الملك عبد العزيـز معارك عديدة في أنحاء شبه الجزيـرة العربية، في الشرق وفي الشمال وفي الجنوب وفي الغرب وأصبح سلطاناً على نجد ثم ضمّ إليها الأحساء وحائل وعسير والحجاز فصار ملكاً على الحجاز، وبذلك تكونت جغرافياً وسياسياً المملكة العربية السعودية)[1]، بعد معارك طاحنة خاضها البطل المؤسس واستمر قرابة ثلث قرن يحمل روحه على راحته حتى استطاع توحيد أجزاء هذه البلاد المترامية الأطراف، ولم تكن معارك توحيد الوطن بالأمر السهل وإنما كانت بتضحيات جسام.

---

(١) الملك عبد العزيز أمة في رجل لعبد الله بن عبد المحسن التركي ص٩٨ من إصدارات الأمانة العامة للاحتفال بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

وصف بعض الأحوال السياسية في شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري

لقد كانت شبه جزيرة العرب تعاني من الشتات والتمزق والتشرذم الذي يخيم على ربوعها، وكان الجهل المدمر يفتك بأبنائها والمرض يعشعش في جميع مفاصلها والرعب والصراعات تمزقها وتجعل منها كيانات صغيرة وضعيفة يسهم في تردي أحوالها ضعف الإدارة العثمانية في تلك الأقاليم التي كان العثمانيون يسيطرون عليها إسمياً فقد أصبحوا من الضعف بحيث لم يكن نفوذهم يتعدى معسكراتهم)[١]، وبسبب ضعف إدارتهم فقد جزأوا تلك الأقاليم إلى إمارات ومشيخات يعادي بعضها بعضاً، ويكيد بعضها للبعض الآخر ويحارب بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب. (وهكذا فقد ساعد إهمال الدولة العثمانية للشؤون الداخلية على إشاعة الفوضى والفتن بين القبائل في سائر أرجاء البلاد)[٢]، بل إنها قد ظلت تعاني من التمزق والانقسامات حتى قبيل أن ينتهي الملك عبد العزيز من معارك توحيد الوطن بفترة وجيزة، يصفها متصرف عسير العثماني (سليمان شفيق الكمالي)[٣] حين بدأ ينشر مذكراته في عام ١٣٤٣هـ فيقول: (إن في جزيرة

---

(١) سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) للدكتور فاروق عثمان أبا ظة ص٢٠، (بتصرف) من منشورات مجلة دراسات الخليج(٩).

(٢) المصدر السابق، ص٢٢.

(٣) سليمان شفيق كمال باشا: هو صاحب الدولة الفريق سليمان شفيق بن علي كمالي باشا سويلمز أوغلو، ينتمي إلى أسرة ذات مكانة عالية في الدولة التركية، والده تقلد مناصب كبيرة، والفريق سليمان من كبار=

العرب اليوم (أي في عام ١٣٤٣هـ) من الإمارات ما يأتي:

- الإمارة الزيدية في القسم الأعلى من اليمن.

- الإمارة الإدريسية في تهامة المخلاف السليماني (جازان).

- السلطنة السعودية في جميع نجد وفي إقليم عسير.

- الحكومة الهاشمية التي انحصرت داخل أسوار جده، ومشيخة قبائل يام، وإمارة آل الصباح في الكويت، وسلطنة عمان، ومشيخة حضرموت (تحت الحماية الإنجليزية) [(١)].

هكذا إذاً كانت الأوضاع في جزيرة العرب قبيل ظهور الملك عبد العزيز والإمام يحيى بل هكذا كان حال التشرذم في غالب أقاليم شبه جزيرة العرب فقد كانت أقاليم نجد، والأحساء، وحائل، والحجاز، وعسير، ونجران، والمخلاف السليماني، كان في كل إقليم من هذه الأقاليم إمارة وأمير، وصراع لا ينتهي، وكانت هذه الأوضاع محرضة للملك عبد العزيز آل سعود بخوض غمار معركة توحيد الوطن واستعادة ملك آبائه وأجداده كما أنَّ بعض تلك الأوضاع قد ساعدت إمام اليمن على بسط نفوذه في بقية أقاليم اليمن.

=رجالات الدولة العثمانية فقد ترقى إلى وزير حربيتها، وتولى أعمالاً مهمة لبلاده في البلاد العربية، كان آخرها (متصرفية عسير) التي نقل إليها من (متصرفية البصرة)، فقد عمل قائداً عسكرياً، ووالٍ في عدد من البلدان العربية، كسوريا، والعراق، وجنوب غرب، الجزيرة العربية، وفي آخر أيامه أقام بمصر حتى وفاته، وفيها نشر مذكراته في كل من جريدة الأهرام ومجلة المقطم بدءاً من عام ١٣٤٣هـ توفي بعد عام ١٣٥٤هـ. انظر ترجمته في أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي ليوسف العارف ص٢٨-٤٩، وفي كتاب موانئ تهامة ومراسيها (الليث، القنفذة، حلي، جازان) دراسة تاريخية حضارية للباحثة سميرة بلسود، وفي كتاب سليمان شفيق الكمالي تحقيق محمد بن أحمد العقيلي ص٩ وما بعدها.

(١) أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث لمحمد أحمد العقيلي ص١٦-١٧.

بعض جهود الملك عبد العزيز في سبيل تحقيق الوحدة الوطنية

فبعد أن استرد الملك عبد العزيز مدينة الرياض في الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ واصل معركة توحيد الوطن فخاض عشرات المعارك الشرسة لتوحيد هذا الكيان الكبير الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم (المملكة العربية السعودي)، تلك المعارك التي كان بعضها لرد عدوان على عرش أسلافه كما هو حاله مع ابن رشيد، أو لرد عدوان حصل على بلاده وبلاد أجداده كما هو الشأن مع العثمانيين، (إذ ليس في تاريخ الملك عبد العزيز حدث واحد يدل على أنه ابتدأ إنساناً بشرّ، أو عداء)[(١)].

- ففي عام ١٣٢٠هـ حاول التوسع جنوباً فاشتبك مع قوات ابن رشيد في (الدلم) و (السلمية) شمال الدلم فكان النصر حليفه فانسحب ابن رشيد من تلك الجهة منهزماً.

- وفي العام نفسه امتد نفوذه إلى بلدان العارض فضمَّ بلدان (المحمل) و (الشعيب) بعد معارك مع أتباع ابن رشيد[(٢)].

- ثم انطلق لضم القصيم وخاض في سبيل ذلك عدداً كبيراً من المعارك الشرسة استمرت حتى عام ١٣٢٤هـ حيث تم له بعد تلك المعارك ضَمُّ جميع بلدات القصيم.

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ص٣٠٥.

(٢) توحيد المملكة العربية السعودية ص٣٠.

- ثـم استرد الأحساء في عام ١٣٣١هـ (حيث أجرى اتصالاً بعدد من وجهاء مدينـة الأحساء قبل استردادها اتفق فيه معهم علـى ضرورة فتحها وحدد طريقة تنفيـذه) [١] ولحقت بهـا عسير عام ١٣٣٨هـ، فحائل في عام ١٣٤٠هـ بعد أن خاض فيها وفيما حولها معارك شرسة كثيرة [٢].

- كما أنهى ضم الحجاز في عام ١٣٤٤هـ بعد معارك طاحنة في تربه، والطائف، وحصار طويل لـ (جده).

- وفي عام ١٣٤٩هـ تم انضمام منطقة جازان إلى بقية مناطق المملكة العربية السعودية بعـد مصاولات مع حكومتها الإدريسية المتهالكـة (وبانضمامها توحدت أجزاء المملكة العربية السعودية تحت لواء واحد)[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملك عبد العزيز حينما كان يسعى لتحقيق وحدة وطنه لم يكن الخيار العسكري هو الخيار الوحيد الذي يسلكه لتحقيقها، فلقد جمع - رحمه الله - في مشواره النضالي بين الحرب إذا اقتضت الظروف ذلك وبين السلم وعقـد المعاهدات والاتفاقيـات إذا كان ذلك يخدم مصالـح الوطن ويحقق وحدته واستقراره، وهكذا كان الملك عبد العزيز يبحث عن الوسائل السلمية لحل مشكلات

---

(١) كتـاب محاضـرات نادي مكة الثقـافي الأدبي ص٣٠ (المحاضرة الثانية في هـذا الكتاب بعنوان: جوانب من حياة الملك عبد العزيز) لسعد بن عبد العزيز الرويشد، طبع بمكة المكرمة عام ١٤١٠هـ.

(٢) المملكة العربية السعودية تاريخ وإنجازات ص٢٧.

(٣) تاريخ عسير في الماضي والحاضر لهاشم سعيد النعمي ص٣٨٠، ط٢ من منشورات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

(الجوار) قبل أن يلجأ إلى الحرب؛ وذلك ليحقق لوطنه الأمن والاستقرار عن طريق السلم، وهو في سبيل بحثه عن السلم قد عقد عددا من المعاهدات والاتفاقيات التي تسبقها ترتيبات كثيرة، فهو لا يجنح إلى المفاوضات إلا إذا كان في موقع يضمن له تحقيق مصالح وطنه فقد (كان له تميز وعبقرية في إدارة تلك المفاوضات) [١]

ومن أهم تلك المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها:

١-معاهدة القطيف التي أبرمها مع ممثل بريطانيا في الخليج عام ١٣٣٣هـ ومن أهم بنودها :

- اعتراف بريطانيا باستقلال بلاد الملك عبد العزيز: نجد، والحسا، والجبيل[٢].

٢- معاهدة مكة التي تمت بين الملك عبد العزيز ،والحسن الإدريسي[٣]، زعيم المخلاف السليماني (جازان) في عام ١٣٤٥ هـ والتي يتعهد فيها الإدريسي باعتبار ما كان من الأراضي خاضعا للأدارسة هو الآن بموجب هذه المعاهدة خاضع للملك عبد العزيز[٤].

---

(١) أخلاق الملك عبد العزيز للجريسي ص٥٣.

(٢) السعوديون والحل الاسلامي لجلال كشك ص ٤٢٢.

(٣) الحسن بن علي بن أحمد الإدريسي (.....-.....): تولى إمارة المخلاف السليماني بعد أن تم خلع ابن أخيه علي بن محمد الإدريسي في عام ١٣٤٤هـ وعقد معاهدة مع الملك عبد العزيز في عام ١٣٤٥هـ سميت بمعاهدة مكة وتقضي بأن يتولى الحسن الإدريسي الحكم الداخلي في المخلاف، وفي عام ١٣٤٩هـ أبرق للملك عبد العزيز بتنازله النهائي عن الحكم وأن يتولى الأمر في المنطقة الملك عبد العزيز لكنه ما لبث أن قبل إغراءات الأعداء والمغرضين فتنكر للمعاهدة وأعلن العصيان الذي انتهى بلجوئه إلى اليمن انظر شيئاً من ترجمته في كتاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١١٦٠.

(٤) فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة لعبد الله الشهيل ص ١٢٠-١٢٢.

٣- معاهدة الطائف التي وقعها الملك عبد العزيز مع الإمام يحيى إمام اليمن في عام ١٣٥٣ هـ وتقضي أهم بنودها بحل مشاكل الحدود بين البلدين[١].

لقد كان الملك عبد العزيز شجاعاً مقداماً حازماً نبيلاً كريماً وفياً في السلم، وبذلك (أصبحت صورة ابن سعود الوقورة وشخصيته المبجلة في الصف الأول دائماً لأن تاريخ حياة هذا الأمير البدوي النبيل والفارس المغوار القدير والسياسي الحاذق الفطن اللبيب أشبه بالأساطير) [٢].

وهكذا كان الملك عبد العزيز يبحث عن الوسائل السلمية لحل مشكلات الجوار قبل أن يلجأ إلى الحرب وذلك ليحقق لوطنه الأمن والاستقرار.

وبهذا تمكن الملك عبد العزيز – رحمه الله – من توحيد سائر أجزاء البلاد وجمعها في كيان واحد أعلنه بقوة في عام ١٣٥١هـ هو: (المملكة العربية السعودية) ثم أخذ بعد ذلك يثبّت فيها الأمن ويرسخ الاستقرار (وبعد أن نجح القائد في تثبيت الأمن وتأمين الطرق عمد إلى التأليف بين القبائل المتناحرة وإزالة الأحقاد والضغائن والمكائد من صدورها) [٣] ثم بدأ بعد ذلك مرحلة البناء؛ بناء الإنسان، وبناء الوطن، (فصب جهوده واهتماماته على قضايا الأمن، والتعليم، والصحة، والزراعة، والصناعة، وتطوير المدن) [٤].

---

(١) توحيد المملكة العربية السعودية للسلمان ص ٦٥ ..

(٢) مملكة الإمام يحيى (رحلة في بلاد العربية السعيدة) للكاتب الإيطالي سلفاتور أبونتي ص١١٠ ترجمة طه فوزي نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ط٢ ١٤٣٠.

(٣) المملكة العربية السعودية تاريخ وإنجازات وزارة الإعلام ص٢٩.

(٤) الملك عبد العزيز وعبقريته العسكرية ص٨٤.

وهكذا حقق الملك عبد العزيز لهذا الوطن وحدته واستعاد ملك آبائه وأجداده في إنجاز تاريخي عظيم (كانت الأحداث والآمال ترشحه له) [1] وقد وصف هذا الإنجاز أحد الباحثين قائلاً: (لقد كان توحيد الملك عبد العزيز لهذه الأجزاء المترامية أبعد من أحلام أي ملك عادي) [2] وذلك لأنه جمع شتات دويلات متصارعة في دولة واحدة قوية، وهذا لم يكن بالأمر السهل، فهو لم يأتِ إلا بعد تضحيات كبيرة تحققت بعدها تلك الوحدة وذلك التمازج.

وهكذا (فقد خلق التوحيد الذي حققه المؤسس مفهوماً للمواطنة التي ضاعت حقباً طويلة) [3].

- ولأنه قد تحقق له - رحمه الله - جمع شتات دويلات متعددة في دولة واحدة كان لابد لها من اختيار اسم جامع يلم شتاتها ومن هنا بدأت قصة تسمية: (المملكة العربية السعودية).

---

(١) خواطر وطنية وأدبية لإبراهيم الفوزان ص١٩٤ الرياض، مطابع القصيم ١٤٢٦هـ.

(٢) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره الفكري ص٢٤٧.

(٣) فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة (١٣٣٣-١٣٥١هـ) لعبد الله الشهيل ص٢٢.

قصة تسمية المملكة العربية السعودية

- هـذا المسمّـى: (المملكـة العربية السعوديـة) لم تُعرف به الدولـة السعودية الأولى: (١١٥٧-١٢٣٣) ولم تُعـرف به الدولـة السعودية الثانية: (١٢٤٠-١٣٠٩)، وكان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٣١٩-١٣٧٣) هو الذي ألبسها هذه الحلة القشيبة وجمّلها بهذا المسمى التاريخي السياسي الجميل؛ فحين انتهى من توحيد أجزاء هذا الوطن بعد جهاده الطويل الذي استمر قرابة ثلث قرن اجتمع نفر من ذوي الرأي والمشورة من رجالات هذا الوطن وتدارسوا بجدٍ موضوع اختيـار اسم جامع، مناسب لهذا الكيان الكبـير الموحّد، فاتفقوا على اسم: المملكة العربيـة السعودية (ففي ١٢ جمادى الأولى من عام ١٣٥١هـ الموافق١٠/٨/١٩٣٢م اجتمـع لفيـف من كبار الوطنيـين في الطائف بمنـزل الشيخ عبـد الله الفضل وفي مقدمتهم الأساتذة: صالح شطا، ومحمد شرف عدنان، وعبد الله الشيبي، ومحمد شرف رضا، وإبراهيـم الفضل، ومحمد عبد القادر مغربي، ومحمد صالح نصيف وآخـرون. وبعـد أن أبرقـوا لإخوانهم في بقيـة المناطق بما أجمعـوا عليه من تغيير المسمى اتفقوا على أن يرفعوا للملك عبد العزيز قراراً وضعوه وهذا نصه)[(١)].

وقـد وضحوا الأسبـاب والمسببات التـي دعت لاتخاذ قرارهـم التاريخي هذا وذكـروا مـبررات وحيثيـات كثيرة ومنهـا: (أن اسـم المملكة الحجازيـة النجدية

(١) انظـر نصـه في كتاب: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيـز لخير الدين الزركلي ص٥٦١. وكتاب توحيد المملكـة العربيـة السعوديـة للسلمـان صـ٢٤٦، وانظر صحيفـة المدينة العـدد: (١٧٣٣٢) الصـادر بتاريخ ٢٧/١٠/١٤٣١هـ ص١٩، مقال د. عبد الله مرعي بن محفوظ.

وملحقاتها لا يعبر عن الوحدة العنصرية والشعبية والحكومية الواجب إظهارها ..... الخ) [1] وفي آخرها يلتمسون من جلالة الملك عبد العزيز الموافقة على تبديل اسم المملكة إلى الاسم الحالي فقالوا في تلك الفقرة: (فإن المجتمعين يرفعون إلى سدة الملك عبد العزيز أمنيتهم الأكيدة في أن يتكرم بإصدار الإرادة السنية بالموافقة على تبديل اسم المملكة الحالي: (المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها) إلى اسم (المملكة العربية السعودية) [2].

وقد تفاعل المجتمع السعودي مع تلك الطلبات بتغيير المسمى (فرفعت برقيات إلى الملك عبد العزيز من جهات مختلفة تؤيد فكرة توحيد أجزاء المملكة وتسميتها باسم لا إقليمية فيه) [3].

فحصلت الموافقة من الملك عبد العزيز وصدر بذلك مرسوم ملكي رقمه (٢٧١٦) [4] في السابع عشر من جمادى الأولى من عام ألف وثلاثمائة وواحد وخمسين تقول ديباجته ونص الفقرة الأولى منه ما يلي: (بعد الاعتماد على الله وبناء على ما رفع من البرقيات من كافة رعايانا في المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها ونزولاً على رغبة الرأي العام في بلادنا، وحباً في توحيد أجزاء المملكة

---

(١) السعوديون والحل الإسلامي ص٦٩١، لمحمد جلال كشك ط٢، ص١٦٩، ١٩٨٢م دون ذكر دار النشر أو مكانه.

(٢) شبه الجزيرة ص٥٦٣ (بتصرف).

(٣) توحيد المملكة ص٢٤٦.

(٤) فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة لعبد الله الشهيل ص٢٧٩.

أمرنا بما هو آت:

المـادة الأولى: يحـول اسـم (المملكـة الحجازيـة النجدية وملحقاتهـا) إلى اسـم (المملكة العربية السعوديـة) ويصبح لقبنا بعد الآن: (ملـك المملكة العربية السعودية) [1] إلى آخر مواد ذلك المرسوم الملكي الذي تعنينا منه المادة الأولى.

(١) انظـر كتاب شبه الجزيرة في عهد الملـك عبد العزيز ص٥٦٥-٥٦٦، وكتاب توحيد المملكة العربية السعودية للسلمان ص٥٢ وغيرها.

صدى تحقيق الملك عبد العزيز للوحدة الوطنية عند بعض المثقفين السعوديين وبعض المثقفين اليمنيين والعرب

وهكذا استطاع الملك عبد العزيز – رحمه الله – أن يوحد أجزاء هذا الوطن الكبير المترامي الأطراف ويوطد فيه الأمن والرخاء والاستقرار، ليأتي أبناؤه الملوك من بعده فيكملوا مسيرة البناء والتنمية في ظل أمن وارف الظلال، ومع كل هذا فإنه لا ينبغي لنا أن ننسى (أن ما نعيشه من نعمة في الدين والرزق والعرض والنفس والتنمية هو الحق التاريخي الذي حفز الملك عبد العزيز على المغامرة، فاتخذ استرداد ملك آبائه مناسبة ظرفية) [1]، فحقق لنا وحدة هذا الكيان الكبير، لذلك فقد استقبل المواطنون ذلك الإنجاز التاريخي العظيم بسعادة بالغة وفرحة عارمة؛ فهذا الشاعر الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي[2] يرصد فرحة المواطنين بهذا الحدث

---

(١) مسائل من تأريخ الجزيرة العربية لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ص ٢٠، من منشورات دار الأصالة بالرياض، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٢) أحمد إبراهيم الغزاوي: (١٣١٨-١٤٠٨هـ): الأديب، الشاعر، الكاتب المكي الكبير، ولد بمكة المكرمة، وتلقى تعليمه بالمسجد الحرام، وفي مدارس مكة الأهلية، ومنها: مدرسة الفلاح، والمدرسة الخيرية، وعكف على القراءة الخاصة، حتى ثقف نفسه، وهيأ له مكانة أدبية واجتماعية مرموقة، قال الشعر وبرع فيه، حتى قيل بأنه أعاد للشعر الحجازي ريادته، وكتب المقالة الأدبية والتاريخية، اتصل بالملك عبد العزيز ومدحه بغرر قصائده، شغل وظائف في العهد الهاشمي، منها: كاتباً في مديرية الأوقاف في الحرم الشريف، ومحررا وكاتباً للفتوى مع الشيخ عبد الله سراج، وشغل وظائف كبرى في العهد السعودي، من أهمها: رئيس ديوان قاضي القضاة، ثم سكرتيراً لمجلس الشورى، ثم نائب رئيس مجلس الشورى، نشر شعره في عدد من الصحف والمجلات، كما كان يكتب مقالاته في مجلة المنهل وغيرها، وقد جمعت مقالاته التي كتبها في=

العظيم فيقول في إحدى قصائده:

وكـبَّر الشعب إعجاباً بمنقذه — وأبرقت بالرياض الحلي والحلل

وأسفر الصبح عن تاج ومملكة — يعلو بها الحق، والتاريخ يحتفل

أطل فيه سعود واستهل به — فتح، وعيد، وميلاد هو الأمل

تفجر التبر فيها تحت أخمصه — والماء فاض بها والزبد، والعسل

ترنو إلى المجد والتوحيد يسلكها — في دعوة بعثت من أجلها الرسل

نصر من الله، في آثاره اقتحمت — (عواصم) وحصون دكها الوجل

وشادها وحدة أرسى قواعدها — على الشريعة لا ذهل ولا ثغل

منارها برسول الله مؤتلق — ودينها بكتاب الله مكتمل[1]

لقد كانت الوحدة الوطنية أمنية غالية لهذا الوطن وأبناء هذا الوطن، فحين تحققت على يد الملك عبد العزيز فرح بها الجميع لأنه قد حلّ بها الوئام محلّ الخصام وتولّت عهود الانقسام والصراعات إلى غير رجعة حين توحّدت أجزاء البلاد المترامية الأطراف تحت رايةٍ واحدةٍ، فأُمّنت السّبُل وانتشر الأمن واطمأنّ النّاسُ، فسمت أرواحهُم، وصفَت عقولهم، وتهيأت لعهدٍ جديد زاهرٍ مستقرّ وَصَفَهُ

= (المنهل) في كتاب يقارب ألف صفحة بعنوان: (شذرات)، كما أعاد طباعة شعره في ثلاثة مجلدات: الأديب المحسن محمد سعيد عبد المقصود. توفي سنة ١٤٠٨هـ. انظر كتاب: الملك عبد العزيز في عيون شعراء أم القرى ج٢ ص٩٦١، جمع: إسماعيل أبو زعنون، مراجعة: حسن فهد الهويمل، من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد إبراهيم الغزاوي ج٢ ص٨٦٣-٨٦٤، الناشر: (اثنينية عبد المقصود خوجه) جده ١٤٢١هـ.

الشاعـر علي بن محمـد السنوسي[1] وصفـاً حيًّا فقال في بعض أبيـات قيصدته : (قالوا رقى العرش):

قالوا رقى العرش من أضحت تدين ربيعة، وبنو قحطان، والمضرُ
له صقرُ الجزيرة من ألقت أزمّتها إليه أقيالُها والصّارمُ الذّكرُ
عبد العزيز الإمام المرتضى خلقاً وسيرةً يرتضيها الله والبشرُ
هانحنُ في عصره الزاهي على دعة وصفو عيشٍ رغيدٍ ما به كدرُ
فالدّار عامرةٌ والسُّحبُ ماطرةٌ والأرضُ زاهرةٌ والدينُ منتشرُ
والنّاسُ في ظلّ أمنٍ أصبحت معهُ هذي الحصونُ كلا شيء ولا القُصُرُ
يأوي الغريبُ إذا ما الليل أدركه في مَهْمَهٍ ما به نبتٌ ولا شجرُ
كأنما القفرُ دارٌ والخلا وطنٌ لابن السبيل ومن قد ضمّه السّفرُ

(١) العلامـة الشاعـر: علي بن محمـد السنوسي: (١٣١٥- ١٣٦٣هـ): ولد بمكة المكرمـة، وتلقى فيها مبادئ العلوم، ثم رحل إلى اليمن، فتلقى العلم في زبيد والمراوعة، وغي عام ١٣٣٤هـ وصل إلى جازان، وأكمل تعليمه علـى عدد من العلماء بها، وفي مقدمتهم الإمام محمد بن علـي الإدريسي، والشيخ محمد صالح عبد الحق، أسسـ حلقـة تعليمية في مدينة جـازان، وكان من طلابه محمـد بن أحمد العقيلي، وعلـي بن محمد صالح، ومحمـد بن علي السنوسي، ولاه الإدريسي منصب القضاء في مدينة جازان، وعندما انضمت منطقة جازان إلى المملكـة العربيـة السعودية ولاه الملك عبد العزيز منصب القضـاء أيضاً، وظل في هذا المنصب حتى عام ١٣٥٤هـ، ويعتبر من أبرز الشعراء المخضرمين، وهو من أوائل من نشر شعره في الصحافة المحلية من شعراء منطقـة جـازان، له عدد مـن الرسائل والمختصرات، وله ديـوان شعر فقد منه الكثير، ونشـر باقيه الدكتور عبـد الله أبـو داهش بعنوان: (المفقود من شعر السنوسـي)، ونشرت له رسالة في مجلة المنهل سنة ١٣٩٦هـ بعنـوان: (السمـاط الممدود، في ربـاط المحبة والعهود، بين الأدارسة وآل سعـود). انظر ترجمته في التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد بن أحمد العقيلي ج٢ ص١٠٠٤، وفي كتابنا لمحات عن الشعر والشعراء في جازان ص٤٥ وغيرها.

وحوله سيفُ عدلٍ لا يفارقه يدورُ حيثُ تحل البدو والحضرُ
ومن يكن هكذا أيامُ دولته يطيبُ للنّاسِ في أخباره السّمرُ[1]

وقصيدة الشاعر السنوسي طويلة وكلها تهلل لهذا الحدث الوحدوي الجميل الذي تحقق بفضل الله ثم بجهود الملك عبد العزيز ورجاله الأفذاذ.

وكما هلل المواطنون وكبروا لهذا الحدث العظيم فقد هللت له الأوساط العربية والدولية وعبر عنه الأدباء والشعراء العرب نثراً وشعرا، يقول الشاعر العربي: بشاره الخوري[1] في أبيات من قصيدة له طويلة يرصد فيها ذلك الحدث الجميل:

عبد العزيز أصاب العرب بغيتهم لما طلعت عليهم أنت والأمل
عبد العزيز وما أومت أكفهم إلا إليك، إذا قالوا: من الرجل؟
عبد العزيز ومن يرجى سواك لها والخطب يفجأ، والأحداث ترتجل
مسحت عن جفنها الأسيان دمعته حتى ترقرق فيه الأنس والجذل
العرب في كل بيت من بيوتهم عرس وأنت لرب البيت تبتهل

---

(١) بشارة بن عبد الله الخوري البيروتي المعروف بالأخطل الصغير (١٣٠٢-١٣٨٨هـ): أشهر شعراء لبنان في العصر الحديث، مولده ووفاته في بيروت، تعلم بمدرسة (مطرانية الروم الآرثوذكس)، وتخرج بمدرسة الحكمة المارونية، وهو من تلاميذ عبد الله البستاني، أنشأ جريدة البرق سنة ١٩٠٨م، وهي مجلة أدبية أسبوعية ثم يومية، وفي أواسط الحرب العالمية الأولى بدأ يذيل شعره بتوقيع: (الأخطل الصغير) فلزمه اللقب، عين مستشاراً فنياً للغة العربية في وزارة التربية الوطنية ببيروت، واستمر يعمل في الصحافة طوال حياته، صدرت له بعض الدواوين الشعرية ومنها: (الهوى والشباب)، و(شعر الأخطل الصغير). انظر ترجمته في الأعلام ج٢ ص٥٣.

أعد لها مجدها الماضي فقد درجت على مناصلكم أيامها الأول[1]

ويأتي الشاعر العربي اليمني الكبير محمد محمود الزبيري[2] فيهنئ الملك عبد العزيز بنجاحه في تحقيق هذه الوحدة المباركة في شبه الجزيرة العربية في الزمن الصعب فيقول في بعض أبيات من قصيدة طويلة:

قلبُ الجزيرة في يمينك يخفقُ وهوى العروبة في جبينك يشرقُ

ولعمرو مجد المسلمين لأنت في أنظارهم أملٌ منيرٌ شيِّقُ

إن الجزيرة شرقها ودبورها وشمالها حرمٌ بوجهك مُونقُ

وَحَّدْتها ونفختَ في أرجائها روحاً تحب بها البلاد وتعشق

---

(١) الملك عبد العزيز في الأدب والتاريخ ص٢٠١ محاضرات نادي المدينة المنورة العدد الثامن مجموعة من محاضرات تتناول مسيرة الملك عبد العزيز، من مطبوعات نادي المدينة المنورة بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية، وانظر: لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي لحجاب الحازمي، ص٥٤ - ٥٧. نادي جازن الأدبي ١٤٢٢هـ. وانظر كتاب تاريخ عسير لهاشم النعمي ص٣٥٤-٣٥٥.

(٢) محمد بن محمود بن أحمد بن لطف الباري الزبيري (١٩١٠-١٩٦٤م): شاعر عربي كبير من شعراء اليمن، ولد ونشأ بصنعاء، وتلقى العلم على بعض علمائها، ومال إلى الأدب، ونبغ في الشعر، رحل إلى مصر، والتحق بكلية دار العلوم، ثم عمل بالصحافة، كان أحد زعماء الإصلاح، هاجر أيضاً إلى مصر في عام ١٣٥٨هـ، وعاد إلى اليمن إبان ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ، ثم هاجر من اليمن بعد فشل الثورة، وعاد إليه بعد ثورة ١٩٦٢م فعين وزيراً للمعارف، ثم نائباً للوزراء، ثم وزيراً للتوجيه والإعلام، لكنه ما لبث أن استقال واعتزل العمل، كتب شعراً ونثراً، من مؤلفاته المطبوعة: (الخدع الكبرى في السياسة)، و (مأساة واق الواق)، ومن دواوينه الشعرية: (صلاة في الجحيم)، و (ثورة الشعر)، اغتيل في (برط) عام ١٩٦٤م، ثم نقل منها إلى صنعاء ودفن بها. الأعلام ج٧ ص٩١، نزهة النظر لزبارة ج٢ ص٥٨٥، ومن الأدب اليمني لأحمد الشامي ص٥٤-٩٠.

وهـدمـتَ كـل عـقـيـدةٍ ممقـوتـةٍ … كـانـت تـظـل بـهـا الـعـقـول وتـزهـق

وبنيت حول البيت أو حول الهدى … حصنـاً بـأسـبـاب الـنـجـوم معلق

فـتـولّ يـا عـبـد الـعـزيـز عـزائـمـاً … من أمّــةٍ تهوى السمو وتعشق[1]

وهكـذا (كان لتوحيـد أجـزاء المملكة العربيـة السعودية صـدى كبيرا داخل الجزيـرة العربيـة وخارجها) [2] ومـا ذلك إلا لأن الجميع أدركـوا بأن توحيد هذا الوطن الكبير في دولة عصرية قوية يعتبر داعماً كبيراً للاستقرار السياسي الإقليمي والعربي والدولي، (فقد سجلت المملكة العربية السعودية بعد تحققه حضوراً عربياً ودولياً وعالمياً وأصبحت محط زيارات لقادة وسلاطين وأمراء بلدان كثيرة للإفادة من التجربة التي خاضهـا الملك عبد العزيز والاسترشاد برأيه، واستلهام النموذج الـذي وحـد به معظم أجزاء الجزيرة العربية) [3]، لأن نجاحه الكبير في بناء هذه الدولة وترسيخ وحدتها وتثبيت أمنها واستقرارها كان محل تقدير القريب والبعيد من عرب ومن غير العرب.

لذلك كثر مادحوه ومحبوه وتناولت سيرته الأقلام نثراً وشعرا.

- وفي السطـور التاليـة سنحاول اختيـار خمسة نماذج فقط مـن أقوال بعض

(١) الملـك عبـد العزيز في عيـون شعراء صحيفـة أم القرى ج٢ صـ٦٠٩-٦١١ جمع إسماعيل أبـو زعنونه من مطبوعـات دارة الملـك عبد العزيـز الرياض ١٤١٩، وقد نشرت هـذه القصيدة بصحيفـة أم القرى بالعدد (٧٨٧) في ١٠ ذي الحجة ١٣٥٨هـ.

(٢) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره الفكري والسياسي والاجتماعي، للسلمان، ص ٢٦.

(٣) آل سعود الدولة والموقف لعبد العزيز الكثيري ص٧٦، ط١ ١٤٢٣ دون ذكر مكان النشر.

الساسة والمفكرين العرب والغربيين:

- وقال عنه الكاتب النمساوي (د. فون وايزل مندوب شركة أويشتاين الألمانية حين زار جدة في أواخر سنة ١٣٤٥ هـ): (حسبي أن أقول بأني معجب بالملك عبد العزيز فقد خيل إليّ وأنا أحادثه أنني أمام (بسمرك) منشئ الوحدة الألمانية ولا أظنكم تخالون أني أبالغ في القول وإذا عرفتم أن ابن سعود قد نجح في تأليف إمبراطورية تفوق مساحتها مجموع مساحات: (ألمانيا) و (فرنسا) و (إيطاليا) معا بعد أن كان زعيما بسيطا) [(١)].

- ويقول عنه د. روبن بدول صاحب كتاب (الرحاله الغربيون في الجزيرة العربية): (الملك عبد العزيز أعظم شخص ظهر على مسرح الأحداث في الجزيرة العربية منذ ألف عام، إنه بطل محارب شجاع، وحاكم جريء، لقد كان إنساناً ذكياً محنكاً، كريم الخلق، لطيف المعشر، كريماً مضيافا) [(٢)].

- ويقول المستشرق المجري (جرمانوس) عن الملك عبد العزيز: (الملك الذي جرد سيفه في سبيل دينه وعقيدته، يجمع في طبيعته روح الحرب وروح السلم، لا يقاتل الناس، ولا يعتدي عليهم، وإنما يحارب الجهل، ويقاتل الجمود) [(٣)].

- ويقول عنه الأديب والمؤرخ اليمني: (زيد بن علي الوزير): (الملك عبد

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز للزركلي ج١ ص٣٠٣.

(٢) الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية ص٩١-٩٢ (بتصرف) للدكتور روبن بدول ترجمة عبد الله آدم نصيف توزيع دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٥.

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج٢ ص٧١٨.

العزيـز رجل يتحلـى بالطموح والحزم، كريم اليد، شجـاع الفكر، أخضع حكومات ثلاث لحكومة مركزية واحدة، وذوَّب قبائل نجد، وعشائر الحجاز في صلب مجتمع دولة لا مجتمع قبيلة) [1].

- ويقـول عنه سليمان شفيق باشـا الكمالي (متصرف عسير في أواخر العهد العثمـاني): (هذا الفوز العظيم الذي حصل عليه السلطان عبد العزيز بن سعود في مثل لمح البصر لا يجوز أن يحمل على قوة السيف وحدها، إن من يظن ذلك يدلُّ علـى سذاجة في التفكير، إن من طبع البشر عامـة وسكان الجزيرة العربية خاصة أن يقيمـوا وزناً عظيماً لمن كان صادقاً في قولـه موثوقاً في عمله) ...... إلى أن قال: (والناس لا يذعنون للضرب والبطش فقط، بل ينقادون أكثر من ذلك لما فيه حفظ مصالحهم البشرية المشروعة) [2].

تلكـم رؤى بعضـ المفكريـن العرب والغربيـين حول إنجاز الملـك عبد العزيز الوحدوي وتلكـم إشارات لبعض ملامح شخصية الملـك المؤسس رسمها عنه بعض الساسة وبعض المفكرين وإن لم تكن نقولاتنا كافية، إلا أن القليل يشير إلى الكثير.

---

(١) العلاقـات السعوديـة اليمنية لعبد الله القباع ص١٥١، (بتصرف) والقباع يحيل على كتاب للمفكر والمؤرخ اليمني: زيد بن علي الوزير بعنوان: (محاولة لفهم المشكلة اليمنية).

(٢) مذكـرات سليمان شفيق الكمالي ص٢٧ تحقيق محمد أحمد العقيلي ص٦٠٩-٦١١ من منشورات نادي أبها الأدبي ط١ ١٤٠٥هـ.

الحالة السياسية في اليمن وصراع الإمام يحيى مع العثمانيين

- كانت الأحوال السياسية في اليمن إبَّان ظهور الإمام (يحيى) على مسرح الأحداث شبيهة بالأحوال السياسية في بقية أقاليم الجزيرة العربية آنذاك فاليمن وهو إقليم كبير كان يضم أقاليم متعددة ومتصارعة قبل وصول الإمام يحيى إلى الحكم؛ فـ(يمن) أعلى يسيطر عليه العثمانيون وبعض سيطرة للأئمة (آل حميد الدين)، و (يمن أسفل) جزء منه يحتله الإنجليز ويمارس عليه أبشع أنواع الاستعمار، ولا يسلم هذا الجزء من مغازلة الإيطاليين المستعمرين للضفة الغربية من البحر الأحمر ولا من تدخلات الإنجليز المستعمرين للشطر الجنوبي من اليمن، وجزء من اليمن تحتله الفوضى والصراعات المذهبية فلا هو إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وقد جاء ظهور الإمام (يحيى) متزامناً مع ظهور الملك عبد العزيز (فقد توفي والده الإمام (محمد بن يحيى حميد الدين) في عام ١٣٢٢هـ ودفن في بلاد حاشد التي نقل إليها جثمانه من (قفلة عذر) [١] حيث كان يقيم بها) [٢] بعيداً عن العاصمة، فهو ما كان يستطيع السيطرة على صنعاء الواقعة تحت هيمنة

---

(١) قفلة عذر: قرية يمنية عامرة تقع في الشمال الشرقي من بلدة (شهارة) بمحافظة صعدة ويسكنها (آل البشاري) القادمون من (عنس) اليمنية. انظر: كتاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٣ ص١٦٩٣.

(٢) المقتطف من تاريخ اليمن ص٢٨٩، وانظر أئمة اليمن في القرن الرابع عشر للهجرة لمحمد محمد زباره ص٦٣٩ وما بعدها.

العثمانيين، ولا يستطيع بسط نفوذه على سائر تراب اليمن الممزق في ذلك الوقت، وبعد دفن والده بويع الإمام (يحيى) إماما لليمن ، فبدأ يبث رسله في أنحاء اليمن فاجتمعت إليه الوفود من كل مكان ولبى دعوته الزعماء، والعلماء، وأهل الرأي، وقادة القبائل فزحف بهم على صنعاء بعد أن صاول العثمانيين في أقاليم أخرى وتم حصار صنعاء فزادت على أهلها البلوى فكتبوا إلى الإمام يطالبونه بالصلح مع العثمانيين فصالحهم وحين خرجوا من صنعاء تنفس الإمام (يحيى) الصعداء وبدأ في بعض عمليات الإصلاح ومحاولة إعادة الطمأنينة إلى قلوب الشعب ولكنهم هاجموه بقوات هائلة تجمعت من سائر أقاليم اليمن وهجمت على صنعاء فاضطر الإمام يحيى إلى إخلائها وانتقل إلى بلاد (حاشد)، وضل الصراع بين الإمام يحيى والعثمانيين على أشده حتى عام ١٣٢٩هـ حيث تم توقيع صلح (دعَّان) [١] الذي خرجت بموجبه قواتهم من العاصمة صنعاء فدخلها الإمام يحيى دخول الفاتحين وضلت مناوشاته معهم في أقاليم أخرى من اليمن، ومع الاستعمار الإنجليزي في جنوب اليمن حتى انتهت الحرب العالمية العظمى فكان بانتهائها خروج العثمانيين النهائي من اليمن في عام ١٣٣٦هـ [٢]، بل ومن سائر أقاليم الجزيرة العربية، وكانت أقاليم الجزيرة حين خروجها قد أصبحت مقطعة الأوصال شأنها في ذلك شأن سائر الأقاليم العربية فصفت للإمام (يحيى) الأحوال في اليمن الأعلى وبدأ

(١) دعان: بلدة عامرة بأعلى جبل دعان سميت باسمه وكانت حين تم توقيع المعاهدة بين الإمام يحيى والأتراك تتألف من مائة بيت. انظر : تاريخ اليمن للواسعي ص٣٢٠.

(٢) تاريخ اليمن للواسعي ص٣٣٠.

يمـد يديه إلى بعض بلدان تهامـة ولم تسلم من اعتداءاتهـم بعض مدن (جازان) المحـادة لتهامـة اليمـن التي أصبحت تحت حمايـة الملك عبد العزيـز في آخر أيام حكم الأدارسة، فبدأ صدامه حينئذ مع الملك عبد العزيز ومع الدولة السعودية بعد أن أصبحـت المنطقة جزءاً من بلادها – كما سيأتـي بيانه –، وفي السطور التالية تلخيـص موجز لأهم الأحداث السياسية التـي واكبت بداية حكم الإمام (يحيى) منـذ عام ١٣٢٢هـ وحتى عـام ١٣٤٥هـ وهو العام الذي بـدأت فيه اتصالات الإمام يحيى بالملك عبد العزيز.

الإمام يحيى حميد الدين وبعض جهوده في مقاومة قوات العثمانيين في اليمن

سبقت الإشارة إلى بعض الأحوال السياسية في اليمن إبّان بداية عهد الإمام (يحيى بن محمد حميد الدين) وألمحنا أنه حين بويع بالإمامة بعد وفاة والده في عام ١٣٢٢هـ كانت أمامه مهام كثيرة لابد من تجاوزها حتى يتمكن من بسط نفوذه على أكبر قدر ممكن من بلاد اليمن؛ فالعثمانيون برغم ضعفهم يسيطرون على سهوله وجباله، والإنجليز يسيطرون على الجزء الجنوبي منه، ويهددون بعض الأراضي التابعة للإمام بالإضافة إلى ما يعانيه اليمن من الجدب (وغلاء الأسعار الذي بلغت فيه الأحوال سوءاً حتى أن الصديق كان يرى صديقه يموت جوعاً فلا يلتفت إليه) [1].

وكانت أولى مهام الإمام هي العودة إلى العاصمة صنعاء، فقد قام في العام ١٣٢٢هـ بمحاصرة القوات العثمانية فيها فترة، ضاق بها المواطنون وذلك بسبب المجاعات وبسبب عوامل أخرى (ولما اشتد الحصار على صنعاء خرج منها بعض كبار القادة العثمانيين قاصدين بلدة (كوكبان) مع بعض الوسطاء لتسليم صنعاء للإمام يحيى، وقد تم التسليم بشروط وافق عليها الإمام ومن تلك الشروط بقاء الأسلحة والذخائر فيها فأرسل الإمام يحيى (قريبه) العلامة: (أحمد بن قاسم بن حميد الدين) لاستلامها) [2].

---

(١) تاريخ اليمن للواسعي ص٣٠٢.

(٢) المصدر السابق ص٣٠٣-٣٠٤.

- وفي عام ١٣٢٣هـ دخل الإمام يحيى إلى مدينة صنعاء فوجدها خراباً بعد أن غادرها كثير من أهلها فلما علموا بدخول الإمام يحيى عاد بعضهم، غير أن الإمام يحيى قد واجه خصماً آخر (فقد حصل للقبائل التكبر والعناد والعتو والفساد) [١]، وأخذوا يضايقون الولاة العثمانيين في بعض بلدان اليمن، وقد اشتبكوا مع الوالي (أحمد فيضي) فخاض معهم معارك كثيرة (وحين وصلت جيوشه إلى جبل (عصر) المقابل لمدينة (صنعاء) اشتد الصراع وذهبت نفوس كثيرة فانسحب الإمام يحيى بمن معه من صنعاء خوفاً على أهلها، وخشية من زيادة الخراب، فدخلها الوالي العثماني وأعلن العفو العام ففرح الناس وخمدت الفتن بعد أن هلك من أهل صنعاء ما يقدر بالنصف) [٢].

- (وفي عام ١٣٢٤هـ حصلت معركتان شديدتان في قريتي: (الحمودي)، و (الأشمور) شمال صنعاء) [٣].

- (وفي عام ١٣٢٥هـ وقعت معركة بين العرب والقوات العثمانية في (خولان)، كما وقعت معركة مماثلة في (البيضاء)، وكذلك حصلت معارك أخرى في: (الحيمة)، و (بلاد آنس)، و (ذمار) وهكذا ضلت الحروب والفتن قائمة والمظالم ثائرة من الولاة والمأمورين العثمانيين بسبب مقاومة اليمنيين) [٤]، وفي هذا العام

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٤.

(٢) تاريخ اليمن للواسعي ص٣٠٤.

(٣) المصدر السابق ص٣٠٥.

(٤) المصدر والصفحة نفسهما.

نفسه ١٣٢٥هـ أرسل السلطان العثماني وفداً من علماء (مكة) إلى الإمام (يحيى) يطالبونه بالمصالحة والكف عن القتال فأجابهم الإمام إلى ذلك)[١].

- (وفي عام ١٣٢٦هـ كانت الأحوال في اليمن هادئة عدا بعض المناوشات في بعض الجهات واستمر الوضع كذلك في عام ١٣٢٧هـ عدا بعض الأحداث الجانبية)[٢].

- وفي عام ١٣٢٨هـ وصل إلى اليمن والياً عثمانياً جديداً هو ((محمد علي باشا) وكان فظاً غليظاً متكبراً، فعامل الناس بالشدة والقسوة، لأنه كان يرى أن اليمن لا يصلح إلا بالشدة والقسوة فأخذ يحبس هذا ويضرب ذاك وبخاصة من له علاقة بالإمام (يحيى))[٣].

- (وفي عام ١٣٢٩هـ توالت المظالم من الوالي العثماني الجديد فقامت معركة في (شعوب)، ومعارك في أماكن متفرقة من اليمن فهزم جيش العثمانيين في معركة (شعوب) وولوا هاربين إلى صنعاء، وفي (الحديده) شبت بعض المعارك وكذلك في الشمال الغربي من (عمران) ولم تهدأ الأمور إلا بعد صلح (دعّان) الذي تم في سنة ١٣٢٩هـ حيث وصل إلى اليمن الوالي العثماني (أحمد عزت باشا) على رأس قوة كبيرة، ففك الحصار عن صنعاء وسعى في عقد الصلح الذي سمي بصلح (دعّان))[٤].

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٦-٣١٠.

(٢) المصدر السابق ص٣١١.

(٣) المصدر السابق ص٣١٤-٣١٥، وانظر: المقتطف من أخبار اليمن للجرافي ص٢٩٤.

(٤) تاريخ اليمن للواسعي ص٣١٦-٣١٧، وانظر المقتطف ص٢٩٤.

- وفي عـام ١٣٣٣هـ بدأت مواجهـات الإمام يحيى والأتـراك مع الإنجليز في الجنوب وانتهت بمعاهدة (لحج) [١].

- وفي عام ١٣٣٦هـ تم جلاء العثمانيين من اليمن [٢].

- وفي عـام ١٣٤٥هـ بـدأت الاتصالات بـين الملك (عبـد العزيـز) والإمام (يحيـى) بعـد أن أصبـح المخـلاف السليمـاني التابـع للأدارسـة آنـذاك تحـت حمايـة الملـك (عبـد العزيـز)، فقـد أرسـل الملـك (عبـد العزيـز) إلى الإمام يحيـى وفـداً مكونـاً من (سعيـد بن مشيـط) [٣] و (عبـد الوهاب أبـو ملحة) [٤]

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٩-٣٣٠.

(٢) المصدر السابق ص٣٣٠-٣٣١، وانظر: المقتطف ص٢٩٧.

(٣) سعيـد بـن عبـد العزيز بن مشيـط: (.... - ....): هو شيخ شمـل قبائل شهران آنـذاك التي يطلق عليها (شهران العريضة) وهي أسرة مشهورة، جدهم: مشيط بن حسين، كان ممن ناصر الدولة السعودية الأولى وممن أقبل على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث وفد مع من وفدوا على (الدرعية) من أجل طلب العلـم، عرفـت هذه الأسرة بالمثل الرفيعة وكان لها قصب السبـق في نصرة أئمة آل سعود قديماً وحديثاً وما زالـوا يحتلون مركز الصدارة ويحضون برعاية الدولة السعودية لهم، فهم حالياً محافظ محافظة (خميس مشيـط) ومنهـم أعلام يقصـدون خدمة وطنهم. انظـر شيئاً عـن آل مشيط: في تاريخ عسـير في الماضي والحاضـر لهاشم النعمي ص٣٠٥ وما بعدها. وفي كتاب من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي تحقيق عبد الله أبو داهش ص١٣١، وكتاب قبيلة شهران بين الماضي والحاضر لعبد الكريم عائض ص٤٠-٤٣.

(٤) عبد الوهاب أبو ملحه: الشيخ عبد الوهاب بن محمد أبو ملحه (.... – ١٣٧٤هـ): ينتمي إلى أسرة آل أبو ملحـه المشهـورة في منطقة الجنوب، وهو أحد وجهاء منطقة عسير ومن كبار الشخصيات البارزة في المملكة وهـو ممـن ساهموا بإخلاص وتضحية في حـروب تأسيس المملكة العربيـة السعودية واستتبـاب الاستقرار بهـا، كما ساهم في معـارك التنمية الوطنية وكان من أخلص رجال الملك عبـد العزيز، شغل بعض المناصب المهمـة ومنها: منصـب الرئيس العام لجميع ماليات منطقة عسير وتوابعهـا، وقد عرف بالأمانة، والنزاهة، والاستقامـة، والشهامـة، وروح التضحية والشجاعة، شـارك مندوباً عن المملكـة في المفاوضات السعودية=

و (تركـي الماضـي)[1] فوصلـوا صنعاء في اليوم الثالث مـن شهر ذي الحجة عام ١٣٤٥هـ وكان الهـدف من الوفـادة تقرير الحدود بين البلديـن [2]، وفي هذا العام نفسـه وصـل إلى اليمن (أحمد زكي باشا) يرافقه (نبيه العظمة) للسعي في عقد إتفاق بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى [3].

ثـم توالت الأحداث بعد ذلك، مـع الإنجليز تارة، ومع مناوئيه في الداخل تارة أخرى، ومع المحادين له تارات وتارات، ولم يصف له الجو إلا أياماً يسيرة ثم ختمت حياته بأن قتل غيلة من بعض المقربين إليه في عام ١٣٦٧هـ[4].

وإذاً فقد كان قيام الملك عبد العزيز بتوحيد كثير من أقاليم الجزيرة العربية، متزامناً مع بداية عهد الإمام يحيى وصراعه لتثبيت حكمه في إقليم اليمن[5] وكانت

= اليمنيـة توفي عـام ١٣٧٤هـ. انظر كتاب الأدارسة في تهامة لعبـد الله العمودي ص٣٤١-٣٤٧، تحقيق عبد الله أبـو داهش مطابع مازن ١٤١٤هـ. وانظر صحيفـة أم القرى العدد ٥٦٠ الصادر بتاريخ ١٣/١/١٣٧٤هـ. وانظر تاريخ عسير للنعمي ص٢٦١.

(١) هو الشيخ تركي بن محمد بن تركي الماضي: (١٣٢٢-١٣٨٥هـ): ولد بروضة (سدير) وتلقى مبادئ العلوم علـى بعض علماء بلدته وفي عام ١٣٤٢هـ التحق بالخدمة الحكومية، حيث عمل كاتباً لأمير عسير (عبدالله إبراهيـم العسكـر) وتوالـت بعد ذلـك المهمات الوطنية التـي قام بها ومـن أهمها: اختياره عضـواً في وفد المفاوضـات مـع اليمن عام ١٣٤٥هـ كما عمل أميراً لمنطقة (غامد وزهران)، وأميراً لمنطقة نجران، وأميراً لمقاطعـة أبهـا، كان من رجال الملك عبد العزيز ومن ذوي الهمـم العالية توفي ببيروت أثناء رحلة علاجية في عام ١٣٨٥هـ. انظر ترجمته على غلاف كتابه: (من مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية) تحقيق ابنه د. فهد بن تركي الماضي، طبع دار الشبل بالرياض ١٤١٧هـ.

(٢) المقتطف من أخبار اليمن للجرافي ص٣٠٧.

(٣) تاريخ اليمن للواسعي ص٣٣٩.

(٤) المقتطف ص٣٢٧-٣٣٠.

(٥) انظر المقتطف من تاريخ اليمن للجرافي الصفحات ٢٨٩-٢٩٥.

أقاليم الجزيرة العربية كلها تعاني من التمزق والانقسامات، وكانت الأحوال الأمنية في كثير مـن بلدانها متردية؛ (فالقبائل في غارات مستمرة، يقاتل بعضها بعضاً لا يستقر لها حال ولا يهدأ لها بال، والدماء تسفك لأتفه الأسباب) [1].

وهكـذا فقـد كانت الأحـوال حين استرد الملـك عبد العزيز مدينـة الرياض؛ متردية، بل كانـت محرضة له على بذل أقصى الجهـود لتجاوزها، فانطلق البطل نحـو تحقيق أهدافه بعزيمة القائد المؤمن الـذي لا تثنيه الصعوبات، ولا تقف أمام إصراره العقبات.

---

(١) الملك عبد العزيز وملحمة البناء للشريف محمد بن علي بن عقيل الحسني ص٢٤، طبع مؤسسة دار الريحا ني للطبع والنشر ١٤١٩.

الملك عبد العزيز وبدايات التواصل مع الإمام يحيى

بـدأ الملك عبد العزيز مبكراً بالاتصالات مع جـيران بلاده بحثاً عن السلام، وكان أول اتصـال لـه في هذا الشـأن يتمثل في خطابه الذي وجهـه في عام ١٣٣٢هـ حينمـا شـب لهيب الحـرب العالميـة الأولى فكتب لجيرانـه آنذاك: (ابـن رشيد، والحسـين بن علي، ومبـارك الصباح) يقول: (أرى وقـد وقعت الحرب أن نجتمع للمذاكـرة عسـى أن نتفـق على ما ينقذ العرب مـن أهوالها) [١]، أمـا أول اتصال باليمـن الشقيق فقـد تم حينما دخلت منطقة عسير ضمن مناطـق المملكة العربية السعوديـة في عـام ١٣٤٠هـ حيث بـدأ الملك عبـد العزيز يتلمس السبـل للاتصال بإمام اليمن: (يحيى آل حميد الدين)، ثم تأكد التواصل بين البلدين حينما دخل المخلاف السليماني تحت حمايته وذلك بعد توقيع اتفاقية مكة في عام ١٣٤٥هـ بينه وبـين حاكم المخـلاف السليماني آنـذاك (الحسن الإدريسـي) فأرسل الملك عبد العزيـز في ذلك العام وفداً إلى صنعاء يضم: (سعيد بن مشيط، وعبد الوهاب أبو ملحـة، وتركي الماضـي) ويهدف الوفد إلى إشعار إمام اليمـن بما تضمنته اتفاقية مكة وإلى (تقرير الحدود بين البلدين ومد جسور الصداقة وحسن الجوار وتوطيد العلاقـات مـع إمام اليمن، وحمـل الوفد هدايا تعبـيرا عن حسن النوايـا) [٢] ثم تضاعفت الاتصالات بعد أن انضمت منطقة جازان إلى بقية مناطق المملكة العربية

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ص٢١٦.

(٢) تاريـخ اليمـن لعبد الواسع بن يحيى الواسعي، ص٣٣٩، الـدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ وانظر مجلة دراسات تأريخية العددان (٧١-٧٢) ص ١٥٩.

السعودية واستمرت تلك المفاوضات حتى انتهت مشكلة الحدود مع اليمن بتوقيع معاهدة الطائف في عام ١٣٥٣هـ تلك الاتفاقية التي باركتها غالبية الدول العربية، وأثنى عليها عدد كبير من الساسة والباحثين كما أثنوا على جهود الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود: (١٣١٩-١٣٧٣) وجهود الإمام (يحيى بن محمد حميد الدين (١٣٢٢-١٣٦٧)) في إتمام تلك المعاهدة وحرصهما على حسن الجوار. وبرغم ما لمعاهدة الطائف من أهمية كبيرة للبلدين إن أنه لم يتم التوقيع عليها إلا بعد مفاوضات ماراثونية طويلة انتهت بصدام مسلح بين البلدين سعت إلى تأجيجه الدول العظمى وفي مقدمتها بريطانيا (التي كانت تحاول باستمرار جر البلدين إلى أتون الحرب وإثارة النزاع بين الإمام يحيى وبين ابن سعود؛ حيث كانوا يعرضون على كل واحد منهما على حدة إمداده بالسلاح ليضرب الآخر)[1] ثم حسمته تلك الاتفاقية المباركة بفضل الله ثم بحرص الزعيمين الكبيرين الإمام (يحيى) والملك (عبد العزيز) وإن كان حرص الملك السعودي على تلك الاتفاقية شديداً، وقبوله بها أسرع، وكان قبل أن يُسْلم روحه إلى بارئها قد أعد جيلاً قيادياً غرس فيهم الحرص على حسن الجوار وأوصاهم بمواصلة المسيرة المباركة، ويأتي في مقدمتهم أبناؤه الملوك (سعود)، و(فيصل)، و(خالد)، و(فهد)، و(عبدالله) الذين

---

(١) مذكرات دبلوماسي في اليمن لـ: (ج. إنكارين) ص١٧٧، ترجمة د. محمد قائد طربوش ومحمد إسماعيل سليمان مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٣م، و(إنكارين: اسم مستعار لدبلوماسي روسي في اليمن اسمه الحقيقي ج. استاخوف. (انظر مقدمة المترجمين)).

أكملوا مسيرة البناء وتعاونوا مع جيران بلادهم على تأكيد التقارب والتواصل، وتذليل العقبات التي قد تعيق حسن الجوار.

ولأننا في هذا الفصل معنيون بالحديث عن التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية فسيكون كلامنا حول تعاون ملوك المملكة العربية السعودية مع أئمة ورؤساء اليمن في هذا الجانب فلقد تعاون كل ملك منهم مع من عاصره من ملوك أو رؤساء الجوار وحسبنا أن نشير في السطور الآتية إلى أسماء ملوك المملكة العربية السعودية ومن عاصرهم من ملوك ورؤساء اليمن وهم:

١- الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (مؤسس المملكة العربية السعودية) (١٣١٩-١٣٧٣هـ) وعاصر الإمام يحيى بن محمد حميد الدين (إمام اليمن) (١٣٢٢-١٣٦٧هـ)

٢- الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية[1]: (١٣٧٣-١٣٨٤)

---

(١) الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود: (١٣١٩-١٣٨٨هـ): الابن الثاني من أبناء الملك عبد العزيز وأول ملوك المملكة العربية السعودية بعد والده المؤسس، ولد بالكويت، ونشأ بالرياض، وقرأ على مشائخها، وتعهده والده بتربية دينية، وسياسية وعسكرية، وولاه قيادة بعض الجيوش التي شارك بها في حصار حائل، كما قاد جيشاً في حرب اليمن، وعينه قائداً أعلى للجيش، شارك في حروب تأسيس المملكة مع والده وولي العهد لوالده في عام ١٣٥٢هـ ولما توفي أبوه الملك عبد العزيز في عام ١٣٧٣هـ تولى الملك حين وفاة أبيه، وقد شهدت المملكة العربية السعودية في عهده نهضة تعليمية وتنموية جيدة فأنشئت في عهده عدد من المدارس والمستشفيات والطرق كما أنشئت في عهده أول جامعة في شبه الجزيرة هي جامعة الملك سعود، وفي عهده تم نقل الوزارات إلى الرياض فازدهرت مدينة الرياض عمرانياً، ومن أبرز إنجازاته توسعة المسجد النبوي وتوسعة الحرم المكي الشريف كان متبعاً لنهج والده في البناء والتنمية والتحديث وفي عام ١٣٨٤هـ اجتمع كبار أمراء البيت السعودي وبعض علماء البلاد فأصدروا قراراً بتولية ولي عهده، أخوه الملك فيصل، لعجز الملك سعود عن=

وعاصر الإمام أحمد ابن يحيى حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية: (١٣٦٧-١٣٨٢) [1]، كما عاصر الملك سعود الإمام محمد بن أحمد حميد الدين الملقب: بـ (البدر) (١٣٤٧-١٤١٧هـ) [2]. وهو آخر أئمة اليمن، خلف والده بعد وفاته وبويع

= القيام بأعباء الحكم وذلك بسبب مرضه، فرحل إلى اليونان وأقام بها حتى توفي سنة ١٣٨٨هـ ونقل جثمانه إلى المملكة حيث صلي عليه في الحرم المكي ودفن بالرياض. الأعلام ج٣ ص٩٠، وانظر كتاب: توحيد المملكة العربية السعودية للسلمان ص٩٦.

(١) الإمام أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين: (١٣١٣-١٣٨٢هـ): الابن الثاني لإمام اليمن: (يحيى)، ولد بهجرة الغراس في الأهنوم، ونشأ في حجر جده (المنصور)، وتفقه على يديه، ثم قرأ الحديث والمصطلح والأدب، وعمل نظماً في الأحاديث المسلسلة، أرسله والده إلى (كحلان) مع آخرين لتلقي العلم على القاضي (إسحاق بن عبد الله المجاهد)، وصف الإمام أحمد بأنه كان عالماً كريماً شجاعاً مقداماً، ولاه والده الحكم في (شهارة) في سن مبكرة وذلك سنة ١٣٣٥هـ، وتولى ولاية العهد بعد وفاة أخيه الأكبر (محمد)، وهو أول من حمل هذا اللقب من أبناء أئمة اليمن، وفي عام ١٣٥٢هـ قاد حملة يمنية للاستيلاء على نجران، فأمر الملك عبد العزيز ولي عهده: الملك سعود بقيادة فرقة من الجيش السعودي، استطاعت دحر القوات اليمنية واستعادة نجران والتوغل إلى مشارف (صعده)، بويع الإمام أحمد إماماً لليمن في عام ١٣٦٧هـ بعد قضائه على الثوار الذين قتلوا والده وأعلنوا حكومة دستورية، فلقب بـ (الناصر لدين الله)، قامت في عهده بعض المشاريع التنموية ومنها: تعبيد الطرق بين صنعاء وتعز والحديدة، وإنشاء ميناء الحديدة، كما أنشأ بعض السفارات في الخارج. توفي عام ١٣٨٢هـ بتعز ودفن بصنعاء. الأعلام ج١ ص٢٧١، وانظر ترجمته في عدد من المؤلفات اليمنية.

(٢) الإمام البدر: محمد بن أحمد بن يحيى حميد الدين (١٣٤٧-١٤١٧هـ) ولد بمدينة حجة ونشأ وتلقى تعليمه بها وفي عام ١٣٧٥هـ بويع ولياً للعهد، أرسله والده في مهمات وسفارات متعددة، حضر مع والده توقيع حلف جده مع الملك عبد العزيز والرئيس جمال عبد الناصر، ثم زار مصر، وسوريا وبلدان عربية أخرى كما زار الصين والاتحاد السوفيتي وعقد معه اتفاقيات، بويع إماماً لليمن بعد وفاة والده (الإمام أحمد) وفي ١٦ ربيع الأول من عام ١٣٨٢هـ وبعد أقل من أسبوع أطاحت به ثورة السادس والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٦٢م في انقلاب عسكري حاول (الإمام البدر) مقاومته وبعد قتال عنيف تمكن من مغادرة قصره ومغادرة صنعاء إلى شمال اليمن وهناك جمع بعض الأنصار وأخذ يقاوم جيوش الثائرين المدعومة بجيش=

بالإمامــة إلا أنه أطيح بــه قبل أقل من أسبوع على تنصيبــه ملكاً بانقلاب عسكري أعلن خلاله قيام الجمهورية العربية اليمنية في ١٦/٤/١٣٨٢هـ.

٣- الملك فيصــل بن عبد العزيز ملك المملكة العربيــة السعودية[١]: (١٣٨٤-

=من مصر يتمتع بغطاء جوي وأسلحة حديثة وقد استمرت المقاومة بين كر وفر أكثر من خمس سنوات عقد في أواخرهــا مؤتمر حرضــ عام ١٣٨٨هـ الذي انتهى بالمصالحة بين الملكيــين والجمهوريين فانسحب الإمام البدر من اليمن مغاضباً واستقر في ضاحية من ضواحي لندن وعاش في منفاه حتى توفي عام ١٤١٧هـ. انظر الموسوعــة اليمنية ج١ ص٤٨١-٤٨٥، ط٢ من منشورات مؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٤٢٣هـ.

(١) الملــك فيصل بــن عبد العزيز بن عبد الرحمــن الفيصل آل سعود: (١٣٢٤-١٣٩٥هــ): النجل الثالث من أنجال الملك عبد العزيز، ولد في مدينة الرياض في اليوم الرابع عشر من شهر صفر عام ١٣٢٤هـ، وهو اليوم الــذي انتصــر فيه والده في معركة (روضة مهنا) الكبــيرة المشهورة على ابن رشيد، تلقى عدداً من العلوم والمعارف بعد أن حفظ القرآن الكريم، وقرأ بعض التفاسير في صغره، نشأ محباً للفروسية ومكارم الأخلاق، وكان يحب الشعر ويتذوقه ويقوله، يقول الزركلي: (وصفه أحدهم بأنه كان رجلاً كله جِدٌّ في وداعة، وتواضع في ترفــع، يعمل لمواجهة مــا يضمره المستقبل مع الإيمان به، طويل الصبر والحلــم والأناة دون أن يستكين أو يتــواكل، يقــف في شهامة إلى جانب الحق حيثما كان، شارك الملــك فيصل مع والده في بعض المعارك وهو في ســن مبكرة، وقاد بعض الحمــلات العسكرية الكبيرة، وبعض المعارك المهمة، ومنها: الحملة التي استعاد بها المــدن السعوديــة الحدودية مع اليمن، واستطاع التوغل داخل الأراضــي اليمنية، مما عجل بتوقيع (معاهدة الطائــف) بــين البلدين، وقد أهلته إمكاناته القيادية من أن يعينه والده نائباً له على الحجاز في سن مبكرة، فــكان ذلك وسيلة لزيادة خبرتــه بالأمور السياسية والإدارية، انتدبه والده لزيــارة عدد من الدول الأوروبية ومنها: (بريطانيا) و(بلجيكا) و(فرنسا) وهو في سن الرابعة عشرة من عمره، وقد تقلد مناصب مهمة في حيــاة والــده ومنها: رئاسة مجلس الشــورى، كما تــولى وزارة الخارجية فور إنشائهــا، ورأس وفد المملكة العربيــة السعوديــة في مؤتمر المائــدة المستديرة بلندن في عــام ١٩٣٩م، كما رأس وفدهــا ومثلها في التوقيع علــى ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، وفي عام ١٣٧٣هـ صــدر الأمر الملكي بتأسيس مجلس الوزراء واختير نائبــاً لرئيســه، بويع ملكاً للمملكة العربية السعودية في عام ١٣٨٤هـ، فــكان من أولويات اهتماماته استكمال تنمية الوطن فدعــم المشاريع الزراعية واعتنى بالمشاريع الخدمية والصناعية، كما اهتم بالتعليم وتوسعة=

١٣٩٥) وعاصـر عهـد الرئيس اليمني عبد الله بن يحيى بـن محمد السلال رئيس الجمهوريـة العربية اليمنية[١]: (١٣٨٢-١٣٨٧) كماعاصر الملك فيصل فترة حكم

=قاعدته، واهتم بتعليم المرأة، وهكذا تواصلت في عهده جهود التنمية والتطوير والتحديث في مختلف شئون الحيـاة، ففـي عهده شهدت المملكة إنجـازات مهمة ومنها: التوسع في مشروعات الطـرق وبعض المشروعات الصناعيـة، وفي عهده أنشئـت أول محطة لتحلية المياه، كما أنشئت عدد من المشاريع الصناعية، وأنشئت في عهده جامعة الملك عبد العزيز بجده، وكلية الملك فيصل الجوية، وميناء جده الإسلامي العملاق، إلى جانب عـدد من المشاريع التنموية الكـبرى، حيث شهد الوطن في عهده أول الخطـط الخمسية التنموية، وفي عهده أصبحـت للمملكة شخصيتهـا القيادية على مستوى العالم الإسلامي، حيث أنشئـت رابطة العالم الإسلامي بمكـة المكرمة، وقـاد الدعوة إلى التضامن الإسلامـي. توفي شهيداً في عام ١٣٩٥هـ. الأعلام ج٥ ص١٦٦-١٦٨وغيره.

(١) الرئيـس اليمني: عبد الله بن يحيى بن محمد السـلال: (١٣٣٧-١٤١٤هـ): زعيم سياسي يمني ثائر، ولد بقريـة (شعسـان) في ناحيـة (سنحان) بمحافظة صنعـاء، ونشأ في أسرة فقيرة، تـوفي والده وهو في سن السابعـة، فألحق بمدرسة دار الأيتام، واستمر فيها سبع سنوات، ثم التحق بمدرسة الحديدة الثانوية العليا، ثـم ابتعـث مع آخرين في أول بعثـة دراسية إلى العراق للدراسة العسكرية، فدرس بمدرسة الإشارة ببغداد، وتخـرج منها في عـام ١٣٥٧هـ برتبة ملازم، عاد بعدهـا إلى اليمن فساهم في ثـورة الدستور عام ١٣٦٧هـ، وبعد القضاء على زعماء الثورة بقي السلال في السجن سبع سنوات، حيث خرج من السجن في عام ١٣٧٤هـ فعـين أمـيراً لحرس ولي العهد الأمير محمد البـدر، إلى جانب عمله في كلية الطيران، غـير أنه أقصي من عملـه ثـم أوكل إليه إدارة ميناء الحديدة، وبعد مدة أعيـد إلى حراسة ولي العهد، وكان على اتصال بتنظيم (الضبـاط الأحـرار)، مع أنه لم يكن عضواً فيه، تم اختياره قائـداً للثورة التي أطاحت بالنظام الإمامي في اليمـن، وذلك عـام ١٣٨٢هـ حيث أصبح أول رئيس للجمهورية العربية اليمنية، وشهد عهده صراعات عنيفة مـع الملكيـين بقيادة الإمام البدر، وفي عام ١٣٨٧هـ توجه إلى العراق، وأثنـاء تواجده بالعراق أعلن في اليمن عن قيام انقلاب أبيض على حكمه، بعد أن لوحظ عليه تسليم مقاليد الأمور للمصريين، فظل السلال لاجئاً سياسياً حتى سمح له بالعودة إلى اليمن في عهد الرئيس علي عبد الله صالح، فأقام بصنعاء حتى توفي سنة ١٤١٤هـ. انظر ترجمته في الموسوعة اليمنية ج٣ ص١٦٠٧-١٦١٠، وفي موقع الدكتور عبد الولي الشميري على الشبكة العنكبوتية وغيرها.

الرئيس اليمني: عبد الرحمن الإرياني[1]: (١٣٨٧-١٣٩٤)، وجزءاً يسيراً من عهد الرئيس اليمني: إبراهيم الحمدي: (١٣٩٤-١٣٩٧).

٤-الملـك خالد بن عبـد العزيز ملك المملكـة العربية السعوديـة[2]: (١٣٩٥-

(١) الرئيس اليمني العلامة: عبد الرحمن بن يحيى الإرياني (١٣٢٨-١٤١٨هـ): عالم، وأديب، وسياسي، وشاعر مجيد، ومحقق دقيق، ولد في بلدة (إريان) في محافظة (إب)، ونشأ في أسرة علمية، ولي القضاء في بلدة (النادرة)، وعين حاكماً في بلدة (العدين) بمحافظة (إب)، وهو أحد مؤسسي جمعية الإصلاح، رشح في حكومة الدستور التي أطاحت بالإمام (يحيى) لمنصب أمين سر مجلس الشورى، ثم اعتقل بعد سقوط حكومة (الدستور)، وبعد خروجه من الاعتقال شارك في أخذ بيعة ولاية العهد للإمام (البدر)، فعين نائباً لرئيس الهيئة الشرعية (بتعز)، وشغل منصب مستشار للإمام (أحمد)، ثم وزيراً للدولة، وحين قامت ثورة عام ١٩٦٢م ولي منصب وزير العدل، ثم عين عضواً في مجلس رئاسة الجمهورية، ثم رئيساً لمجلس الوزراء، وفي عام ١٣٨٧هـ تولى رئاسة الجمهورية، وظل رئيساً لليمن حتى حصل الانقلاب الأبيض سنة ١٣٩٤هـ، فرحل إلى سوريا وظل بها لاجئاً حتى سنة ١٤١٦هـ، حيث عاد إلى اليمن وبقي بها فترة قصيرة، ثم عاد إلى سوريا فأقام بها حتى توفي سنة ١٤١٨هـ، له مؤلفات، وتحقيقات كثيرة، من أهمها: (الشريعة المتوكلية والقضاء في اليمن)، و(ملحمة من سجون حجة)، ومن تحقيقاته: تحقيق ديوان (عمارة الحكمي) بالاشتراك، وغيرها. انظر ترجمته في (نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر) لزبارة ج١ ص٣٥٤-٣٥٥، وفي كتاب: (رياح التغيير في اليمن) للشامي ص٤٩٠، ٤٩١، وفي كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) للأكوع ج١ ص٩٥ وغيرها.

(٢) الملك خالد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل: (١٣٣١-١٤٠٢هـ): النجل الرابع للملك عبد العزيز، ولد بمدينة الرياض ونشأ بها، بويع ملكاً للمملكة العربية السعودية بعد مقتل أخيه الملك فيصل بن عبد العزيز سنة ١٣٩٥هـ، وفي عهده شهدت البلاد قفزات تنموية كبرى، حيث نمت القطاعات الإنتاجية بمعدلات كبيرة جداً، ووظفت الموارد الوطنية لخدمة المواطن ورفاهيته، فتطور التعليم، وتطورت وسائل الاتصال والمواصلات، ووسائل الزراعة، والصناعة وتطور العمران والبناء، وأثمرت خطط المملكة في عهده لتحقق المملكة المرتبة الأولى بين دول العالم الثالث، وفي عهده أنشئ مجلس التعاون الخليجي، وفي عهده تعززت مكانة المملكة الإقليمية والدولية. توفي رحمه الله سنة ١٤٠٢هـ. فتولى الحكم بعده ولي عهده: الملك فهد بن عبد العزيز. انظر ترجمته في كتاب المملكة العربية السعودية مسيرة البناء ص٢٠-٢١، وغيره.

١٤٠٢) وعاصر عهد الرئيس اليمني: إبراهيم الحمدي[1]: (١٣٩٤-١٣٩٧)، وجزءاً من عهد الرئيس اليمني: علي عبد الله صالح: (١٣٩٨-....).

٥- الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية[2]: (١٤٠٢-

---

(١) الرئيس اليمني: إبراهيم بن محمد بن صالح بن مسلم الحمدي: (١٣٦٢-١٣٩٧هـ) ولد في مدينة (قعطبة) في محافظة (الضالع)، وتوفي مقتولاً في مدينة (صنعاء)، زعيم سياسي، وقائد عسكري، تربى في كنف أبيه، ودرس عليه وعلى عدد من العلماء في الفقه وأصوله، وفي الفرائض وغيرها من العلوم، ورحل إلى مدينة (ذمار) فتلقى فيها مبادئ العلوم، وأكمل دراسته بصنعاء، والتحق فيها بمدرسة الطيران، وبعد قيام الثورة التي أطاحت بالنظام الملكي سنة ١٣٨٢هـ كان (إبراهيم الحمدي) أحد المقاتلين في صفوفها، ثم تعين وكيلاً لوزارة الداخلية، فقائداً للمحور الغربي الشمالي، ثم قائداً للمنطقة المركزية، فسكرتيراً للقائد العام، ثم قائداً لقوات الاحتياط العام وقوات العاصفة، وفي عام ١٣٩٢هـ عين نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وفي عام ١٣٩٤هـ قام بانقلاب أبيض أطاح فيه بحكومة القاضي (عبد الرحمن الإرياني)، وتولى رئاسة الجمهورية اليمنية خلفاً عنه، وصفه (زبارة) بأنه من أبرز القادة الجمهوريين وأكثرهم وعياً وحصافة، وظل رئيساً لليمن حتى اغتيل بمدينة صنعاء عام ١٣٩٧هـ فدفن في مقبرة الشهداء. انظر الموسوعة اليمنية ط٢ ج٢ ص١١٨٨، وانظر كتاب: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر لمحمد محمد زباره ج١ ص٢٦٠.

(٢) الملك فهد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود: (١٣٤٣-١٤٢٦هـ) ولد في مدينة الرياض، ونشأ في ظل والده، حيث قام بمهمات جسيمة في عهد والده، كان أول وزير للمعارف فقاد نهضة تعليمية عملاقة، وفي عام ١٣٨٢هـ تولى وزارة الداخلية، وبويع بولاية العهد عام ١٣٩٥هـ، وبويع ملكاً للمملكة العربية السعودية بعد وفاة أخيه الملك خالد في عام ١٤٠٢هـ، شهدت المملكة في عهده تزايد إيقاع التطور والنهضة، فاستكملت مشاريع البنى الأساسية العملاقة المتمثلة في النهضة العمرانية الكبرى التي عمت مدن وقرى المملكة، كما شهدت البلاد في عهده توسعاً في مَدِّ شبكات الطرق الحديثة ذات الجسور الكبيرة والأنفاق المتعددة، وفي عهده تم التوسع في إنشاء صناديق الضمان الاجتماعي، كما تم تطوير الموانئ البحرية والمطارات، إلى جانب التوسع الكمي والنوعي في إنشاء المدارس، وفي عهده تكاملت المدن الجامعية في المملكة، كما تم التوسع في الصناعات البترولية، وأنشئت الهيئات الملكية في الجبيل وفي ينبع، وفي عهده تحقق للمملكة الاكتفاء الذاتي في بعض المواد الغذائية الأساسية كالقمح وغيره، وفي عهده شهد الحرمان الشريفان أضخم توسعة وأجملها على الإطلاق، وفي عهد الملك فهد صدرت ثلاثة أنظمة مهمة هي: (النظام الأساسي للحكم)، و(نظام=

١٤٢٦) وعاصر عهد الرئيس اليمني: علي عبد الله صالح[1]: (١٣٩٨-....).

٦- الملك عبد الله بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية[2]:

=مجلس الشورى)، و (نظام المناطق). توفي بالرياض عام ١٤٢٦هـ. انظر ترجمته في كتاب الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر لأحمد عبد الغفور عطار من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤٢٥هـ، وفي كتاب الملك فهد عشرون عاماً من الإنجازات والتحديات من منشورات المركز الإسلامي للإعلام بيروت ١٤٢٣هـ، وانظر كتاب: توحيد المملكة العربية السعودية للسلمان ص١٤٧-١٤٨ وغيرها.

(١) الرئيس اليمني: علي بن عبد الله بن صالح: (١٣٦١-....) ولد في قرية (بيت الأحمر)، في مديرية (سنحان)، في محافظة (صنعاء)، زعيم سياسي عسكري، تلقى دراسته الأولية في كتاب قريته، ثم التحق بالقوات المسلحة عام ١٣٧٨هـ، وواصل دراسته وهو في سلك الجندية، حيث التحق بمدرسة (صف ضباط) عام ١٣٨٠هـ، وكان ممن ساهموا في قيام الثورة التي أطاحت بالنظام الملكي، وفي عام ١٣٨٤هـ التحق بمدرسة (المدرعات)، شارك في معارك حصار صنعاء المشهور بحرب (السبعين يوماً)، وشغل مناصب عسكرية عديدة، مثل اليمن منفرداً ومشتركاً مع غيره في كثير من المحادثات والزيارات الرسمية لكثير من البلدان، وعقب اغتيال الرئيس اليمني (أحمد بن حسين الغشمي) في عام ١٣٩٨هـ شغل منصب عضو مجلس رئاسة الجمهورية المؤقت، ونائب القائد العام، ورئيس هيئة الأركان العامة، وفي عام ١٩٧٨م انتخب رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة، وفي عام ١٤٠٢هـ انتخب أميناً عاماً لحزب المؤتمر الشعبي، وفي عام ١٩٨٣م أعيد انتخابه رئيساً للجمهورية، كما أعيد انتخابه في عام ١٩٨٨م، وقد أعيد انتخابه رئيساً للجمهورية عدة مرات وما يزال، وفي عهده شهد اليمن تطوراً كبيراً، فقد أعيد في عهده بناء سد مأرب، وتم استخراج النفط والغاز، وشقت عدد من الطرق في المدن والأرياف، ولعل أكبر منجز سياسي شهده اليمن في عهده هو: إعادة تحقيق الوحدة اليمنية، وفي عام ٢٠٠٠م أبدى تعاوناً جدياً كبيراً مع الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود لإنهاء مشكلة الحدود المزمنة مع المملكة العربية السعودية، وفي عهده أقيمت منطقة التجارة الحرة في ميناء عدن إلى جانب مشروعات تنموية كثيرة، وما زال يقود اليمن حتى وقت كتابة هذه الأوراق. انظر ترجمته في موقع الدكتور عبد الولي الشميري على الشبكة العنكبوتية.

(٢) الملك عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود: (١٣٤٣-....) ملك المملكة العربية السعودية، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٤٣هـ، ونشأ في رعاية والده، وعنه تلقى معارفه الأولى، كما تلقى تعليمه على عدد من كبار العلماء والمعلمين، وإلى جانب ذلك فهو محب للقراءة وبخاصة في الشئون الثقافية=

(١٤٢٦-....) ويعاصر الرئيس اليمني علي عبد الله صالح: (١٣٩٨-....).

وبرغم ما اشتملت عليه بنود معاهدة الطائف التي وقعها الملك: (عبد العزيز) و الإمام (يحيى) (من تفصيلات مهمة تضمن مصالح البلدين وتحسم كثيراً من المشكلات فقد ظلت مشاكل الحدود بين جَزْر ومدّ، طيلة العقود الماضية، وبخاصة خلال قيام الثورة اليمنية: عام (١٩٦٢) وما أعقبها من تدخل القوات المصرية آنذاك في اليمن، وما تلاها من أحداث أدت إلى توتر علاقات البلدين.

– كما تأزمت العلاقات بين البلدين في أثناء احتلال العراق للكويت[1] وذلك بسبب موقف اليمن المساند للعراق ربما (لسوء إدارة اليمن لأزمة الخليج الثانية ولتناقض مواقفه تجاه الأزمة) [2] – كما يقول أحد الباحثين اليمنيين – وهذا

=والاقتصادية والسياسية، كما كان محباً للفروسية وما زال يرعى نادي الفروسية بالرياض رعاية كريمة، وفي عام ١٣٨٢هـ تولى مسئولية رئاسة الحرس الوطني، فعمل على تطويره وتحديث أسلحته وإمكاناته المادية والبشرية، حتى أصبح مؤسسة وطنية عسكرية حضارية ثقافية كبرى، وفي عام ١٣٩٥هـ صدر أمر أخيه الملك خالد بتعيينه نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، وفي عام ١٤٠٢هـ عين ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء، ثم بويع ملكاً للمملكة العربية السعودية بعد وفاة أخيه الملك فهد في عام ١٤٢٦هـ فسعى جاهداً لاستكمال مسيرة التنمية الوطنية الشاملة، حيث تشهد البلاد في عهده طفرة اقتصادية وتعليمية وتنموية غير مسبوقة، والملك عبد الله بن عبد العزيز صاحب مبادرات سياسية ووطنية وثقافية كثيرة، ولعل رعايته الدائمة للمهرجان الوطني للتراث والثقافة: (مهرجان الجنادرية) وإنشاؤه لمكتبة الملك عبد العزيز العملاقة وإنشاؤه لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني تأتي في مقدمة إنجازاته الثقافية الوطنية الكبرى.

(١) انظر الموسوعة اليمنية ج٤ ص ٢٧٤٢ – ٢٧٤٣.

(٢) السياسة الخارجية اليمنية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي لخالد ناجي حبيش ص٣٢٢، من منشورات المكتب العربي الحديث، الاسكندرية ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

الموقف وما تلاه من أحداث أدت إلى توتر علاقات البلدين؛ وأثارت مشكلة الحدود، وكانت وقوداً لذلك التوتر وهكذا ظل وضع الحدود بين البلدين غير مرضٍ، بل كاد أن يقود إلى صدام مسلح بين البلدين وبخاصة في بعض الجزر الحدودية لولا لطف الله ثم تعاون قادة البلدين على إنهاء مشكلة الحدود، فقد أقدم الملك عبد الله بن عبد العزيز حين كان ولياً للعهد على السعي برغبة صادقة لحل مشكلات الحدود كاملة، وعرض ذلك على الرئيس اليمني: علي عبد الله صالح مقدماً تسهيلات كثيرة في هذا الصدد، وذلك أثناء مشاركته في احتفالات اليمن بذكرى الوحدة بين شطري اليمن والتي أقيمت في شهر مايو من عام ٢٠٠٠م[١] وقد وجد الملك عبد الله بن عبد العزيز تجاوبا جيدا من قادة اليمن وعلى رأسهم فخامة الرئيس اليمني الحالي (علي عبد الله صالح) الذي تعاون مع الملك عبد الله على تحقيق حل شامل وحاسم لمشاكل الحدود وبشكل نهائي، واتفقا على أن تكون مرجعية هذا الحل:هي (معاهدة الطائف) فانطلقا بعزيمة وإصرار وقوة إرادة نحو حل مشكلة الحدود وفقاً لمبدأ (لا ضرر ولا ضرار) وقد عرفت هذه الاتفاقية باتفاقية جده للحدود الدولية البرية والبحرية بين اليمن والسعودية [٢]، وبذلك انتهت أسباب التوتر وحل محلها التعاون المثمر، وتأكدت بذلك روابط الإخاء وحسن الجوار، وقطف الشعبان: (اليمني، والسعودي) ثمار ذلك التقارب أمناً واستقراراً ورخاء وإخاءً وتواصلاً.

---

(١) المصدر والصفحة السابقين.

(٢) الموسوعة اليمنية ج٣ ص١٦٥٤-١٦٥٥.

ومــع أن هذه الاتفاقية قد عالجــت جوانب مهمة إلا أن الشأن الثقافي ومحاولة تأطـيره بـين البلديــن، أو وضــع ضوابط له لم يحضـن في معاهــدة الطائف، ولا في ملاحقهــا، ولا فيما استجد من بروتوكــولات بأي بند ينظمه ويرسم طريقاً لتواصل مثقفــي البلدين، وظل التواصل الثقافي يسير باجتهــادات فردية أو شبه فردية بين بعض الجامعات في البلدين أو بعض المؤسسات الثقافية أو بعض الأفراد، لا أستثني مــن ذلك تلك الأسابيــع الثقافية التي تقيمها وزارتي الثقافــة في البلدين منذ أكثر من عشرين عاما ولا تلك الاستضافات التي تتم بمبادرات بعض المؤسسات الثقافية الرسميــة أو الخاصــة في البلديــن كمبادرات مؤسســة العفيف الثقافيــة في اليمن وكمبــادرات مؤسسة الشيخ حمد الجاســر في المملكة العربية السعودية وأثينية عبد المقصود خوجة في المملكة ومثيلاتها من صوالين أدبية هنا أو هناك أو نواد أدبية في البلديــن، ومع ذلك فالتواصل الثقافي بــين مثقفي البلدين متحقق حتى وإن لم يكن بالقدر الذي يرضي طموحات الجميع.

الاتصالات السياسية والثقافية بين اليمن والمملكة العربية السعودية

- لم تعـرف الجزيرة العربية إبّان عهد الملك عبـد العزيز وعهد الإمام يحيى الثقافـة بمفهومها الشامل الذي نعرفـه اليوم إذ لم تكن هناك جامعات ولا وزارات للثقافـة في البلديـن ولم توجد فيهما آنذاك نواد ثقافيـة ولا مراكز للبحث العلمي؛ لذلـك جاءت معاهـدة الطائف وما ألحق بهـا من بنود وملاحق خاليـة من البنود ذات الصبغـة الثقافية، ومع ذلك فقد شهد البلدان حركة علمية وأدبية لا بأس بها لذلـك كان الاتصال الثقافي بـين اليمن والسعودية أسبـق ممارسة من الاتصالات السياسيـة بـين البلديـن حتى وإن كانـت بجهود فرديـة لهذا فإننا نجـد المسارين الثقـافي والسياسي يسيران بـين المملكة واليمن جنباً إلى جنب منذ بداية اتصالات الملك عبد العزيز بإمام اليمن (يحيى) حتى أنك تجد عدداً من رجال المفاوضات الذيـن اختارهـم الملكان هـم من رجالات الفكـر والأدب في البلدين، بـل إن جلهم علماء كبار، ورجال فكر.

- كمـا سيتضح ذلك من خـلال قائمة أسمائهم ومن نوعيـة رسائلهم المتبادلة بينهـم، لهذا فلعله من الضروري أن نوضح للقـارئ الكريم بأنه ليس في الأمر غرابة حـين نعتبر بدايـة الاتصال السياسي بين المملكة العربيـة السعودية واليمن هو بداية الاتصال الثقافي كذلك، فالظروف التي واكبت الاتصالات السياسية بين قادة ومفكري البلديـن قد جعلت السياسي يمتزج بالثقافي لأمور عـدة؛ فإماما البلدين آنذاك كانا

علــى درجة عالية من العلم والوعي وقد اختار كل منهما للمفاوضات من رجال دولته الأعلم والأكفأ، وباستعراض بعض أسماء وفود كل بلد يتضح ما قصدنا إليه.

فالإمام يحيى عالم وشاعر كاتب الشريف (الحسين بن علي) (١) ملك الحجاز شعراً ونثرا.

كما كاتب الإمام (محمد بن علي الإدريسي (١٣٢٦-١٣٤١)) (٢) إمام المخلاف

(١) الحسـين بـن علـي بن محمد بـن عبد المعين بن عـون (١٢٧٠-١٣٥٠هـ): آخر ملوك وحـكام الحجاز من الأشـراف، ولـد (بالأستانه) حينما كان والده منفياً بها، ثـم انتقل معه إلى مكة وعمره ثلاث سنوات، فتعلم بهـا القرآن والفقـه، وتأدب على علمائهـا، فارس من الفرسـان المعروفين، وشاعر من الشعـراء الشعبيين، عـاون عمـه عبد الله في بعض المهمات السياسية، وحين تولى عمه الثاني (عون الرفيق) طالب الأتراك بنفي ابـن أخيـه (الحسين بن علـي) فنفي إلى الأستانـه، ثم جعل عضواً بمجلس الشورى، وبعـد أن توفي عماه: (عـون الرفيق) و (عبد الإلـه) عاد الحسين إلى مكة المكرمة وذلك في عـام ١٣٢٦هـ، حيث عين أميراً لمكة، فـكان على غـير وفاق مع موظفي الدولـة التركية في الحجـاز، فاستغل ذلك البريطانيون أيـام حروبهم مع العثمانيين، فاتصلوا بالشريف الحسين، وأمدوه بالسلاح، فأعلن الاستقلال عن الترك، وكانت له اتصالات طيبـة بسلطان نجد (الملـك عبد العزيز) في بادئ الأمر، لكنها ما لبثـت أن تأزمت بينهما العلاقات، فبدأ الصـدام بين الزعيمين الذي انتهـى بتنازله لابنه علي عن الحكم حينما انضمت مكة المكرمة إلى الملك عبد العزيـز، فبقـي علي بـن الحسين محاصراً بجده حتـى انتهى الحصـار بتوقيع اتفاقية تسليـم جده، وخرج الشريف الحسين إلى (قبرص)، وبقي بها ست سنوات ثم مرض فنقل إلى (عمَّان) عاصمة شرقي الأردن فمكـث بهـا حتى وافته منيته بعد ستة أشهـر، فحمل إلى القدس ودفن بالمسجـد الأقصى. انظر ترجمته في الأعلام ج٢ ص٢٤٩-٢٥٠، وفي ملوك العرب للريحاني ج١ ص٦٢-٦٨ وغيرها.

(٢) الإمـام: محمد بن علي بـن أحمد الإدريسي الحسني (١٢٩٣-١٣٤١هـ) مؤسـس دولة الأدارسة في تهامة المخـلاف السليمـاني وتهامة عسير، عـالم، وشاعر، وداهيـة سياسي، ولـد بمدينة صبيا إحـدى أهم مدن المخـلاف السليمـاني، وتلقى بها مبادئ القـراءة والكتابة، حيث نشأ في حجر والـده، وحفظ القرآن الكريم وبعضـ العلـوم على عدد من علماء المخلاف السليماني، ثم رحـل إلى مصر، فتعلم بالأزهر ست سنوات من عام ١٣١٤-١٣٢٠هـ، ومن مشائخه في الأزهر: الشيخ عبد الرحمن الشربيني، والشيخ الأسيوطي، وغيرهما، ثم انتقل=

السليماني (جازان) آنذاك، شعراً ونثرا.

وراسل الملك عبد العزيز كذلك شعراً ونثرا، حيث أرسل مع أول وفد يمني للمفاوضات رسالة تحتوي على قصيدة شعرية يقول في مطلعها:

صدرت للوئام زفرة محرور تؤمّ الرياض تشفي صداها[1]

وهي قصيدة تجمع بين السياسي وشعر الإخوانيات حشد فيها الإمام (يحيى) بعض رؤاه حول بعض القضايا المختلفة.

- وإذا كان الإمام (يحيى) عالماً من علماء اليمن المعدودين وله مزيد اختصاص بعلم الفقه وأصوله وفروعه فإن الملك عبد العزيز قد حفظ القرآن الكريم في طفولته المبكرة وتلقى علم التوحيد وبعض أصول الفقه على العلامة عبد الله بن عبد اللطيف[2] وكان مجلسه العام – بعد أن أصبح ملكاً – عامراً بقراءة كتب التفسير وكتب التاريخ الإسلامي وكتب الآداب الشرعية[3].

=إلى المغرب، فدرس في بلدة (الكفرة)، ثم رحل إلى السودان، فتزوج في (دنقله)، ثم عاد إلى مسقط رأسه مدينة (صبيا)، واستطاع مناوأة الأتراك، وبسط نفوذه على تهامة المخلاف السليماني، وتهامة عسير، وأجزاء كبيرة من تهامة اليمن، عقد معاهدة صداقة مع الملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٣٣٨هـ، وتوفي بصبيا عام ١٣٤١هـ. الأعلام ج٦ ص٣٣، وتاريخ المخلاف السليماني للعقيلي ج٢ ص٨٥٠ وغيرها.

(١) المقتطف من تاريخ اليمن، للجرافي ص٣٠٨، ومذكرات تركي الماضي ص٦٥-٦٦، وأضواء على تاريخ الجزيرة العربية للعقيلي ص٢٢٤-٢٢٥، والأنباء عن دولة بلقيس وسبأ ص٧٤ لزبارة.

(٢) عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (١٢٦٥-١٣٤٠هـ) فقيه، وخطيب، ولد في مدينة الهفوف، وتوفي بمدينة الرياض، وهو جد الملك فيصل لأمه، كان مرجعاً في علوم الشريعة لمعاصريه، وشارك في قيام الدولة السعودية الثالثة مجاهداً وموجهاً، اشتهر بالكرم والدهاء. الأعلام ج٤ ص٩٩. وانظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز للزركلي ص٥٧.

(٣) شبه الجزيرة ص٥١٨.

- وكما كان في وفود الملك عبد العزيز للمفاوضات مع اليمن بعض العلماء ورجال الفكر أمثال الأستاذ: خالد أبو الوليد [1] وأمير نجران: تركي الماضي، وبعض مستشاريه الكبار أمثال الشيخ: بشير السعداوي [2]، كان في الوفود التي يرسلها إمام اليمن إلى السعودية علماء أجلة أمثال العلامة عبد الله ابن الوزير [3] والعلامة محمد

---

(١) خالد أبو الوليد هو: خالد بن أحمد أبو الوليد القرقني: (....-١٣٩١هـ) عالم ومجاهد ليبي من طرابلس، من مستشاري الملك عبد العزيز وكتابه، له شعر وله اشتغال بالأدب، وفي تقاريره ومذكراته التي كان يكتبها للملك عبد العزيز يظهر فيها نفس طويل، وشواهد تاريخية، فهي أشبه ما تكون بالبحوث والدراسات، وهي تدل على اطلاعه الواسع، قاتل الإيطاليين أيام احتلالهم لطرابلس الغرب، ثم رحل إلى (استانبول)، وانتقل إلى جده تاجراً، فرآه الملك عبد العزيز فأعجب به، وسأله كم تربح بتجارتك في العام؟ فقال: (كذا) فقال أضاعفه لك وتعمل عندي، فكان بعد ذلك رسوله إلى (هتلر) زعيم (ألمانيا)، ثم رسوله على رأس وفد إلى اليمن في عام ١٩٣٢م، وبعد وفاة الملك عبد العزيز عاد إلى (طرابلس) في (ليبيا) وأقام منقطعاً عن كل عمل حتى توفي. الأعلام ج٢ ص٢٩٤-٢٩٥.

(٢) الشيخ بشير السعداوي (....-١٣٧٦هـ): عالم من علماء ليبيا من مدينة طرابلس الغرب، كان أحد المناضلين بها أيام الاحتلال الإيطالي، وحين ضايقه المستعمرون لجأ إلى الملك عبد العزيز، فاتخذه مستشاراً له، فعمل معه فترة، وبعد استقلال بلاده عاد إلى وطنه، فلم يعجبه الوضع هنالك فانصرف إلى مصر وعاش بها حتى مات في القاهرة سنة ١٣٧٦هـ. الأعلام ج٢ ص٥٦.

(٣) العلامة عبد الله بن الوزير: (١٣٠٢- ١٣٦٧هـ) هو عبد الله بن أحمد بن محمد الوزير، عالم يمني كبير، وثائر وسياسي وداهية من دهاة اليمن وأعيانها، وشجعانها، وقادتها، ينتمي إلى أسرة هاشمية. ولد بصنعاء ونشأ بها، وأخذ العلم عن والده وعن علماء بلده، تولى مناصب متعددة، ومنها: أنه تولى قضاء (ذمار)، وتولى قيادة جيوش الإمام يحيى في (البيضاء)، و (مأرب)، و (الجوف)، و (تهامة)، كان مندوباً لليمن في المفاوضات السعودية اليمنية، وهو الذي وقّع (معاهدة الطائف) نائباً عن الإمام يحيى، وكان من مستشاريه وثقاته، حتى وصل إلى رئاسة الوزارة، ثم شارك في الثورة على الإمام (يحيى) وبويع إماماً دستورياً في ٨ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ، ثم أعدم في معتقله بحجة في نفس السنة. انظر: نزهة النظر لزبارة ج١ ص٣٦٨-٣٦٩، ونشر الثناء الحسن للوشلي ج٤ ص٢٢٥، وفي الأعلام ج٤ ص٧٠-٧١، وفي مرتفعات الجزيرة العربية لجون فلبي ج٢ ص١٠٩٩، وفي هجر العلم ومعاقله في اليمن ج١ ص١٩٦-٢٠٦.

محمد زباره[1]، والعلامة عبد الكريم مطهر[2] والعلامة عبد الله العمري[3] وغيرهم.

- وقد كانت لبعضهم صلات وتواصل بعلماء ومفكري اليمن والسعودية، ذكر العلامة اليمني الكبير (محمد محمد زبارة) ألواناً من ذلك التواصل الثقافي والفكري بينه وبين عدد من العلماء والمفكرين السعوديين أمثال الأمير تركي الماضي وإمام وخطيب المسجد الحرام وغيرهم وقد ذكر ذلك في ثنايا كتابه: (الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ) وأورد نماذج شعرية ونثرية تؤكد ذلك التواصل، كما ذكر رجل المفاوضات السعودي المؤرخ الأمير تركي الماضي في كتابه: (من مذكرات تركي بن محمد الماضي) فصولاً من التواصلات الثقافية بينه وبين بعض علماء اليمن في أثناء أداء مهمته وبعدها، وممن راسلهم وراسلوه: العلامة المؤرخ اليمني محمد محمد زباره الذي كان أحد الرجالات الموفدين من إمام اليمن للمفاوضات

(١) سبقت ترجمته في ص١٤٩.

(٢) هو القاضي العلامة الأديب عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله المطهر (١٣٠٤-١٣٦٦هـ): ولد بصنعاء، وتلقى العلم على عدد من العلماء، كالعلامة الحسين بن علي العمري، والعلامة علي بن الحسين المغربي، وغيرهما، تولى الكتابة للإمام (يحيى)، وكلفه بمهام سياسية كثيرة، له نظم جيد، وله كتاب: (الحكمة) في سيرة الإمام يحيى، توفي سنة ١٣٦٦هـ. انظر ترجمته في نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر لزبارة ج١ ص٣٥٨، وفي كتاب هجر العلم ومعاقله ج١ ص٤٤١ وغيرها.

(٣) العلامة عبد الله بن حسين العمري (١٣٠٤-١٣٦٧هـ): عالم يمني كبير، تلقى العلم على والده، وعلى أخيه عز الدين العمري، وعلى القاضي لطف الله الزبيري، وغيرهم، كان بمكان من الذكاء والفطنة، وكان صاحب إلمام عظيم بالمذهب الزيدي؛ لذلك كان مقرباً من الإمام يحيى، صحبه أيام صباه وشاركه في حرب الأتراك كما شارك في صلح (دعان) بين الإمام يحيى والأتراك، وكان مقاوماً لدخول الفكر الأوروبي إلى اليمن، شغل منصب وزير الحربية، ثم رئيساً لوزراء الإمام يحيى، وكان ملازماً للإمام يحيى حيث قتل معه في صنعاء سنة ١٣٦٧هـ. الأعلام ج٤ ص٨١، ونزهة النظر ج١ ص٣٧٥-٣٧٦.

السعوديــة اليمنيــة، حيث يذكر (الماضــي) بأن العلامة (زباره) قـد كاتبه شعراً ونثراً، ونقل لنا (الماضي) بعضاً مما كاتبه به ومن ذلك قوله في قصيدة مطلعها:

على الرحب أهلاً بالأمير الذي غدا وراح فريداً في العلا عن مُشاكل

وهــي قصيدة اعتذار وجهها (للماضي)، وذكر الماضي بأن العلامة زباره قد ذيل قصيدته برسالة نثرية مطولة[1].

وممن كاتبــوه وكاتبهم: العلامة: (محمد بن إبراهيم المؤيد) [2] فقد واصله شعراً ونثرا فمن شعره الذي أرسله لتركي الماضي قصيدة مطلعها:

أزكى السلام يفوح بالند النديّ وتحــيــة، وتحــيــة لم تـبـعـد
تغشى مقام الفذ نبراس العلا وأخــا المكارم والعلا والسـؤدد

يقــول تركي الماضي: في نهاية القصيدة: (وقد ذيل هذه القصيدة برسالة نثرية مطولة) [3].

- كما راسله العلامة اليمني: (إسماعيل المداني) [4] الذي أرسل إليه قصيدة

(١) من مذكرات تركي الماضي ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) محمـد بـن إبراهيم بن علي بن حسين المؤيد (الملقـب حورية) (١٢٩٤-١٣٨١هـ): ولد في هجرة (فلله) مـن بـلاد صعدة، سنة ١٢٩٤هـ ثم انتقل إلى مدينة (ضحيان) سنة ١٣١١هـ لطلب العلم، فأخذ عن محمد عبـد الله الغالبـي، ويحيى بن الحســن التهامي، والحسن بن يحيى الضحيـاني، وغيرهم، وفي عام ١٣٤٩هـ سجنه الإمام يحيى بصنعاء، وطالت مدة حبسه حتى كتب شعراً في ذلك، فأطلقه الإمام يحيى. مات حورية في صعدة سنة ١٣٨١هـ. نزهة النظر ج٢ ص٤٩٧.

(٣) مذكرات تركي الماضي ص٢٨٧-٢٨٨.

(٤) العلامــة إسماعيــل بن حسن بــن إسماعيل بن حسن المداني (نسبة إلى بلدة المـدان) الواقعة بالأهنوم،=

يقول في مطلعها:

أمير نجران دم في مجلس الكرم   وفي المعالي خدين العز والكرم[1]

ومما لا شك فيه بأن الأمير تركي الماضي قد رد على مكاتباتهم وتواصل معهم ومع غيرهم، وإن لم يورد لنا شيئاً من ذلك في مذكراته.

- وكذلك فقد كان بعض رجالات الوفد اليمني للمفاوضات يجعلون مهمتهم السياسية في المفاوضات تندمج بتواصلهم الثقافي مع نظرائهم في المملكة – علماء وشعراء – ممن كانت لهم بهم صلات علمية وأدبية، يؤكد لنا ذلك: العلامة محمد محمد زباره في إحدى منظوماته التي وثّق فيها هذا المسار حيث قال:

والعزم في الست بعد الأربعين إلى   عبد العزيز المليك الفاتح الفطن
واللّبْث في بلد الله الحرام شهو   راً للطواف بحجر البيت والركن
والخوض فيما به قطع التخاصم   ما بين القبائل في نجد، وفي اليمن
والأخذ في (الأمهات الست) عن (عمر   حمدان) شيخ الشيوخ المكي المدني
وفي (الموطأ) و(تيسير الوصول) و   (مسند ابن حنبل) أياماً بلا وهن[2]

إذاً فالعلامة (زباره) قد أتى موفداً (للخوض فيما به قطع التخاصم ما

= (١٣١٣-١٣٩٤هـ): ولد في بلدة (المدان)، وهو عالم جليل، تولى القضاء في عهد الإمام (يحيى) برداع، وعمران، وكلفه الإمام يحيى بقيادة جيش لإخضاع قبائل (برط)، وفي عهد الإمام أحمد تولى قضاء (ذمار). توفي بصنعاء سنة ١٣٩٤هـ. انظر ترجمته في كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) ج٤ ص١٩٨٨.

(١) مذكرات تركي الماضي ص٢٨٨.

(٢) الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ لمحمد محمد زباره ص٧٣، تحت عنوان (مباحث دينية وأدبية وتاريخية ملتقطة من رحلاته ...) من منشورات الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ.

بين القبائل في نجد وفي اليمن) - كما يقول -، ومع أنه قد أتى للمفاوضات مع الملك عبد العزيز فيما به يتحقق الوئام وينقطع به الخصام - كما أكد ذلك في منضوماته وفي خطاباته - لكن هذه المهمة على عظمها لم تثنه عن التواصل الثقافي فهو مع ذلك يؤكد اتصاله ويشرح التواصل الذي بينه وبين علماء السعودية فقد أخذ عن بعض علمائهم في: (الأمهات الست) وفي: (الموطّأ)، وفي: (مسند الإمام أحمد بن حنبل) وغيرها كما ذكر ذلك في منظومته.

وهذا التواصل وهذه الصلة بين العلامة (محمد محمد زباره) وبين علماء وأدباء المملكة تمتد جذورها للحاضر والمستقبل حيث تستمر علائق التبادل المعرفي بينه وبين علماء السعودية عشرات السنين، يقول (زباره) مؤكداً ذلك: (ففي سنة ١٣٥٦هـ قدَّمت لدار الحديث بمكة المكرمة جملة من نسخ كتاب (فتح القدير الجامع لفني الدراسة والرواية في علم التفسير) وكتاب: (الروض شرح مجموع الإمام زيد ابن علي) وكتاب: (تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين) ...... إلى أن يقول: (وطلب مني إمام الحرم وخطيبه: (عبد الظاهر أبو السمح) [1] وغيره

---

(١) عبد الظاهر أبو السمح: (١٣٠٠-١٣٧٠هـ) هو عبد الظاهر بن محمد نور الدين التليني أبو السمح، خطيب المسجد الحرام وإمامه، ولد في بلدة (التلين) بمحافظة الشرقية في مصر، تعلم بالأزهر، وكان إماماً لمسجد أبي هاشم بالإسكندرية، استقدمه الملك عبد العزيز وولاه الخطابة والإمامة بالحرم المكي - كما ولاه إدارة دار الحديث الذي تولى إنشاءه، له رسائل علمية مطبوعة، ومنها: (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب)، و (الرسالة المكية)، وله نظم حسن، توفي بمستشفى الجيزة في القاهرة سنة ١٣٧٠هـ، سير وتراجم بعض علماء الحجاز في القرن الرابع عشر لعمر عبد الجبار ص٢٢٧-٢٢٨، ط١، من مطبوعات تهامة ١٤٠٣هـ.

نسخة خطية من كتاب: (تنقيح الأنظار في علوم الحديث والآثار) للإمام محمد بن إبراهيم الوزير وشرحه: (توضيح الأفكار) للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني....... الخ[1].

- وإذاً فتلك الوفود التي تبادلها البلدان: (اليمن والسعودية) كانت تضم فطاحل العلماء الذين حققوا التواصل السياسي وحاولوا تقريب وجهات النظر بين بلديهم، وحققوا التواصل الثقافي كما رأينا في السطور السابقة بل إن بعضهم كانت مهمته التفاوضية سبباً في التعرف على علماء الحرمين مما جعله يعمق ذلك التواصل ويستمر فيه فترات لاحقة – كما رأينا – وإذاً فإن لنا الحق بأن نعتبر بداية الاتصالات السياسية هي بداية الاتصالات الثقافية بين اليمن والسعودية، وإن كانت الاتصالات السياسية هي المهمة الأولى للمفاوضين من البلدين وهذا ما يجعلنا نفرد لها عنواناً رئيساً نتحدث عنه في السطور التالية تحت عنوان:

---

(١) الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ لمحمد محمد زباره ص٧٩.

(أبرز عراقيل وفود المفاوضات بين اليمن والسعودية)

(ربما كانت الاتصالات الفعلية بين إمام اليمن والملك عبد العزيز قد بدأت في واقع الأمر بعد أن ضم الملك عبد العزيز إقليم عسير إلى بقية أقاليم مملكته، فأصبحا وجهاً لوجه تربطهما حدود مشتركة، ثم تأكدت الاتصالات والتواصل بعد معاهدة مكة في عام ١٣٤٥هـ التي قضت بدخول الأدارسة تحت حماية الملك عبد العزيز) [١] (حيث أرسل الملك عبد العزيز وفداً مكوناً من سعيد بن عبد العزيز بن مشيط، وعبد الوهاب أبو ملحه، وتركي الماضي فوصلوا إلى صنعاء في اليوم الثالث من شهر ذي الحجة عام ١٣٤٥هـ وكان القصد من هذه الوفادة: تقرير الحدود بين بلاد الإمام يحيى وما بقي بيد الأدارسة بعد دخولهم في حماية الملك عبد العزيز آل سعود وإنشاء علاقات صداقة وحسن جوار) [٢].

ثم استمرت الاتصالات بين البلدين (ففي العام ١٣٤٥ نفسه وصل إلى اليمن العلامة أحمد زكي باشا[٣]، وصحبه الهمام نبيه بك العظمة من أكابر رجال الشام

---

(١) توحيد المملكة العربية السعودية للسلمان ص٥١، وانظر شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز للزركلي ج٢ ص٥٢٥.

(٢) المقتطف من أخبار اليمن لعبد الكريم الجرافي ص٣٠٧.

(٣) أحمد زكي باشا هو أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله كان بـ (شيخ العروبة): (١٢٨٤-١٣٥٣هـ): أديب وبحّاثة مصري من كبار الكتاب، ولد بالاسكندرية، وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة، عين مترجماً لمجلس النظار فسكرتيراً ثانياً، فسكرتيراً أولا ومنح لقب (باشا) واتصل بعلماء المشرقيات ومثّل مصر في مؤتمراتهم، وقام بفكرة إحياء الكتب العربية فطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات. اتصل برجالات العرب في جميع أقطارهم، وسميت داره: بدار العروبة، جمع مكتبة تضم نحو عشرة ألاف كتاب وأوقفها =

للسعـي في عقد اتفاق بين الإمام يحيى حميد الدين والملك عبد العزيز آل سعود) [1]، واستمرت المفاوضات طويلاً حتى انتهت الأمور إلى صدام مسلح بين الدولتين تداركه ذوي العقـول من البلدين وفي مقدمتهم الملك عبد العزيـز والإمام يحيى فتداعوا إلى عقد معاهدة الطائف التي حسمت مشكلة الحدود وأنهت الحرب بين البلدين وأسست لعهد جديد من الإخاء.

ولم تنقطع الاتصالات بين الملك (عبد العزيز) والإمام (يحيى) بل تضاعفت أعداد المشاركين من البلدين، (ففي عام ١٣٤٦ أرسل الملك عبد العزيز إلى اليمن وفداً مكوناً من أمير قحطان: محمد بن دليم أبو لعثة[2] وتركي بن ماضي – (وقد وصلوا إلى صنعاء – وأقاموا بها قرابة أربعين يوماً ودارت المفاوضات حول مسألتي:

=فنقلت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية، وصفه (شكيب أرسلان) بأنه: (كان يقظة في إغفائة الشرق، وهبة فيغفلة العـالم الإسلامي، وحياةً في وسط ذلك المحيط الهامـد) كان شعلة نشاط حلو العشرة، دائم الحركـة، وكان خطيباً وكاتباً. ألف كتباً كثـيرة منها: (أسرار الترجمة)، و (قاموس الجغرافية القديمة) وغيرها توفي بالقاهرة الأعلام ج١ ص١٢٦-١٢٧.

(١) تاريخ اليمن لعبد الواسع الواسعي ص٣٣٩، الدار اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء ١٤.

(٢) محمد بن دليم أبو لعثه: شيخ شمل قبائل قحطان، انتدبه الملك عبد العزيز ضمن آخرين للصلح بين الإمام علـي بن محمد الإدريسـي (١٣٤١-١٣٤٤هـ) وعمه الحسن بن علي الإدريسـي (١٣٤٤-١٣٤٩هـ)، والذي انتهى بخلع (علي الإدريسي) ومبايعة عمه (الحسن)، وقد نعته المؤرخ: عبد الله العمودي بأنه: كبير قبائل قحطـان، كما انتدب في عـام ١٣٤٦هـ ضمن وفد سعودي للتفاوض مع إمـام اليمن حول مشاكل الحدود بين المملكة واليمن، وهكذا فقد كانت لابن دليم أدوار وطنية ساهم بها مع رجال الملك عبد العزيز. انظر كتاب: تاريـخ المخلاف السليماني ج٢ ص٧٦١، وانظر كتـاب: الأدارسة في تهامة لعبد الله العامودي ص١٠١-١٠٢، اختيار وتحقيق عبد الله أبو داهش.

الحجـاج اليمنيين وحول الحدود)[1] وعين الإمـام يحيى للمفاوضة معهما: رئيس الوزراء القاضي عبد الله ابن الحسين العمري، ورئيس الديوان القاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر، ولما لم تنته المفاوضة إلى ما يحسن اعتماده في شأن الحدود، بعث الإمـام (يحيى) وفـداً إلى المملكة العربية السعودية مكونـاً من عبد الله العمري، وعبـد الكريم مطهر، وضم إليهمـا العلامة قاسم بن حسين أبـو طالب[2] وفضيلة السيد محمد محمد زباره وعرجوا في طريقهم على ولي العهد (الإمام أحمد حميد الديـن) فضم إليهـم السيد العلامة عباس بن أحمد بـن إبراهيم[3]، وكان الإمام يحيى قد أصحب وفده قصيدة من نظمه وصفها مؤلف كتاب (المقتطف من تاريخ

---

(١) العلاقـات السعودية اليمنية: (١٣٤٥-١٣٥٣) دراسة وثائقية لصالـح عون الغامدي، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٢م، وانظر المقتطف من أخبار اليمن ص٣٠٨.

(٢) قاسـم العـزي: (١٢٩١-١٣٨٠هـ): هـو العلامة قاسم بن الحسين بن محمد العـزي أبو طالب، مولده: في الروضـة، سنـة ١٢٩١هـ، تلقـى العلم على علماء صنعـاء والروضة، ومن مشائخه: العلامـة عبد الكريم أبو طالـب، والعلامة علـي بن أحمد السدمي، وعلمـاء كثيرين، رحل لأداء فريضة الحج، ثـم رحل إلى العراق، وانتـدب لإجراء المصالحة بين الإمـام يحيى والأتراك، وبمشاركته أبرمت اتفاقيـة ومعاهدة (دعان) عام ١٣٢٩هـ، ترجمه زباره في نيل الحسنيين وقال: (بأنه كان ناظر وقف صنعاء)، كان أحد أعضاء الوفد الذين اختارهـم الإمـام يحيى في عام ١٣٤٦هـ للتفاوض مع الملك عبـد العزيز حول حدود اليمن مع المملكة العربية السعودية. انظر كتابه: (الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ) ص١٨٨-١٨٩، وص٧٤، وانظر ترجمته الموسعة جداً في نزهة النظر ج٢ ص٤٧٦-٤٨٣.

(٣) عباس بـن أحمد إبراهيم: (١٣٠٦-١٣٧٦هـ) عالم يمني، ولد بمدينـة صنعاء، وتلقى بها علومه، وبرع في علـم الحديـث، وفي علوم الفقه وأصوله وفروعـه، وله إلمام بعلوم أخرى، عمـل بالتدريس في جامع (المدان) بالأهنـوم، له مؤلفات ومنهـا: (تتمة الروض النظير). توفي ببلدة المدان في عـام ١٣٧٦هـ. انظر ترجمته في كتاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٤ ص١٩٨٧.

اليمـن) (بالغراء) وذكر بأنها تعبر عن نواياه في حب الوئام واجتماع كلمة العرب ومطلعها:

صــدرت لـلـوئـام زفــرة محــرور — تــؤم الـريـاض تشفى صـداها

تـقـطـع الـسـهـل والحــزون وتـطـ — ـوى البيد طيّ السجل في يمناها

تـوضـح الحـالـة الـتـي نـحـن فيها — مـعـشـر المـسـلـمين عـنـد انـتـهـاهـا

مـزقـتـنـا أيــدي الـعـداة فـصـرنا — فــرقــاً لا تـطـيـق تحـمـي حمـاهـا

إلى أن قال في بعض أبياتها:

مـا الــذي يمـنـع الـتـآزر مـن إخـ — ـوان ديـن يـرضـي الإلــه إخـاهـا

والــذي يـدفـع المـخـاوف عنـهـا — لـيـس إلا وفـاقـهـا ووفـاهـا

وبـنـاهـا مـن وحـدة الــرأي سـداً — وحـصـونـاً أمــام مـن نـاواهـا[1]

وعـن هذا الوفـد اليمني المبعـوث إلى المملكة العربية السعوديـة يتحدث أحد أعضائه الأعلام (العلامة محمد محمد زباره) فيقول: (وفي شعبان ١٣٤٦ أمرني الإمـام (يحيى) وأمر الصنـو قاسم العزي والصنو العباس بن أحمد بن إبراهيم ومـن برفقتنا من السواريـة والجند بالعزم إلى الملك عبد العزيـز آل سعود برفقة الوفـد الواصـل من لديه إلى صنعاء فلبثنا بمكـة إلى أول المحرم ورجعنا) ثم ذكر تفاصيل رحلتهم في منظومة شعرية يقول في أولها:

---

(١) المقتطـف مـن تاريخ اليمن للجرافي ص٣٠٨-٣٠٩، وانظر (مذكرات تركي الماضـي) ص٦٥-٦٦، وكتاب: أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث للعقيلي ص٢٢٤-٢٢٦.

قد عزمنا بعون باري الوجود حسب أمر الإمام زاكي الجدود

من (أزال) بيوم رابع شعبان بخيل ورفقة من جنود

صحبة الوافدين من حضرة العاهـ ـل عبد العزيز آل سعود

وقال في آخر المنظومة:

وبقينا بمكة بعده للخوض مع حضرة المليك السعودي

فعرفنا مرامه وتسلمنا جواب الإمام زاكي الجدود [1]

- ثم توالت بعد ذلك الوفود بين البلدين وتضاعفت أعداد الموفدين وتراوحت تلك المفاوضات بين شدٍّ وجذب، وكادت بعض وعودها ومطالبها الشديدة أن توصف بالعرقوبية، وقد أحصى أحد الباحثين المصريين جلسات أحد الوفود ومحاوراته مع الإمام (يحيى) ومندوبيه وذكر بأنها بلغت سبع عشرة جلسة لم تخرج بنتيجة تذكر[2]؛ مما جعل ذلك الباحث يميل إلى تأييد ما ذهب إليه أحد المفاوضين السعوديين في مذكراته حينما كتب في أحد تقاريره التي قدمها للملك عبد العزيز ما يتضمن عدم حرص الإمام (يحيى) على الرغبة في الصدام والحرب ولا على حسم الأمور بقبول شروط المفاوضات والاتفاق عليها[3] حيث يقول المؤرخ: (سيد سالم) في تأكيد هذا المنحى من الإمام (يحيى) ومفاوضيه: (مما يجعلنا نؤمن بصحة ما جاء بتقرير (تركي بن ماضي) إلى مليكه (ابن السعود): (من أن

(١) الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ لمحمد محمد زباره ص٧٤-٧٥.

(٢) تكوين اليمن الحديث لسيد مصطفى سالم ص٣٤٣، ط٤، توزيع دار الأمين للنشر والتوزيع ١٩٩٣م.

(٣) انظر كتاب: (مذكرات تركي الماضي) ص١٣٣.

الإمـام ليس له مقصد عدوان ولا يريد حسم المادة والاعتراف بحدود معلومة له أو عليـه، بل يريدها مسالمة ومكاتبة بغير نتيجـة)[1]وما ذلك إلا لعدم جدية الجانب الآخر في تلك المفاوضات فقد كان الإمام (يحيى) غير جاد في تلك المفاوضات كما تشـير بعضـ المصادر بل تجزم بأنه: (لم يكن الإمـام يحيى جاداً في حل النزاع إذ كان يماطل في المفاوضات كسباً للوقت)[2] وذلك بالرغم من توقيعهم على معاهدة الصداقـة وحسن الجوار في عام١٣٥٠هـ[3]، والتي تنكـر لها الإمام (يحيى) فيما بعد؛ ومع ذلك أطالوا أمد المفاوضات وكانت بعض الوفود التي بعثها الإمام (يحيى) للتفاوضـ مع المملكة العربية السعودية تدرك أو يـدرك بعض أفرادها عدم حرص الإمـام يحيى علـى إنهاء المسألة، فحـين (أرسل الإمام (يحيـى) كلاً من السيد قاسم العزي، والسيد محمد زباره، والسيد عباس بن أحمد، قال زباره للإمام: ما نيتكم المصالحة؟ فقال: لا. لا. فذهب الوفد للمغالطة)[4].

يؤكـد هذا التوجـه لدى الإمام يحيى مـا ذكره أحد الذين شاركـوا في السعي للمصالحـة بينـه وبين الملك عبد العزيـز فيقول في إحدى يومياتـه مخاطباً الإمام

(١) تكوين اليمن الحديث ص٣٤٩، وانظر المصدر والصفحة السابقين.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٣ ص١٧١٧.

(٣) العلاقـات السعودية اليمنية لصالح عون الغامدي ص٢٢، ويذكر الغامدي أن وثائق وزارة الخارجية أوردت ما قاله المفاوضون اليمنيون (من أنهم لا يعتبرونها معاهدة، وإنهم عملوا بمقتضاها حسب المصلحة، وأنهم أحرار في قبولها أو رفضها) انظر الصفحة نفسها ٢٣ من كتاب الغامدي.

(٤) ريـاح التغيـير في اليمـن لأحمـد الشامي ص٢٤٣، وانظـر ج٢ صـ٨٩٦-٨٩٧ من كتـاب (تاريخ المخلاف السليماني لمحمد أحمد العقيلي ط١٤١٠ شركة العقيلي وشركاه.

يحيى: (في ١٥ أغسطس ونحن مشغولين بالثورة السورية إذ تواردت الأخبار بقرب وقوع حرب بينك وبين ابن سعود، ونظراً لمعرفتنا بمضرة نتائج هذا الخلاف وهذه الحرب، خفت على الجزيرة العربية وأتينا لأجل أن نكون بينكم واسطة صلح وسلام) ثم تحدث (نبيه العظمه) بعد ذلك عن محاورات ومداورات الإمام يحيى قبل تحقيق المهمة فقال: (فأبدى لنا الإمام يحيى عواطف طيبة ...... وقد بدا لي الإمام يحيى خلال هذه المهمة القومية التي قمت بها برفقة (أحمد زكي باشا) بدا لي أنه حذر، شديد الارتياب يحاول ألاّ يوقع أي اتفاقية حتى ولو كان قد وعد بالتوقيع، ومع أنه ذكي إلا أن شدة ارتيابه تجعله متردداً، ولهذا قاسينا منه كثيراً في محاولاتنا لإيجاد صيغة تكون أساساً للتفاهم بينه وبين الملك (عبد العزيز) حول مسألة (عسير)، ولاحضنا أنه يحاول أن يضجرنا)[1]، والقارئ لمذكرات (تركي الماضي) ولما رصدته بعض المصادر التاريخية من قصص ماراثونية عن سير مفاوضات الوفد السعودي مع الوفد اليمني يدرك من تلك المماطلات عدم حرص الجانب اليمني على الحسم، حتى أن إطالة بعض جلساتها ربما قُصد بها كسب الوقت أو التمويه على اتخاذ موقف عسكري، كما حصل حين زحفت القوات اليمنية على نجران واستولت عليها وذلك في شهر صفر عام ١٣٥٢هـ[2] خلال وجود الوفد المفاوض السعودي في اليمن مما جعلهم يقطعون المفاوضات ويعودون

---

(١) جوانب من سياسة الملك عبد العزيز تجاه القضايا العربية (دراسة لأوراق نبيه العظمه) لخيرية قاسمية، ص١٩-٢٤، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٤١٩هـ.

(٢) عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية ص٢٠٦-٢٠٩.

إلى المملكـة، وكما حصل قبل ذلك حين أقحمـت مسألة (جبل العُرّ) حيث احتلت القـوات اليمنية (جبـل العُرّ) في عـام ١٩٣١ م[١] تلك المشكلة التـي انتهت بتنازل الملك عبد العزيز عن (جبل العُرّ) [٢] تحقيقاً لرغبة الإمام (يحيى) الذي عرض ذلك الأمر على الملك عبد العزيز وهو يعلم أن (الملك عبد العزيز كان محباً للسلم والسـلام لا ينفذ سياسته بالقوة إلا بعد أن تسد الأبواب في وجه السلام) [٣]، وقد تنازل الملك عبد العزيز عن (جبل العُرّ) استجابة لطلب الإمام يحيى وحرصاً على تقارب البلدين. وأما نجران فقد طهرته القوات السعودية وقامت باسترداده خلال فترة قصيرة وليست (خلال ثمانية أشهر - كما نقل (فلبي)-[٤] .

وحـين طالت تلـك المفاوضات بـين وفـدي البلدين[٥]، وحـاول بعض المفاوضين تعطيـل سيرهـا، وزادت تعديـات القـوات اليمنية على الحـدود السعوديـة كما حصل في مدينـة (سامطـة) [٦] حيـث دخلـت الجيوش المتوكليـة إلى (سامطـة) فاستولوا

---

(١) اليمن شماله وجنوبه، تأريخه وعلاقاته الدولية لمحمود كامل المحامي ص٢٧٠ دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨م.

(٢) تكوين اليمن الحديث ص٣٥٨، ويذكر صاحب هذا الكتاب بعض تفصيلات الحادث فيقول: (احتلت القوات اليمنية جبل العر وأخذت بعض الرهائن...).

(٣) تاريخ عسير في الماضي والحاضر لهاشم النعمي ص٣٥٤.

(٤) مرتفعـات الجزيـرة العربية ج٢ ص٤٣٢ (لهـاري سنت فلبي) ترجمة مصطفى حسـين، مطا بع العبيكان ١٤٢٦ الرياض تعليق غيشان جريس.

(٥) انظـر عـن تطويل المفاوضات الشديد مذكرات تركي الماضي من صـ٤٦ حتى ص٢٥٠، وانظر كتاب: تكوين اليمن الحديث ص٣٦٧-٣٨٥، وأضواء على تاريخ الجزيرة العربية ص٢٠٨-٣٣٧ وغيرها.

(٦) سامطة إحدى مدن المملكة العربية السعودية الحدودية مع اليمن، وتقع على ضفة وادي (المغياله)، وتبعد عن مدينة (جازان) إلى الجنوب بحوالي ٨٠ كيلاً، ويكتبها بعضهم بالسين: (سامطة)، وبعضهم بالصاد=

عليها) [1] (وكما حصل من هجومهم على (العارضة) [2] من جهة جبل (سلا) حتى طلب أمير (العارضة) (سعيدان بن محمد) [3] النجدة، - وكما حصل من اعتداء في (فيفاء) و (بني مالك) و (بلغازي) [4] حيث أنزل الإمام يحيى ثلاثة آلاف جندي هناك) [5]، (فقد كادت جيوش الإمام (يحيى) أن تجتاح (صبيا) و (جازان) لولا لطف الله ثم أن القبائل الموالية للأدارسة آنذاك وقفت ضد تقدم جيوش الإمام يحيى وأرغمتها على التراجع) [6].

وبعد كل هذه التعديات وتلكم المماطلات في المفاوضات التي لم يقصد منها الحسم حينئذٍ (وبعد أن يئس الجانب السعودي من الوصول إلى اتفاقٍ مرضٍ مع

=(صامطة)، وربما قلب (الطاء) (دالاً): (صامدة) انظر المعجم الجغرافي لمنطقة جازان للعقيلي.

(١) نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن لإسماعيل الوشلي ج٤ ص٢٣٠.

(٢) العارضة: محافظة سعودية حدودية مع اليمن، وهي قاعدة قبائل بني سفيان، وتقع شرق مدينة (أبي عريش) على بعد حوالي ١٥ كيلاً، وتتناثر القرى التابعة لها على جبال (العبادل)، و(سلا)، و (قيس) وجبال أخرى. انظر المعجم الجغرافي للعقيلي ص٢٨٣، وكتاب: (مرتفعات الجزيرة الغربية) (لفلبي) ج٢ ص١٠٧٥.

(٣) لم أجد لأمير العارضة آنذاك سعيدان بن محمد ترجمه في مصادري وإن كان فلبي قد زار العارضة في عام ١٩٣٧م وذكر اسم أمير آخر فيها هو: (عبد الله البشري)، انظر كتاب: مرتفعات الجزيرة الغربية ج٢ ص١٠٧٣.

(٤) (فيفاء) و(بني مالك) و (بلغازي) مسميات لجبال معروفة في منطقة جازان وكل مسمى منها يمثل محافظة أو مركزاً تضم عدداً من الجبال المكتضة بالقرى الممتلئة والسكان حيث تسكنها أعداد كبيرة من القبائل السعودية، انظر عن جبال منطقة جازان في المعجم الجغرافي للعقيلي ص٩٧-١٢٠.

(٥) العلاقات السعودية اليمنية لصالح الغامدي ص٣٤ والغامدي يحيل على وثائق وزارة الخارجية السعودية وبخاصة الوثيقتين رقم: (٨٧)، ورقم: (٨٨) ص١٠١-١٠٢.

(٦) تاريخ عسير في الماضي والحاضر لهاشم النعمي ص٣٧٢.

الإمـام) اضطرت القوات السعودية إلى دخول اليمن عن طريق تهامة والجبال[1].

فقـد أصدر الملك عبد العزيـز أمره للقوات السعودية بالتحـرك للدفاع عن الوطن واسترجـاع ما استولت عليه القوات اليمنيـة في منطقة جازان وفي منطقة نجران، فأمـر الملك فيصل بدخـول القوات السعودية التي يقودها عـبر حدود تهامة، وأمر الملـك سعـود بعبـور القـوات السعودية التـي يقودها عـبر حدود نجـران وصعده؛ فانطلقـت الحملتـان وحققـت أهدافهما، حيث حـررت قوات الملـك سعود نجران وشارفت على حدود صعده مع اليمن، واستطاعت قوات الملك فيصل أن تستعيد ما استولت عليه القوات اليمنية من مدن وجبال وبلدات في منطقة جازان، وأن تستولي على (حرض) و (ميدي) وما حولهما وتستمر في زحفها جنوباً حتى احتلت مدينة (الحديـده) وقد أورد أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في كتابه: (مسائل من تاريـخ الجزيـرة العربية) أبياتاً من الشعر العامي نسبهـا للملك (فيصل بن عبد العزيـز) حيث (كان يشعل بها حماس جيشه الذي قاده في تهامة ووصل به إلى ما بعد (الحديده) ومن تلك الأبيات:

قـولـوا لـنـزال الحـدود — عـن حـدنـا يـنـزاح وراه

عـاداتـنـا قـشـع الـعـمـود — والـطـيرنـرمـي لـه عـشـاه

ومنها:

بـارض الحـديـده قـطـبـوا الخيـام — والجـمـع الاول في زبـيـد

(١) تكوين اليمن الحديث ص٣٨١.

وَسْمِيَّةٍ جَتْ من جنوب وشام   هلت على جمع الضديد

ومن تلك الأبيات أيضاً:

يا طارشٍ يَمَّ الإمام العُود   قل له بنينا بالخبوت خيام) [1]

وباحتلال (الحديده) وما جاورها (خيل للعالم أن مصير اليمن أصبح محتوماً، ونشرت بعض الصحف العالمية أن الإمام (يحيى) قد خلع عن العرش أو قتل وأن بلاده قد أصبحت جزءاً من إمبراطورية ابن سعود) [2]، وبسبب ما تحقق من انتصارات ابن سعود في اليمن المذهلة و (ما أذيع من أخبار عن موت الإمام يحيى قدر الغربيون بأنه ليس هناك ما يمنع ابن سعود من ضم بلاد اليمن كلها إلى بلاده) [3]، ولذلك (أسرعت الدول العظمى التي لها مصالح في البحر الأحمر فأرسلت سفنها إلى ميناء الحديدة .... ولكن لم يبد أن هذه الدول كانت متفقة فيما بينها على الإجراءات التي يجب أن تتخذها...... وعلى حين بغتة هب الصلح وهو في الحقيقة صلح أغرب من الحرب) [4]، يقول العقيلي: (وحين احتلت القوات

(١) مسائل من تاريخ الجزيرة العربية ص٢٣٢-٢٣٣ لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وانظر كتاب: (الملك فيصل بن عبد العزيز بحوث ودراسات) ج١ ص٤٢١، وهي: بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك (فيصل) التي أقامتها دارة الملك عبد العزيز خلال الفترة من ١-٣ جمادى الأولى من عام ١٤٢٩هـ، وطبعتها الدارة في عام ١٤٣٠هـ في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها عن ألف وخمسمائة صفحة.

(٢) اليمن من الباب الخلفي لـ (هانز لفريتز) ص١٦٩، تعريب خيري حماد، ط٢، في عام ١٩٦٦، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، شارع محمد فريد.

(٣) مملكة الإمام (يحيى) رحلة في البلاد العربية السعيدة لسلفاتور أبونتي ص١١٣.

(٤) المصدر السابق ص١١٤.

السعوديـة مدينة (الحديـده) شعر الإمام (يحيى) بهـزة الزلزال ورجة البركان الـذي يحيق بمملكته فأبرق لابن سعود: (أيهـا الأخ كفى ما قد حصل، وهذا الولد (عبد الله بن الوزير) مفوضاً عنا لعقد المعاهدة)[1] حينئذ (انزعج الإمام (يحيى) وطلـب من الدول الإسلامية التدخل لـدى ابن سعود بوقف توغل جيوشه) [2] ثم (بعث الإمـام يحيى برقيـة إلى الملك عبد العزيز أعلـن فيها استسلامه والنـزول على حكمه وأنـه سيأمر بسحـب جيشه من نجران ومـن المناطق الأخرى التي استـولى عليها)[3] وقـد حرك انتصار القوات السعودية السريع مشاعر مواطني المملكة العربية السعودية؛ لذلـك سمعنا أحد شعراء جازان الكبار هو (علي بن محمد السنوسي[4] يُحَيِّي (الملك فيصل) وجيوشه المنتصرة التي صدت عن الوطن جيوش (الإمام يحيى) وتهديداتها واستعادت الأراضي السعودية فقال من قصيدة طويلة :

وفيصل القرم الحسام المنتضى　　　قد ساق جيشا من سراحين الغضا

سـقى بـه كأسـ الحتوف حرضـا　　　وقـارع الحــد بحـد ،ومضـى

يخفظ أعلاما وأخرى يرفع

هـوى مع الطل على دار العدى　　　ومس من قلب البـلاد الكبـدا

---

(١) أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث للعقيلي ص٣٨٦.

(٢) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره الفكري للسلمان ص٦٥.

(٣) هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٣ ص١٧١٩.

(٤) الشاعر على بن محمد السنوسي (سبقت ترجمته في ص ٢٦٧).

وصــب أنـكـالا علـيها وردى ولم يـدع فيها سوى (ضب الكدا)

ومن يكن منه حماه البرقع

وهـب يـطوي عـرض كـل بيد وطـرفـه يطمع في (زبـيـد)

مـرعـى المها والخـــردات الغيد وكــل يـــوم هـــو في مـزيـــد

من مدد يأتيه وهو يطمع

ومضى في القصيدة إلى أن قال :

لما درى والـــده ما صنعا وراعــــه مـن أمــره ما سمعا

ودون (صنعا) لم يكد أن يرجعا أفـــاده العلم بما قد قطعا

عليه من صلح ، فكرّ يرجع[1]

وكان الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي[2] كغيره من الشعراء السعوديين قد هنأ الملك عبد العزيز بقصيدة عصماء يقول فيها :

هو النصر فاهنأ بالفتوح المتمم وقطع نياط الشر بالحزم واقدم

وما نلته لولا اعتصامك بالتقى على كل خصم من خصومك مقدم

فإن مادت الأرض الفضاء (بميدها) عشية أمس بالخميس العرمرم

ورفت على (نجران) ألوية الهدى وحاطت بها الأبطال من كل مقرم

فليس وراهـا من يطيق بلاءها وليس سواها عن لقاك بمعصم

(١) شعراء الجنوب ص١٦ طبع مطابع عدن ١٣٧٠هـ، وانظر كتاب: عبد الله أبو داهش السنوي (حوليات سوق حباشة) ع٣ ١٩ ١٤١٩هـ ص١٦٣-١٦٤.

(٢) أحمد إبراهيم الغزاوي (سبقت ترجمته في ص ٢٦٥).

فيا ليت (يحيى) لم يفته رشاده ولم يعده التوفيق في دار مغرم
أيطمع فيما يستحيل بلوغه؟ ويوحش قلب الناصح المتلوّم
فهلا استعاد الشر قبل حلوله ولم يجتنبه لات ساعة مندم
فما كان أحرى بالكياسة مثله ولاسيما في مثل هذا التقحم

وهي قصيدة طويلة ختمها الغزاوي بقوله:

وإن التهاني بالأماني دوانيا كما اشتبكت بالرسغ أوشاج معصم
ولن يبخس الإنصاف من كان همه صلاحا وسلما بالدليل المسلم[1]

وبسبب ذلك الانتصار السريع الذي أحرزته القوات السعودية فتمكنت من التوغل كثيرا في الأراضي اليمنية طلب الإمام يحيى من الدول الإسلامية التدخل لدى ابن سعود، حيث أرسل الإمام يحيى برقية إلى المجلس الإسلامي الأعلى طالباً إرسال وفدٍ للمصالحة فأمر الملك عبد العزيز ابنه: (فيصل) بالتوقف[2]، (وحين وصل وفد الإصلاح والتوفيق المكون من: مفتي فلسطين: السيد محمد أمين الحسيني[3]، وأمير البيان: شكيب

(١) المجموعة الشعرية الكاملة لأحمد إبراهيم الغزاوي ج٢ ص٥٩٤-٥٩٦.

(٢) توحيد المملكة العربية السعودية للسلمان ص٦٥.

(٣) محمد أمين الحسيني: (١٣١١-١٣٩٤هـ) هو محمد أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني، زعيم فلسطيني، ولد وتعلم بالقدس، وأقام سنتين في الأزهر بمصر، وأقام في دار الدعوة والإرشاد التي أنشأها محمد رشيد رضا بمصر، درس أيضاً باسطنبول، وتخرج ضابطاً في عام ١٩١٦م، والتحق بالفرقة ٤٦ في أزمير، وعاد إلى القدس بعد الحرب الكبرى، ثم انتخب مفتياً لفلسطين بعد وفاة أخيه عام ١٩٢٢م، وتولى رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، كان أول من نبه إلى تكاثر اليهود في فلسطين بعد (وعد بلفور)، وفي عام=

أرسلان[1]، والرئيس هاشم الأتاسي[2] إلى الملك عبد العزيز ثم إلى الإمام يحيى لمحاولة التوفيق بينهما.

=١٩٢٥م جاء المندوب السامي البريطاني لزيارة المسجد الأقصى ومعه (بلفور) فمنع (الحسيني) دخولهما. كان رئيساً لجميع الحركات الفلسطينية، حاولت بريطانيا اعتقاله فنجا في زورق إلى لبنان، ثم غادرها إلى العراق، ثم تنقل في عدة بلدان، وحين شعر بمطاردات الإنجليز ذهب إلى فرنسا، وغادرها متنكراً إلى مصر فاستقر بها، وفي عام ١٩٤٨م قام بتأليف جيش الجهاد المقدس، شارك في كثير من الاجتماعات والمؤتمرات. وتوفي إثر عملية جراحية فدفن في بيروت عام ١٣٩٤هـ، له مذكرات منشورة. الأعلام ج٦ ص٤٥-٤٦.

(١) أمير البيان شكيب أرسلان: (١٢٨٦-١٣٦٦هـ): هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، عالم وأديب، ومؤرخ، وسياسي كبير، وكاتب عظيم، نعت بـ (أمير البيان)، من أعضاء المجمع العلمي العربي، ولد في (الشويفات) بلبنان، وتعلم في مدرسة دار الحكمة ببيروت، يجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية والتركية والألمانية، عين مديراً (للشويفات)، فقائم مقام (بالشوف)، وأقام مدة بمصر، ثم انتخب نائباً عن (حوران) في مجلس المبعوثان العثماني، قام بجولات كثيرة في أمريكا وأوروبا والبلدان العربية، أصدر في جنيف مجلة باللغة الفرنسية، من الكتاب المكثرين، أصدر عدداً كبيراً من المؤلفات من أهمها: (رحلة إلى الحجاز)، و (شوقي وصداقة أربعين سنة)، و (محمد رشيد رضا وصداقة أربعين سنة)، و (خلاصة تاريخ الأندلس)، و (ديوان شكيب أرسلان) وعشرات الكتب غيرها. رحل إلى (دمشق) خلال الحرب العالمية، ثم (برلين)، وانتقل إلى (جنيف) فأقام بها نحو ٢٥ عاماً ثم عاد إلى بيروت وتوفي بها ودفن في (الشويفات) مسقط رأسه، الأعلام ج٣ ص١٧٣-١٧٥.

(٢) هاشم الأتاسي: (١٢٩٢-١٣٨٠هـ): هو هاشم بن خالد بن محمد بن عبد الستار الأتاسي، زعيم سياسي وطني سوري، رأس الجمهورية السورية ثلاث مرات، ولد في (حمص)، وتعلم بها، ثم بالمدرسة الملكية بالأستانه، وتدرج في المناصب الإدارية في العهد العثماني، فبدأ: (مأمور معية)، (فقائم مقام)، (فمتصرف)، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري في عام ١٩٢٠م، في العهد الملكي الفيصلي، ثم رأس الوزارة في العام نفسه، ولما احتل الفرنسيون سوريا استقال وعاد إلى حمص، وفي أواخر الثورة السورية اعتقله الفرنسيون، وحين عقد السوريون مؤتمراً وطنياً في عام ١٩٢٧م انتخب رئيساً له، ورئيساً للكتلة الوطنية، ثم انتخب رئيساً للجمهورية السورية عام ١٩٣٦م، ثم ترك منصبه حين لم يف الفرنسيون بعهودهم، وأعيد انتخابه عام ١٩٥٠م للمرة الثالثة، ولم تطل مدته، حيث رجع إلى حمص واعتكف في داره حتى توفي سنة ١٣٨٠هـ، عرف بنقاء السريرة، والإخلاص، وعفة اليد واللسان، الأعلام ج٨ ص٦٥.

توقيع معاهدة الطائف بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية

وقد تم بفضل الله ثم بجهود أولئك الوسطاء توقيف النزاع الذي طال أَمَدُهُ وتوقيع معاهدة الطائف في شهر صفر عام ١٣٥٣هـ التي حسمت نقاط الخلافات الحدودية بين البلدين وأعادت المياه إلى مجاريها)[١].

(وبتوقيع هذه المعاهدة انتهت حالة الحرب وسرعان ما توطد بين البلدين وبين الشعبين صلح دائم، وصداقة أكيدة وأخوة إسلامية عربية لا يمكن أن تتزعزع) [٢]، وقد روعي في هذه المعاهدة أن تكون (إتفاقية حدودية، أمنية، دبلوماسية، اقتصادية ....) [٣].

وهكذا تم توقيع (معاهدة الطائف بعد مفاوضات طويلة، ومحاولات عديدة أعقبها صدام عنيف لم يكن منه بُدٌّ، وقد وقعها من الجانب اليمني العلامة عبد الله بن الوزير ومن الجانب السعودي صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز، وهذه الاتفاقية قد حسمت مشكلات الحدود بين البلدين بشكل دقيق، كما حسمت عدداً من القضايا الأمنية العالقة، ووضعت بعض الأسس الثابتة لمستقبل العلاقات السعودية اليمنية فعززت الصلات الأخوية، وساهمت في تمتين أواصر القربى والرحم بين الشعبين، (وبهذه المعاهدة وعهد التحكيم انتهى النزاع بين اليمن والسعودية) [٤].

---

(١) المقتطف من تاريخ اليمن لعبد الكريم الجرافي ص٣١٥.

(٢) مملكة الإمام (يحيى) للكاتب الإيطالي: سلفاتور أبونتي، ترجمة طه فوزي ص١١٥.

(٣) الموسوعة اليمنية ج٢ ص١٠٣٨.

(٤) اليمن عبر التاريخ ص٣٠٠، وانظر كتاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٣ ص١٧٢٠.

(وشهـدت علاقـات البلدين ازدهـاراً ونمـواً كبيرين خلال الفـترة من عام ١٩٣٤م) (وهـو عام توقيـع معاهدة الطائف) حتى عـام ١٩٦٢م وكانت المشاكل والخلافـات الجانبية تحل بشكل ودّي) [١] مما عزز الصلات الأخوية بين البلدين ووطـد العلاقات الوديـة بينهما، وكنتيجة طبيعية لتطور العلاقـات السلمية بينهما (فقـد شهدت الفترة الممتدة من عام ١٩٣٤ حتـى عام قيام الثورة اليمنية في سنة ١٩٦٢ شهـدت ازدهـاراً كبيراً في مختلف المجـالات، وأخذ البلـدان يحرصان على توثيق عرى الصداقة فيما بينهما) [٢].

وبرغـم عـدم اهتمام (معاهدة الطائـف) بالشأن الثقافي فقـد كانت بلسماً شافيـاً لكلـوم وبثور كثـيرة في جسم العلاقـات التي تربط بين البلديـن والشعبين، وباختصـار شديد فقد كانت هذه المعاهدة معاهدة أخوة إسلامية وصداقة عربية، أنهـت الحروب، ووصلت الرحم وداوت الجروح، وأزالت بعض التباين والاختلافات بـين البلدين، لذلك فقـد استقبلتها الأوساط الأدبيـة والاجتماعية بروح الاغتباط وكانـت تلك المعاهدة المباركة محـل سعادة وحبور غالب الأوسـاط الثقافية – وإن لم تؤطـر بنودهـا شيئاً ينظم مسـيرة العلاقات الثقافية بـين البلدين – كما كانت تلـك الاتفاقية محل تقدير الأوساط الاجتماعيـة والسياسية في البلدين الشقيقين؛ فقـد جاءت بلسماً لجراحـات كادت أن تتسع لولا فضل الله ولطفه الذي هدى قادة البلديـن لاختيـار السلم بديـلاً عن الحرب والوفـاق بديلاً عن الخـلاف والشقاق

---

(١) الحدود والعلاقات السعودية اليمنية لعيد الجهني ص١٥٨ بتصرف.

(٢) العلاقات السعودية اليمنية للقباع ص١٩٣.

فأعادوا لبلديهما وشعبيهما ما اعتادا عليه من حب ووئام وسلام.

وكان للشعر في هذه المناسبة المهمة حضوره واحتفاؤه الكبير بها حيث عبّر عن هذا الإنجاز التاريخي الوحدوي الذي حققته (معاهدة الطائف) للبلدين الشقيقين الجارين: المملكة العربية السعودية واليمن، وكان لشعراء البلدين مشاركات جادة ورصد لهذا الحدث السياسي المهم حيث شارك فيه شعراء من اليمن، وشعراء من السعودية، وعبروا عن سرورهم وابتهاجهم بهذا الانجاز التاريخي الذي حققه البلدان، وحيّا الشعراء قائدي البلدين العظيمين: الملك عبد العزيز، والإمام يحيى لأنهما جنحا للسلم الذي يقود إلى المحبة والوئام، فمن الشعراء السعوديين الذين شاركوا في الابتهاج بمعاهدة الطائف الشاعر السعودي الكبير أحمد إبراهيم الغزّاوي الذي أسهم بقصيدة عصماء في هذه المناسبة الجميلة جعل عنوانها: (هم الجيرة الأدنون) هنّأ فيها قادة الشعبين، وهنأ عقلاء ومفكري البلدين، والتفت إلى دعاة الفتنة من الحاقدين فشنع عليهم صنيعهم، وأشاد بانتصار دعاة الخير على دعاة الشر، كل ذلك وغيره صاغه الشاعر الغزاوي في قصيدته الرائعة التي يقول فيها:

حمدنا السُرى عقبى امتشاق البواتر ... وكدنا العدا بالصلح، رغم العواثر

وأصبح ما بين العروبة مسفراً ... من الحب والقربى، ونور البصائر

فأحر بيوم تم فيه ائتلافها ... ثناء الليالي والعصور الغوابر

فما الحرب إذْ ذاقت مرارة كأسها ... بأشفى غليلاً من سلامٍ مؤازر

إلى أن قال الشاعر الغزاوي:

فما كضمت من غيضها أو تجاوزت ... عن الجهل إلا رغبة في التناصر
ولا أغمدت أسيافها خشية الوغى ... فقد عرفت أيامها في المجازر
ولكنها قد آثرت فضل وحدة ... تظللها في قوة وتوافر
فلما أطل الشر والتاثت الحجى ... وحاكت نسيج البغض أيدي الغوادر
وأطبقت الآفاق وارتوت الضبا ... وصاح نذير الويل فوق المنابر
أفأنا إلى صلح تمهد بعدما ... أفاء بنو أعمامنا للأواصر
وتلك المنى لولا المنايا تقدمت ... فأنعم بهم، من كل باد وحاضر
هم الجيرة الأدنون، واللحمة التي ... لها الحسب الوضاح عرف الأزاهر
وهم دَمُنَا الغالي وأعصاب مجدنا ... وأعضادنا في كل ماض وحاضر

والتفت الغزاوي أيضاً في رائعته عن (معاهدة الطائف) إلى دعاة الفتنة موبخاً لهم على سوء صنيعهم فقال:

فقل لذوي الأحقاد هذا نتاجكم ... فهل كان إلا غصة في الحناجر
سعيتم فأخفقتم وبؤتم بإثمكم ... وبؤنا بحلف كامتزاج العناصر

ثم عاد في قصيدته لأصحاب الفضل في هذا الإنجاز الوحدوي العظيم ليهنئهم قائلاً:

أُهنيك يا صقر الجزيرة موجزاً ... بتوفيق من أولاك حسن المصادر
أُهنيك بالسِّلم الذي أنت شدته ... على أسس التقوى وطهر السرائر
وأنت بحول الله أحييت أمة ... تقنّصها الأعداء من كل ماكر[1]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد إبراهيم الغزاوي ج٢ ص٥٩٧-٦٠٠.

وكما ابتهج الشعراء السعوديون بمعاهدة الطائف فقد ابتهج بها علماء وشعراء ومفكرون يمنيون، وممن شارك في الاحتفاء (بمعاهدة الطائف) من الشعراء اليمنيين: الشاعر إسماعيل بن حسن المداني الذي تقدم بالتهنئة والتبريك عن طريق أمير نجران: (تركي الماضي) حينما كان أميراً لنجران فقال:

أمير نجران دُمْ في مجلس الكرم … وفي المعالي خدين العز والكرم
إني أهنيك بالعيد السعيد وبالمجد … الأكيد وبالخيرات والنعم
وبالسعادة لا زالت مخيمة … على ديارك في العقبى وفي القدم
والله نسأل أن يبقي (الإمام) لنا … كذلك (الملك السامي) على العلم
فإننا في نعيم كلما بقيا … فزنا بأمن، وإيمانٍ، وحقن دم
قد شمَّرا، ثم جدَّا، في بنا الشـ … ـعب العزيز وصاناه من النقم
ومن مطامع أهل الكفر إذ ظهرت … فقام في هدّها العالون في الهمم
وألّفا بعد تفريق العدا فلهم … يدٌ على جمعنا المشكور في الأمم
فأصبحت ملة الإسلام واحدة … والمسلمون يداً في وحدة الكلم
فالحمد لله، والشكر الجزيل على … جمع القلوب وحفظ العهد والذمم[1]

وهكذا فقد أصبحت (معاهدة الطائف) ببنودها الثلاثة والعشرين وملحقاتها، أصبحت أنموذجاً حياً لذوي الإرادات المخلصة لأمتها وشعوبها، فهي عمل عربي وحدوي يتطلع العرب لاحتذائه، وإنجاز حضاري حقن الدماء وصان الإخاء.

(١) من مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية ص٢١٨.

أمـا على المستوى الإقليمي فقد أعـادت (معاهدة الطائف) تلك اللحمة التي تربـط بين شعبي اليمن والمملكـة العربية السعودية، وعززت روابـط الأخوة المتينة بينهمـا، وأصبح كل بلد منهما يحرص على تقوية عـرى الصداقة، (ويمكن القول بـأن ثمار هذه المعاهدة قد بـدأت تؤتي أكلها: تعاوناً وثيقـاً، وتواصلاً على المستوى الشعبي والرسمي بدأ يظهر للعيان) [١].

---

(١) العلاقات السعودية اليمنية لعبد الله القباع ص١٩٣.

من ثمار معاهدة الطائف: التأكيد على التواصل الثقافي بين السعودية واليمن

لقد جاءت معاهدة الطائف لتعمق روح الإخاء والمودة بين شعبي وقيادتي اليمن والمملكة العربية السعودية ولتؤكد على التواصل الثقافي بين البلدين، ففي عام١٣٥٧هـ الموافق١٩٣٧م أي بعد ثلاث سنوات من توقيع الاتفاقية شهدت المملكة العربية السعودية زيارة أخوية لثلاثة أمراء من أبناء الإمام يحيى بن محمد حميد الدين (إمام اليمن) هم: (الحسين)(١) و(القاسم)(٢) و(عبد الله)(٣) أبناء

(١) الحسين بن الإمام يحيى: هو الحسين بن يحيى بن محمد حميد الدين: (١٣٢٧-١٣٦٧هـ) ولد بالأهنوم، ونشأ بحجر والده بقفلة عذر وأخذ عن الفقيه المقري محمد بن أحمد زايد وعن القاضي عبد الله السرحي كما أخذ عن عدد من علماء صنعاء، وكان من أكثر أبناء الإمام يحيى علماً، فهو عالم مشارك في كثير من علوم العربية، ولاه والده إمارة لواء (الحديده) خلفاً لأخيه محمد في عام ١٣٥٠م، وبعد عام عاد إلى صنعاء وانقطع للعلم، ناب عن والده في مهمات كثيرة، حيث كلفه بالسفر إلى بريطانيا لحضور حفل تتويج الملك (جورج السادس)، وإلى اليابان لافتتاح مسجد طوكيو، ثم العودة إلى لندن لحضور اجتماعات المائدة المستديرة، وكانت له عزمات ومهام كثيرة، وفي يوم الخميس ٩/ ٤/ ١٣٦٧هـ توفي مقتولاً بعد قتل والده بثلاث ساعات. انظر كتاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣ ص١٧٥٦-١٧٥٩، وانظر كتاب: نزهة النظر لزبارة ج١ ص٢٨٩.

(٢) القاسم بن يحيى حميد الدين: هو أحد الموفدين لزيارة المملكة من أبناء إمام اليمن: (الإمام يحيى بن محمد حميد الدين) ومع أنني لم أعثر له في مصادري على ترجمة (كأخويه: الحسين، وعبد الله) إلا أنني وجدت إشارة عنه في كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) تؤكد بأنه كان وزيراً للصحة في حكومة والده الإمام يحيى. انظر ج٣ ص١٧٢٧، وانظر صورة خطاب من وزير الصحة: (القاسم بن يحيى حميد الدين) موجه لوالده في الصفحة ١٧٢٦-١٧٢٧ نصاً مطبوعاً وتاريخ كتابة ٧/ ١٠/ ١٣٦٣هـ بتوقيع (ابنكم القاسم).

(٣) عبد الله بن الإمام يحيى حميد الدين: هو سيف الإسلام عبد الله بن يحيى بن محمد حميد الدين:=

الإمام يحيى حميد الدين، حيث زاروا مكة المكرمة والمدينة المنورة وجده والطائف، واستقبلـوا بحفاوة بالغة، وقابلوا خلال هذه الزيارة الملك عبد العزيز، وكانوا محل حفاوة وتقدير)[1] وكان لتلك الزيارة آثاراً طيبة في تنمية علائق المودة بين البلدين الشقيقين، ولا شـك بأن الأدباء والشعراء من البلدين قد شاركوا في الاحتفاء بهذه الزيارة وإن كانت المصادر قد بخلت علينا بالكثير من ذلك.

وفي عام ١٣٥٩هـ الموافق ١٩٤٠م شهد اليمن الشقيق زيارة أخوية كريمة لنجل الملـك عبد العزيز: صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز[2] ضمن وفد

= (١٣٣٠-١٣٧٤هـ)، ولد في السـودة، وقيل بالأهنوم، أخذ العلم عن علماء مدرسة دار العلوم بصنعاء كان مهذبـاً كريم الأخلاق وكان من أكمل أبنـاء الإمام يحيى في الأعمال الإدارية، فولاه أعمال (لواء الحديده)، ثـم عينه وزيراً للمعارف، ومثـل والده في حضور افتتاح جامعة الدول العربيـة في عام ١٣٦٤هـ والتوقيع على ميثاقها، كما سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية مطالباً بانضمام اليمن إلى الأمم المتحدة، وفي عهد أخيه (الإمـام أحمـد حميد الدين) عينه وزيراً للخارجيـة فزار عدداً من الدول الأوروبيـة، وله سعي مشكور في طبـع بعض الكتب العلمية وحـين هم الإمام أحمد أن يعين ولده: (البدر) وليـاً للعهد كاتبه محذراً من هذا التصـرف، وقـد تلا ذلك حركـة (الثلايا) عام ١٣٧٤هـ وتم الضغط على الإمام (أحمـد) بالتنازل عن الحكـم لأخيـه (عبد الله) فكتب تنازلاً صورياً تمكـن بعده من اعتقال الثوار وكل مـن أيدهم واعتقل أخاه المترجـم لـه، ثم نفذ في الجميع القتل بما فيهم أخويه: (عبـد الله) و (والعباس) اللذين قتلهما في الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٧٤هـ. هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٣ ص٩٩٢-٩٩٩، وانظر كتاب: نزهة النظر لزبارة ج١ ص٣٩٩.

(١) العلاقات السعودية اليمنية للقباع ص١٩٥.

(٢) صاحـب السمـو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٣٢٨-١٤٠٢هـ): ولـد في مدينـة الرياض وهـو رابع أنجال الملك عبـد العزيز نشـأ في رعاية والده ودرس في مدرسة الأمراء فحفـظ القرآن الكريم ودرس في التاريخ وفي بعض العلوم السياسية وهو يحمـل لقب (أمير المدينة)، فقد ولّاه والـده إمارتهـا وعمره خمسة عشر عاماً وظل أميراً بهـا طيلة اثنين وأربعين سنة، كان على جانب عال=

رفيع المستوى يضم مستشار الملك عبد العزيز: (بشير السعداوي) وآخرين من مسئولي الدولة السعودية (وتهدف هذه الزيارة لتقوية عرى الأخوة والصداقة بين البلدين الشقيقين الجارين وقد كان لهذا الوفد استقبال حافل في اليمن الشقيق وعلى أعلى المستويات، حيث قابل الوفد الإمام يحيى بنفسه واستقبلهم بكل حفاوة وتقدير) [(١)].

أما في المملكة فقد كان لوفد سمو الأمير محمد بن عبد العزيز المغادر إلى اليمن حفل توديع كبير ألقيت فيه القصائد الشعرية، وقد أشار إلى الاحتفاء الكبير بهذه المناسبة الشاعر الكبير (فؤاد شاكر) [(٢)] فقال: (قام صاحب السمو الملكي

=من التهذيب، له شغف بالعلم وميل إلى الثقافة، فقد كان دائم القراءة والاطلاع، وله منزلة أدبية خاصة، فقد كان شاعراً يكتب شعره تحت اسم (فالح)، وقد عرف بركوب الخيل كما عرف بالفروسية والشجاعة والإقدام والحزم، شارك ببسالة في معارك توحيد المملكة، حيث شارك مع والده في حصار جده في سن مبكرة وأرسله ولده لفتح المدينة المنورة، ثم شارك في حروب توحيد المملكة مع والده وإخوانه فقد حارب في معركة (السبلة) عام ١٣٤٧هـ، وحارب في حرب جازان، وفي حرب اليمن وغيرها، وكان ينيبه والده في بعض المهمات، ومنها: رحلته إلى اليمن في عام ١٣٥٩هـ موفداً من والده إلى إمام اليمن، كما كان يقوم بمهمات وطنية وسياسية أخرى تنازل لأخيه الملك خالد عن دوره في ولاية العهد وقد توفي سنة ١٤٠٩هـ ودفن في مقبرة (العود) بالرياض، انظر كتاب رحلة الربيع لفؤاد شاكر ص٩٤، وانظر: (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

(١) المقتطف من تاريخ اليمن للجرافي ص٣٢٣، وانظر العلاقات السعودية اليمنية للقباع ص١٩٦.

(٢) فؤاد شاكر: هو الشاعر والأديب السعودي الكبير: فؤاد بن إسماعيل شاكر (١٣٢٢-١٣٩٢هـ): أديب، وشاعر، وكاتب صحفي، ولد بمكة المكرمة، وتلقى تعليمه بها، ثم أتم تعليمه بالقاهرة، حيث كان مع أول بعثة سعودية وقد تخصص في الأدب العربي وهناك أصدر صحيفة سماها (الحرم)، ثم دعي إلى مكة المكرمة فتولى رئاسة تحرير صحيفة (أم القرى) في عام ١٣٥٥هـ وظل رئيساً لتحريرها خمسة عشر عاماً كما=

الأمـير محمد بن عبـد العزيز برحلـة إلى اليمن في سفارة خاصـة موفداً من قبل حضرة صاحب الجلالة والده العظيم الملك عبد العزيز في شهر صفر عام ١٣٥٩هـ وقـد ألقيـت في حفل توديعـه القصائد الشعرية المعـبرة) [١] وممن شارك في هذا الحفل الكبير الشاعر فؤاد شاكر فقد خاطب سمو الأمير قائلاً:

قدمت فهذا الشعب بالبشر يخفق — يـرف عليه اليُمن منك ويشـرق
تطالعه من حسن لقياك بهجة — يـزيـد سـناهـا ضـوؤك المتـألـق
فمن في جوار البيت نحوك شيق — ومـن في ربـا نجـد وصنعاء شيّق
ومـا نحـن إلا أمـة عـربيـة — يـؤلفهـا ديـن، وأرضـ، ومنطق
ومـا نحن إلا ذلك الجسد الذي — إذا ما اشتكى عضو يميد ويطرق
فسر لبلاد سوف تلقى بساحها — وشيجة ذي القربى برؤياك تشرق
إلى الجيرة الأدنين والأخوة الأولى — جـرى الـود فيمـا بيننـا يتـدفق
فبلغ إلى الشعب الشقيق تحية — تـعبر عـن صـدق الـوداد وتعبق
فـأنت رسـول الخـيرمـا بـين أمـة — مـوحـدة بـالله والـديـن تـعلق[٢]

=تـولى رئاسة تحرير صحيفة (صوت الحجاز)، ثم أصدر صحيفة (أخبار العالم الإسلامي) الأسبوعية، عـين موظفاً بالمراسم الملكية، وفي عام ١٣٨٠هـ عمـل رئيساً للتشريفات برابطة العالم الإسلامي له عدد من المؤلفات والدواوين الشعرية بلقب سبعة عشر كتاباً ومنها: (غزل الشعراء بين الحقيقة والخيال)، و (دليل المملكـة العربيـة السعودية)، و (رحلة الربيـع)، و ديوان (وحي الفؤاد) وغيرها. توفي بجده عام ١٣٩٢هـ. الأعلام ج٥ ص١٥٨-١٥٩، وانظر كتاب: رحلة الربيع ص٨ .

(١) رحلة الربيع لفؤاد شاكر ص٩٤-٩٦ من منشورات دارة الملك عبد العزيز ١٤١٩ الرياض.

(٢) رحلة الربيع لفؤاد شاكر ص ٩٤-٩٥.

ومـمـن شارك في حفل التوديـع الذي أقيم للوفـد السعودي المتوجـه إلى اليمن برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز: الشاعر الكبير أحمد ابن إبراهيم الغزاوي حيث أنشد في ذلك الحفل قصيدة عصماء سنختار منها قوله:

مشت الرياض وماست البطحاء ... وهفت إليك بقلبها صنعاء

واستبشرت بك في السفارة أمة ... يحدو أمانيها الجسام رجاء

فاسلك طريقك واستبق في حلبة ... فيها الهدى والعزة القعساء

وأفض هنالك، بالحديث مودة ... تشذي بها الأصقاع والأرجاء

واشدد من القربى وشائج وصلها ... واسطع فإنك كوكب وضاء

وأشِدْ صروح الحب بين جوانح ... هي للعروبة كلها أحناء

وانعم وعُد للشعب أعظم وافد ... تدنو به الآمال وهي رخاء

إلى أن قال قبل ختامها:

عاش الأمير ابن المليك (محمد) ... وبنو أبيه القادة الأمراء[1]

ومـا دام وفـد سمـوه (قـد استقبـل في اليمـن استقبـالاً حافلاً وعلـى أعلى المستويـات) – كما نقلنا في السطـور السابقة عن المؤرخ اليمني: (الجرافي) فلا نستبعد مشاركات الأدباء والشعراء في الاحتفاء بسموه وبالوفد المرافق له وإن كانت مصادري لم تسعفني بذلك.

أمـا حين عودة الوفد السعـودي من اليمن الشقيق بعيد الزيـارة الميمونة فقد

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد إبراهيم الغزاوي ج٢ ص٦٨٣، وانظر: رحلة الربيع لفؤاد شاكر ص٩٤-٩٥.

أقيم لسمو الأمير محمد بن عبد العزيز والوفد المرافق له حفل استقبال كبير أنشدت فيه القصائد الشعرية التي عبروا فيها عن سعادتهم بنجاح الوفد، أشار إلى ذلك صاحب كتاب (رحلة الربيع) فقال: (قام سمو الأمير محمد بمهام هذه السفارة خير قيام وعاد منها عودة كريمة فاستقبل في الحجاز بحفاوة بالغة حيث أقيم لاستقباله حفل كبير ألقيت فيه القصائد الشعرية)[1] وممن شارك في حفل الاستقبال الشاعر السعودي الكبير: أحمد إبراهيم الغزاوي، فقد أنشد قصيدة طويلة رائعة نختار منها قوله:

يا قادماً ويد الرحمن تكلؤه … والشعب يرمقه والعين والأذن
ويا ابن من لو هتفنا باسمه شرفا … تلفَّت الدهر عجباً وهو مفتتن
ويا أخا كل (منصور) بفيلقه … بك (الحجاز) تهادى وازدهى اليمن
إني شهدتك في صنعاء من أمَمٍ[2] … حيث المكارم في أكنافها سنن
بلغتها وهي نشوى أن تراك بها … وفي رباها لمن يهفو لها سكن
فبادلتك سلاف الود صافية … كؤوسه، وهو في الأعماق مكتمن
واليوم ترنو لك الأبصار خاشعة … والدين، والمجد، والتاريخ، والوطن

إلى أن يقول:

فاقبل تهانئنا كالروض رقّ بها … حُبُّ الغمام فراق الزهر والغصن[3]

---

(١) رحلة الربيع ص٩٦.

(٢) في هذا البيت إشارة إلى أن الشاعر الغزاوي كان أحد أعضاء الوفد المرافق لسمو الأمير محمد بن عبد العزيز إلى اليمن.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة للغزاوي ج٢ ص٦٨٤-٦٨٥.

كما شارك في حفل استقبال الوفد السعودي العائد من اليمن: الشاعر السعودي فؤاد شاكر الذي أنشد قصيدة يقول في بعض أبياتها:

أقبلتَ وضاح الجبين	كالليث يخطر في العرين
متهلل القسمات في	وضح من البشرى مبين
أديت حق سفارة	عزت نفوس المخلصين
أنعم بشخصك من وفيٍّ	في سفارته أمين
أدى الرسالة حقها	أو زاد فيها ما يبين
شأن الرزين إذا انبرى	لرسالة الرأي الرزين
أولست غصناً مثمراً	في دوحة الملك الأمين
وابن المليك المفتدى	وأخا الرجال النابهين
عبد العزيز وحسبه	ما فيه من تقوى ودين [1]

- وكما رصد فؤاد شاكر حفل توديع صاحب السمو الملكي الأمير (محمد بن عبد العزيز) والوفد المرافق له ورصد حفل استقباله بعد عودته من اليمن الشقيق، رصد المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي تلك الزيارة، وذكر العقيلي أن سمو الأمير (محمد) استقبل في جازان استقبالاً رسمياً وشعبياً وأقام بها ثلاثة أيام وسط مظاهر الحفاوة والابتهاج ثم غادرها براً في طريقه إلى صنعاء، وأنه في طريق عودته من اليمن قد ركب البحر إلى جده، ومما قاله العقيلي في رصده: (وفي أول شهر صفر سنة ١٣٥٩هـ الموافق ١٩٤٠م وصل إلى مدينة جازان سمو

(١) رحلة الربيع لفؤاد شاكر ص٩٨-٩٩.

الأمير (محمد بن عبد العزيز) في طريقه إلى صنعاء منتدباً من قبل جلالة والده الملك (عبدالعزيز) إلى جلالة الإمام (يحيى) لدراسة الموقف الدولي الخطير ....) ومضى في وصف استقبال سموه في جازان إلى أن قال: (واستقبلت جازان الأمير (محمد بن عبد العزيز) بمظاهر الحفاوة والابتهاج ونشرت الأعلام، وأقيمت الزينات والأفراح، وبعد أن أقام في جازان ثلاثة أيام غادرها في طريقه براً إلى صنعاء وبعد أن أنهى مهمته عاد إلى جدة بطريق البحر) [1] أما في اليمن الشقيق فلقد رصد المؤرخ اليمني الكبير عبد الله الجرافي[2] زيارة الأمير محمد بن عبد العزيز والوفد المرافق له إلى اليمن وما قوبلوا به من حفاوة وترحيب من كبار المسئولين، فقال: (وفي سنة ١٣٥٩هـ وصل إلى صنعاء سمو الأمير محمد بن عبد العزيز لزيارة الإمام المتوكل على الله (يحيى بن محمد حميد الدين) في حاشية كبيرة على رأسهم الشيخ بشير السعداوي مستشار الملك عبد العزيز، وطاهر رضوان من كبار موظفي وزارة الخارجية للمملكة العربية السعودية، وقد استقبل

(١) تاريخ المخلاف السليماني لمحمد بن أحمد العقيلي ج٢ ص١١٦٢، ط٣ مطابع البلاد بجده ١٤١٠هـ.

(٢) المؤرخ: عبد الله الجرافي (١٣١٩-١٣٩٧): القاضي المؤرخ عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن أحمد الجرافي الصنعاني، ولد بصنعاء ونشأ بحجر والده، ودرس على جماعة من علماء صنعاء الأعلام ومنهم: العلامة حسين بن محمد أبو طالب، والعلامة عبد الخالق الأمير، والقاضي عبد الله السرحي، وغيرهم، أجيز من العلامة يحيى بن محمد الإرياني في سنة ١٣٥١هـ، والجرافي مؤرخ عصري ثبت، ومحقق جيد، له كتاب: (تحفة الإخوان في ترجمة شيخه الحسين بن علي العمري) إلى جانب كتابه الشهير: (المقتطف من تاريخ اليمن)، وشارك المؤرخ زبارة في تراجم عدد من رجال كتابه: نزهة النظر توفي سنة ١٣٩٧هـ. نزهة النظر ج١ ص٣٨٠-٣٨١، الروض الأغن ج٢ ص٦٨-٦٩.

رجال الحكومة اليمنية هذا الوفد أحسن استقبال، وكان الغرض من هذه الزيارة تقوية روابط الصداقة والأخوة بين الحكومتين العربيتين والعاهلين العظيمين..... ولقد كان لهذه الزيارة شأن عظيم إذْ دَلّت على ما يشعر به العاهلان العربيان من ضرورة التضامن والتفاهم ولا سيما في هذه الظروف) [١].

- ثم تتابعت الزيارات بين مسئولي البلدين وتأكدت أواصر الأخوة وحسن الجوار وأصبح التلاحم بين الشعبين هو السمة البارزة، (ويسجل التاريخ أن الزيارات والصلات الودية بين البلدين قد ازدادت خلال الفترة (١٩٣٤-١٩٦٢م) وزاد معها نمو العلاقات الإيجابي بين اليمن والسعودية) [٢].

ولا شك بأن هذا التواصل بين البلدين الشقيقين وهذه الحميمية التي تجلت في زيارتي أصحاب السمو الأمراء وما تلاهما من زيارات ودية واتصالات بين مسئولي البلدين الجارين قد عادت على الشعبين بالخير والنماء والاستقرار، وهذا يؤكد أن كل ذلك يأتي كثمرة من ثمار (معاهدة الطائف) التي رسخت العلاقات الأخوية وأزالت كل أسباب الخلافات، وكان لها تأثير كبير ليس فقط على مستوى علاقات البلدين: (المملكة العربية السعودية، واليمن) بل وعلى مستقبل العلاقات العربية، فقد نظر إليها بعض الساسة بأنها (أنموذج) ينبغي أن يحتذى؛ لذلك وجدنا أحد الباحثين يصفها بأنها: (أول عمل عربي جدي في سبيل الوحدة العربية) [٣]، ولأنها

---

(١) المقتطف من تاريخ اليمن لعبد الله الجرافي ص٣٢٣.

(٢) العلاقات السعودي اليمنية لعبد الله القباع ص١٢٦.

(٣) المصدر السابق ص١٩١.

كذلـك بل لأنها تعتبر من المعاهدات الدولية المؤثـرة فقد وصفها الكاتب الإيطالي: (سلفاتـور أبونتي) فقـال: (إن معاهدة الصلح التي أُطلق عليها اسم: (معاهدة الطائف) لم تكن إلا أنشودة من أناشيد الوحدة العربية) [١]، ووصفها خير الدين الزركلي: (بأنها أشرف معاهدة عرفتها السياسة الدولية) [٢].

وأشـار إلى (شموليتهـا) المؤرخ (سيد سالم) فقـال: (إنها معاهدة عامة، نظمت العلاقات بين المملكتين العربيتين المتجاورتين بشكل دقيق) [٣].

ويقول (محمد جلال كشك): (بعد توقيع معاهدة الطائف بين الملك عبد العزيز وعبد الله بن الوزير نائباً عن الإمام (يحيى) تلك المعاهدة التي أنهت الحرب وأعادت (الحديـدة) لليمـن، سُمِعَ بكاء خارج الخيمـة الملكية التي تم فيهـا التوقيع، فتساءل الملك: من هذا الذي يبكي؟ قالوا له: هذا (فلبي) [٤] يبكي قائلاً: هل تتاح لأحد فرصة

---

(١) العلاقات السعودي اليمنية ص١٩١، والقباع ينقل عن كتاب: (مملكة الإمام يحيى) لسلفاتور أبونتي ص٦.

(٢) الأعلام ج٤ ص٧٠.

(٣) تكوين اليمن الحديث لسيد مصطفى سالم ص٤٢٦.

(٤) الحـاج عبد الله فلبي: اسمه (هاري سانت جون فلبـي) (١٣٠٢-١٣٨٠هـ): مستشرق بريطاني من أغزر الكتاب علماً بجزيرة العرب، ولد في سيلان، حيث كان والده يعمل في تجارة البن هناك، تخرج في جامعة (كمبردج)، يجيد اللغـة العربية، والفارسيـة، والبنجابية، والأردية، والهندوسية، خدم حكومتـه في الهند منذ العام ١٣٢٦-١٣٣٣هـ، ودعي إلى العراق فعمل في البصرة، وشغل منصب مستشار في حكومة العراق، ثم رئيس للمعتمدين البريطانيين في شرق الأردن، ثم استقال، وزار الرياض عام ١٩١٧م مع وفد بريطاني فتعرف على الملك عبد العزيز، عمل بالتجارة بعد استقالته في جده بالسعودية، وقوي اتصاله بالملك عبدالعزيز ،وأعلن إسلامه في عام ١٣٤٩هـ، فازداد قرباً من الملـك عبـد العزيز. توفي في بيروت سنة ١٣٨٠هــ. له مؤلفات كثيرة عن الجزيرة العربيـة وبلدانها تجاوزت خمسة عشر كتاباً من أهمها: (تاريخ نجد)، و (أرض الأنبياء)، و (مرتفعات الجزيرة العربية) نقلهما إلى العربية عمر الديراوي. الأعلام ج٨ ص٦٣-٦٤. وانظر غلاف كتابه مرتفعات الجزيرة العربية وغيرها.

ضـمّ اليمن ويتركها؟ ضيعت ملك أجدادك يا عبد العزيز!! فقال له الملك عبد العزيز: إن حربي مع اليمن لم تكن لضم اليمن، بل لإنهاء المشاكل والمطالب) [1].

ويقول الدكتور: غازي القصيبي: (كان أبي في أوروبا خلال الحرب السعودية اليمنيـة سنة ١٩٣٤م الموافق ١٣٥٣هـ وما أن سمع بهـا حتى أسرع بالعودة ليساهم في المجهـود الحربـي، فاكتشف فور عودتـه أن الملك عبد العزيز أمـر بتوقف قواته المتقدمة في اليمن ثم أمر بسحبها فاستغرب أبي هذا الموقف وأبدى استغرابه أمام الملـك عبد العزيز عدة مرات! في النهايـة استدعاه الملك عبد العزيز وقال له وهما علـى انفراد: يا عبد الرحمن أنت لا تعرف شيئاً عن اليمن هذه بلاد جبلية قبلية لا يستطيع أحد السيطرة عليها، وكل من حاول ذلك فشل) [2].

وهكذا فقـد كانت (معاهدة الطائف) انطلاقة نحو علاقات متينة ترسخها أواصـر الدين والدم والجـوار والمصالح المشتركة، لذلـك (فقد تطورت العلاقات السعوديـة اليمنية بعد معاهدة الطائف تطوراً ملحوظـاً في إطار أخوي) [3] وظلت هـذه المعاهـدة أساساً قوياً ومتينـاً لكل تعاون مشترك، ومرجعيـة مهمة لكل حدث طارئ (فقد شهدت العلاقات السعودية اليمنية ازدهاراً ونمواً كبيرين، حيث كانت سائر الخلافات تحل بشكل ودّي بين البلدين) [4].

---

(١) السعوديون والحل الإسلامي لجلال كشك ص٨١.

(٢) حياة في الإدارة لغازي القصيبي ص٤٧-٤٨، ط٣ المؤسسة العربية للنشر بيروت ١٩٩٩م.

(٣) العلاقات السعودية اليمنية لصالح عون الغامدي ص٤٥.

(٤) الحدود والعلاقات السعودية اليمنية لعيد مسعود الجهني ص١٥٨.

صمود معاهدة الطائف برغم التقلبات السياسية

ومـع كل ذلك فقد ظلت مشاكل الحدود بـين البلدين في حالات جزر ومد، طيلة عقـود كثيرة، حيث تعرضت تلك الإتفاقية لاهتـزازات عنيفة كتلك التي حصلت حين تدخلـت القوات المصرية في شؤون اليمن وهددت الحـدود السعودية أيام قيام الثورة اليمنية في عام ١٩٦٢م وما بعد ذلك العام، وكتلك الاهتزازات التي حصلت في علاقات البلديـن بعد غزو العراق للكويت، وما ظهـر من موقف اليمن من ذلك الغزو وما تلاه مـن أحداث وصفها أحـد الباحثين اليمنيين المعاصرين بأنهـا حصلت: (بسبب سوء إدارة اليمن لأزمة الخليج الثانية لتناقض مواقف اليمن تجاه الأزمة) [١].

ولم تكـن تلك المنغصات في علاقات البلدين بالشيء الهيِّن، لولا لطف الله ثم ما يتحلى به قادة البلدين من تحكيم عقولهم المدركة لأبعاد تلك القضايا، ومن ثم تغليـب العقول في حلها رعاية لمصالح البلدين المشتركة، متعاونين على رأب الصدع وإصلاح الخلل:

إذا احتربت يوماً وسالت دماؤها تـذكـرت القـربـى فسالت دموعها

لقد ساء وضع العلاقات السعودية اليمنية في الآونة الأخيرة التي سبقت زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز لليمن حتى كاد أن يصل إلى الصدام الحدودي المسلح وبخاصـة في بعض الجزر البحريـة الحدودية لولا لطف الله ثم تعاون قادة البلدين

---

(١) السياسـة الخارجيـة اليمنية تجاه دول مجلـس التعاون، لخالد ناجي خماش حبيشـ ص٣٢٢ من منشورات المكتب العربي الحديث الإسكندرية ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

وحرصهـم الأكيد على تهدئة الأمور وإعادة المياه إلى مجاريها؛ فمبادرة كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حينما كان ولياً للعهد ونائباً للملـك فهد وذلك أثناء مشاركتـه الأولى في احتفالات اليمن بذكـرى الوحدة التي أقيمـت في شهر مايو عام ٢٠٠٠م[١] وخلال مشاركتـه في هذه المناسبة عرض على القيادة اليمنية مقترحاً سعودياً حول إنهاء مشكلة الحدود بين البلدين، فوجد تفهماً وتعاونـاً كبيرين من الرئيس اليمني الحالي علـي عبد الله صالح، فتمّ التفاهم بين الزعيمين بعد أن توفـرت الإرادة السياسية، واتخذت كافة التدابير لاحتواء الأزمة وذلـك بالاتفاق على حل كافـة المسائل العالقة بما في ذلـك قضايا الحدود المزمنة حيـث اتفق الزعيمان على حلها وإعـادة ترسيمها وتقديم كافة التسهيلات اللازمة لذلـك في ضـوء معاهدة الطائف التي مـا زالت تحتفظ بمرجعيتهـا واحترام قادة البلديـن لسائر بنودها التي تضمن حقوق البلدين الجارين وتوفر لرعاياهما الأمن والطمأنينـة وحسن الجوار، وتقوى أواصر المحبة التي كانت وما زالت محل اهتمام قـادة البلدين على مر التاريخ وعلى وجه الخصوص قادة المملكة العربية السعودية الذيـن يكنون لليمـن كل مودة وتقدير[٢] منـذ عهد الملك المؤسـس: (عبدالعزيز)

(١) السياسـة الخارجيـة اليمنية تجاه دول مجلس التعاون لخالد ناجي صـ٣٢٢، وانظر كتاب: عبد الله بن عبد العزيز في صور وسطور ص١٧٣، نشر دار الصحراء للنشر والتوزيع ط٤ ١٤٢٤هـ.

(٢) أكـد هـذه المواقف الأخويـة المشرفة من القـادة السعوديين نحـو إخوانهم في اليمن الشقيـق أكدها فخامة الرئيسـ اليمني الحالي: (علي عبد الله صالح) في لقاء إعلامي أذاعته قناة (العربية) الفضائية في مساء يوم الجمعة الثالث من ربيع الثاني من عامنا الحالي ١٤٣١هـ ونشرته صحيفة الجزيرة السعودية في اليوم=

الـذي كان يحرص على تدعيـم الاستقرار في اليمن وتبعه أبنـاؤه الملوك: (سعود) و (فيصـل) و (خالـد) و (فهـد) و (عبـدالله) في الاهتمام باليمن الجـار أرضاً وإنسانـاً، ومـدَّ يد العون بكل ما يوفر لبلاد اليمـن الاستقرار والرخاء، لا نقول هذا القـول جزافاً فهناك ساسة ومؤرخون يمنيون يؤكدونـه في كتبهم ومذكراتهم، وفي السطور التالية سننقل بعض أقوال أولئك الساسة والمؤرخين اليمنيين المنصفين:

يتحـدث العلامة المؤرخ السياسي الكبير أحمد محمد الشامي[1] بإنصاف عن

= التـالي وفي ذلـك اللقاء أشار فخامته إلى أن معاهدة الحدود بـين البلدين تمت بمبادرة شجاعة من الملك عبـد الله بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربيـة السعودية. انظر: صحيفة الجزيرة السعودية العدد: ١٣٦٨٧ بتاريخ ٤ ربيع الثاني ١٤٣١هـ.

(١) أحمـد بن محمد الشامـي (١٣٤٢- ١٤٢٦هـ) علم من أعلام اليمن أديـب، وشاعر، وسياسي كبير، ولد في (الضالـع) مـن أسرة علمية كريمة هي أسرة آل الشامي التـي تربطها مع آل حميد الدين صلة قرابة، وبعد سن الخامسة عاد إلى صنعاء مع بعض أفراد أسرته فتلقى العلم على مشائخها، كتب الشعر الحسن في سن الخامسة عشرة، كان من دعاة الإصلاح في اليمن، وقد اعتقل عدة مرات، ولمكانته فقد تقلد مناصب قيادية كثيرة منها: سكرتير مجلس الوزراء في عام ١٣٦٧هـ، قائم بأعمال المفوضية اليمنية بالقاهرة عام ١٣٧٥هـ، وزيـر مفوضـ لليمن في لندن عام ١٣٨١هـ، وزير خارجية الملكيـين أثناء حروبهم مع النظام الجمهوري حتى قامـت المصالحات عام ١٣٨٩هـ، سفير للجمهورية العربيـة اليمنية في لندن عام ١٩٧١م، ثم في باريس عام ١٩٧٢م، ثـم عضـو المجلس الجمهوري، وفي عـام ١٩٧٤م تقاعد وتفـرغ للكتابة والتأليف لـه عدد كبير من المؤلفـات والدواويـن الشعرية المطبوعـة والتي بلغت خمسة وعشريـن كتاباً وديواناً شعريـاً، وبعضها يقع في مجلـدات ومـن أهمهـا: (رياح التغيير في اليمـن)، و (قصة الأدب في اليمن)، و (مـع الشعر المعاصر في اليمـن)، ومـن الدواويـن: ديوان (من اليمن)، و (ألـف باء اللزوميات)، و (مـع العصافير في بروملي) وغيرهـا مـات سنة. انظر هجر العلـم ومعاقله في اليمن ج٢ ص٦٩٨، كتاب اثنينيـة عبد المقصود خوجة ج٣ صـ٣٧٣-٣٧٤، والروض الأغن ج١ ص٨٤ وغيرها، ونوهة النظر لزبارة ج١ ص١٤٨، وانظر عنه في موسوعة الأعلام على موقع الدكتور عبد الولي الشميري في الشبكة العنكبوتية.

هـذه الجوانب التي أشرنا إلى بعضها من سياسة المملكة نحو اليمن فيقول: (كانت سياسـة الملك عبـد العزيز وسياسة أبنائـه الملوك من بعده سياسـة متوازنة ثابتة، سياسة عدم التدخل في شئون اليمن، سياسة النصح الصادق، والمساعدة الخاصة، وتدعيم كلما يضمن لبلاد اليمن الاستقرار والرخاء والازدهار) [1].

كما تحدث عن مواقف المملكة إزاء اليمن وزير الدولة اليمني الأسبق العلامة السياسي أحمد محمد نعمان[2] فقال: (إن هذه المواقف المتميزة التي تقفها المملكة

(١) ريـاح التغيـير في اليمن لأحمد محمد الشامي ص٢٤١، ط١ في عام ١٤٠٥هـ دون ذكر اسم الدار الناشرة أو مكان النشر.

(٢) أحمد محمد نعمان: (١٣٢٧-١٤١٦هـ): ولد في الحجرية من بلاد (تعز) رحل إلى مصر وقرأ في الأزهر، وتعلـق بالسياسـة، وصفه المفكر والأديب السعـودي: عبد الله بلخير في كتابه: عبـد الله بلخير يتذكر فقال: (الزعيـم أحمـد محمد نعمـان ..... لبس العمامة وتـولى في المحاريب الإمامـة وانتصب وزيـراً فعضواً في المجلس الجمهوري وهو مع كل هذا الأديب والمؤانس والسمـير المبدع ....) ترجم له إسماعيل الأكوع ترجمة طويلـة فضفاضة نختصر منها قوله: (أحد القمم الشامخة في تاريخ اليمن الحديث علماً، وجهاداً، ودهاءً، وسياسـة، وهـو مع ذلك أديب كاتـب مترسل، وخطيب بارع، متكلم لسن فطن حفاظـة، قوي الذاكرة، سريع الإجابـة، ولـد في بلدة (الجبانه) بلواء تعز ودرس العلم في زبيد فبرز في علـوم العربية، والفقه، والحديث، والتفسـير، والأصول، ثم هاجر إلى مصر والتحـق بالأزهر، ثم عاد إلى اليمن فولاه ولي العهد إدارة معارف لواء تعز، ثم شارك مع (الزبيري)، و (دماج)، و (الموشكي) وآخرين في تكوين حزب الأحرار في عدن، وقد عـاد نعمـان إلى تعز بعد مقتل الإمام (يحيـى) وفشل ثورة الدستور فولاه الإمـام (أحمد) منصب مستشار وزارة المعـارف وجـرت أحداث غادر بعدها (أحمـد نعمان) من اليمن بنية الحج ثـم هاجر إلى مصر وظل مقيمـاً بهـا حتى بعد قيام الثورة اليمنية فعاد إلى اليمن وتقلد بعض المناصب القيادية في المجلس الجمهوري حيـث عهـد إليه في عام ١٩٦٥م بتشكيل وزارة برئاسته لكنه استقـال منها بعد ثلاثة أشهر وفي عام ١٣٩٤هـ صحـب الإريـاني مهاجـراً إلى دمشق ومنها ذهب إلى بـيروت. هجر العلم ومعاقله باليمـن (بتصرف) ج٢ صـ٦٩٥-٧٠٨، ولـه ترجمة موجزة في نزهة النظـر لزبارة ج١ ص١٤٦-١٤٧، وترجمـة مطولة في الموسوعة اليمنية ج٤ ص٢٩٨٩-٣٠٠٢ وتاريخ وفاته فيها ١٤١٧هـ.

العربية السعودية مع اليمن هي مواقف تجسد الصلات المتينة، والعلاقات الوطيدة، والتعاون الأخوي المتعاظم بين البلدين الشقيقين: السعودية واليمن) [1].

وتحدث أحمد محمد الشامي في موقع آخر من كتابه آنف الذكر عن بعض مواقف أبناء الملك عبد العزيز ومنهم: الملك فهد فذكر بأنه خاطبه قائلاً: (أنت تعرف يا أحمد اهتمام المملكة العربية السعودية باليمن وأن يكون جاراً سعيداً يظلل أبناءه الاستقرار والاطمئنان) [2] ثم مضى (الشامي) في سرد الحوار الذي دار بينه وبين الملك فهد فذكر كلاماً جميلاً للملك فهد عن علاقات المملكة باليمن إلى أن قال: (الشامي) وهو ينقل كلام الملك فهد بهذا الشأن: (أؤكد لك – يا أحمد – أن المملكة لن تبخل بأيّ مساعدة مالية لليمن حكومة وشعباً) [3].

– وكما تحدث العلامة السياسي اليمني (أحمد محمد الشامي) قبل أكثر من ربع قرن عن مواقف زعماء المملكة العربية السعودية المشرفة من اليمن وقضاياه وحرصهم على أمنه واستقراره، تحدث مؤخراً مشايخ قبائل يافع اليمنية عضو مجلس النواب اليمني الشيخ: (فضل العفيفي) عن تلك المواقف المبدأية الرائعة لزعماء المملكة في قضايا اليمن فقال: (إن الملك عبد الله بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية حريص على وحدة اليمن واستقراره، وعلى دعمه في الظروف التي مرّ بها سياسياً، واقتصادياً؛ لأن المملكة العربية السعودية تسعى

---

(١) كتاب: الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر لأحمد عبد الغفور عطار ص٢٠٩.

(٢) رياح التغيير في اليمن للشامي ص٣٤٧.

(٣) رياح التغيير في اليمن للشامي ص٣٤٧.

دائماً لمساعدة الشعب اليمني والحكومة اليمنية) [(١)].

وعن مثل هذه المواقف المشرفة سبق أن نقلنا عن مؤرخين يمنيين منصفين ممن يؤكدون عمق الصلات الأخوية بين اليمن والسعودية، أمثال المؤرخ اليمني: (عبد الله عبد الكريم الجرافي) في كتابه: (المقتطف من أخبار اليمن)، وأمثال المؤرخ اليمني: (عبد الواسع الواسعي) [(٢)] في كتابه: (تاريخ اليمن)، وأمثال المؤرخ اليمني (أحمد حسين شرف الدين) [(٣)] في كتابه: (اليمن عبر التاريخ)،

---

(١) صحيفة الرياض السعودية، العدد (١٥٢٦٣) في يوم الخميس ١٤٣١/٥/٢٣هـ الموافق ٨ ابريل ٢٠١٠م.

(٢) العلامة الرحالة: عبد الواسع بن يحيى بن حسين بن عبد الله بن ناصر بن جابر الواسعي الصنعاني (١٢٩٥-١٣٧٩هـ)، ولد بمدينة صنعاء ونشأ بها حيث أخذ العلم على علمائها كالعلامة محمد بن علي زايد، والعلامة أحمد بن محمد السياغي، والعلامة عبد الرزاق الرقيحي، والعلامة محمد بن يحيى الأكوع وغيرهم، رحل إلى مكة في عام ١٣٢٩هـ لأداء فريضة الحج فالتحق بحلقاتها العلمية وأخذ العلم على عدد من علمائها ومنهم: العلامة أحمد خطيب الشافعي، والعلامة محمد بن سليمان بن حبيب الله المكي، والعلامة عبد الحميد محمد علي قدس وغيرهم، ثم رحل إلى الشام وأخذ العلم على عدد من علمائها ومنهم: الشيخ أحمد الزرقاني مفتي حلب، والعلامة الدمشقي بدر الدين وغيرهم، ثم رحل إلى مصر وأخذ العلم عن بعض علمائها، وهكذا فقد كانت لعلمنا رحلات علمية إلى الحجاز، والشام، ومصر طبع خلالها بعض الكتب اليمنية ومن مؤلفاته: (فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن)، توفي سنة ١٣٧٩هـ. نزهة النظر ج١ ص٤١٠-٤١١.

(٣) أحمد حسين شرف الدين (١٣٤٧- ....): العلامة الأديب، النابه، أحمد بن حسين شرف الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام: (المطهر شرف الدين)، ولد بصنعاء ونشأ بها ودرس بمدارسها، وفي عام ١٣٦٢هـ حصل على الثانوية العامة ثم التحق بمدرسة الكتّاب التي تخرج فيها عام ١٩٤٥م، ثم رحل إلى صعدة وأخذ العلم عن علمائها بمدرسة دار العلوم، ثم عاد إلى مدينة (تعز) حيث عمل كاتباً في ديوان الإمام أحمد، عالم، وأديب، ومؤرخ، يمتاز بالذكاء والألمعية، يجيد اللغة الإنجليزية ويتكلم الإيطالية كان أحد أعضاء لجنة التاريخ اليمني انتقل إلى المملكة العربية السعودية بعد قيام الثورة اليمنية وعمل بجامعاتها واتصل =

والمؤرخ اليمني الكبير: (محمد محمد زباره) في عدد من كتبه وبعضها من مصادر بحثنا وكذلك المؤرخ اليمني: (إسماعيل الوشلي) في كتابه: (نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن)، وغيرهم من المؤرخين المنصفين الذين تحدثوا بواقعية عن مواقف المملكة العربية السعودية الأخوية من شقيقتها اليمن.

ولعلنا نختم شهادات الساسة والقادة اليمنيين لساسة وقادة المملكة العربية السعودية بتلك الشهادة التي أدلى بها مؤخراً فخامة الرئيس الحالي للجمهورية اليمنية الرئيس (علي عبد الله صالح) لأخيه الملك (عبد الله بن عبد العزيز آل سعود) خلال لقاء إعلامي أذيع في (قناة العربية) الفضائية مساء يوم الجمعة الموافق: ٣ ربيع الثاني ١٤٣١هـ، تحدث فيه فخامته عن العلاقات المتينة المميزة التي تربط اليمن بالمملكة والتي توطدت وازدادت رسوخاً بعد توقيع المعاهدة وترسيم الحدود بين البلدين، وأشار فخامته إلى أن كل ذلك قد تم بمبادرة شجاعة من الملك (عبد الله بن عبد العزيز) حفظه الله، وقد نشر هذا اللقاء مع فخامته بصحيفة الجزيرة السعودية في عددها رقم: (١٣٦٨٧) الصادر يوم السبت ١٤٣١/٤/٤هـ الموافق ٢٠/ مارس/ ٢٠١٠م ومما قاله فخامة الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في هذا اللقاء: (إنّ معاهدة الحدود بين المملكة العربية السعودية واليمن هي التي

=بعلمائها وأدبائها وكتب في عدد من صحفها ومجلاتها كالعرب وغيرها. له مؤلفات كثيرة من أهمها: (اليمن عبر التاريخ) ، (تاريخ اليمن الثقافي) في أجزاء. نزهة النظر ج١ ص٦٨، وانظر كتابه: تاريخ اليمن الثقافي ص٢٥٦، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء ١٤٢٥هـ.

نقلت العلاقات السعودية اليمنية نقلة نوعية والتي كان وراءها الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، لقد كان الملك عبد الله شجاعاً؛ لأنه أتى إلى صنعاء وتحدث معنا حول المعاهدة (معاهدة الطائف)، وكنا حاضرين فأتينا إلى جده وأنهينا مسألة الحدود وهذه المعاهدة نقلت اليمن والسعودية نقلة نوعية) [1].

هذه بعض الإشارات للأهمية القصوى لمعاهدة الطائف وما تحقق في ظل بنودها للبلدين الجارين المملكة العربية السعودية واليمن من أمن وسلام ووئام ومحبة وتعاون وتلكم إشارات لبعض مواقف المملكة الأخوية مع شقيقتها اليمن، وإشارات عن اهتمام الملك عبد العزيز وأبنائه ملوك المملكة العربية السعودية باليمن أرضاً وإنساناً، مما كان له أطيب الآثار في تقوية أواصر المحبة والأخوة وتأكيد الصلات والتواصل بين البلدين الجارين.

(١) المصدر: صحيفة الجزيرة السعودية العدد (١٣٦٨٧) الصادر يوم السبت الموافق ٤/ ربيع الثاني ١٤٣١هـ الموافق ٢٠/ مارس/ ٢٠١٠م.

بعض مواقف الملك عبد العزيز التاريخية من اليمن واليمنيين

ومـن الملفت للانتباه بـأن اهتمام الملك عبد العزيز باليمن واليمنيين يمتد إلى جوانـب أخرى كبـيره؛ فكما كان يهتم بيمنـي الداخل كان - رحمـه الله - مهتماً بيمني المهجر، كشأنه في الاهتمام بشئون أمته الإسلامية وشجونها.

فقد هاجر عدد كبير من اليمنيين (الحضارم) إلى أندونيسيا منذ وقت مبكر وتكاثـرت أعدادهم هناك حتى أصبح لهم شـأن كبير في تلك البلاد، وفي منتصف القـرن الرابع عشر الهجري حصلت بينهم خلافات ونزاعات عرقية قسّمتهم إلى: (علويـين) و (إرشاديين)، (فقامـت بينهما معارك كثيرة أُلقـي فيها حطب كثير، وتدخـل كثـيرون للإصلاح بين الجانبـين) [1]، دون جـدوى، ثم تدخـل الملك عبد العزيز برغم كثرة مشاغله فبعث الخطابات للجانبين وطالبهم بإصلاح ذات البين وما زال يلح على ذلك حتى هيأهم الله للمصالحة.

يـروي لنا المؤرخ الحضرمي المولـود بإندونيسيا: (صلاح البكـري) [2] شيئا

---

(١) أدب المهجـر الشرقـي لمحمد عبد الرحمـن الربيع، ص ٩٦، مركز الدراسـات الشرقية، جامعة القاهرة، مطبعة العمران بالجيزة، دون ذكر سنة النشر.

(٢) صلاح البكري: (١٩١٢م-١٩٩٣م): عالم ومؤرخ يمني من حضرموت ولد في (إندونيسيا) عام ١٩١٢م درس المرحلـة الابتدائيـة في مدرسة الإرشاد العربيـة (بجاكرتا)، وأتم تعليمه المتوسـط والثانوي بمصر، ثم التحق بجامعـة القاهـرة حيث تخرج في كلية الآداب قسم التاريخ في عـام ١٩٣٨م، ومن معهد التربية العالي بالقاهرة حصـل علـى دبلوم التربية، عمـل مدرسـاً في الإسكندرية، وفي القاهـرة، وفي عام ١٩٥٠م هاجـر إلى هولندا، وعمـل مذيعاً بالقسم العربي في إذاعة هولندا، وفي عام ١٩٥٢م انتدب للتدريس بثانوية الفلاح بمكة المكرمة، =

مــن تلك المواقف التي حصلت بين الحضارم المقيمين في أندونيسيا الذين قسمتهم العصبيــات والظــروف إلى: (العلويــين) و(الإرشاديــين)، وهــو في هذا الصدد يذكــر كذلك بعض مواقــف الملك عبد العزيز مع يمني المهجــر في كتابه: (الجنوب العربــي قديماً وحديثاً) فيقول أثناء حديثه عــن هاتين الفئتين اليمنيتين الكبيرتين المتصارعتــين: (العلويين) و (الإرشاديين) وما حصل بينهما من خصام وصراع شديدين حتى أن كل فئة أنشأت لنفسها صحفاً في المهجر ناطقة باسمها تدفع عنها شتائم الفئــة الأخرى وملاحاتها[1]، ومن تلك الشتائــم الشعرية والملاحاة ما نقله الدكتور محمد الربيّع عن الشاعر الحضرمي: ابن شهاب العلوي [2] الذي قال يهجو

=وفي عــام ١٩٥٧م التحــق بالإذاعة السعودية فعمل مديراً لقسم الأحاديث بإذاعة جده، ثم مديراً لإذاعة نداء الإســلام. صدرت العديد مــن الكتب، من أهمها: (تاريخ حضرموت السياسي) جزءان، و (جغرافية البلاد العربيــة)، و (الجنــوب العربي قديماً وحديثــاً)، و (القرآن وبناء الإنسان)، وغيرهــا، انظر ترجمته على غلاف كتابه: (الجنوب العربي قديماً وحديثاً ٤٠٠ق -١٩٦٧م).

(١) الجنوب العربي قديماً وحديثاً ٤٠٠ق/م إلى ١٩٦٧م ص١٢٦ لصلاح البكري.

(٢) أبــو بكــر بن شهاب العلوي: أبو بكر بن عبد الرحمن بــن شهاب الدين العلوي (١٢٦٢-١٣٤١هـ): ولد بقرية حصــن فلوقــه أحدى قرى تريم ونشــأ بها في حجر والده، وتعلــم القراءة والكتابة بإحــدى كتاتيبها ثم تلقى العلــم علــى والده وأخيه وعن بعض علماء بلده، كتب الشعر في سن مبكرة ورحل إلى مكة لأداء فريضة الحج ثــم أقــام بمكة فترة طويلة وأخــذ العلم على عدد مــن علمائها، والتقــى بأمراء مكة وأشرافهــا حيث قابلوه بالإكــرام ثــم عاد إلى بلده، ورحل بعد ذلك إلى عدد من بلدان الشــرق الأقصى وتعاطى بها التجارة ثم عاد إلى بلــده فاشتغل بالتدريس والافتاء والدعوة إلى مذهب السلف، كان له دور إصلاحي في بلده تعرض بسببه للمضايقــات فرحــل إلى عدد من البلدان حيث زار الحجاز، ومصــر، والشام، وتركيا لقي من علماء ورؤساء تلــك البلــدان كل إجلال وإعظام ثم رحل إلى الهند وأقام بحيدر أبــاد وتولى فيها التدريس كما تولى مراجعة الكتــب التي طبعــت بمطابعها ثم تزوج هناك وطاب له المقام حتى عام ١٣٣١هـــ حيث عاد إلى بلده بعد غيبة زادت عن ثلاثين عاماً فاحتفلوا بعودته، غير أنه لم يلبث أن عاد إلى الهند توفي في حيدر أباد سنة ١٣٤١هـ =

أحد علماء الإرشاديين (الشيخ أحمد السوركتي السناري):

قـل لابـن سـنّـار بـؤتـا بـالإثـم فـيـمـا اقـترفـتـا

أغـلاط حـمـقـك في صـورة الجـواب أبـنـتـا

كـتـبـت صـعـبـا ووعـر الـتـيـه المـخـوف اقـتـحـمـتـا

أأنت بالنكر أفتيت أم قرينك أفتى؟ [1]

وابـن شهاب العلوي يتفق في اتهامه لأحمد السكرتي بإثارة الفتنة بين العلويين والإرشاديـين مع العلامة اليمني الشاعـر: أحمد الحضراني الـذي زار أندونيسيا خـلال تلـك الفـترة وتعرف علـى (السكرتي) في مدينـة (جاكرتـا) وقال عنه: (واتفقـت بالعـالم أحمد السكرتي الذي فرق كلمة الإسـلام في تلك البلاد وكان له دور بارز في فتنـة الإرشاديين والعلويين، وقد طلب مني المساهمة معه فامتنعت عن ذلك وقلت له أنا لا أحب التفرقة بين العرب) [2].

بـل إن البكري يذكر بأن تلك المهاترات بـين العلويين والإرشاديين قد تجاوزت حدودهـا ، (وأخـذ الطرفان في المهاتـرات والشتائم التي بلغت حـداً سيئاً لا يسر أحداً حتى نقل عنهم بأن الأمر قد تحول من النزاع والمهاترات إلى معارك بالسلاح

=له ديوان شعري مطبوع. أدباء المهجر الشرقي ص١١٥-١٢٣ بتصرف. وانظر ترجمته في هامش ص٨٠ من ديوان الشاعر علي أحمد با كثير: (أزهار الربى في شعر الصبا) تحقيق محمد أبو بكر حميد الدار اليمنية للتوزيع والنشر، توزيع دار المناهل ببيروت ١٤٠٨هـ.

(١) أدب المهجر الشرقي ص٩٩-١٠٠.

(٢) مـن أدب الروايـة (أحمـد محمد الحضراني) توثيق وتحقيق عبد الله بن محمـد آل حميد، من إصدارات نادي أبها الأدبي ١٤٢٥هـ.

الأبيض) [1] إلى أن قال (صلاح البكري: (أخيراً تفضل جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بالتدخل في الصلح بين الفريقين فبعث رسالتين لبعض زعمائهم: (العلويين والإرشاديين) يدعوهم جلالته لنبذ الخلاف والنزاع، ويحثهم على الاتحاد والتضامن والتعاون على البر والتقوى، كما بعث جلالته ثلاث رسائل إلى السيد إبراهيم السقاف يكلفه فيها بالتوسط للصلح بين الفريقين).

إلى أن قال: (وقد أرسل السيد إبراهيم السقاف إلى إدارة جمعية الإصلاح والإرشاد الخطاب التالي: (الحمد لله، من سنغافورة إلى بتاوي بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٣٥٢هـ إلى الهيئة المركزية العليا لجمعية الإصلاح والإرشاد وفقهما الله وإيانا لما فيه الخير والصلاح، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أتقدم لحضراتكم بما يأتي:

لقد تشرفت باستلام ثلاثة كتب من جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن سعود وفقه الله كلها استحثاث وتحريض على السعي في إزالة الخلاف بين العلويين والإرشاديين وناشدني الله في ذلك، وقد علمت أيضاً أن جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن سعود كتب لبعض زعماء الفريقين بالنصح بتسوية الخلاف .....) [2].

أرأيت اهتمام الملك عبد العزيز بشئون اليمن، واهتمامه باليمنيين في الداخل

(١) الجنوب العربي قديماً وحديثاً ٤٠٠ق/م إلى ١٩٦٧م ص١٢٦-١٢٧.

(٢) المصدر السابق ص١٢٦.

وفي المهجر حتى في أثناء النزاع الحدودي مع بلاد اليمن وحكامها، قبيل معاهدة الطائف؟؟

إنها روح الزعيم المسلم الذي يهتم بشئون إخوانه العرب والمسلمين في كل مكان من أجل ذلك كانت مكانة الملك عبد العزيز في قلوب الزعماء المعاصرين له وفي نفوس الشعراء العرب عظيمة، ومكانته في قلوبهم رفيعة، وتقديرهم له عالٍ جداً حتى لقد مدحه ملوك وأئمة، بعضهم ربما كان من منافسيه، وممن مدحه من الزعماء الإمام (يحيى حميد الدين) إمام اليمن، حيث قال في (القصيدة التي وجهها للملك عبد العزيز):

حملوا هذه الألوكة عنا ... ومناهم قبولها وحباها

لمليك متوج من نزارٍ ... أنجبته ربيعة في ذراها

ملك مفرد سريّ همام ... قلدته سعودها بحلاها

ورأته شيبانها علم الإجـ ... ـلال بسطامها وقطب رحاها

ومن العدل وهو خير المزايا ... أثراً للنهى ونظم علاها

أن ترى عنده مكان اعتبار ... موصلاً للمرام من مسعاها[1]

- كما مدح الملك عبد العزيز الإمام محمد بن علي الإدريسي الذي كان زعيماً للمخلاف السليماني وما جاوره من عام (١٣٢٦-١٣٤١) ومما قاله الإدريسي:

---

(١) حوليات سوق حباشة ص١٣٤ العدد (٣) الصادر عام ١٤١٩هـ هذه هي بعض أبيات القصيدة التي أرسلها الإمام (يحيى) مع وفده المفاوض وقد اعتبرها أبو داهش (إخوانية).

حبذا جيرة كرام بنجد سكنوا في ظلاله ورماله
باقتفاء الرسول حقاً قفيتم بالهدى ناصحي من في ظلاله
حبذا داعيا أتاهم لأني شائق عاكف لنهج مقاله
وبتوحيد ربنا قد أبنتم في سناء الكتاب من أمثاله
دعوة الحق قد أتانا شذاها عبق الكون تائها في جلاله
فبذا صحب الرسول قديماً زمرة التابعين هم من رجاله[1]

كما مدحه زعماء آخرون بما هو أهله، وأشاد بجهوده مفكرون وشعراء من مختلف الأقطار؛ لهذا ولغيره فلا غرابة فيما سجلته أقلام أولئك الشعراء والمفكرين اليمنيين، ساسة أو من عامة الشعب من مديح للملك عبد العزيز رحمه الله ورحمهم ومن ثناء عاطر مستحق وفي مقدمة أولئك الشعراء الشاعر اليمني الكبير محمد محمود الزبيري[2]، صاحب القصيدة القافية العصماء التي ألقاها بين يدي جلالة الملك عبد العزيز، والشاعر والروائي والمسرحي العربي (اليمني) الكبير: علي أحمد با كثير[3] الذي سنأتي في الصفحات التالية على نماذج من شعره الذي مدح به

---

(١) حوليات سوق حباشة ص١٣٤ العدد (٣) الصادر عام ١٤١٩هـ هذه هي بعض أبيات القصيدة التي أرسلها الإمام (يحيى) مع وفده المفاوض وقد اعتبرها أبو داهش (إخوانية).

(٢) محمد بن محمود بن أحمد بن لطف الباري الزبيري (سبقت ترجمته في ص ٢٦٩)

(٣) الشاعر والروائي علي أحمد با كثير: (١٣٢٨-١٣٨٩هـ): أديب، وشاعر، وروائي عربي يمني كبير، ولد في (سوربايا) بإندونيسيا لأبوين عربيين يمنيين، وتلقى تعليمه الأولي بها، حيث ألحقه والده بإحدى المدارس العربية هناك، وفي سن العاشرة أرسله إلى موطنه وموطن آبائه (بسيئون) في (حضرموت) ليكمل تعليمه هنالك، فأظهر نبوغاً في علوم (النحو) و (الصرف) و (العروض)، وأبدى ميلاً كبيراً نحو الأدب، فنظم=

الملك عبد العزيز، وأكد به عمق الصلات بينه وبين شعراء المملكة ومسئوليها، وبالمناسبة فإنــه بإمكاننا أن نجعل من هذين الشاعرين الكبيرين أو من أحدهما أنموذجاً للتواصل الثقــافي بين اليمن والسعودية،يقابلهما شعراء سعوديون كالغزواي وفؤاد شاكر وآخرين، وإن كان (بــا كثــير) ينطبق عليه وعلى نشاطه الأدبي وتواصلــه مع شعراء المملكة ذلك النمــوذج كثيراً، أما الشاعر والمفكر الكبير محمد محمود الزبيري فبرغم كثرة أسفاره

= الشعر في الثالثة عشرة من عمره، ثم أكمل دراسته في مدرسة (النهضة العلمية بسيئون) وتخرج فيها عام ١٣٤٢هـ، فعمل بها بعد تخرجه، فما لبث أن كلف بإدارتها لنبوغه، وقد استطاع في فترة قصيرة أن يطور في مناهجها وفي أساليب العمل فيها لتواكب العصر، وخلال تلك الفترة أصدر مجلة سماها: (التهذيب) دعى فيهــا إلى الإصــلاح متأثراً بالمدارس الفكرية الإسلامية المعاصــرة في مصر والشام، ثم تزوج في تلك الفترة ولكنــه فجــع بزوجته التي ماتت مبكــراً، وفي عام ١٣٤٥هـ عاد إلى إندونيسيا وأقــام بها فترة، ثم عاد بعدها إلى (عدن)، ثم رحل إلى بعض البلدان الإفريقية، وبعد رحلات متعددة وفد إلى الحجاز ليجاور ببيت الله الحــرام، ثـم ليلتقي بالملك عبد العزيز آل سعــود الذي كان حينئذ ما يزال يخوض معــارك تأسيس المملكة، فــكان (بــا كثير) داعماً له بشعره ونثره وفكره، وفي الحجاز عقد الشاعر با كثير صداقات مع كبار الشعراء وحصلت بينه وبينهم مسامرات ومطارحات شعرية، وفي مدينة الطائف كتب أولى مسرحياته: (همام أو في عاصمة الأحقاف) وبعد عام كامل قضاه متنقلاً بين مكة، والمدينة، وجده، والطائف رحل إلى مصر، وفيها التحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية في جامعة القاهرة ، حيث درس البكالوريوس في اللغة الإنجليزية، وبعــد تخرجه التحق بالمعهد العــالي للتربية حيث عمل بعدها فترة في حقل التعليــم قرابة أربعة عشر عاماً، وكتــب عدداً من المسرحيات والروايــات، توفي في عام ١٣٨٩هـ، له عدد من الدواوين الشعرية وعدد كبير من الروايــات والمسرحيات، من دواوينــه: (أزهار الربى في شعر الصبا في شعر الصبا)، وديوان (سحر عدن وفخر اليمن)، و (صبا نجد وأنفاس الحجاز) ومن الروايات والمسرحيات: (عودة الفردوس)، و (مسمار جحا)، و (دار ابن لقمان) وغيرها وغيرها. الأعلام ج٤ ص٢٦٢-٢٦٣، وفي مقدمة ديوانه أزهار الربى في شعــر الصبــا تحقيق محمد أبو بكر حميد، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ص١١-٢٥، وفي كتاب علي أحمد با كثير حياته وشعره الوطني لأحمد السومحي ص٢٩-٧٥، من إصدارات نادي جده الثقافي الأدبي، مطابع دار البــلاد ١٤٠٣هـ، وفي ديوان سحر عدن وفخر اليمن تحقيق محمــد أبو بكر حميد ص١٨-٤٧، مطبوعات دار حضرموت ١٤٢٩هـ توزيع مكتبة كنوز المعرفة بجده. وفي الموسوعة اليمنية ج١ ص٤٥١-٤٥٤. وغيرها.

وتنقلاتـه بين البلدان إلا أن مصادري لم تسعفني بزيارات له أخرى إلى المملكة كما أنها لم تذكـر لـه قصائد أخرى في مديح الملك عبد العزيز غير تلـك الرائعة التي ألقاها بين يديـه، وصارت حديث الركبان، بعكس الشاعر الروائي الأديب: علي أحمد با كثير، الذي كان يمثـل أنموذجاً حياً للتواصل الثقافي بـين اليمن والسعودية كما كان يمثل رابطاً قوياً بـين أدباء اليمـن وأدباء السعودية، وكانت صلاته بالملك عبـد العزيز وأبنائه قوية، كما كانت تربطه علائق مودة متينة بأدباء المملكة وشعرائها، ومما قوى تلكم العلائق، إقامته بالمملكـة عامـاً كاملاً تنقل خلاله بين مدن الحجاز، وكتب خلاله شعراً ونثراً غزيراً خلد ذكراه، وحفر له مكانة كبيرة في نفوس الجميع[1].

وفي الصفحات التالية سنحاول أن نرصد بعض الصور الناصعة للتواصل الثقافي بـين المملكـة العربية السعودية واليمـن بدءاً من عهد الملك عبـد العزيز ملك المملكة العربيـة السعودية، وعهـد الإمام يحيى حميـد الدين ملك المملكـة المتوكلية اليمنية وحتـى يومنـا هذا من عامنا الحـالي ١٤٣٢هـ ولكننا قبل أن ندلـف إلى الحديث عن التواصل الثقافي بين البلدين سنحاول أن نقدم لمحات سريعة عن الحركة الثقافية في اليمن قبيل وأثناء عهد الإمام (يحيى) وعن الحركة الثقافية في بلاد الحرمين قبيل وأثناء عهد الملك (عبد العزيز) فإلى تلك اللمحات.

---

(١) تنويـه: لا يفوتنـي هنا أن أؤكد بأنني مدين في غالب المعلومات التي سأذكرها عن الشاعر (با كثير) مدين بعد الله لما أفضل به عليَّ الباحث الكبير الأديب الأستاذ الدكتور محمد أبو بكر حميد، الذي نفحني بفيض من أبحاثه الرصينة عن أدب (با كثير) شعره ونثره كما أهداني بعض دواوين با كثير التي حققها، وزودني بصور من بعض أبحاثـه المنشـورة أو التي ينوي نشرها عـن با كثير وعن بعض الصفحات المنسية من الأدب السعودي في المدينة المنورة، فللدكتور محمد أبو بكر حميد وافر شكري وتقديري وجزاه الله عني وعن العلم والأدب خير الجزاء.

لمحة سريعة عن الحركة الثقافية في اليمن في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري

لم تكن الأوضاع في الأقاليم اليمنية بأقل سوءاً من أوضاع بقية أقاليم الجزيرة العربية حينما بويع الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إماماً لليمن بعد وفاة والده في عام ١٣٢٢هـ، فبالإضافة إلى سيطرة العثمانيين الاسمية على جزء من اليمن التهامي وعلى اليمن الجبلي، هناك يمن ثالث يسيطر عليه الاستعمار الإنجليزي، والصراع قائم بين الأقاليم الثلاثة بل ربما بين أبناء الإقليم الواحد، والأجواء مهيأة لمباركة تلك الصراعات الحاصلة في غالب أحوالها بتشجيع ومباركة الاستعمار وربما كان بعضها حاصل بسبب ضعف سيطرة الأتراك، وبعضها ربما لتردي الأحوال المعيشية بسبب الجفاف وقلة الموارد في بعض تلك الأقاليم مع استمرار الصراعات.

(بعد أن تولى الإمام يحيى آل حميد الدين عمد إلى تأسيس المدارس العلمية فأسس المدرسة العلمية بصنعاء سنة ١٣٤٧هـ، وظلت بقية المدن المشهورة تسير على منوالها في تدريس حلقات العلم بالمساجد)[(١)].

لأن البلدان اليمنية قد اشتهرت فيها مدن علمية عريقة، تعمرها أسر علمية مشهورة، توارثت العلم والتعليم منذ وقت مبكر، وبعض تلك المدن العلمية أصبحت مقراً لهجرات طلاب العلم، يفدون إليها من أقاليم الجزيرة العربية البعيدة والقريبة، مع كل هذا إلا أن تلك الظروف والصراعات قد أثرت على مسيرة العلم

---

(١) تهامة في التاريخ لعبد الرحمن عبد الله الحضرمي ص٤٦٠.

والتنوير في تلك المدن العلمية العريقة..

ومن تلك المدن الشهيرة: (صنعاء)، و (زبيد)، و (صعدة)، و (ذمار)، و (تريم) [(١)]، تلك المدن العلمية ومثيلاتها كانت حاضنة للعلم والفكر والأدب على مرّ التاريخ، وأخرجت خلال مسيرتها أعلاماً ومفكرين، إلا أن تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية التي أشرنا إلى بعضها آنفاً قد جعلت تلك البيئات العلمية – برغم عراقتها – لا تستطيع النهوض بأعباء رسالتها الثقافية كاملة أو حتى بشكل مقبول لدى الخاصة، مما أضفى على الحركة الثقافية في اليمن تراجعاً لم يسبق له مثيل في الحقب التاريخية الماضية بل ربما ساهم (في تأخر وصول النهضة الأدبية الحديثة إلى اليمن عن بلدان المشرق العربي) [(٢)].

كل هذا واليمن يعج بالعلماء والأدباء والشعراء والمفكرين؛ فإمامهم: (يحيى) عالم وشاعر، ووزراءه وبعض عماله: علماء وشعراء، مع وجود عدد غير قليل من سكان المدن العلمية هم كذلك أعلام في الثقافة والفكر، ومع ذلك تراجع الأدب في اليمن حتى أصبحوا من الضعف بحيث لا يرى فيهم بعض مؤرخي الأدب عند بداية النهضة الأدبية الحديثة في اليمن من يسدّ فراغ التراجع عن مواكبة طلائع النهضة في البلدان العربية الأخرى. أما كاتب هذه السطور فلا يوافق أصحاب لك الرأي الجائر! ذلك لأننا نجد أن القرن الثالث عشر الهجري كان عصر ازدهار

---

(١) الموسوعة اليمنية ج١ ص٢٣٤.

(٢) الموسوعة اليمنية ج١ ص٢٣٠.

أدبـي وثقافي وفكري في اليمن، كما شهد القـرن الرابع عشر الهجري ظهور أعلام في الفكـر والأدب والثقافـة، ومـن يقرأ أسمـاء أعلام هذين القرنـين ممن ترجم لهـم العلامة المؤرخ: محمـد محمد زباره ونقل عنهم بعض نتاجهم الفكري في كتبه الشهيرة: (نيل الوطر بتراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر)، و (نزهة النظر في تراجـم رجـال القرن الرابع عشر)، و (نشر العـرف لنبلاء اليمن بعد الألف)، ومـا التقطـه الأديب العلامة: عبـد الله الحبشي في عدد من كتبـه مثل: (مصادر الفكـر الإسلامي والعربـي في اليمن)، أو مـا سجله الأديب الناقـد: محمد سعيد جـرادة في كتابـه: (الأدب والثقافة عـبر العصور)، أو ما دونـه العلامة إسماعيل الأكوع في كتابه: (هجر العلم ومعاقله في اليمن)، وكذلك ما سجله الأديب الشاعر: أحمـد محمـد الشامي في عدد من كتبه ومنها: (قصـة الأدب في اليمن)، و (من الأدب اليمني) وما دونه الأديب الباحث عبد الله خادم العمري في كتابه: (النهضة الأدبيـة في اليمـن) و (كالبردّوني) و (المقالح) وغيرهـم، ممن كتبوا عن الأدب والأدباء في اليمن، من يقرأ أسماء الأعلام والأدباء والمفكرين الذين رصدت بعضهم تلـك المدونات والمعاجم يصاب بالدهشة والاستغـراب إذ كيف يمكن لهذه الذاكرة اليمنية التي استوعبت هذه الأجيال من أعلام الفكر والأدب والثقافة أن تتراجع أو يصيبها الركود كما يظن البعض؟!

غـير أن دهشتنا تتبدد حين نقرأ شروط النهضـة الأدبية والفكرية التي تبشر بهـا الموسوعة اليمنية؛ فهي تؤيد ما ذهب إليـه الأديب اليمني الكبير: محمد سعيد

جرادة من أن اليمن إبّان ازدهار النهضة الأدبية في مصر والشام وبعض البلدان العربية الأخرى كان غير مواكب لتلك النهضة حيث قال: (لم يكن الجو الأدبي والثقافي باليمن في هذه الفترة زاهراً ببدائع الإنتاج وروائع الإبداع)، ثم أشار (جرادة) إلى بعض كتب الموسوعات والتراجم اليمنية التي ذكرنا بعضها وحين أشار إلى ما حفلت به كتب التراجم من أعلام ونماذج شعرية وفكرية قال بعد ذكره لهم: (لم يكن أغلب هؤلاء الثمانمائة أكثر من نقلة للمورثات القديمة) [1]، وهذا يجعلنا نتسائل ألا يكون (الزبيري) و (الموشكي) و (الوريث) و معاصريهم من أعلام الفكر والأدب في اليمن من طلائع تلك النهضة الأدبية الحديثة؟

غير أن أصحاب الموسوعة اليمنية لا يلبثون أن يعلنوا اتفاقهم مع المؤرخ: (سيد سالم) صاحب كتاب: (تكوين اليمن الحديث) (في تحديد بداية النهضة الأدبية في اليمن الشمالي ببداية ظهور المملكة المتوكلية في اليمن على يد الإمام (يحيى) [2]. وهذا التراجع يجيب على تساؤلنا ويؤكد على قسوة ذلك الحكم الذي أصدره (جرادة).

- أما اليمن الجنوبي فقد كان خاضعاً للاستعمار الإنجليزي الذي كان يئد كثيراً من الحركات الثقافية، ومع ذلك (فقد شهد هذا الجزء من اليمن في الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي بداية تأسيس بعض الجمعيات الثقافية وبعض النوادي..... الخ) [3].

(١) الموسوعة اليمنية ج١ ص٢٢٩.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٣١.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص٢٣٢.

وبهذا يمكن اعتبار الثلاثينات أو الأربعينات الميلادية هي بداية النهضة الأدبية في اليمن بشطريه حيث شهدت هذه الحقب صدور بعض الصحف والمجلات وظهرت بعض النوادي وتأسست بعض الجمعيات، ففي اليمن الشمالي صدرت في عهد الإمام يحيى صحيفة الإيمان (وفتحت المدارس الابتدائية في جميع بلدان اليمن الشمالي كما فتحت المدارس العلمية في (صعدة) و (حوث) و (وزبيد) و (تعز)، وفتحت مدرسة ثانوية ومتوسطة بصنعاء) [١]، (وتم بناء مكتبة عظيمة بجامع صنعاء جمع لها الإمام يحيى الكتب النفيسة في كل فن وجمع لها خزائن كتب الوقف القديمة) [٢]، وفي تلك الفترة (فتحت مدرسة دار العلوم بصنعاء، وأنشئت بعض المدارس، وأرسلت البعثات وكانت إحداها بعثة ثقافية أرسلت إلى العراق) [٣].

وفي اليمن الجنوبي (صدرت في الخمسينات الميلادية مجلة (الحكمة) و مجلة (المستقبل)، كما صدرت بعض الروايات، وبعض الدواوين الشعرية) [٤] كما ظهر في الجنوب شيء من التعليم الحديث وشجعت بعض البعثات المتزامنة مع هجرات عدد من الأدباء والمفكرين اليمنيين إلى عدد من البلدان العربية وما صاحب ذلك من انفتاح على الثقافات الأخرى إلى جانب (ظهور بعض المطابع في

(١) المقتطف من أخبار اليمن للجرافي ص٢٩٧.

(٢) تاريخ اليمن للواسعي ص٣٣٨.

(٣) اليمن عبر التاريخ لأحمد حسين شرف الدين ص٣٠١.

(٤) الموسوعة اليمنية ج١ ٢٣٢-٢٣٣.

عدن وكذلك تأسيس كلية عدن التي اهتمت بالتعليم الحديث)[1].

وتلك كلها عوامل ساعدت على انتشار الوعي والسير على طريق النهضة الحديثة في اليمن، وهكذا فقد شهد اليمن الجنوبي حركة أدبية وفكرية جيدة ربما لأن المستعمر أراد إلهاء الجنوبيين عن أصولهم الثقافية وربما بسبب هجرات كثير منهم إلى بلدان العالم والتقائهم برواد النهضة الأدبية الحديثة في مهاجرهم وانفتاحهم على الفكر الغربي والشرقي.

أما اليمن الشمالي فبرغم اقتباسه من النهضة الأدبية الحديثة إلا أن حركته العلمية والفكرية في غالبها تراثية، لذلك لم تَرُقْ لمؤرخي النهضة الحديثة مع أن (بعض مؤرخي الأدب يرون أن الحركات الإصلاحية كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحركة الإمام محمد عبده، وحركة الإمام محمد بن علي الشوكاني يرون هذه الحركات كلها من أسباب النهضة ومكوناتها بل هي في رأيهم من العوامل الثقافية التي لها ارتباط مباشر بالحركة الأدبية)[2].

ولا شك بأن عهد الإمام يحيى كان بداية لعصر الانفتاح والنهضة فقد كانت له جهود كثيرة (لا تنعدم فيها طموحات التقدم والإصلاحات في البلاد)[3].

---

(١) المصدر والصفحات السابقة.

(٢) الأدب العربي الحديث مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه لمحمد الشنطي ص٢٩-٣١ (بتصرف)، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل ١٤٢٨هـ.

(٣) مذكرات دبلوماسي في اليمن لـ ج. إنكارين، ترجمة د. قائد محمد طربوش، ومحمد إسماعيل سليمان ص١٠٦.

لمحة عن الحركة الثقافية في البلاد السعودية في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري

كانت شبه الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز تعاني من التمزق والشتات في أقاليمها المختلفة (فكانت أوضاع أقاليمها في غاية الاضطراب خلال تلك الفترة وبخاصة قبيل اقتحام الملك عبد العزيز لمدينة (الرياض) سنة ١٣١٩هـ) [١]، وذلك بسبب ضعف الحكم العثماني الذي أدى إلى حالات من الصراع بين تلك الأقاليم وكان لهذا تأثيره الكبير على الحياة الثقافية فقد مرت الحياة العامة في أواخر العهد العثماني بفترات ركود رانت على جوانب شتى من مناشط الحياة في شبه الجزيرة، (وكانت الثقافة والفكر خلال تلك الحقبة تعيش حالات الضعف التي عاشتها الجزيرة العربية في القرون السالفة) [٢]، وكاد ذلك الضعف والركود أن يغشى كافة مناحي الحياة لولا بعض محاولات تحديثية باهتة حاول القيام بها بعض أتباع حزب الاتحاد والترقي التركي الحاكم في بعض أقاليم الجزيرة العربية آنذاك، ولولا ما كان يشع من أنوار الحلقات العلمية في الحرمين الشريفين وفي حلقات بعض الأسر العلمية في بعض الأقاليم ومنها: إقليم المخلاف السليماني: (جازان) وحلقات أسره العلمية، وكذلك إقليم (الأحساء) وحلقات أسره العلمية، وغيرهما من الأقاليم التي اشتهرت بالأسر العلمية، واستمرت تبث

---

(١) موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث ج١ ص٢٨، من مطبوعات دار المفردات للنشر والتوزيع الرياض ١٤٢٢هـ.

(٢) المصدر السابق ج١ ص١٧.

أنــوار العلم والمعرفة في تلك الربوع خلال تلك الفـترات التي سبقت إشراقة العهد السعودي الزاهر.

وحــين بدأ الملك عبد العزيز مراحل توحيد الوطن، كانت أقاليم شبه الجزيرة تعــاني مــن الانقسامات التي تقطع أوصالها، إلى جانــب معاناتها من قسوة الحياة المعيشيــة بسبب الجفاف من جهة، وأوضاع الحرب الكونية العامة من جهة أخرى، وتلــك كلها عوامل تسهم في ضعف الحياة الثقافية بها، وتجفف روافدها، ومع ذلك فقــد ظل الحرمــان الشريفــان بحلقاتهما العلميــة مشاعل حضاريــة أفاضت على الحجاز أنوار الثقافة (فأضاءت جوانب من حياة الحجازيين والمجاورين والوافدين إليهم من الهند وباكستان وإندونيسيا وتركيا والشام ومصر واليمن وبعض البلدان الإسلاميــة الأخرى فقامت بالحرمين نهضة علميــة عظيمة) [1]، وكانت لحلقاتها العلميــة آثارها العظيمة على العلــم والفكر (وظل المسجد الحرام والمسجد النبوي منهلين لطلاب العلم يقصدونهما من جميع البلدان) [2]، وعن طريق تلك الحلقات العلميــة (انطلقت إلى المسلمين هذه الثروة العظيمة مــن التشريع والأحكام، فمن تلك الحلقات تخرج العلماء والفقهاء والمحدثون وكل صاحب ثقافة خاصة) [3].

وهكــذا (فقد كان للمسجديــن الشريفين دور ملموس ومعــترف به في حماية

---

(١) الأدب الحجازي الحديث لإبراهيم الفوزان ج١ ص١٣٩.

(٢) الشعــر الحديــث في الحجــاز (١٩١٦-١٩٤٨م) لعبد الرحيم أبــو بكر ص٣٧، من منشــورات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٧هـ.

(٣) المصدر السابق ص٣٦.

الثقافة العربيــة الإسلامية في العصر الحديث، فلقد أحصيت حلقات التدريس في المسجـد الحرام فبلغت في بعض الأوقات: مائة وعشرين حلقة، تتناوب التدريس في الآصال والبكور) [1].

ولقد حاول العثمانيون في آخر عهدهم بعث شيء من الحياة الثقافية الحديثة في مكة المكرمة وبعض مدن الحجاز (فأنشأوا عدداً قليلاً من المدارس كما أصدروا بعض الصحـف كصحيفـة (القبلـة) وصحيفـة (حجـاز)، وصحيفـة (شمس الحقيقـة)، وكان بعضهـا حزبي ملتـزم بمبادئ حـزب جمعية الاتحـاد والترقي، وبعضهـا يصـدر عن مكتب الوالي العثماني، وكان شريف مكة (الحسين بن علي) غـير راضٍ عن بعضها) [2]، (ولم يكن لتلك الصحـف أي قيمة أدبية أو سياسية أو أي أثر لتكوين الوعي أو توجيه التفكير) [3].

ومع ذلك فقد (كان الإنتاج الفكري في شبه الجزيرة العربية عامة وفي الحجاز خاصة كان محدوداً ويبدو على كثير منه سمات الضعف) [4].

(لقـد كان لسياسة التتريك التي اتبعها حزب الاتحاد والترقي آثارها السيئة على الفكر والأدب من جهة، وعلى ولاء العرب للعثمانيين من جهة أخرى فلقد تحول إلى نفور بسبب تلك السياسات الطائشة) [5].

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٣٦-٣٧ (بتصرف).

(٢) المصدر السابق ج١ ص٥٨.

(٣) المصدر السابق ج١ ص٥٩.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص١٧.

(٥) المصدر نفسه ج١ ض٢٨ (بتصرف).

ولم تكـن أوضـاع بقيـة الأقاليم بأحسن حـالاً من تلك الأوضـاع التي عرضنا لشيء منها في إقليم الحجاز.

- ففـي إقليم نجد وما حوله كان يخيم الركود الأدبي والثقافي بسبب الصراع الدائر قبل أن يستعيد الملك عبد العزيز مدينة الرياض ثم يوالي فتوحاته، واستمر ذلـك الركـود حتى بعيد إعـلان توحيد أجـزاء البلاد السعودية في كيـان واحد هو (المملكة العربية السعودية) في عام ١٣٥١هـ.

- وأصاب إقليم الأحساء خلال تلك الفترة شيء من الركود الأدبي الذي خفف مـن غلوائه بقايا الحركة العلمية المتوارثة في ذلك الإقليم وما حوله والتي أيقضتها هنـاك الأسر العلمية كأسـرة (آل المبارك) وغيرها مما حفظ لذلك الإقليم شيئاً من الثراء الفكري والثقافي التليد.

- وفي المخـلاف السليمـاني (جازان) الذي كان يسيطـر عليه الأدارسة كان الوضـع الثقافي شبيهاً بأوضاع بقية الأقاليم لولا بقايا أسر علمية بها توارثت العلم والأدب فحفظـت لهـا شيئاً من الجذوة الثقافية وإن كانـت ضعيفة ومع ذلك (فقد كان الغالـب علـى شعرائها التأثـير السلفي الواضـح)[1]، وبرغم مـا أصاب ذلك المـد السلفـي في أواخر أيام الحكـم العثماني إلا أنه (قد تجـدد على يد الملك عبد العزيـز حينما انضمت المنطقة إلى البـلاد السعودية، وبخاصة بعد أن أخذ الدعاة والمرشدون يغشونها)[2]، وإذاً فقد احتفظت منطقة جازان بشيء من ثرائها الثقافي

(١) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية ج٢ ص٦٣٦.

(٢) المصدر السابق ص٦٣٨ (بتصرف).

الذي ساعد على الانبعاث في عهد الملك عبد العزيز.

- هكذا كان غالب أقاليم الجزيرة العربية قبل قيام المملكة العربية السعودية وحين أنهى الملك المؤسس (عبد العزيز) معاركه البطولية لتوحيد الوطن وأعلن ذلك في عام ١٣٥١هـ حيث أصبح مسمى بلاده: (المملكة العربية السعودية) ظهر ميلاد عهد جديد؛ (حيث بدأت الدولة السعودية الحديثة بكل طموحاتها وتوجهاتها وإصلاحاتها، فانتعش التعليم وأنشئت مديرية المعارف في عام ١٣٤٤هـ، وتم ابتعاث أول دفعة طلابية إلى الخارج في عام ١٣٤٦هـ، وصدر في عام ١٣٤٧هـ أوّلُ نظام تعليمي في المملكة العربية السعودية)[(١)]، ثم بدأ ظهور الصحف والمجلات وتوالى ظهور المطابع أثناء حقبة التأسيس (فكان لظهورها دور مهم في نهضة الأدب واستقطاب المثقفين)[(٢)]، ثم توالى ظهور المكتبات وتصاعد دور الأندية والمؤسسات الأدبية كجمعية الإسعاف الخيري، وأسرة الوادي المبارك وغيرها، وأصبح للمثقفين شأن في الدولة، (فلقي المثقفون والمتعلمون ترحيباً وتشجيعاً في أعمال الدولة ومرافقها المختلفة واستطاع عدد من الشعراء والكتاب أن يتولى مناصب هامة يسهم من خلالها في إحداث التطور)[(٣)].

وهكذا كان عهد الملك عبد العزيز عهد الانطلاقة الكبرى نحو النهضة الحديثة وكان رحمه الله حريصاً على السعي نحو تأسيس حركة ثقافية عملاقة

(١) الشعر الحديث في الحجاز ص٤٩-٥١.

(٢) موسوعة الأدب العربي السعودي ج١ ص١٢٠.

(٣) المصدر السابق ج١ ص٥١.

أساسها التعليم والتنمية المتوازنة حتى لقد لاحظ أحد الباحثين فكتب حين ذاك عن إنجازاته السريعة في هذا المجال قائلاً: (لقد استطاع الملك عبد العزيز خلال فترة وجيزة أن يخلق في الحجاز جواً علمياً حديثا يغبط عليه أهل الحجاز الآن فهو يبشر بمستقبل قريب محقق) [(١)].

وإذا كان بعض مؤرخي الأدب (يحددون بداية النهضة الأدبية الحديثة في الحجاز بأواخر العهد الهاشمي وبالتحديد بعد أن أعلن الملك (الحسين بن علي) الثورة العربية على الأتراك في عام ١٣٣٤هـ) [(٢)]، إذا كان بعضهم يميل إلى ذلك التحديد الزمني، فإن أغلب دارسي تاريخ الأدب يجعلون بداية النهضة الأدبية في بقية أقاليم المملكة العربية السعودية تبدأ من عام ١٣٤٦هـ، وإن كان الدكتور عبد الله الحامد (يرى أن العام ١٣٥٥هـ هو العام الذي يصلح أن يكون بداية النهضة الأدبية في المملكة؛ لأنه في ذلك العام قد بدأ المبتعثون يعودون إلى البلاد ويسهمون في حركتها الفكرية والثقافية) [(٣)].

وهو تعليل ربما يكون منطقياً ومحل قبول كثير من الدارسين، يضاف إلى هذا التعليل أن إعلان توحيد المملكة العربية السعودية يكون قد مضى عليه حينئذ أكثر من أربع سنوات ربما تكون فترة كافية للاندماج التام وهي فترة تساعدهم على

---

(١) الشعر الحديث الحجاز ٥٠.

(٢) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥-١٣٩٥هـ) لعبد الله الحامد ص٥١، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، مطابع الفرزدق بالرياض دون ذكر سنة النشر.

(٣) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ص٥٦-٥٧.

التأثر الأدبي والتأثير.

وإلى جانب ذلك فقد كان لشعراء الشام ومصر وشعراء المهجر تأثيرهم الواضح على الشعر العربي عامة والشعر السعودي على وجه الخصوص، كما كان لكتاب مصر ومفكريهم أثرهم الثقافي على كثير من كتاب ومثقفي البلاد السعودية.

لقد كان اهتمام الملك المؤسس (عبد العزيز) بأسباب الرقي الفكري كالتعليم، الصحافة، وفتح باب الابتعاث، وفتح بلاده لرجال الفكر والعلم والأدب من سائر البلدان، بل واستقطاب النابغين منهم كل ذلك وغيره عوامل تضاف إلى عوامل أخرى قادت البلاد السعودية إلى نهضة ثقافية كبرى تطورت وتنامت حتى بلغت قمة المجد في عهود أبنائه الملوك (سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبد الله) الذين ورثوا عنه حب وطنهم ومواطنيهم وحرصهم على نماء الوطن وتنميته وبناء إنسانه.

التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية في عهد الملك عبد العزيز وعهد الإمام يحيى

التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية في عهد الملك عبد العزيز وعهد الإمام يحيى

بعد معاهدة الطائف التي وقعت بين المملكة العربية السعودية والمملكة اليمنية في عام ١٣٥٣هـ، تناغمت مسيرة التواصل السياسي مع مسيرة التواصل الثقافي بين السعودية واليمن في عهد الملك عبد العزيز وعهد الإمام يحيى تناغماً عظيماً غير مسبوق أسهمت في تكامله جهود ساسة البلدين، وبلورته عطاءات مفكري ومثقفي الشعبين حتى أصبح ذلك الانسجام والتواصل أنموذجاً يمكن أن تحتذيه الأجيال اللاحقة التي لا نشك أنها قد ورثت ذلك الاهتمام والتواصل الثقافي حتى وإن لم يكن نظامه مكتوباً، وإن لم يشمل كافة الألوان الثقافية،ونحمد الله أنه ظل مرعيا في عهود ملوك السعودية أبناء الملك عبد العزيز وفي عهود من عاصرهم من ملوك ورؤساء اليمن كما نحمد الله أنه ما زال التواصل الثقافي قائماً بين البلدين المتجاورين بصورة مرضية؛ تشهد بذلك عطاءات شعراء ومثقفي البلدين الذين نظموا في مديح قادة المملكة وفي بعض أدبائها غرر القصائد وكثير منها (يؤدي إلى ترسيخ عرى الصداقة وتوطيدها بين البلدين)[1]. وفي الصفحات التالية سنختار نماذج شعرية ونثرية لشعراء وأدباء كبار من اليمن زاروا المملكة العربية السعودية واتصلوا بالملك عبد العزيز وأعجبوا بشخصيته وبحسن تعامله، وبشدة

(١) الملك فيصل بحوث ودراسات ج٣ ص١٦٨، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل التي عقدتها دارة الملك عبد العزيز بالرياض خلال الفترة من ١-٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ من منشورات الأمانة العامة للاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

اهتمامه بشئون إخوانه العرب والمسلمين في كل مكان فتحدثوا عنه وعن مشاريعه العربية والإسلامية، وبعضهم ممن (كانوا يجدون في وفادتهم إلى المملكة العربية السعودية متنفساً لبسط آمالهم وما قد يحملونه من أحاسيس تجاه أمتهم ومواطنهم) [1] يقول أحد أولئك الشعراء مشيراً إلى بعض هذه المعاني:

غادرت قومي إليكم كلما نغرت   منا الجراح وذكراكم يعزينا[1]

ولا شك أن ذلك (يؤكد على الاتصال الفكري لساسة هذه البلاد وأهليها)[2].

ولأن بعض أولئك الشعراء يغادرون أوطانهم متجهين إلى المملكة العربية السعودية إذا حزبهم أمر في بلدانهم، فيجدون لدى قادة هذه البلاد العون والدعم التي تعزيهم عن أوطانهم – كما يقول هذا الشاعر – فقد كان لذلك الدعم وتلك المساندة آثارها الطيبة في نفوس أولئك الشعراء الذين مدحوا قادة البلاد السعودية بشعر يعمق الصلات الثقافية ويقوي روابط حسن الجوار.

(وكما مدح الشعراء اليمنيون الملك عبد العزيز، مدحوا أبناءه بشيء من الغبطة والتقدير)[4] فقد اتصلوا ببعض أدباء وشعراء المملكة وتعاطوا معهم كؤوس الأدب، وطارحوهم شعراً ونثراً، ونتيجة لهذا وذاك تركوا لنا نماذج شعرية جيدة سنختار بعضها حتى وإن كان ذلك الشعر من جانب واحد – في بعض الأحيان –، ومن بين هؤلاء الشعراء وأولئك الأدباء الأديب العالم السياسي اليمني: أحمد

---

(١) المصدر السابق ج٣ ص١٦٤.

(٢) الملك فيصل بحوث ودراسات ج٣ ص١٧١.

(٣) المصدر السابق ج٣ ص١٧١.

(٤) المصدر السابق ج٣ ص١٦٠.

محمد نعمان (الذي قدم من مصر مع بعثة الأزهر للحج في عام ١٩٣٩هـ، وكان من بين البارزين المدعوين إلى حفلة الشباب في منى في ذلك العام فتحمس كعادته وقد سمع زعماء العالم الإسلامي يتحدثون ويخطبون في ذلك الحفل (أمام الملك عبد العزيز) فوقف يلقي كلمة مطولة دعا فيها إلى الوحدة العربية وأطال فيما دعا، وتحمس فيما خطب حتى قال مستشهداً بما يدعو إليه: (كما قال عبد الله بلخير):

شبه الجزيرة موطني وبلادي　　　من حضرموت إلى ربى بغداد
أشدو بذكراها وأهتف باسمها　　　في كل جمع حافل، أو نادي[1]

فكان استشهاده بتلك الأبيات وسيلة تعارف بالأديب السعودي عبد الله بلخير بل سبيل تواصل ثقافي استمر بينهما فترة تزيد عن ثلث قرن، وأثر في محبيهما من البلدين.

---

(١) عبد الله بلخير يتذكر من إعداد خالد با طرفي ص٢١٨، من منشورات اثنينة عبد المقصود خوجه جده ١٤١٩هـ.

شاعر اليمن: محمد محمود الزبيري وعبد الرحمن السقاف يُفعِّلان التواصل الثقافي

ومن الشعـراء اليمنيين الذين أعجبوا بالملك عبـد العزيز وإنجازاته الوطنية وشاركوا في الحفل الذي يقيمه في منى احتفاء بكبار الحجاج الأديب الشاعر اليمني الحضرمـي: عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (الذي حج في عام ١٣٥٤هـ وكان يدلـف إلى الستين من عمره، فكان أحد ضيـوف الحفل الحاشد بمنى حيث ارتجل الأديب السقاف خطبة عصماء في ذلك المحفل العظيم)[(١)].

ومنهـم شاعر اليمن الكبير محمد محمـود الزبيري الذي زار المملكة العربية السعوديـة والتقى بالملك عبـد العزيز وأنشد بين يديه قصيـدة عصماء مدحه بها وأثنى فيها على إنجازاته في سبيل وحدة الوطن وسماه في هذه القصيدة: (منقذاً لبلاده وشعبه)، (وهي من أولى قصائد الزبيري التي طبقت شهرتها الآفاق، وقد ألقاهـا في الحفـل الذي أقامه الملـك عبد العزيز بمنى)[(٢)] وهـي قصيدة تعد من عيـون الشعر العربي، أشاد فيها ببطولات الملك عبـد العزيز وإنجازاته الوحدوية، وهممـه العالية في نصرة الدين وإقامة الشريعة ورعاية الحقوق حتى استتب الأمن وصفـا العيش للمواطن والمقيـم ، وفي ختامها أكد على عمـق الصلة والتواصل بين المملكة العربية السعودية واليمن ودعا فيها إلى الوحدة الكبرى:

---

(١) من الأدب اليمني لأحمد الشامي ص٢٦٩ ، دار الشروق، بيروت ١٣٩٤م.

(٢) المصدر السابق ص٧٠.

يمنية، مكية، نجدية قل ما تشاء، فإننا لا نفرق

وقد نشرت هذه القصيدة بصحيفة أم القرى في العدد (٧٨٧) الصادر يوم السبت ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٨هـ ، الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٣٩م وفيها قال الشاعر والمفكر الزبيري:

قلب الجزيرة في يمينك يخفق وهوى العروبة في جبينك يشرق
ولعمر مجد المسلمين لأنتَ في أنظارهم أمل منير شيق
وهبوك أفئدة الولا ووهبتهم مجداً تقدسه القلوب وتعشق
إن الجزيرة شرقها ودبورها وشمالها حرم بوجهك مونق
وحدتها ونفخت في أرجائها روحا تخب بها البلاد وتعتق
ويكاد منها الصخر يمشي حاسراً لك عن معادنه التي لا ترمق
قل لي بربك أي كف عبدت لك منهجاً ما كان قبلك يطرق
وبأي عزم قمت وحدك ناهضاً والنوم في جفن العروبة مطبق
جردت للطاغين سيفاً صارماً فتمزقت آثارهم وتمزقوا
وقمعت عفريت الغلا فهديته والسيف أهدى للجهول وأصدق
وبذاك أمنت الحجيج وأفهموا أن الفريضة قربة لا مأزق
وهدمت كل عقيدة ممقوتة كانت تضل بها العقول وترهق
ورفعت رأسك في الممالك عالياً والملك حرّ، والنظام موفق
حتى إذا شب النزاع وحاولوا أن تستميل، وبصبصوا وتملقوا
خيبتهم وهمست في آذانهم أن الجزيرة غابة لا تطرق

وبنيت حول البيت أو حول الهدى ... حصناً بأسباب النجوم معلق
ماذا دهى الإنسان في أطواره؟ ... حتى نراه في الردى يتعشق
يسعى ليلقى النار في أحشائه ... ويخال أن سواه منها يحرق
إنا لنأسف للحضارة أن ترى ... منهارة لكننا لا نفرق
فلنا بنهضتنا وسالف مجدنا ... شرف نفوز به إذا ما أخفقوا
سلهم عن النور الذي جئنا به ... فاستصبحوا بضيائه واستشرقوا
سدنا البلاد فما استقر قرارنا ... حتى تلألأ غربها والمشرق
سعد الضعيف برفقنا حتى إذا ... ملكوا الضعيف بحكمهم لم يرفقوا
إنا لأعرق في المعالي منهم ... وأحق منهم بالنهوض وأخلق
إن تسحق الدنيا معاول غيهم ... فلنا بلاد حرّة لا تسحق
ولسوف نشرق بالعلا إن غرّبوا ... والشرق أحفل بالضياء وأليق
والعيش لولا الطامعون، ميسرٌ ... والمجد لولا الحاسدون، محقق
ونفوسنا اللاتي سمت بجدودنا ... هي لم تزل، لا بل أشد وأحنق
فلقد تجرّعنا كؤوساً مرة ... لم يشربوا منها ولم يتذوقوا
واليوم حان بنا التفرق، وانجلى ... لشعوبنا أن التفرق موبق
وتقشع الحلم الأنيق خداعه ... فإذا الحقيقة مرّة لا توفق
وإذا الحقوق سليبة مهضومة ... وإذا الوعود خديعة لا تصدق
وإذا البلاد تمخضت عن منقذ ... أدرى بإنقاذ الشعوب وأحذق
وهبت له العليا معارج أفقها ... فعلا بهمته التي لا تسبق
وسما إلى عرش يلوذ بركنه ... من أيدوا الدين الحنيف وصدقوا

علموا بأن الله حارس بيته	يختار فيه من يشاء ويخلق
ولرب يوم تزدهي أمم الهدى	بتراثها العالي الذي لا يخلق
في ظل بيت الله تحت لوائه	نسمو بشرعته التي لا تمحق
ونسير صفاً واحداً لا ينثني	بعواصف الدنيا ولا يتمزق
فتولَّ يا عبد العزيز عزائما	من أمة تهوى السمو وتعشق
ولتحي في عرش القلوب مؤيدا	وليحي شعب حول عرشك يحدق
واليك يا (سيِّدَ) الجزيرة خفقة	من قلب صب لم يزل بك يخفق
ناءت بمحملها حنايا لوعتي	وهفت إليك بها القوافي السبق
يمنيَّةٌ، مَكِّيَّةٌ، نَجديَّةٌ	قُلْ ما تشاء فإننا لا نفرق[1]

تلكم هي بعض رؤى المفكر والشاعر اليمني الكبير محمد محمود الزبيري في زعيم عربي عملاق هو الملك عبد العزيز آل سعود، أجل، تلك الرؤى هي التي نستطيع التقاطها من خلال قصيدته العصماء هذه، ولربما أجنّت جوانح هذا الشاعر الكبير لعبد العزيز وإنجازاته أكبر مما عبرت عنه هذه القصيدة المترجمة لمشاعر الآخرين من شعراء اليمن آنذاك ومفكريه.

(١) الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج٢ ص ٦٠٩-٦١١ .

الشاعر اليمني الكبير
علي أحمد باكثير يلتقي بالملك عبد العزيز

- ومن الشعراء اليمنيين الكبار الذين أعجبوا بالملك عبد العزيز وبإنجازاته الوحدوية الشاعر والروائي اليمني، السعودي، المصري، الكبير:

إنـه الشاعـر الروائي العربـي الكبير: علـي أحمد با كثـير (١٩١٠-١٩٦٩م) المولـود بسور بايا في إندونيسيا من أبوين عربيـين [١]، والمتوفى بالقاهرة بعد حياة حافلة بالعطاء الأدبي والفني العظيم فإن له شأنا آخر في قصة إعجابه بالملك عبد العزيز و في تواصله الثقافي، وفي علاقاته الحميمة بأدباء المملكة العربية السعودية ومثقفيهـا ، فقد وصل إلى المملكة العربيـة السعودية في السابع والعشرين من شهر شـوال مـن عام ١٣٥١هـ قادماً من عـدن هارباً من أحزانه وآلامـه [٢]، فبدأ بزيارة الحرمـين الشريفين، وغسل عندهمـا بعض أدران أحزانه، حيث أدى فريضة الحج ثـم التقى بالملك عبـد العزيز الذي أحبه وتابع إنجازاته منـذ وقت مبكر ، ثم أقام بمكة شهوراً انتقل بعدها إلى الطائف وأقام بها فترة أخرى ثم عاد إلى مكة وانتقل إلى جده ومنها إلى المدينة المنورة فصلى في مسجد رسول الله ثم زار قبره الشريف واستقـر بالمدينـة فالتقى بأدبائهـا وشعرائها الذين احتفوا بـه كاحتفاء أدباء مكة

---

(١) شعـراء من الجزيرة العربية ج٢ ص١٨١ لعبد الله بن سالم الحميد، دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع الرياض ١٤١٣هـ.

(٢) علي أحمد با كثير – حياته – شعره الوطني والإسلامي لأحمد عبد الله السومحي ص٥٤.

والطائف، وحين سكنت لواعج حزنه بدأ يناجي تلك الأماكن الطاهرة ويبوح لها ببعض مكنوناته شعراً ونثرا[1] وخلال ذلك العام الذي قضاه في الحجاز وتقلب خلاله بين مدنه كتب بعض إنتاجه الشعري والنثري ومن ذلك ديوانه الذي سماه: (صبا نجد وأنفاس الحجاز) وفيه رصد مطارحاته الشعرية مع بعض شعراء المملكة وشيء من إخوانياته وفي الطائف كتب روايته الأولى: (همّام) وفيها كتب قصيدته التأملية التي يقول في بعض أبياتها:

يا نجمة الأمل المغشي بالألم	**كوني دليلي في محلولك الظلم**
أنت الحياة، ولولا أنت ما اتسعت	**مضايق العيش بين الهم والسقم**
والهم أمتن أسباب الحياة له	**آثاره في سرور النفس والألم[2]**

فكانت تلك الفترة فترة حراك ثقافي أشعلها با كثير حماساً، وعطاءً، وتواصلاً قوّى خلالها روابطه الأخوية بعدد كبير من أدباء المملكة ونمى فيها ثقافته واطلاعه، فبرغم ثقافته الواسعة ونبوغه المبكر إلا أنه (ما إن وصل إلى مكة المكرمة قادماً من عدن حتى وضع لنفسه برنامجاً تثقيقياً اندمج من خلاله في الجو الروحي والعلمي والأدبي الذي تنعم به مكة المكرمة، فقد اتصل بالعلماء والأدباء وكون له صداقات وصلات بأكابرهم، وارتاد المنتديات وعكف على المكتبات، ونشر بعض شعره في

(١) مجلة نادي الرياض الأدبي (الأدبية) وهي مجلة أدبية شهرية كان يصدرها نادي الرياض الأدبي بهذا العنوان انظر العدد الثامن عشر شهر ذي القعدة عام ١٤١٤هـ انظر بحث للدكتور: محمد أبو بكر حميد بعنوان: (با كثير، ومرحلة مجهولة من الأدب السعودي) ص١٩.

(٢) شعراء من الجزيرة العربية ج٢ ص١٨٦-١٨٧.

صحيفة (صوت الحجاز) ، وتتلمذ على عدد من علماء مكة المكرمة، حيث أخذ دروساً في علمي العروض والفلك على السيد العلامة محمد أمين كتبي، وحضر دروساً في علم الفرائض في حلقة الشيخ خليفة بن حمد النبهاني المدرس بالحرم المكي، وحصل على الإجازة في علم الفقه من السيد العلامة عبد الحي الكتاني المشهور بدروسه في الحرم المكي الشريف، كما شارك في حضور كثير من المناسبات الثقافية والاجتماعية الخاصة والعامة، ومن تلك المناسبات حفل افتتاح (دار الحديث) الذي حضره وشارك فيه بقصيدة طويلة بلغت تسعة وأربعين بيتاً ومطلعها:

حيٌّ ابن تيمية الذي في هدي أحمد لا يجارى
والمصلح (النجدي) حييه وأوليه الغمارا)[1]

وحينما انتقل إلى الطائف كان اهتمامه منصباً على المكتبات والبحث عن مخطوطاتها وكنوزها العلمية، وحين غادرها إلى مكة كتب عن تلك الزيارة (فوصف مدينة الطائف كما رآها، حيث وصف سورها، ووصف مكتباتها وما بها من مخطوطات نفيسة)[2] وكذلك حينما انتقل إلى المدينة المنورة التي أقام بها ثلاثة أشهر (كان يقضي جزءاً من وقته في الاستماع إلى دروس الحرم النبوي الشريف والانكباب على المكتبات العامة والخاصة)[3] وإلى جانب صلات (با

(١) الأدبية (مجلة نادي الرياض الأدبي الشهرية) العدد الثامن عشر ص١٨-١٩.

(٢) الأدبية مجلة نادي الرياض الأدبي الشهرية العدد ١٨، ص٢٠.

(٣) بحث منشور على الشبكة العنكبوتية عن با كثير وصلاته الأدبية بأدباء الحجاز للدكتور محمد أبو بكر حميد غير مرقم الصفحات.

كثير) وتواصله الثقافي مع أدباء ومثقفي الحجاز الذي استمر حتى بعد أن غادر الحجاز أعواماً طويلة، وأثمر أدباً حياً (شعراً ونثرا) [١] من خلال تواصله معهم ومطارحاته لهم، إلى جانب ذلك (فقد اتصل بالملك عبد العزيز الذي كان معجباً بـه وبفروسيتـه وبجهـاده في سبيل توحيد وطنه، كمـا كان معجبـاً بتوجهه السلفي وبرعايته الأمينـة للحرمين الشريفين وقاصديهما) [٢]، وهذا الإعجاب بالملك عبد العزيـز كان قـد رسخ في نفس با كثـير قبل أن يفد إلى الحجاز ومـن قبل أن يلتقي بـه وبمحبيـه في المملكة العربية السعوديـة بأعوام عديدة، لأنـه كان يتابع بعض ما يكتب وينشر عن جهاده وجهوده الإسلامية والوطنية في كبريات المجلات والصحف الإسلامية وفي مقدمتها مجلتي: (المنار) و (الفتح) [٣] أما بعد وصوله إلى المملكة العربيـة السعودية والتقائه بعاهلهـا فقد ازداد ذلك الإعجاب؛ لأن با كثير: (رأى في الملـك عبـد العزيز أنموذجاً قيادياً حياً لزعيم عربي مسلـم يسعى لتوحيد بلاده، بل يسعـى لتوحيد معظم أنحاء الجزيرة العربية، ويحكم كيانـاً عربياً إسلامياً مستقلاً هو: (المملكة العربية السعودية)، يحكمها بشرع الله وحده دونما تبعية لأحد) [٤].

ولم يكن با كثير متفرداً بهذا الإعجاب فكثيرون غيره أعجبوا بمسيرة الملك

(١) الأدبية (مجلة نادي الرياض الأدبي الشهرية) العدد الثامن عشر ص٢٠ (بتصرف).

(٢) الملـك سعـود ... بحوث ودراسات ج٢ ص١١٨، دارة الملك عبد العزيـز بالرياض ١٤٢٧هـ للدكتور محمد أبو بكـر حميـد انظر بحثه المستل من هـذا الكتاب بعنوان: الملك سعود في وثائق بـا كثير، ص١١٥-١٦١وكذلك مقدمته لديوان با كثير (سحر عدن وفخر اليمن) ص٢٢.

(٣) ديوان علي أحمد با كثير (سحر عدن وفخر اليمن) تحقيق د. محمد أبو بكر حميد ص٤٢-٤٣.

(٤) المصدر السابق، ص٤١.

عبد العزيز الذي وهب نفسه لأمته، إلا أن إعجاب با كثير يمتد لزمن بعيد.

(فقد أعجب الشاعر الكبير (با كثير) بالملك عبد العزيز منذ صغره؛ أعجب بدينه، وبفروسيته، وبزعامته، وتتبع حركة توحيده للمنطقة، وقضائه على الإمارات الصغـيرة، وتوقع نجاحه في تحقيق أول وحـدة عربية على نهج إسلامي نقي) [1]، لذلـك كانت من أولى مهماته بعد وصولـه إلى المملكة الاتصال بالملك عبد العزيز، والتعبـير له عن بالغ التقديـر لتلك الإنجازات التي حققها لبـلاده وللمسلمين فتم ذلك لباكثير، وبعد أن لقي لدى الملك عبد العزيز كل ترحاب قدم له بعض القصائد التـي كتبها حينما كان يتابـع إنجازاته من (عدن) قبل أن يصـل إلى المملكة [2]، ومن تلك القصائد قصيدته الطويلة المؤثرة التي جعل عنوانها: (يا من لليل العرب طـال) والتـي كتبها بمناسبة قضاء الملـك عبد العزيز على المتمـرد (ابن رفادة) حين هاجـم الحدود السعودية عـبر العقبة [3]، تلكم القصيـدة العصماء التي بث فيهـا شؤون الأمة وشجونهـا وبدأها بالشكوى المريرة من أحـوال العرب والمسلمين وما يعانونه من كيد الأعداء معرجاً على ماضي الأمة المجيد حين كانت لها القيادة، والسيـادة، والمجد، وحين وصل إلى ممدوحه الملك عبـد العزيز خصه بثناء عاطر علـى منجزاته، ولأن هـذه القصيدة تحتوي على هذه المعـاني السامية وغيرها من الموضوعـات المهمة فإننا سنأتي على كثير من أبياتها برغم طولها، يقول با كثير في

---

(١) المصدر السابق ص٨١.

(٢) المصدر نفسه ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه ص٤١.

هذه القصيدة:

خفق الفؤاد بما تذكر ... فالنوم عن جفني مُنَفَّرْ
يا ليل رفقاً بالغريب ... نبا به وطنٌ ومعشر
خطف الزمان حبيبه ... وأذاقه الملح المَصَبر

وبعد مقدمته الباكية انتقل إلى الشكوى من ليل العرب الأليل مشنعاً على ابن (رفاده) الذي استجاب لأهداف الطامعين والمتربصين بوحدة الوطن فقال:

يا من لليل العرب طال ... فهل له فجرٌ فيُنظر
أفكلما نهض الفتى ... منهم بأمته تعثر
أوكلما ابتسم الزمان ... بسيِّدٍ منهم تنكّر
ماذا بنجدٍ والحجاز ... وكيف مَلْكَهُمُ المشهّر
ماذاً ترقرق من دم ... للعرب في الصحراء يهدر
سحب تلبد في السماء ... وتحتها نار تسعّر
ما عنَّ (لابن رفادةٍ)؟ ... هل شاقه تاج ومنبر؟
أم ضاق ذرعاً بالحياة ... فخار ورد الموت أحمر
أم كان للحيل (البريطانيـ ... ـة) الكلب المؤجر
الفعل في الصحراء منه ... و (لندن) للفعل مصدر
و (ابن الحسين) عن الكياد ... لدينه أنقى وأطهر
ما كان إلا نادباً عرش الحـ ... ـجاز وقد تدهور
ما كان إلا رائماً ... إصلاح ما فيه تغيُّر

ويسخر (با كثير) من منتقدي الملك عبد العزيز الذي يدعو إلى التوحيد الخالص لله وعدم تقديس غير الله من أموات أو أحياء فيقول:

هدم السعوديُ القباب فضج منه الدين يَجْأَرْ
وهل الديانة غير أبـ ـنية على الموتى تُعَمَّر؟!
فالاحتلال أخف من هدم القباب لمن تفكر!
أسفاً عليها لا على حرية الحرمين تقبر! (1)
عبد العزيز بسيفه سيعزز الحرم المطهر
سيصونه من معتدٍ ويحوطه من كل منكر
وسيطرد الأعداء منه بعسكر من خلف عسكر
من ذا يغالبه وطو ع يمينه الأسد الغضنفر
ويح العروبة داؤها: أبناؤها، فبهم تضرر
نبذوا الإخاء فبعضهم للبعض من أعدائهم شر
يتعللون بمذهب والحق مثل الصبح أنور
الدين دين الله في قرآنه السامي مسطر
وحديث خير الرسل نور من هداه به يفسر

وبعد أن يشير با كثير إلى أن داء العروبة من أبنائها، لأنهم يقبلون خدع المستعمرين وإرجاف الماكرين نسمعه يستنهض الهمم فيقول:

(1) في الأبيات الأربعة السابقة يسخر فيها الشاعر با كثير من المبتدعين الذين يعترضون على الملك عبد العزيز حين أمر بهدم القباب المنصوبة على أضرحة بعض الموتى.

هبوا بني العرب الكرام فكل شعب قد تنور
غزت شعوب الأر ض والعربيّ مُمْتَهَنٌ مُحَقَّرْ

ويمضي با كثير في مطولته الرائعة إلى أن يقول متشوقاً لماضي أمته المجيد:

يا ليت شعري والمنى عسل يُشَجُّ بماء كوثر
أيعود ما ضينا المجيد وملكنا في البحر والبرّ؟
أتراه يُقبل ثانيا ؟ من بعدما ولّى وأدبر؟
إذْ طبّقَ الدنيا هدانا عَرْفُه مسكٌ وعنبرْ
إذ طأطأت لجلالنا دول على الدنيا تَكَبَّرْ
إنا ثَلَلْنَا عرش (كسرى) واستبحنا ملك (قيصر)
في ربع قرنٍ لم يزد دِنّا الدُنا، فالله أكبر

وحين وصل الشاعر إلى بيت القصيد (مديح الملك عبد العزيز) والإشادة بإنجازاته في خدمة دينه، وأمته، ووطنه لم ينس التذكير بأخطار المتآمرين على أمن واستقرار الجزيرة العربية مؤكداً بأن تحصين الجزيرة من شرورهم لن يكتمل إلا بالتعاون مع جاره الكبير (إمام اليمن يحيى بن محمد حميد الدين) إن هو تجاوب مع الجهود المخلصة لحمايتها من أطماع الطامعين ونجد في هذه الأبيات تأكيدا على أهمية التواصل السياسي والثقافي بين البلدين الجارين حيث يقول با كثير:

عبد العزيز الفارس المغـ ـوار والملك المُظَفَر
جئت الحجاز فصنته ممن يعيث به ويَفْجُر
وأقمت فيه الدين من أوهامَ سطرها مُؤَجَّر

فبدا هدى المختار وضاءً كنور البدر أزهر
إن يَنْهَدْ الباغي إليك فإن سيفك لم يُكَسَّر
أدِّبْه، واعرف من زجاه فقد بدا، مهما تسَتَّر
لا تخش (حامدهم) [1] وحاذر كل خافي المكر أشقر
إن الجزيرة من أولاء القوم في خطر مقرر
فامدد يديك إلى (الإمام) [2] فباتحاد كما تُحرَّر
لا سور غير الاتحاد به جزيرتنا تُسَوَّرْ
فكلاكما الشهم الهمام كلاكما الفطن المنوّر
لا تتركا فرص الزمان تضيع، إن الوقتَ جوهر
فَتَضَامَنَا، وأنا الكفيل بأنَّ سُؤدَدَنا سَيُنْشَرْ
فخر العروبة أنتما إنْ يَبْقَ للعربيّ مَفْخَرْ

و (با كثير) في هذه القصيدة يجمع بين التواصل الثقافي والتواصل السياسي

(١) حامدهم: يقصد به: المعارض (حامد بن رفادة) وهو: حامد بن سالم بن رفادة: (....-١٣٥١هـ): ثائر من قبيلة (بلى) من سكان (الوجه) التابعة لمنطقة (تبوك) خرج على الملك عبد العزيز في عام ١٣٤٧هـ فعوقب على عصيانه ففر إلى مصر وأقام بالقاهرة حتى سنة ١٣٥٠هـ ثم انتقل إلى عمان بالأردن ومنح الجنسية الأردنية حيث اتصل بالملك عبد الله بن الحسين، ثم عاد إلى مصر، واتصل بملكها (أحمد فؤاد) فلقي منه دعماً لمشروعه، وأكمل استعداده للثورة، ثم رحل إلى السويس وهناك لحقت به جماعات هيئت له فانتقل بهم إلى العقبة بمساندة من أمير شرقي الأردن الملك عبد الله بن الحسين، فتوغل في الحدود السعودية حتى وصل إلى سفوح جبل (شار) بالقرب من (المويلح) ، وهناك واجهته جيوش الملك عبد العزيز فدارت المعركة التي انتهت بقتله ومن معه، وذلك في أواخر شهر ربيع الأول من عام ١٣٥١. الأعلام ج٢ ص١٦٠-١٦١.

(٢) (الإمام): يقصد به إمام اليمن: (يحيى حميد الدين) ، والقصيدة كتبت قبل أن يحاول إمام اليمن الاستيلاء على بعض المدن السعودية والتي بسببها قامت الحرب بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى وانتهت باتفاقية الطائف.

(٣) ديوان علي أحمد با كثير (سحر عدن وفخر اليمن) ص٨١-٨٧.

حيث يدعو قادة البلدين إلى التضامن والتعاون الذي يؤدي إلى التلاحم.

وهـذه القصيدة ليست هـي الوحيدة التي كتبها (با كثـير) قبل أن يسافر من عـدن إلى إفريقيا ثم إلى المملكة فقد كتب قصائـد أخرى أيضاً ونشرها في عدد من المجلات المصرية كمجلة (الفتح)، (ومجلة (المنار) وغيرهما وذلك قبل أن يرحل إلى المملكة وكلها تدعم موقف الملك عبد العزيز الذي يذب عن البيت الحرام، ويذود عـن مقدسات الإسلام، ويسعى لخدمة وطنه وجمع شمل مواطنيه في وحدة إسلامية فريدة، ومن تلك القصائد ذلك النشيد الطويل الذي كتبه الشاعر (با كثير) بعدن في شهر ربيع الأول من عام ١٣٥١هـ وسماه: (نشيد يوم العقبة) نختار منه قوله:

أقـبـل يـوم الـعـقـبـة　　　يـوم تُـفَـكَ الـرقـبـة

هـا هـو ذا، مـا أقـربـه　　　لـه بـحـطـين شَـبـه

صلاحه عبد العزيز

وفي هـذا النشيـد يتحدث (با كثـير) عن جهود الملك عبـد العزيز في حماية الحرمين الشريفين والحفاظ على الشرع المحمدي الحنيف فيقول:

هـذا المـلـيـك الـعـربـي　　　يـجـدد الـديـن الحـنـيـف

يـذود عـن دار الـنـبـي　　　ويـحـفـظ الـشـرع المـنـيـف

يـدعـوكـم إلـى الـوئـام

مـلـيـكـنـا عـبـد الـعـزيـز　　　إمـامـنـا، يـا ابـن الـسـعـود

إن الـعـدو؛ (جَـلْـفَـزِيـزْ)[1]　　　فـلا تـغـرنْـك الـوعـود

---

(١) جلفزيز: الداهية الثقيل.

ولا يَـــرُعْــــكَ الــكــافــرون

ويختم با كثير هذا النشيد الحماسي الجميل بقوله:

هـبـوا بـنـي الـديـن الحـنـيـف ذبـــوا عـــن الـبـيـت الحـــرام
أواه يـــا أســـد الـغـريـف لا تـــتركــوا الـبـيــت يـظـام
يــومــاً وأنـــتـــم تـــرزقـــون [1]

والشاعر اليمني الكبير علي أحمد با كثير في القصيدة التالية يؤكد على أهمية تعاون ملك اليمن الإمام يحيى مع جاره ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز تقوية للصلات بين البلدين ولصونهما من دسائس ومكائد الأعداء لذلك نراه يدعو لتعاونهما وترابطهما في هذه القصيدة التي كتبها في أثناء حركة العصيان التي قام بها (الحسن الإدريسي) في عام ١٣٥١هـ مع أنه، قد تنازل عما كان يعرف بالبلاد الإدريسية للملك عبد العزيز بموجب معاهدة مكة عام ١٣٤٥هـ وأكد تنازله النهائي في عام ١٣٤٩هـ[2] وكانت ثورته قد تمت بدعم وتحريض من الشريف (عبد الله بن الحسين)[3] ودعمه وسانده في ثورته آخرون، لكن الله

---

(١) ديوان با كثير: (سحر عدن وفخر اليمن) ص٧٦-٨٠.

(٢) أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث للعقيلي ص١٤٩-١٧٧.

(٣) هو الشريف عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد الحسني (١٢٩٩-١٣٧٠هـ): أمير شرق الأردن، ثم ملك المملكة الأردنية الهاشمية، ولد بمكة المكرمة، وتلقى مبادئ العلوم بالاستانه أيام إقامة أبيه الجبرية فيها، وعاد إلى الحجاز عام ١٣٢٧هـ، ثم سمي نائباً عن مكة المكرمة في مجلس المبعوثان، شارك والده في الثورة على الأتراك عام ١٣٣٤هـ وقاد الجيش الذي حاصر حاميتهم في الطائف حتى استسلمت، شغل منصب=

خيب آمالهم، ففشلت محاولاتهم وانتصر الوطن بقيادة الملك عبد العزيز وقد كتبت هذه القصيدة بعدن وذلك في شهر رمضان من عام ١٣٥١هـ، وجعل با كثير عنوان قصيدته هذه: (ماذا في عسير؟) ونشرها بمجلة (الفتح) المصرية بتاريخ ١٥ رمضان من عام ١٣٥١هـ باسم مستعار هو: (الشاعر اليماني). ربما لجرأة الطرح في هذه القصيدة العصماء رغب في إخفاء اسمه عند نشرها.

يقول الشاعر العربي اليماني الحضرمي الكبير (با كثير) في هذه القصيدة:

فارت تنانير الشبور ... وبدت خَفيّات الأمور
وتفلق الإصباح عن ... قتلى وصرعى في عسير
تلك الدماء اليعربية ... أهرقت فوق الصخور
سبقت على دَهَشٍ إلى ... حرب العشير مع العشير
سارت إلى غير الرشاد ... بها شياطين الغرور
أعداء أنفسهم عبيـ ... ـد دراهم الخِبّ الغدور
نشروا كتابات بها ... فاحت قمامات الصدور
راموا بها شغباً على الـ ... ـملك السعودي الكبير
عبد العزيز مجدد الأ ... مال في الزمن الأخير

=وكيل وزارة الخارجية ثم استقال عام ١٣٣٩هـ، وفي عام ١٣٥٦هـ سمي ملكاً على شرق الأردن، وقتل في عام ١٣٧٠هـ، ثم دفن بالمسجد الأقصى في القدس. الأعلام ج٤ ص٨٢.

ومطهر الحرمين من بدعٍ تناستها العصور
هي علة الإسلام أنـ ـذرنا بها الهادي البشير
وإذا تدلّت أمة تخذت علالتها القبور
تلهو بها عما تطلـ ـلبه سنيّات الأمور

ثـم يلتفت (با كثير) بعد هذا العرض المأساوي لما فعله أعداء أنفسهم، عبيد دراهـم أعـداء الإنسانية يلتفت با كثـير ليشنع عليهم مساعيهـم الخائبة ثم يدعو عليهم فيقول:

هتك الإله عصابة هتكت من الدين الستور
أنكى على الإسلام شراً من قريضة والنضير
زعموا الدفاع عن الحجا ز وكله كذب وزور
أتطهرون البيت من (توحيد) مولاه الغفور!؟
ماذا نقمتم غير شَلّ يد المظالم والفجور!؟
إذ تظلمون وتفعلون وتتركون، ولا نكير
إن الكبير إذا بغى أغضى على ظلم الصغير
يا أنت يا ذا المستشار وأنت يا ذاك الوزير
لا تكذبنَّكم المنى إن المعاد هو النشور

يا (فيصل الدويش) [1] يا (ابن رفادة) [2] يا (ابن الأمير)
إني البشير لمن ثوى منكم، وللباقي نذير
وأولئك الوزغات نافثة الـ ـمفاسد والشرور
خربت ضمائرهم فلا إحساس فيها أو شعور [3]

ويمضي با كثير في تقريعه لمناوئي الملك عبد العزيز ومن يدبرون له المكائد وفي مقدمتهم الشريف (عبد الله بن الحسين) الذي أغرى (الحسن الإدريسي) بالثورة وعقد له صفقة سلاح مع الإيطاليين الذين يستعمرون آنذاك (إريتريا) على

(١) فيصل الدويش: (١٢٩٩-١٣٤٩هـ): هو: فيصل بن سلطان بن فيصل بن نايف الدويش آخر شيوخ (مطير) يقال لقبيلته (الدوشان) وهم أصحاب الرياسة في مطير تمتد منازلهم من غربي الأحساء إلى أطراف القصيم، كان فيصل الدويش صاحب دهاء واعتزاز بالنفس وشراسة، تزعّمَ (مطير) بعد والده، وصحب الملك عبد العزيز في صباه وخالفه سنة: ١٣٣٠هـ فقصد أطراف العراق بجماعة من عشيرته فطاردته السلطات العثمانية فعاد إلى نجد، وأنزله الملك عبد العزيز في (الأرطاوية) ثم انتدبه لإخضاع عشائر من نجد خرجت على ابن سعود ولجأت إلى أطراف العراق فهاجمها ومزقها.. كبرت عنده نفسه فكان يرى بأنه نِدّاً لابن سعود، فاحتمله الملك عبد العزيز وصبر عليه نظراً لشجاعته وزعامته، ثم تزوج من عتيبة فزادت عصبيته، وحين شارك في حصار حائل كان يطمع في إمارتها، ولما حاصر المدينة المنورة خاف منه أهلها عند التسليم وطلبوا من الملك عبد العزيز إرسال أحد أبنائه ليستلمها فأرسل ابنه محمد بن عبد العزيز حينئذ أعلن فيصل الدويش البدء في الثورة على الملك عبد العزيز فدارت بينهما معركة (السبلة) عام ١٣٤٩هـ هزم فيها (الدويش) وجرح جراحات بالغة فحمل إلى الملك عبد العزيز على نعش تحف به نساؤه وأبناؤه فقبل شفاعتهم ثم عولج بـ (الأرطاوية)، لكنه بعد أن شفي انتقض وعاد لمناوشة أتباع الملك عبد العزيز وضل في حروب ومناوشات انتهت بأسره فسجن بالأحساء حتى توفي في العام نفسه ١٣٤٩هـ. الأعلام ج٥ ص١٦٦.

(٢) ابن رفادة: سبقت ترجمته، في ص ٣٨٢.

(٣) ديوان با كثر: سحر عدن وفخر اليمن ص١٣٣-١٣٨.

أن يستلمها منهم مندوبه: (حسين الدباغ)[1] عن طريق (ميناء مصوع الأريتري) فيرسلها أو يسلمها للإدريسي الثائر في جازان[2]، لهذا فإننا حين نقرأ بقية أبيات هذه القصيدة نجد با كثير يستخدم الأسلوب القرآني: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾[3]، فيقول مخاطباً (ميناء مصوع) ومن سيستلم فيه من الإيطاليين سلاح المكائد الفاشل، ومخاطباً من سيتولى توصيله للمناوئين بأن ما يخططون له دونه خرط القتاد وستطير منهم ومن أعوانهم هامات وجماجم دون أن يحققوا مقاصدهم:

رُدّي جفونك يا (مُصَوّعْ) — وهي خاسئة حسير
من دون أن تطأي عسير — صليل أسياف ذكور
وسواعد منها تطيح — بها، وهامات تطير
فأمامك (الأسد الهصور)[4] — وخلفك (الأسد الهصور)

ثم يأتي (با كثير) بعد هذه الأبيات بمقطع شعري يدعو فيه إلى تقارب

---

(١) حسين الدباغ: هو شقيق محمد طاهر الدباغ الذي سيأتي ترجمته في ص ٤٣٤، وكلاهما من رجال حكومة الأشراف وكانا من أعضاء الحزب الحجازي المناوئ الذين شملهم عفو الملك عبدالعزيز فأصبحوا من أعوانه في تنمية الوطن ومن رجاله المخلصين.

(٢) أضواء على تاريخ الجزيرة العربية ص١٦٠، وانظر هامش ص١٣٤ من ديوان با كثير (سحر عدن وفخر اليمن).

(٣) جزء من الآية الكريمة رقم (٨٢) من سورة يوسف.

(٤) يقصد بالأسد الهصور الأول: الملك عبد العزيز، والأسد الهصور الثاني: الإمام يحيى وهو في هذه الأبيات يتفاءل بتعاون الملكين على صد أطماع الاستعمار وأعوانه غير أن الأعداء تمكنوا من إشعال الحرب بين الملكين في العام نفسه الذي كتبت فيه القصيدة.

وتواصل الملكين (عبد العزيز آل سعود) و (يحيى حميد الدين) وتعاونهما لسد الباب أمام الطامعين، ويثني عليهما ثناءً حاراً يقول فيه:

يحيى حميد الدين فخر الـ ـعرب مولاها الغيور
وحليفه عبد العزيز الفارس البطل الشهير
سيفان مصقولان لم تسمح بمثلهما الدهور
سَلَّتْهُمَا سَلاًّ على الـ ـباغي يد الله الخبير
رأيا العدى بهما تربص للدوائر أن تدور
فترابطا، فكلاهما لكليهما نعم النصير

بعد هذا الثناء الذي أسبغه با كثير على الملكين توجه إلى الملك عبد العزيز بتهنئات خاصة ودعوات مخلصة بالنجاح في القضاء على رؤوس الفتنة وأذنابها:

عبد العزيز تهنَّ بالنعـ ـمى وبالملك الخطير
فلأنت ذخر في الخطوب وأنت في الظلمات نور
أنقذت مهد الدين من خطر تَهَدَّدَهُ مُبير
فحفظتَ مجد العرب منه وكان منه على شفير
اضرب بسيفك من بغوا وأذقْ لحومهمُ النسور
رأس الفساد قطعته فلتقطع الذَّنَبَ الأخير
واقبل فُدِيتَ، تحية من شاعرٍ حُرِّ الضمير
هجر الصبابة والتغزل في سوى الوطن الكبير

وطـــن الــعـــروبـــة مـــن ربـــى　　نجـد إلى الـيـمـن الـغـريـر [1]

وهـذه الروائـع التي ذكرناها آنفاً ليست إلا شيئاً يسـيراً مما حبرته يراعة الشاعر العربـي الكبير (علي أحمد بـا كثير) في التعبير عن شديـد إعجابه بجهود الملك عبد العزيـز العظيمة في حماية أمته ووطنه من أطماع الطامعين، وكيد المتربصين، وإن كان لهـا شيء يميزها عن غيرها فهـو أن با كثير قد كتبها ونشرها قبل أن يصل إلى المملكة وقبل أن يلتقي بالملك عبد العزيز، مؤكداً عمق الصلات بين اليمن والسعودية وداعياً إلى مزيد مـن التواصل والتعاون بين البلدين والشعبين و(با كثير) بعد أن وصل إلى المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١هـ والتقى بالملك عبد العزيز نظم في مدحه والثناء على مواقفه، وإنجازاته الوحدوية غرر القصائد، ولعل أولى قصائده التي نظمها بعد وصوله إلى المملكـة وألقاها بين يدي الملك عبد العزيز هي قصيدته التي كتبها بمناسبة مبايعة الملـك سعـود بولاية العهـد حيث حضر (با كثـير) هذه المناسبة وألقـى فيها قصيدته في المسجـد الحـرام وكان عنوانهـا: (ملك وحـد الحجاز ونجدا) وممـا يرجح لنا أن هـذه القصيـدة هي من أولى قصائده التـي كتبها بعد وصوله إلى الحجـاز أمور أولها: أن الشاعـر كمـا يظهر في الأبيـات الأربعة الأولى ما زال يرسـف في أحزانه بسبب فقد زوجتـه، وثانيها: أن المناسبة حصلت في السادس والعشرين من محرم عام ١٣٥٢هـ أي بعد وصوله إلى المملكة بشهرين فقط. لذلك نراه في مقدمة قصيدته يعبر عن رغبته في غسل أحزانه عند البيت الحرام في الرحاب المقدسة فيقول ملتمساً العزاء:

---

(١) ديوان با كثير سحر عدن وفخر اليمن ص١٣٣-١٣٨.

وإذا مـا أردتمـا لي عـزاءً فاذكرا لي (عبد العزيز) السعيدا
ملك يرفع العروبة شمـ ـاء ويحيى من قبره التوحيدا
ملك وحد (الحجاز) و (نجداً) و (عسيراً)، وحاطهن حديدا [1]

وحينما أشار إلى مبايعة الملك سعود بولاية العهد قال:

إنما بايعوا يد الله لما بايعوا سيد الشباب سعودا

أما قصيدته الثانية التي اختار لها عنوان: (تحية سيد العرب وعاهلها الأكبر) فهي من مطولات (با كثير)، ولعلها تأتي في ترتيبها بعد قصيدته: (ملك وحد البلاد ونجدا) وربما سبقتها قصائد أخرى لأن صحيفة (أم القرى) نشرتها في شهر شعبان من عام ١٣٥٢هـ [2]، أي بعد مناسبة القصيدة الأولى بسبعة أشهر، وقصيدته هذه: (تحية سيد العرب وعاهلها الأكبر) من مطولات (با كثير)، حيث بلغت أبياتها مائة وثلاثة وعشرين بيتاً، وقد كتبها بعد وصوله إلى البلاد السعودية وألقاها أمام الملك عبد العزيز في مكة المكرمة ومطلعها:

لا ينهض الشرق حتى ينهض العرب ونهضة العرب الكبرى لها أهب [3]

ولطولها فإننا سنختار منها أهم محطاتها حيث يقول الشاعر با كثير فيها:

---

(١) الملك سعود بن عبد العزيز بحوث ودراسات ج٢ ص١٢٣، انظر في هذا المجلد بحث للدكتور: محمد أبو بكر حميد بعنوان: (الملك سعود في وثائق با كثير الأدبية)، وانظر كتاب: (الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى) ج١ ص٥٠٢.

(٢) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج١ ص٥٠٢.

(٣) الملك سعود بحوث ودراسات ج٢ ص١٢٠، وانظر كتاب: الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج١ ص٥٠٢-٥٠٨.

إن الطريق طويل بعد ليس له إلا السرى ووصال السير، والدأب
والمجد ليس لشعب جامد وكلِ عدوّه في الحياة: الجدّ والنصب
ومن تجرد عن دين وعن خلق فليس يرفعه علم ولا أدب
والعلم والدين والأخلاق إن جمعت لأمة بلغوا في المجد ما طلبوا
إن العلا حلفت بالله لا قبلت إلا إذا خطبتها السمر والقضب
والخيل تشهد في سهل وفي جبل بأن أكرمها النجدية النجب
وأن أشجع من جالت به فرس (عبد العزيز)، وأسمى من نماه أب
فخر العروبة مصباح الجزيرة رب الأريحية، من دانت له الرتب
ابن السعود، وحسب العرب قاطبة أن يذكروه فيستهويهم العجب
يا نظرة تركتني لا يبارحني طيف الجزيرة في الظلماء تنتحب
إن لم تقم دولة للعرب قاهرة فلن يمتع بي جيد، ولا شنب
هل يهنأ العربي الحر ملعبه وحقه بيد الأغيار مستلب
الموت أطيب من عيش يذل به للأجنبي فتىً للضاد ينتسب
لا مجد للعرب حتى لا يكون بها شبر من الأرض للأغيار مغتصب
حتى يكون لها مما تذود به براً، وبحراً، وجواً، فوق ما يجب

وبعد هذه المقدمة التي تجمع بين الترغيب في العلم، والحث على الأخلاق والإشادة بفروسية الملك عبد العزيز، والعزف على الوتر الذي يحبه، وهو الدعوة إلى وحدة الأمة والنهوض بها من كبوتها وتخليصها من كيد الأعداء وبطشهم بعد كل هذا وغيره يخاطب الملك عبد العزيز قائلاً:

عبد العزيز كبير العرب أنت لها ... ضاقت بنا الحال، واشتدت بنا الكرب
أمـا تـرانـا عـبـيـداً في مواطننا ... نحني الرؤوس لمن عزوا ومن غلبوا
وسوف توقد حرب الكون شاغلة ... فليت شعري في أثنائها نثب
إن لم تقم أنت يا عبد العزيز لها ... فمن سواك لهذا الأمر يُنتدب
بُثّ المعارف في أرض الحجاز وفي ... (نجدِ)، تَثُرْ لك منها أمة عجب
فالعلم غيث، إذا ما انهل ساكبه ... والقفر أحسن ما ينمو به العشب
هذي حياض علوم الكون مترعة ... ونحن عطشى وقد أودى بنا الكرب
ما كان أحوجنا أن نرتمي زمراً ... فيها ونكرع حتى يطفأ اللهب
إذا الرواة على الأحواض ما صدروا ... فليت شعري أتكفي العُطّش النغب؟
صحا فؤادي عن ماضي صبابته ... إلا نوازع في أعماقه تجب
حب (الجزيرة) أنساني قديم هوى ... بالغيد، يأخذ مني فوق ما يهب
إن كان لا بد من ذكرى لغانية ... يحيا بها القلب، أو ينشأ بها الطرب
ففي (لبوءة نجد) فليكن غزلي ... فتلكم السؤل، والمأمول، والأرب

إلى أن يقول:

يا باني الملك من فولاذ همته ... يحوطه من حواشيه القنا الأشب
يحفه من بنيه الأكرمين ومن ... بني أبيه شباب في الوغى وُثُبُ
يراقب الله في سر وفي علن ... فليس يفتنه مال ولا نشب[(١)]

---

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج١ ص٥٠٢ وما بعدها، وانظر بحث الدكتور محمد أبو بكر حميد في (مجلة الأدبية) ص٢١-٢٣ العدد ١٨ شوال ١٤١٤هـ، وانظر كتاب: الملك عبد العزيز في الأدب والتاريخ ص٢٢٠ من إصدارات نادي المدينة المنورة ١٤١٩هـ محاضرة الدكتور عبيد خيري بعنوان: ملامح من بطولات وعبقرية الملك عبد العزيز في الشعر العربي ص١٩٢-٢٢١.

وهـذه القصيدة مـن القصائد التـي كتبها (با كثـير) أثناء إقامتـه بالمملكة ويضمها ديوانه المخطوط: (صبا نجد وأنفاس الحجاز) الذي يحققه ويعده للنشر محمد أبو بكر حميد.

ثم توالت بعدها قصائد (با كثير) التي نظمها أثناء إقامته في المملكة ثم ألقاها بين يدي (الملك عبد العزيز) وبين يدي ولي عهده (الملك سعود) وبين يدي نائبه في الحجـاز (الملك فيصل) ومن تلك القصائد قصيدته العظيمة: (صواعق في الهيجا سحائـب في الندى) وهي قصيدة طويلة تبلغ أبياتها ثمانون بيتاً وقد نشرتها صحيفة (أم القرى) بعددها (٤٥٢) الصادر بتاريخ ١٩/٤/١٣٥٢هـ وفيها يثني على (الملك عبد العزيز)، ويثني من خلاله على (آل سعود) وخدمتهم للدعوة السلفية.

- ولئـن كان أصحـاب كتاب: (الملك عبد العزيز في عيـون شعراء صحيفة أم القـرى) قد جعلوا عنوان مناسبتهـا: (مدح وثناء)[1] فإن الدكتور محمد أبو بكر حميـد قد جعل مناسبتها: (في الذكرى الثالثة والثلاثين لفتح الرياض)[2] مشيراً إلى أن مصـدره مخطوطـات (با كثير)، وربما يميل القارئ مثلي إلى العنوان الذي اختـاره الدكتور محمد أبو بكر حميد لأنه سيجد الشاعر قد ذكر في ثنايا القصيدة بعض تفاصيل ملحمة الرياض، مما يؤكد احتفاءه بإحياء ذكرى تلك الملحمة.

والشاعـر (بـا كثير) في هـذه القصيدة يعبر عـن بالغ اعتـزازه بالملك عبد

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٨٣٦.

(٢) الملك سعود بن عبد العزيز بحوث ودراسات ج٢ ص١١٩.

العزيز الذي استطاع أن يوحد أقاليم كثيرة من جزيرة العرب، يضمها هذا الكيان الكبير: (المملكة العربية السعودية) ، ويرى في ذلك فألاً حسناً لقيام وحدة إسلامية كبرى لذلك نجده يثني في قصيدته على الملك عبد العزيز ويشيد بمواقفه وبطولاته العظيمة بدءاً من ملحمة الملاحم: (ملحمة استرداد الرياض) ممهداً لذلك بذكر أحوال الأمة العربية الممزقة، الأمر الذي يستدعي وجود بطل منقذ كعبد العزيز، ويرى أن مجيئه في تلك الظروف كان فتحاً من الله الذي هيأه لتلك المسئوليات الجسام وأعدّه لها، وهي من قصائد (با كثير) القوية والطويلة لذلك سنختار منها بعض ما يشير إلى هذه المعاني – قدر الإمكان – يقول با كثير في هذه القصيدة:

ألا هل مولٍ، من على العرب مقبل	**وهل عائد ذاك الفخار المؤثل**
تداعت على العرب الخطوب، كأنها	**عطاش من الأنعام، والعرب منهل**
فأضحت على حكم الزمان نزولها	**وكانت بها الدنيا تباهي وترفل**
ألا ليت شعري كيف تنهض يعرب؟	**ومجموعها هذا النسيج المهلهل**
عباديد شتى انحل عقد وفاقهم	**كأنهمُ سرب النعام المُجفَّل**
فمن مؤمن بالله يهدي بلاده	**إلى كافر بالله لا يتحلل**

وبعد أن يعرض الشاعر لوحات قاتمة لحال الأمة الإسلامية نراه يعود لعرض التاريخ المشرق الذي كانت تصنعه أمتنا الإسلامية وتسطر به صحائف من نور إلا أنه ما يلبث أن يعود إلى استعراض ما آلت إليه أحوال الأمة الممزقة التي توشك أن

تسلـم روح الشاعـر إلى حضيض اليأس لولا أنه ترآى له ذلـك الضوء المنبعث من الحجاز المستمد لأضوائه من نجد ومن زعيم نجد والحجاز الملك عبدالعزيز الذي ينتظـر الشاعر منه أن يشق ذلك الظلام بنوره الوهاج فيهتدي به المدلجون؛ لذلك سمعنا با كثير يقول:

ألا إن حال العرب يا صاح مُيئس — ألا إن ليل العـرب يـا صاح أليلُ
ألا إن ضوءاً في (الحجاز) فتيله — (بنجد) تراعيه العيون وتأمل
يشق بـه جنـح الظـلام فيهتدي — على نـوره الساري، وينجو المظلل
ومهمـا يكن ذنب الـزمـان فإنـه — بـ (آل سـعـود) جـاءنـا يتنصل
همُ الأمـل الباقي لنهضة يعرب — ومعقلها، إن يبـق للعـرب معقل
همُ علّمـوا الأقـوام أن ليعرب — سـيوف مضـاء، بعـد، لا تتفلل
همُ علموا الأقـوام أن ليعرب — جبـال حلـوم بعـد، لا تتزلـزل
همُ علموا الأقـوام أن ليعرب — نـوابغ مثل النسر أو هـي أهـول
بـدورٌ على أفـق المعـالي وأنجـمٌ — وشمسهم (عبد العزيز) المكلل
(فتى) لو رآه الدهر، والدهر راكب — لا وشـك إعـظامـاً لـه، يـترجـل
ترى الدين دين الله في عهد أحمد — نـبـيّ الـهـدى، في عـهـده يتمثل
فَيُنْصَفُ مَظْلُومٌ ويُقْطَعُ سَارِقٌ — ويُجْلَدُ سِكّيْرٌ، وَذَوِ البَغْيِ يُقْتَلُ
أعـاد على آبائـه بعد ما عفت — وعُـدّتـه: قلب شجاع، ومنصل
كـأني بـه ينساب عاشـر عشرة — يخب بهم كالـريح، أو يتمهل
يقول لهم سيروا ورائـي بني أبي — إلى حيث نحيا، أو على العز نقتل

سرت روحه فيهم فأمسوا كأنهم / سكارى، وخمر الاستماتة تثمل

*** / ***

فوافى بهم سور الرياض فأنْشَأَتْ / به ذكَرُ الماضي، تُولِّي، وتُقْبِلُ

تَسَوَّرَه (عبد العزيز) وصحبه / كذي (لبَد) يقفو الخطى منه أشجل

فما هي إلا مصعد، ثم مهبط / على درج في الدار يعلو، وينزل

وصافح باليمنى (الأمير) لحينه / وإن عناق الأسد، يا صاح منكل

وكبر في (دار الإمارة) يعلن الـ / ـأمان لمن وآلى، ومن ثار، يقتل

فدانت له غلب الرقاب وأقبلت / إليه، يزجيها الهوى المتغلغل

تبايعه الأقوام مثنى وموحداً / فيقبلها منه الأغرّ المحجل

وتستمر القصيدة على هذا النسق الأخاذ وبهذه الروعة البلاغية، وذلك التدفق الإبداعي حتى آخر بيت من أبياتها الثمانين، والشاعر بعد البيت الذي وقفنا عنده أضاف بيتين أثنى فيهما على جميع أبناء الملك عبد العزيز مؤكداً على عنوان قصيدته حيث قال فيهما:

كذاك بنوه ’لا يغال منالهم / إذا شبت الحرب استماتوا وكللوا

صواعق في الهيجا سحائب في الندى / يزين بهم صدر الندي ويجملُ

والشاعر بعد هذا البيت يخص (الملك فيصل) الذي كان نائباً لوالده في الحجاز بعدد وافر من أبيات المديح الصادق يقول في بعضها:

أمير الورى وافى مقامك شاعر / يرتل من أمداحكم ما يرتل

دعاه إليكم حبه ووداده / وإخلاصه في قلبه المتغلغل

فدم أبداً فخر الشباب وزينها   وبابك مقصود، وجدك مقبل

ثم يختم رائعته هذه بالدعاء (لآل سعود) قائلاً:

فلا زلتم آل السعود ابتسامة   يضيء بها ثغر العلى والمقبَّل[1]

ولا شك بأن دارس شعر (با كثير) الذي كتبه في مدح الملك عبد العزيز ودعم فيه مشروعه الوطني سيجده حافلاً بتأييده، وسيجد فيه (ثناءً عليه وعلى مواقفه النبيلة تجاه الإسلام وأهله) [2]، وبخاصة ما كتبه ونشره قبل أن يصل إلى المملكة فإنه سيلمس فيه صدق المشاعر، وقوة العاطفة، وحرارة الوجدان، ذلك لأن الشاعر (با كثير) يصدر في هذا كله عن إعجاب كبير بالملك عبد العزيز وإنجازاته الوطنية العملاقة، فقد وجد في شخصه الزعيم المأمول لجمع الشمل وتوحيد الصفوف والنهوض بالأمة و (وجد في الدولة السعودية التي أقامها الملك عبد العزيز قبس النور الذي يقدّم الحل في خضم الألم الذي يعيشه المسلمون والعرب آنذاك) [3]؛ لقد وقف با كثير بفكره وشعره إلى جانب الملك عبد العزيز ومحضه حبه وتقديره، وحفظ له ولأسرته الكريمة (آل سعود) كل الود والتقدير حتى آخر حياته، لذلك فقد قابل الملك عبد العزيز ذلك الحب من (با كثير) بمثله فكان محل رعايته وتكريمه خلال فترة إقامته بالمملكة وبعد انتقاله إلى مصر وإقامته بها، فحين زار الملك عبد

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج٢ ص٨٣٦-٨٤٠.

(٢) الالتزام في مسرح با كثير التاريخي، لسحر حسن عبد القادر أشقر ص٣٢، من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٣٠هـ.

(٣) الملك سعود بن عبد العزيز بحوث ودراسات (بحث الدكتور محمد أبو بكر حميد: الملك سعود في وثائق با كثير ج٢ ص١١٩).

العزيـز مصر في عهد الملك (فـاروق) [١] وبالتحديد في عام ١٣٦٥هـ التقى هنالك بالشاعر (با كثير) وتحدث معه حديثاً ودياً ختمه بقوله: (لن ننسى قصائدك يا شيخ علي أثناء توحيد المملكة جزاك الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء) [٢]، وكان (بـا كثير) قـد مدح الملك عبد العزيز في هذه المناسبـة بقصيدة طويلة لقبه فيها بـ (أبا العُـرب) وبارك فيها لقاء الزعيمين السعـودي والمصري حيث رأى في هذا اللقـاء فاتحة عهد لجامعة عربية تعيـد للأمة وحدتها وبعض مكانتها وهي قصيدة طويلة سنختار منها قوله:

يا أخا الفاروق يا ابن الأكرمين ... يا أبا العرب، وكهف المسلمين
جئت للفاروق في الوادي الأمين ... فالتقى السؤدد بالمجد الأثين
هذه مصر يحيوك بنوها ... ويغني بأماديحك فوها
يا أخا فاروقها، أنت أخوها ... لك في أحشائها الحب المكين
رقصت مصر بلقياك سرورا ... وتهادى النيل في الوادي حبورا
حينما بوّأك الفاروق دورا ... هي للعرب هواهم أجمعين

إلى أن قال فيها مخاطباً للملك عبد العزيز:

---

(١) الملك فاروق بن أحمد فؤاد (الملك) بن إسماعيل (الخديوي) بن إبراهيم بن محمد علي باشا (١٣٣٨-١٣٨٤هـ): آخر من حكم مصر من أسرة (محمد علي باشا)، وآخر من لقب بالملك فيها، ولد في القاهرة، وتعلـم بها وبفرنسـا وبإنجلترا، خلف أباه على ملك مصر سنة ١٩٣٦م، وأرغـم على خلع نفسه لصالح ابنه (أحمـد فـؤاد) في أثناء ثـورة ١٩٥٢م، فأقام الملك (فاروق) بعـد ذلك في روما إلى أن تـوفي سنة ١٣٨٤هـ. الأعلام ج٥ ص١٢٨-١٢٩.

(٢) الملك سعود بحوث ودراسات ج٢ ص١٣٩.

يا كبير العرب من عدنانها　　كيف حياك فتى فتيانها
ذاك مولى مصر من سودانها　　لمصب النيل للشط الأمين
الحياة العز والعز الحياة　　لا عبودية إلا للإله
من يَدُسْ أرضا لنا شُلَّتْ يداه　　لن يفوت الأسد من داس العرين

وختمها الشاعر (با كثير) بقوله:

يا مليكينا الحبيبين سلاما　　من قلوب تعشق المجد غراما
وتريد العيش في الدنيا كراما　　تؤثر الموت على العيش المهين
يا مليكينا اسلما للعرب　　اسلما للأمل المرتقب
يوم نبني المجد فوق الشهب　　عربي الوجه وضاح الجبين (١)

وهكذا استمرت علاقة (با كثير) بآل سعود عامة وبأبناء الملك عبد العزيز خاصة طيلة حياته وحتى بعد مماته رحمه الله، فحين مدح أبناءه الملوك: (سعود)، و(فيصل) في أثناء حياة الملك (عبد العزيز) كان شديد الاهتمام بالثناء على والدهما مشيدا بإنجازاته، وحتى حين مدحهم بعد وفاة والدهما ظل في مديحه لهما وفيا لوالدهما (الملك المؤسس) لا ينسى فضله وإنجازاته. بل إن (با كثير) كان يراهما امتداداً لوالدهما العظيم يقول في القصيدة التي مدح بها الملك (سعود) بمناسبة ولاية العهد في عام ١٣٥٢هـ:

وإذا ما أردتما لي عزاءً　　فاذكرا لي (عبد العزيز) السعيدا

---

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج٢ ص٧٢٧-٧٣٠.

ملك وحد (الحجاز) و (نجداً) و (عسيراً)، وحاطهن حديدا
ملك يرفع العروبة شمـ ـاء ويحيى من قبره التوحيدا [1]

وحينما مدح الملك سعود بعد وفاة والده في أثناء زيارته لمصر لم ينس الثناء على الملك (عبد العزيز) حيث قال في قصيدته التي جعل عنوانها: (يا صبا نجد):

يا صبا نجد بأمي وأبي طيب أنفاسك تشفي أربي
من ربىً قد قَرَنَ الله بها منبت العز ومهد العرب
في ربوع النيل شعب شَيِّقٌ لشذاك العنبري الطيب

وبعد أن يتحدث الشاعر عن مصر وحفاوتها بضيفها الملك (سعود) بدأ يذكر بعض خلال ممدوحه التي قال في بعضها:

لا تلوموا مصر إذ هامت به إنها مولعة بالنجب
إنها تكرم من أكرمها ورعى الود لها في النوب
ملك في كل قلب عرشه ثابت الأسّ، متين السبب
عادل الحكم بدستور السما ينصف الأبعد قبل الأقرب
فيه من (عبد العزيز) اجتمعت أمهات الخُلُقِ المنتخب
(لم يمت عبد العزيز)المرتجى في (سعود) وجهه لم يغب

وهكذا لم ينس الملك عبد العزيز حتى وهو يمدح ابنه الملك سعود بعد وفاته، وفي هذه القصيدة يطنب (با كثير) في مدح الملك (سعود) ويرى فيه المنقذ

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص١٢٣، (وقد قدّمتُ وأخّرتُ في ترتيب الأبيات حرصاً على حسن الاستدلال).

للعروبة من بعض معاناتها حيث يقول:

يا أبا فهد ومن أولى بنا　　من أبي فهد الهمام الأنجب
إن في (مصر) وفي (نجد) معاً　　لمناط الأمل المرتقب
أمة العُرب تعاني كُرباً　　وبكم يرجى انكشاف الكُرب
أنقذونا من هوان مسنا　　في صميم العرض لا في النسب
يا سعود الخير بُلِّغْتَ المنى　　ووقاك الله شر النوب
يا بشيراً للهدى من (مكة)　　وبشيراً للرضى من (يثرب)
في محياك من البيت سنا　　وبأردانك أنفاس النبي[1]

والقصيدة طويلة تزيد أبياتها على الستين وهي من القصائد القوية في معناها ومبناها وقد اختار لها (با كثير) هذا النغم الراقص ليخاطب به الحواس والوجدانات وهو كما رأينا لم ينس ذكر الملك عبد العزيز في ثناياها.

وحين مدح الملك (فيصل) في حياة والده -كذلك- أثناء وجوده في الحجاز نائباً عن والده بدأ قصيدته بمدح والده الملك (عبد العزيز) فخصه بأكثر من أربعين بيتاً من أبيات القصيدة الثمانين فقد عرض فيها لأحوال العرب والمسلمين وحاجتهم إلى ملك قائد شجاع مقدام كعبد العزيز يقول في بعض أبياتها:

ومهما يكن ذنب الزمان فإنه　　بآل (سعود) جاءنا يتنصل
هم الأمل الباقي لنهضة يعرب　　ومعقلها إن يبق للعرب معقل

---

(١) الملك سعود بحوث ودراسات ج٢ ص١٤٣-١٤٥.

بـدور علـى أفـق المـعـالي، وأنجـم	وشمسهمُ (عبد العزيز) المكلل
فتى لو رآه الدهر، والدهر مقبل	لأوشـــك إعـظـامـاً لـه يـترجـل
ترى الدين دين الله في عهد أحمد	نـبـي الـهـدى في عـهـده يتمثل
فيُنصَفُ مظلوم، ويُقْطَعُ سارق	ويُجْلد سِكِّير، وذو البغي يقتل

ويستمر في مديح الملك (عبد العزيز) وذكر بطولاته وإنجازاته، وعدله حتى يصل إلى ممدوحه (الملك فيصل) في هذه القصيدة فيقول:

إذا لج في الإشكال إمرة (فيصل)	وقد حارت الأفكار في الحل (فيصل)
فتىً ساد في سن الحداثة حاملاً	على نفسه في المجد ما ليس يحمل
وما ناهز العشرين حتى انتهى إلى	يديه زمـام الأمـر، ما شاء يفعل
يُصرّف في طول الحجاز وعرضه	أوامـر طبق العدل لا تتبدل[(1)]

وكما حفظ الملك عبد العزيز لـ (با كثير) تلك المكانة المرموقة وذلك التقدير فقـد حفظ له أيضـاً أبناء الملك عبد العزيـز كثيراً من التقديـر والإجلال فحينما زار الملـك سعود مصـر بعد أن أصبح ملكاً أقيم له احتفـال كبير وخلال الحفل لمح الشاعـر (با كثير) ولاحظ وجود بطاقـة دعوة لحضور الحفل الذي أقيم له في يد (بـا كثـير) فسحب الملك سعود تلك البطاقة من يد بـا كثير وقال: (كيف يدعى الأستاذ با كثير لحفلنا ببطاقة دعوة مثل الآخرين وهو منا؟) [(2)].

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج٢ ص٨٣٦-٨٤٠.

(٢) الملك سعود بحوث ودراسات ج٢ ص١٣٩.

إقامة الشاعر اليمني: (با كثير) إلى آخر عام ١٣٥٢هـ في المملكة تأكيد على التواصل الثقافي بين البلدين

وهكذا فقد كان الشاعر (علي أحمد با كثير) أنموذجاً حياً للتواصل الثقافي الفاعل بين البلدين الشقيقين حيث عبر عن ذلك التواصل بكل الألوان الثقافية المتاحة: (شعراً، ونثراً، وقصصاً، ومسرحيات) وطارح عدداً من الشعراء السعوديين وراسلهم وراسلوه، ونظم قصائد عديدة في تأييد الملك عبد العزيز ومناصرته أثناء حروب توحيد المملكة العربية السعودية حتى أن أحد الباحثين وصف اهتمام (با كثير) بالملك عبد العزيز قائلاً: (لو تابعت هذا الجانب عند با كثير لحسبته سعودياً سلفياً مخلصاً)[(١)] ومن تلك القصائد التي قالها في تأييد الملك عبد العزيز ما نظمه في عدن وبعضها في أثناء وجوده في المملكة، والبعض الآخر بعد سفره إلى مصر. بل لقد كتب (با كثير) عن الملك عبد العزيز بعد وفاته أعمال أدبية مختلفة منها: (مسرحية الملك عبد العزيز لم يمت)، ومنها (قصة على شكل رسائل متبادلة بين الرئيس الأمريكي (ترومان) والملك عبد العزيز)[(٢)]، وفي ديوان (با كثير) (صبا نجد وأنفاس الحجاز) نجد بعض شعره الذي تطارحه مع بعض شعراء المملكة ونتعرف من خلاله على اندماج (با كثير) ومشاركاته

---

(١) صحيفة الجزيرة السعودية العدد ١٣٣٩١ بتاريخ ١٤٣٠/٥/٤هـ، مقال للدكتور محمد أبو بكر حميد بعنوان: (النساء الباحثات السعوديات وعلي با كثير).

(٢) الأدبية مجلة نادي الرياض الأدبي العدد ١٨ ص١٦-٢٣، بحث للدكتور محمد أبو بكر حميد: (با كثير ومرحلة مجهولة من الأدب السعودي).

في المناسبات الاجتماعية والثقافية مما يؤكد على الصلات الحميمة التي ربطته بشعراء الحجاز، ففي الأسبوع الأول من وصوله إلى المملكة نجد الشاعر (أحمد إبراهيم الغزاوي) يستضيفه في بيته ويحييه بقصيدة إخوانية جعل عنوانها (يا شاعر الأحقاف) وذلك بمناسبة استجابة (با كثير) لزيارة الغزاوي في منزله وفي هذه القصيدة والتي بلغت أبياتها ستة عشر بيتاً يقول الغزاوي في مطلعها:

قد كدت من فرح أطير ... مذ زار داري با كثير

أعليُّ لولا أنني ... بالصفح مرتاح الضمير

لوهبتك القلب الذي ... أرواه كثرك النمير

فيرد عليه (با كثير) بقصيدة إخوانية مماثلة بلغت أبياتها أربعة وعشرين بيتاً وجعل عنوانها: (يا شاعر الحرمين) حيث يقول في بعض أبياتها:

وافيت بالأدب الغزير ... وطلعت بالوجه المنير

شرفتني بزيارة ... غمرت فؤادي بالسرور

ناطت بِعُمَّتِيَ السها ... ومضت تزاحم بي ثبير

وعجبت منك لكعبة ... طافت ببيت أبي كثير (1)

وحين علم باكثير بزواج صديقه (محمد أمين كتبي) نظم قصيدة هنأه فيها ولكنه بدأها بتذكر مأساة وفاة زوجته وجرحه الدامي الذي لا ينساه فقال في مطلعها:

(1) مجلة نادي الرياض (الأدبية) العدد ١٨ ص١٨.

واهاً لصب لجّ في مسه شب لظى الوجد على نفسه
تقادم الدهر على عهده لم يسله الحب ولم ينسه

ومضى في تذكر آلامه وأحزانه وبعد أبيات عاد إلى تهدئة خاطره قائلاً:

خفّظ على قلبك من همه وأطلق الخاطر من حبسه
وعلل النفس بحلو المنى فقد يدال السعد من نحسه
وإن من يفرط في حزنه كمثل من يسعى إلى رمسه

وحين وصل إلى الممدوح بدأ تهنئته له بقوله:

فصغ حلى البشر وطرز بها سعد (أمين الله) في عرسه
الكوكب الثاقب في فهمه والقدر الصائب في حدسه
والزهر الباسم في خلقه والنهر الدائم في مرسه

إلى أن قال:

في حرم الله له حلقة تسكر فيها الناس في درسه[1]

واندماج علي أحمد باكثير مع أدباء الحجاز عامة وأدباء المدينة خاصة جعل بعض شعراء الحجاز يصارحونه في مطارحاتهم الشعرية معه برغبتهم في إقامته الدائمة لديهم، يقول الشاعر السعودي: طاهر الزمخشري مصرحاً بذلك في إحدى مطارحاته لباكثير:

---

(١) ملحق صحيفة الجزيرة: (الثقافية) العدد ٣١٢ بتاريخ الخميس ١٣/ ٤/ ١٤٣١هـ ص١٢-١٣، من تغطية لبعض فعاليات الندوة الأدبية الكبرى التي أقيمت عن باكثير في مدينة القاهرة أوائل عام ١٤٣١هـ.

يا شاعراً ملأ الفضاء نظيما ... وفصاحة، ورجاحة، وفهوما
يا من تألق في حمانا كوكبا ... إنا لنرجو أن تكون مقيما
في محفل الإخوان تنثر حكمة ... شعرية تذر الجهول حكيما
آمنت بالسحر المبين وفعله ... لما سمعت بيانك المنظوما[1]

مطارحات علي أحمد با كثير مع شعراء وأدباء المدينة المنورة

ولعلنا بعد هذا التطواف الجميل في بعض شعر با كثير الذي أكد به محبته لهذه البلاد وحكامها وأدبائها وشعرائها وأكد به الصلات الثقافية المتينة بين اليمن والسعودية لعلنا بعد هذا كله نختم اختياراتنا من شعره بشيء من تلك المطارحات الإخوانية التي حصلت بينه وبين بعض أدباء المملكة أثناء إقامته في المدينة المنورة على وجه التحديد فقد نقل الدكتور محمد أبو بكر حميد عن مجلة (المنهل) الغراء شيئاً من ذلك فقال: (كتب العلامة عبد القدوس الأنصاري في مجلته: (المنهل) عدد ربيع الثاني ١٣٨٠هـ الكلمة التالية عن المساجلة الشعرية المرتجلة الأولى بين أدباء المدينة المنورة الشباب آنذاك وضيفهم (علي أحمد با كثير) ما يلي: (كانوا ستة أصدقاء جمعت بينهم الصداقة والأدب..... والفرسان الستة المتساجلون هم الأساتذة: (علي أحمد با كثير، وعبد اللطيف أبو السمح، وطاهر زمخشري، وصالح الحيدري، وأحمد الخياري، وعبد القدوس الأنصاري) وبلغ عدد الأبيات التي نظمها المتساجلون ٩٥ بيتاً كان نصيب (با كثير) منها النصف تماماً ويليه

(١) المصدر السابق ص١٢، والنص الشعري مصور في هذا الملحق بخط الشاعر الزمخشري.

الأنصـاري تسعة عشـر بيتاً، وبعدهما أبو السمح سبعة عشـر بيتاً، ثم الزمخشري سبعـة أبيات والبقية متفرقة على الآخرين، وقد افتتح با كثير والأنصاري المساجلة حيث قال با كثير:

رعى الله يوماً رأينا به وجوه المنى سرت الناظرين
كأن النسيم به غادة لتقبيلها تندب العاشقين
كيمنى الرحيم برأس اليتيم يمناه فوق رؤوس الغصون
يمر فيجلو هموم الكئيب ويوشك أن يحيي الميتين

فيجاريه عبد القدوس الأنصاري:

كأن الجبال خيام نصبن وذاك المنار عليها أمين
كأن الغصون غصون النخيل غدائر منبوشة للمجون
كأن السماء وقد غيَّمت سبائك من فضة ما طُلين
كأن الحرار حرار قباء إماء صففن بيهو عزيم

فيرد عليه (با كثير) مجارياً في الوصف:

كأن السماء بها صفحة تلألأ من صحف المتقين
كأن الجبال ركام الحبوب مدى الدهر تنتظر الآكلين

فيجاوبه (عبد القدوس الأنصاري) مستدركاً على تشبيه (با كثير) قائلاً:

ولكنها تأكل الآكلين وتشرب بعدهم الشاربين

فيسترسل (با كثير) في وصفه لجبال المدينة قائلاً:

شواهد عند إله السماء   على الظالمين وللعادلين
تعجب من سطوات الزما   ن ومن عبث الدهر بالمالكين

يجاريه (عبد القدوس الأنصاري) واصفاً سيارة كبيرة مرت بهم وعليها أطفال ينشدون أهازيج العيد:

لك الله من منظر فاتنٍ   يميت الهموم ويحيي الفنون
رياضٌ وزهرٌ وجو جميل   وسيارةٌ وسطها ينشدون

لكن الشاعر (با كثير) يستمر في وصف المناظر الطبيعية الجميلة التي أمامه فيقول:

كأن النخيل وهن صفوفٌ   عرائس في يوم عرس جلين
وقفن عليهن خضر اللباس   لترقص تنتظر الزائرين

فيجاريه (عبد القدوس الأنصاري) في وصف المناظر الطبيعية قائلاً:

وغيمٌ تسرى بفعل النسيم   كغمِ ثقيلِ سرى عن جبين

فيكمل الشاعر (با كثير) وصفه السابق للجبال الماثلة أمامه متتبعاً عليها آثار النبي صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه رضوان الله عليهم فيقول:

شهدن النبي وآل النبي   وأصحابه الغر والتابعين

فينتقل به (الأنصاري) إلى الروحانيات فيقول:

مآذن مسجد هذا الرسول   تسوق المسرات للزائرين

وهنـا يتداخل معهما الشاعر (طاهـر الزمخشري) فيكمل الصورة الشعرية للمناظر الطبيعية الشاخصة أمامه فيقول:

وطـير تـرنم في غصنه ... يناجي الحياة بصوت حنون
جهاد الحياة يذيب الفؤاد ... وصفو الطبيعة يشفي الشجون
فهذا الجمال وهذا الجلال ... دليل الصفاء ووِدٌّ متين
وإن الرياض هنا جنة ... تُرَوِّحُ عن أنفس المدنفين

ثـم يحول (عبد القدوس الأنصاري) مجـرى الحوار محاولاً إثـارة زميلهم (صالح الحيدري) الذي ضل صامتاً ولم يشارك في الحوار فيقول الأنصاري:

ومالكمو قد نسيتم أخاً ... تفرد عنكم بصمت مكين
وما جاءكم في أصيلكمُ ... ببيت ولا شطرة تستبين

فيدافع (با كثير) عن (صالح الحيدري) قائلاً:

وما ذلك الصمت إلا الوقا ... ر أما تشعرون أما تفهمون

فيحتج (عبد القدوس الأنصاري) على دفاع (با كثير) مداعباً:

كأنا مجانين في غرفة ... و (صالحكم) قد خلا من جنون

فيؤيد (طاهر الزمخشري) ذلك الاحتجاج قائلاً:

فوعي القريض ونظم الجما ... ن ونثر الدراري له قادرون

لكـن (علي بـا كثير) يتجاهـل تلك الاحتجاجـات ويسترسـل في الدفاع عن (صالح الحيدري) قائلاً:

وهـا هـو هـذا يـهـز القـريـض لينفي ما كنتمُ تحسبون
ولـو شـئـتـمُ فيـه أحـيـا لكم (بديع الزمان) من المقبرين

فيتدخل (عبد القدوس الأنصاري) مطالباً للحيدري بالخروج عن صمته والإبانة عن شاعريته التي يراها فيه (با كثير) فيقول:

أجـل إنـنـا لـنـشـاء ونـهـوى وإنـا لـنرغب في أن يبين

وكأن (عبد القدوس الأنصاري) قد استطاع بهذا أن يغري (صالح الحيدري) بالمشاركة ويجره إلى الحلبة لكن (با كثير) يعاود الثناء على (الحيدري) فينطلق (طاهر الزمخشري) محتجاً على (با كثير) فيقول:

ظـلـمـت المـديـح وبـعـثـرتـه وأنـى لـه ذاك إن لم يـبين

فيجيب الشاعر (علي با كثير) متحدياً ومسترسلاً في الثناء على (صالح الحيدري) حيث يقول:

ألا إن مـدحـي في صـالـحٍ كـخـودٍ تـزان بـعـقـد ثـمـين
صـفـت كـالمـدامـة أخـلاقـه ولـكـن يـغـص بـهـا الحـاسـدون
فـلـو تـتـركـوني في مـدحـه لـقـلـت الألـوف وزدت المـئين
ومـاذا يـفـيـد امـتـداحـي لـه وقـد عـدّ في زمـرة الخـالـديـن

وبعد سماع هذا السحر الحلال في الثناء على (صالح الحيدري) يتراجع (طاهر الزمخشري) عن احتجاجه السابق فيقول:

أجـدت المـديـح فـأنـعـم بـه هـلالاً أضـاء عـلـى الـعـالمـين

وهنـا يشكر الشاعر (بـا كثير) لـ (طاهر الزمخشـري) تراجعه وموافقته له على سمو أخلاق (صالح الحيدري) وأدبه ويسترسل في مديح (الحيدري) فيقول:

مـدحـت كـثـيراً وأحـسـنـت في ... مـديـحـك يـا سـيـد المـادحـين

لـو ان لـه في قـومـه ... لأحـيـا المـعـالي في المـعـالي قـريـن

وهـذا مـديـحـي في (صـالـح) ... وأنـتـم جميعاً من الصـالحين[1]

وكمـا رأينـا، فقد تجلت في هذه المطارحات الإخوانيـة روح الود والتواصل التي كان بطلهـا ومشعل جذوتها الشاعـر العربي اليمني الحضرمي الكبير (علي أحمد بـا كثير) الذي ارتبـط مع إخوته الشعـراء السعوديين في مكـة، والطائف، وجده، والمدينة بروابط أخوية متينة عمقتها روح القربى والجوار والتواصل.

أما المساجلة والمطارحة الشعرية الثانية بين الشاعر اليمني الكبير: علي أحمد باكثـير وبين بعض شعـراء الحجاز فسنكتفي بالإشـارة إلى بداياتها الجميلة فقط رغبة في الاختصار حيث افتتحها الشاعر السعودي: (طاهر الزمخشري) بقوله:

صـفـو أتـيـح فـأسـمـعـونـا الأنـا ... ممـا يـهـز قـلـوبـنـا ألحـانـا

فيكمل الصورة (عبد القدوس الأنصاري) قائلاً:

إخـوانـنـا في العيد نظم جمعهم ... في روضـة أنـعـم بـهـم إخـوانـا

---

(١) كتـاب أبحـاث ملتقـى العقيق (ندوة عبـد القدوس الأنصـاري وإسهاماتـه العلمية والثقافيـة) ١٤٢٨هـ، مطبوعـات نـادي المدينة المنورة، (بحـث الدكتور محمد أبو بكر حميد بعنوان: عبـد القدوس الأنصاري وبا كثير صفحات مجهولة من تاريخ الأدب في المدينة المنورة) غير مرقم الصفحات.

فيطارحهما الشاعر (علي أحمد با كثير) بقوله:

سمح الزمان بوصلكم وحضوركم ... ولكم تمنيناه قبل زمانا
عاطيتم خمر السرور على الصفا ... فغدوت من صهبائها نشوانا
إن كان قبل اليوم دهري مذنباً ... فالآن كفَّر ما جناه الآنا

ثم يستمرون في تلك المطارحات الشعرية التي أشاروا فيها إلى أصدقائهم ممن يشاطرونهم السرور واصفين ما حولهم من مفردات البيئة الجميلة وقد أتوا في ذلك بالعجب العجاب، وكان الأبرز فيهم هو الشاعر الكبير: (با كثير).

لقد كان با كثير محل حفاوة وتقدير أدباء الحجاز عامة وشعرائه خاصة وظل حبهم وتقديرهم له حتى بعد وفاته وهذه قصيدة للشاعر السعودي الكبير حسن عبد الله القرشي رثاه بها حين وفاته وجعل عنوانها: (راهب الفن) يؤكد بها هذه الحقيقة فيقول في بعض أبياتها:

قف على الدرب زُهُوًاً وابتساما ... إنه عرس شهيد يتساما
يحطم القيد إذا القيد عتا ... ويرد الموت مهزوماً مضاما
راهب للفن، علويُّ الرؤى ... لم يكن يخفر للفن ذماما
عاشق للخلد قد سار إلى ... موكب الخلد محباً مستهاما
من حداة الركب، حادٍ، غردٍ ... عانقته ربة الشعر فهاما
مَلَكٌ قد عبر الأرض ولم ... يلق فيها لجناحيه مراما
وانطوى، كيف انطوى عن عالم؟ ... لم يزل فيه صداه يتراما

لم تـزل أزهـاره تـهدي الشـذى | لم تـزل أضـواؤه تجلـوا القتاما
وشـجـاه مـن مـرارات الجـوى | ما يريب الحر، فستحلى الأواما
يا عريق الجرح كم سغت من الـ | ـجرح للفادين غـاراً، ووسـاما
بـوركـت آيـاتـك الـكـبرى الـتي | كم جلت ذكرى، وكم أروت عراما
يـا (علـيٌ) والأمـانـي خـدعـة | والسعيد الجد من عاف الزحاما
قـد تسـاوينـا عـلى هـذا الثرى | في مـدى الغـربـة شيخاً وغلاما
غـير أن الخـلـد لـلـذكـر، وهـل | مثل طيب الذكر يستهوي العظاما[1]

وهكـذا كانـت صلات (با كثير) الأدبيـة بأدباء المملكة عامـة وأدباء الحجاز خاصـة وبأدبـاء المدينة بصورة أخص، كانت صلاتٍ قوية وفاعلـة لم تنته برحيله عنهـم وإنما استمرت حتى بعد رحيله إلى مصـر وإقامته بها، يقول الدكتور محمد أبو بكر حميد: (لقد عثرت على عدد كبير من مراسلات با كثير وأدباء الحجاز في منزل الشاعر با كثير في القاهرة)[2].

ولعلنا نختار مقدمة إحدى رسائل (با كثير) لبعض أدباء المدينة المنورة حيث يتضح في تلك المقدمة عمق الصلة والتواصل بين الشاعر (با كثير) وأولئك الأدباء وحرص الشاعر (با كثير) على استمراريتها حتـى بعد أن غادر البلاد السعودية

(١) كتـاب الاثنينيـة الجزء الثاني ص١١١-١١٣، جده ١٤١٣هـ، وانظر كتـاب شعراء من الجزيرة العربية لعبد الله الحميد ج٢ ص١٨٨-١٨٩.

(٢) كتـاب أبحـاث ملتقـى العقيق (ندوة عبـد القدوس الأنصـاري وإسهاماتـه العلمية والثقافيـة) ١٤٢٨هـ، مطبوعـات نـادي المدينة المنورة، (بحـث الدكتور محمد أبو بكـر حميد: عبد القدوس الأنصاري وبا كثير صفحات مجهولة من تاريخ الأدب في المدينة المنورة) غير مرقم الصفحات.

يقـول (بـا كثير) في مقدمة تلـك الرسالة: (حضرتي الأخويـن الكريمين الأديبين النيرين (أحمد ياسين الخياري) و الأستاذ: (عبد القدوس الأنصاري) و حضرة الأستاذ الفنان (أبي السمح) وجماعة أدباء المدينة الكرام.

سلامي العاطر، وتحياتي الفائقة، وأشواقي المتأججة، وتهنئاتي القلبية بحلول العيد المبارك عيد الحج الأكبر عاد عليكم باليمن، والإقبال والسعادة والرخاء.

إخـواني الأعزاء ذكرت بهـذا العيد عيد شوال المنصـرم حيث كنت بينكم في نعيـم لا أستطيع وصفه، ولن أنسى حلمه الجميل، وذكرياته الشائقة فعسى الله أن يجمعنـي بكم فنعيـد معكم تلك الذكريات ولا تؤاخذوا أخاكـم إذا تأخر في الكتابة إليكم والواجب يقتضي عليه أن يتقدم غير أن ثقته بعفوكم واطمئنانه إلى معذرتكم جعلاه في أمنٍ سهل له سبيل التسويف من يوم إلى يوم.

ماذا أصف لكم من القاهرة......).

ثم أخذ يصـف القاهرة وشوارعها، وحركتها العمرانيـة، ومناظرها الجميلة وانتقـل بعد ذلـك إلى الحديث عن نفسه وعن دراستـه الجديدة في الجامعة، وعن مشاريعه العلميـة والأدبية، وعن بعض كتبه التي قدمها للطبع وأنه سيرسل بعضها بعد انتهاء الطبع إلى أصدقائه في مكة والمدينة ثم يختم رسالته بعد ذلك بالسلام على الأصدقاء واحداً واحدا ذاكراً في نهاية عنوانه في مدينة القاهرة [1].

---

(١) كتـاب أبحـاث ملتقـى العقيق (ندوة عبـد القدوس الأنصـاري وإسهاماتـه العلمية والثقافيـة) ١٤٢٨هـ، مطبوعـات نـادي المدينة المنورة، (بحـث الدكتور محمد أبو بكـر حميد: عبد القدوس الأنصاري وبا كثير صفحات مجهولة من تاريخ الأدب في المدينة المنورة) غير مرقمة الصفحات.

ولا شك بأن إقامة الشاعر العربي اليمني الكبير علي أحمد با كثير في ربوع المملكة عاماً كاملاً يتنقل خلاله بين مكة والطائف وجده والمدينة وسط حفاوة أدباء وشعراء المملكة الذين تعاطوا معه كؤوس المعرفة فأثروا ساحة الفكر والأدب مما هيأ له ولهم أن يحققوا المفهوم الواقعي للتواصل الثقافي بين البلدين والشعبين حيث، تطارحوا مع (با كثير) شعراً ونثراً تمثل كنوزاً أدبية ثمينة، نشر بعضها (الدكتور محمد أبو بكر حميد) في كتب ودوريات رصينة وما زال يعكف على دراسة وتحقيق بعضها الآخر وبخاصة ما يتعلق بتلك اللقاءات التي جرت بين (با كثير) وبعض أدباء المملكة وما تطارحوا به خلالها من شعر إخواني جميل.

مطارحات الشاعر السعودي أحمد إبراهيم الغزاوي والشاعر اليمني عبد الرحمن السقاف

على أن في دواوين الشعراء السعوديين كالغزاوي، والعواد، والفقي، والقنديل، شيء كثير من ذلك الشعر الإخواني المؤكد للتواصل الثقافي فعلى سبيل المثال نجد الشاعر (أحمد إبراهيم الغزاوي)[1] قد أفرد في مجموعته الشعرية الكاملة باباً لشعر الإخوانيات سجل فيه شيئاً مما كان يتطارح به مع شعراء من اليمن، وشعراء من لبنان، وشعراء من الكويت، وشعراء من فلسطين.

ولعلنا نشير هنا إلى مطارحة (الغزاوي) مع الشاعر اليمني الحضرمي العلامة السيد (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف) ، كمثال لما حفل به ديوان الغزاوي من مطارحات شعرية مع إخوانه من الشعراء العرب وبخاصة شعراء الجوار فحينما زار السقاف أخاه (الغزاوي) في منزله حين قدم إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج في عام ١٣٥٣هـ احتفى به الشاعر السعودي (أحمد إبراهيم الغزاوي) وحياه بقصيدة جعل عنوانها: (تحية السقاف) ومنها قول الغزاوي:

أيها الجهبذ الذي نحن منه ... نتأسى بِجَدِّه (المختار)
والإمام الموهوب في كل علم ... والمجلي غداة يوم النفار
والأديب الذي انتظم الشـ ... ـعر والنثر في سلوك الدراري
والكريم الأخلاق والعلم الفر ... د والخطيب المباري

(١) أحمد إبراهيم الغزاوي (سبقت ترجمته في ص ٢٦٥).

أنت من عترة النبوة قربى | أين من ضوئها سنى الأقمار
فرض الله بالمودة فيها | أي أجر مقدس الأسرار
لا أحابيك بين عطفيك بحر | زاخر موجه، رهيب الغمار
ليس بدعاً فمثلك اليوم نص | قام برهانه بكل منار [1]

ولا نستبعد أن يكون الشاعر اليمني (السقاف) قد رد على تحية الشاعر السعودي (الغزاوي) بمثلها، ونتمنى أن تسعفنا بها المصادر في قابل الأيام.

قال جامع شعر (الغزاوي) متمماً لرصد ذلك اللقاء الذي تم بين الشاعرين في منزل الغزاوي: (وبعد قضاء وقت الزيارة هم الشاعر (السقاف) بالخروج من منزل مضيفه الشاعر (الغزاوي) فتقارضا بيتين من الشعر بدأهما الشاعر الغزاوي فأنشد الشطر الأول من البيت الأول فأجازه السقاف بالشطر الثاني، فأنشد الغزاوي الشطر الأول من البيت الثاني فأتمه ضيفه السقاف، والبيتان هما:

(بكم ليلتي صارت على الدهر غرة) | (كما عندنا صار الظلام صباحاً)
(فلا تجعلوها بيضة الديك إنني) | (إليكم مشوق لا أريد براحاً)

شعراء يمنيون آخرون يؤكدون التواصل الثقافي بين البلدين

وكما تواصل الشاعر والروائي اليمني الكبير (علي أحمد با كثير) مع الشعراء السعوديين بتلك الحميمية تواصل الشاعر اليمني الدكتور (محمد عبده

(١) كتاب أبحاث ملتقى العقيق (ندوة عبد القدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية) ١٤٢٨هـ، مطبوعات نادي المدينة المنورة، (بحث الدكتور محمد أبو بكر حميد: عبد القدوس الأنصاري وبا كثير صفحات مجهولة من تاريخ الأدب في المدينة المنورة) غير مرقم الصفحات.

غـانم) وتواصل كذلك الشاعر اليمنـي الكبير العلامة (عبد الرحمن السقاف)، كمـا تواصل شعراء عرب وشعراء يمنيون آخرون مـع أدباء وشعراء المملكة العربية السعودية شعراً ونثراً، وبعض أولئـك الشعراء شجعتهم صلاتهم الأدبية بإخوانهم السعوديـين على زيارة المملكة ولما زاروا المملكة العربية السعودية ورأوا ما تحقق لها مـن أمـن، وتنمية، واستقرار، ورخـاء مدحوا الملك عبد العزيـز وأثنوا على جهوده الكبيرة في تحقيق الوحدة الوطنية بعضهم نشرت قصائد مديحهم تلك في صحيفة أم القـرى في حينه بأسمائهم الصريحة وبعضهم آثـر عدم ذكر اسمه عند النشر وبعضهم لم تنشر قصائدهم في هذه الصحيفة، وربما لم تنشر في غيرها، وحينئذ كانت تكتفي الصحيفة بالقول مثلاً: (هذه القصيدة لشاعر من شعراء اليمن).

وفي الصفحات التالية سنختـار شيئاً من شعر أولئك الشعراء اليمنيين الذين توافـدوا على المملكة سـواء بقصد الحج أو غيره وبخاصة مـا نشرته صحيفة (أم القـرى) مـن شعرهم في أوائـل النصف الثاني مـن القرن الرابـع عشر الهجري، وسنبـدأ بهذه القصيدة وهي لشاعر يمني آثر عدم ذكر اسمه ونشرتها له صحيفة (ام القـرى) في عـام ١٣٤٨هـ، وفيهـا يمدح الملك عبـد العزيز ويثنـي على كرمه ونجدته وحلمه الكبير فيقول:

عليك من المجد الرفيع سرادق ... ورايـات عـزٍّ بالسعود خوافق
سمت بك يا ذا المجد والعزهمة ... تصافح أقمار الدجا وتعانق
فعزمك أمضى في الأمور وفي الفضا ... يلوح سريعاً مثلما لاح بارق

وأنت وحيد العصر جوداً ونجدةً	سبقت فلم يلحق غبارك لاحق
وحلمك مثل الشمس لا ستردونه	وذكرك مسك كلنا منه ناشق
وأنت حليف النصر في كل موطن	وسعدك ماضٍ لم تفقه السوابق
وقد خصك الله العزيز بهيبة	تذل لها الشم الطوال الشواهق
تكاد تميد الأرض منك مهابة	ويرجف منه غربها والمشارق
لقد قمت في نصر المعالي مشمراً	وسيفك مسلول ونعم المرافق
فطهرت وجه الأرض من كل مفسد	فلولاك لم يرجع عن الضيق فاسق
وسرت كما سار الغمام مطبقا	وفيه غيوث للورى وصواعق[1]

أما النص الشعري الثاني الذي سنختاره من شعر أولئك الشعراء اليمنيين فهو لشاعر يمني لم يمانع من ذكر اسمه الصريح إنه الشاعر ناصر المحويتي الصنعاني الذي نشرت له صحيفة (أم القرى) في عددها رقم ٧٩١ الصادر في اليوم الثامن من شهر محرم عام ١٣٥٩هـ قصيدته التي يمدح فيها الملك عبد العزيز ويهنيه بالحج المبرور ويثني على سخائه وكرمه الذي شمل اليتيم والعائل حيث خاطبه في بعض أبيات قصيدته قائلاً:

الحج منك مليك العرب مبرور	وسعيكم عند رب العرش مشكور
وما دعوت، فإن الله قابله	بعطفه، وهو عند الله مسطور
أعمالكم كلها في البر سائرة	وكل من عمل الخيرات مأجور

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج٢ ص٨٢٩، ونشرت في العدد ٢٨٥ الصادر في ٢٦ ذي الحجة ١٣٤٨.

وصاحب لي في أبهى محاسنه وصاحب السيف منه الضد مذعور
فكم لكم من يد بيضاء سابغة بها اليتيم وذو الأولاد مسرور
وحسب مولاي من هذا بأجمعه بأنه في التقى والبر مشهور
أبقاك ربي للإسلام تنشره حتى يعم بنشر السنة النور (١)

وهذه الأبيات برغم سهولة ألفاضها إلا أنها في مجملها تؤكد على صدق المشاعر التي يحملها عدد من الشعراء العرب واليمنيين لهذا البلد وقادته كما تؤكد على التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية.

ومثل الشاعر اليمني المحويتي في تدفقه يأتي شاعر يمني حضرمي آخر نشرت الصحيفة قصيدته باسمه الصريح في العدد ١٢٦٥ بتاريخ ١٣٦٨/٨/١٤هـ إنه الشاعر حامد بن أبي بكر المحضار الذي جاء كسابقيه مؤكداً على التواصل الذي تحقق بين البلدين بعد أن استلت الضغائن وذلك بفضل الله ثم بفضل الملك عبد العزيز وعظمة إنسانيته ونبل محتده، وقدرته على العفو عمن أساء إليه فقد كان مادًّا إليهم أياديه البيضاء مستلا بذالك ضغائنهم، فمدحه الشاعر (المحضار) بقصيدة جميلة جاء في بعض أبياتها:

لك الشكر يا عبد العزيز نذيعه على الملأ الأعلا على الإنس والجن
وكم لك من فضل عظيم تعددت مذاهبه في الناس في السهل والحزن
بفضلك أنعمت الصدور محبة وبالفضل طهرت الصدور من الضغن

(١) المصدر السابق ج٢ ص٨٨٠-٨٨١، والقصيدة نشرت بالعدد ٧٩١ بتاريخ ٨ محرم ١٣٥٩هـ.

وأصبحت في عليا معدّ مؤملاً لكل الذي يرجى من العاهل الشثن
بلغلت المدى مما يرام من العلا ببيض الأيادي والمواضي وباللدن
سلكت سبيل الخالدين وإنما بأحسن ما يرجى من الخلد في عدن
تبارك من أعطاك ما أنت أهله وأكرم من ترعاه بالمن والأمن
فعش في ذرى الملك الكبير منعماً وعزتك القعساء في طالع اليمن (١)

ولعل قصيدة العلامة الشاعر: (محمد بن أحمد السيَّاغي الصنعاني) من أصدق القصائد اليمنية التي قدمت بين يدي الملك عبد العزيز عاطفة وأجملها لغة وبياناً فالشاعر توجه بها إلى ساكني بلاد الحرمين الذين أكرمهم الله بحكم الملك عبد العزيز فشملهم بعطفه وحسن رعايته مما جعل بني الإسلام والعروبة يتمنون أن ينعموا بظلال عدله الوارف الذي سعدت به جزيرة العرب كلها، حيث يقول في قصيدته الطويلة التي سنختار منها قوله:

يا جيرة البيت العتيق سلام يهديكموه الشرق والإسلام
جدّدتمو عهد النبوة مشرقاً فزهت بما جددتم الأيام
ورفعتمُ أعلام دين محمد فتمايلت من زهوها الأعلام
وحفظتم للمسلمين حقوقهم والمسلمون عن الحقوق نيام
لا غرو إن صرتم بدور هداية تحتار في تقديرها الأوهام
من يرعه عبد العزيز يصل به في المجد أفقاً في الهوى وغرام

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج٢ ص٩٠١، ونشرت في العدد (١٢٦٥) بتاريخ ١٤/٨/١٣٦٨هـ.

سعدت به أرض الجزيرة كلها ... وله عليها الفضل والإنعام
العدل حادي ركبه، والبر من ... أوصافه، والجود والإقدان
طابت أرومته، فطاب غراسه ... وزكا، وأبناء الكرام كرام
آراؤه في الحادثات فياصل ... من جندها التوفيق، والإلهام
بسط العدالة في ربوع بلاده ... وشفى الصدور فما بهن سقام
في كل واد من صنائعه ثنا ... وبكل واد من نداه نظام
المسلمون يرون فيه ملاذهم ... عند الخطوب إذا استجد عرام
فإذا دعوا، لبى النداء مبادراً ... مطل الصريخ على الكريم حرام [1]

إلى آخر تلك المشاعر الجياشة والمتدفقة من أحد علماء اليمن وشعرائه الذين عرفوا للملك عبد العزيز فضله على العروبة والإسلام فرفعوا الصوت بشكره تأكيداً للتواصل الذي تقويه صلاته بأولئك الأعلام.

مطارحات العلامة اليمني محمد محمد زبارة مع بعض المفكرين السعوديين

وكما تدفقت إبداعات شعراء اليمن المؤكدة على التواصل الثقافي بعد (معاهدة الطائف) والمؤكدة كذلك على مكانة الملك عبد العزيز في نفوسهم فقد جاءت رسائل المفكرين والأدباء والمؤرخين اليمنيين في السياق نفسه مؤكدةً على حبهم وتقديرهم لبلد الحرمين الشريفين وعلمائه، ومفكريه، وقادته وفي مقدمتهم الملك

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ج١ ص١٧٤، ونشرت في العدد (١٢٦٥) بتاريخ ١٤/٨/١٣٦٨هـ.

المؤسس (عبد العزيز)، ذلك الملك الإنسان الذي بادلهم حباً بحب مضيفاً إليه من كرمه وحسن رعايته، ما غمر به القاصي والداني، فعبّروا له عن امتنانهم وبالغ تقديرهم وبرهنوا فيما كتبوه على عمق الصلة بعد أن تحقق الصفاء والمودة بين البلدين والشعبين وزالت أسباب الفرقة، وسنختار أنموذجاً لذلك من خطاب كتبه العلامة المؤرخ: (محمد محمد زبارة) لأمير نجران المؤرخ الشيخ: (تركي بن محمد الماضي) الذي كان أحد المسؤولين السعوديين في المفاوضات التي جرت حول الحدود اليمنية السعودية والعلامة (زبارة) كان أحد رجالات الإمام (يحيى) في تلك المفاوضات اليمنية السعودية التي استمرت سنين طويلة ثم انتهت (بمعاهدة الطائف) فقد أشار زبارة في خطابه هذا إلى بعض ما حضي به هو وزملاؤه من كريم الضيافة وحسن الاستقبال كما عبر في خطابه عن صادق مشاعره وبالغ تقديره لما لقيه من رعاية خلال تردده على المملكة وإقامته بها وما لقيه في أثناء تلك المفاوضات وبعدها من عظيم التعاون وجميل التعامل من إخوانهم العلماء والمفكرين السعوديين الذين شاركوهم في تلك المهمة أو تعرفوا عليهم أثناءها فغمروهم بحبهم وتقديرهم ونبل مشاعرهم مما قوى بينهم أواصر الأخوة وروح التواصل، لذلك فهو يشرح لصديقه الشيخ (تركي الماضي) بعض آثار ذلك التعامل الراقي عليه شخصياً، فقد أصبحت تربطه صداقات حميمة بعدد من العلماء السعوديين كما أصبحت له صلات علمية وثقافية بعدد منهم وأصبح بسبب ذلك يقيم في المملكة فترات طويلة يعقد خلالها لقاءات علمية وأدبية وفكرية ويتهادى الكتب مع عدد من

العلمـاء والمفكريـن بها كل هذا وغيره أشار إليه العلامـة (زبارة) في خطابه هذا الذي سنقتطف بعضه فيما يلي:

يقول العلامة (محمد محمد زباره) في خطابه بعد المقدمة والديباجة: (وقد كان مـا علمتموه من مغادرتي مكة المكرمة والمملكة العربية السعودية آيباً إلى أهلي ووطني، شاكراً ما لقيته من عطف ومودة ومجد وحمية وتواضع وكرم أخلاق صاحب الجلالـة الملك عبد العزيز المعظم حاملاً لجلالته في قلبي ما الله به عليم من كبير الود وجميل التقديـر ووطيد الإخلاص، فخوراً بكتاب توصية جلالته بي، مُردّداً في مسائي وصباحي آيات الشكر الجزيل لما لقيته من عواطف جلالته وأصحاب السمو الملكي أنجاله وأعاظم رجال دولته، وأكابر علماء مملكته من حفاوة وإكرام ومزيد رعاية واحترام... الخ) [1].

ثم أخذ بعد ذلك يشرح لصديقه (تركي الماضي) بعض أحواله وبعض مشاريعه العلميـة ويذكر له تواصله العلمي والثقافي مع علماء مكة المكرمة ومراسلاته النثرية والشعريـة لهم كما يشير إلى مراسلاته لإمام الحرم المكي الشيخ (عبد الظاهر أبو السمح) وتهاديه معه أمهات الكتب، وذكر بأنه سيرسل لإمام الحرم كتاب: (توضيح الأفـكار في علـوم الحديث والآثـار) مع قصيـدة أرسل صورتهـا لصديقه: (تركي الماضـي)، ثم ذكر بأنه مرسـل إليه كتاب:(فتح القدير في علم التفسير) في خمسة مجلـدات للإمام الشوكاني، وكتاب: (تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين

(١) مذكرات تركي الماضي ص٢٨٩-٢٩٠.

في كلام سيد المرسلين) في مجلد، و (نيل الوطر في تراجم نبلاء القرن الثالث عشر) في مجلدين و (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) مما كان تيسر له طبعها بمصر راجيا قبولها إلى آخر رسالته الضافية التي ضمتها الصفحات: (٢٨٩) و (٢٩٠) و (٢٩١) و (٢٩٢) من كتاب: (من مذكرات تركي الماضي).

- وإضافة إلى ما اخترناه من خطاب العلامة اليمني الكبير (محمد محمد زباره) في السطور السابقة سنختار له فيما يلي بعض ما أورده من شعر إخواني جاء على هيئة مطارحات شعرية بينه وبين إمام الحرم المكي الشيخ: (عبد الظاهر أبو السمح) وبينه وبين بعض مسئولي دار الحديث بمكة، تداوله معهم خلال إقامته بمكة المكرمة أو أثناء زياراته المتكررة لها وسجله في إحدى مجاميعه المطبوعة حيث يقول: (في سنة ١٣٥٦هـ قدمت لدار الحديث النبوي بمكة المكرمة جملة من نسخ كتاب فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني، وكتاب الروض شرح مجموع الإمام زيد، وكتاب تحفة الذاكرين شرح الحصن الحصين في كلام سيد المرسلين واستمر في ذكر أسماء الكتب التي أهداها لمكتبة دار الحديث إلى أن قال: فطلب مني إمام الحرم وخطيبه ومدير دار الحديث بمكة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح تحصيل نسخة خطية من كتاب: (تنقيح الأنظار في علوم الحديث والآثار) للسيد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وشرحه توضيح الأفكار للصنعاني فحصلتهما وأرسلتهما مع قصيدة منها:

حي حفاظ سنة المختار وهداة الورى بخير الديار

واقـــر أم الـقـرى تحيــة مشـ ـتـاق بصنعا إلى ربـوع الفخار
منبع الديـن، مهبط الـروح بالـ ـتـنـزيـل بيـت المهيـمـن القـهـار
حيـهـم رافـعـاً لمكـتـبـة الـدار كـتـاب الـتـنـقـيـح لـلأنـظـار
وعـلـيـه الـتـوضـيـح شـرحـاً له تـأليـف فـرع الأئـمـة الأطـهـار

ووصلني الجواب من الشيخ عبد الظاهر أبو السمح:

ذكـرتـنـي ولـسـت يـومـاً بناسي مـا الـصـنـعـا مـن الـعـلا والـفـخـار
كـم حـكـيـم بـهـا وكـم مـن إمـام كـالإمـام الـوزيـر ذي الأسـفـار
وصـديـق لـنـا سـخـي كـريـم يـخـدم الـعـلـم خـدمـة الأبـرار
من يسمى محمداً سبط طه ابـ ـن أبـيـه (زبـارة) المغـوار (١)

ويستمـر العلامة الكبير: (زبـارة) في مطارحاته الشعريـة والنثرية مع إمام الحـرم المكي الشريـف الشيخ (عبد الظاهـر أبو السمح)، كمـا يستمر في إهداء الكتب العلميـة إليه وإلى معهد دار الحديث النبي بمكة، ويشفع هداياه بالمنظومات الشعريـة والرسائل النثرية ثم يستقبـل ردود إمام الحرم المكي على تلك القصائد والرسائل، كل ذلك رصده (زبارة) في كتابه: (الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ) كما رصـد بعض ردود الأفعال لتلك المطارحة حيث قال: (في سنة ١٣٦٤هـ أهديت لدار الحديث بمكة المكرمـة منظومة أجود الأحاديث السلسلـة وشرحها والألفية الأولى من لامية النبلاء طبع صنعاء ومعها قصيدة منها:

---

(١) الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ لمحمد محمد زباره ص٧٩-٨٠.

هاك منظومة وشرحاً لـ ـن يرقب في المؤمنين إلاً وذمه
جمعت أجود الأحاديث مما سلسلته الهداة من خير أمه
رافقتها لامية ألف بيت تطرق الدار في حياء وحشمه
نعشت في النظام ذكرى هداة نعشوا العلم في عفاف وهمه
عرفوا العلم أنه خشية الله تعالى وما يطابق حكمه
وسيأتيك بعد ذا العام منظو م بلوغ المرام علماً وحكمه
فصل المخلص الودود بصنعا بدعاء يزيل كل مهمه

وبعد هذه الأبيات يقول زبارة: فجاء الجواب المكي:

وصديق لنا سخي كريم (يمنيّ) له مكارم جمه
عالم فاضل بشوش المحيا ذي أياد على الحديث وهمه
قد أتتنا قصيدة منه تهدى لحب من المديح أتمه
وسلام كأنه المسك عرفاً من أديب سليل شم الأئمه
وهدايا لنا ودار حديث قيمات أكرم بهن ونعمه
فشكرنا لفضله ودعونا زده يا ربنا علاءً، ونعمه
حبر صنعاء (زبارة) وأدمْهُ يا إلهي ينبوع علم وحكمه[1]

على أن صلات العلامة اليمني الكبير (محمد محمد زبارة) بعلماء ومفكري المملكة العربية السعودية لم تكن محصورة في مدير معهد دار الحديث بمكة وبمشائخه وتلامذته، فلقد كانت لـ (زبارة) صلات أدبية كذلك بأدباء

(١) المصدر السابق ص٨١-٨١.

الحجاز وشعرائه كما أكد لنا ذلك الأديب اليمني الكبير (أحمد محمد الشامي) خلال حديثه عن بعض ذكرياته في حفل تكريمه باثنينية الأديب السعودي الكبير (عبد المقصود خوجه) حيث قال: (لقد حدثني العلامة الكبير محمد محمد زبارة عن الأديب السعودي (أبي تراب الظاهري) كما حدثنا كثيراً عن أدباء الحجاز وعلمائه) [(١)] ولا شك بأن حديثه عن أدباء الحجاز وشعرائه يؤكد تواصله واتصاله بهم.

هكذا كان تقدير الأدباء والشعراء والمفكرين اليمنيين لقادة وأدباء وشعراء ومفكري البلاد السعودية وتلك هي مكانة الشعراء والأدباء والمفكرين اليمنيين لدى قادة ومفكري البلاد السعودية وهو ما هيأ لتنامي ذلك التقارب والتواصل الاجتماعي والثقافي بين اليمن والسعودية على كافة المستويات؛ وشهدنا استمراراً للتواصل بين مثقفي البلدين تحقق بعضه بجهود المثقفين أنفسهم، فبالإضافة إلى ما حققته تلك الزيارات وتلك الصلات بين قادة ومفكري البلدين من ترسيخ لأواصر القربى وحسن الجوار وتمتين جسور الاتصال والتواصل الثقافي، فقد كانت هناك بعض المبادرات الفردية التي عمقت ذلك التواصل بين مثقفي البلدين الشقيقين، بعضها كان بجهد فردي مقصود، وبعضها قادت إليه الصدفة ولكنه دُعم بعد ذلك بعزائم المخلصين الذين سعوا إلى تقويته وتمتينه واستمراره. وفي الصفحات التالية سنسوق بعض أمثلة لتلك المبادرات التي عززت التواصل الثقافي الذي كان يتم بين مثقفي البلدين بعفوية وحميمية لم تملها السياسة في غالب أحوالها وظروفها، فإلى تلك الأمثلة والنماذج:

---

(١) كتاب: الاثنينية ج٣ ص٣٨٣، الناشر محمد علي دلة، جده ١٤١٤هـ.

- يـروي لنـا الأديـب الكبـير: (عبـد الله بلخـير) [1] قصة تعرُّفـه بالأديب الكبـير أحمـد محمد نعمان [2] خلال إحدى مناسبات الحـج، وكيف أن ذلك اللقاء كان سبباً لعلاقـات متينـة بين هذين الأديبـين دامت أكثر من نصـف قرن فيقول الأديـب السعـودي: (عبد الله بلخير): (في حج عـام ١٩٣٩م الموافق ١٣٦٠هـ قدم مـع بعثة الأزهـر من مصر الزعيم اليمني المشهور: أحمـد محمد نعمان، وكان من بـين البارزين المدعوين إلى حفلـة (منى)، وهو يومئذٍ في عنفـوان حيويته وصولته وقـد سمع بعض زعماء العالم الإسلامي يتحدثون ويخطبون في ذلك الحفل، فوقف يلقـي كلمة مطولة دعا فيها إلى الوحدة العربية ... حتى قال مستشهداً: (كما قال الشاعر عبد الله بالخير):

شبه الجـزيـرة موطني وبـلادي　　　مـن حضـرموت إلى ربـى بغـداد

---

(١) عبـد الله بن عمـر بالخير (١٣٣٣-١٤٢٣هـ): أديـب وشاعر وسياسي ورجل دولـة، كان من الرجال الذين سعدوا بمرافقة الملك عبد العزيز والعمل معه تلقى تعليمه بمكة المكرمة وتخرج في مدرسة الفلاح ثم تنقل في حلقـات علمـاء الحرم المكي حيث تلقى العلم على عدد من علماء تلك الحلقات ومنهم العلامة: محمد سعيد يماني أكمل دراسته الجامعية في الجامعة الأمريكية ببيروت ثم التحق بالشعبة السياسية في ديوان الملك عبد العزيـز فعمـل مترجماً مرافقاً له وبعد وفاة الملك عبد العزيز واصـل عمله بديوان الملك سعود ثم عين وزيراً للإعلام حيث كان أول وزير لها ثم عين سفيراً للمملكة في إسبانيا بدأ نظم الشعر في سن مبكرة وبعد تفرغه نظم عدداً من الملاحم، أصدر مع الأديب عبد المقصود خوجه كتاب: (وحي الصحراء)١٣٥٥هـ، وله كتاب (عبد الله بالخير يتذكر) عبارة عن سيرة ذاتية حققه د. خالد با طرفي عاش الأديب عبد الله بالخير حياة حافلـة بالعطـاء العملي والعملي والأدبي انظر شيئاً من ترجمته في كتـاب: (عبد الله بالخير يتذكر) تحقيق خالـد با طرفي، من منشورات اثنينة عبد المقصود خوج، وفي كتاب الاثنينة ج١ ص٨٩، الناشر عبد المقصود خوجه جده ١٤١١هـ.

(٢) سبقت ترجمته في ص ٣٣٨.

أشدو بذكراها، وأهتف باسمها   في كل جمع حافل، أو نادي
منها خلقت، وفي سبيل حياتها   سعيي، وفي إسعادها إسعادي
كلٌّ له فيمن أحب صبابة   وصبابتي في أمتي وبلادي

..... فصفّق الحاضرون في تلك الحفلة لخطاب الأستاذ (النعمان) حتى إذا ما انتهى من كلمته وأقبل عليه من يهنئه عليها كما هنأوا غيره من خطباء الحفل قمتُ إليه ماداً يدي أهنيه على كلمته، فقال لي: من الأخ؟ فقلت له: عبد الله بالخير. فذهل لما سمع وقال لي: كنت أظنك وقد رويتُ إحدى قصائدك من محفوظاتي أنك شيخ كبير بلحية طويلة وعباءة فضفاضة وعصاً طويلة تتوكأ عليها، وها إنك في غرة شبابك!! ترى أأنت الشاعر؟ فتبسمت وقلت: نعم! فقال لي: يا سبحان الله!! ومضى الأستاذ (عبد الله) في ذكر تفاصيل ما دار بينه وبين الأديب والسياسي اليمني أحمد نعمان، وبعد سرد التفاصيل قال: (... لقد ربطتنا منذ تلك اللحظة صداقة تجاوز عمرها نصف قرن التقينا خلاله مئات المرات .....) (1).

وهكذا (أصبح الشاعر عبد الله بلخير – بعد لقائه العابر في حفل (منى) الذي يقيمه الملك عبد العزيز للحجاج سنوياً – من خاصة أصدقاء السياسي أحمد محمد نعمان) (2) وقويت بذلك أسباب التواصل. والأديب أحمد نعمان الذي خطب في (منى) أمام الملك عبد العزيز (خطب أيضاً أمام الملك سعود – فيما بعد –

(1) كتاب: عبد الله بالخير يتذكر حوار وإعداد وتحقيق خالد محمد با طرفي ص218-219، من منشورات اثنينية عبد المقصود خوجة جده 1419.

(2) رياح التغيير في اليمن للشامي ص437 بتصرف.

خطبـة رائعة)[1] وذلك في أثناء زيارته إلى المملكة في عام ١٣٧٥هـ موفداً من قبل الإمام (البدر) ولي عهد اليمن آنذاك لينقل إلى الملك سعود مع زميله أحمد محمد الشامي ما انتهى إليه الانقلاب العسكري الفاشل الذي قاده المقدّم (أحمد الثلايا) ضد الإمام أحمد حميد الدين.

وفي موقـع آخـر مـن كتابه: (عبد الله بلخـير يتذكر) يذكر لنـا قصة تعرفه كذلك بأديب يمني آخر هو: الشاعر محمد عبده غانم [2] حيث يعود إلى الوراء قليلاً وبالتحديـد إلى سنـة ١٣٥٥هـ وهـي السنة التي ابتعث فيهـا (بلخير) إلى الجامعة الأمريكيـة في بـيروت[3] فيقول: (في الأسبـوع الأول من انتظامـي بالكلية الثانوية بالجامعـة الأمريكية في بيروت فوجئت بأخ من طـلاب الأقسام العالية في الجامعة

---

(١) المصدر السابق ص٤٣٩.

(٢) محمد عبده غانم (١٣٣٠-١٤١٥هـ) شاعر كبير، وكاتب مسرحي، وأستاذ جامعي، وناقد أدبي، من مواليد مدينـة عـدن في أسرة ميسورة الحال حيـث كان والده أحد تجار مدينة عدن، حصـل على البكالوريوس من الجامعـة الأمريكيـة في بيروت، وحصل على الدكتـوراه من إحدى الجامعات البريطانيـة عن بحثه: (شعر الغناء الصنعاني) بحاثة وأديب كبير كان في طليعة شعراء وأدباء اليمن في عدن، نظم الشعر ونشره في سن مبكرة وهو رئيس نادي الإصلاح زار عدداً من البلدان العربية والأوربية عمل بعد تخرجه في حقل التدريس، فمديـراً عامـاً للمعارف، فوزيراً للمعـارف قبل الاستقلال ثـم انتقل إلى صنعاء وشـارك في تأسيس جامعة صنعـاء ورأس تحرير مجلـة كلية الآداب بها، له عدد مـن الأعمال الأدبية، وله عدد مـن الدواوين الشعرية ومنهـا ديـوان: (موج وصخر)، وديوان: (في موكـب الحياة) وله كتاب: (شعر الغنـاء الصنعاني) وكتاب (صنعـاء حوت كل فن) وغيرها، وله عدد مـن المسرحيات منها: مسرحية (سيف بن ذي يزن)، ومسرحية (الملكـة أروى) وغيرهـا انظر ترجمته في كتاب: أعـلام الأدب والفن المسرحي في اليمن ليحيى محمد سيف ص٩٥-١٠٣، الهيئة العامة للكتاب بصنعاء دون ذكر سنة النشر.

(٣) عبد الله بلخير يتذكر ص١٨٨.

يجـيء إلى البناية التـي أسكن فيها، وهي بناية: (سيج هول) يسأل عنّي، فلاقيته ورحبـت به وعرفتـي بنفسه بأنه: (محمـد عبده غانم) من (عـدن) وأنه يرغب استضافتي في أحد المنتديات الأدبية.... الخ. ثم تحدث عن مسيرة (غانم) العلمية فقـال: (والسيد (غانم) أصبح (دكتوراً وقضى نصف قرن في تعليم الأجيال.... ثم ألف بعد ذلك عدداً من الكتب المهمة .....الخ) [1] ثم أخذ يروي بعض المواقف الأدبيـة التي قادتـه إلى التواصل الثقافي مع ذلك الأديب العدني الرائع ومع آخرين من أدباء اليمن.

ومثل هذه الصلات الثقافية التي روى لنا الأديب السعودي (عبد الله بالخير) نماذج لها وتحدث عن عفويتها لاشك بأنها قد حصلت مثيلاتها لأعداد من مفكري اليمـن وشعرائـه مع أعداد آخرين مـن أدباء ومفكري السعودية فـكان من ثمارها تعميق التواصل الثقافي بين البلدين.

---

(١) المصدر السابق ص١٩٥-١٩٦.

محمد طاهر الدباغ وأخوه حسين والعلامة عبد الله الرواف يهاجرون إلى حضرموت ويؤكدون الصلات الثقافية

وإلى جانب هـذه الصلات الثقافية والتواصل بين مثقفي البلدين هناك بعض المبـادرات الفرديـة ذات الآثار القويـة في التواصل الثقافي بين اليمـن والسعودية، كتلـك المبـادرة الرائعة التـي قام بها السيـد محمد طاهـر الدبّاغ[1] حينمـا أنشأ مدرسـة بـ(حضرمـوت)، والدبّـاغ هـو أحـد أعـلام الوطـن الذين هاجـروا من الحجـاز بعد انضمامه إلى الدولـة السعودية، ثم أخذ يتنقل بـين عدد من البلدان العربيـة والآسيويـة حتى استقر بـه المقام مع أخيه حسين الدبـاغ وأفراد أسرته في

(١) محمـد طاهـر الدباغ: (١٣٠٨-١٣٧٨هـ) عالم وأديب وسياسي ولـد ونشأ بمكة المكرمة وتلقى مبادئ العلوم في كتاتيبها وعلى بعض علمائها ثم التحق بإحدى مدارس مصر وهو في سن مبكرة حيث درس اللغة العربية والرياضيـات وبعض العلـوم ثم عاد إلى مكة فدرس في حلقات الحرم المكي علـى عدد من العلماء ثم التحق بمدرسـة الفـلاح دارساً، ومدرسـاً، ثم مديراً لها، عمل في عهـد الأشراف وزيراً للماليـة حتى عام ١٣٤٣هـ حـين انظم الحجاز إلى الدولة السعودية، فرحل إلى الهند، وعـرج فيها على عدن وحضرموت فشارك أخاه السيد حسين الدباغ وأفراد أسرته التي حلت بمدينة المكلا في تأسيس مدرسة الفلاح بها ثم زار بلدان كثيرة كمصـر والعراق وغيرها، وحين أصدر الملك عبد العزيز آل سعـود أمره لرجال العهد الهاشمي بالعفو العام والسمـاح لهـم بالعودة إلى بلادهم للنهوض بهـا، كان (الدباغ) ممن استجاب لذلـك النداء الأبوي وحين عاد إلى الوطن كتب رسالة لصديقه عمر عبد الجبار وجهها إليه من مكة يحمد الله على وصوله إلى الوطن وشمول جلالة الملك عبد العزيز بعطفه وكرمه وتعيينه مديراً للمعارف، وهكذا عاد الدباغ إلى المملكة في عام ١٣٥٤هـ فولاه الملـك عبد العزيز (مديرية المعارف) في المملكة فنفذ عدداً مـن المشاريع التعليمية ثم تقلب بعد ذلك في عدد من المناصب.. توفي سنة ١٣٧٨هـ في القاهرة. انظر كتاب: (أعلام الحجاز في القرن الرابع عشـر) لمحمـد علي مغربي ص٢٥٨-٢٧٦، منشورات تهامة جـده ١٤٠١هـ، وانظر كتـاب: عبد الله بالخير يتذكر تحقيق خالد با طرفي ص٦٢-٦٣، وانظر ترجمته في كتاب: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري لعمر عبدالجبار ص٢٨٢-٢٨٥، ط٣ من منشورات تهامة ١٤٠٢هـ.

(حضرموت)، وشاركهم في تأسيس مدرسة بمدينة: (المكلاّ) سموها (الفلاح)، فكانت هذه المدرسة أول مدرسة نظامية مهمة في تلك البلاد)[1]، فآل الدباغ بهذه المبادرة قد قاموا بدور مهم في تعميق التواصل الثقافي بين البلدين الجارين وذلك عن طريق إنشاء هذه المدرسة التي تمثل مركز إشعاع في تلك الربوع.

- كما أن هناك علماً آخر من علماء بلاد الحرمين قد قام بمبادرة شخصية عظيمة هو العلامة الشيخ: (عبد الله بن أحمد الرواف)[2] (وهو أحد علماء مدينة (بُرَيْدَة) بالقصيم تلقى العلم على علمائها ومنهم العلامة (محمد بن سليم) والعلامة (إبراهيم بن جاسر)، ثم ارتحل لطلب العلم والتعليم إلى بلدان

---

(١) عبد الله بالخير يتذكر تحقيق خالد با طرفي ص٦٣، من منشورات اثنينية عبد المقصود خوجه ١٤١٩هـ.

(٢) العلامة الشيخ: عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد آل روّاف (١٢٩٢-١٣٥٩هـ) من عشيرة آل رواف المعروفين في منطقة القصيم، ولد في مدينة بريدة، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة في كتاتيب بلده، ثم أخذ العلم من أشهر علمائها ومنهم: الشيخ محمد بن عبدالله آل سليم، والشيخ إبراهيم بن حمد آل جاسر، ثم هاجر إلى دمشق وتلقى العلم على عدد من العلماء الحنابلة بها، ونسخ عدداً من كتب المكتبة الظاهرية، وكون لنفسه مكتبة خاصة، ثم عاد إلى وطنه، وبعد فترة يسيرة هاجر إلى المدينة المنورة وكانت تحت حكم الأشراف آنذاك فأقام بها سنتين ينهل العلم بالمسجد النبوي، ثم توجه إلى عسير وكانت تحت حكم الأدارسة، ثم سافر منها إلى حضر موت باليمن فأقام بمدينة (المكلا) في عهد السلطان عوض القعيطي فأكرمه ثم ولاّه القضاء في المكلا فكان يقضي بالمذهب الشافعي حسب مذهب الدولة، فحمدت سيرته وعرف بالنزاهة وكانت مدة ولايته لقضاء المكلا من (١٣٢٩-١٣٤٦هـ) ثم انتقل إلى (عُمَان) ومنها إلى آل حمود الذين ولّوه القضاء وكانوا حنابلة المذهب فأقام لديهم قاضياً لمدة عشر سنوات من سنة (١٣٤٩-١٣٥٩هـ) إلى جانب عمله في التدريس والفتيا والدعوة إلى الله إلى أن وافته منيته هناك. انظر ترجمة (الرواف) في: علماء نجد خلال ستة قرون ج٢، ص ٥١٠-٥١١) مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

كثيرة وكانت رحلته إلى حضرموت من أهمها؛ فقد ارتحل إلى حضرموت وأقام بـ (المكلا) أيام عهد السلطان (عمر بن عوض القعيطي) فأكرمه وعرف له حقه في العلم والفضل ثم ولاه قضاء (المكلا) فكان يقضي بالمذهب الشافعي فحمدت سيرته وعرف بالنزاهة والعفاف وعدالة الأحكام، وكانت مدة ولايته لقضاء المكلا ستة عشر عاماً من عام ١٣٢٩هـ حتى عام ١٣٤٦هـ وقد أحبه علماء حضرموت وأغدقوا عليه من صفات الثناء والتقدير والاعتراف بفضله وغزارة علمه، ترك بمكتبة الأحقاف بمدينة (تريم) قبل رحيله فتوى (مخطوطة) عن (الجهمية) طبعت مؤخراً عن طريق دار الآثار اليمنية) [(١)].

- ولا شك أن ثناء علماء حضرموت على هذا العلامة النجدي (عبد الله بن أحمد الرواف) كان ثناءً مستحقاً لرجل خدم العلم والعدل والمعرفة وقد جاء ثناؤهم نتيجة تواصل واتصال علمي بهذا العلم الذي قضى من عمره ستة عشر عاماً في بلاد (حضرموت) ينشر العلم والعدل ويحقق المعنى الكبير للتواصل الثقافي بين بلاد الحرمين واليمن في وقت كانت فيه أقاليم الجزيرة دويلات وأقاليم متصارعة.

(١) صحيفة الجزيرة – ملحقها الثقافي: (المجلة الثقافية) العدد: (٣٠٨) الصادر يوم الخميس ١٥/٥/١٤٣١هـ الموافق ٢٩/٤/٢٠١٠م ص١٩ (بتصرف) عن مقال بقلم الأستاذ/ عبد الملك بن عبد الوهاب البريدي.

العلامة اليمني الحضرمي: أبو بكر بن أحمد الحبشي والشاعر الحضراني يهاجران إلى بلاد الحرمين ويؤكدان التواصل بين البلدين

وفي المقابل وخلال الفترة التي كان فيها العلامة (الرواف) يتنقل بين أقاليم الجزيـرة متعلماً ومعلماً ليستقر قاضياً في (المكلا) بحضرموت من عام (١٣٢٩-١٣٤٦هـ) نجد عالماً من أصل حضرمي هو: أبو بكر بن أحمد بن الحسين الحبشي (١٣٢٠-١٣٤٣هـ)[١] (نجـده قـد تـولى القضاء في مكـة المكرمة، كما تـولى إدارة مدرسـة الفلاح بها، وهو صاحب كتاب: (الدليل المشـير إلى فك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير) الذي طبع في عام ١٤١٨هـ[٢]).

---

(١) القاضـي العلامة أبو بكر بـن أحمد الحبشي (١٣٢٠-١٣٧٤هـ): ولد في مكـة المكرمة، ونشأ في حجر والده وجـده السيد حسـين الحبشي مفتي الشافعية، قرأ القرآن على يد الشيخ أحمد حمام، وبعد وفاة جده ألحقه والـده بمدرسـة الفلاح فحفظ القرآن وجوَّده على يد السيد أحمد التيجـي وأجازه، وبعد أن أتم دراسته أخذ يلقي بعض الدروس في بعض الصفوف، وفي عام ١٣٤٣هـ رحل إلى مدينة جدة فأشتغل بالتدريس في مدرسة الفـلاح، وفي العام الثاني رجع إلى مدرستـه الأولى في مكة مدرساً بها، وفي عام ١٣٤٥هـ سافر مع والده إلى حضر موت وأخذ يتنقل بين مدنها طلباً للعلم، فأجازه عدد من علماء حضر موت ثم سافر إلى الهند للعلاج ومنهـا عـاد إلى المدينة المنورة فأخذ العلم عن كبار علمائها وأجازه عـدد منهم ثم عاد إلى مكة فعين مديراً لمدرسـة الفـلاح وفي عام ١٣٦١هـ نقـل إلى القضاء واستمر قاضياً بمكة حتى تـوفي بها عام ١٣٧٤هـ له عدد من المؤلفات منها: ألفية عنوانها: (خلاصة السير لسيد البشر) ورسالة صغيرة في الصلاة للمبتدئين. انظر ترجمته في: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر لعمر عبدالجبار ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) التأثـير الثقافي في المتبادل بين حضرموت وبـلاد الحرمين ص٢٥-٢٦، للدكتور عبد الرحمن الشبيلي كتيب يحمـل هـذا العنوان وهـو في الأصل محاضرة ألقاها الدكتـور الشبيلي في محافظـة حضرموت بالجمهورية اليمنية وفي الرياض وفي جده في عام ٢٠١٠م.

وهكذا فقد كان لهذا العالم في مكة دور في التعليم ودور في القضاء الشرعي، كما أسهم في التأليف، وبهذا فقد كانت تلك بعض ثمار التواصل الثقافي بين البلدين.

وبرغم تلك الجهود الفردية والجماعية التي جعلت حبل التواصل الثقافي بين البلدين موصولاً إلا أنه كغيره من الظروف الحياتية والاجتماعية قد مرّ بحالات من الركود وشهد حالات من الصعود والهبوط تبعاً لتقلبات الأحوال السياسية، لكن الاستقرار الذي شهدته البلاد السعودية في عهد الملك عبد العزيز قد شجع عدداً من الإخوة اليمنيين على الهجرة إلى المملكة العربية السعودية لطلب العلم أو لغيره. وإن كانت (في منتصف القرن الرابع عشر الهجري قد ازدادت وتيرتها، فحين توثقت الأواصر بين البلدين حصلت زيارات لبعض الأدباء من البلدين وبدأ تواصل بعض الأكاديميين وتضاعف الحرص على الاستفادة من المراكز العلمية والثقافية في البلدين كما أخذ كثير من مثقفي اليمن ومفكريه وطلاب العلم فيه يفدون على البلاد السعودية فيتعلمون في مراكزها ومعاهدها، ويتلقون العلم على بعض علمائها، فمنهم من يعود بعد ذلك إلى وطنه، ومنهم من يقيم إقامة مؤقتة يعود أثناءها أو بعدها إلى بلاده في اليمن، وبعضهم فضل الإقامة في البلاد السعودية بصفة مستديمة[١].

---

(١) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي البلاد السعودية لعبد الله أبو داهش ج٢ ص٥٩٢.

ومن هؤلاء وأولئك: العلامة الأديب الشاعر (أحمد بن محمد الحضراني)[1]، الـذي كان على صلة قوية ببلاد الحرمين وبحكامها وبعلمائها وبأدبائها وبشعرائها منـذ عهد الأشراف في الحجـاز فقد (رحل إلى الحجاز في سنـة ١٣٣٣هـ واتصل بشريف مكة الحسين بن علي وبقي عنده سنوات)[2] وفي لقاء مع الشاعر الحضراني تم في نادي أبها الأدبي عام ١٤٠٢هـ تحدث عن بعض معاناته في تلك الفترة وذلك في أثناء إقامته بمكة المكرمة خلال الحرب العظمى فقال: (سكنت في الجبل الذي فوق المعـلاه ومكثت أطلـب العلم وجاءت الحرب العظمى والجـوع الشديد حتى أن بعض البيـوت في مكة ماتوا كلهم جوعاً وكان ينفق عليّ شيخي عبيد الله الدهلوي[3] فقال

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحضراني الآنسي: (١٣١٣-١٤٠٧هـ): عالم، وشاعر، وفارس ورحالة، وأديب حفاظة، له إلمام بعلوم العربية، ولد بمدينة (ضوران) بجبال آنس ثم هاجر إلى مدينة (ذمار) فتلقى العلـم علـى بعض علمائهـا ومنهم القاضي يحيى بن محمـد العنسي، ثم هاجر إلى صنعـاء فأخذ العلم على عـدد من علمائهـا ومنهم الفقيه إسماعيل الريمـي، وفي سنة ١٣٣٣هـ رحل إلى مكة المكرمـة وأخذ العلم بها علـى الشيـخ جمال المالكي، والشيخ عمر با جنيد وغيرهما ثم اتصـل بشريف مكة (الحسين بن علي) وبقي عنـده سنـوات وخلال بقائه لديه بمكة لازم الشريـف (زيد بن الحسين) ثم عاد إلى اليمن في سنة ١٣٣٧هـ، وفي عـام ١٣٤٩هـ هاجر إلى شرق آسيا ثم عاد إلى اليمن ورحـل بعد ذلك إلى الحجاز عدة مرات وبعد قيام الثورة اليمنية عاد إلى الحجاز وتوثقت صلته بالأمير (عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود) أمير (المدينة المنـورة) فعاش في كنف الأمير حتى توفي فسكـن الحضراني في مدينة (الطائف) متنقـلاً بين مدن المملكة تحت رعاية الأسرة السعودية ثم عاد إلى اليمن فاستقر فيها فترة يسيرة ثم عاد إلى الطائف بالمملكة العربية السعوديـة، وعاش بها حتى توفي في الخامس من شوال سنـة ١٤٠٧هـ. انظر ترجمته في كتـاب: هجر العلم ومعاقله في اليمن ص٢٢٢٢-٢٢٢٨، وفي نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر ج١ ص١٢٨-١٣٤.

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل الأكوع ج٤ ص٢٢٢٣.

(٣) عبيد الله الدهلوي: (.....-.....) من علماء وأعيان الحجاز – اختاره الملك عبد العزيز في عام ١٣٤٤هـ عضواً للهيئـة التأسيسية التـي شكلها بعد فتح الحجاز وكلفهـا بوضع التنظيمات الإداريـة والسياسية للحكومة،=

لي أرجوك أن تسافر إلى اليمن وهذا مصروفك فصعدت إلى الطائف فصادفت أحد مشائخي وهو الشيخ أحمد النجار[1] فقال لي لازم تجلس في الطائف فجلست أدرس في مسجد الهادي بالطائف وكان في الطائف قاضٍ عظيم اسمه: عبد الله كمال[2] وكان من ألطف القضاة ومن أرق الأدباء وكان له إلمام بعلم العروض وكان

=كما كلفها بوضع نظام العمل للحكومة ووضع أساسيات لتشكيلاتها الداخلية وتعيين شكل العلم والنقود وغير ذلك. انظر هامش ص٤٩ من كتاب (يوميات حسين عبد الله با سلامه)، تحقيق وتقديم ومراجعة الدكتور عبد الله بن حسين با سلامه، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، بالرياض ١٤٣٠هـ، وانظر كتاب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود لعبد الحميد الخطيب ج١ ص١٣٢-١٣٤، طبع شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٠هـ.

(١) أحمد بن علي النجار الطائفي: هو العلامة أحمد بن علي حسن بن صالح النجار (١٢٧٢-١٣٤٧هـ) ولد في مدينة الطائف وتلقى العلم على علمائها ثم رحل إلى مكة المكرمة والتحق بالمدرسة الصولتية فدرس على عدد من علمائها وتفقه بهم ومنهم السيد أحمد دحلان، ونظم الشعر، ثم قرأ بعض كتب الطب القديمة والحديثة، وحذق اللغة الفارسية، وكان له إلمام باللغة الفرنسية وإلمام باللغة التركية، وقد استمر في دراساته حتى أصبح أحد العلماء البارزين، ثم عاد إلى الطائف وأخذ يدرس في مسجد ابن عباس وعين قاضياً بالطائف في العهد السعودي حيث ظل قائماً بهذا العمل حتى توفي بمدينة الطائف سنة ١٣٤٧هـ، له عدد من المؤلفات، ومنها: (الأسباب والعلامات في الطب)، وله رسالة في القانون ورسالة في العربية، وله ديوان شعر، انظر الأعلام ج١ ص١٨٣، انظر كتاب: سير وتراجم بعض أعلام القرن الرابع عشر للهجرة ص ٥١-٥٣ لعمر عبدالجبار. من مطبوعات تهامة ١٤٠٣هـ.

(٢) عبد الله كمال الثقفي: هو الشيخ العلامة عبد الله بن بكر بن علي بن عبد الحفيظ كمال (١٢٨٣-١٣٤١هـ) عالم وشاعر معروف ينتمي لأسرة آل كمال العلمية المعروفة في الطائف ولد في مدينة الطائف ثم أرسله والده في طفولته المبكرة إلى البادية فنشأ بها نشأة عربية أصيلة أتقن خلالها فن الرماية وحين عاد إلى مدينة الطائف طلب العلم على عدد من علمائها، حيث أخذ الحديث عن الشيخ أحمد النجار، وأخذ العربية عن الشيخ شعيب، وأخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر سبحي، وبعد أن أجيز من مشايخه عقد حلقته التعليمية في مسجد ابن عباس ثم تولى القضاء في الطائف عام ١٣٢٧هـ أيام عهد الأشراف ثم استقال في عام ١٣٤٠هـ ثم عين عضواً بلجنة المعارف، واستمر في هذا العمل حتى توفي سنة ١٣٤١هـ، له كتاب عن تاريخ الطائف (مفقود) وله مجموعة أشعار لم تطبع انظر كتاب سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر لعمر عبد الجبار ص١٦٣، وانظر الأعلام للزركلي ج٤ ص١١٥.

يتطـارح معي الشعر) ثم مضى الحضراني في سرد ذكرياته إلى أن قال: (ثم جاء الأمـر من (الشريف الحسين بن علي)[1] أن انظـر لنا معلماً لأولاد أمير الطائف الشريـف (زيـد بن فواز بن ناصر) فجلست أعلمهـم مدة حتى قامت الحرب بين الشريف والعثمانيين)[2]. عاد بعدها إلى اليمن ثم رجع إلى الحجاز في عهد الملك عبـد العزيز وتـردد على مكة والطائف ثـم عاد إلى اليمن وبسبـب بعض الظروف رحـل مـن اليمن إلى شرق آسيا وبعد تطواف في بعض البلدان الآسيوسية عاد إلى اليمـن لكنه (لم تطـب له الإقامة في اليمن بعد قيام الثورة اليمنية في سنة ١٣٨٢هـ فذهـب إلى المملكـة العربية السعودية، وتوثقت صلتـه بالأمير عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود أمير المدينة المنورة فعاش في كنفه إلى أن توفي، فسكن الحضراني بالطائـف واستقـر بها تحت رعايـة الأسرة السعوديـة، يتصل بملوكهـا وبأمرائها ويتنقـل بين أندية المملكة العربية السعودية إلى أن توفي بالطائف عام ١٤٠٧هـ)[3]، وكان خلال إقامته بالطائف قد حضي بالرعاية التامة من ولاة الأمر آل سعود حيث كان يستضاف في كثير من المناسبات الثقافية ويحضر عدداً من المنتديات الثقافية وقـد سجل له التلفزيون السعودي لقاءاً حافلاً بالمتعة والفائدة[4]، وفي عام ١٤٠٢هـ حـل ضيفاً على مدينة أبها بدعوة مـن رئيس ناديها الأدبي حيث أقيمت له في نادي

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٩٥.

(٢) من أدب الرواية ص٥٦-٥٨ (بتصرف).

(٣) المصدر السابق ج٤ ص٢٢٢٦.

(٤) المصدر السابق ص١٩.

أبهـا الأدبي ندوة كبيرة واحتفى به أدباؤها وشعراؤهـا ومثقفوها وتحاور معه رواد النادي الأدبي حواراً ثقافياً ماتعاً بدأه الشاعر الحضراني بقوله:

لقد تشرفت لما أتيت يا قوم أبها
وجدت روضة أنس من شعب بوان أبها[1]

وفي ختام ذلك اللقاء الجميل عبر الشاعر: أحمد الحضراني عن سعادته بتلك الحفاوة في كلمة جميلة قال في ختامها: (لو كان لي في كل جارحة لسان لعجزت عن وصف هذه الوجوه المشبعة بالرجولة والإسلام والدين فما كان يخطر في ذهني أن أجد هذا الاحتفاء والتقدير)[2]، واستمرت الحفاوة بالشاعر الحضراني خلال إقامته في المملكة حتى لقي ربه في مدينة الطائف التي أنس بها وبأهلها وبمسؤوليها وقد أشار إلى ذلك ابنه الشاعر: إبراهيم الحضراني في مرثيته لوالده حيث قال في بعض أبياتها:

أبكيك للجلى، وللفصحى، وللذكر المبين
ولقد شفى نفسي فراقك لي وأنت قرير عين
ما بين كف برة ترعاك، أو قلب حنون
متوسد الأرض الطهور مجاور البلد الأمين
فاهنأ ونم بجوار ربك بين أصحاب اليمين[3]

---

(١) المصدر السابق ص٢٨.

(٢) من أدب الرواية ص٧.

(٣) المصدر السابق ص٢٢.

ومن شعر أحمد الحضراني الذي قاله في الطائف:

وقائلة أراك سلوت عنا — وأزمعت المقام بسفح (وج)
فقلت دعي البقية من حياتي — أقضيها بلا هرج ومرج[1]

ولقد تم له ما أراد فلقد قضى ربع قرن من الهدوء والاستقرار والعيش الكريم في مدينة الطائف الجميلة ممتعاً برعاية كريمة من ملوك وأمراء الدولة السعودية كما أكد ذلك ابنه الشاعر الكبير: إبراهيم الحضراني[2] في إحدى قصائده التي شارك بها في أمسية شعرية من أمسيات المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالرياض وذلك في مساء يوم الخميس الموافق ١٤٢١/١٠/٣٠هـ ونشرت بصحيفة الجزيرة في يوم السبت الموافق ١٤٢١/١١/٢هـ وفي هذه القصيدة يقول الشاعر الابن: إبراهيم الحضراني:

يا طريق الهدا إليك عساها — تلتقي في رحابها روحانا
فاتني أن أرى الأسارير جذلى — مثلما كنت منذ حين وكانا

(١) هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٤ ص٢٢٢٨.

(٢) إبراهيم بن أحمد محمد الحضراني: (١٣٣٥-١٤٢٢هـ) أديب وشاعر يمني مجيد، ولد في خربة أبو يابس، ونشأ في حجر والده العالم الأديب أحمد الحضراني، وتلقى العلم على عدد من علماء ذمار وعلماء صنعاء، وتولى في العهد الجمهوري باليمن عدداً من المناصب السياسية، حيث كان وكيلاً لوزارة الإعلام، زار عدداً من الدول الأوروبية والأمريكية، له شعر وطني غزير نشر منه صديقه أحمد محمد الشامي مختارات سماها: (القطوف الدواني من شعر إبراهيم الحضراني) انظر كتاب: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) لإسماعيل الأكوع ج٤ ص٢٢٢٨-٢٢٤٣، وانظر موقع جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري على الشبكة العنكبوتيه، وانظر الموسوعة اليمنية ج٢ ص١١١٦.

قال لي قم وطف بساحة (وُجٍّ) وتـقـر الأصـحـاب والإخـوانـا
سـلـمـت تـلـكـم المـرابـع ذقـنـا في ربـاهـا الأمـان والإيمـانـا
بـين قـومٍ لهـم مـن الـوحـي هـادٍ وكـفـى الـوحـي للـهـدى بـرهـانـا
قـل لـهـم يـا بـنـيّ إن عـظـامـي لـيـس تـنـفـك تحـمـل العـرفـانـا
مـا نسيت الجـمـيـل بـالـرغـم أني قـد سكنت الـتراب والأكـفـانـا[1]

---

(١) من أدب الرواية ص٢١.

علماء يمنيون آخرون هاجروا إلى البلاد السعودية وأقاموا بها

- وهناك علماء وأدباء يمنيون آخرون هاجروا إلى البلاد السعودية وأقاموا في بعض مدنها إقامة دائمة، ومنهم العلامة اليمني الكبير محمد محمد زباره الذي بدأ زياراته إلى المملكة العربية السعودية ممثلاً لدولته اليمن في مهمات رسمية؛ فقد انتدب في آخر عام ١٣٤٥هـ مع لجنة موفدة من الإمام (يحيى حميد الدين) إلى الملك (عبد العزيز آل سعود) للتفاهم حول الحدود بين البلدين – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – واستمرت المهمة حتى سنة ١٣٤٦هـ وكان العلامة (زباره) خلال تلك المهمة يمارس طلب العلم في الحرم الشريف ويتلقى (الأمهات الست) على علماء أعلام أمثال العلامة: (عمر حمدان) وغيره [١] وبعد انتهاء مهمته يرجع إلى وطنه، ثم يعود إلى مكة فيقيم بها ويلتقي بعلماء الحرم المكي الشريف ويتهادى معهم بعض الكتب.. (ففي عام ١٣٥٦هـ قدَّم لدار الحديث النبوي بمكة المكرمة جملة من نسخ كتاب: فتح القدير وتحفة الذاكرين .... الخ) [٢].

- أما العلامة الشاعر اليمني: (علي عبد الله صوفان) [٣]، فقد فضل الإقامة

---

(١) الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ لمحمد محمد زباره ص٧٣-٧٥.

(٢) المصدر السابق ص٧٩.

(٣) علي بن عبد الله بن أحمد بن حسن صوفان الكحلاني: (١٣٣٥-....) هكذا ورد اسمه في أحد هوامش كتاب: (أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية) ج٢ ص٥٩٣، لعبد الله أبو داهش، حيث ذكر بأن الشاعر صوفان (صوفان) مقيم في نجران دون أن يذكر لنا شيئاً عن=

الدائمة في المملكة العربية السعودية، ولم يكتف بالإقامة فقط، وإنما أعلن انضمامه للدعـوة السلفيـة الصافية وبراءته مما كان يعتقد مـن بعض المذاهب التي لا تنهج منهج أهل السنة والجماعة وعلمائها لذلك نسمعه يردد:

إني ألـوذ بـأهـل نجـدٍ مذهباً	الـعـابـدون المـؤمـنـون الـركـع
المـقـتـدون بـأحـمـدٍ في هديـه	والـسـنـة الـغـراء فيهم نـشـرع
وطـويـت شـبـة زائـغ مـتـورط	لمـا أتـى الـبـرهـان هـذا المصقع
ولـقـد قـلـتـنـي عـصـبـة زيـديـة	ربـي وقـانـي كشحهم لا أصـرع [1]

بل إننا نجد (صوفان) في النص الشعري الآتي يؤكد انتماءه للسلفية وتأييده المطلق لما تدعوا إليه حيث يقول:

سـلام يمـلأ الآفـاق مسـكاً	عـلـى نجـدٍ، أحـيـيـكـم سـلامـا
سأسلك في العقيدة ديـن شيخ	أقـام الـديـن، وهـابـي، أقـامـا
وكـنـت قـبـيـل هـذا في ظلال	مـع الـبـدعـي، أسـهـرني المـنـامـا
إلى الـغـفـار يـغـفـر لي ذنـوبـي	ومـا أسلفت من دهـري حـرامـا [2]

=مكان ولادته أو عن نشأته غير أن أبا داهش قد أشار في كتابه السنوي : (حوليات سوق حباشة) العدد (٣) ص١٨٢ إلى أنـه قد أجرى مع الشاعر علي عبد الله صوفـان مقابلة شخصية تمت بمدينة نجران السعودية وقـال في أحـد هوامشه: (الشاعر علي بن عبد الله صوفان من علماء اليمن الوافدين على البلاد السعودية، استقر في نجران وله حلقة تعليمية في مسجد الأخدود بنجران وله شعر وافر) ثم ذكر أبو داهش أن المقابلة مع صوفان جرت في عام ١٣٩٩هـ.

(١) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدبي بجنوبي البلاد السعودية لأبي داهش ج٢ ص٥٩٣-٥٩٤. قلت وربما كان يقصد بـ (العصبة الزيدية): أصحاب مذهب الجارودية منهم على وجه الخصوص.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٦٢٣.

ولا شـك بـأن للعلامة (علي عبـد الله صوفان) أشباه كثـيرون ممن اقتنعوا بالنهـج السلفي واختـاروا البقاء في المملكة العربية السعودية التي لم تكن تفرق بين المواطـن السعودي والمقيم اليمني، بل ربما كان المقيم اليمني يحظى بميزات كبيرة عن غيره من المقيمين، فلم يكن يطالب بإقامة نظامية ولم يكن دخوله إلى المملكة أو خروجه منها يرتبط بالقيود والأنظمة المتبعة مع غيره، بل كان يتمتع بكافة الحقوق التـي يتمتع بهـا المواطن السعودي، كتملـك الأراضي والمساكـن والمتاجر والالتحاق بمراحل التعليم المختلفة والعلاج المجاني في مستشفيات المملكة، بل ربما كان المقيم اليمنـي يحصل على ميزات كثـيرة، واستمر هذا الوضع منذ توحيد المملكة العربية السعوديـة حتى عام ١٤١٠هـ فكنت تشهد عمـارة المقيم اليمنـي باسمه الصريح بجانب منـزل المواطن السعودي في سائر مدن المملكة كما تشهد مزرعته أو شركته أو مصنعـه أو ورشته، أو متجـره أو نشاطه الاقتصادي الذي كان يتفوق على نشاط بعض المواطنين السعوديين، دون مضايقات من جهات مسئولة، أو إحراج أو منافسة غـير مشروعة مـن مواطن، بل ربما كانت لبعضهم مكانـة اجتماعية تنسيه موطنه الأصلي والأمثلة كثيرة جداً تنتظم سائر مدن المملكة وقراها وشواطئها وجبالها.

ولعـل أقربهـا إلى موضـوع بحثنا: (التواصل الثقافي بين اليمـن والسعودية) هـذا النموذج الذي تحقـق منذ وقت مبكر في بلدة نائية مـن بلدات منطقة جازان هـي: (بلدة فيفاء)[1] الجبلية التي كان يقيم بهـا العلامة اليمني: (حسن بن عبد

(١) فيفـا: جبـل أشم يقدر ارتفاعه بحوالي ستـة آلاف قدم عن سطح البحر ويمتد حوالي ثلاثين كيلاً ويبعد =

الرحمـن الغالبـي)[1] ولأنه يمني فقـد كان يحقّ له أن يمتلك أرضـاً، وأن يعمر بها بيتاً، وأن يحتفل به باسمه الحقيقي وليس باسم مستعار، وهكذا كانت حال العلامة اليمنـي (الغالبي) التي رواهـا بتفاصيلها قاضي التمييز السعودي العلامة الشيخ علـي بن قاسم الفيفي[2] فقال: (ابتنى أحد علمـاء اليمن هو الشيخ حسن بن عبد

=عـن مدينة جازان حوالي خمسين كيلاً إلى جهة الشرق، ويضم عدداً كبيراً من المدن والقرى التي يسكنها أعـداد مـن القبائل، ومن أشهر مدنه: العبسية، ونيد أبار، وبقعة الخشعة، وبقعة نيد الضالع، وقراه، ومدنه، وبُقَعُهُ، آهلـة بالسـكان، وأجواؤهم ربيعيـة ماطره وتزداد البرودةُ في أعالي جبال فيفـا التي تظللها السحب، ويعمـل بعضـ ساكنيه بالزراعـة، وتضم جبال فيفـاً عدداً من القبائـل ومنهم: آل مغامـر وآل الحكمي، وآل شراحيـل، وآل مسعـود، وآل ثويع من أولاد عطا وغيرهم، وفي جبال فيفـا هيئة ملكية لتطويرها وبها عـدد كبير مـن المدارس وتشهد جبال فيفاء ومدنها وقراها نهضة عمرانيـة وتنموية كبيرة. انظر المعجم الجغرافي لمنطقة جازان لمحمد أحمد العقيلي ص ٣١٧ وما بعدها.

(١) حسـن بن عبـد الرحمن الغالبي: لم تسعفني مصـادري بترجمة لهذا العلم، ومن عبـارات مقدمة قصيدة (الفيفي) يفهم بأن (حسن الغالبي) عالم يمني – ويغلب الظن أنه من آل الغالبي الذين يقيمون في مديرية (ضحيـان) باليمـن – هاجر إلى المملكـة واختار الإقامة بإحدى مدن المملكة العربيـة السعودية فمكن من الإقامة بها كما أعطي حق تملك الأرض والبناء عليها باسمه الصريح وهاهو يحتفل بذلك فيهنئه أبناء البلد الأصليـين علـى إتمام بناء منزله وسكنـاه كواحد منهم. انظر ديوان: الطيف العابـر ص١٠٣ لعلي بن قاسم الفيفي قاضي التمييز بمكة المكرمة.

(٢) الشيـخ الشاعـر: علي بن قاسم بن سلمان الخسافي الفيفـي: (١٣٥٠-....) ولد في بلدة الرثيد بجبل فيفاء الأشـم درس القـرآن الكريم بمعلامة أحمـد بن فرح بن أسعـد الفيفي ثم التحق بمدارس الشيخ عبد الله القرعـاوي واختصـ بملازمـة الشيخ العلامـة حافظ بن أحمد الحكمـي إلى أن تخرج علـى يديه ثم التحق بالتدريسـ وعمل مدرساً في مدارس) الملحا) (والفرشة(كما عمل إماماً وخطيباً في)رملان((وفيفاء)من مـدن وقرى منطقة جازان، وعـين قاضياً بفيفاء عام ١٣٧٣هـ واستمر بها حتـى رقي إلى قاضي تمييز بمكة في عـام ١٤٠٦هـ إلى أن تقاعد، أصدر عدداً من الدواوين الشعرية والكتب العلمية والتاريخية والتراثية فمن دواوينه الشعرية: (الطيف العابر)، و (ومض الخاطر)، و (الحوار المبين في أضرار التدخين) إلى جانب عـدد من الكتب النثرية المطبوعة ومنها: (السمط الحاوي لأسلـوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي)،=

الرحمـن الغالبي داراً بفيفاء سماه: دار الخير، وأقـام حفل غداء، وبالمناسبة قلت هذه الأبيات:

بالخير واليمن والإنعام والرغد ... ومنزل السعد والإقبال والرشد
دار على البر والتقوى إقامتها ... وأنشئت طاعة للواحد الأحد
أشادها: (الغالبي) في دار هجرته ... (فيفاء) أكرم بما قد شيد في البلد
وقال: أنشأتُها ستراً ومرتفقاً ... وملجأً لضعاف الأهل والولد
دار بها يفرح الأحباب قاطبة ... ويجزلون الثنا للمنعم الصمد
لكنها في عيون الحاقدين قذى ... أو كاللظى لذوي الأهواء والحسد
فالحمد والشكر للمنان واهبها ... ذي الفضل والجود والإحسان والمدد
ومن يهاجر يجد في الأرض متسعاً ... تباً لمن قال إن هاجرت لم أجد
لا زال عامرها بالخير في دعة ... وفي نعيم مقيم هانئ رغد
وزبر تاريخها إن رمته عدداً ... قل (شاده الغالبي) قَطُّ، ولا تزد [(١)]

والرمز التاريخي الـذي وضعه شاعرنا السعودي الفيفي للاحتفال بإتمام بناء منزل العلامة اليمني (الغالبي) في فيفاء بحساب (الجمل) هو عام ١٣٨٤هـ.

وظل ذلك الوضع المميز للمقيم اليمني دون غيره طيلة عهد الملك عبد العزيز، وطيلـة عهد الملك سعود، وطيلة عهد الملك فيصـل، وطيلة عهد الملك خالد، وجزءاً مـن عهد الملك فهد؛ وكان يمكـن أن يظل الوضع قائماً لولا ما شعرت به المملكة من

=وكتـاب عن التراث في فيفاء. انظر ترجمته في كتابنا لمحـات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي ص١٣٢-١٣٥، وفي كتاب التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج٣ ص١٥٤٢ وغيرها.

(١) ديوان العلامة الشيخ الشاعر علي بن قاسم الفيفي: (الطيف العابر) ص١٠٣، ط١ ١٤٠٣هـ دون ذكر دار النشر.

تهديدات أمنية بعد احتلال العراق للكويت وتهديده المستمر باحتلال أجزاء من المملكة ووقوف اليمن مسانداً للعراق المعتدي، واستجابة بعض المقيمين لمناصرة المعتدين عن طريق المظاهرات أو التجمعات أو الرحيل المفاجئ، حينها طالبتهم الجهات الأمنية بتصحيح أوضاع إقامتهم وسهلت لهم السبل وأعطت لتحقيق ذلك المهلة تلو المهلة ومددت الفرص لذلك الغرض شهوراً وشهوراً، فاستجاب عدد منهم وصحح وضع إقامته وأبى من أبى...

- وإذاً فالمهاجر اليمني في البلاد السعودية ظل في تلك الحقب مواطناً مثل المواطنين السعوديين مواطن يحق له التملك والعمران الذي يحتفل به وتلقى فيه قصائد التهنئة مثله مثل أي مواطن سعودي يستطيع أن يبني منزلاً لأسرته ويتواصل ثقافياً مع أبناء المجتمع السعودي من منزله الذي شيده على أرض سعودية في مدينة سعودية.

ومثل العلامة اليمني (الغالبي) علماء يمنيون كثيرون استوطنوا مدناً وقرى وضواحي سعودية كثيرة، وكان لهم حضورهم العلمي الكبير فتأثروا وأثروا، وكانوا نماذج حية للتواصل الثقافي المثمر، وفي مقدمتهم العلامة اليمني الكبير السيد: (محمد بن إبراهيم المؤيد الحسني) [1]، (الذي كانت مكتبته معلماً من معالم

---

(١) العلامة محمد بن إبراهيم المؤيد الحسني: (١٣٣٣-١٣٩٩هـ) تلقى العلم على كبار علماء اليمن ثم وفد إلى المملكة العربية السعودية، فدرس على عدد من علماء المسجد الحرام بمكة المكرمة، والتحق بدار الحديث في الحرم المكي فدرس على علمائه عدداً من علوم الشريعة وحفظ كثيراً من المتون والنصوص الفقهية، وعدداً من المنظومات العلمية كمنظومة ألفية ابن مالك وغيرها، كان رجلاً حاد الذكاء، سريع البديهة، قوي=

مدينة الطائف البارزة يقصدها كبار العلماء والأدباء، وطلاب العلم من الطائف ومن مختلف مدن المملكة العربية السعودية كما كان مجلسه في المكتبة مجلس علم وأدب، ومنتدى للعلماء والأدباء، يلتقون في مكتبته فيتبادلون العلم والمعرفة ويتناقلون أخبار العلم والعلماء والأدب والأدباء، ويتذاكرون في المسائل العلمية، والدينية، واللغوية، والاجتماعية، وكثيراً ما يشاركهم العلامة (المؤيد) نقاشهم ويبادلهم طروحاتهم)[1]!!

مهاجروا حضرموت إلى بلاد الحرمين يندمجون في النسيج الاجتماعي والثقافي

والمتابع لحركة الهجرة من بلاد اليمن إلى بلاد الحرمين سيجد أن بعض مهاجري ما كان يعرف باليمن الجنوبي كانوا أكثر اندماجاً وتفاعلاً مع المجتمع السعودي وخاصة (الحضرميون) منهم – ربما لأن بعضهم كان أسبق هجرة وأكثر استقرارا – وتبعاً لذلك فقد كانوا أكثر تأثراً بثقافة المجتمع السعودي كما كانوا مؤثرين في نواح كثيرة فقد أثروا في المجتمع السعودي بمقدار ما تأثروا منه

= الحافظة، وكثيراً ما كان يستشهد بالشعر استقر بمدينة الطائف وأسس بها مكتبته الشهيرة (مكتبة المؤيد) بشارع ثقيف في الستينات الهجرية من القرن الرابع عشر وتدرج بها من مكتبة صغيرة حتى أصبحت من أكبر المكتبات في المملكة العربية السعودية، توفي رحمه الله بمدينة الطائف سنة ١٣٩٩هـ. انظر شيئاً عن المؤيد ومكتبته في كتاب: (العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر) لعبد الوهاب أبو سليمان ص١٨١-١٨٦.

(١) العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر، لعبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان ص١٨١-١٨٦، من منشورات نادي الطائف الأدبي ١٤٢٣هـ.

وزيادة، والمتابع يستطيع أن يلمس شيئاً من ذلك في كثير من أنماط الحياة وبعض ألوان السلوك الاجتماعي؛ لأن اندماجهم الفاعل في المجتمع السعودي مكنهم من الإسهام الحقيقي في كافة مناشط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع ارتباطهم الشديد بجذورهم وعدم التنكر لماضيها وحاضرها، حتى لقد أسهم عدد من القادرين منهم في تنميتها، فكان لهم حضورهم الفاعل في مهجرهم الذي أصبحوا يمثلون أجزاءاً من نسيجه الاجتماعي، وكان لهم دورهم في تنمية البلاد التي هاجروا منها أو هاجر منها آباؤهم.

والمتابع الحصيف لمسيرة الحراك الثقافي والاجتماعي والتنموي في بلادنا يستطيع أن يجد إسهامهم الكبير في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والإعلامية والفنية. كل ذلك من داخل النسيج الاجتماعي السعودي وليس منفصلاً عنه أو مدعياً التفرد به.

ففي التنمية الاقتصادية والاجتماعية نجد منهم أسماء كبيرة كان وما زال لها من الآثار التنموية الشيء الكثير (فهم مع إسهاماتهم الكبيرة في تجارة التجزئة وتجارة الجملة وفي عقود التعهدات وفي الصرافة وفي نشاطات اقتصادية تنموية أخرى) فإن مفهوم (الاقتصاد) قد ترافق عند نسبة منهم مع وعي بخدمة المجتمع وبثقافة النفع العام (في وطنه الأصلي وفي مهجره)، ومن ذلك ما عرف من بناء الطرق وشق العقبات الجبلية الشاهقة أمثال (بن لادن) ومنهم من عرف بالإسهام في بناء المستشفيات ونشر التعليم وطباعة الكتب وكفالة طلاب العلم أمثال (بقشان،

وبغلـف) أو الاسهـام في نقـل الحجيج أمثال(باخشـب) أو في تأسيس مكتبات بيع الكتـب مثل: (بلعمش)، ومـازال المجتمع السعودي في جده يتذكـر الدعم المالي الذي قدمه محمد أبو بكر با خشب لدعم تأسيس جامعة الملك عبد العزيز الأهلية)[1].

وفي المجال الثقافي تجد للسعوديـين من أصل حضرمي بصمات واضحة، فقد أسهمـوا في نهضـة الأدب والثقافة السعودية بنصيب وافر وبـرز منهم أعلام كبار مـن أمثال: (حسـين باسلامة، وعبد الله بالخير، وصـلاح البكري، ومحمد سعيد العمودي، ومحمد سعيد با غفار، وعلي فدعق، ومحسن باروم، وعبد الله الجفري، وأحمـد عمـر بافقيه، ومحمد علي البار، ومحمد أبو بكـر حميد، ومحمد أبو بكر با ذيب، وأبو بكر با قادر، وحسين با فقيه، وعبد الله با شراحيل)[2].

ومـن يرجع إلى كتـاب: (سير وتراجم بعض علمائنـا في القرن الرابع عشر) لعمـر عبـد الجبار يجـد فيه تراجـم لأكثر من مائـة وخمسة وعشريـن علماً يمثل السعوديون من أصل يمني حضرمي منهم حوالي ٥٠٪ وهم ينتمون إلى قبائل يمنية عريقة كانت وما زالت تعتبر بلاد الحرمين جذورها الأولى وجلهم ينتمون إلى أسر حضرميـة مشهـورة كآل السقاف، وآل العطاس، وآل بابصيـل، وآل المساوى، وآل العمودي، وآل الحبشي، وآل البار... الخ[3].

---

(١) التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين لعبد الرحمن الشبيلي ص٢٧، (بتصرف).

(٢) المصدر السابق ص٨.

(٣) ينظـر في كتـاب: (سـير وتراجم بعض علمائنا في القـرن الرابع عشر) لعمر عبد الجبـار، طبع دار عكاظ للطباعة والنشر من منشورات (تهامة) جده ١٤٠٣هـ.

وكان لهؤلاء الأعلام وأمثالهم دور بارز في الحركة الثقافية والأدبية والإعلامية في بلادنا، حتى أن بعض الباحثين من أمثال الدكتور عبد الرحمن الشبيلي يرى (أن انتشار الهجرات الحضرمية في بلاد الحجاز قد جعل من الطبيعي أن تصطبغ الحياة الاجتماعية في الحجاز ببعض مظاهر التراث الحضرمي الاجتماعي والمادي والفلكوري)[١].

على أن الدكتور الشبيلي يرى كذلك بأن تأثير ثقافة بلاد الحرمين في حضرموت متأكدة (وبخاصة تلك التي درست في مدارس الحجاز وجامعاته، ودرست في الحرمين الشريفين وحلقاتهما التدريسية، أو بالهجرات من بلاد الحرمين إلى حضرموت كحالة (الدباغ) الذي أقام بـ (المكلا) ...... ثم أنشأ بها مدرسة للبنين، ومدرسة للبنات)[٢].

قلت: وكحالة العلامة: (عبد الله بن أحمد الرواف) الذي نقل لنا الباحث السعودي: (عبد الملك بن عبد الوهاب البُرَيْدِي) شيئاً عن حياته وعن رحلاته في طلب العلم وأنه (هاجر من القصيم في نجد وتنقل بين أقاليم شبه الجزيرة العربية حتى استقر به المقام معلماً ثم قاضياً في المكلا بحضرموت مدة تقارب ستة عشر عاماً...)[٣].

---

(١) التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين ص٧-٨.

(٢) المصدر السابق ص١٠.

(٣) انظر مقالة للباحث عبد الملك بن عبد الوهاب البريدي المنشورة بملحق صحيفة الجزيرة (الثقافية) العدد (٣٠٨) الصادر بتاريخ ١٥/٥/١٤٣١هـ.

وبعد أن يتحدث الدكتور الشبيلي عن تأثير الحضارم السعوديين في الثقافة والإعلام أشار إلى تغلغل تأثيرهم في الفن فنقل عن (مجلة دراسات يمنية) قول الكاتب اليمني أحمد عبيدلي: (إن المقامات الحجازية في (الغناء والفلكورات الشعبية قد تأثرت بالألحان العدنية والحضرمية) [1].

وهكذا كانت البلاد السعودية موطناً وملاذاً للمهاجر اليمني يتمتع فيها بكافة الحقوق التي يتمتع بها المواطن السعودي لفترة تزيد عن نصف قرن منذ أن فتح الملك عبد العزيز قلبه ووطنه للإخوة اليمنيين كما يقول الأديب العلامة اليمني: أحمد محمد الشامي: يؤوي شريدهم ويغيث ملهوفهم، (فلقد كان الملك عبد العزيز مرجعاً لشكاوى زعماء اليمن وعلمائها ومفكريها، وكل من ضاقت به قسوة العيش وعنت بعض المسئولين والحكام؛ يبثونه شكواهم، وممن بثه شكواه: الأمير علي بن عبد الله الوزير والأديب اليمني الكبير الشاعر: محمد محمود الزبيري، والمؤرخ اليمني المصلح: محمد محمد زبارة، فكان يقوم بإيواء الشاردين وتهدئة الثائرين، ومواساة المعوزين منهم؛ بل كان الملك عبد العزيز يقوم بدور الوسيط بينهم وبين الإمام (يحيى)، كما فعل مع العلامة محمد محمد زبارة، ومع الأمير: علي بن عبد الله الوزير، ومع بعض مشائخ (صعدة)، وغيرهم، كل ذلك كان رغبة صادقة منه بأن يسود اليمن الاستقرار والطمأنينة، وأن تحافظ على استقلالها

(١) التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين ص١١، نقلاً عن مجلة دراسات يمنية العدد (١٠) الصادرة عام ١٩٨٢م من مقال فيها بعنوان: الموسيقى والغناء بين واليمن والخليج للكاتب اليمني أحمد العبيدلي.

وعقائدهـا؛ فقد كان شديد الالتزام بسياسته الثابتة نحو اليمن وهي: عدم التدخل في شئونها الداخلية)[1].

تلـك كانت (سياسة الملك عبـد العزيز، وسياسة أبنائه من بعده؛ فلقد كانت، وظلت، وستظل إن شاء الله ثابتة ومتوارثة، تقوم على عدم التدخل في شئون اليمن، وتقـوم على النصح الصادق والمساعدة الخالصة، وتدعيم كلما يضمن لها الرخاء والاستقرار والازدهار)[2].

ولله در الشاعر الكبير عبد الله بالخير فقد أكد هذه المعاني التي تحدث عنها الأديـب السياسي: أحمد محمـد الشامي خلال كلامه عن أحـد مواقف الملك عبد العزيـز الإنسانية الذي لا يقل روعة عن مواقفـه العظيمة والنبيلة من قضايا أمته، وأنـه بتلك المواقف الراقيـة قد ربى في أبنائه: (الملـوك) وفي أبنائه: (المواطنين) تلك الخلال الكريمة والقيم الإنسانية، ونمى فيهم حب الخير للآخرين: (والناس علـى دين ملوكهم): يقول الأديب الكبير عبد الله بالخير: (كنت أزور الأستاذ علي أحمد با كثير – أثناء إقامته بمكة – يوم صدرت صحيفة أم القرى في مكة المكرمة وفيها ذلك التأبين وتلك الترجمة الضافية والتكريم البالغ والثناء العاطر على الملك (فيصـل بن الحسين) وهو (ابن عدو الأمس) حسب العرف السياسي ورأيت في الصحيفـة برقيات الملك عبد العزيز بهذا الخصوص فوجدت (با كثير) قد بدأ في

(١) رياح التغيير في اليمن لأحمد محمد الشامي ص٢٣٦-٢٣٧.

(٢) المصدر السابق ص٢٤١.

إنشاء قصيدة رثاء أتذكر الشطر الأول من مطلعها يقول فيه:

حائط العرب على العرب انهدم ....

ويواصل الأديب السعودي: (عبد الله بالخير) ذكرياته فيقول: (ولعلي أذكر أيضاً أن الأستاذ: محمد حسن فقي قد كتب كلمة رثاء حزينة أخرى).

يريد (بالخير) أن يقول: (لقد ضرب الملك عبد العزيز أروع الأمثلة في الشمم والنخوة والشهامة حين بادر بإرسال برقيات العزاء في الملك (فيصل بن الحسين) وحين فتح صحيفته الرسمية للمواطنين والمقيمين ليعبروا عن حزنهم على الفقيد الراحل من خلال القصائد الشعرية، وكلمات التأبين، وبرقيات العزاء.

ثم عقب الأديب الكبير (عبد الله بالخير) على تلك المواقف قائلاً: (وهكذا كان الرعيل المعاصر الأول من رجالات العرب وملوكهم وأمرائهم وزعمائهم كانوا على هذا المستوى من الشمم والنخوة والإخاء والقربى، وكان العالم العربي في تلك الأيام (على دين ملوكهم)، فكانت المحبة والصداقة والإخاء راسخة في قلوب جماهيرهم يتوادون ويتراحمون ويتزاورون، ويعلى كل منهم من مقام الآخر بلا حسد ولا حقد ولا شتائم ولا مهاترات، كان ذلك:

يوم كنا ولا تسل كيف كنا   نتهادى من الإخا ما نشاء

ويواصل الأديب (عبد الله بالخير) حديثه داعياً فيقول: (رعى الله تلك الأيام ورعى الله من مات فيها ومن لا يزال حياً وغفر الله لجميع من مضى ووفق الله

جميع من بقي من جماهير الأمة العربية وقادتها)[1].

- ولا شك بأن هذا الموقف يؤكد على نبل الملك عبد العزيز وحسن سجاياه، وهو واحد من المواقف الكثيرة التي ترفدها خلال وسجايا رفيعة يعرفها كل من تعامل مع الملك عبد العزيز، وكل من قرأ أو سمع عنه وعن ومكارم أخلاقه –رحمه الله –.

(١) عبد الله بالخير يتذكر ص١٦٣.

التواصل الثقافي بين السعودية واليمن
في عهد الملك سعود وعهد الإمام أحمد

التواصل الثقافي بين السعودية واليمن في عهد

الملك سعود: ١٣٧٣_١٣٨٤هـ وعهد الإمام أحمد١٣٦٧_١٣٨٢هـ

تمهيد:

ظل التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية يسير جنباً إلى جنب مع التواصل السياسي – كما رأينا في عهدي الملك عبد العزيز والإمام يحيى – ولربما طغى الثقافي على السياسي في أحايين كثيرة، وبخاصة بعد توقيع (معاهدة الطائف في عام ١٣٥٣هـ)؛ حيث توثقت العرى وازدادت الصلات حميمية، حينئذ تعمق التواصل الثقافي بين البلدين وقويت وتيرته وبخاصة في أواخر عهد الإمام أحمد وأوائل عهد الملك سعود الذي شهدت السنوات الأولى منه تعميقاً للتواصل وتقوية للعلاقات بين اليمن والسعودية على كافة الصعد، أكدتها زيارة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لأخيه الإمام أحمد ابن يحيى حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية في أواخر عام ١٣٧٣هـ، وهي زيارة رسمية لا تخلو من الطابع الأخوي، وكان لها صداها الطيب في البلدين الشقيقين الجارين، ثم عمقتها زيارة الإمام (أحمد) لأخيه الملك (سعود) في عام ١٣٧٥هـ تلك الزيارة المهمة التي كان من ثمارها توقيع (حلف جده) الثلاثي الذي تم بين الملك سعود والإمام أحمد والرئيس جمال عبد الناصر وكان (هدفه التصدي لحلف بغداد؛ الذي ضم العراق وإيران وتركيا وباكستان، ومن ورائهم بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية) [(١)]؛

---

(١) مجلة المنهل السعودية العدد (٦٠٩) العام ٧٣، عددي ذو القعدة وذو الحجة من عام ١٤٢٨هـ ص١٧٦-١٧٧، وهو عدد خاص عن الملك سعود.

لذلك اعتبر بعض المراقبين بأن توقيع اتفاقية جده خطوة مهمة في لمّ الشمل العربي)[1].

ثم تتابعت الزيارات بين قادة ومفكري البلدين، مما ساعد على تقوية أواصر التلاحم بين البلدين والشعبين، وأشاع في النفوس روح الإخاء والتواصل فانطلقت أقلام الشعراء والكتاب تعبر عن سعادتها واغتباطها.

وهكذا كانت تلك الزيارات – إلى جانب أهميتها السياسية والاجتماعية – محركاً للشعر والأدب والفكر في أوساط البلدين الجارين وشهدت الحركة الثقافية تبعاً لذلك بعثاً أدبياً وفكرياً وثقافياً فاضت به أعمدة الصحف في البلدين شعراً ونثرا.

زيارة الملك سعود لليمن وتأثيرها على التواصل الثقافي بين البلدين

حين زار الملك سعود بن عبد العزيز في عام ١٣٧٣هـ بلاد اليمن الشقيق زيارته الرسمية الأولى، كان لها صدى واسعاً في الأوساط العربية والإقليمية، فقد استقبلته اليمن حكومة وشعباً استقبالاً حافلاً، وأقيمت الزينات والاحتفالات للاحتفاء به، وحيَّاه بعض شعراء اليمن وأدبائه، ومنهم العلامة الأديب المؤرخ: (محمد محمد زبارة) الذي حيَّاه بقصيدة نشرت آنذاك بصحيفة (الإيمان) الصنعانية وفيها يقول العلامة زبارة:

ألف أهلاً بظلّ باري الوجود ورضيع الندى، ربيع الوفود
خادم البيت، والحجيج، وجير ان إله الورى: المليك (سعود)

(١) الموسوعة اليمنية ج٣ ص١٦٤٢، من منشورات مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء ١٤٢٣هـ بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية بلبنان، بيروت الحمراء.

نجل صقر الجزيرة الملك المرحو م عبد العزيز آل سعود
ألف أهلاً بخير من زار صنعا من مليك مُسوَّدٍ ومَسُود
زار فيها أخاه في الله والديـ ـن إمام الهدى حليف السجود
(أحمد الناصر المؤيد بالله) شـ ـجاة العدى، وغيظ الحسود
فانزلوا في القلوب أو فوق أعيا ن الملايين من أخ وودود
فاجتماع الإمام والملك في صنعا هوى كل مسلم في الوجود
يا مليكي جزيرة العرب العربا وأبطالها ليوث الجنود
أنتم اليوم جند باري الورى القهَّار والقادر المعيد المبيد
أنتم اليوم راية الحق في الخلق، أمان الورى، حماة الحدود
فالجهاد الجهاد في الله، والتسـ ـع النواحي، وواحة ابن السعود
أجزل الله أجركم ما رفعتم راية الله فوق كل عنيد [1]

وكما استُقبل الملك سعود في اليمن بكل حفاوة فقد ودَّعته الأوساط الثقافية والاجتماعية في المملكة بكل الحبّ والتقدير، فها هو الشاعر السعودي أحمد إبراهيم الغزاوي يخاطبه مودعاً ومقدراً، ولا ينسى أن يثني على مضيفه (الإمام أحمد) الذي دعاه لزيارة اليمن فكانت هذه الزيارة الملكية التي فرحت بها سائر مدن اليمن الشقيق لذلك سمعناه ينشد قائلاً:

مشى لك الشعب حباً واحتفى الوطن واستقبلتك المنى واليُمْنُ، و (اليمنُ)
وجاءك الوفد يسعى في مغلغلة من المودة قد شفَّتْ بها (الوُضُنُ)

(١) الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ لمحمد محمد زبارة ص٩١-٩٢.

حيَّتْ (تَعِزُّ) بها من يستجيب لها ... ومن (تَعِزُّ) [1] بـه الأمصار والمدن
حامي حمى البيت والإسلام مأرزه ... ومـن بـه الأمـل المنشـود مرتهن
أعْظِمْ بها دعـوة في الله قربتها ... وفي ظلال الهدى يحظى بها الزمن
شفى (الإمام) بها (صنعاء) وائتلقت ... بها (زَبيْدُ) و (لَحْجٌ) ورتوت (عَدَنُ)
كلاكما للحفاظ (المرّ) أعتدةٌ ... وللعروبة ذخـر، والهدى سنن
وما اجتماعكما (شخصين) في بلدٍ ... بل أنتم (النصر) و (التوفيق) يقترن
منذ اعتليت سنام (العرش) ما برحت ... تجري بموكبك (الأرياح) و (السفن)
تـروم عـزة ديـن الله مقتحماً ... هام (السماك) وفي عزماتك الثمن
جمعت شمل بني (عدنان) فانبعثت ... (قحطان) واقتبست من نورك الفطن
أخـوّةٌ وشَّـجَ الإيمـان لحمتها ... وفي سداها (تساوى) السِّرُّ والعلن
فاهتف بها (وحدةً) للعرب جامعة ... يـخـزى بـها كـل مـن في نفسه درن
أنت (السعود) وفيك الشرق طالعه ... وأنـت منه النهى والـروح والبـدن
فاسلم وعـد في أمـان الله محتسباً ... وفي (مراضيه) حقاً سعيك الحسن[2]

كما شارك في توديع الملك سعود شعرياً شعراء سعوديون كثيرون يأتي في مقدمتهم الشاعـر المؤرخ: محمد بن أحمد العقيلي وكلهم رأوا في زيارته الميمونة لبلاد اليمن تحقيقـاً لآمال العرب في التقارب والتلاحم والتواصـل لذلك استقبلت موكب الملك سعـود غالب مدن اليمن وثغوره مرحبة ومستبشـرة بلقاء العاهلين العظيمين الملك

(١) (تعـز):الأولى: مدينـة يمنيـة كبيرة (ومشهورة، سبـق التعريف بها في أحد هوامش فصول بحثنا هذا، وكانت تعتبر العاصمة اليمنية الثانية في عهد الإمام (أحمد) أما كلمة: (تعز) الثانية فيقصد بها (تفتخر) وهذا الأسلوب يعرف بلاغياً بـ (التورية)، وصنعاء، وزبيد، ولحج، وعدن: عواصم ومدن يمنية كبيرة ومهمة ومشهورة، سبق التعريف بكثير منها في ثنايا بحثنا.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد إبراهيم الغزاوي ج٢ ص٩٥٠-٩٥١.

(سعود) و الإمام (أحمد) حيث يقول الشاعر العقيلي:

في سنا تاجه وفي صولجانه | أمل الشرق، واعتزاز كيانه
همة تعبر العصور وتحيي | أمل الضاد في استعادة شانه
ألهبت جذوة الكفاح وشعَّت | كسنا البرق في سرى ومضانه
أينما حلَّقتْ، وأيان سارت | سار فلك النجاح في ربانه
شمت في موكب السحاب لواءً | تكتنفه النسور من عدنانه
رمقته النجوم لحظاً وظلَّت | نُصَّباً للحفيف من خفقانه
فحملنا على الرياح سلاماً | واحتراماً ينوب عن جازانه
فانتشى الموكب العظيم اختيالاً | يتهادى وقد ثنى من عنانه
وتعالى على الشوامخ طراً | من(حضور)[1] فـ(مأرب)[2] و (رعانه)[3]
وتجلى بأفق (صنعاء) نوراً | تقبس النيرات من لمعانه
ودنى الموكب العظيم، وحل الركب | في (ناعط) [4] وفي (غمدانه) [5]

(١) حضور: جبل شامخ في بني مطر غربي مدينة صنعاء بثمانية عشر كيلاً وهو أعلا جبل في اليمن، ويقال له جبل النبي شعيب، وهناك جبال يمنية أخرى تحمل هذا الاسم، معجم المدن والقبائل اليمنية لإبراهيم أحمد المقحفي ص٤٣.

(٢) مأرب: محافظة يمنية تتبعها مدن كثيرة من أهمها: مأرب الأثرية التي تعتبر أهم مدينة أثرية في اليمن كما أن بها سد مأرب الذي كان خرابه – كما هو معروف – سبباً لهجرة القبائل العربية اليمنية، انظر كتاب: تاريخ اليمن الثقافي لأحمد حسين شرف الدين ص١٤١، من مطبوعات جامعة صنعاء ١٤٢٥هـ.

(٣) رعانه: نسبة إلى (ذو رعين) مخلاف مشهور في لواء (إب) باليمن وفيه مقاطعة تعرف بـ(رعين) والرعين: بلدة في رازح بمنطقة صعدة اليمنية انظر معجم المدن والقبائل اليمنية ص١٢٣، والقبائل اليمنية ص١٧٩.

(٤) ناعط: جبل أثري من جبال (حاشد) على بعد مسافة اثني عشر كيلاً من مدينة عمران اليمنية، وينسب إلى (ناعط) واسمه: ثور بن سفيان بن أسنع. معجم المدن والقبائل اليمنية لإبراهيم المقحفي ص٤٣٠.

(٥) غمدانه: غمدان: حصن أثري حميري مشهور ويقع شرق مدينة صنعاء ويقال إن آثاره تدل على أنه كان يتكون من عشرين طابقاً، معجم المدن والقبائل اليمنية ص٣٠٩.

والتقى عاهلا الزمان فقلنا (مضر) قد دنا إلى (قحطانه)
موكبٌ كالربيع، إن أمَّ أرضاً حل عيد الزمان في نيسانه
يخطر الحسن في ثراه وتشدو صادحات الطيور في أغصانه
كلما قر في بلاد تباهت وبدت نشوة على سكانه
زمن من مباهج وسرور حلَّ في شعبه وفي جيرانه
يا مليكي وأنت من أنت في الـ ـعصر مقاماً سما على أقرانه
سرت بالوحدة العظيمة شأواً مُستتم السمو في بنيانه
(كنت فيها السفير للشرق حقاً ورسول السلام في أزمانه)[1]
جددت وحدة الصفوف وسارت نحو أهدافها على حسبانه[2]

زيارة الإمام أحمد للمملكة العربية السعودية وأثرها في تقوية التواصل الثقافي بين البلدين

وحينما رد الإمام (أحمد) زيارة الملك (سعود) لبلاده بزيارة مماثلة استُقبِل (إمام اليمن أحمد) في المملكة العربية السعودية استقبالاً حافلاً ألقى في إحدى مناسباته الشاعر السعودي: أحمد إبراهيم الغزاوي قصيدة ترحيبية قوية، حيّا فيها الملكين: (أحمد، وسعود) واعتبر تلك الزيارة بادرة كريمة، وفألاً حسناً على العروبة والإسلام، لعلهما يستعيدان من خلالها قوتهما وعزهما بعد أن يعمل

(١) هذا البيت وضعه الشاعر في مجموعته الشعرية الكاملة بين قوسين ولم يشر إلى سبب وضعه كذلك، ولربما كان مضمّناً له.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد أحمد العقيلي ص٢٨١-٢٨٧، وانظر كتابه: العقيلي في رسائل معاصريه ص٤٨-٥٠، مطابع جازان ط١ ١٤١٢هـ.

الزعيمـان على توثيـق التعاون بينهما ويؤسسان لوحـدة عربية راسخة الجذور بين بلديهمـا لذلك سمعناه في تلك القصيدة التي سنختار منها بعض أبياتها يشير إلى هذه المعاني فيقول:

بشرى العروبة بالضحى المتجدد ... وبملتقى سعد (السعود) و(أحمد)
بمتـوجـين كـلاهـمـا في شعبـه ... مـلء العـيـون، وفخـر كـل موحـد
فكأنما الإسـلام أشـرق فيهما ... حـقـاً، وبـورك صـرحـه بمشيد
وكـأنمـا تـرنـو القـلـوب إليـهـمـا ... عـبر العـصـور قـريـرة بالمشهد
بالعاهلين المصلحين تصافحا ... وتـنـاصـحـا في غـبطـة وتـودد

※※※

إني ليبهرني وتلقائي الهدى ... هـذا الجـلال مكـللاً بالسـؤدد
وأكـاد مـن شـغـف بـه وتـطلـع ... أرقـى إليـه عـلى متـون الفـرقـد
ولـو أن آفـاق الجـزيـرة كلها ... تسعى وتنطق أو تروح وتغتدي
لمشت تخايل في (خـزام)[1] أمة ... جياشة تحمي العرين وتفتدي

※※※

بل لا غـرابـة أن يُـرحـب شيبها ... وشبابها بالأصيد ابن الأصيد
بأخي الوفاء وذي الإباء وذي التقى ... (بالناسك المتعبد المتهجد)
بصديق مـن هتفت بـه وتـرنمت ... فيـه المنـابـر سـيـداً عـن سيد
المستمد مـن الإلـه (سـعـوده) ... والمسـتـعـين بـه عـلى المتـلـدد
الحـامـل الأعـبـاء دكـت دونـهـا ... قـمـم الجبـال وكـل طـود الأطـود

※※※

(١) خزام: هو القصر الملكي المشهور في جده بقصر (خزام) والذي أقيم فيه الاحتفال بضيف البلاد.

أعظم بها من وحدة عربية يسمو بها وحي القوافي الشرّد
ها نحن من (صنعاء) بين (رياضنا) و(دمشق) و(الفسطاط) أمنع مرصد
يا حبَّذا (عهد الصلاح) وحبّذا (حلف السلاح) وجيشنا المتوحد
ما بين وحدتنا وبين بلوغها إلا كما حمد السراةُ (ضحى الغد)

*** ***

ركب على سنن الطريق مبارك فيه، و (حلف) بالشريعة مهتدي
والله قد وعد التقاة بحفظه وأمدّهم بالنصر غير مصرد
ولتبلغن على المدى أهدافكم بمشيئة الله القوي الأيد
ولتشهد الدنيا ويشهد أهلها أن (السعود) مبشر في (أحمد)[1]

وحتى يعطى الزعيمان: (سعود) و (أحمد) لتلك اللقاءات المباركة بعداً عربياً فقد استضافا في اجتماع (جده) زعيماً عربياً وحدوياً له وزنه الكبير، ولدولته: (مصر) ثقلها السياسي العظيم، إنه الزعيم (جمال عبد الناصر) الذي وقع معهما الحلف الثلاثي العربي الشهير في وقت تكالب الأعداء على أمة العرب من كل جانب.

(١) الأعمال الشعرية الكاملة للغزاوي ج٣ ص١٠١٥-١٠١٨.

حلف (جده) بين السعودية واليمن ومصر وآثاره على التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية

- وزيارة الإمام أحمد للمملكة العربية السعودية تلك مع أنها في ظاهرها رد جميل لزيارة الملك سعود التي قام بها لليمن في أواخر عام ١٣٧٣هـ فقد جاءت تأكيداً لتعاون البلدين الجارين وتقارب وجهات النظر بين زعيمهما: (سعود، وأحمد) بل وتوسيعاً لدائرة التواصل العربي؛ حيث توجاها بتوقيع ذلك الحلف العربي الذي كانت مصر وزعيمها: (جمال عبد الناصر) زاوية مثلثه القوية؛ لذلك وجدنا العلامة اليمني: إسماعيل الأكوع يسميه مرة بالحلف الثلاثي[(١)]، ومرة يسميه: بـ (ميثاق الأمن المشترك بين اليمن ومصر والمملكة العربية السعودية الذي تم توقيعه في ١١/ رمضان ١٣٧٥هـ)[(٢)]، ونظراً لأهميته على الأمن العربي والقومي فقد اعتبره بعض المتابعين رداً عربياً خالصاً على حلف بغداد الذي كان يضم العراق وتركيا وإيران وباكستان ومن خلفهم بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والذي كان يهدف إلى تمزيق الوحدة العربية وتفريق شمل البلاد العربية[(٣)].

ولقد كان ذلك الحدث الجميل محل إعجاب وتقدير الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية؛ لذلك فقد حياه عدد من الشعراء السعوديين وعدد من الشعراء اليمنيين وبعض الشعراء العرب ورأوا فيه استجابة لظروف الوضع العربي

(١) هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٢ ص٧٠٤.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص١٤٦٤.

(٣) الموسوعة اليمنية ج٣ ص١٦٤٢.

الذي هو في أمس الحاجة للوحدة العربية التي تحصنه من عاديات الليالي والأيام.

وسنختار في هذه الأوراق شيئاً من تطلعات ومشاعر بعض الشعراء اليمنيين وبعض الشعراء السعوديين وابتهاجهم بهذا الحلف العربي الرائع، الذي أضفى على التواصل الثقافي بين البلدين شيئاً من الحيوية.

فهاهو الشاعر السعودي (أحمد إبراهيم الغزاوي) يُحيِّي ذلك الحلف الثلاثي (السعودي المصري اليمني) الذي عقده زعماء البلدان الثلاثة في جده خلال شهر رمضان المبارك من عام ١٣٧٥هـ فيقول:

موثق رائع، وحلف نبيل ... أين منه وقد أطلَّ (الفضول) (١)
جمع الله في ضحاه (مُعَدّاً) ... و(نزاراً) وشايعته(النصول)
واستهلت به العروبة فخراً ... (نبوياً) فرنده مصقول
في (سعود) و (أحمد) و (جمال) ... فأله (الأسعد) (الحميد) (الجميل)
يا حماة الذمار لله أنتم ... ولكم منه نصره المكفول
كيف والأرض والسماء شهود ... أو صمصامكم هو المسلول
كفَّر الدهر عن ذنوب الليالي ... واستبان الهدى، وصح الدليل
مَحَّصَتْنَا الأحداث حتى انتفضنا ... من سبات كأنه التكبيل
إن ذا اليوم في العروبة يومٌ ... خالد، تالد، طريف، أثيل
يا رعى الله في غواديه يوماً ... فيه للرعد زجرة وصليل
بل هو العيد، كل ما مرَّ عيدٌ ... ما انتشى حاضر، وكبَّر جيل
لكأني بمثله قد تجلى ... مُقْبِلاً في غدِ وفيه نُصول

---

(١) (الفضول) إشارة إلى (حلف الفضول) المشهور، الذي أثنى عليه رسولنا الكريم ﷺ.

حيث يحضى بنو أبينا جميعاً ... بـا (تّحـاد) نعلو بـه ونطول
هدف واحـد ونـهـج قـويم ... هـو للمجد غـرة وحجـول
كلنا في الكفاح زند أخيه ... وعلى الله قصده والسبيل [1]

وفي قصيدة أخرى للغزاوي يرى في اجتماع القادة الثلاثة: الملك (سعود) و الإمام (أحمد) و الرئيس (جمال) جمع شمل العروبة حيث جعل عنوانها: (جمع الله شملنا من شتاته) يقول في بعض أبياتها:

في (سعود) و (أحمد) و (جمال) ... جمع الله شملنا من شتاته
وحدة وَثَّقَ الإله عراها ... واجتباها تَذُبُّ عن حرماته
تنظم العرب للكفاح سلاحاً ... وصفاحاً على هدى بيناته
حفظ الله (أحمداً) و (سعوداً) ... (وجمالاً) وكل نادٍ بذاته [2]

وهكذا سكب الشاعر السعودي الغزاوي مشاعره الصادقة حول هذا الحلف العربي وأقطابه، كما شاركه في التعبير عن الاحتفاء بلقاء الأقطاب الثلاثة الشاعر السعودي محمد بن أحمد العقيلي الذي أبدى تفاعله مع هذا الحدث التاريخي، شأنه: شأن عدد من الشعراء السعوديين فقد رحب بأقطاب ذلك اللقاء وحياهم بقصيدة طويلة جعل عنوانها: (تحية الأقطاب الكبار) يقول في بعض أبياتها:

روعة الفتح وإشعاع الجلال ... قد أعادوها (سعود) و(جمال)
نفثوا في كل صقع قوة ... للكفاح الحر في دنيا النضال

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة للغزاوي ج٣ ص١٠٢٣-١٠٢٦.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص١٠.

في الجنوب الحر في (الأردنّ) في ... (المغرب الأقصى) وفي سوح القتال
حيّ أقطاباً كباراً وثبوا الـ ... ـوثبة العظمى إلى أسمى مجال
دعموا الوحدة من أساسها ... وبنوا صرح العلى سامي المنال
في اجتماع وَجَفَ الغرب له ... واحتفى العرب به أي احتفال
نذروا الأنفس للذود عن الـ ... ـوطن الأكبر، أرواحاً ومال
صنعوا التاريخ في مؤتمر ... من طراز (الفتح) لم يخطر ببال
بورك السعي وجلت غاية ... تجمع العرب(جنوباً) و(شمال)
صافحت عدنان قحطان فيا ... عزّة الدهر ويا فخر الليال [1]

ولا شك بأنه قد شاطرهم الفرحة بهذه اللقاءات المباركة شعراء سعوديون آخرون وشعراء يمنيون كثيرون كالشاعر اليمني الكبير (عبد الله البردّوني) الذي رأى في ذلك الحلف العربي المبرم بين السعودية، واليمن، ومصر، باكورة وحدة عربية تؤكد على يقظة البعث العربي، ورأى أنّ الأمة العربية تجدد به بالي عهودها من خلال إيقاضها لمجدها البعيد الذي سينبعث مبتهجاً بمستقبل العروبة الباسم، هذا ما يراه بوضوح الشاعر اليمني عبد الله البردّوني ويبشر به في قصيدته التي احتفى فيها بهذه المناسبة العربية وجعل عنوانها: (البعث العربي) والتي يقول في بعض أبياتها:

وحدة المجد والفخار التليد ... زعزعت مرقد الصباح الجديد
واستطارت تحتُ قافلة الفـ ... ـتح، وتطوي الحدود بعد الحدود

(١) المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد بن أحمد العقيلي ص٣٥٧-٣٦٢.

وحـــدة يـعـربـيــة، وانـطـلاق عــربــي يــهـز صـمـت اللحـود
إنمــا الـعـرب ثــورة، وَحَّـدتْـهـا يقضة البعث وانتفاض الوجود
(فابن يحيى)[1] مؤزر بـ(جمال)[2] و (جـمـالٌ) مـؤزَّرٌ بـ (سـعـود) [3]
وَحَّـــدَتْ شملهم كبار الأمــاني والـدم الحـرّ، واعـتـزاز الجـدود
قـد تلاقـى الحجاز، واليمن الميـ ـون، والـنـيـل في اتحــاد الجـهـود
واستفاقت مواطن العرب الشـ ـم، فعودي يا رايـة العرب عودي
واذكـري في معارك العز(سعداً) و(عـليًّا)، و(خـالـد بـن الـولـيـد)

إلى أن يقول الشاعر البردّوني في رائعته:

أمـة الـعـرب ضَـمَّها صَـلَفُ الجُـرْ حِ المـدُمَّـى، وكـبريـاءُ الحـقـود
كلها أقـسـمـت بـأن تـنـشر الأرو اح دون الحـقـوق نـشر الـورود
وتـــروّي صـدر الجـهـاد، وتمحو عـن جـبـاه الأبـاة ذل السجود
جــدّدت بـالي العهود وأحـيـت مـيّـت المجـد والإبـا مـن جديد
وتـسـامـت تـشـيـد مستقبل الـعـر ب علي زهـوة الصباح الوليد [4]

وهكـذا كان الشاعر اليمني (البردّوني) في هذه القصيدة يعبر عن ابتهاجه بهذا الحلف الثلاثي العربي، وربما شاركه هذا الابتهاج بهذه المناسبة شعراء يمنيون آخرون، وإن كان لبعض شعراء المعارضة في اليمن رأي آخر في هذا الحلف العربي –

---

(١) (ابن يحيى) :يقصد به الشاعر إمام اليمن: أحمد بن يحيى حميد الدين..

(٢) (جمال) : هو: رئيس جمهورية مصر: جمال عبد الناصر.

(٣) (سعود) : ملك المملكة العربية السعودية: (سعود بن عبد العزيز آل سعود).

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عبد الله البردّوني ج١ ص١١٦-١١٩، إصدار الهيئة العامة للكتاب – صنعاء الجمهورية اليمنية ١٤٢٣هـ.

ربما بسبب اشتراك إمام اليمن فيه – حيث أن بعض شعراء المعارضة لم يكونوا على وفاق مع إمامهم آنذاك وإن كان ذلك الرأي الذي ستقرأه عند (الزبيري) و (المعلمي) [1] برغم مكانة الشاعرين لا يقلل من أهمية ذلك الحدث العربي الجميل، فأما رأي المعلمي فقد نقله لنا الأديب أحمد محمد الشامي من خلال كتابه الشهير: (من الأدب اليمني) ويتمثل في قصيدة كتبها الشاعر (المعلمي) بمناسبة انعقاد اجتماع الزعماء الثلاثة: (الملك سعود، والرئيس جمال عبد الناصر، والإمام أحمد) في جده وأرسل – كما يقول الشامي – لكل زعيم نسخة من قصيدته التي جعل عنوانها: (كرِّموه، واسألوه)، يقول الأديب أحمد محمد الشامي وهو يتحدث عن قصيدة المعلمي: (في ١ إبريل سنة ١٩٥٦م تم اجتماع السيد جمال عبد الناصر والملك سعود في جده، واستقبلا الإمام أحمد هناك استقبالاً فخماً، في مؤتمر عقدوه فبعث الشاعر المعلمي بهذه القصيدة من عدن إلى الثلاثة الزعماء لكل واحد بنسخة بالعنوان المذكور ونشرت أيضاً في صحف عدن، والقصيدة هي:

قابلوه بالحب والتكريم فرحاً وارفعوه فوق النجوم
وانثروا الزهر في الدروب لمسـ ـعاه احتفاء منكم بيوم القدوم

---

(١) أحمد المعلمي: (١٣٣٧-.....): ولد في أسرة علم، وفقه، وأدب تلقى مبادئ العلم في بلده ثم انتقل إلى هجرة (إريان) فلازم القاضي يحيى بن محمد الإرياني وأبناءه (علي و محمد وعبد الرحمن وكلهم شعراء وأدباء) ثم هاجر إلى صنعاء فاختلط بعلمائها وأدبائها، وشعرائها كا (الأمير)، و (المطاع)، و(العزب) وكان ضمن طليعة الأدباء الأحرار الذين سجنوا في حجة عام ١٩٤٤م. انظر كتاب: من الأدب اليمني لأحمد محمد الشامي ص١٤٦.

واصنعوا من سنى الأصيل الأكاليل، وأبـدوا مظاهـر التعظيم
وأحيطوه بالجلال، وبالتقدير، والاحتـرام والتفخيم
أشعروه بأنه خير ملك قد تلقّيتمُ، وخير زعيم
كل هذا افعلوا، وأكثر منه فهو طبع النبيل، طبع الكريم
وبهذا تقضي الشهامة مما قد ورثنا عن يعرب، من قديم
غير أنّا نرجو بأن تسألوه باهتمام، عن شعبه المهضوم
كم شريد؟، كم جائع؟، كم مريض؟ كم قتيل بسيفه المسموم؟
كم بأرض الحجاز؟ أو بأفريقيا من طريد الجنود والتغريم؟
كم أديب قد طاردته قوى الظلم؟، وكم عالم جليل حكيم؟
كم جهول مسوَّدٍ وخسيس؟ حلَّ في رتبة الهمام العظيم؟
كم بريء في ظلمة السجن ثاوٍ؟ يتلقى هول العذاب الأليم
كيف عمَّ السكان جهل وإيمان بسخف التحريف والتنجيم؟
كيف تفنى البلاد جوعاً وعريا وهي أرض الخيرات أرض النعيم؟
كيف بالخير حفنة تتهنى؟ والملايين في مهاوى الجحيم؟[1]

وأما رأي الشاعر الكبير محمد محمود الزبيري فقد التقطناه من إحدى قصائد مجموعته الشعرية، نظمها في مناسبة مماثلة لهذه المناسبة، والغريب أن الزبيري برغم أنه قد مدح الملك عبد العزيز ومع أنه كان يتردد على مصر ويثني كثيراً على زعماء ثورتها وفي مقدمتهم: الرئيس جمال عبد الناصر، إلا أنني لم أجد في ديوان هذا الشاعر الكبير (محمد محمود الزبيري) سوى قصيدة واحدة أشار فيها إلى

(١) من الأدب اليمني، لأحمد محمد الشامي ص١٤٩.

حلف (جِدَّه) إشارة سريعة تحمل عنوان: (من أحرار اليمن إلى أحرار العراق) – ربما نظمها بمناسبة (حلف بغداد) – وهو مع معرفته بأن (نوري السعيد) ربما كان أشد وبالاً على العراق وأهله إلا أنه كان يرى بأن قادة اليمن يمثلون (أفاع خطيرة)؛ لذلـك وجدناه يحذر في قصيدته قادة العراق من أن ينخدعوا بوعود أو عهود (أئمة اليمـن)، فهم – كما يقول – لم يفوا بمـا اتفقوا عليه في الحلف الثلاثي الذي عقد (بجدَّه) حيث يقول الزبيري في بعض أبيات قصيدته:

فـاحـذري يـا بـغـداد إن أفـا عينا لشر من ألف (نوري السعيد)
اسـألـوا عنهم المواثيـق في (جـ ـدة) والاتحـاد غـيرالـوحـيـد
وسـلـوهـم: كـم طبقوا من عهود؟ قـطـعـوهـا؟ ونـفـذوا مـن وعـود.
وسلوهم كم خجلوا مرة من الدجـ ـل؟ والـنـفـاق البـلـيـد؟
وسـلـوهـم كـم مـن دم سفكوه؟ دون حـكـم، أو حـجـة، أو شهود؟
وسـلـوهـم كـم قطعوا من رؤوس؟ غـالـيـات؟ ومـزقـوا مـن جـلـود؟

ويستمر الزبيري في طلب مساءلتهم إلى أن يقول:

تـلـك مـأسـاتـنـا الألـيـمـة يـا أحـرار بغداد يا كماة الجنود (1)

وإذاً فكمـا طلب الشاعر المعلمي مساءلة حـكام اليمن، طلب الشاعر الزبيري تلك المساءلة!! ولكن بلغة أشد قسوة من لغة المعلمي.

وإذا كان هذا هو رأي بعض شعراء المعارضة فلا شك بأن لشعراء الموالاة رأي آخر في إمامهم: (أحمد) وفي تحالفه مع أقطاب العروبة: الملك سعود ابن عبد العزيز، والرئيس

(1) ديوان محمد محمود الزبيري (المجلد الأول والثاني) ص٢٠٣-٢٢٠- دار العودة – بيروت ١٩٨٦م.

جمال عبد الناصر، وإن لم تتيسر لي حتى الآن مصادر تمدني بتلك الآراء الموالية.

ولقد حركت تلك المحاولات العربية للتكتلات التي أتت على هيئة (أحلاف) وبخاصة ما كان منها عربياً خالصاً، حركت تطلعات الشعراء السعوديين والشعراء اليمنيين لتحقيق الوحدة العربية الكبرى، لأن الوحدة العربية، والتقارب والتعاون مطلب ديني وقومي وإنساني قبل أن يكون مطلباً عربياً ملحاً، وبخاصة في تلك الظروف الاستثنائية التي كانت تمر بها الأمة العربية لذلك وجدنا عدداً كبيراً من الشعراء السعوديين والشعراء اليمنيين في تلك المرحلة يلحون على أهمية الوحدة العربية ويدعون إليها، ولعلنا في السطور التالية نختار شيئاً يسيراً من تلك التطلعات التي جأر بها بعض الشعراء السعوديين وبعض الشعراء اليمنيين، فهاهو الشاعر السعودي: ضياء الدين بن رجب [1] يتحدث عن هذه الوحدة وعن أهميتها فيقول في مطلع إحدى قصائده:

---

(١) ضياء الدين رجب: (١٣٣٥-١٣٩٦هـ) ولد بالمدينة المنورة وتلقى العلم على علماء المسجد النبوي الشريف كالشيخ الطيب الأنصاري، والشيخ أبو بكر التمبكتي، والشيخ العائش من علماء الأزهر وغيرهم، وتأثر بخاله: عبد الحفيظ الكردي شاعر المدينة المنورة وأحد قضاتها في العهد الهاشمي، عمل بالتدريس كما عمل بالتحرير في صحيفة المدينة ثم عين قاضياً وبعد أن ترك القضاء عمل محامياً في المدينة ومكة كما عمل مستشاراً شرعياً في أمانة العاصمة فعضواً بمجلس الشورى في عهد الملك سعود، شاعر متمكن من الشعراء البارزين، نشر شعره في المدينة وفي صوت الحجاز وفي المنهل وغيرهما تعاون مع الإذاعة السعودية بأحاديث يومية لفترة غير قصيرة، وكان على صلة متينة بشعراء عصره في المملكة وفي مصر والشام له ديوان (رحلة العمر) وله عدد من المؤلفات والمقالات ومنها كتاب: (في ديار ثمود) وغيره توفي بمدينة الرياض عام ١٣٩٦هـ ثم نقل إلى مكة المكرمة فصلي عليه بالمسجد الحرام ودفن بالمعلاة. انظر ترجمته في كتاب: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد علي مغربي ص٤٣-٥٢، ط١ مؤسسة تهامة للنشر والتوزيع ١٤٠١هـ.

هـــذه الـــوحـــدة هـــذا مجـدهـا   فـارو يـا سيف، وحـدِّث يـا قلم [1]

ويؤكـد هذه الرؤية الشاعر السعودي الكبير عبد الله بن خميس [2]، الذي يعبر عن سعادته بالوحدة العربية فيقول في قصيدته التي اخترنا منها قوله:

ومـا الـعـرب إلا وحـدة لا تشجها   حـدود ولا تقسيم بحر ولا صَحْرا

وإنـا وإن عـشـنـاه(صِبْراً) مرنقاً   نُجَـرَّعُـه يـفـري مـرائـرنـا مُــرّا

لـنرقـبـهـا تـلـغـي الـفـوارق بيننا   يفيء علينا ظلها وحـدة كـبرى [3]

أما الشاعر السعودي الكبير محمد حسن عواد، [4] فهو يذكرنا في الأبيات الآتية

---

(١) المصدر السابق ص٢٤.

(٢) عبـد الله بـن محمد بن راشد بـن خميس: (١٣٣٩-......) ولد بقرية (الملقـى) بضواحي الدرعية بعد أن أنهـى دراسته الثانوية التحق بكليتي الشريعة واللغـة العربية في مكة المكرمة وحصل علـى شهادتهما، تقلد عـدة مناصب منها مدير المعهد العلمـي في الأحساء ومدير كليتي الشريعة واللغـة العربية بالرياض، ومدير عـام رئاسة القضاء، ثم وكيل وزارة المواصـلات، ثم رئيس مصلحة مياه الرياض، أصدر مجلة (الجزيرة) التي تحولت إلى صحيفة يومية، عضو المجمع اللغوي بالقاهرة ودمشق والمجمع العلمي العراقي، ونائب رئيس جمعيـة الدرعيـة، عضو مجلس إدارة مؤسسة الجزيرة، ومجلس إدارة الدارة، حاصل علـى جائزة الدولة التقديريـة لعـام ١٤٠٤هـ، من دواوينه الشعرية: (على ربى اليمامة)، و (أهازيج الحرب)، و من مؤلفاته: (الأدب الشعبـي في جزيـرة العـرب)، و (راشـد الخلاوي حياتـه وشعره)، و (الشـوارد)، و (المجاز بين اليمامـة والحجـاز)، و (شهر في دمشـق)، و (معجم اليمامة) وغيرها انظـر ترجمته في معجم البابطين للشعـراء العـرب المعاصرين ج٣ صـ٣٧٦، ط١ الناشر مؤسسة البابطـين ١٩٩٥م، وفي كتاب: شخصيات في الذاكرة بعبد الله الحميد ج١ ص١٤٣-١٤٩ وغيرها.

(٣) ديوان على ربى اليمامة للشاعر عبد الله بن خميس ص٣٧٠ مطابع الفرزدق الرياض ١٤٠٣هـ.

(٤) الشاعـر محمـد حسـن عواد: (١٣٢٠-١٤٠٠هــ) ولد بمدينة جده، وتلقـى تعليمه بمدرسة الفـلاح وبعد تخرجه عـين أستـاذاً فيهـا بدت آثار نجابته وتفوقـه في بواكير شبابه فأصبـح أستاذاً لعدد كبير من شبـاب وأدباء جده، كحمـزة شحاتـه، وأحمد قنديل، ومحمود عارف وغيرهم كان من أبرز كتّاب صحيفة (بريد الحجاز) في العهد=

بالعوامل الكثيرة المشتركة التي تحتم وحدة العرب وتلاقيهم على هدف واحد فيقول:

إن قيل ما وطن العروبة موطن ... لبنيه، فالفصحى لديه ضمانها
أو قيل تبعده مظاهر وصفه ... عنها ففي تأريخه لقيانها
وطن العروبة واحد متضامن ... إن تبدُ أو تبعد به شطآنها
(فعراقها) (وشآمها)، و(نجودها) ... و(حجازها)، و(تهامها)، و(عمانها)
ما هن إلا (مصرها) في مأمل ... ضخم، وهنَّ على الهوى (لبنانها)
ولواؤه لغة تلوح عزيزة ... بين اللغات، أشاعها (عدنانها)
ولدت وفي فمها نداء صارخ ... بعثته من (أحقافها) (قحطانها) [(1)]

وكما نادى الشعراء السعوديون بالوحدة العربية معتبرين (حلف جده) الذي وقعه الأقطاب الثلاثة: (الملك سعود، والإمام أحمد، والرئيس جمال عبد الناصر) نواة للوحدة العربية الكبرى فقد تفاعل الشعراء اليمنيون كذلك مع ذلكم الحدث الجميل وتلكم الدعوات التي تبشر بالوحدة العربية، وهاهو المفكر والشاعر اليمني الكبير أحمد محمد الشامي يدعو قادة العرب في إحدى قصائده بحرارة شديدة

=الهاشمي، ومن أبرز كتّاب صحيفة (صوت الحجاز) في العهد السعودي.. كاتب مجيد، وشاعر شهير، له معارك أدبية كثيرة مع كبار أدباء وشعراء عصره، وهو صاحب كتاب: (خواطر مصرحة) الذي صدر عام ١٣٤٥هـ والذي يعتبر من أهم مصادر الأدب في الحجاز، رأس نادي جده الأدبي، وهو من مؤسسيه، له عدد من الدواوين الشعرية وعدد من المؤلفات منها: (تأملات في الأدب والحياة)، و (الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية)، وله كتاب عن: (سليمان بن عبد الملك)، إلى جانب كتابه: (خواطر مصرحة) الذي صدر جزءه الثاني في عام ١٣٨٠هـ وغيرها من المؤلفات. توفي بمدينة جده عام ١٤٠٠هـ، انظر ترجمته في كتاب: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر لمحمد علي مغربي ص١٤٩-١٨٨، وغيرها.

(١) المجموعة الكاملة لمحمد حسن عواد ج٢ ص١٢٦-١٢٧، ط٣، ١٣٩٩هـ، مطبعة دار العلم العربي.

للوحدة العربية لأن سائر البلدان العربية تتطلع لتحقيقها فهي ميثاق مقدس ترى فيه عزتها وكمال شخصيتها لذلك فهو يهتف بقادة العرب قائلاً:

يا قادة العرب عين الله تنظركم … إذا اجتمعتم ببغداد وقد رصدا
كونوا جميعاً وصوت الحق رائدكم … وحكموا العقل والتاريخ والرشدا
(تطوان) في (القدس) تدعو (مكة) ولها … من (خالد) (فيصل) للعزم قد عقدا
جزيرة العرب ترجو العدل متحداً … لا ترتضي الحل مظلوماً ومنفردا
بغداد كانت وما زالت منار هدى … للعالمين وفيها جنة الشهدا
صنعاء عنها روت أحلام ثورتها … وإن يكن قد تلاشى حلمها بددا
ووحدة العرب ميثاق نقدسه … ودونها لا نبالي أن نموت فدا (1)

وهكذا فإن الوحدة العربية قد أصبحت أمل ملايين العرب من بعد أن فرقتهم أحداث الليالي والأيام، لذلك كان الشعراء خير من يترجم آمالهم فامتلأت صحائف دواوينهم بملاحم شعرية يتطلعون فيها إلى اجتلاء هذا الحلم الجميل.

وقد تفاعل مع هذا الحدث الجميل شعراء يمنيون كثيرون لعل الشاعر اليمني العدني: محمد عبده غانم يأتي في مقدمة الشعراء العرب الذين تطلعوا لتحقيق ذلك الحلم الجميل حينما عبر عن شوق الملايين لتلك المعشوقة الغالية، الجميلة التي ما زالت تلوح لعشاقها ممن طال تلهفهم وانتظارهم لأوبتها، وبرّح بهم الشوق حتى عيل صبرهم حينما أقوت منها الديار وإن ظل أمل تحققها يداعب تلك الملايين المتعطشة؛

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر أحمد محمد الشامي ج3 ص172-175، مطبوعات اثنينة عبد المقصود خوجه، جده 1413.

ولأنها غالية على الجميع فقد خاطبها (غانم) بلغة العشق والغرام قائلاً:

وحـدة العـرب لم يصدّ عـن العشـ ـاق معشـار مـا صـددت حبيـب
أولم يَـأْنِ أن تجـودي فقـد طا ل انـتـظـار، والـصـبر عـنـك رهيب
أقـوت الـدار مـن مفـاتـنك الـغـراء وأودت بـسـاكـنيـهـا الخـطـوب
فـرَّقـت بـيـنـنـا صـروف الـليـالي وهـي دهـمـاء سـهـمـهـا لا يخيب

إلى أن يقول الشاعر: (غانم):

إيـه معشـوقـة المـلايـين كـم تهفـ ـو لذكـراك في الصـدور القلـوب
إن يوماً يعود فيه إلى العرب اتحـ ـاد الجـدود، يـوم عجـيـب
يـوم يمشـي ابـن الـرافـديـن ببيـ ـروت وصنعـاء فـلا يقـال غـريب
أمـل أنعشـتـه في جنـبـات الصـ ـدر بيض الـوعـود فهو رطيـب [1]

ولربما كانت مطولة الأديب اليمني الكبير: (علي بن أحمد با كثير) التي مدح بها الملك سعود حينما زار مصر ربما كانت أبعد أثراً في هذا الجانب أو ذاك؛ وإن كانت مناسبتها سابقة لحلف (جده) إلا أنها تلتقي مع تلك الأصوات الشعرية التي تدعو إلى وحدة الأمة!! فهو في هذه القصيدة يؤكد انتمائه إلى الجزيرة العربية من خلال حبه لقادتها الذين يعلق عل أحد عظمائهم آمالاً كبارا إلى جانب ذلك فهو في هذه القصيدة أيضاً يعزز الصلات الثقافية بين الشاعر العربي اليمني وبين قادة

---

(١) من أدب جنوب الجزيرة (بحوث ودراسات) لمحمد أحمد العقيلي ص٢٥٤-٢٥٥، ط١ دار البلاد بجده ١٤٠٤هـ، والقصيدة من ديوان الشاعر اليمني الكبير الدكتور محمد عبده غانم: (موج وصخر) المطبوع بدار المعارف في مصر بتقديم الشاعر البحريني إبراهيم العريض.

ومفكري البلاد السعودية التي خص قائدها الملك (سعود) بهذه القصيدة الرائعة التـي تعمق الصلات الثقافية بـين اليمن والسعودية، فقد عرضـ فيها (با كثير) أوضاع العالم العربي حينما أصبح واقعاً في أتون المحن التي أخذت تحيط به من كل جانـب فصرخ مستنجـداً بالملك سعود الذي رأى في محياه نور البيت الحرام، وشمّ في أردانه أنفاس طيبة الطيبة فقال في الأبيات التي سنختارها منها:

يـا أبـا فـهـدٍ ومـن أولى بنا — من أبي فهد الهمام الأنجب
إن في مصر وفي نجـدا معاً — لمـنـاط الأمـل المـرتـقـب
أمـة الـعـرب تـعـاني كـربـاً — وبـكـم يُـرجـى انـفـراج الـكـرب
هـي في غـاشـيـة مـن غيهب — وبـكـم يـجـلـى ظـلام الـغـيـهـب
أنـقـذونـا مـن هـوانٍ مسَّـنـا — في صميم العرض، لا في النسب
خـلـصـوا أوطـانـنـا مـن ذلّـهـا — لا يـكـن ظـل بـهـا لـلأجـنـبـي
قـد بـرانـا الله رأسـاً لـلـورى — كـيـف نـرضـى بمـكـان الـذّنـبِ
يـا (سـعـود) الخـير بُـلِّغتَ المنى — ووقـاك الله شـرّ الـنُّـوبِ
في محـيَّـاك مـن الـبـيـت سـنـا — وبـأردانـك أنـفـاس الـنـبـي [1]

فالشاعـر الكبـير: (علي أحمد با كثـير) يرى في زيارة الملـك (سعود) لمصر فرصـة لتقارب وجهات نظر زعيمي البلدين الكبيريـن للمّ شمل العرب وإنقاذهم من الأخطار المحدقة بهم.

(١) الملك سعود بحوث ودراسات ج٢ ص١٤٣-١٤٥ (مصدر سابق).

بعض آثار الزيارات السياسية في تعزيز التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية

- كما كان لتلك الزيارات التي تمت بين قادة البلدين آثارها الرائعة على صلات وتواصل مثقفي الشعبين، فهي قد هيأت الفرص لعدد من المفكرين والمثقفين اليمنيين من الاتصال بعدد من أمراء البيت السعودي وفي مقدمتهم (الملك سعود) الذي أصبح مقصداً للشعراء العرب عامة والشعراء واليمنيين خاصة، يفتح لهم قلبه فيعرضون عليه معاناتهم ومعاناة الأمة، ويلحون عليه بالإسهام في تخفيف آلامها وبلوائها، تماماً كما كان يفعل والده مع من يبثونه شكواهم..

- بل ربما قصده بعض المفكرين وبعض الشعراء العرب واليمنيين لنجدة الفكر والثقافة طالبين منه الإسهام في نشرها أو إعطائها بعض الدعم المادي والمعنوي الذي هي بأمس الحاجة إليه، مذكرين بما كان يفعله بعض العلماء أو الشعراء حين يلجأ بعضهم إلى إهداء ديوانه أو كتابه إلى أحد الزعماء متطلعاً إلى دعمه ورفده، وهذا ما فعله شاعر اليمن عامة، وأديب حضرموت خاصة وشاعرها ومؤرخها: (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف)[1] حين قدّم إلى الملك سعود أحد مؤلفاته

(١) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف: (١٣٠٠-١٣٧٥هـ) نشأ بحجر والده وتخرج به فقد كان يتولى تدريسه بنفسه ويصحبه معه لمجالس العلم، كما كان يخصص له الأساتذة، ومن شيوخه: العلامة: (العيدروس)، والسقاف مؤرخ بلداني من شيوخ العلم والأدب والأخبار والفقه له شعر حسن من أهل سيئون بحضرموت كان نابغة زمانه، وقد تصدر للتدريس والخطابة قبل الخامسة والعشرين، واتصل بزعماء البلدان الإسلامية، وكانت له أدوار طيبة في الإسهام بحل بعض القضايا الإسلامية؛ فقد كان له=

الأثيرة لديه وجعل مقدمة كتابه: (النثرية المسجوعة، والشعرية) مرفوعة إلى الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود حينما كان ولياً للعهد جرياً على عادة بعض علماء السلف، ولعلنا قبل أن ندلف إلى ذكر تلك المقدمة الجميلة التي صدّر بها العلامة المؤرخ (السقاف) كتابه، لعلنا نقدم للقارئ الكريم نبذة مختصرة عن ذلك الكتاب المقدم للملك سعود، كتبها عنه علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في مجلته (العرب) حيث قال: (ولقد سبق أن قدم لي الأستاذ عبد الله الحبشي نسخة مصورة لمؤلف عالم حضرموت ومؤرخها في عصرنا) ثم تحدث الشيخ حمد الجاسر عن كتاب السقاف فقال: (ويبدو أن مؤلف السقاف هذا هو خلاصة مما كتب عن تلك البلاد (الحضرمية)، فقد انتهى من تأليفه سنة ١٣٦٧هـ أي قبل وفاته بثماني سنوات، وقال بأنه ألّفه باقتراح من (بلخير) – (ولعله يقصد الأديب السعودي الكبير الأستاذ: عبد الله بن عمر بلخير) – وقدّمه لسعود بن عبد العزيز حين كان ولياً للعهد قبل أن يتولّى المُلْك، وكان (بالخير) مستشاراً له، ولقد خلا الكتاب مما شاب كثيراً من مؤلفات بعض أحبابنا الحضارمة مما يتعلق بطغيان العواطف في تقدير العلماء والسادة... ويبدو أنه لخّصه من كتابه: (إدام

=دور في الوساطة بين إمام اليمن (يحيى) والملك السعودي (عبد العزيز)، سكن صنعاء وتعز، والحديده وبينه وبين شعراء الشمال مكاتبات، كان مفتي الديار الحضرمية، له مؤلفات كثيرة من أهمها: (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) و (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت) وله كتاب: (بلابل التغريد فيما أفدناه أيام التجريد) ثلاثة مجلدات، وله كتاب: (مفتاح الثقافة) وله (ديوان شعر) مطبوع توفي سنة ١٣٧٥هـ. الأعلام ج٣ ص٣١٣-٣١٤، وانظر نزهة النظر ج١ ص٣٤٤، وانظر الأدب اليمني للشامي ص١٢٦٩.

القـوت في ذكر بلدان حضرمـوت) فكثيراً ما يختم بعض العبـارات بقوله: (وهذا مفصل في أصله) أو: (وقد أوردنا في الأصل) وهو يعني ما لم يرد ذكره)[1].

وقد قدم المؤلف (السقاف) كتابه إلى الملك سعود بمقدمة نثرية مسجوعة ختمها ببضـع أبيات شعرية مختصرة أوردها الشيخ الجاسر من خلال تقديمه لبعض فصول الكتاب، في هذا العدد من مجلته الرائدة: (العرب) وهذا نص تلك المقدمة:

(أما بعد: حمداً لله لكماله، والصلاة والسلام على نبيه وأصحابه وآله، فهذا ما انتهى به السير، في اقتراح (بلخير)، وما ظننته كذا، فقد لقّاني أذى، إذ لم يكن لـه مثال يحتذى، لقد خلتـه أدنى من القاب، فإذا هو أنـأى من العقاب، فالحاصل كثـير ممن خنـق دقاقة الرقاب، وبما أن مثله يديم الذكـرى في الأعقاب، ويخلدها طـوال الأحقاب، فقـد أهديته لمن أخذ علـى الكرام الأنقاب، وغَنِـيَ عن الأوصاف والألقـاب، طـلَّاع ثنايا الشرف والمجـد، وولي عهد الحجاز ونجد، مـن أنطق يراع الإشادة بما تسمع إنشاده:

يقولون سوق العلم بعد قيامها ... أصيب على طول المدى بقعود
فقلت لهم قد أدرك الله أهلها ... وخوَّلهم من جوده بـ (سعود)
فقال لأيام (الرشيد) ونجله ... وأيام أبناء (العنابس): عودي
فبشرى رياض العلم منه، فهذه ... مخايله، في بارق، ورعود[2]

ثم سجل اسمه في ختام هذه المقدمة هكذا: (عبد الرحمن بن عبيد الله).

---

(١) مجلة العرب ج:٥، ٦- س:٢٦ ذو القعدة، والحجة سنة ١٤١١هـ الموافق مايو ويونيه ١٩٩١م ص٢٩٠-٢٩١.

(٢) مجلة العرب السابقة.

وهـي مقدمة تنأى عـن الالتماس المباشـر وتتسامى إلى التحفيـز والتشجيع؛ فقـد جعل اهتمام الملك سعود بنشر العلـم وتشجيعه يتفوق على اهتمامات الخليفة العباسي: (هارون الرشيد) وأبنائه بنشر العلم والثقافة، بل ويتفوق على آخرين، ثم أخذ السقاف بعدها في ذكر أول فصول الكتاب، فقال: (وهو بعنوان: (حضرموت) (قال الهمداني: هي جزء اليمن الأصغر الخ) [1].

وكان الشاعر عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف هذا قد اتصل بالملك فيصل حينمـا كان نائبـاً لوالـده الملك عبـد العزيز في الحجـاز حيث شـارك السقاف في المهرجـان الذي أقيم لتكريم الملك فيصـل في عام ١٣٦٢هـ فمدحه بقصيدة جميلة حملت في مقدماتها بعض الشكوى التي بثها على الملك فيصل وأشار فيها إلى بعض القضايا التي تعاني منها بلاده في ظل الاحتلال الإنجليزي حيث يقول في مطلعها:

كـم ذا نغنـي ومـا زالـت قوافينـا ... نـخـطـهـا بمـــداد مــن مـآقـيـنـا

وفيها يقول:

يا جيرة البيت إن فاضت شكايتنا ... فما أتينـا إلى البطحاء شاكينا

لكنّـه الشعـر، والأشـجـان تبعثه ... لا يستقر علـى مـا بـات يشجينا

يا جيرة البيت كم كانت مسامرنا ... في حضـرموت بـذكـراكـم تغذينا

فكم عنينا بـآداب الحجـاز؟ وكم؟ ... أحـاطنـا بكميت الشعر راوينـا؟

غـادرت قـومـي إليـكـم كلما نغرت ... منـا الجـراح، وذكـراهـم تغذينا

لعلنـا إن شـكـونـا مـن حمولتنا ... عـنـد المقـام، وجـدنـا من يواسينا

---

(١) المصدر السابق ج:٥، ٦- ص٢٩٠-٢٩١.

فهاهنا الضاد من شتى عشائره محاضرين أجبناهم، وقاصينا
يا مطرقاً زين العرفاء غرته فزينت بجمال الخلق نادينا
جاءت إليك القوافي وهي شاردة بفضل (فيصل) جاءتنا تلبينا
فأصبح الشعر مسروراً يقبلها لكن قدرك في الأقدار يعيينا
الشعر طوع القوافي وهي طائعة فأي شيء من الأوصاف يجزينا
دع المحامد للأيام تنشرها هي القوافي كفاها الحسن تزيينا
وإنما شيم الأبطال تسحرنا فتجتني من حوافيها رياحينا (1)

ومثل العلامة الشاعر السقاف علماء وشعراء يمنيون كثيرون كانوا يجدون في بلاد الحرمين ويجدون لدى قادتها الصدر الرؤوم الذي يبثونه نجاواهم الخالصة.

---

(١) الملك فيصل بن عبد العزيز بحوث ودراسات ج٣ ص١٦٢-١٦٤، عن بحث للدكتور عبد الله أبو داهش (من بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل التي أقامتها دارة الملك عبد العزيز خلال الفترة من ٣/١ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ) وهذه القصيدة نشرت بصحيفة (أم القرى) العدد: (٩٩٥) بتاريخ ٢٠ محرم ١٣٦٣هـ.

جهود بعض مثقفي البلدين في تعزيز التواصل الثقافي

سبقت الإشارة إلى ازدهار التواصل الثقافي بين السعودية واليمن في أواخر عهد الملك عبد العزيز، غير أن التواصل الثقافي قد ازداد توهجاً وازدهاراً في أوائل عهد الملك (سعود) الذي شهد ظهور بعض العوامل المحفزة على ازدهاره، وهكذا استمر التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية وتعزز، وازدهر، وتنامى مستفيداً في بعض الأحيان من التواصل السياسي ومعتمداً في أحايين أخرى على علائق المودة التي تربط بين مثقفي الشعبين وبهذا فقد أصبحت للتواصل الثقافي بين مثقفي البلدين صور أخرى تضاف إلى صور التواصل التي أشرنا إلى بعضها في الصفحات السابقة؛ نجد شيئاً منها في تبادل الرسائل الأدبية المصحوبة أحياناً بتهادي الكتب، وربما بتبادل الزيارات والاتصالات الشخصية، ومن هذه الفئات نجد العلامة اليمني (محمد بن علي الأكوع) (١)، وأخاه العلامة: (إسماعيل الأكوع) (٢)، يتبادلان الرسائل العلمية والثقافية مع

---

(١) محمد بن علي بن حسين بن أحمد بن عبد الله الأكوع: (١٣٢١-١٤١٩هـ): مولده بمدينة (ذمار) وبها نشأ وأخذ عن والده وعن علماء (ذمار) ثم انتقل إلى مدينة (إب) للتدريس فتخرج به عدد كبير من طلاب العلم، وأخذ في مطالعة كتب العلم، والأدب، والتاريخ، وزار أماكن متعددة من أرجاء اليمن وبخاصة الأثرية والتاريخية منها، عين حاكماً (بذي سفال)، وبعد قيام الثورة استدعي إلى صنعاء وعين نائباً لوزير العدل، ثم وزيراً للعدل، ثم وزيراً للأوقاف، كان رئيساً للجنة التأليف والتاريخ اليمني، حقق بعض الكتب التاريخية ومنها: تاريخ عمارة (المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد)، ومنها الجزء الأول والثاني من كتاب: (الإكليل) للهمداني، كما علق على كتاب: (صفة جزيرة العرب)، وحقق كتاب: (قرة العيون) لعبد الرحمن الديبع. انظر ترجمته في: نزهة النظر في تراجم رجال القرن الرابع عشر لمحمد محمد زبارة ج٢ ص٥٦٤-٥٦٥.

(٢) إسماعيل بن علي بن حسين بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل الأكوع الحوالي (١٣٣٨-١٤٣٠هـ): ولد في=

العلامــة السعودي الموسوعي الشيخ: (حمد الجاسر) ومع العلامة المؤرخ السعودي الأستاذ: (محمد بن أحمد العقيلي) [1]، وربما مع أدباء آخرين.

– ونجد العلامة الشيخ حمد الجاسر يتواصل أيضاً مع الأديب اليمني الجنوبي محمد سعيد با غفار، ومع الأديب اليمني هارون بن أحمد العطاس، ومع الأديب اليمني أيضاً محمد بن حسن السقاف وغيرهم وغيرهم من علماء وأدباء اليمن[2].

– كمـا نجد المؤرخ السعودي: (محمد بن أحمد العقيلي) [3] يتواصل مع عدد

=مدينـة (ذمـار) ولازم والده في طفولته يحضر مجالسه العلميـة في المدرسة والمسجد والبيت، تلقى العلم علـى عـدد من العلماء ومنهـم: أحمد بن علي التويـره، وأحمد بن محمد الوائلي، وأحمـد بن محمد الأكوع، وثابـت بـن سعد بهران، وغيرهم، انخرط في مرحلة الشباب في صفوف الحركة الوطنية وبسبب ذلك هاجر عن وطنه سنوات، وبعد قيام الثورة اليمنية عاد إلى صنعاء فعين مستشارا ثقافياً في سفارة اليمن بالقاهرة، وفي سنــة ١٩٦٤م عمـل في وزارة الخارجيــة وعين نائباً ثانيــاً لوزير الخارجية، ثم سفـيراً متجولاً، ثم وزيراً للإعلام، أسس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب وبقي في رئاستها ٢١ عاماً، أنشأ متحفاً للآثار اليمنية، وكان له اهتمام بجمع المخطوطات النادرة، وكان شديد التمسك بالكتاب والسنة حتى أنه كان يشترط في إجازاته العلميــة لـمـن يأخذ عنه ألا يأخذ عن رافضي أو أحد من أهل البدع زار عـدداً من البلدان العربية والأجنبية، وكانـت لـه صلات من خلال رحلاته بعدد كبير مـن العلماء والأدباء ربطته بهم علاقـات وثيقة، له مؤلفات كثـيرة تزيـد عن ١٤ كتابـاً وبعضها في مجلدات من أهمهـا: (أئمة العلم المجتهـدون في اليمن)، و (الدولة الرسولية في اليمن)، و (المدارس الإسلامية في اليمن)، و (هجر العلم ومعاقله في اليمن)، وغيرها. انظر ترجمته في: (موقع على الشبكة العنكبوتية بعنوان: موقع علماء الشريعة) الذي ينقل عن كتاب: (إسماعيل بن علي الأكوع علامة اليمن ومؤرخها) لإبراهيم باجس عبد المجيد.

(١) انظـر كتاب: (العقيلي في رسائل معاصريه) لمحمـد أحمد العقيلي ص١٣٢، ١٣٣، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٥٦، ٤٢٥، ٥٤٤.

(٢) انظر مقال للشيخ حمد الجاسر نشر بصحيفة (الرياض) العدد (١١٤٠١) بتاريخ ١/٦/١٤٢٠هـ.

(٣) محمد بن أحمد بن عيسى العقيلي: (١٣٣٦-١٤٢٣هـ) رائد من رواد الأدب السعودي باحث ومؤرخ وشاعر كبـير ولـد في مدينة صبيا وتلقى مبادئ القراءة والكتابة علـى والده ثم انتقل إلى الحلقات العلمية في بلده=

من علماء وأدباء ومثقفي اليمن أمثال: الأديب اليمني الدكتور: (محمد عبده غانم)، والعلامة اليمني: (حسين الحبشي) [(١)]، والعلامة اليمني: (محسن أبو طالب) [(٢)]، وغيرهم من علماء اليمن، الذين كانت تربطه ببعضهم علائق مودة موصولة تمثلت في تبادل الرسائل وتهادي الكتب وربما تبادل الزيارات.

وكانت لكل من الأديبين السعوديين الشيخ (الجاسر) والأستاذ (العقيلي) اهتمامات كبيرة باليمن وبتاريخ اليمن وبأعلام اليمن، لذلك كان لهما تواصل

=وبعدها أكب على قراءة أمهات كتب التراث وكتب التاريخ والأدب وعكف على دراسة دواوين فحول الشعراء وحفظ المطولات وحين تمكن من أدواته العلمية بدأ بإصدار دراساته وأبحاثه وتحقيقاته التي شملت التاريخ والأدب والجغرافيا وحتى الفنون الشعبيه، عمل في عدد من الوظائف الحكومية ثم تفرغ للعلم والأدب والبحوث، أصدر ما يقارب ثلاثين كتاباً في هذه المجالات وغيرها وحاضر في عدد من الجامعات والنوادي كرم في المهرجان الوطني للتراث والثقافة بوسام الملك عبد العزيز في عام ١٤١٦ باعتباره رائداً من رواد الفكر والأدب في المملكة رشح لجائزة الدولة التقديرية من جهات رسمية وثقافية أصدر أربع مجموعات شعرية ضمتها مجموعته الكبيرة التي سماها (المجموعة الشعرية الكاملة) وأصدرها عام ١٤١٢هـ إلى جانب مؤلفاته النثرية الكثيرة وفي مقدمتها: ١-تاريخ المخلاف السليماني في مجلدين. ٢- أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث. ٣- المعجم الجغرافي لمنطقة جازان. ٤- التاريخ الأدبي لمنطقة جازان في ثلاثة مجلدات. ٥- أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان. ٦- من أدب جنوب الجزيرة. وعشرات الكتب غيرها حيث بلغت مؤلفاته ثلاثون كتابا. انظر ترجمته في كتاب: معجم الأدباء والكتاب السعوديين ج١ ص٢٤٣، وفي كتاب المذاهب الأدبية في الشعر الحديث بجنوب المملكة العربية السعودية لعلي صبح ص١٦١، ١٦٢، وكتاب أدباء سعوديون لمصطفى إبراهيم حسين ص٣٧٥-٣٨٥، وفي كتاب محمد بن أحمد العقيلي العالم الموسوعي والأديب الموضوعي لمحمد صادق عفيفي، وفي كتابنا لمحات عن الشعر والشعراء جازان خلال العهد السعودي ص١٠١-١٠٥، وفي كتاب: شخصيات في الذاكرة لعبد الله الحميد ص١٦٧-١٧٥، ط٢، مطابع بيت الخنساء بالرياض ١٤٢٤هـ وغيرها.

(١) حسين الحبشي: لم تسعفني مصادري بترجمة لهذا العلم.

(٢) العقيلي في رسائل معاصريه ص١٣٩، ١٧٦، ١٧٩، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٤١، ٤٢٥، ٥٤٤.

واتصال ثقافي مع اليمن ومثقفيه، وكان لكل علم منهما اتصاله وتواصله الثقافي بعدد من أعلام وأدباء ومفكري اليمن الشقيق.

فالشيخ (حمد الجاسر) مثلاً كان اهتمامه باليمن وتراثه الفكري وتاريخه كبيراً جدا يظهر ذلك جلياً من خلال رحلاته العربية والعالمية، كما يظهر من خلال محتويات مكتبته، يقول الدكتور عبد الرحمن الشبيلي وكيل وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية سابقاً: (لقد رصدت للشيخ حمد الجاسر في مكتبته الخاصة مائة وثلاثة وعاء من أوعية المعلومات، ما بين مخطوطة، وكتاب، وتقرير، ورسالة تتعلق باليمن، فمن المخطوطات اليمنية في مكتبة الشيخ الجاسر: (الإكليل للهمداني) و (بضائع التابوت في تاريخ حضرموت) لعبد الرحمن السقاف، و (السفينة في نسبة بعض القاطنين في وادي حضرموت المبارك ومساكنهم) للشهاب أحمد بن الحبيب العطاس، وكتابي: (الجوهرتين المائعتين) و (صفة جزيرة العرب) للهمداني، وكتاب: (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) للخزرجي، وكتاب: (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون) للزبيدي...... الخ)[1]، ويواصل الدكتور الشبيلي حديثه عن اهتمامات الشيخ حمد الجاسر باليمن وتاريخه وتراثه العلمي وأعلامه فيقول عن ذلك الاهتمام: (عندما زار الشيخ حمد الجاسر مكتبة الفاتيكان في عام ١٤٠٠هـ نقل بعض ما فيها من مخطوطات مثل: (ديوان

---

(١) اليمن في تراث الشيخ حمد الجاسر لعبد الرحمن الشبيلي ص٩-١٥ (بتصرف) عن كتيب صغير الحجم كبير الفائدة يحمل هذا العنوان، وهو جزء من جهد علمي وبحثي مشكور للدكتور الشبيلي يتناول فيه شيئاً عن التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة وأصله محاضرة ألقاها في مدينة (تريم) بحضرموت.

علـي بـن المقرب العيوني) الـذي خطّه محمد ابن سعيد بن صالـح القلقيلي (من شهـارة) باليمن، وفي عام ١٤٠٤هـ زار الشيـخ الجاسر (معرض الحضارة والفن اليمني) في مدينة (ميونخ).

ويتابـع الدكتـور الشبيلي حديثه عـن جهود الشيخ حمد الجاسـر متابعة كنوز الـتراث اليمنـي فيقول: (وفي إيطاليـا زار الشيخ الجاسر مكتبـة (المجمع العلمي الإيطـالي) وتوقـف عنـد ثلاثة رفـوف في تلك المكتبـة اشتريـت مخطوطاتها من اليمـن ومنها: (تاريخ صنعاء) للرازي، وكتاب: (صفة جزيرة العرب) للهمداني وغيرها......).

والشيـخ حمد الجاسر حقق بعض الكتب التي تتناول تاريخ اليمن ومنها كتاب: (البرق اليماني) لعالم مكة اليمني الأصل (قطب الدين النهروالي) المتوفى سنة ٩٩٠هـ فقد حققه ونشره مضيفاً إليه شروحاً وهوامش كثيرة تؤكد اهتمام الجاسر باليمن وتاريخه.

وفي جامـع (بومباي) يجـد مخطوطة كتاب: (تاريخ صنعاء) للرازي أيضاً، كما يجد مخطوطة (ديوان الشاعر محمد بن حمير) فيكتب عنهما ويصفهما.

ويزور الشيخ حمد الجاسر اليمن في عام ١٤٠٦هـ فيتحدث عن هذه الزيارة في اثنتين وعشرين صفحة من كتابه: (في الوطن العربي) (١).

ثـم يتحدث الدكتـور الشبيلي عن اهتمام الشيخ الجاسـر بنشر كل ما له علاقة

(١) اليمن في تراث حمد الجاسر للشبيلي ص١٥-١٨.

باليمن وتاريخه وأعلامه في مجلته (العرب) فيقول: (وفي مجلته (العرب) وما نشره فيها من أبحاث تاريخية وعلمية عن اليمن بقلمه أو بأقلام علماء آخرين دليل كبير وشاهد على اهتمام الجاسر باليمن وتاريخه وأعلامه، فقد نشر في مجلته العرب خلال الخمسة والثلاثين عاماً موضوعات كثيرة ذات علاقات وثيقة باليمن وتاريخه وحضارته تفيد الباحثين في أي موضوع له علاقة بتاريخ اليمن أو أعلامه)[1].

واهتمامات الجاسر باليمن يؤكدها كذلك صديقه العلامة اليمني الكبير إسماعيل الأكوع في محاضرة ألقاها في مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي بالرياض بتاريخ ١١/٣/١٤٢٣هـ أي بعيد وفاة الشيخ حمد الجاسر بفترة وجيزة وفاءً من العلامة الأكوع لصديقه الجاسر ومما جاء في تلك المحاضرة التي تؤكد التواصل الثقافي وتعززه قوله: (حين توفي أخي محمد بن علي الأكوع أسرع الشيخ حمد الجاسر بكتابة بحث عن أخي موسع استوعب فيه مراحل حياته بما في ذلك جهوده العلمية، ومواقفه الوطنية، وصراعه مع مخالفيه في الرأي والعقيدة، وأشركني معه في ذلك البحث وسماه: (اليمن بين مؤرخين معاصرين)[2]، كما يؤكد العلامة اليمني إسماعيل الأكوع تواصله واتصاله المتميز بالشيخ حمد الجاسر فيقول في جزئية من محاضرته القيمة: (لقد طالت صحبتي مع الشيخ حمد الجاسر واجتماعي به خلال كثير من المؤتمرات والندوات التي كانت تعقد في العاصمة

(١) المصدر والصفحات السابقة.

(٢) محاضرة ألقاها العلامة الكبير إسماعيل بن علي الأكوع في مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي بتاريخ ١١/٣/١٤٢٣هـ يوجد أصلها بالمركز وصورتها لدى الباحث.

الأردنية (عمَّان) أو في بعض العواصم العربية الأخرى)[1].

ويتحدث العلامة الأكوع في هذه المحاضرة عن زيارة الشيخ حمد الجاسر لليمن فيقول: (ذات مرة قلت للشيخ حمد الجاسر: لقد زرت كثيراً من الأقطار العربية، وكثيراً من الأقطار الغربية للبحث عما يوجد في مكتباتها المشهورة، وعن الجديد من نوادر المخطوطات العربية ولكنك لم تزر اليمن وهي ليست بعيدة عنك، فأجاب الشيخ الجاسر بما معناه: القرب المفرط أحد الموانع، ولكنه وبعد مدة قصيرة جاء إلى صنعاء فأقام فيها يومين يوم لمعرفة معالم صنعاء بما في ذلك جامعها الشهير للاطلاع على المكتبة الغربية فيه حيث كان أمينها موجوداً، وكان يطمح أن يزور مكتبة الأوقاف فيه ولم يتسن له ذلك لغياب خازنها، ويوم آخر لزيارة مدينة مأرب وسدها الشهير، غير يوم القدوم إلى صنعاء، ويوم مغادرته إلى الرياض[2].

وفي مقال صوره لي أحد الأبناء من الشبكة العنكبوتية كتب صاحبه عن ذكرى وفاة العلامة : (محمد بن علي الأكوع) وفيه ما يؤكد الصلات الثقافية بينه وبين العلامة السعودي الشيخ: (حمد الجاسر)، ومما جاء في هذا المقال الذي لا يحمل اسم كاتبه أو مصدره ما يلي: (كانت وفاة القاضي الأكوع في شهر رجب من عام ١٤١٩هـ أي قبل وفاة الجاسر بعامين تقريباً كتب خلالهما الجاسر عدة مقالات مؤثرة في ملحق الأربعاء بجريدة المدينة، أودع فيها الكثير من ذكرياته

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٣.

ومعارفــه عن صديقه القاضــي الأكوع وأخيــه إسماعيل الأكوع، وبــث فيها شجونه فأجاد وأفاد) وعن التواصل الثقافي المتين بين العلامتين (الجاسر والأكوع) يذهب صاحــب المقال إلى القول: (اعتنى العلامة الأكــوع بتحقيق ونشر ما وجد من تراث لســان اليمن (الحسن الهمداني) ويشترك معه في هــذا الاهتمام علامة الجزيرة حمد الجاسر لذلك نجد الأكوع يعهد إلى الجاسر بالإشراف على طبع كتاب (صفة جزيرة العرب) الذي حققه الأكوع، ليس هذا فقط بل ويخوله أن يحذف ويعدل من تعليقاته بما يراه الجاسر مناسباً، ثقة واطمئنانا إليه وإلى علمه).

وأثنــاء حديث صاحب المقــال عن مؤلفات وتحقيقات العلامــة الأكوع وبعد أن ذكر أربعة كتب منها قال:

٥- الجوهرتان العتيقتان، وهذا كتاب طبعه العلامة الجاسـر وأضاف إليه بحثاً عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب في عام ١٤٠٨هـ).

قلــت: أولاً المقال يؤكد ما ذكــره العلامة اليمني إسماعيل الأكوع في محاضرته التــي ألقاهــا في مركــز الشيخ حمد الجاســر الثقافي بعد وفاته ،وتحــدث فيها عن الصلات الثقافية المتينة التي تربط الشيخ الجاسر به وبأخيه (محمد).

ثــم قلت: هكذا يكون التواصل الثقافي الفاعل المثمر بين علماء ومفكري اليمن والسعوديــة، ولا شك بأن العالمين السعوديين: الجاسر، والعقيلي، والعالمين اليمنيين إسماعيل ومحمد الأكوع يمثلون هذا النموذج الرائع للتواصل.

ولم تكــن صلات الشيخ الجاســر بعلماء اليمن ومثقفيه محصــورة في العالمين

الفاضلين محمد بن علي الأكوع وإسماعيل بن علي الأكوع وإنما كانت له صلات علمية وثقافية بعلماء ومفكرين يمنيين آخرين، وقد أشار إلى شيء من ذلك في مقال له نشره في صحيفة الرياض بتاريخ ١/٦/١٤٢٠هـ تحدث فيه عن صلاته واتصالاته الثقافية مع عدد كبير من علماء وأدباء ومفكري اليمن ومنهم العلامة الشاعر: (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، وحفيده محمد بن حسن السقاف، ويقول عن الأول: عرفته في مكة المكرمة وكان يكرمني بالزيارة كثيراً، كما تحدث في هذا المقال عن صلاته الثقافية وتواصله بعلماء وأدباء ومفكرين يمنيين آخرين)[1].

- كما كانت للأديب المؤرخ السعودي: (محمد بن أحمد العقيلي) صلات أدبية وثقافية بعدد كبير من أدباء وعلماء ومؤرخي اليمن أمثال العلامتين اليمنيين: الشيخ إسماعيل الأكوع وأخوه محمد بن علي الأكوع، والعلامة محسن أبو طالب، والعلامة حسين الحبشي، والشاعر الباحث الدكتور محمد عبده غانم وغيرهم وغيرهم ممن راسلهم وراسلوه وهاداهم الكتب والدواوين الشعرية وأهدوه كذلك مما يؤكد اهتمام هذا الأديب السعودي (العقيلي) باليمن وبثقافته وبتاريخه وبأعلامه.

لقد أصدر المؤرخ (العقيلي) عدداً من الكتب والدراسات والتحقيقات ذات الصلة باليمن وبتراثه وبتاريخه وأعلامه نذكر منها على سبيل المثال:

---

(١) صحيفة الرياض العدد (١١٤٠١) بتاريخ ١/٦/١٤٢٠هـ، وانظر كتيب (اليمن في تراث حمد الجاسر) لعبد الرحمن الشبيلي ص٢٣-٣٥.

١- كتابه: (من أدب جنوب الجزيرة بحوث ودراسات).

وهو كتاب يقع في أكثر من مئتين وخمسين صفحة وقد أصدره العقيلي في عام ١٤٠٤هـ ومن أهم الموضوعات التي تناولها في هذا الكتاب:

١- الإمارة الزيادية في اليمن.

٢- الإمارة النجاحية في اليمن.

٣- القاضي الأديب محمد بن الحسين بن عقامة (من أدباء القرن الخامس في اليمن).

٤- الشاعر علي بن سليمان العكي (من شعراء القرن السادس في اليمن).

٥- الشاعر الكبير محمد بن حمير (شاعر اليمن في القرن السادس).

كما تحدث فيه عن أعلام كثيرين من علماء اليمن في العصور التالية حتى وصل إلى القرن الرابع عشر الهجري.

وقد تناول في هذا الكتاب أيضاً موضوعات جغرافية وتاريخية عن عدد من المدن اليمنية مثل: مدينة (الحديدة)، و (شرجة زبيد)، و (شرجة حيس) وغيرها وختم كتابه هذا بدراسة أدبية لديوان الدكتور محمد عبده غانم (موج وصخر) الذي طبع في القاهرة.

كما حقق الشيخ (العقيلي) ديوان (السلطانين الحجوريين) ونشره في عام ١٣٧٤هـ ثم أعاد طباعته ثانية بمطابع العقيلي في عام ١٤٠٣هـ [١].

---

(١) انظر غلاف مجموعته الشعرية الخلفي الداخلي ص٧٠٩.

- وفي عام ١٣٨٩هـ أصدر الشيخ (العقيلي): (التصوف في تهامة) وقد تحدث فيه عن عدد كبير من أعلام التصوف في اليمن وبخاصة في القرون الخامس والسادس والسابع والثامن.

كما أن كتبه المتعلقة بالدراسات الأدبية ككتابه: (دراسات أدبية) و كتابه: (مقالات العقيلي) لا تخلو من دراسة علم من أعلام اليمن، أو ديوان شعري لأحد شعراء اليمن، أو الحديث عن أسرة علمية يمنية، أو عن منطقة جغرافية في اليمن.

أما كتابه (العقيلي في رسائل معاصريه) فهو مليء بالرسائل المتبادلة بينه وبين عدد من أدباء ومثقفي اليمن.

وفي مجلة (العرب) و (المنهل) مقالات للشيخ العقيلي ودراسات عن الأدب اليمني وعن بعض أعلام وأدباء اليمن منها على سبيل المثال مقاله: في مجلة (العرب) بعنوان: (أبحاث أدبية من جنوب الجزيرة) ومقالة أخرى بعنوان (السلطان يوسف بن عمر الرسولي) الذي امتد سلطانه في القرن السابع إلى عمان وإلى الحجاز) [1] .

وفي الصفحات التالية سنشير إلى بعض تلك المراسلات والتواصلات الثقافية بين بعض أدباء ومفكري البلدين الشقيقين: (السعودية واليمن).

وسنبدأها برسالة الأديب اليمني العدني الدكتور: (محمد عبده غانم) الذي كان على صلة وتواصل مع الأديب السعودي الكبير المؤرخ محمد بن أحمد

(١) اليمن في تراث حمد الجاسر ص١٧.

العقيلي، فكان يراسله قبل حصوله على الدكتوراه وربما قبل الماجستير وكان يطلب في رسائلــه من العقيلي بعض المصادر المعينة لــه في دراسته، ولعلي أنقل بعض تلك الرسائـل المتبادلـة بـين (العقيلي) و (غـانم) والتي تؤكد التواصـل الثقافي بين أدبـاء البلديـن؛ حيث يذكر (غـانم) في رسالته التـي بعثها للعقيلـي بتاريخ ٢٤/ مايـو ١٩٦٤م بـأن العقيلي قد تجاوب مـع رسالته الأولى التي طلـب إليه فيها عدة طلبات، كما ذكر (غانم) بأنه قد أرفق برسالته تلك ديوانه: (موج وصخر) والذي استقبلـه الأديـب العقيلي وكتب عنه دراسة أدبية احتفاليـة نشرها في كتابه: (من أدب جنـوب الجزيرة) كمـا أشاد الأديب اليمني: (محمد عبده غانم) في رسالته بسرعة تجاوب الأديب السعودي (العقيلي) مع خطابه الذي بعثه إليه، وذكر أن (العقيلـي قام بتزويده ببعض المراجع، بـل بتوجيهه إلى تقسيم رسالته العلمية، مما جعلـه يكتب إليه خطاباً مطولاً يحشد فيه أسئلـة ثقافية مهمة قد لا يجد لها إجابة حتـى عند الدكتـور المشرف على رسالته؛ حيث سأله عن كتـب، وعن دواوين، وعن شعـراء، وعن وفيات، وعن أغـاني؟ وعن قضايا ثقافية كثيرة، وفيما يلي مقتطفات من ذلك الخطاب.

يقـول الأديب: (محمد عبده غانم) في رسالتـه إلى أديبنا الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي:

(الأخ المكـرم والأديـب الشاعر الملهم السيد محمد بـن أحمد عيسى العقيلي تحية الإخاء العربي الأصيل تهدى من سفح شمسان إلى حمى جازان مرفقة بأجزل

الشكر علـى رسالتكم المؤرخة في ٢٢/ إبريل ١٩٦٤م. ولكم سرني أنكم توفقتم إلى كتابـين آخرين ستكـون لهما دون شك مكانتهمـا المرموقة في تاريـخ وآداب جنوب الجزيرة العربية، ويؤسفني أنكم لم توفقوا بعد إلى طبع كتابكم في (التاريخ الأدبي لتهامة) الذي أرجو أن يصدر في المستقبل القريب لتزداد به الفائدة.

أمـا اقتراحكم بأن أقسـم رسالتي إلى قسمين: الشعـر الغنائي في الفصحى، والشعـر الغنائي في الحميني، فاقـتراح وجيه، ولكن الشعر الفصيح الذي يدخل في نطـاق الأغاني المعروفـة بالصنعانية قليل لا يكاد يبلغ عشـر قصائد منها قصيدة (ابـن هتيمـل)، وفوق ذلـك فأنا لا يهمنـي كل الشعر الغنائي، بل مـا يعرف بشعر الأغـاني الصنعانيـة لأنـه الموضوع الـذي اقترحتـه لرسالتي، والـذي وافقت عليه الجامعـة التـي أدرس بهـا، وشكراً جزيلاً علـى قصيدة عبد الرحيم بـن إبراهيم العلـوي، ولكـن قبل أن أضمهـا إلى مجموعتي للبحـث أود أن أعرف مـا إذا كانت تغنـى؟، وإذا كان لحنهـا يمكن أن يعتبر من ألحان الغنـاء الصنعاني؟، كما أود أن أعـرف إذا كانت قصيدتا العنسي اللتان أشرت إليهما في كتابكم تغنيان؟ وإذا كان لحناهـا يدخلان في مجموعة ألحـان الغناء الصنعاني؟ وقد طبع ديوان العنسي في مصر بعنوان: (وادي الدور) وذلك في المطبعة السلفية، ويؤسفني جداً أني لا أملك إلا نسخة واحدة منه، أما ديوان ابن شرف الدين فقد كان عندي منه نسخة ثانية، ولكنـي على ما يظهـر قد فقدتها، ولم أستطع أن أعثر على نسخة أخرى في مكتبات عـدن، ولولا فضـل السيد (علي المؤيـد) وهو الذي علق على الديـوان وضبطه مع

الأستاذ إسماعيل الجرافي لما كان لدي من الديوان حتى هذه النسخة الوحيدة التي أملكها، وكم يؤسفني لذلك أني لا أستطيع أن أبعث إليكم بنسخة من الديوان، ولكنني أقترح أن تكتب إلى السيد علي بن إسماعيل المؤيد إلى عنوانه بشارع سعود بالدقي بالقاهرة وأنا متأكد بأنه سيهديكم نسخة من الديوان، وربما أهداكم أيضاً نسخة من ديوان العنسي المطبوع.

وقد تفضلتم فذكرتم أن لابن الصائغ قصيدته الغنائية المشهورة: (نسيم بلغ إلى الغالي) فشكراً جزيلاً على هذه الفائدة القيمة لأنني كنت أجهل مؤلف هذه القصيدة فهل لكم أن تفيدوني أيضاً عن تاريخ وفاة الشاعر ومعاصره (ابن جابر رزق)؟، وعن تاريخ وفاة الشاعر (عبد الرحيم البرعي) صاحب المدائح النبوية المشهورة؟ لأني لم أجد لها ذكراً في ديوانه!، وعن تاريخ وفاة الشاعر (عبد الله ابن أبي الموزعي) الشهير بـ (المزاح) والذي عاصر ومدح الملك الرسولي: (يحيى بن إسماعيل) المتوفى سنة (٨٤٢هـ)؟ وعن وفاة الشاعر: (المطهر بن موسى بهران) الذي عاصر ومدح الإمام (شرف الدين) المتوفى سنة ٩٢٣هـ؟، وعن تاريخ وفاة الشاعر (حيدر أغا) الذي تنسب إليه القصيدة الغنائية المشهورة: (من يبلغ غزال رامه)؟، وعن تاريخ وفاة (إسحاق بن عبد الكريم بن أحمد) صاحب كتاب: (ذوب العسجد)، وعن تاريخ وفاة (عبد الكريم ابن إسحاق) صاحب القصيدة المشهورة: (يا ظبي صنعا اليمن خل البعاد)؟، هذا وأرجو أن تدلوني على أيِّ قصائد أو موشحات غنائية يمكن أن تعتبر من مجموعة الغناء الصنعاني

مـع أسماء أصحابها وتاريخ وفاتهم، وإن أمكن إعطـاء نبذ من تراجمهم، ولا شك أنكـم تعرفون ديوان عبـد الرحمن الآنسي المطبوع في الشعـر الحميني والمعروف بـ (ترجيـع الأطيـار) فهـل لي أن أرجوكم أن تدلوني على ما يتغنـى به من قصائده بألحان الغناء الصنعاني؟ ولكم جزيل الشكر ووافر الاحترام.

ولست أشك بأن الأديب السعودي الكبير: محمد بن أحمد العقيلي قد رد على هذه الرسالـة كما رد على الرسالة السابقة لها، ولاشك بأنه قد أجاب على تلك التساؤلات بـروح العالم الأديـب، وأن التواصل بين الأديبين قد ازداد عمقـاً، ولعلي أسأل القارئ الكـريم بعد قراءته لرسالة الأديب اليمني: (محمد عبده غانم): هل مرت بك رسالة ثقافية بين أديبين لم يلتقيا قبلها كهذه الرسالة؟؟ وهل هناك شاهد أدبي وثقافي تجده يمكن أن يؤكد على التواصل الثقافي بين مثقفي البلدين أكثر من هذا؟؟

ومع أننـي لا أطمع في سرعة الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها من التساؤلات التي يمكن أن يطرحها من يقرأ رسالة الأديب اليمنـي (غانم) إلى الأديب السعودي (العقيلي)، نعم، لا أريد التسرع قبل التعمق في تأمل رسالة (محمد عبده غانم)، وذلك كله قبل الإجابة على تلك الأسئلة المفترضة وما يتفرع عنها وقبل الإجابة على حوارات ورسائل أخرى سأتولى ذكر بعضها في الصفحات والسطور التالية:

– فقـد تبادل الأديب السعودي (محمد بن أحمـد العقيلي) الرسائل الأدبية ومهـاداة الكتـب مع الأديب اليمني الكبير العلامة: (محمـد بن علي الأكوع)، وفي السطـور التالية سنختار رسالة موجهة من العلامـة المؤرخ اليمني الأديب (محمد

بن علي الأكوع) الحوالي بتاريخ ١٣٧٩/٤/٢٠هـ إلى الأديب المؤرخ السعودي: محمد بن أحمد العقيلي يشكره فيها على إهدائه بعض كتبه ويثني على جهود أديبنا العقيلي، وقبل ختامها يقول: (وقبل وبعد فأستميحكم العذر في تأخر رسالتي هذه لعدم استقراري في (تعز) في المدة الفايتة وبعد عودتي من الحجِّ، كما أني لم أقف على رسالة منكم بطي الكتاب، أفهم منه أمر رسالتي الأولى، فالرجاء الإفادة هل أرسلتم برسالة في طيّ التاريخ أم التاريخ فقط؟ فعندي نهمة المراسلة، ولي رأي آخر، وهو إبداء ملاحظة على التاريخ في نقاط بعضها يعود للمطبعة، وبعضها في صميم الموضوع، وبعضها طلب استفادة من حضرتكم في بعض التواريخ والأماكن والبقاع إلى آخره وختم رسالته بالدعاء)[١].

ومثل المؤرخ الأكوع نجد العلامة اليمني (محسن أبو طالب)[٢] قاضي بلدة (رازح) اليمنية يتواصل مع الأديب السعودي المؤرخ (محمد بن أحمد العقيلي) حيث نجد في هذا السياق رسالة موجهة للأديب المؤرخ السعودي محمد بن أحمد العقيلي من

---

(١) العقيلي في رسائل معاصريه ص١٣٢-١٣٣.

(٢) محسن بن أحمد بن حسن بن محمد بن قاسم أبو طالب: (١٣٣٢-....) ولد في بلدة النضير بمديرية (رازح) في اليمن عالم مشارك، وشاعر أديب، حفاظة، اشتغل بالقضاء وتدرج فيه حتى أصبح حاكماً شرعياً لناحية (شدا) ثم حاكماً شرعياً لقضاء (رازح) بمحافظة (صعده)، كتب مقالات ودراسات نقدية في مجلة المنهل السعودية كما كتب بعض التراجم فيها (يذكر الأكوع أشياء ذات شأن عن علاقته المتينة بالأديبين السعوديين عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل، والمؤرخ الأديب محمد بن أحمد العقيلي، وعن صلاته بالعقيلي يذكر الأكوع بأن أبا طالب (أعان المؤرخ العقيلي بكثير من الفوائد التاريخية وأمده بالمراجع التي كانت لها آثار عظيمة في مؤلفات العقيلي)، انظر ترجمته في:هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع ج٤ ص٢١٨٩-٢١٩٠، وفي كتاب: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج٢ ص٨٨٥-٨٩٣ وغيرها.

الأديب والمؤرخ اليمني والحاكم الشرعي لقضاء رازح في اليمن العلامة: محسن بن أحمد أبو طالب الذي كان على اتصال وتواصل ثقافي دائم بأديبنا (العقيلي) وهذه الرسالة كسابقاتها تؤكد على التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية أبلغ تأكيد: يقول الأديب اليمني (محسن أبو طالب) في رسالته إلى (العقيلي) المؤرخة في ١٣٨١/٤/١٩هـ:

(السيد الأخ العالم الكبير البحاثة الأديب المصقع محمد بن أحمد عيسى العقيلي حفظكم الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: لقد سبق أن حررت كتاباً (يقصد رسالة) في كتاب الأخوين: محمد، وأحمد: حفظهما الله، وهذا (أي هذه الرسالة) مع الأخ عبد الله مطهر، أفيدكم أن الكتاب (ربما يقصد كتاب: المخلاف السليماني للعقيلي) ولقي قبولاً، وطنّ ذكره في كل مجلس، وتداولته الأيدي، وأرضى الخاصة والعامة، وأبشرك أن الديوان العجيب الذي أخرجتموه للناس من حيّز العدم، بعد أن عجز غيرك من ذوي الحول والطول، وصل الكتاب وصار محل إعجاب كل مطلع، ونلتم به الفخر الكبير ....) إلى أن يقول: (والديوان أهديته لأمير الشام، ولأمير (رازح) ولأمير (خولان) وأرسلت ثلاث نسخ إلى (ضحيان) .... ثم ختم الرسالة بعتاب أخوي رقيق لصديقه (العقيلي) يقول فيه: (وإلى اللقاء، ونسيتمونا من جرائد ومجلات مصرية .... الخ)[1]. وفي هذه الرسالة يتضح التواصل الثقافي الفاعل بين مثقفي البلدين.

---

(١) العقيلي في رسائل معاصريه ص١٧٩.

- أما الرسالة الرابعة التي اخترناها لتأكيد التواصل بين علماء ومفكري ومثقفي البلدين الشقيقين: (اليمن والسعودية) فهي رسالة مهمة يمكن أن نعتبرها رسالة تعريف، وتعارف، وتواصل، بين عالمين جليلين هما: الداعية اليمني الإسلامي الكبير: (محمد بن سالم البيحاني) [١]، والشيخ الداعية السعودي: (عمر بن أحمد جري المدخلي) [٢] وتاريخ هذه الرسالة الوثيقة يعود إلى عام

(١) محمد بن سالم البيحاني (١٣٢٦-١٣٩١هـ): علم وفقيه، وخطيب، ومصلح، وكاتب، (ضرير) ولد في (بيحان) بمحافظة (شبوة)، ودرس في (حضرموت) على علمائها ثم انتقل إلى (عدن) فتتلمذ على الشيخ أحمد العبادي، سافر إلى (مصر) لطلب العلم وحين عاد إلى عدن اصطدم بالأشكال الشعبية من التدين ووجد نفسه في حرج حيث لم يستطع مسايرة عملية التغريب التي كان يدعو إليها البعض، ووجد أن الأهم هو إصلاح المجتمع والفكر وتنقية الإسلام مما لحقه من بدع وخرافات فأنشأ المعهد العلمي الإسلامي في مدينة عدن، كان خطيب جامع (العسقلاني) بعدن ومن منبر هذا الجامع خاض عدداً من المناقشات الفكرية مع مختلف الاتجاهات، كتب كثيراً من المقالات الإصلاحية، والتربوية في الصحف اليومية وأدلى بأحاديث منتظمة للإذاعة، وكان له دور مشهود في النضال ضد الاستعمار البريطاني وحث الناس على محاربته، له عدد من المؤلفات بعضها نشر وبعضها لم ينشر ومنها: (إصلاح المجتمع)، و (الفتوحات الربانية)، و (أشعة الأنوار)، و (رباعيات البيحاني)، وقد غادر عدن بعد الاستقلال إلى (تعز) حيث توفي بها في عام ١٣٩١هـ. انظر ترجمته في الموسوعة اليمنية ج١ ص٥٧٤-٥٧٥.

(٢) عمر بن أحمد بن حسين بن محسن بن حسين بن أحمد جردي المدخلي (١٣٤١-١٤٣٠هـ): ولد في قرية الجرادية القريبة من مدينة (صامطة) التابعة لمنطقة جازان بالمملكة العربية السعودية ونشأ بها في حضن والديه، بدأ تعليمه في كتاتيب القرية على يد مجموعة من المشائخ وفي عام ١٣٦٠هـ التحق بحلقة الشيخ العلامة عبد الله القرعاوي فدرس عليه ثم على الشيخ حافظ الحكمي ولازمهما حيث تفرغ لطلب العلم وكان يكتب دروسه التي يحصلها على مشائخه بقلمه وكان شيخه القرعاوي يصطحبه في أسفاره باعتباره من كتابه الخاصين وكان يكلفه بالشؤون المالية للصرف على الطلاب والمدرسين كما كلفه بالتدريس والوعظ والإرشاد في عدة أماكن ومنها مدينة بيش وقرية المحلة، وإمامة جامع صبيا، ثم جامع صامطة وفي عام ١٣٧٣هـ عين موظفاً في محكمة صامطة، ثم انتقل إلى معهد صامطة العلمي في عام ١٣٧٥هـ طلب الإحالة =

١٣٦٧هـ أي في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، وهـي بقلم العلامة (البيحاني) صدرها بالبسملة، والحمدلـه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، ثم قال:

(وبعد: فقد تشرفت بمعرفة الأخ في الله الشيخ عمر بن أحمد جردي المدخلي مـن أهـالي قريـة: (الجراديَّة) مـن أعمال (صامطـة) التابعـة لمنطقة جازان بالمملكة العربية السعودية، وذلك في١٧/ رجب من عام ١٣٦٧هـ في مدينة (عدن) .... وقد توثقت الصلات، وقويت الأخوة الدينية بيننا وبينه، والحمد لله الذي يجمـع قلوب المؤمنين على توحيده وعبادته، ولبقاء الودّ والتذكار بهذه الأخوة كتبت لـه هذا بتاريخ ١٤/ شعبان ١٣٦٧هـ والمراد منه أن يدعو لنا بكل خير، ونحن كذلك له داعون ولن ننسى هذه الأخوة بإذن الله.

والمطلـوب من الأخ (عمر) أن يبلِّـغ سلامنا وأزكى تحياتنـا لمشايخه وإخوانه وجميـع أصدقائـه وأن يعرفهـم بنا كمـا عرّفنا بهم، وقـد أهديته بعضـ نسخ من مؤلفاتي ....)

وختمهـا بقولـه: (وسلام الله عليه وعلـى شيخه: الشيخ عبـد الله بن محمد القرعـاوي، وكذلك الشيخ حافظ بن أحمـد الحكمي، وعلى فضيلة الشيخ عبد الله

=علـى التقاعد عام ١٤٠٧هـ لمرض ألم به له مؤلفات منهـا: (النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعوديـة وصاحبها فضيلة الشيخ عبد الله القرعـاوي). توفي بمدينة صامطة عام ١٤٣٠هـ. انظر ترجمته بقلـم ابنـه د. عبد الرحمن بن عمر المدخلي في الصفحات الأولى من كتابه: (النضهة الإصلاحية في جنوب المملكة).

ابن سليمان الحميد قاضي جازان..... الخ) [1] ثم التوقيع باسمه الصريح: محمد بن سالم البيحاني.

ولا شك بأن هذه الرسالة أو الوثيقة ومثيلاتها تؤكد على التواصل الثقافي بين علماء ومفكري اليمن والسعودية أكبر تأكيد، فقد تعارف الشيخان وتبادلا المؤلفات والكتب وتعرف كل منها على بعض علماء البلد الآخر عن طريق صديقه، وربما تبادلا وثائق التعارف الثقافي، وربما استمر التواصل بينهما حتى وفاتهما!! وإذا أضفنا هذه الرسالة إلى تلك الرسائل التي أوردناها في الصفحات السابقة وجدناها جميعها تؤكد عمق الصلات والتواصل بين مثقفي البلدين كما تؤكد اهتمام علماء ومثقفي البلدين بذلك الاتصال والتواصل، ومن المؤكد بأن محفوظات أدباء ومفكري البلدين تضم عدداً كبيراً من أمثال هذه الرسائل.

النهضة التعليمية في البلدين تساهم في تعزيز التواصل الثقافي

كما كانت اليمن ومدنها العلمية مقصداً لعدد من طلاب العلم من أبناء بلاد الحرمين في فترات متفاوتة فقد كانت بلاد الحرمين مقصداً لطلاب العلم من أبناء اليمن على مر التاريخ وزاد إقبالهم في العهد السعودي فبعد أن انتهى الملك المؤسس (عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية) من معارك توحيد الوطن الحربية والسلمية، باشر معركة سلمية أكبر هي معركة بناء الوطن وبناء إنسان

(١) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها الشيخ عبد الله القرعاوي لعمر أحمد جردي مدخلي ص٢٣٠ (قسم الوثائق المصورة في آخر الكتاب) ط٢ ١٤١٦ مطابع أضواء الجنوب.

هـذا الوطن (فصب اهتمامه على قضايا: الأمـن، والتعليم، والصحة، والزراعة) [(١)] وإدراكاً مـن الملـك عبـد العزيـز أن التعليم هـو الأساس المتـين لنهضة الوطن وأبنائـه فقـد أولاه اهتمامـاً بالغاً، وبـذل في سبيله جهوداً عظيمـة ذللت كل صعب فأنشأ المدارس والمعاهـد في جميع مدن المملكة العربية السعودية واستقدم المعلمين مـن بعض البلدان العربية وشجـع الكفاءات الوطنية واستطـاع خلال فترة وجيزة أن يحقـق للتعليـم في بـلاده قفزات سريعة برغـم شح الموارد آنـذاك. (فقد بادر فـور استتباب الأمن في منطقة جازان بتوجيه ولاتـه في منطقة جازان بأن يشجعوا العلمـاء علـى القيام بواجبهم في تعليـم الناس وتوجيههـم) [(٢)]، فانتشر التعليم في سائـر مناطق المملكة وكان نصيب منطقة جازان مـن تلك النهضة التعليمية وافراً باعتبارهـا من المناطق التي عرفت التعليم الأهلـي مبكراً ولذلك فقد ظلت منطقة جـازان وحلقـات العلم في بعضـ مدنها العلمية منـارة إشعـاع في جنوبي الجزيرة العربية، وكان لها اتصال وتواصل علمي وثقافي مع عدد من المدن العلمية في اليمن وفي الحجـاز وذلك منذ القرن السابع الهجري ثم استمـرت حلقات مدنها العلمية تمثـل منابـر حضارية على مرّ التاريخ، وإن لم تسلم بعضـ أطرافها مما ابتليت به معظم أنحاء الجزيرة العربية من تفشي الجهل وانتشار شيء من الخرافة.

---

(١) الملـك عبد العزيز عبقريتـه العسكرية وحنكته السياسية ص٨٤، لبندر عمـر ناحل، من مطبوعات الحرس الوطني بالرياض ١٤٢٠هـ.

(٢) انظـر صـ١٠٣-١٠٤ من كتابنا (نبـذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخـلاف السليماني وتهامة عسير) ط١، نادي جازان الأدبي ١٤٠٨هـ.

- كمـا اهتم الملك عبد العزيز بالدعوة الصافية إلى دين الله حيث وجه عدداً كبيراً من العلماء والدعاة والمعلمين إلى مناطق المملكة وفي مقدمتها منطقة جازان التي (بادر الملك عبد العزيز بإرسال الدعاة إليها)[1]، فقيض الله بفضله لمنطقة جازان بعض الدعاة المخلصين الذين وصلوا إليها بُعيد انضمامها إلى الكيان الكبير المملكة العربية السعودية بفترة وجيزة فنشروا فيها العلم وأرشدوا الناس إلى الخير والصـلاح فعاد إليها وهجها العلمي ورجعت بعض مدنها كما كانت مهاجراً علمياً يفـد إليها طلاب العلم مـن كل مكان؛ وقد تعاقب نفر من أولئـك الدعاة على أداء رسالتهـم الدعوية في المنطقة وتوعية الناس، وكمـا اهتم الملك عبد العزيز بتوجيه أبنـاء وطنه وتوعيتهم فقـد كان اهتمامه بالتعليم النظامـي ونشره في ربوع الوطن كبـيراً جداً، مـن أقصاه إلى أقصاه ففي منطقة جازان مثـلاً بدأ التعليم النظامي بهـا مبكراً ففي عام ١٣٥٥هـ صـدر الأمر السامي رقـم ١٩٨٨ بافتتاح أول مدرسة ابتدائيـة في المنطقـة هـي (مدرسة الملك عبـد العزيز) في مدينة جـازان وعرفت بالمدرسـة (العزيزية) ثم توالى بعد ذلـك افتتاح مدارس أخرى في المدن الرئيسة بالمنطقة، ففي عام ١٣٥٧هـ تم افتتاح مدرستين في مدينتي: صبيا، وأبو عريش، ثم تتابع الخير بعد ذلك فعم التعليم معظم مدن وقرى المنطقة مثلها مثل بقية مناطق المملكة العربية السعودية التي شهدت نهضة تعليمية شاملة.

(وفي عام ١٣٥٨هـ وصل إلى مدينة صامطة بمنطقة جازان الداعية الإسلامي

---

(١) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار السياسي والاجتماعي للدكتور السلمان ص٢٥١.

الكبير العلامة الشيخ: عبد الله بن محمد القرعاوي[1] فاتخذها مقراً ومنطلقاً لرسالته) [2]، فنشر فيها نور العلم والهداية، ثم انطلق منها إلى بقية مدن وقرى منطقة جازان[3] (يعلم الناس، ويعظ ويرشد، وينبههم إلى كل أمر مخالف لتعاليم الشرع الحنيف، فأقبلت عليه الجموع المتلهفة إلى العلم والمعرفة، فانبثق نور الحق، وسطعت في الأفق أشعته الوضاءة)[4] ، ثم امتد نشاط هذا الداعية ليشمل معظم مدن وقرى وهجر الجنوب (حيث أوكل إليه فتح وتأسيس عدد من المدارس في

(١) عبد الله بن محمد القرعاوي (١٣١٥-١٣٨٩هـ): الشيخ العلامة الداعية الإسلامي الكبير عبد الله بن محمد بن عثمان بن علي بن محمد بن نجيد القرعاوي ولد بمدينة عنيزة بالقصيم في نجد، وحفظ القرآن الكريم في كتاتيبها، ثم التحق بحلقات بعض علمائها، رحل في طلب الرزق والتجارة وطلب العلم إلى بلدان الشام والعراق والكويت والبحرين وغيرها، وفي عام ١٣٤٢هـ حج إلى بيت الله الحرام، ثم رحل في طلب العلم إلى الهند وإلى كردستان وهندستان، وفي عام ١٣٤٤هـ سافر كذلك لطلب العلم إلى بمبي والتحق بالمدرسة الرحمانية ودرس بها ثمان سنوات متقطعة، وحصل على شهادتها العالمية، ومن مشائخه بهذه المدرسة: أحمد الله بن أمير القرشي الدهلوي، وقد حصل على إجازة علمية في الحديث من المدرسة الرحمانية. ومن مشائخه في نجد: الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد الله السليم، ومن مشائخه في الأحساء: الشيخ: عبد العزيز بن بشر، وفي قطر الشيخ: محمد بن مانع وغيرهم. رشح للقضاء ولكنه اختار مجال الدعوة والتعليم احتساباً في بادئ أمره، وقد اختار الله له منطقة جازان فقصدها في عام ١٣٥٨هـ ونشر فيها وفي منطقة الجنوب أنوار العلم بدعم سخي من الملك عبد العزيز ثم من الملك سعود وكانت له أياد بيضاء في نشر العلم والدعوة إلى الله وبناء المساجد وحفر الآبار وقد ترك آثاراً حسنة حيث نبغ من تلاميذه علماء أجلاء وطلاباً حملوا الراية العلمية من بعده، توفي سنة ١٣٨٩هـ. انظر السمط الحاوي للفيفي ص٩-٢٩ (بتصرف)، وانظر الأعلام ج٤ ص١٣٥.

(٢) النهضة الإصلاحية ص٢١.

(٣) السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي ص٢٨، لعلي بن قاسم الفيفي، طبع مطابع الصفا بمكة ١٤١١هـ.

(٤) السمط الحاوي ص٣٠-٣١ بتصرف.

الجنــوب واعتمدت لفتحها الأموال اللازمة وتم ذلك بدعم سخي من الملك المؤسس (عبد العزيز آل سعود) وأبنائه الميامين) [١].

(ففــي عام ١٣٦٢هـ حصل الشيــخ (القرعاوي) على إعانة شهرية من الملك عبد العزيز) [٢]، (وفي عام ١٣٦٣هـ بادر وليّ العهد آنذاك (الملك سعود) بإعانة مالية كبيرة تمثل تغطية كاملة لنفقات مدارس الجنوب من ماله الخاص واعتبرها عادة سنوية) [٣].

- وفي عهد الملك سعود شهد التعليم في المملكة العربية السعودية قفزات هائلة، فتضاعفـت أعداد المدارس أضعافاً مضاعفة وشهـدت البلاد ميلاد أول جامعة في جزيـرة العرب وتطور التعليم في المملكة كمــاً وكيفاً وكان نصيب منطقة جازان من تلـك النهضة التعليميــة وافراً فزاد عدد المدارس وغطى أجـزاء كبيرة منها ودخل العلـم والتعليم إلى غالب بيوتاتها، سواء عن طريـق المدارس النظامية أو بواسطة التعليم الأهلي الذي كان يرعاه العلامة الداعية الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي بدعم سخي من الدولة.

(وفي عام ١٣٧٣هــ صدر أمر الملك سعود بأن تضم مدارس الشيخ القرعاوي إلى وزارة المعــارف ويكون الشيخ القرعاوي معتمداً للمعارف في جازان وملحقاتها، وكان عـدد مدارس الجنوب آنذاك تزيد عــن مائة مدرسة وكان جلالة الملك سعود

---

(١) المصدر السابق ص٨٠-٨١.

(٢) المصدر السابق ص٤١.

(٣) النهضة الإصلاحية ص٧٤.

ينفق عليها من جيبه الخاص)[1].

وفي عام ١٣٧٤هـ صدرت الموافقة بإنشاء معهد صامطة العلمي(وافتتحه الملك سعود بن عبد العزيز أثناء زيارته لمنطقة جازان التي قام بها في شهر صفر من ذلك العام)[2]، وقد أصبح ذلك المعهد منارة علمية في جنوب المملكة العربية السعودية، يفد إليه طلاب العلم من سائر مدن المنطقة ومن بعض المناطق الجنوبية الأخرى بل ومن بعض مدن اليمن الشقيق حيث تم قبول عدد منهم غير قليل وجرى إسكانهم وإعاشتهم وصرف المكافآت لهم مثل إخوانهم من أبناء المملكة الملتحقين بهذا المعهد، وكان بعض الطلاب اليمنيين الدارسين فيه متفوقين دراسياً ومنهم الطالب (عبد الله أفلح الزبيدي) الذي كان حاد الذهن متوقد الذكاء سريع الفهم والحفظ)[3]، وكان منهم طالب متفوق آخر يدعى: (أحمد محمد البحر المنصوري من المنصورية، من بلدة (المنصورية) في اليمن)[4].

(لقد تخرج من المدارس السلفية التابعة للشيخ القرعاوي رجال أخيار من أبناء اليمن ذهب كثير منهم إلى أوطانهم وأسسوا بها مدارس نشروا فيها العلم وتفرغ بعضهم لدعوة الناس وإرشادهم في أمور دينهم)[5]، وكان لمعهد صامطة

---

(١) السمط الحاوي ص٧٣، نقلاً عن صحيفة البلاد العدد ١٤١٩.

(٢) النهضة الإصلاحية ص١٢٩.

(٣) النهضة الإصلاحية ص٥٧-٥٨.

(٤) المصدر السابق ص٥٨. (والمنصوري) لم أجد تعريفاً به في مصادري سوى أنه عالم يمني من بلدة (المنصورية في اليمن).

(٥) النهضة الإصلاحية ص١٤٢.

العلمي دور بارز في نشر العلم بمنطقة جازان وما جاورها من مناطق المملكة وبعض مدن الجوار، مما هيأ لإيجاد بيئة علمية وثقافية فاعلة، فقد أصبح معهد صامطة العلمي كغيره من المعاهد العلمية في المملكة منارة علمية شامخة يقصده طلاب العلم من مختلف مناطق المملكة ومن بعض مدن اليمن الشقيق فقد التحق به عدد من الطلاب اليمنيين الذين شملتهم الرعاية السعودية، فصرفت لهم المكافآت المادية كالسعوديين حتى تخرجوا ثم أتم بعضهم دراسته الجامعية، وبعد أن تخرجوا فيها عاد منهم نفر إلى بلدانهم في (اليمن) فتبوّأوا بها مناصب تعليمية وإدارية وطبية، وفضّل بعضهم العمل في معاهد المملكة ومدارسها، وكان ذلك حافزاً لمزيد اهتمام من الطلاب اليمنيين للالتحاق بمعاهد المملكة ومدارسها، بل كان ذلك رافداً قوياً من روافد التواصل العلمي والفكري والثقافي بين البلدين الجارين.

الحوار العلمي حول بعض القضايا الاجتماعية والدينية بين مثقفي البلدين يعزز التواصل الثقافي

وهكذا فقد ساهمت تلك البيئة العلمية المتفتحة التي تحققت في العهد السعودي لمناطق المملكة عامة ولمنطقة جازان خاصة، ساهمت تلك البيئة العلمية في ذلك التواصل الذي حصل بين أبناء الوطن وبين بعض أبناء الجوار مما شجع على تهيئة المجتمع لقبول طرح بعض القضايا الدينية والاجتماعية والتحاور حولها والبحث عن الحلول المكنة لمشكلاتها، إذ مما لا شك فيه بأن الحوار الهادف وسيلة من وسائل التواصل بين المجتمعات وتوسيع آفاقها، ففي بعض الأحايين نجد الحوار حول قضية دينية أو اجتماعية يؤدي إلى التواصل الثقافي، فهو يبدأ محلياً ثم يمتد إلى بعض بلدان الجوار فيقود إلى تحاور وتواصل ثقافي يتوزع من خلاله المتحاورون بين مؤيدٍ ومعارض وفي هذا السياق نجد العلامة السعودي الشيخ: (حافظ بن أحمد الحكمي)[1] يدخل في حوار علمي حول تحريم أكل (القَاتْ) واستعمال

(١) العلامة الشيخ: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) علامة نابغة في علوم الشريعة وعلوم الآلة، ولد ببلدة (السلام) القريبة من بلدة (المضايا) بمنطقة جازان ثم انتقل صغيراً مع والده إلى قرية (الجاضع) القريبة من مدينة صامطة، والشيخ الحمكي ينتمي إلى قبيلة (الحكامية) المشهورة التي تنتسب إلى سعد العشيرة وتلقى العلم على شيخه الوحيد العلامة الداعية الشيخ (عبد الله بن محمد القرعاوي)، وحقق الله له التفوق العلمي في فترة وجيزة فأخذ يؤلف الكتب والرسائل في سائر علوم الشريعة وصدرت له المجلدات والكتب والرسائل الكثيرة برغم اشتغاله بالتعليم فقد تنقل معلماً ومديراً في عدد من مدن المنطقة وقراها، وحين فتح معهد سامطة العلمي في عام ١٣٧٤هـ كان هو مديره ومؤسسه والمعلم به=

(الدّخّـان) و (الشَّمَّـةَ) مع عـدد من علماء ومفكري اليمـن فيتواصل معهم عبر تلك الحـوارات الساخنة ويتبادل معهـم المنظومات الشعريـة والآراء الفكرية التي حركـت الراكـد الثقافي وأخرجـت للفكر المنصف عـدداً من علمـاء اليمن وعلماء السعوديـة المؤيدين لما ذهب إليه الحكمي؛ فبعد أن كشـف أضرار هذه الأوبئة على الفرد والمجتمع، ناوأه من ناوأه، ولكنه لم يعدم المؤيدين الذين قاوموا معه المناوئين لفكرتـه الرائدة آنذاك[1]، وتلك الفئة العلميـة اليمنية المنصفة حينما ساهمت مع الشيخ (الحكمي) في كشف أضرار (القات) و (الدخان)، فهي بذلك قد تولت الرد غـير المباشر على بعض العلماء اليمنيين المخالفـين لما ذهب إليه العلامة السعودي الشيخ (حافظ الحكمي).

=والمربـي لتلاميـذه. ومن كتبه المطبوعـة: ١- (سلم الوصول)، ٢- (معارج القبـول شرح سلم الوصول) في مجلديـن، ٣- (أعلام السنة المنشورة باعتقاد الفرقـة الناجية المنصورة)، ٤- (السبل السوية في شرح السـنن المرويـة)، ٥- (نصيحة الإخوان عـن تعاطي القات والشمة والدخـان) وغيرها وغيرها من الكتب والرسائـل المطبوعـة والمخطوطة، توفي بمكة المكرمة عام ١٣٧٧هـ. (السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبـد الله القرعاوي) لعلي بـن قاسم الفيفي ص٩٨-١٢٢ (بتصرف)، وانظـر كتاب: النهضة الإصلاحية في جنـوب المملكة العربية السعودية لعمر بن أحمد جـردي المدخلي ص١٧٦-١٩٤، وفي كتاب: شخصيات في الذاكـرة ج١ صـ١٣-٢٥ لعبد الله الحميـد، وفي كتابنا لمحات عن الشعر والشعـراء في منطقة جازان خلال العهـد السعودي ص١٢٥-١٣١، وفي كتاب تاريخ المخـلاف السليماني لمحمد بن أحمد العقيلي ج٢ ص١٢٠٢، وكتـاب: الشيخ حافـظ الحكمي حياته ومؤلفاته لأحمد بن علي علوش المدخلـي، طبع سنة ١٤١٣هـ دون ذكر دار النشر. وغيرها.

(١) انظر كتاب: (الحوار المبين عن أضرار التخزين والتدخين) من أوله إلى آخره للشيخ علي بن قاسم الفيفي، وانظـر: صفحـات من مجاميـع الشيخ عبـد الله العمودي مخطوطة بقلمـه توجد لدى الباحـث نسخة منها مأخوذة عن أصلها المخطوط لدى الدكتور عبد الله أبو داهش.

- وفي الصفحات التالية سنشير لبعض تلك المطارحات والحوارات الفكرية التي دارت بين الشيخ: (حافظ الحكمي) ومناصريه من جهة وبين مناوئيهم ومؤيديهم من علماء ومفكري البلدين.

وإذا كانت الرسائل الأدبية قد أدت دوراً مهماً في التواصل الثقافي بين مثقفي وأدباء ومفكري البلدين فإن طرح بعض القضايا الدينية والاجتماعية على بساط البحث والحوار يعتبر استمراراً للجهود الفردية والجماعية غير الرسمية في التواصل بين العلماء والمفكرين؛ ذلك بأنه ونتيجة لارتفاع المستويات التعليمية فقد جدت على الساحة الثقافية قضايا علمية وثقافية واجتماعية شكلت حوافز أدت إلى مزيد من التواصل الثقافي بين مثقفي الشعبين وظهرت بعض القضايا ذات التأثير الديني والاجتماعي والثقافي على مثقفي البلدين، وبعضها كان ظهورها منذ وقت مبكر ولكنها حين تناولتها أقلام بعض الغيورين، ثار حولها الحوار بينهم وبين مخالفيهم وأدى الحوار إلى تواصل ثقافي توزع فيه المتحاورون بين مؤيد ومعارض، ومن تلك القضايا القديمة الجديدة: (القات)!!

- ففي عام ١٣٦٧هـ أثمرت جهود الناصحين المصلحين المخلصين الذين نقلوا للملك عبد العزيز رحمه الله الآثار المدمرة (للقات) على الوطن وعلى المواطن فأصدر مرسوماً (بمنع (القات) من المملكة إنباتاً، وبيعاً، وشراءً، واستعمالاً، ونفذ الأمر السامي عماله المصلحون)[1].

(١) السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ القرعاوي ص٦١-٦٢.

فكان لهذا الأمر صداه الكبير، فتفاعل مع هذا الحدث الجميل عدد من الشعراء والأدباء والعلماء آنذاك، وفي مقدمتهم العلامة الشيخ: حافظ بن أحمد الحكمي: الذي كان قد كتب – قبل ذلك – القصائد الطوال وشرح فيها أضرار (القات) الدينية، والاجتماعية، والصحية، فتعرض بسبب ذلك للنقد والتجريح من بعض علماء وشعراء اليمن الذين تطارح معهم أو تقارض المطولات الشعرية، وإن لم يعدم بعض المؤيدين لآرائه الناصحة من شعرائهم وعلمائهم المنصفين، وهو في قصيدته التي حيّا بها ذلك الأمر السامي الكريم قد أشار إلى تلك المناوشات والمقارضات التي سنذكر بعضها بعد أن نختار بعض أبيات من قصيدته التي رحب فيها بأمر الملك (عبد العزيز) السامي القاضي بمنع القات والتي يقول فيها:

بإقبال شهر الصوم أشرف ميقات	**أتى النبأ الموسوم بالمنع للقات**
وقلع جراثيم له من أصولها	**وتهديد جلّاب له بالعقوبات**
بأمر الإمام المصلح احتاط غيرةً	**وحجراً على أموال أهل الإضاعات**
ونَفَّذَهُ في الحال عماله كما	**سيجرونه حسب الأوامر في الآتي**
فَسُرَّ بذا أهل المروءة والنهى	**وأهل النفوس الزاكيات الأبيّات**
وقالوا: جزى الرحمن خير جزائه	**وأعلاه في الدارين، أعلى المقامات**
إمام الهدى: (عبد العزيز) الذي له	**مآثر في الإصلاح غير خفيّات**
وذلك أن القات بان بأكله	**خصال رذيلات، ونبذ فضيلات**
وكم من حقوق الله قد ضُيِّعَتْ به	**وكم عُطِّلت أعمالُ أهل الولايات**
وفي منعه خير، وبشرى، ونعمة	**ودفع شرور قد حوى، وبليّات**

دراهـا أولـو التمييز من كل عاقل ... وإن يعشُ عنها سائم في البطالات
بـل اعـترفـوا قـوم كـثير بسكرهم ... إذا داومـــوا أكـــلاً لـه بـالمـوالات

ثم يشير الشيخ: (حافظ الحكمي) إلى قصيدته السابقة: (نصيحة الإخوان) التي بين فيهـا مساوئ القات وأضراره، كما أشار إلى ردود المعارضين من أصحاب المصالح أو ممن سماهم: بأتباع الملذات فقال:

وقـلـت قـريـظاً فـيـه بـيَّـنـتُ قبحه ... ومـا فيه مـن وصـف ذمـيـم، وآفـات
وقـــد ردَّه أنـصـــاره، فـأجـبـتـهـم ... عليه بما يصمي البليغ بإسكات
وعِـلْـمُـهُـمُ، لم يَـنْـهَـهُـمْ، وأصـمَّـهـم ... وأعـمـى عـن الحـق انهمـاك بـلـذّات

ولا ينســى أن يشير إلى العلمــاء والمفكرين اليمنيين المنصفــين الذين أيدوه بعد تجربة ومنهم العلامة اليمني: (أحمد بن عوض العبادي) [(١)] ناظم: (هداية المريد) ولم يكتـف بمجـرد الإشارة، بل ضمّن أشطراً من أبيـات قصيدة (العبادي) ووضعها داخل أقواس في شكل قريب مما تعورف عليه بـ (التخميس) حيث يقول الحكمي:

ونـذكـر فـتـوى فـاضـل في ارتجـالـه: ... (عزمت على ترك التناول للقات)
وفـسّـر وجـه الـترك مـنـه معـلـلاً ... (مخافة عمري أن يضيع وأوقاتي)
وبـين – شكراً – حاله فيه سابقاً ... فـصـرّحَ جـهـراً معلناً بـاعـترافـات:

---

(١) أحمـد بن عوض العبادي: (.....-.....): عالم يمني ذكـره الشيخ حافظ الحكمي في قصيدته التي حيا فيها الملـك (عبـد العزيز) حين أصدر أمره السامي بمنع القات وأشـار إلى أن العالم اليمني العبادي قد شارك بقصيـدة أوضـح فيها أضرار القات ولم يترجم له الشيخ الحكمـي ولا صاحب كتاب السمط الحاوي كما أن مصادري الأخرى لم تسعفني بترجمة لهذا العالم اليمني.

(وما زلت للقات المضر مناصراً زماناً طويلاً رافعاً فيه أصواتي)
(ولما تبينت المضرة، وانجلت حقيقتها، بادرته بالمناواة)
(وقيمة شاري القات في سوق بيعه كقيمة ما يدفعه في ثمن القات) (١)

ثم يتناول العلامة الشاعر الشيخ: حافظ الحكمي بالتشنيع داءي: (التبغ والدخان)، مُذكراً للمفكرين والمصلحين بهاتين الآفتين وآثارهما السيئة جداً وأنهما يستحقان الحرب عليهما وتوعية المجتمعات بأضرارهما البالغة، والقصيدة طويلة أكد فيها العلاّمة (الحكمي) مواقفه الواضحة من هذه الآفات الضارة وأشاد بأمر الملك عبد العزيز الذي يمنع بيع القات واستخدامه كما أشاد بمؤيديه ممن دعمه بالقول أو بالفعل الحسن، وربما كانت هذه القصيدة وسابقتها فاتحة حوارات وتواصلات ثقافية انطلقت من منطقة جازان التي كانت آنذاك مهيئة علمياً لهذه الريادة في الحوارات المفيدة.

وهذه البيئة العلمية الفكرية الثقافية التي تحققت لمنطقة جازان عامة ولمدينة صامطة خاصة أضفت عليها جواً ثقافياً كبيراً حيث أصبحت المنطقة بعد افتتاح معهد صامطة العلمي وانتشار مدارس الشيخ (القرعاوي) فيها ملتقى علمياً لأبناء مدن منطقة جازان وعدد من أبناء بعض مناطق المملكة، ونفر من بعض أبناء اليمن الشقيق هذه البيئة العلمية هيّأت لشيء من الحوارات الفكرية الجادة التي بدأت

---

(١) السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ القرعاوي ص٦٢-٦٤، وما هو داخل الأقواس في تلك القصيدة هو من شعر العلامة اليمني: (العبادي) وهي من أبيات قصيدته التي أيد بها الشيخ الحكمي وكشف فيها أضرار القات الصحية والنفسية والاجتماعية.

بالتحاور العقدي ثم امتدت لتشمل قضايا دينية أخرى وقضايا اجتماعية مُلحَّة كقضية: (القات) الذي أصبح انتشاره، وازدياد متعاطيه، وما يترتب على ذلك من مشاكل اجتماعية واقتصادية وصحية تضيق بها المجتمعات؛ مما دفع بعض الغيورين إلى طرح هذه المشكلة على بساط الحوار الجاد الذي تجاوز حدود المملكة وجذب إليه أطرافاً علمية واجتماعية سعودية ويمنية انقسمت إلى مؤيد ومعارض، وبسبب تلك التجاذبات الفكرية تحقق لنا تواصل ثقافي من نوع آخر حصل بين بعض مفكري اليمن والسعودية في السبعينات الهجرية من القرن الرابع عشر، فحين بدأ (القات) ينتشر في منطقة جازان بسبب انتشاره في جبال اليمن القريبة، وفي بعض جبال المنطقة الواقعة على الحدود مع اليمن، وحين زاد عدد مستخدميه في جازان وبعض المناطق الأخرى وبخاصة بعد تزايد الاهتمام بزراعته في بعض جبال (فيفاء) وما جاورها أصبح ذلك كله مصدر إزعاج للعلماء والمصلحين في المملكة عامة وفي منطقة جازان خاصة وفي مقدمتهم العلامة السلفي الشيخ (حافظ بن أحمد الحكمي) الذي نظم قصيدة شعرية طويلة بعنوان: (نصيحة الإخوان)، بيّن فيها أضرار (القات) الدينية، والاجتماعية، والصحية، والاقتصادية، ودعا فيها إلى محاربته والقضاء عليه وحماية المجتمع منه، ومع أن الشيخ الحكمي قد وجه قصيدته إلى أبناء مجتمعه ونبه الغيورين والمصلحين إلى خطورة انتشار استخدام (القات) وما يتبع ذلك من آثار اجتماعية مدمرة، إلا أنه قد انبرى له نفر من علماء اليمن الشقيق بعضهم من العلماء المعروفين في اليمن ممن لا يرون بأساً في تعاطيه

كما شارك في ذلك الحوار بعض أصحاب المصالح، فردّوا على الشيخ (الحكمي) بقسوة حتى أن بعضهم قد حاولوا في ردودهم الشديدة أن ينالوا من الشيخ السلفي: حافظ الحكمي، غير أنه قد قيّض الله له عدداً من العلماء اليمنيين والسعوديين المنصفين الذين أيّدوا كلمة الحق الناصحة، فنظموا غُرر القصائد المؤيّدة لما ذهب إليه الشيخ (الحكمي) من كشف الآثار السيئة التي تسببها استخدامات (القات)، وبعضهم ممن تعاطاه، وجرّبه، وعرف آثاره وأضراره، ثم تاب منه وأقلع عنه، وكثير منهم من علماء اليمن الذين لم يلتق بهم الشيخ الحكمي، وإنما تأثروا بالنصيحة الصادقة وتفاعلوا معها فآزروها انتصاراً للفضيلة وحماية للمجتمع من تلك الآفات المدمرة، وإبراء للذمة إلى جانب علماء وشعراء سعوديين كالشيخ علي بن قاسم الفيفي وغيره.

وهكذا وجدنا تواصلاً ثقافياً يحركه الحوار الفكري بين أهل السنة والبدعة وبين العلماء والمفكرين عموماً وإن كانت قصيدة الشيخ الحكمي الأولى لم تسع إلى هذه الغاية إلا أن المتحمسين لبدعهم الضالة والحريصين على مصالحهم من مهربين وزارعين للقات ومنتفعين أثاروا الزوابع حول قصيدة الشيخ (الحكمي) وحول صاحبها، وأخذوا يوجهون إليه قصائدهم وينسجون مطولاتهم المتطاولة مما اضطر الشيخ الحكمي للرد عليهم بقصيدة ثانية وضع فيها النقاط على الحروف وأشار فيها إلى قصائد بعض العلماء المنصفين مضمناً لبعض شعرهم، ثم توالت بعد ذلك قصائد المؤيدين والمعارضين.

- وفي الصفحات التالية سنذكر بعضاً من قصيدة الشيخ (الحكمي) الأولى التي جعل عنوانها: (نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والتبغ والدخان)، ثم نحاول أن نورد شيئاً من محاورات بعض الشعراء اليمنيين حولها ممن شاركوا في تلك المعارضات سواء أكانوا من أصحاب القصائد المؤيدة، أم من أصحاب القصائد غير المؤيدة، وقد نضطر إلى اختصار قصائد بعض المشاركين في تلك المعركة الفكرية نظراً لطول بعضها باستثناء قصيدة العلامة اليمني الشاعر: (يحيى بن محمد المهدي)[1] التي رد بها على قصيدة الشيخ (حافظ الحكمي) الأولى، وكذلك قصيدة الشيخ (حافظ) الثانية التي ردّ بها على (الشيخ المهدي) ففي هاتين القصيدتين قضايا خطيرة قد أثيرت إلى جانب قضية (القات) طرحها العلامة اليمني الشيخ (يحيى بن محمد المهدي) وردّ عليها الشيخ (الحكمي) رداً علمياً فند من خلاله تلك القضايا التي أثارها الشيخ (المهدي) مبيناً رأي علماء السنة فيها، ولا شك عندي أن في طرحها فوائد كثيرة، بعضها ذو صلة وثيقة بموضوع هذه الأوراق يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في بعض أبيات قصيدته

(١) لم أجد في المصادر التي بين يدي ترجمة لصاحب هذه القصيدة: (يحيى بن محمد المهدي)، وهذه القصيدة وجدناها في مجاميع الشيخ عبد الله العمودي المخطوطة منسوبة إلى العلامة اليمني: (أبي عبد الله الشهاري) (قاضي حرض)، غير أن نسخة الشيخ حافظ الحكمي المطبوعة في عام ١٣٧٤هـ بمطابع البلاد السعودية قد جاءت فيها هذه القصيدة منسوبة إلى شاعر يمني آخر هو: العلامة (يحيى بن محمد المهدي) ولاشك بأن صاحب البيت أدرى بالذي فيه، فالشيخ حافظ الحكمي هو صاحب الشأن وهو أدرى باسم صاحب قصيدة الرد على قصيدته!!

الأولى: (نصيحة الإخوان) التي حركت الراكد:

حمداً لمن أسبغ النعما وألهمنا ... حمداً عليها بألطاف خفيات
ثم الصلاة بتسليم تدوم على ... محمد المصطفى خير البريات
يا باحثاً عن عفون القات ملتمسا ... تبيانه مع إيجاز العبارات
ليس السماع كرأي العين متضحا كُلُّهُ ... فاسأل خبيراً ودع عنك المارات
لما شئت من وهن ومن سلس كُلُّهُ لما ... ومن فتور وأسقام وآفات
شئت من لهو الحديث ومن على ... إهلاك مال ومن تضييع أوقات
العبادة قالوا: نستعين به ... فقلت: لا بل على ترك العبادات
إن جاءه الظهر فالوسطى يُضيِّعها ... أو مغربا فعشاء قط لم يات
وإن أتاها فمع سهو ووسوسة ... في غفلة مع تفويت الجماعات
إني عجبت لقوم مولعين به ... وهم مقرون منه بالمضرات
في الدين والمال والأبدان بل شهدوا ... بسكرهم منه في جل المحلات
إني أقول لشاريه وبائعه ... إن لم يتوبوا، لقد باؤوا بزلات
و(البُرْدُقَانُ) [1] بها الجهال قد فتنوا ... حتى رأوا أَكْلَهُ من خير مقتات
كذاك معشوقة الشيطان قد نصبت ... بها فخاخ لأرباب الجهالات
تالله ما جمرت بالطيب مذ بنيت ... إلا بخارهمو بالتتن والقات
آذيتموا ساكني الأرضين فاحتملوا ... فما أذاكم لأملاك السماوات
كذا الدخان بأنواع له كثرت ... وغير ذلك من نوع الدنيئات
داء عضال ووهن في القوى ولها ... ريح كريه مخل بالمروءات
سألتهم: أحلال ذا الشراب لكم ... من طيبات أحلت بالدلالات؟؟
أجابني القوم ما حلت ولا حرمت ... فقلت لابد من إحدى العبارات

أليس في (آية الأعراف)[1] مزدجر ... لطالب الحق عن كل الخبيثات
إن تنكروا كون ذا منها فليس لكم أنى ... إلا ببرهان حق واضح ياتي
لكم ذا؟ وأنتم شاهدون بتخـ ... ـدير يليه وتفتير لآلات
والنهي جاء عن التبذير متضحاً ... وعن إضاعة مال في البطالات
جاءت بذلك آيات مبينة ... مع الأحاديث من أقوى الروايات
فكيف إحراقه بالنار جاز لكم؟ ... يا قوم!!هل من مجيب عن سؤالاتي؟
دع ما يريبك يا ذا اللب وامض إلى ... مالا يريبك في كل المهمات
يا رب يا هادي الحيران في ظلم الـ ... ـشك الذميم إلى نور الهدايات
يا ذا الجلال، وذا الإكرام أسألك الـ ... ـتوفيق والحفظ عن زيغ الضلالات[2]
واستر لعوراتنا وامنن بمغفرة ... لما جنيناه من إثم وزلات[3]

ثم ختمها بالدعاء والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه.

وقد كان لهذه القصيدة صدى واسعاً ليس في منطقة جازان وحدها أو في أوساطها الاجتماعية فقط، وإنما تعداها إلى بعض مناطق اليمن المجاورة فعارضها

---

(١) آية الأعراف التي أشار إليها العلامة الحكمي في منظومته هي جزء من الآية (١٥٧) وهي قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ سورة الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) جاءت مقدمة هذه القصيدة في نسخة الشيخ (حافظ بن أحمد الحكمي): (هذا سؤال سئل حافظ بن أحمد الحكمي بشأن القات والدخان والشمة) فأجاب السائل نظماً ، فرد عليه (يحيى بن محمد بن المهدي) نظماً فأجاب على الرد (حافظ بن أحمد الحكمي) نظماً وتوجد هذه القصيدة في مجاميع الشيخ عبد الله العمودي المخطوطة، وأصلها موجود لدى الدكتور عبد الله أبو داهش دون رقم، وصورتها لدى الباحث وإن كانت منسوبة إلى عالم يمني آخر.

(٣) هذا البيت موجود بمخطوطة الشيخ عبد الله العمودي ولا يوجد بالنسخة المطبوعة.

- كما أشرنا - عدد من الشعراء اليمنيين، وعدد من العلماء، وأيدها منهم آخرون، ولم تقتصر ردود المؤيدين والمعارضين منهم على المقيمين من اليمنيين بالمملكة، وإنما امتد الحوار ليشمل محاورين يمنيين في مدن يمنية بعيدة وصلت إليها قصيدة الشيخ الحكمي.

وقد قادني البحث إلى دورية يمنية مهمة يرأس تحريرها المفكر اليمني: (زيد بن علي الوزير) وتصدر عن مركز التراث والبحوث اليمني، باسم: (المسار) وهذه الدورية تضم أبحاثاً رصينة تعالج قضايا مختلفة، ومنها بحث له صلة قوية بموضوعنا ويحمل العنوان التالي: (أقوال الأدباء في القات) للعلامة: (عبد الرقيب مطهر حجر) [1] وهذا البحث من البحوث المعمقة ويقع في (٥٠) صفحة بدأه الباحث بتعريف القات علمياً ثم تحدث عن خواصه، وذكر أسماء الباحثين الأوائل فيه ومنهم: عالم سويدي يدعى (بيتر فورسكال) وصل إلى اليمن في عام ١٧٦٣م وتوفي في مدينة (تريم) متأثراً بمرض الإنفلونزا[2]. ثم تحدث عن شجر القات وعن زراعته وعن مراحل قطفه وعن تخزينه وتحدث عن تاريخه وعن موطنه الأصلي ...... الخ.

---

(١) عبد الرقيب مطهر حجر: (....-....) عالم يمني معاصر وأديب وشاعر ومحقق هكذا قال عنه (زيد الوزير) صاحب دورية المسار ولم يزد شيئاً في ترجمته إلا أن الباحث يعرف بأن هذا العلم هو محقق كتاب مطلع البدور ومجمع البحور في أربعة مجلدات لعلامة القرن الحادي عشر (أحمد بن أبي الرجال).

(٢) دورية المسار العددان ٢٣-٢٤ ص١٤٩-١٥٠.

وللحق فقد تناول الباحث: (عبد الرقيب مطهر) في بحثه هذا جوانب الموضوع وزواياه مدعماً ذلك بنماذج شعرية ونثرية لعدد من شعراء ومفكري اليمن وعلمائه بعضهم يؤكد أضرار القات ومفاسده على الأفراد والجماعة ويحذر منه، وبعضهم يتحدث عن القات مازجاً بين الجد والهزل، وبعضهم يدافع عنه وعن متعاطيه بحجج واهية لا ترقى لحجج سابقيهم.

فمن الفئة الثانية الشاعر الصعدي: محمد بن يحيى بلال الذي أورد له الباحث مقطعاً شعرياً على وزن وقافية قصيدة الشيخ (حافظ الحكمي) وهي أقرب للهزل منه للجد، سنختار منه قوله:

مهلاً أخا النظم فيما قلت في القات ... فإن لي فيه ميمون الروايات

فهل أتاك حديث الروح من طرب ... وقد عقدنا مقيلاً في اللقاءات

وقد أخذنا بأطراف السلو فلا ... نفسي تلوم على من تاق للقات

فإن تلعثمت هذا منتهى طربي ... وإن وَجِمْتُ، فهذا من ملذات

ولا ندري من الذي يقصده صاحب هذه الأبيات حين خاطبه بقوله: (مهلاً أخا النظم) هل يقصد الشيخ حافظ الحكمي أم غيره؟ غير أن الأقرب إلى الاحتمال أن تلك الهزلية هي جزء من قصيدة لشاعر يمني من أولئك الشعراء الذين تفاعلوا مع قصيدة الشيخ (الحكمي) إيجاباً وسلباً وهذا البحث يحتشد بآراء وأفكار كثيرة حول القات وهي مختلفة المستويات، فبعضها صادر عن علماء ومفكرين مشهورين في الأوساط اليمنية وبعضها جاء على هيئة مطارحات شعرية

اتسم شيء منها بالجدية وبالنصح الخالص للمجتمع، وقد جمع فيه الباحث أقوالاً لهؤلاء وأولئك.

يقول الباحث عبد الرقيب مطهر في إحدى فقراته: (ومن العلماء المعاصرين الذين وقفوا موقف الرافضين لمن تناول أمر القات بالتحريم المولى العلامة (بدر الدين بن أمير الدين الحوثي) مع أن العلامة المذكور لم يكن يوماً من متناولي أغصان هذه الشجرة، وذلك في قصيدته التي أجاب بها على (حافظ الحكمي) أحد دعاة السلفية:

هذا وقد جاء نظم فيه مسألة ... في (البردقان)،وشرب(التتن)و(القات)
فقال قائله في القات إنّ به ... سُكراً وضُراً، وتضييع العبادات
وأكثر القول في هذا وأكّده ... كأنّه أصل مفروض الديانات
من أجل مسألة ظنية طفقوا ... يلقون في السب أقوالاً رديّات
واعجب لمن قال: (لا ترأف بآكله ... واجلده جلد السكارى من خمورات
أليس يسمع مشهور الرواية في ... درء الحدود على الوالي بشبهات [1]

قلت: ومع أنه نظم يتسم بالضعف الفني إلا أنه يحمل روح الفكر (الرافض) لكل ما يصدر عن السلفية؛ والسلفيين وعلماء السنة، فالعلامة الحوثي لا يتناول القات كما يقول الباحث اليمني (عبد الرقيب مطهر)، ولا يعرف تأثيره على متعاطيه ومع ذلك فهو يحاول بقوة دفع حجج من يؤكدون أضرار القات بالأدلة، ربما لأن أصحاب تلك الحجج من علماء السنة، وإذاً فهي الحوثية الرافضة، وهي

(١) دورية (المسار) العدد الثاني والثالث ص١٨٨-١٨٩ دورية محكمة تصدر عن مركز البحوث اليمني ١٤٢٨هـ.

مواقـف الحوثيين التاريخية من السلفية ومن طروحات علماء السنة، حتى وإن كان الصواب في جانبهم!!.

ولعـل الباحـث: (عبـد الرقيب) قـد بخل علينـا بذكـر بقية قصيـدة العلامة (الحوثـي) ربما لشدة لهجتها وربما لأن رأي العلامة (الحوثي) لم يصدر عن تعاط وتجربة وربما لأنه حمل في طياته رائحة الرفض فحسب ومع ذلك فقد ذكر لنا الباحث (عبـد الرقيب مطهر) بعد أبيات العلامـة الحوثي نصاً شعرياً آخر لأحد المنصفين وجهه لأخيه (يعاتبه على مداومته على تناول القات الذي تعافه عقول ذوي المروءات ويستخـف بـه ويعافه المتحضرون الذي يرونـه تضييعاً للأوقات فيمـا لا طائل تحته، وقد جاء النص على نفس الوزن والقافية الذي جاءت فيه قصيدة العلامة السعودي حافـظ الحكمي، وكأن صاحب النص قد جعلـه رداً غير مباشر على العلامة اليمني الحوثي، ومراجعة لما أتى في نصه الشعري السابق حيث يقول هذا الشاعر:

أخي الحسين ترفّع عن أذى القات	**فإن في القات بعض الانحرافات**
لو كان في القات خير ما استخف به	**ذوو العقول وأصحاب المروءات**
القات أولـه سـعد، وأوسطه	**هـمٌ، وآخـره تضييع أوقـات**
لو أن في القات تعليم ومعرفة	**ما عافه كل أرباب الحضارات** [1]

ولعل في مضمون هذا النص على قصره رداً من عالم يمني مجرب على العلامة (الحوثي) الذي دافع عن القات ومتعاطيه دون تجربة ودون دليل.

---

(١) دورية المسار ص١٩٠.

كما أورد صاحب هذا البحث نصاً شعرياً آخر لأحد المنصفين أتى كذلك على نفس الوزن والقافية وفيه يعترف ذلك الشاعر بعد تجربة مريرة بأضرار القات الصحية والنفسية والاقتصادية محذراً شباب الجيل من أخطاره الجسيمة وقد قدمه عبد الرقيب الباحث بقوله: (وقال الشاعر أحمد محمد شرف الدين):

لقد أضعت بأكل القات أوقاتي　　وأفلس الجيب وازدادت معاناتي
وصار جسمي هزيلاً، لا يرى أبداً　　طعم المنام، وهذا لبُّ مأساتي
ويخرج الفاشل المهموم من كدر　　من دون حل سوى قتل المسرات
قصراً من الوهم قد يبنيه في عجل　　في الكيف من غير كيف أو مقاسات
ما فيه نفع لمخلوق سوى هدر　　للمال، يا ويل هذا الجيل من قات[1]

وهذا النص – كما نلاحظ – يشعر قارئه بتقطع أوصاله – ربما – بسبب حذف بعض أبياته التي قد تكون أشد وقعاً على متعاطيه، وعلى المدافعين عنه، ومع ذلك فقد حمل أفكاراً بنَّاءة، ونقل اعترافات مجرب عاقل منصف، توضح أضرر القات على متعاطيه وتثبت عدم نفعه وتحذر الجيل من ويلاته؛ وفيه جرأة في قول كلمة الحق حول هذا الوباء وإن كانت أقل جرأة من طرح العلامة اليمني (علي بن يحيى الإرياني) الذي أكد ما ذهب إليه شيخنا (الحكمي) وبين أضراره الدينية والصحية والمالية والاجتماعية، ثم أصدر الحكم الشرعي بتحريمه دون مواربة أو خشية من أحد فقال:

ألا إن بعض القات أوله سكر　　وآخره حزن كما تفعل الخمر

(١) دورية المسار ص١٩٠-١٩١.

على أن هـذا أصـل كـل مضـرة ... وتـلـك بهـا نفـع، كمـا نطـق الـذكـر
ولكـنـه غـطـى عـلـى الـنـفـع ضـرهـا ... فحرمها رب الـورى مـن لـه الأمـر
ومـا البعض منه مسكر فجميعه ... حـرام كما قد قـره السادة الطهر
فـمـا لـكـم يـا قـومـنـا قـد جهلتم ... ولم تعلموا أن الـولـوع بـه خسر
وهـا قـد علمـتـم أن مـنـه مخـدراً ... لبعض بني الإنسان، فاتضح الوزر
فكم في تعاطي القات ذا من مفاسد ... مبينة عظمى يضيق بها الحصر
فـكـم مـن غـنـيٍّ قـد غـدا مـولـعـاً بـه ... لقد مسه من بعد إيسـاره العسر
كذلك كم ألـهـى امـرأ عـن صلاتـه ... فـلـولاه لم تـتـرك بأرضكم العصر
وكـم مـن أنـاس لازمـوه، فأصبحوا ... لإكـثـارهـم مـنـه، ومـثـواهـمُ القبر
وكـيـف وذا بـعـض الأئـمـة قبهم ... غـدا آمـراً في قلعه إذ بـدا الشر
وقـد قلعوا إذ أصـدر الأمـر غرسه ... ولـو لم يـحـرمـه لمـا صـدر الأمـر
ولـو عـلـم الـبـاقـون أضـــراره لما ... أباحوا الذي في بعض أنواعه سكر
ألا فاقبلوا مني النصيحة واقلعوا ... عن القات إن القات يا قومنا شر(١)

ولا شـك بأن هذا البحث يحتوي على آراء ونمـاذج شعرية مختلفة عن (أقوال الأدباء في القات) ربما كان بعضها خارج دائرة اهتمامنا ليس فقط لأنها تميل إلى تزيين القبيح وتحسين تعاطيه لـدى بعض الشعراء ولكن لأننا كنا معنيون بالإشارة إلى شعـر بعضـ من كانوا طرفاً مباشـراً أو غير مباشر في الحـوار حول القات مع العلّامة (حافظ الحكمي) سواء أكانوا مؤيدين لرأيه أم معارضين.

(١) دورية المسار ص١٧٥-١٧٦.

وهكـذا فقد شهد علماء يمنيون منصفـون بأضرار القات ومساوئه وربما جرّب بعضهـم ذلك الوبـاء أو رأى آثاره على بعض أقاربه أو معارفـه رأي العين فكتب مالا يستطيـع جاحد رده وشهـادة أهل الشأن قويـة ولاشك، وهـي أولى بالإقناع، ومع أن الباحـث: (عبـد الرقيب مطهر) قد عرض آراء الأدباء عرضاً أدبياً خالصاً دون أن يرجـح رأياً على آخر إلا أنه قبل أن يختم بحثه الرائع قد عقد فصلاً بعنوان: (أنواع القات) وذكر فيه نوعاً يكون به اختلاط العقل ثم نقل عن أحد علماء اليمن المنصفين رأيـه في ذلـك النوع فلنتأمـل قوله: (ومن بعضـه خروج آكله عن حيـز الاعتدال في طبيعتـه، وقد روي في ذلك حكايات، فما بلغ منه هذا التأثير حرم تناوله، ويؤدب من تعمده بعد علمه بالتحريم) ثم يحيل على كتاب: (الروض النضير) ج٢ ص١٦٤، طبع مطبعة السعادة بمصر، ومع ذلك فالباحث يعرض في غالب فصول بحثه آراء الأدباء والعلمـاء عرضاً مجـرداً دون تدخل منـه أو إظهار ميل لرأي مـن الآراء التي ساقها والبحث إلى جانب فوائده العلمية والأدبية بحث طريف ممتع يستحق الاهتمام[1].

على أن موضوع تحريم (القات) لدى بعض علماء اليمن موضوع قديم (فقد أفتى بتحريمه الإمام (يحيى شرف الدين بن شمس الدين)[2] المتوفى سنة ٩٦٥هـ حيث توصل إلى تحريم القات قبل (٤٥٠) عاماً)[3].

---

(١) انظر: بحث (أقوال الأدباء في القات) في دورية المسار على الصفحات: (١٤٩-١٧٤).

(٢) سبقت ترجمة الإمام يحيى شرف الدين في ص ٢٧.

(٣) انظر كتاب: أضرار القات في الجمهورية العربية اليمنية لحمود منصور ص٤٦، طبع دار الفكر المعاصر ببيروت ١٤٠٩هـ والباحث حمود منصور يحيل في هذه المعلومة إلى كتاب: (ثلاث رسائل في القات) لعبد الله الحبشي.

وممـن أيد ما ذهب إليه الشيخ (حافـظ الحكمي) في تحريم القات العلامة اليمنـي: (أحمد بن محمد البحـر المنصوري) من (المنصوريـة) باليمن، وكان يـأكل القـات خفية – كمـا يقول صاحب كتـاب السمط الحاوي –، ولمـا اطلع على قصيـدة الشيخ الحكمي أقلع عنه، ثم قرضها بقصيـدة على وزنها وقافيتها، وتقع قصيدة المنصوري في أكثر من ثلاثين بيتاً، نختار منها قوله:

بـأي أنـواع آلاء جـزيـلات نـكـذب الله مـن يـسـدى العطيات
أستغفر الله غـفـار الـذنـوب لمن يـتـوب مـن كـل حـوبـات وزلات

إلى أن قال:

يا أيها الناس هُبوا من مراقدكم فالقات من أخبث الأشيا الخبيثات
لأنـه فـاعـل في الـعـقـل مـا فعلت خمر الدنان، وسل أهل الحقيقات
أليس يرعش جسم التائهين به ويشتهون كمن يسقى بكاسات....
وذا هو الرجس طوبى للولوع به إن كفَّ!! أولا، فبشر بالفضيعات
وإن فـهـمـت فـلا تـرأف بـآكـلـه واجلده جلد السكارى من خموراتي
ف(حافظ) العصر فيه الحضر أخبرنا في قوله الفصل من يحكي بآيات
أعـوذ بـالله ممـن لا خـلاق له ولا يـديـن لآيـات الـدلالات [1]

وقصيدة المنصوري هذه وإن لم ترتق كثيراً في بنائها الفني إلا أنها في معانيها الجميلة قد أيدت ما دعا إليه الشيخ (الحكمي) بقوة، وأكدت أضرار القات الدينية

---

(١) السمط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ القرعاوي ص٥٩-٦٠، والشيخ (الفيفي) لم يعطنا في كتابه تعريفاً بالعلامة اليمني المنصوري سوى ما نقلناه عنه بأعلى الصفحة.

والاجتماعية، وجاء هذا التأييد من عالم يمني مجرب، اصطلى ببلوى القات وعانى منــه ومن سلبياته ثم أنقذه الله منه بتوفيقه سبحانــه ثم بقوة إرادته، (ولا ينبئك مثل خبير).

أما غير المؤيدين الذين حاوروا الشيخ (الحكمي) من علماء اليمن إضافة إلى العلامــة الحوثي ممن استنكر موقف العلامــة (حافظ الحكمي) من القات فهم قليلــون، وما وصلنا من ردودهم قليل – كذلك –، وإن تجافا عن العدل والإنصاف إلا أن بعضهم ربما كان قاسياً في محاورته وردوده.

- وممــن عارضـ الشيــخ (حافـظ الحكمي) وقســى في رده علــى قصيدته: (نصيحــة الإخوان) شاعر يمنــي جاء اسمه في مجاميع الشيــخ عبد الله العمودي هكــذا (أبو عبــد الله الشهاري) قاضي مدينة (حرضـ) اليمنية، وجاء اسمه في النسخــة التي جمعهــا الشيخ حافظ الحكمي وطبعت في عــام ١٣٧٤هـ: (يحيى بن محمــد المهــدي)، والــذي نؤيده أن الشاعــر (المهدي) هو الــذي رد على قصيدة الشيــخ الحكمــي وليس (الشهــاري)، وكانــت قصيدة (المهــدي) طويلة وجاءت في لهجــة شديدة تفتقــر إلى روح الحوار الهادئ، فرد عليــه الشيخ حافظ الحكمي بقصيدة أخرى طويلة شديدة اللهجة.

وقــد صُدِّرت القصيــدة في نسخة (حافـظ الحكمي) المطبوعــة بما يلي: (الــرد على نصيحــة الإخوان)، هذا صورة ما أجاب بــه الشيخ (يحيى بن محمد ابن المهدي) عافاه الله على أبياتنا في ذم (القات والدخان) وكان بلغني هذا الرد

واطلعت عليه انتصاف شهر رجب من عام ١٣٦٧هـ) [1].

- ولا يخالجني شك في وجود مشاركات أخرى من أطراف لم تصلنا مشاركاتهم، وربما كان العلامة اليمني الشاعر: (يحيى بن محمد المهدي) من أشد المشاركين في هذا الحوار وأقساهم أسلوباً في محاورته ولأنه كذلك فقد كان أكثرهم تهافتاً في حجته؛ ولقد أثار الشاعر (المهدي) قضايا عقدية كادعاء العصمة للأئمة وغيرها مما يجعلنا نضطر إلى ذكر كثير من أبياتها، مع أنها أتت بلهجة حادة تطلبت من الشيخ (حافظ الحكمي) الرد عليها بلهجة أشد حدة وأقوى حجة.

يقول الشاعر (يحيى بن محمد المهدي) في قصيدته التي رد بها على الشيخ (حافظ الحكمي):

وافا نظام غريب في الوريقات	**مصدّر بثنا ربُ البريات**
فالحمد لله حمداً لا انقضاء له	**حمداً يقدس في أعلا السماوات**
ثم الصلاة على المختار مُنقذنا	**من الضلال وأنواع الغوايات**
لمّا عرفناه، بادرنا بلا مهل	**للرد عما ذكرتم في السؤالات**
لقد ظفرت بمنبيك الحقيقة من	**مخبرٍ عن يقين، لا ظنونات**
إليك عني جواباً لا أريد به	**فخراً، ولا جدلاً، فاسمع مقالاتي**
خذ الجواب، ودع عنك السراب ولا	**تعب أبناء جنسك يوماً بالبذاءات**
ما كان أحسن إهمال الفضول لدى	**أهل العقول وأرباب الديانات**

واستمر يخاطب العلامة الشيخ (حافظ الحكمي) بهذا الأسلوب الذي لا يليق فيقول:

(١) النسخة المطبوعة من قصائد القات ص٥.

قد افتريت مقالاً: أنهم شهدوا ... بسكرهم منه في جل المحلات
ويل لمن كان داء الجهل قاتله ... ملق له في قواميس الضلالات
عتبت، لا عن دليل، بل مجازفةً ... هات الدليل، وأَنصف في الدلالات
أنّى لك اليوم ذا التحريم جئت به؟ ... لقد أسأت بقبح الاعتراضات
إن المعدات في المحظور قد حصرت ... في الذكر والنهي، عن خير البريات
كفى من الذكر ما في الآيتين لمن ... تأمل الذكر أثناء التلاوات
فهل ترانا بحال نرتضي سكراً؟ ... أو فعل شيء مخل بالمروءات؟
محافظون على الطاعات أجمعها ... مواضبون على كل الجماعات
من دون تفويت مفروض ولا جمع ... كما وصفت، ولا تضييع أوقات
ماذا تقول لأسلاف جهابذة ... ما منهمُ نحن، إلا كالقلادات
في كل علم لهم دارت مذاكرة ... حازوا العلوم وأنواع الأدلّات
منهم جماعة أهل البيت من ثبتت ... معصومة بالبراهين الجليّات
فلم نجد لهم نصاً، ولا اتضحت ... عنهم رواية، في نفي وإثبات
ولم يجيزوا بحال، ذمّ آكله ... يا قائل الشعر اقصر في الملاحات
واستغفر الله يا مسكين من زلل ... ومن سباب، وفحش الانتقادات
إن الشرائع جاءتنا مبينة ... عن الرسول بأسناد منيرات
أما الصلاة، فكم من تاركين لها ... من دون قات، وذا فعل الجهالات
يا حبذا (القات)!! ما أحلى مجالسه! ... بالذكر شيدت وحفت بالعبادات
كم صافحته نسيمات الصبا سحراً ... وباكر الطل أغصاناً رطيبات
تميس أغصانه الحمراء في حلل ... خضر، على العود في أعلا المقامات
بردٌ، قشيب، على لين القدو ... د وللأطيار أنغام بأصوات

نعم الأنيس لمن كان الجليس له أسفار علم، وكشف للمهمات
كأنما أودع الرحمن جوهره سرٌ معينٌ على نيل المرامات
قد قال أسلافك الغرّ الكرام من الـ أخيار في القات من عُرْبٍ وسادات:
هو الحلال لشاريه وبايعه، والمستطاب لدى أكلٍ، ولذات
هو المعين على الأعمال أجمعها هو المعين على كل العبادات
هذا وكم فيه من نفع لآكله من شحذ فكر، ونفي للهمومات
كلْهُ، لما شئت من دنيا وآخرة قالوا بهذا! تأمّل في النصوصات
لا موفضون على لهو الحديث ولا تمسكوا بخرافات الجهالات

وبعد هذه الفتاوى العجيبة في شأن (القات) شرع يفتي في الدخان والشيشة وفي (الشمة): (البردقان) فأتى بالأعجب والأدهى والأمرّ، ولم يوافق الشيخ (الحكمي) إلا في: (البردقان) وأنه: عفن، ومستخبث عند أصحاب الشهامة (يغير الفم والأسنان)، ولكنه يُكَرِّهُهُ فقط، ولا يرى تحريمه، وهو مع أنه يعترف بأن البردقان مكروه إلا أنه يستحسن أصله: (التنباك) فهو عنده: (من جنس المباحات) ولا يرى بأساً من أن تزين (المنصوبة الحسناء) التي تعزز النشاط!! — توهماً — !! لذلك نسمع القاضي (المهدي) يخاطب الشيخ (الحكمي) قائلاً:

كفاك في (القات) ما أوضحت من كلم أما (الدخان) فمن جنس المباحات
كذاك منصوبة حسناء قد برزت في تيه حسن مثير للنشاطات
فلا تلم صاح أقواماً بها اعتصموا عما يسيغ سواهم في الزجاجات
ورضْ عنهم، والعن من حسا سكراً من الخمورات أو شبه الحشيشات

والبردقان: حقيق ما أتيت به ... فحقه أن يُسمّى بالعفونات
وبالكراهة لا ينفك متّسماً ... مستخبث عند أرباب الشهامات
يُغيّر الفم، والأسنان يُلبسها ... ثوب السواد، وأوساخ الدرانات
لكنّ لا عن دليلٍ، لا نحرمه ... إلا بصومٍ، فحرِّم لا ممارات[1]

كل هذه القسوة التي اتسم بها رد القاضي (المهدي) على العلامة (حافظ الحكمي) مع أن قصيدة الشيخ الحكمي: (نصيحة الإخوان) أقل حدة في وصف أضرار القات ومخاطره من قصائد لشعراء يمنيين سجلوا شهاداتهم القائمة على التجربة والمشاهدة بقوة، ومع ذلك لم يلتفت الشاعر (المهدي) ولا غيره لشعرهم ولم يَرُدّ على أي منهم.

يقول أحد أولئك العلماء اليمنيين المتجردين للمناصحة:

القات قتل للمواهب والقوى ... ومولد للهم والحسرات
ما القات إلا فكرة مسمومة ... ترقى النفوس بأبشع النكبات
ينساب في الأحشاء داءً فاتكاً ... ويعرض الأعصاب للصدمات
يذر العقول تتيه في أوهامها ... ويذيقها كأس الشقاء العاني
ويميت في روح الشباب طموحه ... ويذيب كل عزيمة، وثبات
يغتال عمر المرء مع أمواله ... ويريه ألواناً من النقمات
هو للإرادة والفتوة قاتل ... هو ما حق للأوجه النظرات[2]

(١) النسخة المطبوعة ص٥-٧.

(٢) دورية المسار، العددان (٢٣-٢٤) ص١٨٢.

ويقول شاعر يمني آخر ناصحاً ومحذراً من أضرار القات بعد تجارب في تعاطيه مريرة:

يا صاحبي ولسان النصح رابطة ... بين الأحبة، منجاة من الخلل
القات متلفة للمال، مهلكة ... للنفس، مضيعة للجهد والعمل
عنيت دهراً به في غير منفعة ... واليوم أنصح، نصح البرء للعلل[1]

ولعل شاعر اليمن الكبير: محمد محمود الزبيري قد شارك شعرياً بآرائه الناصحة من أضرار القات غير أننا وجدنا له في ثنايا بحث (أقوال الأدباء في القات) مقطعاً نثرياً راقياً يقول فيه أديب اليمن الزبيري: (شيطانٌ نَبَتَ من الأرض، لِيَلْتَهِمَ غذاء النباتات البريئة ثم أوقع الإنسان اليمني في فتنة، وزاحم الأغذية في معدته، وجرى مجرى إبليس في دمه، وولج ولوج اللص في خزانته يهزأ بعقله وأعصابه متنقلاً بهما بين السرور والحزن، وبين الإقدام والإحجام، وبين الهزيمة والنصر، وبين الغنى والفقر والإنسان اليمني يعيش لسحره الشيطاني نصف العمر في صور ملونة مفتعلة كأفلام المغامرات، وأحداث مثيرة كأساطير الأطفال تستهلك فيها رجولة الرجال وعزائم الأبطال)[2].

إذا فالعلماء والشعراء والمفكرون اليمنيون المنصفون قد جأروا بالنصيحة والتحذير من أخطار القات وأضراره فوافقوا رأي الشيخ (الحكمي) بقصد أو

(١) المصدر السابق ص١٩٣.

(٢) المصدر السابق ص١٨٣.

بغـير قصد وعبروا عن آرائهم الصريحـة في القات بوسائل مختلفة وأساليب قوية لكنهم لم يتعرضوا لمثل ما تعرض له العلامة الحكمي من ردود قاسية.

قال جامع هذه المحاورات: (العلامة عبد الله العمودي): (انتهى نظم السيد الشهاري بالرد على ما أورده الأديب (حافظ الحكمي) في النظم في ذم (القات) و (التنبـاك) .. ولما أطلع (حافـظ) على نظم (الشهاري) قال معارضاً ومنتقداً بهذه المنظومة وهي الثانية [1]:

أما صاحب القصيدة: (نصيحة الإخوان) وردودها الشيخ (حافظ الحكمي) فقد جعل لها في النسخة المطبوعة عنواناً ومقدمة أخرى حيث قال: (تأييد نصيحة الإخـوان) ثـم قال بعـد ذلك (وهذا ما أجبنـا به الناظم علـى رده المذكور وبالله التوفيق) [2]..

الحـمـد لله في كـل المـقـامـات — وبـدء كل شئوني، واختتاماتي
ثـم الصلاة علـى ختـم النـبوّات — محـمـد، مـن أتـانـا بـالـهدايـات
والآل والصحب أربـاب الـولايات — لله، والـبـغـض فـيـه، والمـوالات
يا منكراً، حكم ما أمليتُ في (القات) — وفي (الـدخـان) وأنـواع الدنيّئات
وجـائـراً، تـائهاً، قـد قـام منتصراً — بـزعـمـه، لأسـافـيـل الـبـطـالات
وحـائـداً عن سبيل العدل منحرفاً — للجور والحيف قصداً للمجارات

(١) أوراق مخطوطة من مجاميع (الشيخ عبد الله العمودي) أصلها لدى الدكتور عبد الله أبو داهش وصورتها لدى الباحث.

(٢) النسخة المطبوعة ص٨.

وكائلاً من جزاف القول مقترفاً		مزخرف، من تهاويل المقولات
وفاقداً لاعتبار، في معارضتي		وناقداً دون إنصاف، مقالاتي
وما ذكرت على دعواك مستنداً		ولا أجبت بشيء عن سؤالاتي
ولم تمانع حجاجاً في محاورة		ولم تمانع دليلاً من دلالاتي
ولم تقيد من البرهان مطلقه		ولا أتيت بتخصيص العمومات
ولا رددت صفات الذمّ عنه ولا		ما فيه بينتُ أنواع المضرات
ألا دليل! ألا برهان توضحه؟		ألا نصوص بها قطع الجدالات؟
إلاّ لجاجاً وتشعيباً بلا نصفٍ		ونسبة الخصم - بغياً - للجهالات
مجرد القول بالتجهيل ليس هدى		ولا اعتمادك رمي بافتراءات
ولا احتجاجك بالقوم الذي مضوا		على توليه، من عربٍ، وسادات
ولا مديحك نظماً قد أجبت به		بأنه عن يقين لا ظنونات
كلا ولا مطلق استنكاركم كلمي		ووصفه دون حق بالغرابات
فخذ جوابك مبنياً على نصف		مؤيداً بالبراهين الجليات

ثم مضى الشيخ (الحكمي) يفند أقوال الشاعر اليمني (المهدي) ويرد على سائر ادعاءاته، وبعد أكثر من أربعين بيتاً من الحوار القوي والردود الصريحة الواضحة انتقل إلى صلب الموضوع: (القات) فرد على سائر شبه وادعاءات الشاعر اليمني حيث قال:

أما مقالك: (ما أحلى مجالسه)!!		إلى أواخر إملاء الدعايات
فليس مدحك (فيما) [1] قد فتنت به		برائج، عند أرباب الحقيقات

---

(١) هكذا في نسخة الشيخ العمودي المخطوطة، وفي نسخة الشيخ حافظ الحكمي المطبوعة: (وليس مدحك (أمرا) .

إمّا مدحت، فإن الخمر شاربها … يقول أجمل مما قُلتَ في (القات)

فهل ترى مدحهم فيها أحلّ لهم … شرابها؟؟ إن هذا من محالات

وما تقول: (حوت ذكراً مجالسه) … فإين ذلك من لغوٍ، وغيبات

وما ادّعيت (من التنشيط فيه على … مباحث، وقيامٍ بالعبادات)

فساعة من نهارٍ، أو عشيّته … وأين ذلك مما بعده آت..

مما عددنا، ومما لا نعدّ من الـ … ـأخلاق، وتلكم شرّ خلات

مع ما ذكرنا من التحذير فيه، ومن … تفتير جسم، ومحق للطبيعات

مخلة بحقوق الله ثم حقوق النفـ … ـس والأهل مع نقص المروءات

أئمة الدين في إحيائه جهدوا … ليلاً، نهاراً، وما احتاجوا إلى (القات)

وقسموا الليل في تسبيح خالقهم … وبحث علم، وفي أنواع طاعات

فما توانوا، ولا ملّوا، ولا كسلوا … ولا استعانوا بمضغ للنباتات

أنساهم الشوق والذوق الذي وجدوا … عن طيّبات لهم حلٌّ، ولذّات

واستغرقوا الوقت في خير به اشتغلوا … في جلّ أوقاتهم عن بعض أوقات

أولئكم حفظ الله العظيم بهم … معالم الشرع من كل النقيصات

ما أبعد الفرق بين القوم في صفة … وبيننا! يا حثالات الحثالات

وقلت بعد دعايات وزخرفة … قالوا بهذا تأمل في النصوصات

نعم تأملتُ ما أمليته مع ما … فيه تناقضت لم تدر النقيضات

فأنت تهدم ما تبني على عجل … معامل الزور ترمى باصطدامات

قد قلت من قبل أن القوم ما حفظت … عنهم رواية في نفي وإثبات

فكيف أثبت أمراً قد نفيت بلا … حياء أم كيف تنفي بعد إثبات؟

إحداهما كذب ويل لصانعها ... في الكاذبين إذا نادوا بويلات
وقلت بعد مديح القات منصرفاً ... أما الدخان فمن نوع المباحات
قلنا فيشعر أن القات من سنن ... يحق تعداده في المستحبات
أبحت داءاً وتبذيراً ومعصية ... وسفلة وانغماساً في الدناءات
يشوي الوجوه وتسود الشفاه به ... والقلب والصدر منه في مضرات
كم ذا تأذى الكرام الكاتبون به ... وفي المساجد مؤذٍ للجماعات
أما احتجاجك بالأسلاف إذ سكتوا ... ولم يقولوا بشيء من مقالاتي
فحجة هلكت فيها القرون فكم ... فيها تتابع أرباب الضلالات
كل على رأي أسلاف لهم جمدوا ... أب وأم وأجداد وجدات
أما ترى كم قبور جهرة عبدت ... ذبحا ونذرا وأنواع العبادات
وكم قباباً عليها شيدت ولها الـ ... ـأوقاف تجبى وكم من نصب رايات
وكم توقت أعياد لزائرها ... بها يكون اجتماع للزيارات
وكم ينادونها يرجون نجدتها ... في جلب خير ورفع للضرورات
أليس ذلك شركاً لست تنكره ... يناقض الدين في كل الرسالات
ومن يشير إليهم شاهدون له ... وربما شهدوها في الجماعات
لم ينكروها ولم ينهوا ولا أمروا ... ولم يقوموا بنصح للبريات!
فهل يسوغ يا مغرور إن سكتوا ... شرك العباد بجبار السماوات
وهل أصابوا بإقرار العوام على ... تلك القبائح؟ في الدين الشنيعات؟
أضف لذاكم خرافات، وكم بدعٍ ... مضلة؟ واختراع للطريقات؟
هل غار منهم لدين الله من أحدٍ؟ ... بنفي شرك؟ وقمع للخرافات؟

وبعد هذا السيل من الأسئلة التقريرية انتقل الشيخ الحكمي إلى تفنيد مقالة: الشاعر اليمني (يحيى بن محمد المهدي) حول (الدخّان، والشمّة) فقال مخاطباً إياه:

وقلت (منصوبة حسناء قد برزت ... في تيه حسنٍ، مثير للنشاطات)
أقــول: ويحك! مغروراً فُتنْتَ بها ... وكـم بها فتنـوا أهـل البطالات؟
من أي وجه إليها الحسن جاء؟ لقد ... أخطا الطريق إليها في المرامات
من حسن طلعتها؟ أو نور لمعتها؟؟؟ ... أم ريحها؟ أم حماها بالصيانات؟
أم طبلة قد حوت مما يقاس به ... بـول الكلاب لدى ريح العفونات؟
أم ذلك العُنُقُ المنحوت من خشب؟ ... أو ذلك الحبل ممـدوداً بليّات؟
أم ذلك الثوب تزويراً به كسيت؟ ... أم حيلة صغتموها للإضاعات؟
أم ذلك الطبق المملوّ من قبس؟ ... على حشيش كريهٍ في البخارات؟
أم ذلك الصوت إن غنت مغردة؟ ... من جذب أنفاس شرّاب الدخانات؟
تضمنت كلّ شَيْنٍ، مطلقاً، وغدت ... شَوْهَا، بَغِيّاً، وليست من مصونات!!
أمـا النشاط! فسل عنها مجرّبها ... وقـد أباحـوا بهـا، قبـل السؤلات
كم أوهنت من قوى أعصاب ذي جلد ... حتى رأى المشي من عظم المهمات
كم خربت من صدور بالفكوك وكم؟ ... فيها تـرادف أنـواع الوساخات؟
وكـم بهـا ولـدت كربـاً وحشرجة ... مـع الـزكـام، وألـوان السعالات؟
مع ما ذكرناه في النظم القديم ومن ... مـا لا نطيل بـه نظم المقالات
وقلت: (دع لوم أقوام بها اعتصموا ... عما يسيغ سواهم في الزجاجات)
فرضٌ عنهم، والعن من حسا سكراً ... مـن الخمور وأنـواع الحشيشات
أقـول: ربِّـي أحـل الطيبات لنا ... فـالاعتصام بهـا، لا بالخبيثات

إن اعتصاماً بأكل الخبث عن خبثٍ ... كغسل حيض ببول في النجاسات
ولا أُرضّي على الفعل الذّميم، ولكـ ... ـن أحـمـدُ الله ربـي في معافاتي
و(البردقان) فقد أقررت فيه بما ... وصـفـتـه بـيـقـين لا ممـارات
وقـد قضيت بـأن الخبـث حليته ... وصفاً لـه عند أربـاب الشهامات
وقلت كـرهٌ، بمـاذا أنـت مُخـرِجُـه ... من الخبيث؟، وتحكم بالكراهات
وقـد علمت بـأن الخبـث لازمـهُ الـ ... ـتحـريم، موصـوفـه في كـل آيـات
واعجب لقولك باستخباثه مع ما ... قد قلت في (أم حبلٍ) باستطابات
هـذا حـلال، وذاكـــرهٌ، وحـاكمـه ... هـوى النفوس بـلا تحريـر إثبـات
فـرقـت مـن دون فـرق بـين مجتمع ... أما الجميع هو: (التنباك) بالذات
كـرَّهـت مـا دُقَّ منـه دون منحرق ... فارجع لعقلك، واعـدل في القضيات
فـإن كـل الــذي كـرَّهـت مـن علل ... في الـكـل مجـتـمعـات مـع زيـادات
فهـاك ردّ الـذي ألقيـت مـن شبهٍ ... ونـقـص مـا قـلـتـه مـن انـتـقـادات
علـى اختـصـار عـبـارات بـلا علل ... وللـنـبـيـه اكـتـفـاء بـالإشـارات(١)

ثـم انـبرى الشيـخ (الحكمـي) ليرد علـى الشاعـر (المهدي): حـول ادعاءه (العصمـة لأهل البيت) فقال مفنداً لتهافـت مذهب محاوره (الرافضيّ) وهذا — كمـا يقولون —: (زبدة الحوار العقديّ)، بل هـو نقطة الخلاف الكبرى بين علماء السنة، والروافض، فقال الحكمي:

وما ادّعيتَ لأهل البيت: عصمتهم ... فالله أكبر: (هذا الرفض بالذّات)

(١) في الأربعة الأبيات الأخير تقديم وتأخير.

لا تعتقده، ولا ترض الركون له ... إنْ كُنتَ تَقبلُ نُصحي باعتبارات
قد خصّ خالقنا بالرسل عصمته ... فجعْلُها لسواهم، من ضلالات
هل ادعاها أبو السبطين في عمل؟ ... أو حين قام بأعباء الخلافات!؟
ولا الحسين ادعاها، لا، ولا حسن ... كلا ولا نَجلهُم من خير سادات
ولا الصحابة ثم التابعين لهم، ... ولا الأئمة، من أهل الروايات
لم يدّعوها! ولا حلّوا بها أحداً ... بعد النّبي!!، وهم أهل الدرايات
ونحن أولى بأهل البيت قدوتنا ... من رافضيٍّ خبيث الاعتقادات
نرى علينا لهم فرضاً محبتهم ... مع اتباع هداهم، والموالات

ومضى في بيان فضائل أهل البيت ووجوب محبتهم من غير غلو ثم ختم قصيدته بالصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان وهكذا فقد أدت إثارة هذه القضية الخطيرة إلى بعث حركة ثقافية قادت إلى تواصل ثقافي فاعل بين معارضي الشيخ (حافظ الحكمي) من اليمنيين، ومؤيديه من المفكرين والشعراء اليمنيين والسعوديين؛ وإذا كنا قد ركزنا على ذكر ردود أفعال وأفكار العلماء والمفكرين اليمنيين المؤيدين والمعارضين فإن ذلك لا يعني عدم وجود ردود أو تفاعل من المفكرين والشعراء السعوديين، كلاّ ولكننا أردنا باهتمامنا بشعر الشعراء المؤيدين والمعارضين من اليمنيين أن نؤكد على تواصلهم وإلا فإنّ اهتمام الشعراء السعوديين بهذه القضية كبير حتى أن بعضهم قد أفرد لمشاركته ديواناً شعرياً مستقلاً كالشاعر الفيفي الذي كتب محاورة طويلة خصص لها ديواناً سماه: (الحوار المبين عن أضرار التخزين والتدخين) وهو ديوان طريف في طريقة

عرضـــه فلقد أبدع الشيخ الشاعر علي بن قاسم الفيفي حين تحدث على لسان تلك الأوبئـــة: (القات، والدخـــان، والشمة) وجعلها تتحاور حواراً حاداً يحاول كل واحد أن يفتخـــر على الوباء الآخر بأدواء مميتة، يعرضها شاعرنا الفيفي بأسلوب شعري ساخـــر، وكأنّ ذلك الوباء يتباهـــى بمصائبه على أنها ميزات يتفوق بها على الأوبئة الأخرى ويساهم بها في تدمير الإنسان وفي الصفحات التالية سنختار شيئاً من تلك الحوارات الطريفة لإمتاع القارئ أولاً، ولصلتها غير المباشرة بموضوعنا، فالشاعر السعودي (الفيفي) يبدأ عمله الشعري بمقدمة جميلة يقول فيها:

موعظة وتذكرة　　بلغة مُيَسَّره
تحوي حواراً هادفاً　　صُوَرُهُ مُعَبِّرَه
بين (دخانٍ) ذائع　　أنواعه، مُشْتهره
و(شمة) و (بردقان)　　مثلُهُ مُنتَشره
وبين (قات) عُدّ من　　فصائل مُخَدِّره
فاسمع إذا تجاولا　　وانظر بعين مبصره
واحكم لأيٍّ منهمُ　　أوْلَهُمُ، بما تره

وفي ثنايا الحوار الطويل الذي بثه الشاعـــر السعودي الفيفي في حوالي إحدى وعشرين صفحة خصص خلاله لكل بلية من هذه البلايا صفحتين أو ثلاث أو أكثر يستعرض خلالها أدواء تلك البلوى ومخازيها ويجعل ذلك الوباء يتباهى بتحقيقها، وكأنهـــا محاســـن، ثم خصّص فصـــلاً لاتفـــاق المتحاوريـــن واعترافاتهم الخطيرة بتدمير صحة الإنسان وخلخلة سلوكه وأخلاقه، وإتلاف ماله ...... الخ

وقد جعل عنوان هذا الفصل: (اعتراف الأطراف المتحاورة بالاشتراك في الأهداف) وفي عشر صفحات يسجل الشاعر الفيفي اعترافات تلك (الأدواء) بالأضرار الشنيعة التي تفتك بالإنسان الذي يبتلى بها أو ببعضها ومن تلك الاعترافات التي ساقها الشاعر الفيفي قوله:

اختلفوا.. واتفقوا   على المبادي العشره
قالوا جميعاً هذه   أهدافنا المقرره
فكلنا في واقع   كدولة، مُستعمره
أو ضرّة، مع ضَرَّةٍ   طامعة، مُستأثره
والمال: حقاً كُلُّنا   أعداء من قد وقره
ونعصر الجسم معاً   ننزع منه جوهره
نخلخل الأبدان بل   في ذا نعد مهره
ونزرع الداء بها   زراعة مُعمّره
وتجعل الأجساد لا   تُحسُّه وخطره
لأنها قد أصبحت   بفعلنا مخدّره
ومن يرد تخلصاً   منّا، أَهَجْناَ ضجره
والخبث لا يدريه من   في بؤرة مستقذره
فكل ذا واقعنا   لم نستطع أن ننكره
وهذه أسرارنا   موجزة، مختصره

وبعد أن يسجل الشاعر (الفيفي) في تلك الصفحات اعترافات (القات) و (الدخان) بالمصائب والويلات التي تحيق بالمبتلى بهما وبعقابيلهما، بعد تسجيل

تلك الاعترافات... أخذ يقرر الإدانة لتلك الأوبئة في صفحتين، يلخصها قوله:

والآن قد بان لنا عداؤكم يا فجره
وكيدكم، ومكركم فأبداً لن نغفره
من غزوكم أبداننا بعادة مدمره
ضحكاً على عقولنا بُعداً لكم يا غدره
وتحسبون أننا كحمر، مستنفره
وتطلبون إمرةً ويا لها من مسخره
فإمرة للفتك بالإ نسان جدُّ منكره

وبعد الإدانة يعود الشاعر السعودي الشيخ علي بن قاسم الفيفي إلى تحذير أبناء الأمة من هذه الأوبئة الفتاكة ومن آثارها التدميرية فيقول في صفحات نختار منها قوله:

فيا شباب أمتي ذوي العقول النَّيِّره
تنبهوا، وفكروا ما الربح؟ أين الثمره؟
وذو الحجى يجيل في كل الأمور نظره
والعقل خير كابح للشهوة المنتحره
ماذا جنى (مدخَنٌ) من عائدات (السَّجَره)
ماذا الذي أحرزه (مُبْرِدقٌ) بالبودره؟
ماذا عسى (مُخَزِّنُ) (القات) اقتنى واستأثره
ما هذه يا سادتي إلا بلا يا منكره

قد أخــذت صاحبها أثـنـاء طيش غَمَره
تالله ليس عادة منها تُعدّ مأثره
ولا تُعدّ أبداً من الأمور الخيِّره
بل إنها سخافة ومثلبٌ، وبُؤَرَه
ولا تليق أبداً في أمة مُطوَّره
والشرع لا تقرها أصوله المُطَهَّره
وخبثها بَانَ لنا من وجهة مُعتَبَره
والشرع والعقل معاً والفطرة المعتبره
تقضي على (التخزين) بالمقت، ومقت (السّجَره)
لأنها عوائدٌ مُضِرَّةُ، مُسْتَقْذَره

ويختم الفيفي ملحمته بأبيات جميلة يشير فيها إلى بعض أهداف مشاركته الشعرية، سنختار منها قوله:

فهذه يا سادتي مناقشات مثمره
جعلت من أسلوبها تسليةً، وتبصره
وقبساً للاهتدا وعظةً، وتذكره
والله أرجو يقظة لنشئنا مستبصره(١)

ولعلنا نكتفي بهذه الاختيارات من مشاركة الشاعر السعودي: (الشيخ علي بن قاسم الفيفي) في تلك الحوارات التي تناولت مشكلات: (القات، والدخّان)

(١) انظر ديوان: (ومض الخاطر) للشيخ الشاعر علي بن قاسم الفيفي ص٤٩-٦٩ مطابع الصفا بمكة المكرمة ١٤١٣هـ.

مع التأكيد بأن هناك شعراء سعوديون آخرون شاركوا في تلك الحوارات أمثال العلامة الشاعر أحمد بن علي بن عبد الفتاح الحازمي (١٣٣٠-١٤١٠هـ) والأستاذ الشاعر: إبراهيم حسن الشعبي، وغيرهم.. ولم نشر إلى مشاركاتهم اكتفاءً بما اخترناه من حوارات: (الفيفي) رغبة في الاختصار، وحرصاً على إتاحة الفرصة لسماع الصوت القادم من البلد المجاور: (اليمن) وشعرائه الذين شارك بعضهم في هذه القضية معارضاً، وشارك بعضهم مؤيداً، وقد اخترنا في أوراقنا هذه بعضاً من شعر هؤلاء، وبعضاً من شعر أولئك، والقليل يشير إلى الكثير، وكل ذلك يؤكد التواصل العلمي والفكري والثقافي بين علماء ومفكري.

وهكذا فقد ظل التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية في عهد الملك سعود وعهد الإمام أحمد مزدهراً متخذاً وسائل شتى لاستمراره غير أنه قد اعتراه شيء من الوهن بعد وفاة الإمام أحمد كما أصيب بشي من الركود في أواخر عهد الملك سعود وبخاصة بعد قيام الثورة اليمنية التي انقسم اليمن حيالها وحيال تدخل الجيش المصري مع بعض قادتها إلى فئتين متصارعتين عرفتا بـ (الملكيين والجمهوريين)، ولم يحسم الأمر لأي من الطرفين إلا بعد سنين عجاف من الصراع العنيف الذي كانت له آثاره المدمرة على اليمن في ظل تزعزع الأمن والاستقرار، وخلال ذلك الصراع خسر التواصل الثقافي بين البلدين كثيراً من محفزاته وإن استمرت بعض الجهود الفردية لمثقفي البلدين تسعى جاهدة لاستبقاء شيء من جذوته، وظلت تلك المحاولات – مع ضعفها – قائمة حتى تحققت المصالحة بين الفريقين

المتصارعـين بفضل الله ثم بفضل تلك الجهـود الحثيثة من قادة البلاد السعودية؛ فكمـا وقف الملك عبد العزيز بقلبه وقالبه مـع اليمنيين ومع إمامهم: (يحيى حميد الديـن) وقف كل من الملك سعود والملك فيصل معهـم ومع إمامهم: (أحمد حميد الديـن) كما وقفا مـع ابنه: (محمد البدر) حين كان ولياً للعهـد ولما أصبح إماماً، غـير أن الأوضـاع بـين البلدين قد تدهورت بعـد قيام الثورة اليمنيـة التي أطاحت بالإمـام (البـدر) في عام ١٣٨٢هـ وما صاحب ذلك مـن تدخل الحكومة المصرية وقواتهـا المسلحة في شئون اليمن ووقوفهم مع الثوار، وما أعقب ذلك من اعتداءات سافرة على المدن والقرى السعودية في مناطق: (جازان، ونجران، وعسير) شنتها عليهـا الطائرات المصرية دون هـوادة، ولو لا لطف الله ثم ما تحلى به قادة المملكة العربيـة السعوديـة من صبر وبعد نظـر وتفكير في عواقب الأمـور، جعلهم يتريثون في الـرد على تلك الاعتـداءات لحصل مالا تحمد عقباه ولـزادت الأحوال سوءاً في اليمـن، ولتضاعف تدهـور العلاقات بين البلديـن الجارين (السعوديـة واليمن)، وهكذا كان تغليب العقل، وضبط النفس، وكضم الغيظ هي الكوابح التي جعلت قادة المملكـة العربية السعودية يختـارون صبر الشجعان، وحلـم الأقوياء في غير خنوع، ويمارســون سياستهم المتوارثة وهي: (عـدم التدخل في شؤون اليمن وتدعيم كل ما يضمن لبـلاد اليمن الرخاء والاستقرار) [1]، مع الحرص على الصلح بين الفرقاء مؤكديـن على حق تقرير المصـير دون تدخل أجنبي، وقد بدأت المحاولات في أواخر

---

(١) رياح التغيير في اليمن للأديب السياسي اليمن أحمد محمد الشامي ص٢٤١.

عهـد الملك سعود ثم استكملت مراحلها في عهـد الملك فيصل بن عبد العزيز الذي كان قبـل قيام الثورة اليمنية رئيساً للوزراء في المملكـة العربية السعودية؛ ثم تسلم مقاليد الحكم في عام ١٣٨٤هـ فقاد بلاده بحكمة واتزان وجنبها المزالق التي كانت تحـدق بها، شهد له بذلـك الأعداء قبل الأصدقاء، وللحـق والتاريخ فلقد وقف من القضيـة اليمنية موقفاً شجاعاً عـادلاً عاقلاً حدّ من تهور بعضـ الزعامات وحقق لليمـن ولليمنيين حق تقرير المصير[1] بعد محـاولات ومصاولات ومحاورات كثيـرة أدت إلى انسحاب القوات المصرية من اليمن، فعاد إلى اليمن هدوءه واستقراره في ظل حكومات وطنيـة يرتضيها في غالب الأحيان أكثرية الشعب اليمني ولا يفرضها عليه الآخرون، وعادت العلاقات المتينة بين البلدين الجارين إلى سالف عهدها، بل تضاعف التواصل والاتصال بين الشعبين الشقيقين وامتد ليشمل جوانب اجتماعية وثقافيـة واقتصاديـة عادت على البلديـن بالخير والمحبة، وبخاصـة بعد أن هدأت الأمور في منتصف عهد الملك فيصل.

(١) المصدر السابق ص٢٤٢.

التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية
في عهدي الملك فيصل والملك خالد وعهود
قادة الثورة اليمنية: السلال، والإرياني، والحمدي

التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية في عهدي الملك فيصل والملك خالد وعهود بعض قادة الثورة اليمنية كالسلال والإرياني والحمدي

تمهيد:

تزامن عهد الملك فيصل بن عبد العزيز: (١٣٨٤-١٣٩٥هـ) مع جزء من عهد الرئيس اليمني الأول: عبد الله السلال: (١٣٨٢-١٣٨٧هـ) وعهد الرئيس اليمني: عبد الرحمن الإرياني: (١٣٨٧-١٣٩٤هـ) كما تزامن عهد الملك خالد بن عبد العزيز: (١٣٩٥-١٤٠٢هـ) مع فترة من حكم الرئيس اليمني: إبراهيم الحمدي: (١٣٩٤-١٣٩٧هـ) ومن أتى بعده.

وكانت الفترة التي حكم فيها (السلّال) فترة مضطربة لم يشهد فيها اليمن شيئاً من الاستقرار السياسي وإن شهد عهد الملك خالد وعهد معاصريه من حكام اليمن هدوءاً حذراً، ألقى بظلاله على الصلات والتواصل الثقافي بين البلدين، فحينما تولى الملك (فيصل بن عبد العزيز) مقاليد الحكم بالمملكة العربية السعودية كانت بلاد اليمن قد أمضت أكثر من عامين على قيام الثورة التي أطاحت بالحكم الإمامي في اليمن، وتولى فيها الرئيس اليمني: عبد الله السلال مقاليد الحكم رئيساً للجمهوريين ومع ذلك كانت الأوضاع في اليمن غير مستقرة حيث لم يتمكن الانقلاب من إخضاع سائر الأراضي اليمنية برغم مساندة الجيش المصري لهم، فقد استطاع أنصار الإمام (البدر)[1] تجميع

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٨٥-٢٨٦.

قواهـم وشنوا على الجمهوريين وعلى الجيش المصري هجمات عنيفة وظل الصراع بينهم قائمـاً سنين طويلة ثم واصلـت جيوش الإمام (البدر) زحوفهـا إلى قرب (صنعاء) فيما يعرف بـ (حصار السبعين يوماً)، (فقد اشتبك الجمهوريون والملكيون في كل المواقع ودارت المعـارك العسكريـة في كل من السهـل والجبل واستمرت هذه المعـارك سبعين يوماً مشكلة بذلـك ملحمـة السبعين) [١] وإن كان السياسي الأديب (أحمـد محمد الشامي) (يرى أن قـادة حرب (السبعين يوماً) هـم من الجمهوريين الذين اعتقلتهـم السلطات المصرية في القاهرة حوالي: (العام)، ومنهم: (حسن العمري) [٢]، و (إبراهيم الحمدي) [٣] وآخرون ممن لم يفرج عنهم إلا بعد هزيمة (سيناء) وكان بينهم شعراء وأدباء وعلماء، وقد قاسوا من التعذيب ما لم يقاسه زملاؤهم في سجن الإمام أحمد حميد الدين) [٤]، لكن الأمور

---

(١) الموسوعة اليمنية ج٢ ص١١٠٨.

(٢) حسن العمري: (١٣٣٥-١٤١٠هـ) قائد عسكري، وسياسي كبير، ولد في بلاد الحدا شرقي ذمار وفي كتابها تلقى مبادئ القراءة والكتابة ثم وفد إلى صنعاء طلباً للعلم في سن مبكرة حيث التحق بمدرسة الأيتام وبعدها التحق بالمدرسة الحربية، وكان ضمن أول بعثة عسكرية درست في العراق كان من الضباط الذين شاركوا في ثـورة الدستور في عام ١٣٦٧هـ وبفشلها قبض عليه وسجن سبـع سنوات.... قام بدور مهم في الثورة اليمنية عام ١٣٨٢هـ وفي أول حكومة عين وزيراً للمواصلات وفي عام ١٣٨٣هـ عين رئيساً للمجلس التنفيذي ثم شغل منصـب نائب رئيـس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة .. قام بتشكيـل ورئاسة خمس حكومات، برز كقائد له دور فيما عرف (بحصار السبعين يوماً)، اعتزل السياسة بعد المصالحة وتحقيق السلام، توفي سنة ١٤١٠هـ في أحد مستشفيات ألمانيا ونقل إلى صنعاء ودفن بها. الموسوعة اليمنية ج٣ ص ٢١٦٨-٢١٦٩.

(٣) إبراهيـم الحمدي: زعيم سياسي يمني أصبح رئيسـاً للجمهورية وقد سبقت ترجمته في أوراق هذا البحث، وقـد تولى رئاسة الجمهوريـة اليمنية بعده الرئيس: أحمد الغشمي الذي لم تدم رئاسته طويلا حيث قتل قبل أن يكمل عاماً على توليه.

(٤) مع الشعراء المعاصرين في اليمن لأحمد محمد الشامي ص٩٤، دار النفائس بيروت ١٤٠٠هـ.

لم تحسم بحصار السبعين يوماً فقد زادت تعقيداً وزاد الصراع ضراوة وعنفاً بين الجمهوريين والملكيين، وأحياناً بين الجمهوريين والجمهوريين حتى عام ١٣٨٧هـ حيث تمت المصالحة من خلال لقاءات قادة اليمن التي جرت في مؤتمر حرض الذي رعته المملكة العربية السعودية ومصر، وكانت قد بدأت المحاولات الجادة بين حكومتي المملكة العربية السعودية ومصر لإجراء المصالحة بين الفرقاء وإيجاد مخرج لانسحاب الجيش المصري من اليمن منذ وقت مبكر وبذلت في سبيل ذلك محاولات لرأب الصدع بين المتصارعين وإعطاء اليمنيين حق (تقرير المصير) دون تدخل من أطراف خارجية وظل الملك فيصل يدعو لهذا المبدأ ويؤكد عليه حتى تحقق شيء من ذلك، حيث انتهت الأمور بموافقة الرئيس المصري جمال عبد الناصر على مقترحات الملك فيصل فقدم إلى جده وكانت: (اتفاقية جده التي وقعت بين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر في عام ١٩٦٥م الموافق ١٣٨٥هـ بعد مفاوضات دامت ثلاثة أيام وكان من أهم بنودها: أن يعطى الشعب اليمني حق تقرير المصير، ويؤكد رأيه في نوع الحكم الذي يرتضيه خلال فترة انتقالية، على أن تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة على تشكيل مؤتمر انتقالي يتكون من خمسين عضواً يمثل القوى الوطنية في اليمن وأهل الحل والعقد في اليمن بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة، كما نصت الاتفاقية على أن تنسحب القوات المصرية من اليمن خلال عشرة أشهر، مع وقف الاشتباكات المسلحة في اليمن وتشكيل لجنة للسلام يتعاون فيها الطرفان، ثم يعقد مؤتمر وطني يضم القوى

الوطنية اليمنية بمدينة حرض في شهر رجب من العام نفسه ١٣٨٥هـ وهو الشهر الذي تبدأ فيه القوات المصرية بالانسحاب من اليمن) [١].

وإذا كان التواصل الثقافي قد ازدهر في أوائل عهد الملك سعود عبر المراسلات ومهاداة الكتب والاتصالات وعبر الحوارات العلمية والثقافية التي كانت تتم بين بعض علماء ومفكري البلدين فإنه قد أصيب بشيء من الفتور بسبب تدهور الأوضاع في اليمن إبان قيام الثورة اليمنية في عام ١٣٨٢هـ وما صاحب ذلك من أحداث جاءت مغايرة لما كان يتوقعه دعاة الإصلاح، بسبب ما آلت إليه أحوال اليمن بعد تفاقم الأوضاع بين القوات المصرية وقادة الثورة اليمنية (وذلك حينما ساءت الأحوال الإدارية في اليمن بسبب تدخل المصريين المباشر في شئون البلاد) [٢] وحصل كل ذلك بعد أن أخذ قادة الجيش المصري في اليمن يستبدون بالقرار (حيث كان الحكام الفعليون في اليمن هم ضباط الجيش المصري، وكان رجال الإصلاح والفكر اليمني يحاربون ويقتلون) [٣]، مما أثار لدى قادة الثورة شيئاً من التذمر، وارتفع الصوت بذلك، وازدادت شكوى ذوي الرأي والمروءة في اليمن بل لقد ازداد الصراع قسوة وضراوة، الأمر الذي (دفع رئيس الجمهورية ونائبه آنذاك ودفع كبار ضباط الجيش اليمني بالإضافة إلى عضو المجلس الجمهوري الأستاذ: أحمد محمد نعمان إلى الاحتجاج لدى الرئيس المصري جمال عبد الناصر على سوء تصرف العسكريين المصريين في اليمن) [٤].

---

(١) الموسوعة اليمنية ج١ ص١٠٣-١٠٤ (بتصرف).

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٧٢.

(٣) مع الشعراء المعاصرين في اليمن للشامي ص٩٣.

(٤) الموسوعة اليمنية ج١ ص٢٧٢.

تفاعل شعراء السعودية مع تنديد الشعراء اليمنيين بتصرفات الجيش المصري في اليمن

- لقد كان إصلاح الأحوال السياسية في اليمن قبل قيام الثورة اليمنية مطلباً وطنياً ملحاً لكثير من رجال الفكر ورجال الإصلاح في اليمن ولبعض المحبين من غير أبناء اليمن، لكنهم بعد فترة وجيزة تكشفت لكثير منهم بواطن الأمور، حتى أنّ بعض رجال الفكر في اليمن رأوا في تلك الأوضاع صورة مكررة للظلم الذي كان يمارسه حكام اليمن السابقون من الأئمة وعمالهم، فجأر شعراء اليمن ومفكروه يفضحون تلك الممارسات ويطالبون بإعطاء اليمن حق تقرير المصير بعيداً عن أي وصاية، فشاركهم إخوانهم الشعراء السعوديون تلك المطالبات تعاطفاً مع جيرانهم وحرصاً على اليمن (الجار) فحصل شيء من التواصل الثقافي بين شعراء البلدين، وإن أتى على صورة استنكار لتلك الأوضاع، وحين تحققت المصالحة بسعي حثيث من المملكة العربية السعودية فرح بهذا الحدث السعيد عدد من مثقفي البلدين وتغنى به شعراؤهم فتحقق بذلك شيء من التواصل الثقافي التفاعلي، وكان الشاعر السعودي: محمد بن علي السنوسي[1] واحداً من المبادرين بتلك المشاعر

---

(١) محمد بن علي بن محمد السنوسي: (١٣٤٣-١٤٠٧هـ): رائد من رواد الأدب العربي وشاعر من كبار شعراء المملكة العربية السعودية وصاحب صوت شعري مميز ولد بمدينة جازان وتلقى العلم على علمائها وفي مقدمتهم والده ثم عكف على مكتبة والده وكون لنفسه عن طريق القراءة ثقافة لغوية وتاريخية وأدبية ظهرت في شعره الذي غطى سائر الأغراض الشعرية، نشر شعره في عدد من المجلات والصحف المحلية والعربية وترجم بعض شعره إلى اللغة الإيطالية صدرت له خمس مجموعات شعرية هي: (القلائد، والأغاريد، =

الأخويــة فقــد فــرح بالمصالحة الوطنيــة التي تمت بــين الفرقــاء المتصارعين من أبنــاء اليمن: (ملكيين وجمهوريين) ، ونظم قصيــدة في تلك المناسبة تسيل عذوبة ورقــة وتعــبر عن نشيد الوئام بــين المتصالحين، وكانت مشاركــة الشاعر السعودي (السنوسي) امتداداً لمشاركه شعراء سعوديين آخرين سبق أن شاركوا إخوانهم من مثقفــي وشعراء اليمن تألمهم من تأزم الأوضــاع في اليمن قبل أن تتحقق المصالحة وكانــوا يتألمــون لما أصاب جيرانهــم وينادون بانسحاب القــوات المصرية من اليمن وإعطاء الشعب اليمني حق تقرير المصير، ومنهم الشاعر السعودي: حسن بن علي القاضي[1]، والشاعر السعودي: علي بن قاسم الفيفي، وغيرهم ممن سنختار لهم

=والينابيــع، وأزاهــير، و نفحات من الجنوب) وقــد ضمها في مجموعته (الأعمــال الشعرية الكاملة) كما صــدر لــه كتاب نثري يحتوي علــى دراسات أدبية ونقدية بعنوان: (مع الشعــراء) تقلب في مناصب حكومية كثــيرة منها: رئاســة بلدية جازان، ورأس نادي جــازان الأدبي توفي سنة ١٤٠٧هـ. انظــر ترجمته في: معجم الأدبــاء السعوديــين وفي كتاب الشعر الحديث في المملكة العربية السعوديــة لعبد الله الحامد وفي كتاب أدباء من السعودية ليوسف نوفل ص٨٠ وما بعدها وفي كتاب من أعلام الشعر السعودي لبدوي طبانه ص٣٥٢ وفي كتابنــا لمحــات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعــودي ص٩٠-١٠١ وفي التاريخ الأدبي لمنطقة جازان وغيرها.

(١) حســن بن علي أبــو طالب القاضي: (١٣٥٧-....) أديب وشاعر كبير مــن شعراء منطقة جازان المشهورين ولــد بقرية (الوحش) التابعة لمحافظة صامطة بمنطقة جازان عام ١٣٥٧هـ تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة صامطــة ثــم التحق بمعهدها العلمي حيث أتم بــه تعليمه المتوسط والثانوي ثم التحــق بكلية اللغة العربية في جامعــة الإمام بالرياض وبعد تخرجه منها عمــل مدرساً بمعهد جازان العلمي حتى عام ١٤٠٤هـ حيث انتقل لمعهــد جــده العلمي ثم التحق بقسم الدراســات العليا في جامعة أم القرى وقبل مناقشــة رسالته للماجستير تعرضــ لظرف صحي طارئ أحيل على إثره على التقاعد شاعر كبير يتميز بصوت في الإلقاء رائع شارك في عــدد من المناسبات وأحيا عددا من الأمسيات الشعرية وهو عضو مؤسس بنادي جازان الأدبي وعمل نائباً=

بعض المشاركات الشعرية بعد أن نستمع إلى بعض الأصوات اليمنية لكبار شعراء ومفكري اليمن في هذا الشأن.

- فقد كان من أوائل المفكرين اليمنيين الذين ضاقوا ذرعاً بالحال المائل في اليمن: (أبو الأحرار) العلامة الشاعر محمد محمود الزبيري(١)، أحد قادة حزب الأحرار الذين سجنوا وشردوا وعذبوا من أجل اليمن، لذلك كافأه قادة الثورة عند قيامها وجعلوه وزيراً للتربية لكنه بعد مضي أقل من عامين على قيام الثورة اليمنية رأى الأمور في اليمن تسير على غير المأمول فضاق ذرعاً بالأحوال السيئة فخرج عن صمته وخطب الخطب الرنانة وكتب القصائد القوية المؤثرة مطالباً بإعطاء اليمن واليمنيين حق التمتع بحكم بلادهم دون تدخل من أحد، ثم أخذ يصرخ بشعره القوي في آذان الثوار موضحاً في آخر قصيدة خاطب بها قادة الثورة اليمنية بعض أحوال أولئك الحكام وأنهم قد أصبحوا نسخة ثانية للظلم الذي كان يمارسه الحكام السابقون فقال في قصيدته السينية التي سماها: (الكارثة) والتي اعتبرها بعض المتابعين من أسباب اغتياله:

هذا هو السيف والميدان والفرس　　　واليوم من أمسه الرجعي ينبجس

=لرئيس النادي حتى انتقل إلى جده صدرت له مجموعة شعرية بعنوان: (الجوهريات) تضم مختارات من شعره الذي تناول فيه مختلف الأغراض انظر ترجمته في: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ج٣ ص١٥٤٧، وكتاب: نشأة الأدب السعودي في جنوبي البلاد السعودية لعبد الله أبو داهش ص٦٦، وفي كتابنا: لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي ص١٦٠. وغيرها..

(١) العلامة الشاعر: محمد محمود الزبيري: سبقت ترجمته ٢٦٩.

ما أشبه الليلة الشنعا ببارحة مـرّت، وأشنع من يَهوى وينتكس
كـأن وجـه الـدجى مـرآة كارثة يـرتـد فيها لنا الماضي وينعكس
يـقـلـدون أفـاعـيـل الإمـام ولـو رأوه يـرفس من صـرع بـه رفسوا
روح الإمامة تسري في مشاعرهم وإن تـغـيرت الأشـكـال والأسـس
متى حكمتم بقانون وقد قتل الأ لاف أو سحقوا كالدّود أو كنسوا
عـار على كـاتب القانـون يكتبه وحـكـمـه في بـحـار الـدم منغمس
أوراقـكـم لـشـراء الشعب تذكرنا ما باعه قسس بالصك واختلسوا
أتـنـكـرون عليهم بيع جنتهم يا قوم لا تخدعونا كلكم قسس
وأنـتـم طـبـعـة لـلـظـلـم ثـانـيـة تـداركـت كلما قـد أهـمـلـوا ونسوا
والحكم بالغصب رجعي تقاومه حتى ولو لبس الحكام ما لبسوا[1]
(والبدر في الجرف تحميه حماقتكم وأنتم مثلما قد كنتم حرس)[2]

أمـا الشاعـر اليمني الكبير: (عبد الله الـبردّوني) [3] فقد استبشر بالثورة

(١) شعـراء معاصـرون من الخليـج والجزيرة العربية لأحمـد الجدع صـ٥٧٦، ط٢ ١٤٠٥، الناشر دار الضياء للنشر والتوزيع الأردن، عمان.

(٢) هـذا البيـت غير موجود بالمصدر السابق ولكنه من محفوظاتـي حيث سمعت القصيدة في حينها من إذاعة اليمن (الباحث).

(٣) الشاعـر: عبد الله البردّوني: هو عبدالله صالح بن عبـدالله بن حسن الشحف البردوني (١٣٤٦-١٤٢٠هـ) شاعر يمني كبير ، وقامة أدبية عربية، فهو واحد من أهم الشعراء العرب المعاصرين لأنه استطاع أن يزاوج في شعره بين الأصالة والمعاصرة، فكان نقطة اتصال بينهما، فقد بصره بسبب إصابته بمرض الجدري قبل أن يجاوز السادسة من عمره، قرأ القرآن الكريم في قريته ثم انتقل في سن التاسعة إلى مدينة (ذمار) وفيها أعـاد قراءة القرآن وتجويده على القرآت السبـع، كما درس النحو والفقه وأصول الدين، ثم انتقل من ذمار بعد عشر سنوات إلى صنعاء، فدرس بالجامع الكبير على عدد من العلماء، ثم التحق بمدرسة دار العلوم،=

اليمنية في أول الأمر مثل كثيرين، لكنه لم يلبث أن صدم بالواقع المُرّ، فكتب القصائد الطوال يندب فيها اليمن، وما آلت إليه أحوالها، يرمز في بعضها، ويكنّي في بعضها، ويصرِّح بل يصرخ في البعض الآخر (فاستطاع أن يضع الابداع والثقافة في مواجهة السلطة فكان بذلك الأكثر شجاعة بالقلم واللسان شعراً ونثراً)[1]، ومن قصائده في هذا الشأن قصيدته (صنعاء، الموت والميلاد) التي يقول في مطلعها:

ولدت صنعا بسبتمبر كي تلقى الموت بنوفمبر
في أول كانون الثاني أو في الثاني من ديسمبر

وفيها يقول:

هل تدري صنعاء الصرعى كيف انطفأت؟ ومتى تنشر؟
ترمي أوراقاً ميّتة وتلوّح بالورق الأنظر[2]

وفي قصيدته: (من منفى إلى منفى) يقول:

=وفيها درس النحو والبلاغة والتفسير، وفي صنعاء تفتحت آفاقه فوجد بها رجال الفكر والأدب ووجد فيها كتب للأدب والفكر فعب منها حتى ارتوى.. وبعد تخرجه من دار العلوم عين مدرساً للأدب بالمدرسة العلمية، وعمل إلى جانب ذلك بالمحاماة، وتعاون مع إذاعة صنعاء بدأ يقول الشعر وهو في سن الثالثة عشرة، ثم تدرجت شاعريته حتى أصبح رمزاً أدبياً وشعرياً كبيراً، وحين قامت الثورة اليمنية تفرغ للعمل الإذاعي والأدبي فسجل حضوراً فاعلاً (شاعراً وكاتباً ومثقفاً شارك في عدد كبير من الأمسيات الشعرية والندوات الفكرية والثقافية داخل اليمن وخارجه، ومثل بلاده في عدد من اللقاءات والمؤتمرات الأدبية والثقافية. أصدر عدداً كبيراً من الدواوين الشعرية ضمتها بعد ذلك مجموعته الشعرية الكاملة، وله عدد من كتب الدراسات الأدبية والنقدية من أهمها كتابه: رحلة في الشعر اليمني توفي بصنعاء ودفن بها عام ١٤٢٠هـ . انظر ترجمته في الموسوعة اليمنية ج١ ص ٤٩٨ -٥٠٥، وغيرها

(١) الموسوعة اليمنية ج١ ص ٥٠١ (بتصرف).

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عبد الله البردوني ج١ ص٥٨٠-٥٨١.

بلادي من يدي طاغ إلى أطغى، إلى أجفى
ومن سجنٍ، إلى سجنِ ومن منفى، إلى منفى
بلادي في كهوف الموت لا تفنى ولا تشفى
فتمضي من دجى ضافٍ إلى أدجى، إلى أضفى
بلادي في ديار الغير أوفى دارها: لهفى
وحتى في أراضيها تقاسي غربة المنفى[1]

وفي قصيدته: (الهدهد السادس) يقول في بعض أبياتها المؤثرة جداً:

من ذا هنا؟ صنعا بلا صنعا، وجوه أجنبيه
متطوعون وطيّعات أوصياء، لا وصية
خبراء في عقم الإدارة وافدون بلا هوية
ومؤمركون إلى العظام لهم وجوه فارسية
ومؤمركات يرتدين وجوه ليلى العامرية

إلى أن يقول فيها رامزاً:

يا (هدهد) اليوم الحمـ ـولة فوق طاقتك القويه
هل جئت من سبأ وكيف رأ يته أضحى سبيه
سقط المتاجر والتجارة، والمضحِّي، والضحية
حتى البقاع هربن من أسـ ـمائهن الحِمْيَرِيَّه
سقطت لحى الفرسان، والتَحَتِ المُسِنَّة والصبيّه[2]

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٥٨٤-٥٨٥.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عبد الله البردوني ج١ ص٧٠٩-٧١٢.

ويخاطب صنعاء أو يندبها في قصيدة أخرى فيقول:

صنعاء يا أخت القبور ثوري فإنك لم تثوري
فدهاك غزو، مثلما يحكون عن يوم النشور
حاولت أن تتقيئي في ليلة عفن الدهور
أيد، كأيدي الأخطبوبط و أوجه مثل الصخور[1]

أما قصيدة (البردوني) (الحَبَلُ العقيم) فإنه يصرّح فيها ويلمح، ويقبّح ويوضّح، يصرح بأن الثورة اليمنية لم تأت بجديد وما يمارسه حكامها خواء، وسراب كالخواء وكالسراب السابق بل هو امتداد له إذ ليس هناك فرق بين هذا وذاك فكلاهما هزيل والذي جدّ فقط إنما هو التسميات ذات الطنين الإعلامي البراق الذي ليس فيه نفع للوطن، كل هذا وغيره من ظلم واستبداد يرى فيه الجديد قديم، نراه يصرح به ويلمح حيث يقول في بعض أبيات قصيدته التي سنختار منها قوله:

قيل جاءوا، وغيرهم جاء حيناً جد شيءٌ، فما الذي جدّ فينا؟
السراب القديم، صار جديداً الخواء البديد، أمسى متينا
الجلود التي علينا طلاءٌ كاذبٌ، يركب الفراغ الحزينا
أي فرق ما بين هذا وهذا؟ ذا هزيل وذاك يبدو سمينا
والذي كان، كالذي امتد منه نزرع الورد، شوكه يجتنينا
كيف شئنا زهراً فأعشب شوكاً كان فينا غش البذور دفينا
ذاك ولّى، هذا أتى، فأرانا ما أرتنا عصيُّ ذاك الطنينا

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٥٨٦-٥٨٨.

ما الـذي جـدّ؟ تـسـمـيـات تـعـانـي مـن فـراغـاتـهـا، فـتـعـلـي الطـنـيـنـا
وعـلـيـنـا أن نـسـتـكـيـن، ونـوصـي كل خفق في القلب أن يستكينا[1]

كمـا أن الأديب اليمني الكبـير والسياسي المفكر أحمد محمـد الشامي[2] كان علـى الخـط الذي يقف عليه الزعيم الثوري الكبـير: (الزبيري) من حيث الموقف الذي تردت فيه الثورة اليمنية بعد أن أصبح زعماؤها مسيرون بيد القوات المصرية حتـى وإن كان الشامـي قد اختار لنفسـه الشاطئ الآخر، إلا أنـه من قبل ومن بعد سياسـي كبير ووطني غيور؛ لذلك فقد حوى ديوانـه قصائد كثيرة يندد فيها بتلك الأوضـاع المائلة ويدعو قادة شعبه وبلده للتحرر من قبضة الجيش المصري وقيادته التـي تسـير الحكم في اليمن وفـق أجندتهـا دون معرفة ببيئة اليمـن وأحواله.....، مطالباً بإعطاء فرصة لقادة اليمن ومواطنيه حتى يقرروا مصيرهم بأنفسهم دون تدخل من أحد، وهي الدعوة التي نادى بها الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعوديـة وظل يناضل من أجلها حتى تحققت. وهاهو الشامي يشترك مع رفيـق دربه: (الزبيري) في مؤتمـر (أركويت) (المدينة السودانية الساحلية) التي عُقـد للمصالحة فيها بين الجمهوريين والملكيين في عام ١٩٦٤م (وكان هذا المؤتمر سرياً حضره وفد جمهـوري برئاسة (محمد محمود الزبيري) ، ووفد ملكي تابعين للإمـام البدر برئاسة (أحمـد محمد الشامي) وحضر هـذا المؤتمر مراقبون من

(١) المصدر السابق ج٢ ص٨٤٥-٨٤٩.

(٢) الأديب اليمني الكبير: أحمد محمد الشامي: سبقت ترجمته في ص ٣٣٧.

المملكة العربية السعودية ومن مصر، وتم فيه الاتفاق على وقف إطلاق النار وعلى عقد مؤتمر وطني يضم عدداً من علماء اليمن وعدداً من زعماء القبائل[1]، وقد قتل (الزبيري) بعيد انعقاده وقبل أن تتحقق أهدافه بسبب الخلافات التي حصلت (فلم يعقد المؤتمر الوطني المقترح حيث تأجل لأجل غير مسمى)[2] لذلك سنجد فيما سنختاره من قصيدة الشاعر أحمد الشامي التأكيد على الدعوة لإعطاء اليمن واليمنيين حق تقرير المصير كما سنجد إشارة إلى استشهاد الزبيري بعد أن صرح – رحمه الله – بفساد الأمور في اليمن وأشار إلى انتكاسة أحوال الثائرين الذين مضت على ثورتهم عامان، وما زالوا يتلقون الأوامر من مصر، ويشكلون في تصرفاتهم نسخة بالية من نسخ الحكم المتخلف – ربما – تنافس في سوءها أحوال من سبقهم حيث يقول:

ماذا وراءك يا هلال محرم؟ — مما يحاك لشعبنا المستسلم
عامان قد رحلا بكل مصيبة — كم من يتيم غادراه، وأيم
ما إن مضى ليل وقلت وراءه — شمس تشع على الوجوه المظلم
إلا أتى ليل أشد تدجّيا — ظلماته معقودة بالأنجم
والشعب في اليمن السعيدة ضارع — يرجو السلام من الإله الأعظم
أو ما كفى ما صبّه من أدمع؟ — أو ما كفى ما قد تجرّع من دم؟

---

(١) اليمن الثورة، والحرب حتى عام ١٩٧٠م، ص٢٢٤، لإدجار أوبلانس، ترجمة وتعليق عبد الخالق محمد لاسيد، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩٠م.

(٢) المصدر السابق ص٢٢٥.

من في الجبال، ومن بصنعا إخوة ... لكن كلاً بالأجانب يحتمي
والشعب لا يدري بما رسموه في (اسـ ... ـكندرية) في احتياج مترجم
والحل تقرير المصير لأمة ... ما إن تذل لمدفع، أو درهم
قد قلتها في (أركويت) وقالها ... من خيفة الرقباء لا يتكلم
ووعى (الزبيري) ما تريد بلادنا ... فمضى يزمجر كالهزبر الضيغم
فترصدوه، وخضبوا بدمائه ... جبلاً يئن اليوم مثل الأيم[1]

وفي قصيدة أخرى للشاعر اليمني: (أحمد الشامي) جعل عنوانها: (نشيد تقرير المصير) أكد على هذه المعاني بحرقة وألم ودعا فيها إلى انسحاب القوات المصرية من اليمن وطالب أن يترك لليمن واليمنيين حق تقرير مصيرهم، كما ضمنها مطالب أخرى أشار إلى بعضها في المقدمة التي صدر بها القصيدة فقال فيها: (بعد مرور عام وبضعة أشهر على الحرب الأهلية اليمنية إثر تدخل قوات الرئيس جمال عبد الناصر وغزوها لليمن سنة ١٩٦٢م قال الشاعر يحث جميع القبائل والفئات اليمنية على التضامن ضد التدخل الأجنبي ورفع راية (تقرير المصير)[2] .. يقول الشاعر الشامي في قصيدته هذه: (نشيد تقرير المصير):

نائح الوادي على الأيك الخضير ... نُحْ، ونُحْ، وانزف من الدمع الغزير
للمجالي الخضر في (صنعا) وفي ... (صعدة) المجد وفي (وادي نشور)

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة للشامي ج٢ ص٥٦٦-٥٦٨.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٥٢٣ (مقدمة القصيدة).

وبقاع (الجوف)، والأدغال من (أرحب) أرض المغاوير الصقور
وبـ (ضوران) و (سنحان)، وفي (مسور) العز وأرباض (حجور)

وبعد أن استصرخ معظم المناطق والمدن اليمنية عاد إلى القبائل فقال:

و(الزرانيق) ومن في (حاشد) و(بكيل) من فتى حر صبور

ثم أخذ الشاعر يعري أسباب الغزو ويكشف بعض أهداف جمال عبد الناصر من ذلك الغزو، فهو ما غزا اليمن من أجل أن ينصر ثورتها – كما زعموا وأعلنوا –، وإنما من أجل أن يعوض الصفعة التي تلقاها في سوريا بعد فشل الوحدة معها، ومن أجل أن يبسط نفوذه على اليمن ثم يتمدد إلى أقاليم الجزيرة العربية لذلك سمعناه يقول:

الروابي والمغاني والقرى والمجالي طمها الخطب الكبير
والثرى الطاهر قد دنسه غزو عدوان من الغازي المغير
من وراء البحر ساقته يد تعصر الموت، وتسقي، وتبير
ساقه (ناصر) جيشاً بعدما أخذ الصفعة من وجه المشير
ما بغى كي ينصر الثورة بل قد بغى إعداد شر مستطير

ثم مضى الشاعر (الشامي) يوضح الشبه بين فعل الجيش المصري الغازي لليمن وبين فعل (أبرهة) الحبشي وفعل جيش المماليك ومن سبقهم من الغزاة ومن أتى بعدهم ممن حددت أهدافهم من غزو اليمن فقال:

كلهم للنهب قد هبوا إلى أرضنا يحدوهمُ الوهم الغرور

واستمر في ذلك العرض إلى أن قال مشنعاً على بعض من ينتسبون إلى الثورة اليمنية فيسرقون كنوز اليمن وأمجاده مستعينين بالغزاة:

ثورة قالوا: نصرناها، ويا … خيبة المنصور من بئس النصير
ثورة قالوا، وعاثوا جهدهم … باسمها، واقترفوا كل الشرور
سرقوا أمجادها واختلسوا … ذمة الثوار، في كل العصور
ليست الثورة جاهاً يقتنى … أو هوىً يغضب،أو حقداً يفور
يا أباة الضيم تبت فئة … نكثوا العهد ضلالاً وغرور
وبغوا جهراً وكفراً أعلنوا … وأباحوا حرمة الشرع الطهور
ثم باعوا أرضنا، أعراضنا، … ديننا، واسترخصوا غالي الأمور
لم يخافوا الله في طفلٍ، ولا … حرة ثكلى، ولا شيخ كبير

ثم أخذ الشامي يدعوا القبائل اليمنية إلى الثورة الحقيقية على أولئك الغزاة وأعوانهم ممن سرقوا الثورة اليمنية وغيروا أهدافها حتى أصبحت موجهة ضد الشعب اليمني وضد مكاسبه وبعد أن أعدم أعلام ومشاهير من رجالات اليمن الأحرار دمرهم الجيش الغازي وأعوانه من الأذناب صرخ بمن بقي من أحرار اليمن قائلاً:

للعلى والحق ثوروا واثأروا … للدم المسفوك والعرض الهدير
أخرجوا (ناصر) من أرضكم … وارفعوا راية (تقرير المصير) (1)

وظل الشاعر أحمد الشامي يلح في شعره على ضرورة إعطاء اليمن واليمنيين

(١) الأعمال الشعرية الكاملة للشامي ج٢ ص٥٢٣-٥٢٦.

حق تقرير المصير مطالباً بجلاء القوات المصرية من اليمن وكتب في هذا الشأن قصائد شعرية كثيرة أشار فيها إلى انتكاسة الثورة والثائرين، وتحدّث فيها عن مشاكل اليمن المعاصرة.

ومن هذه القصائد قصيدة طويلة سماها: (دامغة الدوامغ) استعرض فيها تاريخ اليمن مع الظَّلَمَةِ والظالمين وأن اليمن لم ينج خلال تاريخه الطويل من الطغاة والمتسلطين منذ عهد قوم عاد إلى أيام الثورة وفي آخر تلك الملحمة حذر اليمنيين من الانخداع بشعارات (الماركسيين)، و (الناصريين) وضرب لهم مثلاً بالزعامة المعاصرة الناجحة إنه: الملك (فيصل) الذي جعله عنواناً فرعياً في تلك القصيدة الطويلة حيث قال بعد ذلك العنوان الفرعي:

(بني قومي حذار، فإن تمادت   غوائلنا، هلكنا أجمعينا
لكم من (فيصل)، وبني أبيه   مثال في السياسة، تقتدونا
أهاب بقومه نحو المعالي   وأخرج من كنوزهمُ الدفينا
وقــرَّبَ كل ذي رأيٍ، وتقوى   ومعرفة، وأقصى الآخرينا[1]

أما الشاعر اليمني الكبير أحمد بن محمد الحضراني (١٣١٣-١٤٠٧) [2] فقد امتدح جهود الملك السعودي: فيصل بن عبد العزيز آل سعود في نصرة إخوانه وجيران بلاده اليمنيين وتحدث عن مواقفه الرائعة في مقاومة الغازين لليمن ومطالباته المستمرة بخروج القوات المصرية من اليمن و طالب الشاعر

(١) الأعمال الشعرية الكاملة للشامي ج٢ ص٥٨٧-٥٨٨.

(٢) أحمد الحضراني سبقت ترجمته في ص ٤٣٩ .

الحضراني الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي جاء إلى اليمن ـــ كما يقول الحضراني ـــ لنشر الأفكار والمبادئ الشيوعية في اليمن وفي الجزيرة العربية طالبه بالرحيل عن اليمن لأن الجميع لا يتقبلون هذه الأفكار ، لذلك فالشاعر يضم صوته إلى صوت الملك فيصل ويطالب القوات المصرية بالخروج من اليمن حيث يقول في قصيدته التي وجهها إلى الملك فيصل:

مولاي يا أعلى الملوك جلالا ... و نجابة ، وسيادة ، وكمالا
فرح الرسول وآله ،وصحابه ... و الشرع لما أن صفعت جمالا
والله يعلم ما جمال سوى امرئ ... متنطع ، لا يحسن الأقوالا
ما زال يدعو للشيوع مطبلا ... حتى دعوه :البلشفي الطبالا

وبعد أبيات أخرى في مديح الملك فيصل توجه بالكلام إلى الرئيس المصري: جمال عبد الناصر قائلا:

ماذا فعلت وما صنعت وما الذي ... يستوجب الإطناب ولإيغالا
هل غير تسليم السلاح بغزة ... خورا وجبنا فاضحا وخبالا

وبعد أبيات أخرى وجهها إلى الرئيس المصري (لا نستحسن ذكرها) قال الشاعر الحضراني:

نهرو، وتيتو، لم يزالا همه ... وعلى الأخير يعلق الأمالا
أما الإمام المقرني، وغيره ... ممن سما قدرا ، وطاب فعالا
فهم لديهم: أمة رجعية ... لا تستحق الذكر والإجلالا

ثم عاد الشاعر الحضراني إلى مخاطبة الرئيس المصري جمال عبد الناصر

بعبارات شديدة لأنه يراه قد جنى على أبناء اليمن وقتل الشيوخ والأطفال وقذفهم بالغازات السامة، وبقنابل النابالم ولم يراع حقوق العروبة والإسلام فيهم فقال:

يا رأس حربة (ماركس) (ولينينه)   والمزدكي عقيدة ونضالا
لو كنت من عرب الجزيرة لم تجز   تفجيرك الغازات والنابالا
أو كنت من عرب الجزيرة لم تبح   تقتيلك الأشياخ والأطفالا

ثم ختم قصيدته بطلب حار للرئيس جمال عبد الناصر وجيوشه أن يخرجوا من اليمن فقال:

أخرج من اليمن السعيدة إنها   لا تقبل الأوغاد و الأنذالا
أعلى الشقيقة ما برحت غضنفرا؟   ولدى اليهود تجرجر الأذيالا) (١)

وهكذا جاء صوت الشاعر اليمني الكبير أحمد الحضراني على حدته مؤيدا لأصوات إخوانه علماء وشعراء ومفكري اليمن الداعين إلى جلاء القوات المصرية وإعطاء اليمنيين حق تقرير المصير باختيار نوع الحكم الذي يريدون.

- وفي هذا السياق نشير إلى تهنئة الشاعر اليمني: أحمد بن علي زبارة(٢) التي

---

(١) من أدب الرواية ص ٤٩.

(٢) الشاعر أحمد بن علي زبارة: (١٩٢٢-....): ولد بصنعاء وفيها نشأ ودرس وتخرج، واشتغل منذ صباه بالأدب والشعر، التحق بالسلك السياسي منذ عام ١٩٤٧م، مثل اليمن في عدة مؤتمرات وكان مندوبها الدائم لدى هيئة الأمم المتحدة منذ عام ١٩٥١م إلى عام ١٩٦٢م، كما كان قائماً بأعمال سفارة اليمن بواشنطن حتى عام ١٩٦٢م، له عدد من الدواوين الشعرية ومنها: ديوان (نبضات قلب) طبع في بيروت عام ١٩٧٠م، وديوان: (من الماضي والحاضر). انظر ترجمته مفصلة في ص٩-١٠ من مقدمة ديوانه (من الماضي والحاضر) طبع دار النفائس ببيروت ١٩٨٠م.

توجه بها إلى الملك (فيصل) يهنيه فيها بعيد الأضحى المبارك في عام ١٣٨٦هـ ويطلب منه النجدة والعون لليمن الجار الذي فتكت به الحروب الظالمة فيقول:

هنئت بالعيد السعيد وبمقدم العام الجديد
وافا إليك مبشراً بالفتح والنصر المجيد
ويزف ألحان الهنا والبشر للشعب السعودي
شعب كريم طاب طا رفه وأكرم بالتليد
هذبته وحفظته من كل شيطان مريد
ورعاه والدك العظيـ ـم بقلبه الحاني الودود
فأتيت بعد أبيك ذا عزم وذا رأي سديد
يا أيها الملك الذي يزهو بذكراه قصيدي
أرض الجدود وموطن الـ آباء في اليمن السعيد
فتكت به حرب يشيب لهولها رأس الوليد
الذل للأحرار فيـ ـها والكرامة للعبيد
والعز فيها للدخيـ ـل وللظلوم وللنكود
شنّوا الحروب ولم يرا عوا حق شيخ أو وليد
وسعوا لمحو الدين والـ إسلام والذكر المجيد
لا تأمنن ولا تثق بالوعد منهم والعهود
فوعودهم وعهودهم خدع وكيد أي كيد
أنت الملاذ من الزما ن لهم ومن كيد المكيد
فاقطع بسيف الله دا بر كل دجّال عنيد

يـــا حـــامــي الحـــرمـــين هـا ك تحـيّـة القـلـب العـمـيـد

مــن أرضـــن ســام خـجـولـة تـفـتـر عـــن در نـضـــيـد[1]

كما نجد الشاعر أحمد علي زبارة يتوجه كذلك إلى أهله وقومه في اليمن فيصيح فيهـم بأعلى صوته منذراً ومحذراً للشعـب اليمني من الاستكانة للمعتدين الغاصبين وأذنابهم فيقول في قصيدته التي جعل عنوانها (نداء) والتي سنختار منها قوله:

رويـدك إن الأمـر أدهـى وأعـظـم ووجـه الـلـيـالي مكفهرٌ ومظلم

وما المجد في دنياك حولٌ، وسطوة إذا أنـت لم تحـم الحقوق وتخدم

ومن كان أهل الطيش واللهو أهله أتـتـه الـلـيـالي بالمآسي تُحَـوَّمُ

إلى أن يقول الشاعر زبارة:

بني وطني ماذا دهاكم وما جرى؟ أفيقوا، وعوا قولي، تفوزوا وتغنموا

تنامون والأحـداث تجـري ورائكم سراعاً، و (صِلُّ) الشر ينفخ فيكمو

وحـولـكـمُ الأطـمـاع، كـل مـنـاهـمُ بأن تصبحوا الأتباع يوماً وتُحكموا

وكأنـه في الأبيـات التالية يتحـدث بلسان الشعب اليمني فيقـول مؤكداً رفضه لتلك الشعارات التي يروج لها (الناصريون) المعتدون فيقول:

أنا الحر، إني أرفض الزيف والخنا وأجـفـو شـعـارات المضـل، وأهـدم

تعاليم (كارل ماركس) لا أستسيغها وكـيـف؟ وديـن الحـق والله يعلم

ألم يـأن يـا أبـنـاء قـومـي لكم بـأن تـعـودوا إلى الحـق المبين لترحموا

---

(١) ديوان صوت من الماضي والحاضر لأحمد بن علي زبارة ص١٥٥-١٦١، ط١، دار النفائس بيروت ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

فلا تظلموا التاريخ بالغش والمرا ... ولا تَدَعُوا الأحقاد تنهش فيكمُ[1]

ونستمع أيضاً إلى الشاعر (أحمد بن علي زبارة) في نص شعري آخر يندب الحب والصفاء والإخاء في ظل الحكم الغاشم فيقول:

وئد الحب، واحتواه التراب ... واختفى الصدق، فهو أمر كذاب
شرعة الغاب، شرعة اليوم فالـ ... حاكم من عنده القسي، والحراب
القوي الجهول فينا زعيم ... نافذ أمره، مطاع، مهاب
والعليم الحليم فينا مهان ... قد قلاه الخلان والأصحاب

إلى أن يقول مخاطباً زمر الطغاة:

أيها العابثون بالنفس والما ... ل لقد جار حكمكم والعقاب
أيها السادرون في اللهو ... والطغيان قد ظل رشدكم والصواب

ويخاطب من باعوا قضية إخوانهم اليمنيين فيقول:

يا ثري الحروب مهلاً فليس الما ... ل يحميك يوم يدنو الحساب
أترى الشعب تاركاً لك تلهو ... وهو الجائع، المضام، المصاب
ألأجل الحطام جرتم وضحـ ... ـيتم بشعب تغتاله الأوصاب[2]

وهكذا فقد ظل الصراع في اليمن على أشده، صراع بين فكر وفكر وإن صنّفوهم بالجمهوريين والملكيين وبخاصة بعد أن تكشف زيف دعاة بعض من يسمون بالثوريين؛ يقول الدكتور غازي القصيبي: (كنت مثل جل الشباب من جيلي متحمساً لدعاية

(١) ديوان صوت من الماضي والحاضر ص١٨٠-١٨٥.

(٢) المصدر السابق ص١٦٩-١٧٣.

الثورة اليمنية، وللتدخل المصري الذي صاحبها حتى رأيت بعيني حين شاركت في وفد المصالحة تلك القوات المصرية الضاربة في اليمن، حينها أدركت أن هناك خللاً) [1].

فإذا كان بعض المفكرين اليمنيين وبعض المفكرين العرب إذا كانوا متفائلين بالثورة اليمنية في بادئ أمرها، فإنهم ما لبثوا بعد أن انكشف لهم الوضع على حقيقته أن تراجعوا، وذلك بعد أن رأوا أن الأمور تُسيَّر بقوة من مصر، دون أخذ في الاعتبار لظروف اليمن وقيمه وفكره، لذلك كانت مقاومة اليمنيين لتلك الأوضاع شديدة، فلم يكن الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) أو أحد ممن حوله يعرفون شيئاً عن اليمن، تاريخاً وعادات، فتورطوا، وجازف جمال عبد الناصر تلك المجازفة غير المحسوبة، حتى أنه لم يقتنع بخطأ تورطه في اليمن إلا في مؤتمر القمة المنعقد في القاهرة عام ١٩٧٠م [2] ولقد سجل السياسي اليمني الكبير: (أحمد محمد الشامي) في كتابه: (مع الشعراء المعاصرين في اليمن) شيئاً مما سمعه من الرئيس المصري جمال عبد الناصر مباشرة من اعترافاته بخطأ تورطه في حرب اليمن فقال (الشامي): (ومما قاله الرئيس جمال عبد الناصر في أحد المؤتمرات العربية موجهاً خطابه إلى الرئيس (سالم رُبَيِّع علي) وإلى ملوك ورؤساء الدول العربية عدا سوريا قال عبد الناصر: (لقد غلطت مرتين: الأولى حينما

---

(١) حياة في الإدارة لغازي القصيبي ص٤٦-٤٧، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت ١٩٩٩م.

(٢) المصدر السابق ص٤٧-٤٨.

أعلنت الاستعداد لحرب الأيام الستة مع إسرائيل وسحب القوات الدولية، بينما كنت (أُنَاوِرُ) ولا أنوي الدخول في حرب، والغلطة الثانية: تدخل مصر العسكري في حرب اليمن) [1]، ولا شك بأن بعض شعراء اليمن وبعض المفكرين فيه قد تكشف لهم الوضع المزري في اليمن وتخبط قادة الجيش المصري هناك بعد أقل من عامين لا أكثر، وبحكم الجوار فإن الشعراء السعوديين قد كانوا على اتصال باليمن وبقضاياه يلمسون معاناته ويشاركونه آماله وآلامه كيف لا؟ وهو البلد الجار القريب الذي تربط بينه وبين البلاد السعودية وشائج الدين والعروبة، والدم وكلها وشائج قربى تجعلهم يتألمون لما أصاب جيرانهم، كما يتألمون لما أصاب بعض المدن السعودية من قصف الطائرات المصرية حيث امتد أذى الجيش المصري لينال من المدن السعودية الحدودية في مناطق: (جازان)، و (نجران)، و (عسير) مما جعل الشاعر السعودي محمد بن أحمد العقيلي يتساءل في أبيات من إحدى قصائده قائلاً:

أيهزأ الظالم الطاغي ويمطرنا سلاحه والشظايا تملأ السهبا؟
هل ظن (نجران) (إسرائيل) يقذفها نار القنابل؟ أو (جازاننا) (النقبا)؟
راق الدماء، وأردى بالنفوس ولم يرع الإخاء، ولا ديناً، ولا قربى[2]

وهكذا فكما تلاشت أحلام كثير من أحرار اليمن ومفكريه حين اتضحت لهم

---

(١) مع الشعراء المعاصرين في اليمن لأحمد محمد الشامي ص٩٧.

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد بن أحمد العقيلي ص٥٦١.

صورة الغزو المصري لليمن فعبروا عن خيبة أملهم شعراً ونثرا، فقد تلاشى تعاطف كثير من الشعراء السعوديين حين رأوا ثورة اليمن ليست ثورة يمنية خالصة لأنها كما اتضح لهم إنما جاءت محمولة جواً من مصر على طائرات (الميج) و (اليوشن) الروسية الصنع، فرأوا فيها اعتداء على الشعب اليمني وتصديراً لفكر الناصريين والاشتراكيين إلى معقل العروبة والإسلام لذلك سمعنا الشاعر السعودي: (حسن بن علي أبو طالب القاضي) في قصيدته: (مأساة اليمن) يندب ماضي اليمن ويبكي حاضره البائس طالباً من المصريين تذكر أواصر القربى مؤكداً بأن اليمن سيقاوم تلك المبادئ الدخيلة ولن يقبل بالفكر الماركسي ولا بحاملي لوائه في بلادهم مهما كانت الأحوال، مذكراً قادة مصر بأن اليمنيين المستهدفين من قواتهم الضاربة هم إخوتهم في الدين وإخوتهم في العروبة والدم منادياً بالكف عن تلك المجازر التي يرتكبها الجيش المصري في اليمن فيقول:

قف بالديار بمغنى العزّ والكرم ونغّم الشعر، إما كنت ذا نغم
مجد قديم طواه الدهر فاندثرت معالم المجد، يا لهفي على الشّيم
إن أصبحت مرتعاً للسائمات فقد كانت ملاعب فتيان ذوي شمم

والشاعر السعودي (حسن أبو طالب) في هذه القصيدة يعبر عن استيائه الشديد مما آلت إليه أحوال اليمن بسبب تسلط القوات المصرية على اليمنيين، مطالباً للمصريين بتذكر أواصر الدين والقربى آملاً منهم الكف عن تلك الممارسات التي لا يرتضيها عقلاؤهم فيقول:

يا فتنة عمت الإخوان في بلد ... كانت مصادر أصناف من النعم
غدا بها اليمن الميمون منتكساً ... من دون ذنب، ولا جرم لمجترم
هل يرتضي إخوة في مصر ما صنعت ... أيديهمُ من مآس في رباً شبم؟
ألم تكن إخوة في الدين؟ يجمعنا ... هدي السماء بحبل غير منجذم؟

ويختم مناشداته بالدعاء قائلاً:

يا رب قيض لهذا الشعب كوكبة ... تهدي السبيل بنور الحق والحكم
أنقذ بني أمّتي من شرّ كارثة ... واحفظ عليها نظام الدين والقيم [1]

وتفاعلاً – كذلك – مع ما كان يدور في اليمن وجدنا الشاعر السعودي الشيخ: (علي بن قاسم الفيفي) يدافع عن اليمن ويذكر نضاله، وتصديه لمقاومة الأفكار (الناصرية) و (الماركسية) التي يحاولون فرضها بالقوة دونما رحمة للشيوخ ولا للأطفال ولا للأرامل ويدعو إلى انسحاب الجيش المصري فيقول في قصيدته التي جعل عنوانها: (أحداث حرب اليمن) والتي سنختار منها الأبيات الآتية:

ما زال في العرب أبطال مغاوير ... تحمي حمى الدين، أنجاد نحارير
تكيل للمعتدي بالصاع، أربعة ... والشر بالشر مردود، ومقهور
ظن الغبي بأن القوم في (يمن) ... شاة، لمن قادها غفل أغارير
يُخادَعُون بمعسول الكلام وبالـ ... ـوعود لو انها كذب، وتزوير

(١) ديوان الجوهريات للشاعر حسن بن علي أبو طالب القاضي ص١٠٤-١٠٦، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٣٠هـ.

أو أنهم إن أتاهم فوق ما ألفوا ... من السلاح: مذاعين، مذاعير
حب الزعامة قد أعمى بصيرته ... وران في قلبه الطغيان والجور
ظنّ (السعيدة) للباغين سائغةً ... وما درى دونها أسدٌ مغاوير
ألم تروا يا بني الإسلام ما فعلت ... جنود بغي، أباليس، أشارير
(بأرض حمير) والأبطال من (سبأ) ... سيقت إليها من الأعدا طوابير
دعاة بغي وإلحاد وزندقة ... لهم إلى الشرّ إقدام، وتشمير
عاثوا فساداً فلا إسلام يردعهم ... عما يشين، ولا عقل، وتدبير
فكم شيوخ وأطفال، وأرملة ... وعُزّل، فيهمو للنار تسعير
(اليوشن) وطراز (الميج) تمطرهم ... قذائفاً، يا لها قصف وتفجير
ولا ملاذ لهم منها إذا قذفت ... إلا الكهوف، وتهليل، وتكبير
قالوا: مبادؤنا: (عدل، ومرحمة ... تقدُّمٌ، وانطلاقات، وتحرير)
وهي الشيوعية الحمراء قدّمها ... في باقة، وهي: تضليل، وتخدير
قد صح بالفعل ما قالوه سفسطة ... وما أشادوا به: غدرٌ، وتغرير

وبعد أن يشنع على تلك الشعارات الزائفة التي كانوا يروجونها بقصد خداع الجماهير المغلوبة على أمرها ويبررون بها تدخل القوات المصرية في شئون اليمن يعود الشاعر مؤكداً مطالبته بانسحاب الجيوش المصرية و منادياً أمة الإسلام برأب الصدع فيقول:

ما بالكم يا بني الإسلام طال بكم ... في هذه الفتنة العمياء تفكير
قوموا بإصلاح ذات البين، وأتمروا ... بما أتى في كتاب الله مسطور

لا تحسبوا أن هذا الأمـر خارجنا أو أنها سوف تجدينا التقارير [1]

ثـم ختمها بتمجيد المقاومين اليمنيين الذين ظلـوا في صراع عنيف مع الجيش المصري وأتباعه سنوات طوال حتى استجاب الرئيس (جمال عبد الناصر) لنداءات (الملك فيصل) الذي وقف ووقفت بلاده من القضية اليمنية موقفاً إسلامياً أخوياً مشرفـاً، حيـث كان يدعو إلى أن يترك لليمنيين حق تقريـر المصير دون تدخل من أحد، بهـذا كان الملك فيصل ينادي في سائر المحافل العربية والإسلامية والدولية، وذلكم الموقف النبيل من حرب اليمن هو موقف المملكة العربية السعودية؛ - موقفها المبـدأي من تدخل القـوات المصرية في شؤون اليمـن - .. (لقد ظل موقف المملكة المبدئـي ثابتاً لم يتغير طوال بقاء القـوات المصرية في اليمن، وهو أن تترك الحرية للشعـب اليمني ليقـرر مصيره بنفسه ويختـار نوع الحكم الذي يريـده دون ضغط خارجي، وهو ما ظل الملك (فيصل) يعلنه وينادي به وسائر المسئولين) [2].

(١) ديوان: (الطيف العابر) للشاعر علي بن قاسم الفيفي ص٢١-٢٣.

(٢) رياح التغيير في اليمن لأحمد محمد الشامي ص٤٤٢-٤٤٥.

توقيع اتفاقية المصالحة بين الملكيين والجمهوريين يفرح بها شعراء اليمن والسعودية فيتأكد التواصل

وهكذا استمر موقف المملكة العربية السعودية العادل من قضية تدخل القوات المصرية الغاشم في شؤون اليمن حتى أذعن جمال عبد الناصر لدعوات الملك (فيصل) وأقنع أتباعه بذلك، (وطبقاً لاتفاقية جده) التي سبقت الإشارة إليها اجتمع في مدينة حرض في الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٥م اجتمع خمسة وعشرون يمنياً ملكياً وجمهورياً لمناقشة تكوين الحكومة المؤقتة والاستفتاء الشعبي[(١)] وهكذا عُقدت مؤتمرات للمصالحة التي أنهت النزاع بين الطرفين ووَفَّرَتْ للجيش المصري أولاً غطاء الانسحاب من اليمن دون أن يحقق أهداف قادته ومطامحهم في اليمن والجزيرة العربية فتمت المصالحة، وسكنت الفتنة، وعاد الوئام والاستقرار إلى اليمن الشقيق وكان لذلك صداه الجميل في نفوس شعراء اليمن، وفي نفوس بعض الشعراء السعوديين وفي مقدمتهم الشاعر السعودي الكبير: (محمد ابن علي السنوسي) الذي شارك في هذه المناسبة بقصيدة عصماء عبر فيها عن سعادته الغامرة بتلك المصالحة الوطنية بين الأشقاء حيث رأى الشاعر السنوسي تلك المصالحة قد حققت لليمنيين شيئاً من الاستقرار وتبعاً لذلك فقد فرح بها الشاعر وفرح الجميع بهذه المصالحة التي تمت بين الفرقاء المتصارعين بل وفرحت بها كل رابية ومنعطف من بلاد اليمن السعيد- على حد تعبير الشاعر السنوسي -،

(١) اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م ص٢٥٩.

وبخاصة (بعد أن قيض الله الملك فيصل رحمه الله ليقوم بمبادرته السلمية التي أوقفت سفك الدماء العربية في الأراضي العربية بأيد عربية لذلك كانت فرحة الشاعر السنوسي عظيمة بهذا الحدث العظيم) [1]، فقال في قصيدته التي سماها: (فرح اليمن):

قرت قلوب الأمنيات	وزهت أساريير الحياه
وتناثرت فوق الجبال الشـ	ـمّ أنغام الحداه
وتجاوبت بالبشريات الـ	ـغر ألسنة الرعاه
ومضت تقبل ابنها	فرحاً، وتهتف للبنات
أمٌ وقلب الأم أعـ	ـرف بالحياة وبالممات
يا للسلام يهز بالألحا	ن أعطاف الموات
قرت به عيناً وأكبا	داً قلوب الأمهات
وتعانق الإخوان	واطّرحوا أكاذيب العداة
رفعوا قضيتهم عن الأهو	اء فوق النيرات

ثم يشير الشاعر السنوسي باعتزاز إلى المكان الذي تمت فيه المصالحة، لقد تمت المصالحة في المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين الشريفين، أرض النبوة، عرين الملك فيصل بطل تلك المصالحة التاريخية كما يشير فيها إلى أن الفرقاء المتصارعين قد نحروا خلافات الهوى على تلك الربى الطاهرة فيقول:

---

(١) محمد بن علي السنوسي شاعراً لمحمود شاكر سعيد ص٨٦ وما بعدها، ط١ ١٤١٠هـ دون ذكر اسم دار النشر.

وغـــدوا إلى أرضـــ النبـ ـــوة والأخــــوة والــهــداة
وعـلـى رحــاب الـنــور مـن أر ضــ الــهــدى والمــكــرمــات
نــحــروا خــلافــات الـهـوى وسـمـوا إلى أسـمـى الصفات
واهـتــزت الـدنـيـا عـلـى نـبـأ كـــأزهـــار الـــنـــبـــات
رفّـــت نـســائـمـه الـرقـاق ويـــا لـهـا مـــن رفـرفـات
تـهـدي إلى الـيـمـن السعيد الحـــظ، والأمـــل المـواتـي
وتـريــق فـــوق الـنـار ثَـجّـا جـــا سـخـيّ المـعـصـرات
وتـــخـــط أنــبـــل خـطـة لـلـسـلـم مــن حـسـن الـنـيـات
هــي غـيـمـة مـــرّت، وشـــفّ الجـــوّ مـصـقـول الـسـمـات
وأخـــوك مـهـمـا شـــذّ عـنـك فـــإنـــه لا بــــدّ، آت
والمـــرء تجـــرحـــه يـــداه ومـــن يـديـه، دوا الأســـاة
والحـــق (فـيـصـل) كـل منغـ ـلـق بـكـف المـعـضـلات [1]

يقـول الباحث العربي الدكتور محمود شاكر سعيد: وفي البيت الأخير من هذه القصيـدة ينسب الشاعر السنوسي الفضل لأهلـه، ويُوَرِّي بكلمة: (فيصل) فتأتي توريته جميلة [2].

حقـاً لقد عبر الشاعر السعـودي محمد بن علي السنوسـي في هذه القصيدة الجميلـة عـن مشاعره ومشاعـر السعوديـين ومشاعر العرب قاطبـة بهذا الحدث

---

(١) محمـد بـن علي السنوسي شاعراً لمحمـود شاكر سعيد ص٨٦، ط١ ١٤١٠، دون ذكـر اسم الدار الناشرة أو مكانها.

(٢) المصدر السابق ص٨٨.

الجميل الذي حقن الدماء بين الأشقاء وأعاد لليمن استقراره.

ولئن قرت قلوب الأمنيات كما يقول الشاعر السعودي: (السنوسي)، ولئن زهت أسارير الحياة، وتجاوبت بالبشريات ألسنة الرعاة، بشريات ذلك الحدث السعيد: (مصالحة الأشقاء المتصارعين في اليمن) كما صوره الشاعر السعودي في هذا النص الجميل فلقد ظلت قلوب ومشاعر وألسنة شعراء ومفكري اليمن تحفظ للمملكة العربية السعودية ولقادتها تلك المواقف النبيلة وذلك السعي الدؤوب الذي بذلوه حتى تحققت تلك المصالحة وظل الأوفياء منهم يعبرون عن امتنانهم شعراً ونثراً، ومن أولئك الشعراء اليمنيين الأوفياء الشاعر الكبير: (أحمد محمد الشامي) الذي حيّا في إحدى قصائده قادة المملكة كما حيّا بحب وتقدير بلدانها التي قامت وحدتها على صفاء الدين والعقيدة فقال:

حيِّها كعبة العلى والكرامة ... ورياض الهدى ومأوى الشهامة

حيّها غابة الأشاوس من أدغال ... أبها إلى سفوح (اليمامة)

حيّها والجبال فيها تناجي ... بحنان القربى سهول (تهامة)

وحقول الواحات تهدي إلى جدب ... الصحاري ما قد يُرَوِّي أوامه

وحدة الدين والمصير وما في ... أصلنا من أخوة ورحامة

قدرتها إرادة الله في قلب همام ... يرى الخنوع ملامة

قبله كانت الجزيرة فوضى ... وحقوق المواطنين مضامة

فامتطى العزم رافعاً راية التوحيد ... والعدل ناشراً أعلامه

يقطع الظلم والظلام ويحيي ... سنة المصطفى ويمضي كلامه

هو عبد العزيز من أيّد الله به الـ ـــديـــن حِـــلّـــه وحــرامــه
وأبـــو الــقــادة المــلــوك الـبـهـا ليل (سعود) و (الفيصل) الصمصامه[1]

والشاعـر (أحمد محمد الشامـي) في هذا التدفق الشعري الجميل يعبر عن مشاعره الصادقة كما يعبر عن مشاعر كثيرين مثله من نبلاء اليمن الشقيق الذين يقدرون لبلاد الحرمين مواقفها الرائعة مع بلادهم في العسر واليسر.

وفي هـذا النص وأمثاله وفاء ونبـل من أولئك الشعـراء وتقدير لتلك المواقف العظيمة التي وقفها الملك (فيصل) ووقفتها بلاده من قضية الغزو المصري لليمن وسعيه الدؤوب لحقن الدماء العربية في اليمن ومطالباته المستمرة بإعطاء اليمنيين حق تقرير المصير حتى تحقق ذلك.

ووفـاءً بحق تلك المواقف السعودية الفيصليـة وجدنا عدداً كبيراً من الشعراء اليمنيين الذين وصلتنا بعض مراثيهم في شهيد العروبة والإسلام: الملك (فيصل) وجدناهـا تعبر عن وفائهم وصادق مشاعرهم التي بكوا بها فقيد العرب والمسلمين ولعلنا نختار عدداً من تلك المراثي، وسنبدأ بقصيدة للشاعر اليمني: (يحيى أحمد مطهـر) [2] الـذي رأى في مرثيته: بأن قلـوب العرب والمسلمين تبكـي الملك فيصل بحرقـة لأنه كان يجاهد من أجلهم كما أنه قد مـلأ بلاده عدلاً وأمناً، وهاهو يقدم روحـه ثمناً لمواقفـه العظيمـة الشجاعة، والشاعـر يبكي فقد الملـك فيصل كذلك لمواقفـه النبيلـة مع جيرانه في اليمـن وسعيه الحثيث لإنهاء الصـراع بين الفرقاء،

(١) المجموعة الشعرية الكاملة لأحمد الشامي ج٣ ص ١٣٨٠-١٣٨١.

(٢) لم تسعفني مصادري بترجمة لهذا الشاعر اليمني.

وهي مواقف تجلت فيها شهامة الملك فيصل وإنسانيته وحبه للخير والإحسان لكل ذلك خاطبه الشاعر اليمني يحيى مطهر قائلاً:

فقيد العروبة والمسلمين	سلام عليك مع المتقين
سلام عليك وأنت هناك	مع الشهداء مع الصالحين
سلام عليك أيا قائداً	سلام عليك أبا الطيبين
مضيت وعزمك لا ينثني	لعزٍّ أردت به المسلمين
ظللت تجاهد من أجلهم	بحزمٍ وعزمٍ أبى أن يلين
ورغم الخطوب ورغم العناد	ورغم المغامر في العالمين
ثبت على الحق لا تنحني	ولا تستنيم ولا تستكين
وما كان نهجك غير الهدى	به قد حكمت.. به نستبين
ملأت بلادك عدلاً سما	رخاء وحباً وعِزّاً (مكين)
بتلك المروءة يا سيدي	بكتك القلوب بكاك الوتين
وحين بكيتك يا فيصلاً	بكيت العدالة في المشرقين
ففقدك يا سيدي طعنة	بصدر العروبة والمسلمين[1]

(وكان الأستاذ الأديب والمؤرخ اليمني: أحمد حسين شرف الدين[2] ممن شهد الموكب الباكي في تشييع جثمان المغفور له – بإذن الله – جلالة الملك (فيصل بن عبد العزيز) إلى مثواه الأخير، فصوره لنا في هذه الأبيات الحزينة المعبرة عن

(١) كتاب آلام وآمال ج١ ص٦٢-٦٣، (والكتاب يقع في ثلاثة مجلدات، جمع فيه صالح إبراهيم الأحيدب قصائد وكلمات رثاء في الملك فيصل رحمه الله) طبع شركة مطابع حنيفة دون ذكر سنة النشر.

(٢) سبقت ترجمته في ص٣٤٠-٣٤١ .

مشاعره تجاه هذا الحدث الأليم فقال:

لا تسلني ماذا ألمّ بذهني   من ذهول وحيرة لا تسلني
يوم هبت - ضحى - خلائق نجد   تتجارى من كل سهل وحزن
هل هي الارض أوشكت بانشقاق   أم هي الشمس أنذرتنا ببين
وتعالت حناجر الخلق تنعى   فيصل العرب في نحيب وحزن
فيصل المجد والجهاد ومن كان   لدين الله أقوى - مجن
كم له من مناقب في سبيل الله   والعرب، عَدُّهَا، جد مضنى
قام بالامر في بسالة سعد   وتقى ياسر ونخوة معن
عربي لا يعرف الحقد يوما   لا ولا تعتريه سَوْرَةُ ضغن[1]

كما فجع بوفاة الملك فيصل، الشاعر اليمني: محمد أحمد منصور فرثاه بقصيدة يقول في بعض أبياتها:

خطب تزلزل منه البيت والحرم   وروعت مكة واستفزع الهرم
وأصبحت قمم الجولان هادرة   وناح في الضفتين النصر والعلم
وأقبل الشرق مذعوراً ومضطرباً   تكاد أفلاكه بالغرب تصطدم
ودمدمت في ربى نجد معالمه   وضج في المشرقين العرب والعجم
وروع الدين والإسلام وانتحبت   جبال مكة وانهارت بها القمم
نعى النعاة مليكاً، فيصلاً، بطلاً   لم تأت في مثله الأجيال والأمم
من ذا كفيصل؟ حامي الدين في أمم   كانت تهددها الأوثان والصنم
من للحجيج جوار البيت يحرسه؟   إذا استدارت عليه الأشهر الحرم

---

(١) كتاب آلام وآمال ج١ ص٦٠-٦١.

ومـن لـزمـزم والمسـعـى يـطـالـعـه؟ إذا دعـى محـرم أو طـاف مستلم[1]

أمـا الشاعر الحضرمي: (حامد المحضار) فقد أحس بهول فاجعة استشهاد الملـك فيصـل ورأى بـأن الأرضـ تزلزلت لهـول تلك الفاجعـة وذهـل الناس لها، فاستشهـاد زعيم عظيم بحجم الملك فيصل كارثة كبـيرة؛ فمن سيدافع بعد الملك فيصـل عن حقوق العرب والمسلمين، ومن سيؤوي الشريد وينصر المظلوم، ويناصح الضال، ويرعى الحقوق؟؟ ولم لا يبكي الشاعر (بطل العبور) الحقيقي؟

عـن هذه المعـاني العظيمة تعبر قصيدة الشاعر المحضـار التي يقول في بعض أبياتها:

تـزلـزلـت الأرضـــ زلـزالـهـا وقـــال الـــورى في الـــذرى مـالـهـا
فـقـلـنـا لـهـم عـافـهـا فـيـصـل فـلا تـنـكـروا الـيـوم أهـوالـهـا
وفي فـقـدهـا فـيـصـلا عـــاذرٌ بـه تُـلـقـم الـصـخـر عُـذّالـهـا
قـضـى فـيـصـل نـحـبـه كـابـراً وغـــال الـهـنـــاءة مـــن غـالـهـا
تـولى عـن الأرضـ حـامـي الحمى ومـــن كـــان يـرشـد ضُـلاّلـهـا
تـــولى الـــذي إن دعـتـه الحقـو ق أجـــاب وحـــرّم إهـمـالـهـا
دعـــتـــه لإنـــقـــاذهـــا أمـــة الـ ـهدى فـاسـتـجـاب وأصـغـى لها
وقـــام بـأعـبـائـهـا مـنـجـزاً وظـــل إلى الـلـحـد حَـمّـالـهـا
ويـــعـــرب أنـــقـــذهـــا فـيـصـل ورمم بـــالأيـــدى أطـلالـهـا
حـبـاهـا الـعـبـور ويـــوم الـنـشـو ر قـــاد إلى الـنـصـر أشـبـالـهـا

(١) المصدر السابق ج٢ ص٢٧-٢٨.

فيا رب صل على فيصل وأصلح لأسرته بالها[1]

كما شارك في رثاء الملك فيصل شاعر يمني ومسرحي معاصر هو الشاعر: العزي المصوعي[2] حيث نظم قصيدة طويلة نقتطف منها قوله:

عم الأسى شرقا وغربا وازداد قلب الكون كربا
وهفت من الحرمين أفئدة تكاد تذوب أسى ورعبا
ما صك مسمعها وأفقدها شعور، شق قلبا
لأشد من قصف الرعود ومن صروف الدهر حربا
صوت نعى ملك البلاد وفيصلا للحق عضبا
صوت كحشرجة الجريح أحال خصب الأرض جدبا

(١) كتاب آلام وآمال ج١ ص٧٣-٧٥.

(٢) الأستاذ: العزي سعيد عبد الله المصوعي: (١٣٣٨-.....) أديب وشاعر وإعلامي وتربوي وممثل ومؤلف مسرحي يمني ولد بمدينة الحديدة ونشأ بها حيث درس بالمدرسة الإرشادية التركية ثم بالمدرسة السيفية، ثم أكمل دراسته في صنعاء وبعد تخرجه عين مدرساً بمدرسة الروضة الابتدائية بالحديدة ثم مفتشاً لمدارس الحديدة وفي عام ١٣٧٥هـ أصبح مديراً للتربية والتعليم بالحديدة فواصل اهتمامه بالعمل المسرحي وقام بإخراج وتمثيل وإعداد العديد من المسرحيات القصيرة، ثم شغل منصب مدير عام الإعلام والثقافة ثم مدير عام مكتب الإعلام بمحافظة الحديدة وظل في هذا المنصب حتى أحيل إلى التقاعد، شاعر موهوب خفيف الظل خصب الشاعرية، من أعماله الشعرية المطبوعة ديوان: (ألحان الشاطئ)، وديوانه: (الخرير والهدير)، حصل على وسام الدولة في الآداب والفنون عام ١٩٨٩م وتم تكريمه عام ٢٠٠٤م من قبل وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، المصدر أعلام الأدب والفن المسرحي في اليمن ليحيى محمد سيف ص٧٥، من منشورات الهيئة العامة للكتاب في الجمهورية اليمنية، صنعاء دون ذكر سنة النشر، وانظر كتاب: (تهامة في التاريخ) لعبد الرحمن الحضرمي ص٥٣٥-٥٣٦، من منشورات المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق ٢٠٠٥م.

يـا للمصـاب أهــكـذا غــدرا نـــواري الــيــوم قـطـبـا)[1]

وحتــى الشعر الشعبي اليمني بكى لفقد الملــك فيصل وفاءً له ولمواقفه العظيمة ومواقف بلاده، واعترافاً بجهوده العظيمة في خدمة العرب والمسلمين، وهذا الشاعر (أحمد باحشوان)[2] يقول في رثاء الملك فيصل متألماً:

يقول من بات طول الليل يتألم ساهر، نجوم السما حالات قاسيها
من حين جاني خبر مليكنا الافخم الفيصل اللي بلغ في المجد عاليها
عساه في جنة الفردوس يتنعم يقطف من اثمارها واحلا مجانيها
أولاد مقرن هل العوجا في المقدم في كل ساحة شرف يتقدموا فيها
بايعهم الشعب بالطاعة لهم وابرم عهد الولا بالوفا والروح يفديها
كم له فضايل على الأعمى وعالابكم وكم، وكم من أيادي مقدر احصيها
المملكة كلها دايم بها مهتم قاد السفينه، وبَلّغْها مراسيها
لازال ذكراه في ألسن بني آدم على مدى الوقت، والأيام ترويها
أعود واذكر أفعال الفيصل الأعظم واجب علي، ما قدرت اختم وخليها
لكنّ حكم القدر وافاه واتقدم ما للقضا رادّ، غير الله قاضيها
هذي خلاصة عزا شاعر بني حضرم نائب عن الجالية يرفع تعازيها[3]

وبسبب تراكم تلك الأحداث التي توالت على اليمن الشقيق فقد شهد

---

(١) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية لعبد الله أبو داهش ج ٢ ص ٥٩١ -٥٩٦.

(٢) أحمد باحشوان: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(٣) المصدر السابق ج٣ ص١٢٤-١٢٦.

التواصل الثقافي بين البلدين الجارين خلال تلك الفترات تراجعاً غير مسبوق، وإن كان قد مر بشيء من التحسن في أواخر عهد الملك فيصل واستعاد شيئاً من عافيته في عهد الملك خالد ومن عاصره وعاصر بداية عهد الملك فهد من رؤساء اليمن الذين حققوا لبلادهم شيئاً من الاستقرار مما هيأ لبعض الأشقاء اليمنيين محاولة تعويض فترات ركود الاتصال والتواصل، وبدأت المملكة العربية السعودية تشهد خلال تلك الفترات هجرات بعض الأشقاء الذين وجدوا في جامعات المملكة ومراكزها العلمية حضناً دافئاً فنهلوا منها معارف شتى، كما أخذ طلاب الدراسات العليا في الجامعات السعودية يتوافدون على مكتبات اليمن التراثية وينهلون منها درر العلوم والمعارف ويتواصلون مع أدباء ومفكري الجامعات اليمنية، ولم تكن الهجرات المتبادلة بين مواطني البلدين وتواصلهم محصورة في تلك الفترات فقد سبقتها هجرات وهجرات، إلا أنها ازدهرت في أوائل عهد الملك فهد بن عبد العزيز بازدهار التواصل بين البلدين الشقيقين كما سنرى في الفصل القادم الذي سنتحدث فيه عن:

التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة في عهدي
الملك فهد والملك عبدالله بن عبدالعزيز
وعهد الرئيس اليمني علي عبدالله صالح

التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة
في عهدي الملك فهد والملك عبدالله بن عبدالعزيز
وعهد الرئيس اليمني علي عبدالله صالح

تمهيد:

سبقت الإشارة إلى أن معاهدة الطائف التي تم التوقيع عليها في عام: (١٣٥٣هـ) من قبل عاهلي البلدين آنذاك: الملك عبد العزيز، والإمام يحيى، قد خلت بنودها من تنظيم الشأن الثقافي بين الشعبين: السعودي واليمني، وأن ملاحقها كانت تصب اهتمامها على الجانب الأمني فحسب، وأن أول إشارة للاتصال الثقافي الرسمي قد وردت في المادة السادسة من مذكرة التفاهم المحررة بين البلدين في عام ١٩٩٥م الموافق ١٤١٥هـ[١]، ومع ذلك فقد استمر التواصل الثقافي غير الرسمي بين السعودية واليمن بتوفيق الله ثم بجهود المخلصين من مثقفي البلدين محققاً بعض النجاحات، وإن ظهرت عليه في بعض الفترات حالات من الضعف الحاصلة بتأثير التقلبات السياسية التي عاشها اليمن منذ قيام الثورة اليمنية في عام ١٣٨٢هـ وحتى أواخر عهد الرئيس اليمني عبد الرحمن الإرياني: (١٣٨٧-١٣٩٤هـ) الذي تزامن مع عهد الملك فيصل بن عبد العزيز: (١٣٨٤-١٣٩٥هـ) بل وحتى أواخر عهد الرئيس اليمني إبراهيم الحمدي؛ لذلك ظل التواصل الثقافي بين البلدين

(١) اليمن ودول مجلس التعاون الخليجي لعبد الله الأغبري ص٤٧١-٤٨٨، وانظر كتاب السياسة الخارجية اليمنية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي لخالد ناجي ص٢٤٣-٢٤٦.

خـلال تلك الفـترات بين جزر ومدّ، حتى هيأ الله له أسبـاب النمو في أواخر القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر الهجري كما سنرى في الصفحات التالية:

التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية في عهد الملك فهد وعهد الرئيس اليمني علي عبدالله صالح

شهـد التواصل الثقـافي بين اليمن والمملكـة في أوائل عهد الملـك فهد بن عبد العزيـز: (١٤٠٢-١٤٢٤هـ) وأوائـل عهـد الرئيس اليمنـي علي عبـد الله صالح (١٣٩٨-.....) شيئـاً من التنامي المتزايد المتمثل في تكثيف بعض الجهات الثقافية في البلديـن لنشاطاتهـا الثقافيـة إلى جانـب ارتفـاع منسـوب الجهـود الثقافيـة المؤسساتية والفردية من مثقفي الشعبين؛ فشهد البلدان شيئاً من التواصل الثقافي المنظم المشتمل على فعاليات أدبية، وفنية وتراثية جاء بعضها على هيئة ما يعرف بـ (الأسابيـع الثقافية) التي تتنوع فيها المناشط الثقافية وتتعدد، وكذلك ما يُنفّذ من فعاليات ونشاطات ثقافية متنوعة على هامش (معارض الكتب) التي أخذت تنشط هنا وهناك، وبعضها جاء على هيئة ندوات ثقافية.

- كما نشطت المهرجانات الثقافية، والصوالين والمنتديات الأدبية الأهلية مستفيدة من بعض المبادرات الثقافية لبعض مثقفي الشعبين المدعومة بتشجيع وتسهيلات مسئولي البلدين.

- فعلى الصعيد الرسمي رأينا في بداية عام ١٤٠١هـ شيئاً من التواصل الثقافي الذي بـدأ يتحقق بين البلدين، حيث كانت الرئاسـة العامة لرعاية الشباب في المملكة العربية السعودية التي كانت تقوم بدور وزارة الثقافة، قد بادرت بإرسال وفودها الثقافيـة إلى اليمـن للمشاركة في المعرض الدولي الثالث للكتـاب الذي أقامته

جامعـة صنعاء خلال الفترة من (٢٩ إبريل إلى ١١ مايو ١٩٨١م) فشاركت فيه وفي فعالياته[١]، كما شاركت في ذلك المعرض بعض الجامعات السعودية.

- كما استقبلت الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المملكة في العام نفسه وفد (عدن) للمكفوفين الـذي زار الجمعية العربيـة السعودية للثقافة والفنون بالرياض في يوم ١٤٠١/٢/٢٧هـ حيـث تعرفوا على عدد من مرافق الجمعية وعلى أنواع النشاطات والبرامج التي تنفذها الجمعية كما استمع الوفد اليمني لعدد من المناشط الثقافية فيها[٢].

- كمـا فتحت الجامعات السعودية خلال تلك الفـترة آفاق التعاون العلمي والثقافي مـع جامعات اليمن ومراكـزه العلمية والثقافية، فشهد البلـدان تعاون الباحثين والمثقفـين الذي أدى إلى دعم الحركة الثقافية في البلدين الجارين، وكان لذلك التعاون آثاره الطيبة على الحركة الفكرية والثقافية.

- وفي هذا السياق تأتي مبادرة نادي أبها الأدبي، فقد سعد مثقفو وأدباء منطقة عسير في مطلع عام ١٤٠٢هـ بحضور الأمسية الثقافية التي أحياها أديب اليمن الكبير الشاعـر المعمّر (أحمد الحضراني) في نـادي أبها الأدبي بدعوة كريمة من رئيسه الأستـاذ: محمد الحميـد، وقد حياه مثقفو عسير شعراً ونـثراً وابتهج الجميع بهذا الشاعـر اليمني الكبير، ومن الأدباء الذين رحبـوا بالشاعر (الحضراني) العلامة الشاعـر الحسن بن علي الحفظي، وعضو مجلس إدارة النادي الأدبي الأستاذ: محمد

(١) مقابلـة شخصية مع الأستاذ (منصور الحيـان) أحد مسئولي النشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب بتاريخ ١٤٣١/١٠/١٥هـ.

(٢) المصدر نفسه.

إبراهيـم النعمي وآخرون، وكان الحضراني سعيداً بحفاوتهم فرد على تحاياهم شعراً ونثرا، ثم تحدث عن مسيرته العلمية والثقافية وذكر أسماء بعض مشائخه الذين تلقى العلـم على يديهم في الحجاز ومنهم العلامة: عبيـد الله الدهلوي[1]، والعلامة: أحمد بـن علي النجار الطائفي[2] وآخرين، كما تحدث عن إقامته الطويلة في مدينة الطائف التـي أحبهـا وقضى فيها شطـراً كبيراً من عمره حيـث أقام بها قبـل العهد السعودي وخـلال العهد السعـودي، وإن لم تكن إقامته بها بصـورة دائمة، فقد (كان يتردد بين حـين وآخـر إلى اليمن ثم لا يلبث أن يعـود إلى الطائف التي اتخذهـا مستقراً ومقاماً وحظي فيها بالتقدير والرعاية من ولاة الأمر السعوديين)[3].

كمـا أشـار (الحضراني) في أمسيتـه الثقافية إلى بعض مطارحاته الأدبية والشعريـة مع بعض معاصريه وبخاصة ما كان منها مـع قاضي الطائف وعالمها[4] وأديبها الشاعر عبد الله كمال الثقفي[5]، واستعرض عدداً من مطارحاته الشعرية الأخـرى، وقرأ عدداً من قصائده التـي استعادها من الذاكرة ومنها قصيدته التي بدأ بها هذا اللقاء، والتي سنختار منها قوله:

مـا ألـذّ الـوصـال بـعـد التـنـائـي　　　في انـتـزاح الـوشـاة، والـرقـبـاء
كـم مضـى لي مـع الأحـبـة يـوم　　　مـن وصـال يَـلَـذُّ في الـدهـنـاء

(١) سبقت ترجمته في ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٢) سبقت ترجمته في ص ٤٤٠.

(٣) انظر كتاب: من أدب الرواية لعبد الله الحميد ص١٩ .

(٤) المصدر السابق ص٥٨.

(٥) سبقت ترجمته في ص ٤٤٠.

وبمغنى العُذَيْب قبلاً وحزوى	وبسفح العقيق، والزوراء
وليالٍ بحاجر قد مضت لي	كالـلآلي وفي ربوع اللواء
مع قومٍ هُمُ النجوم ولكن	أشرقت بينهم شموس البهاء
حبذا الاجتماع فيه سررنا	فيه عن غامض بكشف الغطاء
فاجتلينا البدور بعد وفاء	وأرحنا النفوس بعد عناء
نعمة لم تكن تضاهى ولكن	أذكرتني سوابغ النعماء(1)

كما نبش الحضراني في هذا اللقاء ذاكرته القوية الحية فذكر أحداثاً يعود بعضها إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فتحدث عن أيامه التي قضاها مع الشريف (الحسين بن علي) في الحجاز وذلك بعيد العام ١٣٣٣هـ كما تحدث عن أحداث وقعت له في اليمن قبلها وبعدها.

ولحسن الرعاية التي كان يحظى بها من ولاة الأمر في المملكة، ولشدة حبه لمدينة الطائف فقد ظل مقيماً فيها حتى وافاه الأجل في عام ١٤٠٧هـ حيث دفن بالطائف رحمه الله.

وقد أدار هذه الأمسية الأدبية الشيخ الدكتور عبد الله المصلح مدير فرع جامعة الإمام بأبها آنذاك، ووثق الدكتور عبد الله بن محمد الحميد هذه الأمسية في كتاب توثيقي سماه (من أدب الرواية) يقع في حوالي مائة صفحة من القطع فوق المتوسط، وطبعه نادي أبها الأدبي بمطابع الجنوب عام ١٤٢٥هـ.

- ولا شك بأن المهمة الأدبية التي قام بها نادي أبها الأدبي إنما تمت بدعم ومؤازرة من الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المملكة العربية السعودية.

تطور مفهوم الثقافة وتنوع النشاطات الثقافية يعزز التواصل

وعلى الرغم من العثرات والتعثرات التي أصابت التواصل الثقافي بين البلدين قبل هذه الفترة وبعدها فقد حقق التواصل الثقافي شيئاً من المكاسب في تلك الأيام المضيئة، مكنته من الانطلاقات الواثقة؛ حيث أخذت الجهات الثقافية الرسمية في البلدين تشجع تلك الانطلاقة وتدفع إلى تفعيلها وتقوية مساراتها وبخاصة بعد أن تطوَّر مفهوم الثقافة ولم يعد محصوراً في الجانب الأدبي والعلمي فقط وإنما دخلت ألوان إبداعية وفنية إلى ساحة الثقافة ففتحت آفاق جديدة، وأضاءت مساحات كانت معتمة، لقد تفتحت زهرة الثقافة فتناسلت منها زهرات ذات ألوان متعددة ربما كان بعضها جديداً على الساحة أو لربما كانت محسوبة على جوانب أخرى تلامس الهم الثقافي على استحياء لكنها الآن قد دخلت إلى الثقافة من بابها الواسع فالفن التشكيلي والنحت والتصوير والفنون الشعبية والمسرح والسينما وغيرها من الفنون الإبداعية قد أصبحت تشكل أغصان شجرة الثقافة حتى باتت فرقنا الشعبية تجوب دول أوروبا وأمريكا باسم الثقافة ورأينا شبابنا يشاركون في معارض تشكيلية إقليمية وعالمية ممثلين لجوانب إبداعية وثقافية متنوعة، كما رأينا شيئاً من التجارب المسرحية تشارك بعروضها إلى جانب بعض العروض السينمائية والفنية التي شاركت في عدد من المهرجانات العربية والإقليمية.

وهكذا فقد تنامى ثوب الثقافة حتى أصبح فضفاضاً يتسع لما جد وما سيجدّ وما

كان مستمرا، وتبعاً للتوسع في مفهوم الثقافة فقد ازداد التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية قوة ومتانة خلال تلك الفترة الذهبية، حيث قفزت المناشط الثقافية في تلك الفترة قفزات هائلة، فضاعفت الجهات الرسمية في البلدين فعالياتها التي تعزز التواصل الثقافي بين البلدين وتنميه؛ كالأسابيع الثقافية التي أصبحت تقام هنا وهناك، وكمعارض الكتب الدولية التي تقام سنوياً في السعودية وفي اليمن، ويدعى لها أصحاب دور النشر في البلدين، كما يدعى لحضورها والمشاركة في فعالياتها نفر من مثقفي الشعبين.

وتأكيداً لهذه الانطلاقة نحو تعزيز التواصل الثقافي بين البلدين الجارين الشقيقين رأينا تظافر الجهود الرسمية والشعبية في البلدين تسير جنباً إلى جنب بحماس واندفاع غير مسبوقين؛ حيث شهدنا بعض المبادرات الثقافية الرسمية المدعومة بعدد من المبادرات الشعبية...

- فإذا كانت الجهات الثقافية الرسمية في المملكة العربية السعودية ممثلة في الرئاسة العامة لرعاية الشباب قد أخذت زمام المبادرة فشجعت دور النشر لديها كما شجعت الجهات الثقافية الأخرى بالمشاركة في المعرض الدولي الثالث للكتاب الذي أقامته جامعة صنعاء خلال الفترة من: (٢٩إبريل– إلى١١مايو١٩٨١م) [1]؛ فإن وزارة الثقافة اليمنية قد تفاعلت مع هذه المبادرة فقامت في عام ١٤٠٢هـ

(١) مقابلة شخصية مع أحد مسئولي الشئون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب بالمملكة الأستاذ منصور الحيان بتاريخ ١٥/١٠/١٤٣١هـ.

بتنفيـذ أول أسابيعها الثقافية الناجحة في المملكة العربية السعودية حيث قوبلوا بالترحـاب من سائر الجهات الثقافية في المملكة شعبية ورسمية؛ مما سهل لقاء المثقفـين اليمنيين المشاركين في هذا الأسبـوع بإخوانهم مثقفي البلاد السعودية ويسر لهم وسائل الاتصال والتواصل الفاعل فصدح الشاعر اليمني الكبير عبد الله الـبردّوني مع شعـراء يمنيين آخريـن بشعرهم العذب في صـالات النوادي الثقافية المنتشرة في عدد كبير من مدن المملكة كما التقى بعض المثقفين اليمنيين من خـلال محاضراتهم التي شاركـوا بها في أروقة بعض الجامعات السعودية بإخوانهـم السعوديين فتحاور خلال تلك اللقـاءات الثقافية مثقفو البلدين حول عدد من القضايا الأدبية والفكرية.

- كما تنقلت فرق الفنون الشعبية اليمنية بين بعض مدن المملكة حيث شهدت إقبالاً جماهيرياً منقطع النظير حين قدمت ألواناً من التراث اليمني الأصيل، وشهدت ساحات عرض الفنون المسرحية والتشكيلية عروضاً فنية لعدد من فناني اليمن كانـت محل إعجاب وتقدير متذوقي ونقاد تلك الفنون التشكيلية والمسرحية من السعوديين.

ولم تتأخر الجهات الثقافية السعودية الرسمية كثيراً عن رد هذا الفعل الثقافي الجميل لجارتها وشقيقتها اليمن فأقامت في العام التالي أسبوعها الثقافي الأول في اليمن الذي حشدت فيه ألواناً من النشاطات والبرامج الثقافية المختلفة، وقد وجد الأدبـاء والشعراء والفنانون والمثقفون السعوديون مـن إخوانهم المثقفين والمفكرين

اليمنيـين استقبالات حاشدة وترحاباً كبيراً، وتفاعـلاً جيداً مع طروحاتهم الأدبية والفنيـة سواء في العاصمـة اليمنية (صنعاء) أو في بقيـة المحافظات اليمنية التي صـدح فيها الشعراء السعوديون بشعرهم، أو التي عرض فيها فنانو المملكة العربية السعودية إبداعاتهم حيث قوبلت المعارض الفنية، والعروض المسرحية بالاستحسان من مثقفي ومتذوقي وفناني اليمن.

- ثـم تتابعت بعد ذلك الأسابيع الثقافية بـين البلدين الجارين، وتطورت فعالياتها حتى أصبحت تشمل سائر ألوان الإبداعات الأدبية والفنية والثقافية.
- كما توالت معارض الكتب الدولية في البلدين، وتزايدت معها مشاركات المهتمين بالشأن الثقافي من مثقفي الشعبين، وذلك لأنها أصبحت تقام على هوامشها مناشط ثقافية كثيرة، بعضها جاذب ومغرٍ للجميع مما ينمي التواصل الثقافي ويعززه.

ثـم تتابعـت المبـادرات الثقافية التـي كانت تتـم في البلدين سواء علـى مستوى الجامعـات أو على مستوى المؤسسات الثقافيـة الأهلية أو غيرها، فشهد البلدان نشاطـات ثقافيـة مختلفة شارك فيهـا عدد من مثقفي الشعبـين فحققوا بذلك مزيداً من التواصل الثقافي المثمر.

- كمـا تضاعفـت نشاطـات أصحاب المنتديـات والصوالـين الأدبيـة في البلدين، وأصبحـت لهـا نشاطاتهـا الثقافية المبرمجـة والمنظمـة، وبعضها صـارت لها دورياتها ومطبوعاتها الجيدة.
- وفي السطـور التالية سنشير إلى أهم النـدوات الثقافية وإلى شيء من نشاطاتها ودورها في تعزيز التواصل الثقافي بين البلدين.

ندوة الأديب السعودي عبد العزيز الرفاعي
تكرم الأديب اليمني أحمد محمد الحضراني

- ومـن تلك المنتديات الثقافيـة التي كان لها دور بارز في تعزيـز التواصل الثقافي:

نـدوة معالي الأسـتـاذ الأديب: عبد العزيـز الرفاعي التي ربمـا كانت من أقدم النـدوات والصوالين الأدبيـة تأسيساً في المملكة العربيـة السعودية فقد أنشأها الرفاعـي بـداره في الرياض في أوائل الثمانينـات الهجرية من القـرن الماضي لتكون ملتقى لأصدقائه – كما يقول مؤسسها – لكنها سرعان ما تحولت منتدى أدبيـاً يتنادى لها الأدباء من كل مـكان ويتسابقون لحضورها حتى أصبحت كما يقول أحد الباحثين: (منتدى عربياً لا يخلو بلد عربي من عشاق لها فيه، بل إن الأدباء ليوصي بعضهم بعضاً بزيارتها إذا قدموا إلى الرياض) [1].

- وكان مـن أوائـل روادها: الشاعـر الكبير ماجد الحسينـي، والدكتور أحمد خالـد البدلي، والدكتور/ عبد العزيـز الخويطر، والأستاذ علـي العمير، والأستاذ عبد الرحمن المعمر، والشاعر الكبير أنور العطار وآخرين[2].

ثـم تطور أداؤهـا وعطاؤها حتى أصبحت منتـدى ثقافياً عربيـاً يؤمه الأدباء والمثقفـون العـرب ويشاركـون في فعالياته الثقافيـة، ومن كبار روادهـا العرب بعد

---

(١) عبد العزيز الرفاعي صور ومواقف لأحمد سالم باعطب ص١١٥.

(٢) مجلـة الأدب الإسلامـي العـدد (٥٤) للشهـور: ربيعـي الأول والثـاني وجمـادى الأولى والثانيـة مـن عام ١٤٢٨هـ،انظـر مقـال الدكتور عايض الردادي بعنوان: (الندوة الرفاعيـة، تاريخها – نشاطها، مرتادوها) ص٢٦-٣٠.

حفظ الألقاب: شوقي ضيف، والشاعر القروي، وعلي عبد الواحد وافي، ويوسف عز الديـن، وعامر العقـاد، ومحمد عبد المنعم خفاجي، والحـاج أمين الحسيني، ومن اليمن: إبراهيم الوزير، وعبد الرحمن بن يحيى حميد الدين، وأحمد حسين شرف الدين، وأحمد محمد الحضراني، وأحمد محمد الشامي[1].

والأخيرين كانا ضيفا ندوة الرفاعي في عامي ١٤٠٣هـ و١٤٠٤هـ وقد اخترتهما دون غيرهمـا مـن الأعـلام اليمنيـين الذيـن استضافتهم هـذه النـدوة؛ رغبة في الاختصـار ولأنهما من أوائل ضيوفها اليمنيين، فلقد رصد لنا معالي الأستاذ: عبد الله بلخـير حضـور الشاعر أحمد الحضـراني الفاعل في عام ١٤٠٣هـ ومشاركته في نـدوة معالي الأستاذ: عبد العزيز الرفاعـي بالرياض واحتفاء الأدباء والشعراء السعوديين والعـرب في تلك الندوة بهذا العلم الشامـخ: (أحمد الحضراني)؛ كان ذلك أثناء حديث معاليه في إحدى إثنينيات عبد المقصود خوجه بجده، فقد حضر تكـريم صديقه معالي الأستاذ عبد العزيـز الرفاعي فكانت له مداخلة تحدث فيها عـن صديقه (الرفاعي) حديثـاً ضافياً، كما تحدث عن ندوتـه (ندوة الرفاعي)، وأشـار في مداخلته إلى استضافتها لأعلام الفكر والأدب في العالم العربي، ومنهم: الأديـب اليمني الكبـير: (أحمد الحضراني) الذي أشاد به كثيراً في تلك المداخلة، فقـد تحدث عن علمه وأدبه وقوة ذاكرته، وتحدث عن صلاته الأدبية بأدباء العرب عامة وأدباء المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، وحين تحدث عن إقامة

(١) المصدر السابق ص٣٠.

الحضراني في الحجاز، وعن صلاته بملوك المملكة وأمرائها وتواصله الثقافي الجيد مع أدبائها أشار إلى أنه حينما كان أحد رواد خميسية الأديب الرفاعي، فكأنما كان يحاول أن يعيد إلى الأذهان صلات شاعر نجد في الجاهلية: (الأعشى) بأقيال وملوك اليمن في زمنه، ومما قاله الأستاذ عبد الله بلخير عن ندوة الأستاذ الرفاعي في الرياض وعن استضافة الشاعر اليمني الكبير: (أحمد بن محمد الحضراني): (كنت أسعد بارتياد ندوة الأستاذ الرفاعي في الرياض كما يسعد بها إخواني مرتادوها حينما نكون في الرياض، وفي ذات ليلة أخبرنا الأستاذ عبد العزيز بأن صناجة العرب الأستاذ أحمد الحضراني سيكون ضيف الخميسية، والشيخ أحمد الحضراني يكاد أن يقال فيه بأنه (حمَّاد الراوية) أو (الأصمعي) أو من شاكلهما ممن يحفظون الشعر، ولقد نظمت عدة أبيات لألقيها في تلك الليلة الجميلة، وفي تلك الأبيات أردت أن أُذَكِّر الشاعر (الحضراني) الذي يفد إلى الرياض بـ (الأعشى) شاعر نجد الذي كان يفد في موسم الشتاء إلى اليمن وينزل ضيفاً على ملوك وأقيال (حِمْيَرْ) و (كِنْدَهْ) فأردت أن أعمل بينهما مزاوجة فالأعشى في الماضي كان يرحل من منفوحة إحدى قرى الرياض إلى الملوك اليمنيين فيكرمونه بهباتهم وعطاءاتهم وهو ينشدهم شعره، واليوم يرحل أحمد الحضراني من صنعاء إلى الرياض وينشد شعره في ملوك وأمراء الرياض الذين يجودون عليه بما كان أجداده يجودون به على أعشى نجد، ومما قلته في القصيدة:

ندوة الشعر في الرياض ليالي الـ ـتجمع النيرات دار الرفاعي
دارة الملتقى بمنفوحة (الأعشـ ـى) وما حول وترها من تلاع
يتباهى بها ويزهو (جرير) فهي في حيِّه بتلك البقاع

إلى أن يقول:

كان في صدر ندوة الشعر قيلٌ من ملوك القريض من ذي كلاع
سدرة المنتهى (وحضرانها) المشـ ـرف منها على الذرى والتلاع
وسمير الملوك يا طالما زاحمهـ ـم في مكارم وقراع
ذو الثمانين والثلاين ما طاوله شاعر ولا ذو يراع
نازل بين أهله في سيوف ورماح نجدية ودراع
كان (الاعشى) يزور جدك (قيساً) في روابي (دمون) ذات الضياع
فإذا ما نزلت ضيفاً بمنفوحة في داره بهذي البقاع
وإذا زرت (آل مقرن) في (نجـ ـد) وحليت في كريم البقاع
كنت فيما أتيته شاهد التاريخ تهدي الوفاء صاعاً بصاع[1]

وهكذا كان الشاعر اليمني الكبير: أحمد الحضراني نقطة اتصال وتواصل ثقافي يشارك في المنتديات السعودية فيلتف حوله المثقفون.

ندوة الرفاعي تكرم أيضاً الأديب اليمني أحمد محمد الشامي

- وفي عام ١٤٠٤هـ كان أحد حضور ندوة الأستاذ الرفاعي: أديب اليمن الكبير

---

(١) كتاب: (الاثنينية) ج١ ص٤٢٣-٤٢٥ (بتصرف) وانظر كتاب: عبد العزيز الرفاعي (صور ومواقف لأحمد سالم با عطب) ج١ ص١٥٢ وما بعدها.

الشاعر: أحمد بن محمد الشامي وكان محل حفاوة الجميع من حاضري تلك الندوة، وقد أنشد فيها قصيدة عبر فيها عن سروره بحضورها وعن تقديره لصاحبها (الرفاعي) وتقديره لروادها من (الأدباء الألمعيين ذوي الأقلام الصناع) حيث قال في بعض أبياتها:

حيِّها ندوة الأديب (الرفاعي) — الزكي النجار، سجع الطباع
حيِّها روضة لكل أديب — ألمعَي، وذي يراع صناع
ثمرات العقول فيها، وفيها — شهوات الأبصار، والأسماع

إلى أن يقول:

كلما جئت لاجئاً من ذنوبي — مستجيراً، أزور خير البقاع
طار شوقي إلى الرياض بقلبي — ودعاني لرؤية الشيخ داعي
وهو صنوي مبادئاً ووداداً — ووثوقاً بالواهب المنّاع

وقبل أن يختتم قصيدته يتوجه لرفاق الدرب بمناجاة خاصة يعبر فيها عن اتصاله الدائم بهم في الغيبة والحضور فيقول:

يا رفاق اليراع والعلم والديـ — ـن وما كرّم الورى من دواعي
ما فتئتم أنّي توجهت أُنسي — وحديثي في وحدةٍ، واجتماع[1]

والشاعر الشامي الذي قضى الشطر الأخير من عمره في (بروملي) بالمملكة

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة للشامي ج٣ ص١٣٠١-١٣٠٢، وانظر كتاب: عبد العزيز الرفاعي صور ومواقف لأحمد سالم باعطب ج١ ص١٥٤، وقد نشرت القصيدة كاملة في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٤/٢/١٩م.

المتحدة لم ينس أصدقاءه وإخوانه من الشعراء والأدباء والمفكرين السعوديين بل ظل على صلة واتصال بهم يزورهم ويواصلهم بجسده وقلمه وفكره وفي مجموعته الشعرية دليل ناصع على ذلك التواصل الثقافي الجميل وبخاصة في الجزء الثالث منها[1].

إثنينية الأديب السعودي عبد المقصود خوجة تكرم عدداً من المثقفين اليمنيين

- ومثل ندوة الرفاعي التي ساهمت في خدمة الفكر والأدب جاءت (إثنينية عبد المقصود خوجة) التي أنشأها مبكراً في جده وانطلقت فعالياتها الثقافية في عام ١٤٠٣هـ، واحتفلت (بيوبيلها) الفضي عام ١٤٢٨هـ بعد أن أصدرت عدداً كبيراً من المجاميع الشعرية الكاملة والمؤلفات الثقافية لعدد كبير من الأدباء السعوديين والعرب ومنهم مثقفون يمنيون.

- كما أصدرت خمسة وعشرين مجلداً خاصة بنشاطها التكريمي رصدت فيها تكريم ما يزيد عن أربعمائة عالم وأديب ومفكر عربي وإسلامي وعالمي فحفظت بذلك سيرهم العلمية والثقافية، ولم تقتصر على تكريم المثقفين والأعلام السعوديين، أو الخليجيين، أو العرب، بل كرمت كذلك بعض أعلام العالم الإسلامي أمثال الداعية الإسلامي الكبير العلامة: أحمد ديدات[2]، والعلامة الداعية الإسلامي الكبير: أبو الحسن الندوي[3]، وآخرين.

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة للشامي ج٣ ص١٣٥٣، وانظر ص١٢٨٥، وانظر ص١٣٩٥ وغيرها.

(٢) الاثنينية ج٦ ص٢٢١-٢٤٨ وقد كرم بتاريخ ١٥/٥/١٤٠٨هـ.

(٣) المصدر السابق ج٣ ص٩-٣٩ وقد تم تكريمه بتاريخ ١٥/٤/١٤٠٥هـ.

كما كرمت أعلام عالميين أمثال: الدكتور فرانسيس لاماند[1] الذي كرم فيها بتاريخ ١٤١٣/٥/٨هـ، والبروفسور: ألكسـي فاسلييف[2] الذي كرم في الاثنينية بتاريخ ١٤٢٦/٢/٤هـ.

- كما كرمـت الإثنينية عدداً كبيراً من المفكرين العرب، وكان لجيراننا الخليجيين واليمنيين نصيب الأسد فقد تم تكريم عدد من المثقفين اليمنيين أمثال: ١-معالي الأستاذ: أحمد محمد الشامي الذي كرم في الاثنينة بتاريخ ١٤٠٥/٧/٢٥هـ.
٢- معالي الأستاذ: أحمد محمد نعمان الذي كرم فيها بتاريخ ١٤٠٦/٦/٢٩هـ.
٣- فضيلـة الشيـخ العلامـة: عبـد المجيـد الزنـداني الـذي كـرم بهـا بتاريـخ ١٤٠٦/٤/١٨هـ.

ولعلنـا في السطور التالية نكتفي بشيء مما حصل أثناء تكريم الشاعر اليمني أحمد محمد الشامي من مطارحات أدبية في إثنينية الأديب السعودي عبد المقصود خوجه معتبرين ذلك نموذجاً لتكريم أخويه: النعمان: والزنداني، وغيرهما.

ففـي ١٤٠٥/٧/١٥هـ استضافـت (إثنينيـة) عبـد المقصود خوجـه الأديب السياسي الشاعر: أحمد محمد الشامي ولم تكن تلك الاستضافة أو التكريم كغيرها

(١) كتـاب الإثنينية الخاص بمناسبة مرور خمسـة وعشرين عاماً على انطلاقة الإثنينية ص١٧٠، وكُتب أمامها في الجـدول هـذه العبارة: (لم تسجـل فيديو) ولهذا لم نجد لها ولا لصاحبها ذكـراً في المجلد العاشر. وقد كرم بتاريخ ١٤١٣/٥/٨هـ.

(٢) كتاب الإثنينية الصادر بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على انطلاقة الإثنينية ص١٩٢، وقد تم تكريمه بتاريخ ١٤٢٦/٢/٤هـ.

مـن الاستضافات، ولكنهـا كانت تكريساً للتواصل الثقافي بـين أديب يمني كبير في قامة الأديب (أحمد محمد الشامي) وعدد من أعلام وأدباء المملكة وفي مقدمتهم صاحب الاثنينية، لقد عبرت عن هذا الملمح كلمة المحتفى به الذي أشار إلى معرفته السابقة بالعلامة أبي تراب الظاهري الذي عرفه – كما قال – عن طريق العلامة اليمنـي الكبير المؤرخ محمد محمد زبـارة بعد عودته من بلاد الحرمين حينما كان يحدثهـم عن ذكرياته في الحجاز وعن بعض معارفـه هناك وفي مقدمتهم العلامة (أبـو تراب الظاهـري)، وقد حدثهم العلامـة (زبارة) عن بعض علماء الحجاز وأدبائها – كما يقول الشامي –.

ثم تحدث الشامي بعد ذلك عن صلته ومعرفته بصاحب الاثنينية تلك المعرفة التي يزيد عمرها عن عشرين عاماً(١).

وفي هـذا اللقاء صدح اثنان من الشعـراء السعوديين مرحبين بالأديب اليمني الكبـير، أولهما: العلامة الأديب: أبو تراب الظاهـري الذي حياه بقصيدة عصماء يقول في بعض أبياتها:

سلسل الشعر فالقوافي يقضى	**والمعـاني إليـك ترمـق لحظا**
هاتـه حاليـاً وعـذبـاً نميراً	**غـزلاً، حكمة، حماساً، ووعظا**
يمنـيَّ الصدى، رشيق الحواشي	**عـربـي الأسـلوب، متنـاً ولفظا**
(أحمد الشامي) يا سليل قرومٍ	**لم يكن ما سموت طفراً وبهضا**

(١) انظر كلمة المحتفى به في كتاب الاثنينية ج٣ ص ٣٨٣-٣٨٥.

إنما أنت منجم لكنوز هي في جوفها تكاد تشظى[1]

وثانيهما: الشاعر السعودي المكي: مصطفى زقزوق الذي حياه بقصيدة نقتطف منها قوله:

يا شاعر اليمن السعيد وشيخه عهد المحبة بالمحبة يوثق
مني إليك تحية مكيّة قدسية النسمات لا تتحذلق
ستظل تذكرك الرجال ككوكب أسنى، على شيم النفوس يحلق[2]

وبعد أن استمع الضيف المكرم لتلك التحايا التي استقبله بها رواد الإثنينية بادر برد تحيات شعراء المملكة الشعرية والنثرية بكلمة وقصيدة فأما القصيدة فقد جعل عنوانها: (نشيد الإياب)، ويقول في مطلعها:

أزمعت عن شط النوى إقلاعي ونشرت في بحر الإياب شراعي

وهي قصيدة طويلة تحدث فيها عن بعض معاناته وتحدث عن دور المملكة وقادتها ورجالاتها في ضيافة قاصديهم والتخفيف عنهم وفيها يقول:

أهل الحجاز إذا ترنم مقولي بمديحكم فله هناك دواعي
الحجر والبيت والعتيق، وزمزم والجمرتان، ومستهل الساعي
أرض ثراها سيط مدبوغاً على عرق الخليل، ونجله المطواع
بلد هي البلد الأمين تقدست عرصاتها في وهدة، ويفاع

(١) المصدر السابق ج٣ ص٣٨٢.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص٣٩٣-٣٩٤.

وأجـل مـا خـلـق المهيمن في الـورى مـن أنـفـس، ومـشـاعـر، وبـقـاع[1]

لقـد كان الأديـب اليمني الكبير أحمـد محمد الشامي محـط اهتمام الجميع وكانـت مشاركاته في المناسبـات الثقافية محل تقدير الأوسـاط الثقافية الرسمية وغير الرسمية فقد دعي إلى عدد غير قليل منها.

ملتقى أبها الثقافي السنوي يستضيف الأديب اليمني أحمد محمد الشامي

- ومن المناسبات الثقافية السعودية التي شارك فيها أديب اليمن: أحمد محمد الشامـي؛ ولعلها من آخـر المناسبات التي سبقت حرب الخليج الثانية تلك المشاركة التي كانت في الملتقى الثقافي السنوي الذي كان يرعاه الأمير خالد الفيصل بمدينة أبهـا، ويدعو له في كل عام بعض أعلام الفكـر العربي وبعض الأدباء والشعراء من داخـل المملكة وخارجها، ففي عام ١٤١٠هـ حلّ الأديب اليمني أحمد محمد الشامي ضيفـاً كريماً على (ملتقـى أبها الثقافي) بدعوة كريمة مـن صاحب السمو الملكي خالـد الفيصـل أمـير منطقة عسير آنـذاك وقد استقبـل الأديـب الشامي في هذا الملتقـى استقبالاً حافلاً واحتفـى به المثقفون السعوديون احتفـاء كبيراً وحياه عدد منهـم شعـراً ونثرا، وبعـد أن رد الشاعر اليمنـي الكبير أحمـد الشامي على تحايا محبيه مـن الشعراء والأدباء السعوديين بدأ أمسيتـه الشعرية الجميلة فألقى فيها

---

(١) اثنينيـة عبـد المقصود خوجه ج٣ ص٣٨٠-٣٨٢، وانظر قصيدة الشاعـر (الشامي) في مجموعته الشعرية الكاملة ج٣ ص١٣١٤-١٣١٦.

عـدداً من قصائده الجديـدة والقديمة وخص مدينة أبهـا وأميرها بقصيدة جعل عنوانها: (من وحي أبها) يقول في مطلعها:

لصنعاء قد حبست دهراً خرائدي — وما في بياني من طريف وتالد
ولم يسب عيني بعدها غير ما رأت — (بأبها عسير) من جميل المشاهد

وبعـد أن تحدث وأفاض عن أبها وجمالهـا الطبيعي الأخاذ، وعن تطورها وما تحقق لها في العهد السعودي الزاهر، أخذ يشيد بالملك عبد العزيز وجهوده العظيمة في سبيـل تحقيـق وحدة وطنه وتنميته، ثم تحدث عن أبنائـه الملوك: سعود وفيصل وخالـد وفهد، وإخوتهم وما قاموا به من جهود عظيمـة في خدمة بلادهم وتنميتها حتى حققوا لها مكانة مرموقة فأصبحت مثالاً للتطور، وملاذاً للقاصدين حيث قال في بعض أبيات قصيدته:

بلاد حباها الله بالخصب والنما — وزيَّنـهـا بـالأكـرمـين الأمـاجـد
فآل سعود قد أسيطت دماؤهم — بحب المعالي واكتساب المحامد
لذلك أضحت أرضهم وديارهم — ملاذاً (لذي علم) و (حرٍّ) و (شارد)

وبعد تطواف جميل ختم قصيدته هذه بحديث هامس عن (أبها) و(أميرها) سمو الأمير خالد الفيصل وما حققاه للشاعر (الشامي) من راحة نفسية واطمئنان فقال:

أنست بأبها أنس صبٍّ مُتَيَّم — يراود أحلام الغريب المُطَارَد
ولما رأت عيني مغاني رياضها — وأرباضها تزهو زهيّ الفراقد
خلصت إلى حدسي نجياً محاوراً — وحدس الفتى للخير أصدق رائد

فقال بـ(أبها) الحسن والشعر خيّما   فألق عصا الترحال في ظل(خالد)[1]

ثـم ألقـى الشاعر الشامي بعدها عدداً من القصائـد وحاوره الحضور الكثيف الـذي حضـر أمسيتـه الرائعة التي أعـادت للتواصـل الثقافي حيويته بـين البلدين الجارين.

- وكمـا احتفـت اثنينية الوجيـه عبد المقصـود خوجه وندوة معـالي الأستاذ الرفاعي بأولئك المفكريـن اليمنيين وكما كان لهم حضورهم المبهج فيها، فقد كان لهـؤلاء الأعلام اليمنيين وغيرهم من أدباء ومثقفي اليمن حضور فاعل في الندوات والصوالين الأدبية والثقافية السعودية الأخرى وهي منتديات كثيرة، ومنها:

- خميسيـة الشيـخ حمد الجاسر التـي تأسست مبكراً، وكانـت تعقد بمنزله في الرياضـ صبيحة كل يوم خميسـ، وتعتبر من أقدم الصوالـين الثقافية، وكانت ندوة ثقافيـة يقصدهـا الأدباء والعلماء والمثقفون من داخل المملكـة ومن خارجها يسعدون بلقـاء علامة الجزيـرة ويستزيدون مـن علمه وفضلـه، يقول معالي الدكتـور: أحمد الضبيـب في افتتاحيـة العـدد الأول من الكتاب الـدوري الخميسيـة: (كانت خميسية الشيـخ الجاسـر تحفـل بكثير مـن الضيـوف المميزيـن سعوديين مـن الرياض وغير الرياضـ، وعرباً ممكن كانوا يحلون ضيوفـاً على الرياض فيقصدون (دارة العرب)

---

(١) المجموعـة الشعرية الكاملـة للشامي ج٣ ص١٣٩٧، وتوجد لدى الباحث صـورة القصيدة مكتوبة مخطوطة وقـد كتبها الشاعر الشامـي ونقحها بخط يده على ورقة من مطبوعات الفندق الـذي أقام به في مدينة أبها أثناء تلك المناسبة.

للسلام على الشيخ حمد الجاسر والجلوس إليه، وكان النقاش في الجلسة يدور في جو مـن الألفة، وإن كانت شخصية الشيخ الجاسـر تفرض شيئاً من الانضباط .... وبعد انتقـال الشيخ الجاسر إلى الرفيق الأعلى رأى أفراد أسرته وأصدقاؤه أن تستمر هذه الجلسة الثقافية الأسبوعية التي تحولت إلى منتدى ثقافي أسبوعي) [(١)].

وبحكـم صـلات الشيخ الجاسـر بعلماء ومثقفـي العالم العربـي عامة وبعض علمـاء ومثقفـي اليمن خاصة فقـد كان لخميسيته صدى واسعـاً في أوساطهم وقد زارها بعضهم وحاضر فيها بعد وفاته رحمه الله[(٢)].

- وكأحديـة الأستاذ الدكتـور: راشد المبارك التي يقيمهـا بمنزله في الرياض مساء كل يوم أحد وهي ندوة ثقافية شاملة، حاضر فيها عدد كبير من علماء وأدباء ومثقفـي العـرب إلى جانب بعض إخوانهم السعوديين، وقـد تشرفت بحضور بعض لقائاتها وعلمت من مؤسسها بأنه قد مضى على تأسيسها أكثر من ثلاثين عاماً.

- إلى جانـب عـدد آخر مـن المنتديـات والصوالين الأدبيـة الموزعة على مدن المملكـة ومناطقهـا، ومنها ندوات في مكـة المكرمة، وفي المدينة المنـورة، وفي مدينة جده، وفي الأحساء، وفي الجوف، وفي جازان، وفي أبها وغيرها من مدن المملكة، ومن أشهر الندوات في مدينة أبها ندوة اللواء متقاعد سعيد أبو ملحه، وتتكثف مناشطها

(١) افتتاحية الكتاب الدوري النصف السنوي: (الخميسية) الذي يرصد نشاط (الخميسية) المنبري الصادر عن مركز حمد الجاسر الثقافي – العدد الأول ١٤٢٩هـ ص١٣.

(٢) انظـر محاضرة العلامـة اليمني إسماعيل الأكوع التـي ألقاها في مقر الخميسية بعد وفـاة الشيخ الجاسر المكتوب على الحاسوب وتوجد منها صورة لدى الباحث مأخوذة من مركز حمد الجاسر الثقافي.

الثقافيــة في فصــل الصيف وقد حضرت عــدداً من فعالياتها بدعــوات كريمة من صاحبهــا اللواء سعيد أبو ملحه، وكانت إحداهــا خاصة باستضافة الشاعر اليمني الشــاب: طارق كرمــان الذي ألقى في عــام ١٤٢٢هـ قصيدة أمــام خادم الحرمين الشريفــين حين دعي للمشاركة في إحدى مناسبات المهرجان الوطني بالرياض وقد أحيــا في ندوة اللــواء سعيد أبو ملحه أمسيــة شعرية ألقى فيها عــدداً من قصائده الجميلــة، وشــارك معه شعــراء سعوديون في تلــك الأمسيــة وفي مقدمتهم الشاعر السعودي: أحمد البهكلي.

تعزيز التواصل الثقافي بجهود مثقفي الشعبين

وكما تضاعفت جهود أصحاب المنتديات والصوالين الثقافية وجهود المؤسسات الثقافية الرسمية لتقوية التواصل الثقافي خلال هذه الفترة الذهبية بل ربما امتدت تلــك الجهود لفترات لاحقة فقد تضاعفت الاجتهادات الثقافية الفردية بين مثقفي البلدين، وذلك لتعزز جهود المؤسسات الثقافية الرسمية وجهود أصحاب المؤسسات والجمعيــات والمنتديــات والصوالين الثقافيــة الأهلية تأكيــداً لاستمرارية التواصل الثقافي والفكري بين البلدين.

- فعلــى سبيل المثال: كانت لدى الشيخ حمد الجاسر اهتمامات كبيرة بالشأن الثقافي في الجزيرة العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، وبالشــأن الثقافي اليمني كذلك ولقد تضاعفت جهــود الشيخ حمد الجاسر بالشأن الثقــافي اليمني بعــد أن توطدت صلاتــه الثقافية بعدد من علمــاء اليمن ومثقفيه،

فإلى جانب مجلته: (العرب) التي كانت صفحاتها مشرعة لأقلام الباحثين في تاريخ اليمن وحضارته وتراثه فقد تعاظم اهتمام الشيخ الجاسر الشخصي بالشأن الثقافي اليمني كثيراً، وقد أكد ذلك الاهتمام ممارسةً، فزار اليمن بدعوة كريمة من صديقه العلامة اليمني: إسماعيل الأكوع، وخص المكتبات التراثية في اليمن بجزء كبير من تلك الزيارة، وحين عاد إلى بلاده كتب كثيراً عن تلك الزيارة، وعن مكتبات اليمن، وعن مراكزها الثقافية، لقد كتب مقالات مطولة نشرها في (العرب) وفي غيرها.

- وربما كان علامة الجزيرة واحداً ممن استمر تواصلهم الثقافي مع مجايليهم من مثقفي اليمن حتى في أثناء سنوات الانقطاع العجاف (١٩٩٠-٢٠٠٠م) الموافق (١٤١١-١٤٢١هـ) ، وهذا ليس غريباً عليه فقد استمر اهتمام الشيخ الجاسر بالشأن الثقافي اليمني حتى أيامه الأخيرة؛ فقد كتب مقالات وأبحاثاً كثيرة تؤكد ذلك الاهتمام الكبير بتاريخ اليمن وحضارته، وتراثه، قديمه وحديثه.

ومما نشر له في هذا الصدد مقاله المنشور بصحيفة الشرق الأوسط بعنوان: (مملكتي بلقيس وسبأ) وذلك في عام ١٤١٦هـ[١] إلى جانب مقالات أخرى نشرها في (العرب) وفي صحف أخرى، وربما كان آخر مقالات الشيخ الجاسر في الشأن الثقافي اليمني مقالته التي كتبها قبل رحيله عن دنيانا الفانية بفترة وجيزة،

---

(١) انظر الكتيب الذي أصدره الدكتور عبد الرحمن الشبيلي بعنوان: (اليمن في تراث حمد الجاسر) ص١٨، والكتيب هو توثيق لمحاضرة الدكتور الشبيلي التي ألقاها في محافظة حضرموت خلال زيارته الأولى لحضرموت ضمن وفد سعودي ثقافي أكاديمي بتاريخ١٢/٢/١٤٢٩هـ.

وكانت عن وفاة صديقه العلامة اليمني: محمد بن علي الأكوع، الذي سبق الشيخ الجاسر إلى دار البقاء بعام واحد وبعض عام، وكانت المقالة بعنوان: (اليمن بين مؤرخين) ويقصد بالمؤرخين: العلامة الراحل: محمد بن علي الأكوع وشقيقه العلامة: إسماعيل بن علي الأكوع (وقد استوعب الجاسر في هذه المقالة مراحل حياة صديقه محمد بن علي الأكوع بما في ذلك جهوده العلمية وصراعه مع مخالفيه في الرأي والعقيدة، كما تحدث عن مؤلفاته وأهم محطاته العلمية، كما تناول في تلك المقالة جوانب من حياة شقيقه إسماعيل الأكوع) [١].

- ولم يكن اهتمام الشيخ الجاسر منصباً على اليمن الشمالي وشأنه الثقافي فقط بل كانت له اهتمامات كبيرة بالشأن الثقافي في جنوب اليمن، وكانت له اتصالات وتواصل ثقافي مع عدد من علماء حضرموت ومفكريها أمثال العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف عالم حضرموت ومؤرخها، والعلامة محمد بن عبد الله العمودي، والمؤرخ صلاح البكري، والأستاذ محمد سعيد باغفار.... وآخرين.

ولقد تحدث الشيخ الجاسر عن تلك الصلات المتينة بأولئك العلماء والمفكرين في مقالات كثيرة، من أهمها: مقاله الذي جعل عنوانه: (مؤلفات وذكريات عن حضرموت) ونشره بصحيفة الرياض في عددها (١١٤٠١) بتاريخ: ١٤٢٠/٦/١هـ[٢].

---

(١) بتصرف عن محاضرة العلامة اليمني إسماعيل الأكوع التي ألقاها بتاريخ ١٤٢٣هـ في مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي بالرياض وأصلها محفوظ بمركز حمد الجاسر الثقافي.

(٢) الجزء الثاني من الكتيب الذي نشره الدكتور عبد الرحمن الشبيلي ويتضمن قراءة لبعض ما كتبه الشيخ حمد الجاسر عن حضرموت وأعلامها وهذا الجزء يحمل عنوان: (مؤلفات وذكريات عن حضرموت) انظر الصفحات: (٢٣-٣٥).

- وكما تضاعف اهتمام الشيخ الجاسر بماضي اليمن وحاضره وبالشأن الثقافي اليمني عامة تضاعفت كذلك جهود علماء ومثقفين سعوديين آخرين وفي مقدمتهم الأديب المؤرخ السعودي الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، حيث جاءت كتبه التي أصدرها في عهد الملك فهد متضمنة لدراسات عن بعض أعلام اليمن ومشتملة على تناول تاريخ بعض أقاليم اليمن أو الإشارة إلى بعض الأسر العلمية فيه أو الحديث عن شاعر أو أديب أو عالم يمني؛ فقد أصدر في عام ١٤٠٤هـ كتابه التوثيقي: (من أدب جنوب الجزيرة بحوث ودراسات) ، وكان العقيلي قد أعاد في عام ١٤٠٣هـ طباعة كتابه: (تحقيق ديوان السلطانين الحجوريين) ، كما كتب في تلك الفترة عدداً من المقالات تحدث في بعضها عن عدد من أعلام اليمن[١].

وكان العلامة عبد القدوس الأنصاري قد أشرع صفحات مجلته الثقافية (المنهل) لأقلام السعوديين والعرب كما كان يخصص بعض مؤرخي اليمن بالدعوة إلى الكتابة في هذه المجلة عن تراث اليمن وآثاره[٢].

- وهذه الجهود العلمية من العلماء والمفكرين السعوديين في سبيل تأكيد التواصل الثقافي مع إخوتهم المثقفين والمفكرين اليمنيين يقابلها جهود علمية لعلماء ومفكرين يمنيين كانت لهم اهتمامات بالشأن الثقافي في بلاد الحرمين كبيرة، فقد

(١) انظر على سبيل المثال كتابيه: (دراسات أدبية) و (مقالات رصينة وتحقيقات أمينة) لمحمد أحمد العقيلي.

(٢) انظر مقالة العلامة اليمني: إسماعيل الأكوع في العدد السنوي من المنهل الخاص بالآثار المجلد ٤٨ العدد ٤٥٤ الصادر في شهر رمضان عام ١٤٠٧هـ ص١٩٢-٢٠٣.

حقق العلامة اليمني: (محمد بن علي الأكوع) كتاب: (المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد) لمؤرخ وشاعر المخلاف السليماني في القرن السادس الهجري العلامة: (عمارة الحكمي)، كما حقق العلامتان اليمنيان: (عبد الرحمن الإرياني) و (أحمد المعلمي) ديوان (عمارة الحكمي)، وحقق الدكتور (عبد الولي الشميري) ديوان الشاعر المخلافي: (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي) شاعر المخلاف السليماني في القرن السابع، كما أن كثيراً من كتب التراجم التي ألفها يمنيون خلال هذه الفترة لا تخلو من إضاءات عن بعض أعلام بلاد الحرمين[1].

تعثر التواصل الثقافي بين البلدين بسبب حرب الخليج الثانية ١٩٩٠م

- وهكذا فقد امتدت تلك الفترة الذهبية التي تواصل خلالها مثقفوا البلدين وشارك بعضهم في عدد من المناسبات هنا وهناك، واستمر التواصل الثقافي الرسمي والشعبي يتعزز ويتنامى بين البلدين، وإن كان قد حصل في مستهل عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩٠م ما عكر صفو ذلك التواصل وعرقل مسيرته؛ فقد كان غزو العراق لدولة الكويت واحتلاله لها، وتهديده للمملكة العربية السعودية، وموقف الجمهورية اليمنية المعلن من تلك الأحداث، وما تلى ذلك من تداعيات وصفها أحد الباحثين اليمنيين بأنها أساءت لعلاقات اليمن بالمملكة وبدول الخليج وذكر بأن الأزمة ربما تكون قد (حصلت بسبب سوء إدارة اليمن لأزمة الخليج الثانية، ولتناقض مواقف

---

(١) انظر الموسوعة اليمنية، ورياح التغيير في اليمن لأحمد محمد الشامي وغيرها.

اليمن تجاه الأزمة) [١]، كل ذلك أدى إلى توتر علاقات اليمن بالمملكة، وعطل سبل التعاون السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي بين اليمن والمملكة، وأصيب مجلس التنسيق السعودي اليمني في مقتل؛ فقد توقف عن أداء أدواره الاقتصادية والتنموية والاجتماعية التي يسهم بها في دعم الإخوة في اليمن فترة تزيد عن عشر سنوات، فحين (اندلعت حرب الخليج الثانية أدت إلى توقف أعمال مجلس التنسيق السعودي لمدة أحد عشر عاماً) [٢]، كما أدت تداعيات تلك الأحداث إلى ما يشبه القطيعة فترة تزيد عن عقد من الزمن.

- وخلال هذه الفترة الطويلة لم يبق من أسباب الاتصال الثقافي بين اليمن والمملكة إلا وسائل الاجتهادات الفردية، وربما بعض الاتصالات التي كانت تتم بين بعض مثقفي البلدين أثناء المؤتمرات والمهرجانات العربية والدولية، أو من خلال بعض الجهود الخاصة المحدودة التي لا تحقق كامل أهداف التواصل الثقافي بين الشعبين الجارين، ولكنها تُبقي على رمق منه قد يساعد على عودة الحياة إليه حينما تزول الموانع.

---

(١) السياسة الخارجية اليمنية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي لخالد ناجي خماش حبيش ص٣٢٢، من منشورات المكتب العربي الحديث بالإسكندرية ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

(٢) الموسوعة اليمنية ج٤ ص٢٧٤١-٢٧٤٤ وانظر موقع وكالة: (سبأ) اليمنية على الشبكة العنكبوتية، ويشتمل على وثائق واتفاقيات بين اليمن والسعودية غير مرقمة الصفحات كما يشتمل هذا الموقع على معلومات ثرية عن إنجازات مجلس التنسيق اليمني السعودي في مجالات تنموية كثيرة.

مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز بالموافقة على ترسيم الحدود تعيد التواصل الثقافي بين البلدين إلى سابق عهده

وهذا هو ما حصل بالفعل فقد عادت الحياة إلى كافة أنواع التواصل بين البلدين والشعبين بعد مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز الشجاعة التي فجرها في شهر (مايو) من عام ٢٠٠٠م أثناء مشاركته الأولى في احتفالات الجمهورية اليمنية بذكرى الوحدة، وكان – حفظه الله – آنذاك ولياً للعهد، حيث عرض على القيادة اليمنية آراءه الوطنية النافذة حول حل مشكلة الحدود بين البلدين وإذابة جليد القطيعة، وحل كافة المسائل العالقة، فوجد تجاوباً وتعاوناً كبيراً من قادة اليمن وعلى رأسهم الرئيس اليمني: علي عبد الله صالح الذي رحب بالمبادرة، (فاتخذت كافة التدابير لاحتواء الأزمة، وحل المسائل العالقة، واتفق الزعيمان على ترسيم الحدود بين البلدين في ضوء معاهدة الطائف)[1].

وهكذا فقد(حققت الدولتان إنجازاً تاريخياً بالتوقيع على المعاهدة النهائية للحدود البرية والبحرية بينهما والتي أعلن عنها في مدينة جده بتاريخ ١٢/٦/٢٠٠٠م)[2].(وتم التوصل إلى معاهدة شاملة هي معاهدة الحدود الدولية

---

(١) عبد الله بن عبد العزيز في سطور ص١٣٣، ط٤، نشر دار الصحراء للنشر والتوزيع الرياض ١٤٢٤هـ، وانظر صحيفة الجزيرة السعودية عدد (١٣٦٨٧) بتاريخ ١٤٣١/٤/٤هـ مقابلة صحيفة مع فخامة الرئيس اليمني علي عبد الله صالح.

(٢) موقع وكالة (سبأ) اليمنية على الشبكة العنكبوتية ويشتمل على وثائق واتفاقيات بين اليمن والسعودية غير مرقمة الصفحات كما يشتمل على معلومات عن إنجازات مجلس التنسيق اليمني السعودي.

وملحقاتهـا بين الجمهورية اليمنية والمملكة العربية السعودية، والتي جاءت لترسيخ عُرىَ الأخوة والمودة وصلة القربى بين البلدين) [1].

التواصل الثقافي في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز وعهد الرئيس اليمني علي عبد الله صالح

تمهيد:

بدأ عهد الملك عبد الله بمد جسور التعاون والتواصل مع الأشقاء وبخاصة دول الجوار منهم فقد سعى لتعميق التعاون بين اليمن والمملكة وتابع باهتمام تنفيذ بنود اتفاقية ترسيم الحدود بين البلدين ووجه الأجهزة المعنية باستئناف مسيرة التعاون الشامل مع الأشقاء في اليمن.

وبتوقيـع هـذه المعاهدة بـين اليمن والمملكة وتنفيـذ كافة بنودها عـادت المياه إلى مجاريهـا، واستؤنفت مسيرة التعاون وتحقـق التواصل بين الشعبين، وبذلك تحولت العلاقات بينهما من الجيرة، إلى الشراكة، (والمتأمل بتجرد إلى ما آلت إليه الأمور بعد توقيـع هذه المعاهدة يرى بأن هذا هو المنطق الذي كان من الطبيعي أن ينتهجه بلدان كل منهمـا قدر لا فكاك منـه للآخر، فهو يرتبط به أخوة وتأريخاً ومصالح كثيرة) [2] وعاد مجلـس التنسيق السعودي اليمني لأداء رسالتـه (في الانطلاق بالعلاقات الأخوية إلى نطاق واسع من التعاون لما فيه خير الشعبين الشقيقين) [3].

---

(١) الموسوعة اليمنيةج٤ ص ٢٧٤٤ (بتصرف).

(٢) الموسوعة اليمنية ج٤ ص ٢٧٤٤ (بتصرف).

(٣) موقع وكالة (سبأ) على الشبكة العنكبوتية، غير مرقمة الصفحات.

ولا شك بأن لمجلس التنسيق هذا مهمات كثيرة وكبيرة تشمل الجوانب الاقتصادية، والتنموية، والاجتماعية، والصحية، والتعليمية، والثقافية...الخ.

ولأن بحثنا معني برصد مسيرة التواصل الثقافي بين البلدين، فإننا نجد أن من أولى ثمار توقيع هذه المعاهدة: هي عودة الروح إلى التواصل الثقافي بين البلدين بعد بيات شتوي وصيفي وخريفي دام أكثر من عشر سنوات فانطلقت مسيرة التواصل الثقافي على كافة المستويات الرسمية والأهلية.

التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية
يستأنف مسيرته بعد عام ٢٠٠٠م

- فأما على المستوى الرسمي: فقد كانت في البلدين جهات ثقافية متعددة ترتبط فعالياتها بـ (مجلس التنسيق السعودي اليمني) ؛ فحينما عاد مجلس التنسيق لأداء مهماته الكثيرة بعد توقيع معاهدة ترسيم الحدود بين البلدين، عادت تلك الجهات التعليمية والثقافية لمزاولة نشاطاتها بكثافة وقوة في محاولة منها لتعويض سنوات توقف التواصل الثقافي (العشر) ؛ فاتخذت عدة خطوات إيجابية لتحقيق هذا الهدف، ولتعزيز التواصل الثقافي بين البلدين:

وبين يدي فقرات منقولة من موقع وكالة الأنباء اليمنية (سبأ) على الشبكة العنكبوتية ترصد ما حققه مجلس التنسيق اليمني السعودي في سائر المجالات التنموية منذ عودة نشاطاته في عام ٢٠٠٠م سنختار منها في السطور التالية ما تحقق للجانب الثقافي حتى عام ٢٠٠٨م:

- فقد وافقت المملكة العربية السعودية على زيادة المنح الدراسية للطلبة والطالبات اليمنيين في الجامعات السعودية.
- وتمت موافقة المملكة العربية السعودية على قبول خمسة وعشرين طالباً يمنياً في المعاهد الفنية والتدريب المهني السعودي وصرف مكافآت شهرية لهم أسوة بزملائهم السعوديين.

وعلى الجانب الثقافي الأشمل:

- (فقد وافقت المملكة على تمويل المشروع الخاص بترميم بعض مخططات مدينة (زبيد) الأثرية من صندوق أموال المملكة المودعة لدى منظمة (اليونيسكو) ، وأن يتم تنفيذ المشروع بالتعاون مع منظمة اليونيسكو.
- وتم التوقيع على برنامج تنفيذي بين كلية السياحة والآثار في جامعة الملك سعود بالرياض وقسم الآثار في كلية الآداب بجامعة صنعاء.
- كما تم التوقيع على برنامج تعاون بين جامعة القصيم وجامعة حضرموت.
- كما تم التوقيع على برنامج تنفيذي للتعاون الثقافي بين جامعة الملك عبد العزيز في جده وجامعتي حضرموت والحديدة في اليمن.
- وفي عام ٢٠٠٥م تم احتضان الجامعات اليمنية للأيام الثقافية العلمية التي نظمتها الجامعات السعودية في رحاب الجامعات اليمنية، وقد ترك ذلك آثاراً طيبة وذكريات جميلة في نفوس وعقول المشاركين فيها من الأساتذة والطلاب.
- وفي عام ٢٠٠٨م احتضنت الجامعات السعودية أياماً علمية وثقافية للجامعات اليمنية شارك فيها أكثر من (١٥٠) أكاديمياً من عشر جامعات حكومية وأهلية يمنية، واحتضنتها خمس جامعات سعودية، وتضمنت ندوات ومحاضرات قدمت خلالها (٤٩) بحثاً علمياً إلى جانب إقامة معارض للفنون التشكيلية والتراثية والأزياء الشعبية، وكذلك تقديم عروض مسرحية، كما تم تنظيم عدد من اللقاءات بين أساتذة الجامعات السعودية والجامعات اليمنية.
- وفي معهد الأمير أحمد بن سلمان بن عبد العزيز بالرياض نظمت دورة تدريبية

إعلاميــة صحفية لأكثر مــن (١٢٠) صحفياً يمنياً من مختلـف وسائل الإعلام الرسميــة والأهليــة والحزبيــة، وشملــت الــدورة جوانــب التحريــر الصحفي، والتحقيــق، والخبر، والقصة الصحفية، والتحريــر لأخبار الإذاعة والتلفزيون، والتصوير الفوتوغرافي، ومهارة التعامل مع الرأي العام.... الخ) [١].

وهــذه الإنجــازات الثقافية التي تعاون علــى إنجازها البلــدان، تمت في إطار نشاطــات وبرامج (مجلس التنسيق السعودي اليمني) كما تمت بعد ذلك نشاطات ثقافية أخرى في البلدين.

فعلــى صعيد التواصل الثقافي الشامل الذي يدار عن طريق وزارتي الثقافة في البلديــن، أو عن طريــق المؤسسات الثقافية الأهلية فقــد انطلقت الجهود الرسمية والشعبيــة نحــو تحقيــق أهداف التواصــل الثقافي بــين البلدين والشعبــين، فعادت نشاطات الأسابيع الثقافية، ونشاطات معارض الكتب الدولية، ونشاطات المؤسسات والمنتديات الثقافية في البلدين، وتضاعفت الجهود الرسمية والشعبية.

(١) المصــدر موقــع وكالــة: (سبأ) اليمنية علــى الشبكة العنكبوتيــة، ويشتمل على وثائــق واتفاقيات بين اليمن والسعوديــة غــير مرقمة الصفحات كما يشتمل هذا الموقع على معلومــات ثرية عن إنجازات مجلس التنسيق اليمني السعودي في مجالات تنموية كثيرة.

وزارة الثقافة اليمنية تحتفي بالمثقفين السعوديين أثناء احتفائهم بصنعاء عاصمة للثقافة

- فحينما احتفل الأشقاء في اليمن في عام ٢٠٠٤م الموافق ١٤٢٥هـ بمناسبة اختيار عاصمتهم: (صنعاء) عاصمة للثقافة العربية كثفوا دعواتهم للمثقفين السعوديين لمشاركتهم الاحتفاء بهذا الحدث الثقافي الاستثنائي؛ فلبى دعواتهم عدد كبير من جيرانهم السعوديين وشاركهم في فعالياتهم الثقافية نخبة من الأدباء والشعراء والمثقفين والفنانين السعوديين وكان احتفاء الإخوة اليمنيين بمثقفي المملكة العربية السعودية كبيراً، حتى أنهم حينما أرادوا إصدار أكبر عدد ممكن من إبداعات شبابهم لم ينسوا جيرانهم وحاولوا تأكيد التواصل الثقافي بين البلدين الجارين: (السعودية واليمن) بصورة عملية؛ فإلى جانب دعوات إخوانهم السعوديين للمشاركة في النشاطات الثقافية المنبرية فقد قامت وزارة الثقافة والسياحة اليمنية مشكورة بطباعة مجموعتين شعريتين لشاعرين سعوديين من الشعراء الشباب هما:

١- عبد الله ثابت... واسم مجموعته الشعرية التي طبعتها وزارة الثقافة اليمنية هو: (هتك) ويقع في مائة وستة وثلاثين صفحة وتحوي عدداً كبيراً من المقطوعات التي تمثل تجارب (ثابت) الحديثة، وكانت طباعتها جيدة وإخراجها جيد كذلك.

٢- محمد مسيّر مباركي، واسم مجموعته الشعرية التي طبعتها وزارة الثقافة

اليمنيــة: (معلقة صنعاء) وهــي ملحمة شعرية تزيد أبياتها عن مائة وخمسين بيتاً خصّ بها الشاعر السعودي (المباركــي) معشوقته الأثيرة لديه: مدينة: (صنعاء) حيث تحدث عن معالمها وعن بعض أعلامها الأحياء، وبعض أعلامها الأموات، ولأن مدينــة صنعاء عزيزة على الشاعر فقد اختار لمعلقتهــا لغة شعرية معجمية تطلبت منــه شرح غريبها الــذي استهلك عليه نصف صفحات المجموعــة كما شحنها بِكَمٍّ هائل من المحسنــات البديعية تمثلت في استخداماته المبالغ فيها لفنون البديع من: (طباق، وجناس، وتورية، ورد الأعجاز على الظهور.... الخ) ومع ذلك فقد صارت هــذه القصيــدة أو الملحمة في نَفَسٍ متدفق، ونغم عذب أخّــاذ، وتسلسل موضوعي جميــل، وسنختار من هذه الملحمــة أبياتاً تؤكد على المنحــى التواصلي بين البلدين وتعــززه إذ ممــا لا شــك فيه بــأن هذه الملحمــة الشعريــة التي شارك بهــا شاعرنا السعودي: (المباركــي) إخوتنا في اليمن: احتفاءهم الثقــافي بعاصمتهم تؤكد بقوة صــلات وتواصــل البلدين والشعبين ولأنهــا كذلك فإن النمــاذج المختارة ستقتصر عليهــا دون المجموعــة الشعرية الثانية التــي سبقت الإشارة، وسأختــار منها أبياتاً تؤكد هذا المنحى التواصلي أيّما تأكيد وإن لم تنقل المشهد كاملاً:

يقول الشاعر السعودي المباركي في مطلع أبيات هذه الملحمة:

خـريـدة، مـا للقلب؟ مـا للجوانح؟ لجـانٍ هفت؟ أم أرهفتني لجانح؟

ويقول في بعض أبياتها مخاطباً معشوقته صنعاء:

إليك تزجّيني الحروف فأترعي دمي ملهمات، وامتحي سفر جامح
خريدة ماذا هئت للشعر؟ دثّرت جنائنها المثلى بغيم مصافح
غدائرها شمٌّ، توشح بالحلى على جسدٍ، باليانع العذب فائح

ويشير الشاعر السعودي المباركي إلى بعض المعالم التي تضمها صنعاء فيقول:

وثغر يمانيٌّ متى افترّ راش من كنانته في اليُمْن حكمة ناصح
على كتفيها رفرف المجد صافناً وبين يديها رفّ ريف النواطح
إذا (نُقُمُ) استغشى تراتيل غصة أريف بسيب طوع (غيمان) طافح
ولو أن (إسرافيل) رنّق قطره رقى (سنع) ينبوعه بالفواتح
وكم من سموّ قصر (غمدان) شجه و (حدّة) مغنى ظله المتفايح
كـ (صرواح) أم لاسَمْكُ إنسٍ لجنةٍ شواحط، أم جنٌّ لإنسٍ شواطح[1]

فـ (نقم) و (غيمان)، و (سنع) و (غمدان)، و (صرواح) و (حده) ...الخ كلها حصون وجبال عظيمة، ومعالم أثرية تضمها عاصمة اليمن (صنعاء) أو تقع في محيطها، وقد حشدها الشاعر المباركي كما حشد معالم أخرى في قصيدته الملحمة.

ولم ينس الشاعر المباركي وهو يتحدث عن المعالم كـ (الروضة) و (الحضن) أن يشير إلى أعلام صنعاء التاريخيين الكبار: أمثال (وضاح) و (بلقيس) وأمثالهما فيقول:

---

(١) معلقة صنعاء ص١٦-١٨.

يعل بها الوضاح في الروضة الجوى وفي (الحضن) أعناب لسارٍ وسارح
فتهطل (بلقيس) سلال ملاحم ومجلى مليحات، وخفق سوانح(1)

كما نجده يفرد لأعلام صنعاء المعاصرين كالشاعر: (المقالح) وكالشاعر: (البردّوني) وكوزير الثقافة الأستاذ: (خالد الرويشان) وأمثالهم مقاطع شعرية تفيض إعجاباً وتتضوع ثناءً فهو يسائل (صنعاء) عن مدير جامعتها الدكتور عبد العزيز المقالح فيقول:

خريدة يبكي العلم جامعة الحجى أتسقى دوالي صرحها من ضحاضح؟

ثم يناجي الشاعر (المباركي) صديقه (المقالح فيقول:

إذا كنت في صنعاء نبض فؤادها وبدر لياليها، ومهوى الوضائح
فكيف خلبت المشرقين تواضعاً و خلبت بالأنداء برق التباجح
فأسرجت في كف الندى عشر أنمل وعوسجت في فك الردى ناب لاقح

وقد خص (المباركي) صديقه الدكتور: (المقالح) بخمسة عشر بيتاً من هذه الملحمة: (معلقة صنعاء) حيث ختم البيت الخامس عشر بقوله:

كأنّ بميزان الرشاد فريضة له، وبسفر الخلد فصل (المقالح)(2)

وكما تسائل الشاعر السعودي (المباركي) عن الدكتور (المقالح) ووجه إلى حبيبته (صنعاء) سؤالات كثيرة عنه نراه في الأبيات التالية يسائلها عن كوثر الشعر اليمني الشاعر الكبير: (عبد الله البردّوني) فيقول:

---

(1) المصدر السابق ٢٨.

(2) معلقة صنعاء ص٣٠-٣٣.

خريدة جف الشعر أم أسبل البلى قياثيره، فاستنزفت في الضرائح
فأدمت بعيني فحلها تستغيثه وأغفت على جوزائه في الصحاصح
وسحّ (بردّونيّها) الفقد فاستوى بقامتها في منبر مترامح
برته الليالي وهو في مدلهمها ذكاءً، ودون القيظ ظلة ضابح
فإن يَعْمُ عند العُمَّه،الجُوف، يَعْمُ عن عدوٌ مراب، أو صديق مرابح
وإن يحي ذكراً وهو في مُهْجَة الثرى نقياً من الدنيا، شريف المطامح
إذا هَمْهَمَ استسقوا، وإن هَمَّ اشفقوا وإن صمت انشقوا، وإن فاه: لا لُحِي[1]

ولا ينس الشاعر السعودي (المباركي) بعد حديثه عن الشاعرين اليمنيين الكبيرين: (عبد العزيز المقالح) و (عبد الله البردّوني) أن يتحدث عن وزير الثقافة اليمني (خالد الرويشان) فيقول مثمناً جهوده الكبيرة في خدمة الثقافة والفكر، ومقدراً له اهتمامه بتواصل الأشقاء:

خريدة طوفي بالبهاليل واطرقي مرابع أرباب العقول الرواجح
ترى نصفي الأسنى (الرويشان خالداً) وضيئ المحيا، مستغاث الجوائح
فتىً لم تراوده الدنايا، لأنه وقد زخرفت وازينت بالمصالح
رأت خلقاً من شهده خلق وجهه وحراً أبياً، عن خلائقها نُحي[2]

وفي الأبيات الآتية نرى الشاعر السعودي (المباركي) يحاور معشوقته صنعاء وتحاوره فيقول:

---

(١) المصدر نفسه ص٣٣-٣٧.

(٢) المصدر السابق ص٣٧-٤٠.

خريـدة ضوعي في باسمك أرّجـت براحة روحـي الـراح، هصر ممالح
فـقـالـت: أنـا صـنـعـاء، مهبط آدم وحــواء، مهد الطين قبل المنازح
ولجت من الباب الجنوبي وهـي في سـويـدائـه مـنـظـومـة كالمسابح
فبشّ، مدى جلبابه الخلد في مدى بأكفانه، عـاري الحشاشات سائح
كـأن الجلاميـد العتاق تعثكلت قلوباً، وأكـبـاداً بعيني مكافح(١)

أمـا في الأبيات الآتية فنجد الشاعـر السعودي المباركي يشكو إلى صنعاء شيئاً من جفاف الشعر ويسائلها عن الأسباب وإن كانت أسئلته تقريرية يقول فيها:

خريدة، جف الشعر؟ أم أجفل البلى قياثيره، فاستنزفت في الضرائح
وهـل أنـت إلا نـبـعـه؟ ومـصـبُّـه؟ زلالاً بمجرى ضفتيك المسابح

وقبـل أن يختم الشاعر هذه الملحمة نراه يخاطب عاصمة الثقافة العربية لعام ١٤٢٥هـ (صنعاء) مستغربـاً أن تكون عاصمة للثقافة في عام واحد فقط فهو يرى بأنها عاصمة للثقافة على مدى العصور فيقول:

أعاصمة للعرب (صنعاء) توجت بذا العام؟ بل كل العصور البوارح
فمن (أزل) صنعاء عاصم أمرهم إلى أبـد في محمل الغيب تائح

وهكـذا وجدنا الشاعر السعودي: (محمد مسـيّر المباركي) يشارك إخوته في اليمن احتفاءهم بعاصمتهم (صنعاء) عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٤م ويتغنى بمعالمها ويشيد برموزها وأعلامها وهو في صنيعه هذا شبيه بما فعله الشاعر اليمني

(١) معلقة صنعاء ص٢٣.

الكبير: (أحمد محمد الشامي) حينما تغنى بأبها وببعض معالمها وببعض رموزها في قصيدته التي سبقت الإشارة إليها.

٣- كما طبعت وزارة الثقافة اليمنية مجموعة قصصية جماعية كبيرة لعدد كبير من كتاب وكاتبات القصة السعوديين بلغ عددهم سبعين كاتباً وكاتبة واختاروا لها اسم: (سلسلة شبكة القصة العربية) واعتبروها الإصدار الأول من هذه السلسلة، وتقع في مائة وأربعة وثمانين صفحة من القطع فوق المتوسط وهذه المجموعة تظم أسماء كبيرة من كتاب القصة السعوديين، وكأن إخوتنا في وزارة الثقافة اليمنية أرادوا أن يؤكدوا بصنيعهم الثقافي الجميل هذا على عمق التواصل الثقافي بين البلدين والشعبين، فالكتّاب والكاتبات الذين اختاروا لهم يمثلون فنياً ثلاثة أجيال من كتاب القصة القصيرة السعودية ويفترشون جغرافياً سائر أقاليم المملكة العربية السعودية، وقد صدرت هذه المجموعة في طباعة أنيقة وإخراج رائع.

ولعلنا في السطور التالية نضرب مثلاً لكل جيل من تلك الأجيال القصصية السعودية التي اختاروا لها:

فمن جيل كتاب القصة السعودية الأول:

١- الأستاذ: إبراهيم الناصر.

٢- الأستاذ: محمد علوان.

٣- الأستاذ: محمد منصور الشقحا.

٤- الأستاذة: أميمة الخميس.

٥- الأستاذ: عبد العزيز مشري.

ومن جيل كتاب القصة السعودية الثاني:

١- الأستاذ: عبده خال.

٢- الأستاذ: عبد العزيز الصقعبي.

٣- الأستاذ: حسن حجاب الحازمي.

٤- الأستاذ: يوسف المحيميد.

٥- الأستاذ: صالح الأشقر.

٦- الأستاذة: بدرية البشر.

ومن الجيل الثالث:

١- الأستاذ: خالد خضري.

٢- الأستاذ: علي زعله.

٣- الأستاذ: إبراهيم النمله.

٤- الأستاذ: سعود الجراد

٥- الأستاذ: البراق الحازمي.

٦- الأستاذة: خديجة الحربي.

٧- الأستاذة: هناء حجازي.

وهكذا احتفى الإخوة المثقفون في اليمن بعاصمتهم: (صنعاء) عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٤م، واحتفوا بإخوتهم المثقفين السعوديين الذين شاركوهم هذا العرس الثقافي، فحققوا بذلك المعاني الحقيقية للتواصل الثقافي بين البلدين والشعبين الشقيقين.

نموذج للأسابيع الثقافية السعودية في اليمن

- ولأن برامج الأسابيع الثقافية كثيرة، ولأن نشاطاتها الثقافية متنوعة تشمل كافة الألوان الثقافية والإبداعية، ولأن فعالياتها تمتد على مدار الأسبوع (صباحية ومسائية) فإن أمر رصدها وتوثيقها كاملة يجعل أوراقي غير قادرة على الإحاطة بها، خصوصاً بعد مضي ثلاثة عقود على انطلاقتها، وإن كان قد حصل توقف لسائر المناشط بعد قيام حرب الخليج الثانية استمر أكثر من عشر سنوات إلا أن الفترة التي تلت التوقيع على ترسيم الحدود بين البلدين قد تضاعفت فيها المناشط الثقافية على كافة الصعد وتنوعت مساراتها؛ مما يصعب مهمة الحصر والتقصي، حتى لو حاولت الاختصار، ولربما كان في الاستقصاء ما يشتت جهد الباحث ويجعله مدعاة للتكرار الممل؛ لذلك فإنني سأقفز على المراحل لأختار آخر الأسابيع الثقافية السعودية الذي أقامته وزارة الثقافة والإعلام السعودية في اليمن خلال عام ٢٠٠٩م الموافق ١٤٣٠هـ متخذاً من ذلك أنموذجاً ومثالاً حياً للأسابيع الثقافية التي أقامتها اليمن في السعودية أو أقامتها السعودية في اليمن منذ العام ٢٠٠٠م الذي تم فيه توقيع معاهدة ترسيم الحدود البرية والبحرية بين البلدين[١]؛ لقد كان ذلك الأسبوع السعودي الثقافي حافلاً بألوان النشاطات الثقافية المختلفة وكان افتتاحه في مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٤/ فبراير ٢٠٠٩م[٢] وذلك بمسرح

---

(١) الموسوعة اليمنية ج٤ ص ٢٧٤٤.

(٢) أمدّني بجداول هذا الأسبوع الثقافي وبرامجه الأستاذ إبراهيم الخميس، مدير القسم الثقافي بوكالة وزارة الثقافية والإعلام لشئون الإعلام الخارجي وذلك بتأريخ: ١٤٣١/٦/٢٩هـ

مركـز الثقافـة في صنعاء حيث افتتحه وزيـرا الثقافة في البلدين: معـالي وزير الثقافة السعـودي الدكتور عبد العزيز محي الدين خوجه، ومعالي وزير الثقافة اليمني الدكتور محمد أبو بكر المفلحي، واشتمل حفل الافتتاح على عدد من الفعاليات وكانت النشاطات الثقافيـة في هذا الأسبوع مكثفة، ربما يتجاوز عددها في اليوم الواحد سبعة نشاطات أو أكثر، وبعض تلك المناشط يشارك فيها خمسة أعضاء، أو أكثر.

- ففـي يوم الأربعاء الموافـق ٢٥ فبراير أقيمت نشاطـات ثقافية منوعة بدئت في السـاعـة الحادية عشـرة صباحاً بمحاضرة في جامعة صنعـاء عنوانها: صناعة نشـر الرواية في السعودية ألقاها الأديب السعـودي الأستاذ: خالد اليوسف.. وأدار حوارها الإعلامي السعودي الأستاذ: محمد المنقري.

- وفي مساء الأربعاء ٢٥ فبراير نفذت أربعة نشاطات سعودية:

١- فقـد عرضت أربعة أفلام سينمائية قصيرة هي: بقايا طعام – ليلة البدر – حلم بريء – حالة لمس، وهذه الأفلام القصيرة تم عرضها بين الساعة الرابعة والخامسة عصراً في مسرح المركز الثقافي بصنعاء.

- وفي السادسـة والنصـف وعلى المسـرح نفسه أقيمت أمسيـة شعرية شارك فيهـا: الشاعـرة السعودية: زينب غاصـب، والشعراء السعوديـون: جاسم عساكر، وعلي الهوساوي، ويحيى إبراهيم الشعبي، وأدارها الأديب السعودي: عبده قزان.

- وفي السـاعـة الثامنة مساءً قدمت مسرحيـة اللعب على خيوط الموت – على المسرح الكبير بالمركز الثقافي في صنعاء.

- وفي الساعة التاسعة أقيمت على المسرح الصغير أمسية قصصية شارك فيها القاصون السعوديون: سعود الجراد – صلاح القرشي – خالد الخضري.. وأدارها الأديب السعودي عبد الرحمن الحكيمي.

- أما المعارض الفنية السعودية المختلفة فقد استمرت في العرض ببيت الثقافة في صنعاء من الساعة العاشرة صباحاً – إلى الساعة الثامنة مساءً.

- أما يوم الخميس الموافق ٢٦ فبراير فقد قدمت فيه البرامج الثقافية السعودية الآتية:

- ففي تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً أقيمت في جامعة صنعاء ندوة حول الرواية السعودية شارك فيها: الروائي والناقد السعودي الدكتور: سلطان القحطاني، والأديب السعودي: أحمد الدويحي، والأديب السعودي: خليل الفزيع وأدارها الأديب السعودي الدكتور: منصور المهوس.

- وفي الرابعة مساء تم عرض فلمين سينمائيين بمصرح المركز الثقافي في صنعاء.

- وفي الخامسة مساء أقيمت على المسرح الصغير بالمركز الثقافي أمسية شعرية: شارك فيها أربعة من الشعراء السعوديين: ١- عيسى جرابا، ٢- فواز اللعبون، ٣- عيد الحجيلي، ٤- محمد العطوي، وأدارها الأديب السعودي: عبد الهادي صالح الشهري.

- وبين الساعة السابعة والثامنة مساءً أقامت فرقة الفنون الشعبية أمسية فلكلورية على المسرح الكبير بالمركز الثقافي.

- كما أقيمت على مسرح المركز نفسه بين الساعة الثامنة والساعة العاشرة أمسية غنائية شارك فيها عدد من الفنانين السعوديين.

- واستمرت المعارض الفنية السعودية في العرض من الساعة العاشرة صباحاً وحتى الثامنة مساءً ببيت الثقافة.

- وفي يوم الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠٠٩م كان البرنامج الثقافي كالتالي:

- من الساعة الخامسة إلى الساعة السادسة مساءً أقيمت بمقر اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين محاضرة: التجربة الشعرية الحديثة في السعودية ألقاها الأديب السعودي الدكتور: عبد الرحمن المحسني، وأدار المحاضرة الإعلامي السعودي الأستاذ: فهد الشريف.

- ومن الساعة السادسة إلى الساعة السابعة مساءً أقيمت بمقر اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين أمسية قصصية شارك فيها القاصون السعوديون الآتية أسماؤهم، وهم كل من: الأستاذ: فهد الخليوي، والأستاذ: إبراهيم النملة، والأستاذة: هدى المعجل، وأدار الأمسية الأستاذ: سعيد الزهراني.

- ومن الساعة السابعة إلى الساعة الثامنة مساءً أقيمت على قاعة فلسطين بعدن مسرحية اللعب على خيوط الموت، واستمرت المعارض الفنية من الساعة العاشرة صباحاً إلى الساعة الثامنة مساء ببيت الثقافة صنعاء.

- أما في يوم السبت ٢٨ فبراير ٢٠٠٩م فقد كان برنامج النشاط الثقافي السعودي كما يلي:

- من الساعة التاسعة إلى الساعة العاشرة صباحاً أقيمت في جامعة عدن محاضرة بعنوان: (المدرسة الآثارية في المملكة العربية السعودية) قدمها الأستاذ الدكتور: سعيد السعيد وأدار المحاضرة الأستاذ: محمد الحارثي.

- ومن الساعة الحادية عشرة إلى الثانية عشرة صباحاً أقيمت بجامعة المكلا ندوة عن: الرواية النسوية السعودية شارك فيها الدكتور: معجب العدواني، والدكتور: إبراهيم الدغيري وأدار الندوة الدكتورة: فاطمة إلياس القاسم.

- ومن الساعة الخامسة إلى الساعة السادسة مساءً أقيمت بمركز أبو بكر سالم أمسية قصصية شارك فيها القاصون السعوديون: جمعان الكرت الغامدي، وجار الله سالم العميم، وأحمد إبراهيم القاضي، وقد أدار الأمسية: بدر ناصر الراشد.

- ومن الساعة السادسة إلى الساعة السابعة مساءً أقيمت أمسية شعرية بمركز أبو بكر سالم شارك فيها الشعراء: حمد العسعوس، وحسن الزهراني، ومحمد الحمد، وسعد الثقفي وأدار الأمسية خالد الطويل.

- ومن الساعة السابعة إلى الساعة الثامنة في قاعة الجامعة بعدن خور مكسر أقيمت مجموعة أفلام سينمائية هي: نسيج العنكبوت، ما بعد الرماد، مهمة طفل، نجران في سطور.

- ومن الساعة الثامنة إلى الساعة العاشرة مساءً أقيمت أمسية موسيقية غنائية بمركز أبو بكر سالم قدمها الفنانون السعوديون.

- وفي يوم الأحد ١ مارس ٢٠٠٩م نفذ السعوديون نشاطين ثقافيين هما:

- مــن الساعة السابعة إلى الساعة الثامنــة مساءً أقيمت بمركز أبو بكر سالم مسرحية اللعب على خيوط الموت.

- ومن الساعة الثامنة إلى الساعة العاشرة مساءً وبنفس المركز أقيمت أمسية شعريــة شارك فيها الأستاذ: محمد الثبيتي، و: محمــد الحرز، والأستاذة: اعتدال الذكر الله، وقد أدارت الأمسية الأستاذة: نورة القحطاني.

أمــا يوم الاثنــين ٢مارســ ٢٠٠٩م فقد كان ختــام الأسبوع الثقــافي السعودي في اليمــن، حيث أقيم فيه الحفــل الختامي لأسبوع مكثف مــن النشاطات الثقافية المتنوعــة، وتم ذلك بمركز أبو بكر سالم في تمام الساعة الثامنة مساءً وكان الختام بالفنون الشعبية.

- أما معارض الكتب فإن آخرها: معرض الكتاب الدولي في اليمن، والذي أقيم في الثلث الأول من عام ٢٠١٠م وقد شاركت فيه عدد من دور النشر السعودية، كما شاركــت فيه بعض الجامعات السعودية وفي مقدمتهــا جامعة جازان - كما شارك فيــه - عــدد من النوادي الأدبيــة والثقافية السعودية، وقد أقيمــت على هامشه - كالعــادة - فعاليات ثقافية متنوعة استمرت طيلة أيام المعرض، شارك في فعالياته الثقافيــة عدد مــن الشعراء والشاعرات السعوديين وعدد مــن الباحثات والباحثين السعوديــين، وبعضــ تلك الفعاليات تم نقله عبر الفضائيــة اليمنية الرسمية بما في ذلك مشاركات المثقفين السعوديين.

المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالحرس الوطني السعودي (الجنادرية) يستضيف بعض المثقفين اليمنيين

- كانت لبعض الجهات الثقافية الرسمية في البلدين نشاطات ثقافية موسمية وكانت بعض تلك الجهات تحرص على دعوة أدباء ومثقفي البلد المجاور لحضور تلك النشاطات الثقافية، وكان المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) الذي تنظمه سنوياً رئاسة الحرس الوطني في المملكة العربية السعودية برعاية كريمة ودعم كبير ومتابعة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، كان لهذا المهرجان اهتمام كبير باستضافة عدد من أدباء ومفكري اليمن، تُوجَّهُ لهم الدعوات الرسمية سنوياً من سعادة وكيل الحرس الوطني ومن رئاسة اللجنة الثقافية للمهرجان فيحضر في كل عام نفر من المدعوين اليمنيين وبعضهم من المقيمين في المملكة وفي عام١٤٢١هـ الموافق٢٠٠٠م وهو العام الذي تم فيه التوقيع على المعاهدة النهائية لترسيم الحدود البرية والبحرية بين المملكة العربية السعودية واليمن، في هذا العام وجه المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالحرس الوطني دعواته لعدد من أدباء وشعراء ومثقفي اليمن الشقيق لحضور فعالياته فكان الشاعر اليمني الكبير إبراهيم الحضراني أحد ضيوف المهرجان الوطني السعودي للتراث والثقافة (الجنادرية) وكان أحد المشاركين في فعالياته الثقافية، (حيث شارك الحضراني في أمسية شعرية من أمسيات المهرجان الوطني، وذلك في مساء يوم الخميس ٣٠ من شهر شوال عام١٤٢١هـ، وقد نشرت إحدى قصائده

التـي ألقاها أثناء تلك الأمسية في صحيفة الجزيـرة السعودية بعددها الصادر في يـوم السبـت الموافق٢ من ذي القعـدة عام١٤٢١هـ، وقد أشار فيهـا إلى وفاة والده الشاعر اليمني الكبير أحمد الحضراني بمدينة الطائف التي اتخذها مقراً لإقامته مـدة تزيد عن ربـع قرن وقد تحدث في قصيدتـه تلك على لسان والـده فذكر بأنه وبرغـم وفاتـه فهو يحفظ لهذه الديـار وأهلها ما غمروه به مـن رعاية وكرم وفادة ويعترف لهم بجميل صنيعهم معه ويدعو لهم بالخير والفلاح ومما أنشده إبراهيم الحضراني في تلك القصيدة قوله:

يـا طـريـق الـهـدى إلـيـه عساها ... تـلـتـقـي في رحـــابـــه روحـــانـــا
أأدوســــن الــثرى بـرغـمـي لأني ... لـسـت أسـطـيـع في الـهـوى طيرانـا
هـشّ لي مـثـلـمـا عـهـدت فـجـاوز ... ت زمـــانـــاً بـنـشـوتـي ومـكـانـا
قال لي: قم، وطف بساحة (وجٍّ) ... وتـقـرَ الأصـحـاب، والإخـوانـا
سـلـمـت تـلـكـم المـرابـع، ذقـنـا ... في ربـاهـا الأمـــان والإيمـانـا
بـين قـوم، لـهـم مـن الـوحـي هـادٍ ... وكـفـى الـوحـي لـلـهـدى بـرهـانـا
قـل لـهـم يـا بـنـي: إن عـظـامـي ... لـيـس تـنـفـك تحـمـل الـعـرفـانـا
مـا نـسـيـت الجـمـيـل بـالـرغـم أني ... قـد سـكـنـت الـتراب والأكـفـانـا
وأنـــا أنـــت يـا بـنـي شـعـوراً ... وأنـــا أنـــت: مـنـطـقـاً، وبـيـانـا(١)

كمـا قرأ الحضراني في تلك الأمسية قصائد أخرى استمتع بسماعها الحضور العربي الكبير الذي يحضر عادة تلك المناسبات الثقافية الكبيرة.

---

(١) من أدب الرواية (أحمد محمد الحضراني) ص٢٠-٢٢.

ولم يكـن الشاعـر إبراهيـم الحضراني وحيـداً في مشاركته بهـذا المهرجان، ففـي العام التالي كان الشاعـر اليمني الشاب: طارق كرمان أحد ضيوف المهرجان الوطني السعودي للتراث والثقافة (الجنادرية) وبالتحديد في عام ١٤٢٢هـ كان هذا الشاعـر الشاب ضمن أدباء ومفكرين يمنيين آخرين وعرب كانوا مدعوين لحضور هذا المهرجـان، وتأكيداً للتواصل الثقافي اغتنم الشاعـر اليمني طارق كرمان تلك المناسبة حيث كان واحداً ممن ضمّهم مجلس الملك عبد الله بن عبد العزيز فألقى بين يديه وسط حضور عربي كبير قصيدة مطولة جعل عنوانها: (يا درة الأرض).

- تحـدث الشاعر اليمني الشاب في جزء منهـا عن بلاد الحرمين، باعتبارها مهبط الوحي، وقبلة المسلمين، ومهوى أفئدة ملايين المسلمين، واعتبر المملكة العربية السعوديـة (درة الأرض) وأشاد بمآثرها الخالـدة قديماً وحديثاً، وحاول أن يوفيها بعض حقها في جوانب كثيرة....

- وخصـص الملك المؤسس (عبـد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل) بجزء كبير مـن مطولتـه حيث تحدث عـن ملحمة فتح الرياض وعن جهـاده الطويل في سبيل تحقيق وحدة وطنه وأمنه واستقراره، وتحدث عن سعيه الحثيث لتثبيت الأمن حتى أمنـت السبل واطمـأن المواطن والمقيم، وذللت العقبات التـي كانت تعترض حجاج بيت الله الحرام، فحقق لبلاده أمناً ونماءً واستقراراً.

- ثم تحدث عن ملوك الدولة السعودية الحديثة: (أبناء الملك المؤسس) فأشاد بسيرهـم علـى خطى والدهم، كما أشاد بما حققوه لوطنهـم من تنمية شاملة، وما

شملـوا به دول الجوار وأمة العرب مـن عون ومساندة في عسرهم ويسرهم، مشيراً إلى بعض أدوارهم القيادية في نصرة قضايا العرب والمسلمين.

- ثم ختم تلك الملحمة الشعرية الجميلة بمشاعره الخاصة نحو (درة الأرض): أرض المملكة العربية السعودية ونحو أهلها وحكامها من آل سعود الميامين.

ولطولهـا حيث قارب عـدد أبياتها المائة فإنه يصعب علينا نقلها كاملة، أو نقل بعضـ جزئيات أفكارها كاملـة، لأن الشاعر قد أعطى لكل جانب من تلك الجوانب مـا يعادل قصيدة طويلـة، وعزف في كل مقطع منها لحـن التواصل الثقافي بعزف منفـرد؛ لذلك سنحـاول أن نختار أبياتاً محدودة من الجزئيـة الأولى فقط، لتعزز كلامنا عن التواصل الثقافي وتؤكده بقوة، ومن هذه الجزئية سنختار قول الشاعر:

حيِّ السعودية العظمى وأهليها ... بـألـف ألـف سـلام مـن محبيها
وحيِّ فيها أولي العزم الأولى حملوا ... أركـانـهـا، والأعـــزاء المعزوهـا
حـق الجـوار مع القـربـى وبرهما ... أمـانـة ليـت شـعـري هـل نـؤديـهـا
فـقـد أتـيـت وقـلـبـي مـلـؤه شغف ... ومـلء روحــي ابـتـهـالات أصليها
وفي حنـايـاي من صـنـعـاء أغـنـيـة ... إلى الرياض لسان الوجد شاديها
وفي فمي قبلات العشق من وطني ... إلـيـك يـا وطـنـي بُـثّـت فضميها
أسمى التحية يا أرض السعود مـ ... ـن الأرض السعيدة جئت اليوم أتلوها
من شعبها الطيب الحر الأصيل ومن ... سهولها، مـن سـمـاهـا، مـن روابـيـهـا
يا درة الأرض يا داراً شـددت لها ... رحلي، وكان الهوى والشوق حاديها
إنـا عشقناك لا زلـفـى، ولا مقة ... وإن حـب ديـــار، حـب أهـلـيـهـا

فنحن شعبان في جسميهما نُفخت ... روح الإخاء، فعاشا بين جنبيها
ماذا أحدث عن أرض مباركة ... ملائك الله قبل الجند تحميها
فيها تنزلت الآيات محكمة ... على رسول الهدى من روح موحيها
فيها العروبة في أسمى مبادئها ... وشرعة الله في أزهى تجليها
وهاهي اليوم ما أحلى تزينها ... بحلة من نسيج العز تكسوها
في محفل تشهد الدنيا ثقافتها ... فيه، فما وطن إلا محييها
بنت به حرم الآداب فاندفعت ... من كل فج حجيج الفكر تأتيها
فشيدت فيه شمساً للمعارف لم ... تأب الكواكب أن تجري حواليها

ثم ختم الشاعر اليمني طارق كرمان ملحمته بقوله:

يا درة الأرض هاك استقبلي درري ... قلادة من صميم القلب أهديها
نظمتها بوفاء الحر مفعمة ... تفوح حباً وعرفاناً قوافيها[(١)]

وفي يوم الخميس غرة ربيع الأول ١٤٢٢هـ نشرت له صحيفة الرياض قصيدة ألقاها هذا الشاعر (طارق كرمان) بين يدي الملك عبد الله بن عبد العزيز والرئيس اليمني علي عبد الله صالح خلال الاحتفال الذي أقيم في عدن بمناسبة اليوم الوطني الحادي عشر لإقامة الوحدة اليمنية بين شطري اليمن الشقيق وقد أثنى الشاعر: طارق كرمان في تلك القصيدة على جهود الرئيس اليمني في تحقيق الوحدة كما أثنى على جهود الملك عبد الله والرئيس اليمني في حسم مشكلة الحدود

(١) الكتاب الدوري (حوليات سوق حباشة) الذي يصدره سنوياً الدكتور عبد الله أبو داهش العدد (٨) ص٧٨-٨٤، مطابع البتراء للأوفست ١٤٢٥هـ.

بين البلدين وتوقيع المعاهدة بإنهاء جميع المشاكل العالقة بسبب مشكلة الحدود

يقول الشاعر في مطلع القصيدة:

لوصف فعلك لم يُعط البليغ فما ... ومدح مثلك رب الشعر ما نظما

لله در (عليّ) الفذ من بطل ... صار اسمه صفة لما علا وسما

وفيها يقول:

ماذا عن الشعراء المبدعين وقد ... أعيا الفصيح شعور أنطق البكما

لدى مجيء رجال كان مقدمهم ... للعيد عيداً فغنى العيد وابتسما

فألف مرحى بكم يا قوم في بلد ... إذا استضاف كراماً أخجل الكرما

أولوا السقاية أصحاب النهى وذووا ... الرأي السديد الذي لا يحمل السقما

الحاكمون بحكم الله دولتهم ... المستمدون من قرآنه النظما

الموقفون لبيت الله خدمتهم ... المغدقون على حجاجه النعما

مرحا بآل سعود إخوة كرما ... أعزة سخروا للأمة الأمما

حباكم الله كالجوزاء مملكة ... شاخ الزمان وفيها الملك ما هرما

قامت على الأسس المثلى دعائمها ... تقدس الدين والأخلاق والقيما

أرى بكم (عدناً) تزهو مفاخرة ... وقد وعى الموج ما فيها فما التطما

ولا يزال (بصنعاء) لكم عبق ... أريجه منذ عام بعدُ ما انعدما

عام مضى منذ أقسمنا اليمين على ... نهج الوفاق وأنّا ننكث القسما

فهاهي اليوم قد جاءت وفودكم ... كما عهدنا تبر العهد والذمما

فيا جبال (سراة) قبلي (نقما) ... ويا مآذن (صنعا) عانقي (الحرما)

وخبري أهل (نجد) أنْ لهم نسباً ... هنا وأنّ لنا في أرضهم رحما

فما لدينا بديل عن أُخُوَّتِنَا وقد مزجنا ببعض أنفساً ودما
ولى زمان التجافي حاملاً معه أيامه السود والأحقاد والنقما
وأشرقت بين شعبينا معاهدة تبني غداً زاهراً بالخير متسما
قد رسّمتْ كل حدٍّ كان يقلقنا وهدّمتْ كل سدٍّ بيننا رُسما
فكلنا بعد ذاك العهد منتصر وما به ظالم أو آخر ظلما
إن الحدود التي كانت تفرقنا صارت جسوراً عليهن الوداد نما
فأكملا السير فيه يا (عليٌّ) ويا أمير (آل سعود) وامضيا قدما
حلّ الوئام فما أحلى تجمعكم هذا الذي يغضب الأعداء واللؤما[1]

---

(١) صحيفة الرياض العدد (١٢٠٢٢) ص٤، الخميس غرة ربيع الأول ١٤٢٢هـ.

المثقفون السعوديون واليمنيون يعززون التواصل الثقافي بين البلدين

إذا كان التواصل الثقافي الرسمي بين اليمن والمملكة قد أصيب بشيء من التعثر والتراجع خلال السنوات التي تلت عام ١٤١١هـ فقد ظلت بعض الجهود الفردية التي قام بها بعض مثقفي الشعبين الجارين في محاولة للإبقاء على شيء من التواصل برغم كل العقبات، فكان بعض أصحاب المنتديات الثقافية وبعض أصحاب الصوالين الأدبية ونفر من القائمين على بعض الجهات الثقافية الأهلية كانوا يحرصون على استضافة بعض مثقفي البلدين خلال مواسمهم الثقافية، فأبقت تلك المبادرات للتواصل الثقافي بين البلدين شيئاً من الوميض استطاع أن يستعيد به بريقه وتعافيه بعد توقيع معاهدة ترسيم الحدود بين البلدين في عام ٢٠٠٠م، حيث كثفت تلك الجهات الثقافية نشاطاتها وضاعف كل فريق فيها دعواته لمثقفي البلد الآخر، فنشطت الحركة الثقافية في البلدين، وعاد للتواصل الثقافي بين البلدين تألقه، وحصل في عام ١٤٢٣هـ تأكيد قوي للتواصل الثقافي بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية حين تحقق تواصل ثقافي يمثل الجانب غير الرسمي؛ فقد زار المملكة علامة اليمن الكبير: إسماعيل الأكوع، واستقر بعاصمتها: الرياض، ثم تهيأت له الأسباب، فغشي أكبر منتدياتها الثقافية، وحاضر فيها متحدثاً عن الصلة الثقافية المتينة التي تربطه وتربط أخاه العلامة محمد بن علي الأكوع بأكابر رموز الفكر في بلادنا، وعارضاً لنماذج من التعاون الثقافي والفكري

بينــه وبين علامة الجزيرة الأديب السعودي: الشيــخ حمد الجاسر، راصداً في تلك المحاضرة بعض الإنجازات العلمية التي تمت في ظل ذلك التعاون الثقافي السعودي اليمني.

وهكــذا كانت زيارة العلامة اليمني الأكوع هــذه تأكيداً للتواصل الثقافي المثمر بين مفكري البلدين ورصداً لجهود علمية وثقافية قام بها مفكروا البلدين بعضها تم إنجازه وبعضها تعثر لسبب أو لآخر فما هي تلك الجهود؟ وكيف كانت ثمارها؟ عن هذه التساؤلات وغيرها ستجيبنا سطور سنختارها من محاضرة العلامة (الأكوع) التــي ألقاها على عجــل في خميسية صديقه الحميم الشيخ حمد الجاسر بعد وفاته رحمه الله، وكانت بعنوان: (اليمن والتراث) فلنستمع إلى العلامة إسماعيل الأكوع وهو يروي لنا شيئاً عن هذه الجوانب فيقول بعد المقدمة: (أما بعد فما إن علم إبننا الكــريم الأستاذ معــن بن حمد الجاسر حفظه الله بوجــودي في الرياض لدى ابني خالــد سفير اليمــن في المملكة العربية السعودية حتى جــاء لزيارتي، وكان هذا يوم الخميســ الحادي عشر من شهر ربيــع الأول سنة ١٤٢٣هـ، وفي الوقت نفسه دعاني لحضــور خميسية ذلك اليــوم فرحبت بدعوته وحملني معه على سيارته فلما دخلت قاعــة الاستقبال التي كان الشيخ حمد الجاســر " رحمه الله " يستقبل زواره فيها، وجدت كوكبة من العلمــاء الأعلام من أحياء أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر " رحمه الله " مجتمعين لإحياء ذكراه، فعرفني بأسماء من لم يكن لي بهم سابق معرفة فصافحتهم، وجلست بينهم، وكان مدار الحديث حول شخصية الشيخ حمد

وتعدد معارفه الواسعة وجاء الدور علي لأتحدث عنه ولم أكن آنذاك متهيئاً لمثل هذا الحديث فاستجبت لهذا الطلب على استحياء).

وهـذا هو ملخص كلمتـي بإيجاز " صبحكـم الله بالخيرات جميعـاً والسلام عليكـم ورحمة الله وبركاته، أمـا بعد فإنه ليس من المبالغة في شيء إذا قلت جازماً إنّنـي لم أجـد في من عرفت من أصدقائـي على كثرتهم من يضاهـي شيخنا حمد الجاسـر في سعـة معارفه وقـوة ذاكرته وسرعـة استيعاب ما يقـرأه أو يطلع عليه، ولاسيمـا إذا كان في مجال التاريـخ والأدب واللغة والأنساب العربية وغير ذلك، ولا ينبئك مثل موسوعته الشهيرة مجلة " العرب " التي لا يماثلها في الآونة الأخيرة أية مجلة أخرى، وذلك لتنوع موضوعاتها الطريفة وحسن اختيارها، والتي يتولى كتابة أبـرز بحوثهـا الشيخ حمد نفسـه، وما ذلك إلا لإحاطته بما يطلـع عليه أو يقع عليه بصره من الكتب التي يهواها أو تميل إليها نفسه.

ولطـول صحبتي معه واجتماعـي به خلال كثير من المؤتمـرات والنداوت التي كانـت تعقد في العاصمـة الأردنية عمّان أو في بعض العواصـم العربية الأخرى فإن أنظار محبيه كانت تتجه إليه لسماع ما يقوله خلال تلك الجلسات واللقاءات.

وذات مـرة قلـت للشيخ حمـد: لقـد زرت كثيراً مـن الأقطار العربيـة وكثيراً مـن العواصـم الغربية للبحث عما يوجـد في مكتباتها المشهـورة الجديد من نوادر المخطوطـات العربيـة، ولكنك لم تزر اليمـن، وهي ليست بعيدة عنـك فأجاب بما معناه (القرب المفرط أحد الموانع) ولكنه وبعد مدة قصيرة جاء إلى صنعاء فأقام

فيهـا يومـين، يوم لمعرفة معالم صنعـاء بما في ذلك جامعهـا الشهير للإطلاع على المكتبـة الغربيـة التي كان أمينها موجوداً، وكان يطمـح أن يزور مكتبة الأوقاف فيه ولم يتسـن له ذلك لغياب خازنها، ويوم آخر لزيارة مدينة (مأرب) وسدها الشهير غـير يوم القدوم إلى صنعاء، ويوم مغادرته إلى الرياض، وبعد بضع سنين من تلك الرحلـة القصيرة عزم على القيـام برحلة تاريخية لاكتشـاف الطريق التي سلكها الملـك اليماني (أسعد الكامل) من العاصمة الحميرية (ظفار يحصب) أو (ظفار ذي زيـدان) إلى بيـت الله الحرام بمساعدة من بنـك الرياض الذي تكفل بنفقات هذه الرحلة التي تضم مصوراً ورساماً وطبيباً وعدداً من المرافقين العارفين بطرق الحـاج اليماني مع لـوازم الرحلة من خيام وسيارات وغيرهـا، واتصل بي الأستاذ غالـب علـي جميل سفـير اليمن في المملكـة العربيـة السعودية آنـذاك يحثني على سرعـة قدومـي إلى السعودية للمشاركة في هذه الرحلـة؛ لعلمه باهتمامي بموضوع هـذه الرحلة التاريخيـة، فأسرعت وزارة الخارجية بالاتصـال بالسفارة السعودية في صنعـاء بمنحي سمة دخول إلى السعوديـة، فتم ذلك، بحجز مقعد لي بالطائرة إلى جـدة، ومنها بالسيارة إلى الطائف؛ لألتحـق بالشيخ حمد الجاسر، حيث تقرر أن تبـدأ رحلة القافلة منه، لتسلك طريق الحـاج اليماني الذين كانوا يسلكونها من قبل مرحلة حتى حدود اليمن، وهنا سيتم استقبال القافلة من قبل سلطات الحدود اليمانيـة ثم يستمر سفرهـا على نحو ما سبق حتى تنتهـي إلى (ظفار ذي زيدان) الواقع في الجنوب الغربي من مدينة (يريم) والذي يبعد عن صنعاء بأربعين ومائة

كيلو متر، ثم العودة فيها إلى الطائف، ولكن هذا المشروع أجهض في آخر لحظة من ساعة بدء تنفيذه.

وكنت أنا أول من ضاعت عليه هذه الفرصة الثمينة إذ توقف إصدار كتابي (دروب الحج ومسالكه من صنعاء إلى المسجد الحرام) الذي تناولت فيه ذكر من سبقني من الباحثين والمؤلفين عن هذه الطريق منذ المئة الثانية للهجرة فنازلاً إلى من كتب عنها في المائة الرابعة عشر للهجرة)[1].

هذه هي بعض ثمار التواصل الثقافي الحقيقي بين بعض مثقفي البلدين لخصتها هذه السطور التي اخترناها من محاضرة العلامة اليمني الكبير: إسماعيل الأكوع وهناك صور أخرى للتواصل سبقت الإشارة إلى بعضها وسنكمل رصد ما تيسر لنا منها في بقية أوراقنا حسب تسلسلها الزمني بمشيئة الله.

مؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء تستضيف المثقفين والأكاديميين السعوديين

- وكما آتت مبادرة العلامة اليمني: (الأكوع) أُكلها حينما زار المملكة وقصد منزل صديقه العلامة: (حمد الجاسر) في الرياض، وألقى عنه محاضرة في خميسيته، وتحاور مع روادها، فكان في ذلك تقوية وتعزيزاً للتواصل الثقافي بين البلدين؛ فقد كانت هناك مبادرة أخرى من الجانب السعودي آتت أكلها على الجانب

---

(١) صورة من محاضرة العلامة اليمني إسماعيل الأكوع التي ألقاها في مقر خميسية الشيخ حمد الجاسر حصل عليها الباحث من مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي، وأصلها لدى المركز المذكور.

الآخـر؛ حيث استجاب كوكبة من الشعـراء والأدباء والأكاديميين السعوديين لدعوة إخوتهـم اليمنيين في (مؤسسة العفيف الثقافيـة) [1]، وشاركوا في بعض فعالياتها الثقافية التي أقامتها تلك المؤسسة في عام ٢٠٠٤م احتفاء باختيار (مدينة صنعاء) عاصمـة للثقافة العربية لذلك العام؛ فقد استضافـت مؤسسة العفيف الثقافية في صنعاء عدداً مـن الأدباء والمثقفين والأكاديميين السعوديـين يمثلهم أربعة شعراء، وخامسـ هو باحـث أكاديمي؛ وقد أحيـا الشعراء الأربعـة أمسية شعريـة سعودية ألقـى فيها كل شاعر منهم نصين من نصوصـه الإبداعية، وقدّم الباحث السعودي الأكاديمي محاضرة تاريخية.

أما أول الشعراء السعوديين الذين شاركوا في هذه الأمسية الشعرية فهو:

١- الشاعر السعودي الكبير: أحمد بن يحيى البهكلي نائب رئيس نادي جازان الأدبي سابقاً، عميد كليـة المعلمين بجازان سابقاً، مدير عام تعليم البنات بمنطقة جـازان سابقاً، عضو هيئة التدريس بجامعة جـازان.... وقد ألقى الشاعر البهكلي في تلك الأمسية ثلاثة نصوص: أولاها قصيدته المشهورة: (عجين النار) التي يقول في مطلعها:

---

(١) مؤسسـة العفيـف الثقافية: مؤسسة ثقافيـة يمنية أهلية، تأسست في مدينة صنعـاء بتاريخ ١٤١٠/٤/٢٨هـ بمبـادرة شخصية من صاحبها ومؤسسهـا: أحمد جابر العفيف، وبرغم حداثة سنها فقد نفذت عدداً كبيراً مـن النشاطـات الثقافيـة المنبرية – كما صـدرت عنها جملة من الكتـب الثقافية، ومنهـا الموسوعة اليمنية في أربعـة مجلدات، حيث صـدرت عنها طبعتها الأولى كما صدرت عنها طبعتهـا الأخيرة، كما صدرت عنها حوليتها التي ترصد فيها نشاطاتها الثقافية سنوياً. انظر الموسوعة اليمنية ج١ ص٤٧١ .

الشعر عندي الوردُ إن فتّحا الشعر عندي الوردُ إن صوّحا

وفيها يقول البهكلي في تعريفه للشعر:

الشعر عين سفحت دمعها تبكي دم الإنسان أن يُسفحا

الشعر عندي ليس أُنشوطةً ألهو بها، كلا، ولا مربحا

الشعر ذوبٌ، شهقةٌ، رعشةٌ إذا ادّكرنا صحبنا النّزّحا[1]

أما قصيدته الثانية فقد أعدها البهكلي للمناسبة وجعل عنوانها: (تمر، وقهوة) ولا يخفى ما في هذا العنوان الجميل من رمزية شفيفة تكشف عن بعضها أبيات القصيدة التي يقول في بعض أبياتها:

تمتد يا حب، كالشريان في البدن من رمل رفحاء حتى البحر في عدن

ثرىً ثريٌّ بأمجاد العروبة في مهادها، وهدى الإسلام لم يهن

أنّى تلفّتّ، شعّت نجمة، رقصت قصيدة، وشدت ورقا على فنن

أكاد أستاف عطر الأعصر الـ(غبرت) كأنّني وشذى التاريخ في قرن

إلى أن يقول:

يا أيها السائلي ما لي أرش على هذا التراب انشراحي وهو يغمرني

ثم أخذ الشاعر البهكلي يجيب على تلك التساؤلات موضحاً تلك الأواصر الكثيرة التي تربط بين الشعبين.

ومع أن الشاعر السعودي (البهكلي) قد أجاب على بعض مضامين هذه

(١) حولية العفيف الثقافية العدد الرابع ٢٠٠٤م ص٤١٨-٤١٩، تصدر عن مؤسسة العفيف الثقافية.

التساؤلات في عدد من أبيات قصيدته إلا أن الأبيات الثلاثة الأخيرة قد أجابت على كل تساؤل، بما في ذلك سؤال العنوان، كما باركت هذا التواصل الثقافي بين البلدين وأكدت على أهميته حيث قال فيها الشاعر البهكلي:

إن بحَّ تمر (الحسا) يوماً حلوقهم   ترشفوا فوقه من (قهوة اليمن)
وإن تهادت صبا (صنعاء) مشئمةً   إلى الرياض ثوت في المربع الحسنِ
لمثل هـذا فـؤادي رفّ مـن فـرح   وقد أجزت لذا، من بات يعذلني[1]

وجـاء نصه الشعـري الثالث من الشعـر التأملي وكان بعنـوان: (من مواجيد فقير) يقول في مطلعه:

أنـتـهـي قـبـل ابـتـدائـي   مـا ابـتـدا بـعـد انـتـهـائـي[2]

٢- وكان الشاعر السعودي الثاني في هذه الأمسية الشعرية هو الشاعر الأستاذ: أحمـد إبراهيم الحربي رئيس نادي جـازان الأدبي المشرف التربوي بإدارة التربية والتعليم في منطقة جازان الذي شارك في هذه الأمسية بعدد من نصوصه الشعرية الجميلة ومنها قصيدة بعنوان: (سطر في جبين الشمس) التي يقول فيها:

لا تـهـمـلـيـنـي! إنـنـي حـرُّ   لي لـفـتـة يـنـأى بـهـا الصـقـر
لا تـهـمـلـي قـلـبـي فـلـن تجـدي   قـلـبـاً حـنـونـاً، فـيـضـه: الطـهـر
لـو تـقـرأيـن عـلـى جـوانـبـه   سـطـراً، لـكـحّـل جـفـنـك العـطـر

---

(١) دورية نادي جازان الأدبي: (مرافئ) العدد السادس شهر محرم ١٤٢٥هـ ص١٤-١٥.

(٢) دورية (حوليات العفيف) العدد الرابع ٢٠٠٤م ص٤٢٠-٤٢١.

حفت به الأشواق دالية فتمايلت أغصانها الخضر
وتساقطت في ثغره لغة من جنتيها: الشعر، والفكر[1]

وكان النص الشعري الثاني الذي شارك به الشاعر السعودي (الحربي) في هذه الأمسية بعنوان: (ما لم يقله الشعر) وفي هذا النص حديث عن التواصل الأخوي بين القيادتين السعودية واليمنية، وثناء عظيم على جهودهما في توفير مناخ الاستقرار والإخاء والتعاون بين البلدين والشعبين إلى جانب حديثه عن جوانب أخرى وفيه يقول الشاعر الحربي:

ما لم يقله الشعر قلت أنا فتلفتي صار المدى مدنا
أنا يا ابنة التاريخ يطبعني حبي، على خديك وَمْضُ سنا

إلى أن يقول:

ماذا يقول الشعر في زمن لم يُطرب العشاق فيه غنا

ويمضي الشاعر في تساؤلاته الشعرية إلى أن يصل إلى (أبيات القصيد) ولا أقول بيت القصيد لأن الشاعر السعودي الحربي قد لخص من هذه الأبيات صور التواصل بمعانيها الشاملة: التواصل الثقافي بكافة أشكاله وصوره – التواصل الاجتماعي، والتواصل السياسي بين القيادتين والشعبين، التواصل الذي يؤدي إلى التلاحم ونسيان كل عثرات الماضي، لذلك سمعناه يقول متسائلاً ولكنه تساؤل الفرح بالإنجاز العظيم:

---

(١) دورية (حوليات العفيف) العدد الرابع ٢٠٠٤م ص٤١٦–٤١٧.

أرأيت (عبد الله) حين أتى
متوشحاً في صدره الوطنا
فاستقبلته بقلبها (يمن)
أفدي بروحي الشام واليمنا
فاضت مآقي البشر وانسكبت
(صنعاء) حباً فاض في (عدنا)
و (علي عبد الله) متكئ
باهى على أيامه الزمنا
أرأيت كيف الدفئ يغمرنا
والحب كيف يسيل في فمنا
يـنداح وجه غدٍ وفي يده
نبض القلوب وليس لمع قنا
ولت فلول الكيد وانكسرت
شوكاته وتوقف اللعنا[1]

أرأيت كيف احتفل الشعر والشاعر (الحربي)؟ واحتفل معهما الوطن كل الوطن؟ واحتفلت قلوب أبناء الجزيرة العربية كلها بمبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز التي فاجأ بها القيادة اليمنية حينما شارك إخوانه في اليمن في العام ٢٠٠٠م احتفالهم بالوحدة اليمنية، فكان الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في الموعد حيث سارع بقبول تلك المبادرة الكريمة من زعيم كريم، وتوجه بعد انتهاء المناسبة إلى المملكة العربية السعودية، وتم توقيع معاهدة ترسيم الحدود بين البلدين، ففتحت بذلك صفحة تواصل وإخاء جديدة حل فيها الوئام والمحبة، وتولى زمن القطيعة، وعادت مياه التواصل بين البلدين والشعبين دفاقة بالحب والتعاون البناء؟؟ فأصبح هذا التواصل الثقافي الذي نشهده في بعض تلك الثمار.

---

(١) أصل القصيدة توجد لدى الشاعر وصورتها لدى الباحث، والقصيدة نشرت بصحيفة (٢٦ سبتمبر) العدد(١١٢٦) ١٣/ مايو ٢٠٠٤م كما ذكر الشاعر الحربي في مكالمة تلفونية بتاريخ ١٤٣١/١٢/٢٧هـ.

٣- أما الشاعر السعودي الثالث في هذه الأمسية الشعرية السعودية فهو الشاعر عيسى بن علي جرابا عضو نادي جازان الأدبي، المدرس بمعهد صبيا العلمي وقد شارك زملاءه السعوديين في هذه الأمسية الجميلة بنصين شعريين من نصوصه الإبداعية أحدهما بعنوان: (من وحي صنعاء) وفيه يؤكد على التواصل الثقافي بين البلدين بدءاً من العنوان وانتهاء بانثيال مشاعره من خلال هذا النص الممتلئ دفئاً وتواصلاً وقربا وحميمية حيث يقول في بعض أبياته:

حملت إليك يا (صنعاء) قلباً   يذوب صبابة، ويفيض حبا
أيا (صنعاء) جئت إليك أشدو   وأسكب سلسل الإحساس سكبا
وأقرأ فيك تاريخاً عريقاً   تشع سطوره فتنير دربا

إلى أن يقول:

أتيت، أتيت (يا صنعاء) أهفو   إلى حضن به أمسيتُ صبّا
أتيتك شاعراً، بل مستهاماً   دعاه هواك (يا صنعا) فلبّى

وتمضي القصيدة على هذا المنوال من الهتاف والبوح وإعلان العشق حتى يصل إلى أبيات القصيد فيقول:

أيا (صنعاء) كم مُدَّت جسور   من الدين الحنيف تزيد قربا
وأعراف الجوار تمد أخرى   فيلقى الصحب بالأشواق صحبا
فمن بلدي أتيت يطير قلبي   (إلى بلدي) تخبّ خطاي خبّا
ف(صنعا) و (الرياض) بكل حبّ   تعانقتا، وشيخُ الودّ، شبّا

ومضى الشاعر السعودي: عيسى جرابا في تأكيده على أهمية اللقاءات الأخوية وأثرها في تعزيز الصلات الثقافية بين الشعبين إلى أن قال قبل الختام:

يطيب الحبُّ، إن نحن التقينا على شوق نعب الشوق عبّا[1]

- أمّا نصه الشعري الثاني فقد جاء بعنوان: (شيخوخة) وهي بالنسبة للشاعر شيخوخة مبكرة جداً، إن كان النص بوحاً ذاتياً – كما تؤكد ذلك كثرة الضمائر المسندة للغائب – وإن كنا كمحبين للشاعر لا نرغب أن يشجيه الشيب وهو ما زال في تدفقه وعنفوانه وصبواته المبكرة ولكن كيف ننكر ذلك والشاعر يعترف بهذا الشجن فيقول في مطلع هذا النص:

أشجاه بعد الشيب ذكر شبابه وبراه بعد الوصل فقد صحابه[2]

ثم مضى فيه على هذا المنوال من الشكوى والتبرم واستدعاء ماضيه القريب حتى آخر النص.

٤- وكان المشارك السعودي الرابع هو الشاعر الأستاذ: (موسى عقيل) عضو نادي جازان الأدبي المدرس بثانوية أبو عريش وقد شارك في هذه الأمسية الشعرية الجميلة بنصين شعريين، أولهما بعنوان: (ميراث الصمت) يقول في مطلعه:

دأبت تعانق صمتنا الأرزاء صبح أقام على الأسى، ومساء
الريح بعثرت الخطايا بيننا وتعلقت بقلوبنا الوعثاء[3]

---

(١) دورية (حوليات العفيف) العدد الرابع ٢٠٠٤م ص٤٢٤-٤٢٦.

(٢) دورية حوليات العفيف ص٤٢٢-٤٢٣.

(٣) المصدر السابق ص٤٢٧-٤٢٨.

ولأني لا أميل إلى التشاؤم ولأن النص لا يخدم موضوعنا (التواصل الثقافي) فسأكتفي بهذين البيتين محيلاً لراغبي الاطلاع إلى العدد الرابع من (حولية العفيف).

- أما نصه الشعري الثاني فقد جاء بعنوان: (إليك لغتي) وفيه يتحدث الشاعر عن أهمية اللغة العربية ويدعو إلى حمايتها من عبث العابثين وفي هذا النص يذكرنا الشاعر موسى عقيل برائعة الشاعر الكبير (حافظ إبراهيم): (رجعت لنفسي ....) حيث يقول الشاعر السعودي في مطلع هذا النص:

دعاك الخطب يا لغتي فصيحي   وثوري ما عجزت، لتستريحي
يطوف على المنابر لحن قولٍ   به الألفاظ كالطير الجريح

وفيها يقول:

أنا المولود في زمن تعاني   به الكلمات من صوت كسيح
بعثت الشعر لكن في زماني   رأيت نجومه فوق السفوح[1]

٥ - وجاءت المشاركة الخامسة: محاضرة تاريخية بعنوان: (ملامح من العلاقات بين الشرق والغرب) شارك بها في هذه المناسبة اليمنية الثقافية: عرَّاب هذه اللقاءات، الأكاديمي السعودي المؤرخ الدكتور: علي بن حسين الصميلي، وكانت محاضرة قيمة جداً، لخص الدكتور أهدافها في سطرين بدأ بهما محاضرته حيث قال: (إن الهدف من هذه المحاضرة ما هو إلا إلقاء الضوء على ملامح من العلاقات

(١) حولية العفيف العدد الرابع ٢٠٠٤م ص٤٢٩-٤٣٠.

بين الشرق والغرب الذي كان من أهم مراحله: الحروب الصليبية) وأظنه كان يقصد الحروب الصليبية الحديثة والمعاصرة، وليست الحروب الصليبية القديمة ولعل هذا يتضح جلياً من تفريعاته التي تلت السطرين الأولين؛ حيث قال الدكتور الصميلي: (حملات نابليون بونابرت، الاستعمار – التبشير – وحرب الخليج الثانية وأيضاً حملة هولاكو الثانية التي هي حملة بوش على العراق[1].

- وقد أعطى الدكتور المحاضر لمحات جيدة عن تلك الموضوعات مهد لها بسقوط الدولة الأندلسية وما خسرته أوروبا والعالم بسبب القضاء على ذلك الإرث الحضاري الإسلامي في أسبانيا وبعض دول أوروبا، ثم تناول موضوعاته بإيجاز المؤرخ الحاذق وكانت محاضرة على إيجازها ممتعة، حظيت بالاستحسان الذي أظهرته تلك المقابلة التلفزيونية مع الأكاديمي السعودي الصميلي والمذاعة على الفضائية اليمنية والتي شرح خلالها الدكتور المؤرخ الصميلي بعض أفكار تلك المحاضرة، ومراميها.

وقد احتفى الأخوة اليمنيون بإخوانهم الشعراء السعوديين الذين تواصلوا معهم وشاركوهم احتفاءهم بعاصمتهم (صنعاء) وعززوا بصنيعهم هذا روح التواصل الثقافي بين الشعبين، وكان احتفاء مؤسسة العفيف الثقافية في صنعاء بهؤلاء الشعراء السعوديين رعاية لحقوق الأخوة والجوار، وتأكيداً لحرصهم على التواصل الثقافي وترحيبهم بتعزيزه وإمعاناً في الاحتفاء والتكريم، فقد بادروا بنشر أكثرية

---

(١) المصدر السابق ص٤٠٨-٤١٥.

النصوص الشعرية التي شارك بها الشعراء السعوديون بل أفردوا لها باباً خاصاً في حولية العفيف الثقافية الصادرة بمناسبة اختيار (صنعاء) عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٤م وجعلوا عنوانه: (فعاليات من الأدب والفكر السعودي).

وهكذا كانت مشاركة الأدباء والشعراء والأكاديميين السعوديين الثقافية مع إخوانهم اليمنيين في مؤسسة العفيف الثقافية قوية وفاعلة ومحققة لأهداف التواصل الثقافي بين البلدين والشعبين ولم تكن تلك المشاركة السعودية في نشاطات مؤسسة العفيف الثقافية يتيمة، فلقد استضافت هذه المؤسسة شعراء وأدباء وأكاديميين سعوديين آخرين في مواسم ثقافية أخرى، ومن الشعراء والأدباء الذين استضافتهم مؤسسة العفيف الثقافية في عام ٢٠٠٦م على سبيل المثال: الشاعر علي محمد الأمير، والشاعر: علي الحازمي، والباحث السعودي الدكتور: فيصل الطميحي مدير المتحف الوطني في منطقة جازان وآخرين، وكان الاحتفاء الإعلامي بأولئك الشعراء والأكاديميين جيداً فقد اهتمت الفضائية اليمنية وأذاعت بعض مشاركاتهم الثقافية وبث معهم حوارات ثقافية على الهواء ونشرت بعض الصحف نصوصاً شعرية لبعض الشعراء المشاركين في تلك الفعاليات الثقافية..

منسوبوا مركز حمد الجاسر الثقافي يزورون محافظة حضرموت ويلتقون بمثقفيها

- وتأكيداً للتواصل الثقافي الذي استعاد عافيته بعد العام (٢٠٠٠م) فإن مركز الشيخ (حمد الجاسر) الثقافي في الرياض قد اختار في عام ١٤٢٨هـ عدداً من أعضاء مجلس أمنائه ومن إدارييه وبعض رواده ونظم لهم زيارة ثقافية لمحافظة حضرموت، فزار هذا الوفد السعودي مدن حضرموت ومكتباتها ومراكزها الثقافية وآثارها، واحتفى بهم مثقفو حضرموت احتفاء بالغاً حيث أقيمت لهم الندوات، والأمسيات الثقافية، واللقاءات الفكرية التي شارك فيها بعض أعضاء الوفد السعودي وتحاوروا خلالها مع مثقفي حضرموت وأعلامها الذين غمروهم بحفاوتهم وبالغوا في إكرامهم، وفي هذا السياق فقد أصدروا عدداً خاصاً بهذه المناسبة من مجلتهم الثقافية: (شعاع الأمل) وجعلوا عنوان غلافها بخط عريض: (خميسية حمد الجاسر في حضرموت).

- وفي هذا العدد الخاص تحدثوا بإسهاب عن جوانب كثيرة من جوانب التواصل الثقافي بين البلدين الجارين، كما رصدوا فيه بعض الفعاليات الثقافية التي نفذت خلال تلك الزيارة، وقد خصصوا (ملف العدد) الذي بلغت صفحاته: ستاً وثلاثين صفحة لتغطية تلك الزيارة الأخوية وما نفذ خلالها من فعاليات ثقافية مشتركة، كما رصدوا فيه بعض انطباعات أعضاء الوفد السعودي الزائر عن حضرموت وعن معالمها وعن أعلامها[1].

(١) انظر الصفحات (٢٢-٥٧) من مجلة شعاع الأمل العدد (٧٩) ربيع الثاني ١٤٢٩ التي. تصدر عن جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية الثقافية بمحافظة حضرموت في الجمهورية اليمنية.

ومما جاء في مقدمة هذا الملف: (زار وفد سعودي يظم عدداً من الأدباء والمثقفين والإعلاميين من منسوبي خميسية مؤرخ الجزيرة العربية: حمد الجاسر، زاروا محافظة حضرموت خلال الفترة من ١٩-٢١ فبراير ٢٠٠٨م، وذلك في إطار مدّ جسور التواصل والتعاون الثقافي والمعرفي بين المثقفين والأكاديميين في البلدين الشقيقين: اليمن والسعودية[١].

- ومن أبرز عناوين الملف: (أعضاء الوفد السعودي الثقافي الزائر لمحافظة حضرموت يستقبلون استقبالاً حاراً في كل مدن حضرموت وقراها بالأهازيج والأناشيد التراثية الأصيلة) [٢].

- ومن عناوين ملف المجلة: (مثقفو حضرموت يقولون: رأينا في عيون المثقفين السعوديين الدهشة بالمكان، ولا يزال لحضورهم ألقه، وللذكريات أجراسها)[٣].

وقد جاءت افتتاحية المجلة محتفية بهذه الزيارة الكريمة التي خصّ بها رواد خميسية حمد الجاسر السعوديون محافظة حضرموت، ومما جاء في هذه الافتتاحية التي ركزت على أهمية التواصل الثقافي بين البلدين: (لقد ظلت خميسية حمد الجاسر الثقافية منذ ما يربو على ربع قرن من الزمان وما زالت منارة للعلم تشع المعرفة والأدب والثقافة، وتثري الساحة الفكرية بألوان متعددة من الفنون في الأدب والتاريخ والجغرافيا والسير، ويؤم شطرها ضحى كل يوم خميس نخبة من

(١) مجلة شعاع الأمل ص٢٢. العدد (٧٩) ربيع الثاني ١٤٢٩هـ.

(٢) المصدر السابق ص٢٣.

(٣) انظر افتتاحية المجلة الثقافية الحضرمية: (شعاع الأمل) العدد (٧٩) الصفحة الأولى بدون ترقيم عليها.

العلمـاء والمثقفين والأدبـاء وغيرهم من طلاب العلم والمعرفـة ومن تلاميذ محبي علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر يرحمه الله.....).

ومضت افتتاحية مجلة (شعاع الأمل) الحضرمية في الإشادة بخميسية الشيخ حمد الجاسـر وإنجازاتها الثقافية إلى أن قال محررهـا مشيداً بهذه الزيارة التي تعـزز التواصـل الثقافي بين اليمـن والسعودية وتؤكـده: (وقد أبـت خميسية حمد الجاسر ومركز حمـد الجاسر الثقافي الذي يعنى بالإرث الحضاري الثقافي الكبير الذي خلفه العلامة حمد الجاسر أبت إلا أن تسطع أنوارها فتشع في أرض حضرموت التي أحبها الشيخ (الجاسر) وبادلته الحب والتقدير فكانت رحلتهم الموفقة بدعوة كريمـة من الشيخين الجليلين: عبد الله سالم باحمدان، والمهندس عبد الله بقشان (السعوديـان الحضرميـان) للالتقـاء بالمثقفـين والأدباء والمفكريـن في محافظة حضرمـوت، وكانت مبادرتهم بانتقـال الخميسية بوجه خاص إلى الشطر الجنوبي من الجزيـرة العربية لفتة بارعة ومبادرة طيبة، كان لها أثرها الطيب في النفوس، ودورهـا الفعال في إثراء الحركة الثقافية وإضفاء روح سامية للحوار البناء وتلاقح الأفـكار والرؤى، ومدّ جسـور التواصل ثقافياً وفكرياً مع مفكري اليمن بصفة عامة وأدباء محافظة حضرموت على وجه الخصوص).

ثـم تحـدث صاحـب الافتتاحية عـن النشاطـات الثقافية التـي نظمها اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيون احتفاء بإخوتهم المفكرين والأدباء السعوديين حيث كانت مـن أهمها: تلكم النـدوة التي خصصت للحديث عن التواصـل الثقافي القائم بين

اليمن والسعودية وكانت بعنوان: (كتابات حمد الجاسر عن تراث اليمن وتاريخ حضرموت).

وختم كاتب الافتتاحية بقوله: (ومما لا شك فيه أن مثل تلك اللقاءات بين الأشقاء من البلدين الشقيقين لها دور إيجابي في تدعيم الإخاء والمودة والتواصل بين الشعبين في البلدين الشقيقين)[1].

أرأيت كيف لخصت هذه الافتتاحية كل معاني التواصل الثقافي الذي حققته تلكم الزيارة الميمونة التي قام بها منسوبو مركز حمد الجاسر الثقافي!

وكان من أبرز أعضاء الوفد السعودي في هذا الملتقى الثقافي الكبير: معالي الدكتور الشاعر: إبراهيم العواجي، ومعالي الأستاذ الدكتور: أحمد محمد الضبيب، وسعادة الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن الشبيلي، وسعادة الأستاذ الدكتور: عبد العزيز الهلابي، وسعادة الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن الأنصاري، وسعادة الأستاذ الدكتور: عايض الردادي، وسعادة الأستاذ الدكتور: عبد الله العثيمين، وسعادة الأستاذ الأديب: معن الجاسر، وسعادة الأستاذ الدكتور: مرزوق بن تنباك، وسعادة الأستاذ الدكتور: عبد العزيز المانع، وسعادة الأستاذ الأديب الشاعر: سعد البواردي، وسعادة الأستاذ الدكتور: محمد الربيّع، وسعادة الأستاذ الدكتور: محمد الهدلق، وسعادة الأستاذ الدكتور: عبد العزيز الفيصل، وآخرين من أدباء ومفكري ومثقفي وأكاديميي المملكة العربية السعودية ممن شاركوا في هذا الوفد الثقافي السعودي الكريم.

---

(١) مجلة شعاع الأمل ص٣٤.

وقد نقلت هذه المجلة الثقافية الحضرمية في ملفها شيئاً من الحفاوة البالغة التي غمر بها مثقفو حضرموت إخوتهم السعوديين كما نقلت أبرز مشاعر بعض أعضاء الوفد السعودي الزائر التي عبروا بها وسطروها على صفحات تلك المجلة، مؤكدين من خلالها على عمق الصلات، ومما قاله معالي الدكتور أحمد الضبيب: (هذه الزيارة عززت قنوات التواصل الثقافي بين رفاق الحرف والقلم في اليمن والمملكة العربية السعودية) [1]. وقد عبر سائر أعضاء الوفد السعودي عن سرورهم البالغ، بهذه الزيارة واغتباطهم بلقاء نظرائهم من أدباء ومثقفي حضرموت، ومما احتوى عليه ملف المجلة قصيدة جميلة للشاعر اليمني الدكتور: عمر علوي بن شهاب بعنوان: (في عبق الذكرى) ألقاها في مناسبة أخرى مشابهة، يتحدث فيها الدكتور الشاعر عن العلاّمة (حمد الجاسر) وعن جهوده العلمية الكبيرة في خدمة تاريخ الجزيرة العربية وتراثها؛ ولمناسبتها للحدث اختارتها المجلة ونشرتها مع ملف هذا العدد المميز في إخراج جميل حيث وضعت بجانبها صورة مكبرة لعلامة الجزيرة وكتب تحت الصورة: (مهداة إلى روح مؤرخ الجزيرة الأكبر المرحوم حمد الجاسر)، ولا شك بأن في هذا مزيد احتفاء ووفاء، وتعميق لروح التواصل، ومما قاله الشاعر ابن شهاب في هذه القصيدة:

ارحل فديتك للزمان الغابر ارحل فدونكها طروس الجاسر

فرد الجزيرة، شيخها، بل طودها الـ ـعملاق لم يفتأ دليل الحائر

---

(١) مجلة شعاع الأمل ص٤٣.

عـن كـل شـبر كـان يـخـبرنـا على ... مـا مـرّ مـن قــدم بـهـا، أو حـافـر

مسـتـجـلـيـاً مـا دقّ مـن أنـسـابـهـا ... لبطون (كندة)، أو (تميم) و(عامر)

عن خيلها من ذا يحدثنا حديث الـ ... ـحـاذق الـفـطـن الخـبـير المـاهـر

فـكـأنـنـي في شخصه مستحضراً ... عـبـقـاً لأمجـاد الـقـديم الـعـاطـر

والـيـوم في الـوادي المـبـارك تـز ... دهي الـذكـرى لكوكبة بوفدٍ زائر

حـلـوا بـوادي الخـير، إذ هـم أهله ... قـد بـودلـوا عـشـقـاً بـحـبٍ غـامـر

هـي هـذه الأحـقـاف، كـل وهـادها ... تشتاقكم بعد البعاد الجائر(١)

ولا شـك بـأن هذه الزيارة قد تركـت آثارها الطيبة، وعمّقـت بعض الصلات الثقافيـة بين البلدين والشعبين الشقيقين الجاريـن، وأغرت بعض هؤلاء الزائرين وأدباء ومثقفين سعوديين آخرين بتكرار مثل هذه الزيارة لحضرموت في مناسباتها الثقافية المتجددة.

(١) مجلة شعاع الأمل ص٣٧.

أكاديميون وأكاديميات ومثقفون سعوديون يشاركون أهالي حضرموت احتفاءهم باختيار مدينة (تريم) عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠م

تعزيزاً للتواصل الثقافي بين اليمن والسعودية فقد لبى بعض المثقفين السعوديين دعوة إخوانهم في حضرموت للمشاركة في الاحتفاء باختيار مدينة (تريم) الحضرمية المشهورة بالمعالم الأثرية عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠م وبادروا بمشاركة إخوانهم في حضرموت عرسهم الثقافي ملبين لدعوة كريمة تلقوها من بعض وجهاء ومثقفين حضرميين فجاءت هذه الزيارة الثانية من المثقفين السعوديين مشاركة لإخوتهم في حضرموت وتحقيقاً لأهداف التواصل الثقافي بين البلدين، لذلك فقد حظيت بتفاعل ثقافي عظيم يشارك فيه أصحاب المناسبة، وبعض المثقفين السعوديين حيث عزف الجميع على أوتار التواصل الثقافي الملموس وكان من أبرز المشاركات السعودية الثقافية التي أكدت هذا الجانب محاضرة الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن الشبيلي، التي ألقاها بمدينة تريم في إحدى الفعاليات الثقافية المواكبة لتلك الزيارة والتي اختار لها عنوان: (التأثير الثقافي، المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين الشريفين) [١]. وقد صدرت هذه المحاضرة في كتاب يحمل هذا العنوان مقروناً بذكر المناسبة التي كتب لها وتاريخها، وهو على

(١) انظر غلاف الكتيب الذي يحمل هذا العنوان: (التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين الشريفين) للدكتور عبد الرحمن الشبيلي (وهو نص المحاضرة التي ألقاها الدكتور الشبيلي بمدينة تريم في حضرموت بتاريخ ٧/٣/٢٠١٠م.

صغـر حجمـه يحمل رؤى جيدة وطرحـاً جريئاً تناول من خلالـه الباحث السعودي الشبيلـي بعض الآثار الثقافية المتبادلة التي أثرت بها الهجرات الحضرمية في بلاد الحرمـين أو تأثرت بها؛ كقوله في بعض فصول الكتـاب بعد أن أشار إلى الهجرات الحضرميـة القديمـة والحديثة إلى بلاد الحرمـين: (من الطبيعـي وقد انتشرت الهجرات الحضرمية في مكة المكرمـة أن تصطبغ الحياة الاجتماعية ببعض مظاهر التراث الحضرمي الاجتماعي والمادي والفولكلوري...) إلى أن يقول: (والكلام نفسه يقـال عـن الأدب الحجازي الذي ظهر فيـه أدباء من أمثال: حسـين باسلامة، وعبد الله بلخـير، وصلاح البكري، ومحمد سعيد العامـودي، ومحمد سعيد باغفار، وعلي فدعـق، ومحسن باروم، وعبد الله الجفري، ود. محمد علي البار، ود. محمد أبو بكر حميد، ود. أبو بكر با قادر، وحسين بافقيه، وعبد الله با شراحيل......) [(١)].

وبعـد حديث شامـل عن تأثير الهجـرات الحضرمية في الحجـاز على الحياة الاجتماعية والأدبية والإعلاميـة والثقافية عاد الدكتور الشبيلي إلى القول: (وكما أن هـؤلاء قـد أثروا ثقافة بلاد الحرمـين فلا بد أن الثقافـة الحضرمية قد تأثرت بالمقابل بالهجرات العائدة) [(٢)]، ثم أخذ يضرب الأمثلة لذلك التأثر.

والكتـاب وثيقة تاريخية للتواصل الثقافي بـين بلاد حضرموت وبلاد الحرمين قديماً وحديثاً...

---

(١) التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين الشريفين لعبد الرحمن الشبيلي ص٨.

(٢) المصدر السابق ص٩-١٠.

وقد حاضر الدكتور الشبيلي في ثلاث مدن من مدن حضرموت هي: (سيئون)، و (تريم)، و (المكلا).

- وشارك اللواء متقاعد عبد القادر كمال بقصيدة جميلة تعزز التواصل الثقافي بين البلدين، وقد ألقاها في جامعة حضرموت بسيئون يقول في بعض أبياتها:

جئت أشدو في محفل التكريم بين صيد، من (خيلة) و (تريم)

و(المكلا) و (دوعن) و (شبام) ومغاني الإجلال، والتعظيم

جئت من (نجد) للجنوب أغني ومشيداً بكل شهم كريم

وألاقي في (حضرموت) رجالاً أشعلوا النور وسط ليل بهيم

ويمضي في قصيدته إلى أن يختتمها بأبيات تؤكد على التواصل الأخوي وتعززه حيث يقول:

جئت يا حضرموت فيك أغني سامرياً من سامري القصيم

فإذا ما أجدت ترجيع لحني فلأني في (الشحر) أو في (تريم)[(١)]

- كما شارك رئيس تحرير الجزيرة (الثقافية) الدكتور إبراهيم التركي في تلك اللقاءات بقصيدة جعل عنوانها: (في وادي دوعن) يقول في مطلعها:

رحلة العمر ساعة للتجلي ونداء الحياة، من لي بخلّي؟

---

(١) ملحق صحيفة الجزيرة: (الثقافية) العدد (٣٠٧) الصادر يوم الخميس ٨/ جمادى الأولى ١٤٣١هـ ص٥ عن مقال للواء عبد القادر كمال بعنوان: (تريم) العلم والجوامع والتراث عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٠م.

ويقول في بعض أبياتها:

وبدا (دوعن) يناجي خيالاً لم يغب عن سمائه لون نخلي
أيقضت ما ظننته مات فيني فإذا بي أراه في حب أهلي[(١)]

حقاً لقد كانت لهذه الرحلة إلى حضرموت آثارها الثقافية الكبيرة حيث شارك فيها مثقفون ومثقفات وأكاديميون وأكاديميات وأدباء وأديبات سعوديون (وزاروا خلالها (تريم) و (وادي دوعن) و (شبام) و (خيلة بقشان) و (حور) و (الهجرين) وعشرات القرى، كما زاروا (جامعة حضرموت)، و (جامع المحضار)، و (قصر السلطان الكثيري)، و (منزل الشاعر علي أحمد باكثير) وزاروا (اتحاد الأدباء والكتاب في (المكلا))، وعشرات الأماكن والبيوت الأثرية[(٢)].

- الرحلة إلى حضرموت كانت رائعة جداً؛ ببرامجها الثقافية، بزيارة المعالم الثقافية والأثرية، بالمشاركين فيها وتنوعهم، باللقاءات الفكرية والثقافية بينهم وبين مفكري ومثقفي حضرموت، بما حققته من تعزيز للتواصل الثقافي بين بلادنا وهذا الجزء الجميل من بلاد اليمن الشقيق..!!

- ولأنها كذلك فقد حظيت بتغطية إعلامية ممتازة (وبخاصة في الإعلام المقروء) وكان لصحيفة الجزيرة السعودية قصب السبق من خلال ملحقها الثقافي الأسبوعي: (الثقافية) الذي تابع تغطية أخبار هذه الرحلة الثقافية وما صاحبها

(١) ملحق صحيفة الجزيرة (الثقافية) العدد (٣٠٧) ص٣.
(٢) المصدر السابق (بتصرف).

من نشاطات ثقافية وزيارات ولقاءات.... ولقد تفاعل مع تلك التغطية الثقافية التي استمرت أسابيع عديدة، مثقفون كثيرون، وتفاعل آخرون مع ما كتب ونشر عنها وعن فعالياتها المصاحبة.

- لقد بدأت (المجلة الثقافية) التي تصدر عن صحيفة الجزيرة السعودية حديثها عن هذه الرحلة الثقافية السعودية إلى حضرموت منذ العدد (٣٠٧) الصادر في يوم ٨/ جمادى الأولى ١٤٣١هـ وكانت بدايتها بتغطية إعلامية لرحلة الوفد السعودي إلى حضرموت، جعلت عنوانها الكبير: (عشرون سعودياً وسعودية في محاضرات ولقاءات وجولات بحضرموت)، وتحت العنوان صور لبعض المعالم الأثرية في حضرموت، وتقرير موجز عن هذه الرحلة الثقافية مع ذكر بعض أسماء المشاركين والمشاركات فيها، والإشارة إلى أهم المدن والآثار والمعالم التي زاروها كما أشارت التغطية إلى بعض المشاركات الثقافية والفعاليات التي ساهم بها (بعض أعضاء الوفد السعودي، مع ذكر أبرز محطات هذه الرحلة الثقافية الممتعة...) [1].

وظهر على الصفحة الخامسة من هذا العدد (٣٠٧) مقال مُطَوَّل، للواء: عبد القادر كمال، أحد أبرز الأدباء المشاركين في هذه الرحلة الثقافية، تحدث فيه عن كرم الرجال الحضرميين وشيمهم وتحدث عن بعض محطات الرحلة، وعن بعض مشاهداته ولقاءاته ومشاركاته وضمّن مقاله ألواناً من الشعر الفصيح والعامي، واستغرق مقاله الصفحة كاملة، وكان هذا المقال مقدمة لمقالات كثيرة نشرها

---

(١) ملحق صحيفة الجزيرة (الثقافية) ص٣.

اللواء: (عبد القادر كمال) على صفحات هذا الملحق الأسبوعي في أعداد متوالية.

وقد تفاعل مع أخبار هذه الرحلة الثقافية وما نشر عنها وما ألقي فيها من مناشط ثقافية بعض المثقفين، وتابع عدد من الأدباء والمثقفين أخبارها الثقافية المثيرة، فكتب الأستاذ: (عبد الملك بن عبد الوهاب البريدي) من بريدة مقالاً بعنوان: (التأثير الثقافي بين بلاد الحرمين وحضرموت.. الشيخ عبد الله الرواف نموذجاً) ونشره في ملحق الجزيرة (الثقافية) العدد (٣٠٨) بتاريخ ١٤٣١/٥/١٥هـ ومما جاء في هذا المقال: (نشر على أديم الجزيرة الثقافية بتاريخ ١٤٣١/٥/٨هـ تغطية لرحلة عشرين سعودياً وسعودية قاموا بزيارة لحضرموت..... واشتملت الرحلة على ثلاث محاضرات عن (التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين الشريفين) وقد رصد المحاضر ما كان يقوم به مثقفو البلدين من صلات وتواصل كانت تتم على شكل تبادلي بين علماء ومثقفي البلدين وذكر أن الثقافة الحضرمية تأثرت بالهجرات العائدة من بلاد الحرمين وضرب مثلاً بالسيد محمد حسين الدباغ الذي أقام بالمكلا في العشرينات من القرن الميلادي الماضي، ورغبة مني في زيادة البحث أحب الإشارة إلى علم آخر من أعلام بلاد الحرمين..... هو الشيخ عبد الله بن أحمد الرواف الحاكم الشرعي في بندر المكلا سنة ١٩١١م وهو أحد علماء بريدة...) [1]. وذكر في مقاله شيئاً عن نشاطات هذا العالم النجدي العلمية، وتنقلاته بين مدن حضرموت معلماً ثم استقراره بمدينة (المكلا) قاضياً

(١) ملحق صحيفة الجزيرة (الثقافية) العدد: (٣٠٨) ص١٩ بتاريخ ١٤٣١/٥/١٥هـ.

شرعيـاً مـدة طويلة كما أشار إلى بعض مؤلفاته التـي كتبها في مهجره بحضرموت المفقود منها والمخطوط ثم تتابعت التفاعلات مع هذا الحدث الثقافي، فواصل عبد القـادر كمال سلسلة مقالاته التي بلغت ستة مقـالات واختار لها عنوان رئيسي هو: (رجـال من حضرمـوت) وكانت بدايتها في يوم الخميسـ الموافق ٢٩/٥/ ١٤٣١هـ بمقال عن (القاضي شريح) الذي يعود نسبه إلى قبيلة (كندة) اليمنية، وفي هذا المقال ذكر اللواء عبد القادر بأن القاضي: (شريح) قدم من اليمن إلى العراق في خلافـة أبي بكـر الصديق رضي الله عنه، وفي خلافة عمـر بن الخطاب رضي الله عنه، ولاه قضاء الكوفة فكان نموذجاً فريداً في العدل والذكاء والفطنة......).

- وكانـت مقدمة هذا المقـال والمقالات التالية له قد جـاءت على النحو الآتي: (سعـدت بدعوة كريمة لزيـارة حضرموت برفقة ثلة خيرة مـن المثقفين والمثقفات والأكاديميين والأكاديميات السعوديين، للمشاركة في مناسبة إعلان مدينة (تريم) عاصمـة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠م الموافق ١٤٣١هـ، ومدينة (تريم) كما ذكر الدكتـور عبـد الرحمـن الشبيلي في محاضرتـه بجامعة حضرمـوت في (سيئون): (مدينة الجوامع، والمدارس العلمية، ومجالس العلماء، وصوامع المخطوطات، ودور الفقه والإفتاء...) إلى أن قال اللواء (كمال) في مقدمته: (ولما كانت هذه المناسبة تدعـوني أن أبذل جهد المثقـف في محاولة الحديث عن بعض رجالات حضرموت لما تميـز به الحضـارم قديماً وحديثاً من اجتماع الألفة وكـريم التآلف وجميل المحبة، وهي سجايا محمودة فيهم ولهم وموضع فخار وفخر) .... ثم مضى اللواء (كمال)

يثني على الحضارمة بما هم أهله إلى أن دلف إلى موضوع مقاله الأول عن القاضي (شريح) ثم واصل اللواء (كمال) مقالاته تحت هذا العنوان: (رجال من حضرموت) حتى بلغت ست حلقات وقد تفاعل الأستاذ فاروق با سلامة مع ما كتبه اللواء (عبد القادر) وكتب مقالاً نشره في ملحق الجزيرة (الثقافية) بعددها (٣١٩) الصادر يوم الخميس ١٤٣١/١١/٦هـ) بعنوان: (مع كمال في حضرموت) شكر فيه اللواء عبد القادر كمال على وفائه ونبله وعلى ما تفضل به من ثناء على أهالي حضرموت قديماً وحديثاً[1] مشيراً إلى ما حققوه من صلات وتواصل أثمر عطاءً شمل جوانب الحياة.

- واستمرت التفاعلات مع ذلك الحدث الثقافي الجميل ومع ما كتب عنه وحوله حتى أعطاه الكاتبون حقه من الإشادة والثناء.

ازدهار المطارحات الأدبية والمشاركات الإخوانية بين مثقفي الشعبين بعد ترسيم الحدود

- وكما تضاعفت نشاطات المؤسسات والمنتديات الثقافية بعد عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م تضاعفت كذلك جهود أصحاب الاجتهادات الفردية من مثقفي البلدين تعزيزاً للتواصل الثقافي بين الشعبين الشقيقين الجارين، فعادت المطارحات الشعرية بين شعراء البلدين، وعادت مطارحات ومشاركات شعراء ومثقفو الشعبين

(١) ملحق صحيفة الجزيرة (الثقافية) العدد: (٣١٩) ص٣ الصادر في يوم الخميس الموافق بتاريخ ١٤٣١/١١/٦هـ.

سواءاً أكانت في المناسبات الخاصة والعامة التي كانت تقام في البلدين، أم كانت في الملتقيات والمهرجانات التي يدعى لها هؤلاء وأولئك من بلدان عربية شقيقة! ولذلك تعمقت الصلات بينهم، فكانت المبادرات والمطارحات والتراسل والمهاداة.

ولعلنا نختار نماذج لتلك المطارحات وتلك المشاركات التي عاد وهجها في هذه الفترة الذهبية؛ فهاهو الشاعر اليمني أحمد يحيى المؤيدي يطارح الشاعر السعودي حسن فرح الفيفي، ويبادله الإعجاب بالطبيعة الساحرة التي تتمتع بها بلدته الجميلة (فيفاء):

- ففي الطبعة الثانية من كتاب: (الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء) الصادرة عن نادي تبوك الأدبي في عام ١٤٢٥هـ رصد مؤلف الكتاب: (حسن جابر الفيفي) مطارحة شعرية بين الشاعر السعودي: حسن فرح الفيفي والشاعر اليمني: أحمد يحيى المؤيدي وقد أوردها دون أن يشير إلى المصدر أو إلى تاريخ حصولها أو إلى مناسبتها وإنما اكتفى بالقول:

(ومن روائع الشاعر اليمني: أحمد يحيى المؤيدي قصيدته المرسلة إلى الأستاذ: حسن فرح الفيفي والتي يقول فيها:

خطرت على وجه الثرى هيفاء ... وتبسمت، فإذا بها فيفاء
وإذا بقلبي دون وعي نحوها ... يرنو، ومنها قد كساه صفاء
رقصت لها روحي وغنى مقولي ... وأضاء ليلي، فهي فيه سناء
فاقت على أقرانها ببهائها ... وتضاءلت لسموها الجوزاء

شوقي لها ولساكنيها ما خبى   إلا ليذكي، هل له إطفاء
يا ليت شعري هل يكحل ناظري   بسفوحها أم تكفي الأصداء

فكأن الشاعر اليمني: أحمد يحيى المؤدي قد بهره جمال الطبيعة في (فيفاء) فأراد أن يعبر لصديقه (الفيفي) عن إعجابه الشديد فأرسل مشاعره على الورق شعراً إخوانياً عذباً طارح به صديقه الشاعر السعودي حسن فرح الفيفي الذي كأنما حركت قصيدة صديقه اليمني كوامن حبه لبلاده فرد عليه بقصيدة إخوانية، أضافت إلى تغني الشاعر اليمني بفيفاء وبجمال طبيعتها أغانٍ أخرى تحدث فيها الشاعر السعودي الفيفي باعتزاز عن مدرجاتها، وعن زروعها، وعن رياضها وأزهارها، وظلالها، وتلالها فكأنما الشاعر اليمني قد حرك مكامن اعتزاز الشاعر السعودي بوطنه وبطبيعة بلاده الساحرة ملهمة الشعراء، فأشاد بجمالها وبهائها، وأكد على المعاني التي أشار إليها الشاعر اليمني في قصيدته، ولسنا نشك أن هذه المطارحة الشعرية ومثيلاتها تعزز وتنمي الصلات الأدبية والثقافية بين البلدين والشعبين.

وكان ردّ الشاعر السعودي حسن فرح الفيفي بقصيدة إخوانية يقول فيها:

فيفاء ملهمة الأديب خريدة   يهفو إليها الشعر والشعراء
قد عمرت بزراعة وغرايس   تبدو بها، وكأنها غيداء
الفن والإبداع في تنسيقها   لما يحاضن بينها البناء
فتقول إن أبصرتها: ماذا أرى   عملاً عظيماً شاده العظماء

صدقت بها آيات فن زاهر ... أفنانها وزهورها الفيحاء
من وشمها: وزابها، وخزامها ... وطروقها، وسكيبة ضمراء
فيفا المباهج والمحاسن كلها ... تنسى بها الآلام واللأواء
قد ظللت بالسحب كل تلالها ... وتوشحتها القمة الشماء
تتشابك الأشجار في جنباتها ... في كل شبر دوحة غناء
السحر كل السحر في فيفائنا ... والروح والريحان والإغراء[1]

أما المشاركات في المناسبات الإخوانية الخاصة فتمثلها قصيدة الشاعر السعودي حسن فرح الفيفي التي هنأ فيها رئيس مجلس النواب اليمني الشيخ: (عبد الله بن حسين الأحمر) بمناسبة نجاته من محاولة الاغتيال التي تعرض لها في السنغال حينما كان يمثل بلاده في أحد المؤتمرات، وقد ألقاها الشاعر الفيفي بين يديه في مدينة الرياض، أثناء إقامته لقضاء فترة نقاهة بعد خروجه من المستشفى التخصصي في الرياض، ففي عام ١٤٢٨هـ كان رئيس مجلس النواب اليمني الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر[2] يمثل بلاده في اجتماع برلماني دولي إسلامي عقد

---

(١) الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء ص٦١٠-٦١١ لحسن جابر الفيفي، ط٢ ١٤٢٥هـ، من مطبوعات نادي تبوك الأدبي.

(٢) عبد الله الأحمر: هو الشيخ: عبد الله بن حسين بن ناصر بن مبخوت الأحمر: (١٣٥١-١٤٢٩هـ) شيخ مشائخ قبيلة حاشد كبرى القبائل اليمنية ذات الشأن السياسي والاجتماعي الكبيرين، ورئيس مجلس الشورى في اليمن، مولده في حصن جبور بمحافظة عمران وبه تلقى تعليمه الأولي في كتاب صغير، كان على جانب عظيم من التهذيب وحسن الخلق والتواضع الجم عمل= = منذ نعومة أظفاره في الحركة الوطنية اليمنية.... بعد مقتل والده وأخيه (حميد). وبعد عام ١٣٨٢هـ شارك هو وقبيلته في تدعيم الثورة وعمل في عدد من المراكز القيادية كمنصب وزير الداخلية في حكومة (الجايفي) عام ١٩٦٤م – ورأس المجلس الوطني في=

في دولة السنغال فتعرض لمحاولة اغتيال فاشلة، نجّاه الله منها وفي أثناء عودته إلى بلاده مرّ بعاصمة المملكة العربية السعودية (مدينة الرياض) لإجراء بعض الفحوص الطبية ثم لقضاء فترة نقاهة، وقد هنأه عدد من الشعراء السعوديين وبعض اليمنيين المقيمين بالمملكة على سلامته، وكان الشاعر السعودي حسن فرح الفيفي واحداً من الشعراء الذين زاروه خلال إقامته بقصر المؤتمرات في مدينة الرياض حيث ألقى بين يديه قصيدة التهنئة التي سنتخار منها الأبيات التالية:

يا ابن الحسين سلام الله يا بطلاً ... في كفه ناسفات الجهل والفتن
والحمد لله إذ نجاك من خطر ... قد هدّ، منّا القوى في العقل والبدن
وأفشل الله (للموساد) خطته ... وأرجع الشيخ، شيخ الشعب لليمن
والحمد لله، أن الله وفقكم ... فساءهم منكم ما كان أسعدني
إذ قلت تباً لها أيدٍ يلوّثها ... زاكي دمانا، اغربوا يا بؤرة الفتن
أهلاً بكم بين أهليكم وإخوتكم ... وليسلم (الأحمر) الرامي إلى الحسن[1]

- وفي مشاركة سعودية خاصة أخرى نجد مواطناً سعودياً هو: عبد الرحمن

=عام ١٩٦٩م وفي عام ١٩٧٠م انتخب رئيساً لمجلس الشورى كما اختير رئيساً لمجلس النواب ثلاث مرات في عام ١٤١٥هـ رأس وفداً يمنياً رفيع المستوى لمواجهة أزمة التداعيات الخطرة حول الحدود بين اليمن والسعودية فواصل الحوار حتى توصلوا إلى توقيع مذكرة التفاهم التي فتحت الطريق نحو عودة العلاقات الطبيعية بين البلدين وأحيت اتفاقية الطائف. توفي عبد الله بن حسين الأحمر في مطلع العام ١٤٢٩هـ. انظر ترجمته في هجر العلم ومعاقله في اليمن ج٤ ص٤٣٦-٤٣٨، وانظر كتاب: الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر خمسون عاماً من العطاء مركز المسلم العربي، مصر .... الجيزة، الهرم ٢٠٠٨م.

(١) نسخة مصورة من القصيدة مأخوذة عن صحيفة الجزيرة السعودية التي نشرتها أثناء المناسبة في عام ١٤٢٨هـ.

الحكمـي الفيفي يرثي العلامـة اليمني: علي بن عبد الكريم الفضيل الذي كان قبل وفاته مقيماً بالمملكة يتنقل بين مدينة الطائف ومدينة جده.

وقـد توفي العلامـة اليمني الكبـير: علي بن عبـد الكريم الفضيـل[1] بمدينة الطائف في مطلع العام ١٤٢٩هـ فرثاه عدد من محبيه وعارفي فضله من السعوديين واليمنيـين وممن رثاه مـن السعوديين الشاعر عبد الرحمـن الحكمي الفيفي الذي قال في رثاء العلامة الفضيل:

مـات الفضيل، فمات العلم والكرم وشـيـعـت مـعـه الأخـــلاق والـقـيـم
بكت عليه العـلا، والمجـد قاطبة والكتب والحبر، والقرطاس والقلم
بـكـوه إذ دفـنــوه، إنــهـم دفـنـوا مع المعـالي (فضيل) الناس كلهم

إلى أن قـال الحكمـي، في مرثيتـه التي نشرت في صحيفـة الجزيرة السعودية بتاريخ: ٢١/١/١٤٢٩هـ:

---

(١) علي بن عبد الكريم بن محمد الفضيل (١٣٤٢-١٤٢٩هـ) ولد بمدينة شبام كوكبان ودرس بها مبادئ العلوم العربيـة والشرعية علـى أخيه يحيى بن عبد الكـريم الفضيل والقاضي علي بن أحمـد الهيصمي وغيرهم، ثـم التحق بمدرسة دار العلوم بصنعاء وتخرج فيهـا سنة ١٣٦٧هـ بدرجة مجتهد في العلوم الدينية واللغوية، شارك في ثورة الدستور وكـان مـن أوائل = = المساهمين في تأسيس الإذاعة المتوكلية.. كما كان من أوائل من قـاوم التدخل المصري في اليمـن، وبعد المصالحة اليمنية بين الجمهوريـين والملكيين استقر بمدينة الطائف ثـم انتقـل إلى أبهـا ثم جده في ظل رعاية الحكومـة السعودية حتى توفي سنة ١٤٢٩هـ. لـه عدد من المؤلفات المطبوعـة ومنهـا: (خلاصـة القول في سـيرة الرسول) و (الأغصـان لمشجرات أنسـاب عدنان وقحطان) وغيرهـا. المصـدر: (نشره خاصة كتبت بعـد وفاته) أهدانيها أحـد أقاربه المقيم بجـده وهو السيد محمد الشرفي وذلك بتاريخ ١٤٢٩هـ.

مـن للـعـلـوم أبـــا زيـــد يـحـقـقـهـا فينجلي بك ليل الشك والظلم[1]

ولا شـك بأن نماذج المطارحات الشعريـة بين شعراء البلدين التي سبقت هذه المطارحات، كثيرة جداً، ومثلها كذلك المشاركات الإخوانية في الأتراح والأفراح فهي أيضاً تصعب الإحاطة بها، ولو تركت للقلم حرية الرصد والمتابعة لتضاعفت أوراق البحـث، ذلـك لأن التواصل الثقافي بـين اليمن والسعودية قد أصبـح كتاباً مفتوحاً لا تؤطـره الأبواب والفصـول ولا يحدد بالصفحات من أجل ذلـك طلبت من قلمي التوقـف عند رصد تلك الشـذرات الخاصة بالتواصل الثقـافي والتي اخترناها من آخر التواصلات المنفذة في عام ١٤٣١هـ.

وبعد: فهذه صفحات مضيئة من صفحات التواصل الكثيرة المنبثقة عن صلات القربـى والجوار التي تربط بـين الشعبين الشقيقين في: المملكـة العربية السعودية والجمهوريـة اليمنيـة، وقد كان الحديث فيهـا مقتصراً علـى التواصل الثقافي بين الشعبين فقط، آمل أن أكون قد وفقت لعرض صور مشرقة زاهية منه توثق الأواصر وتعزز الصلات، والله حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) صحيفة الجزيرة السعودية السبت ١١/٢/١٤٢٩هـ.

الخاتمة

أحمـد لله تعـالى وأشكره أن منَّ عليّ بإتمام هذا البحث الذي حاولت فيه قدر المستطاع أن أرصد مسيرة التواصل الثقافي بين اليمن والسعودية خلال فترة تقترب مـن ثلاثمائة سنة، شهد فيها التواصـل مراحل مختلفة من القوة والضعف، متأثراً بالظـروف والمعطيات التي كان لها صداها في قـوة التواصل الثقافي بين البلدين أو ضعفـه مما جعل البحث يتطلب جهـوداً مضاعفة وعملاً متواصلاً، أعان الله عليها بفضله وتوفيقه.

✍ وهـذا الكتاب جهد شخصي أردت أن أعـزز به تلك الصلات الأزلية التي تربـط بين بلاد الحرمين وبـلاد اليمن، وهي صلات تستمـد سيرورتها من روابط الدين والدم واللغة والجوار.

✍ وقـد بدأته بمقدمـة أوضحت فيها شيئاً من خطة البحث وأشرت فيها إلى أهـم موضوعاته وأوضحت أنني سأبدؤه بـ (مدخل تاريخي) يتناول بإيجاز جوانب من التواصل الثقافي التي تمت بين بعض أقاليم الجزيرة العربية بدءاً من منتصف القرن السادس وحتى منتصف القرن الثاني عشر مع التركيز على التواصل الثقافي بـين اليمـن وبلاد الحرمين، ثم أنتقـل بعد ذلك للحديث عـن التواصل الثقافي بين اليمـن والدولـة السعوديـة الأولى من خلال رصـد تاريخي موثق، مـع الإشارة إلى بعض أعـلام البلدين خلال تلك الفترة وبعض جهودهم في تعزيز التواصل الثقافي بـين البلدين كالعلامة (الشوكاني) والعلامة (لطف الله جحاف) والعلامة (ابن

المبـارك) و العلامة (عبد العزيز النجدي) وآخرين ثم أوالى الحديث في المقدمة عن خطتي في تناول موضوع التواصل الثقافي بين اليمن والدولة السعودية الأولى ثم بـين اليمـن والدولة السعودية الثانية، ثم بين اليمن والمملكـة العربية السعودية إلى جانـب ما سيحفل به البحث مـن أمثلة حية لذلك التواصل ونمـاذج شعرية ونثرية موثقة تمثل مراحله المختلفة.

✍ و رأيت بأنني قبل الحديث عن التواصل الثقافي بين اليمن والدولة السعودية الأولى لابـد مـن إعطاء لمحة عن الأحـوال السياسية والاجتماعيـة في بعض أقاليم الجزيـرة العربيـة قبيل ظهور الدعـوة السلفية التي قامت عليهـا الدولة السعودية الأولى، وفي هـذه اللمحة نقلنا عن المصادر الموثوقـة بعض معاناة تلك الأقاليم وما كانت تعانيه من التمزق والتشرذم وانعدام الاستقرار بسبب إهمال الدولة العثمانية التـي كانت تسيطر على غالبية تلك الأقاليـم، وكان لابد من الحديث بعد ذلك عن بداية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وارتباطها الوثيق بالدولة السعودية الأولى ومـا وفرتـه لها مـن دعم وانتشار بعـد أن تعاهد الإمامـان محمد بن سعود ومحمـد بن عبد الوهاب على ذلك، مع الإشـارة إلى بعض العراقيل التي اعترضت طريق دعوة الإصلاح فلكل دعوة جديدة خصومٌ وأنصار.

✍ ومع ذلك فقـد كانت هناك بعض المواقف المؤيدة من بعض علماء البلدان الإسلامية لهذه الدعوة وإمامها، كما كانت هناك مواقف معارضة لهذه الدعوة من الخـارج ومـن الداخل وصور تلـك المعارضات كثيرة، وإلى جانـب هذا وذاك كانت

هنــاك بعض المواقف الداعمــة والمنصفة للدعوة السلفيــة وأئمتها من بعض علماء اليمن كالإمام الشــوكاني والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني والعلامة لطف الله جحاف والعلامة عبد الله بن عيسى الكوكباني وغيرهم، ممن تأكد بهم التواصــل الثقافي بين مفكري اليمن ومفكــري وقادة الدعوة السلفية الإصلاحية في البــلاد السعودية وكانت لهم اهتمامــات كثيرة في هذا السبيل فالإمام الشوكاني له جهــود عظيمة في متابعة رسل قادة الدولة السعودية الأولى إلى قادة اليمن رصدها في كتابه الموسوعي (البدر الطالع) كما أن للعلامة اليمني لطف الله جحاف جهود عظيمــة في متابعة وفــود العلمــاء السعوديين إلى اليمــن ورصــد اتصالهم الثقافي والفكري بعدد كبير من علماء ومفكري اليمن كالعلامة عبد الله بن عيسى الكوكباني والعلامــة محمد بن علي الشوكاني وآخرين مــع ذكر بعض نماذج لتلك الاتصالات الثقافيــة والإشارة إلى بعض الحوارات الفكرية التــي كانت تجري بين بعض علماء الوفــود السعوديــة وبعض علمــاء اليمن، نجد صدى ذلك في كتابــه التوثيقي (درر نحور الحور العين).

✍ كما أن مواقف الإمام الشوكاني التي تؤكد تأييده للدعوة السلفية وإمامها وقادتها كثيرة وعظيمة؛ من ذلــك اهتمامه باستقبال الوفود السعودية، وجهوده في مكاتبــة قادة الدعوة السلفية، وربما كانــت قصيدته التي رثى بها الإمام محمد بن عبدالوهــاب تلخص موقفه المؤيد للدعوة السلفية وإمامها برغم بعض تحفظاته في بداية الأمر، كما كانت قصيدته الدالية التي وجهها إلى الملك سعود بن عبد العزيز

بن محمد على شكل نصيحة وتحذير كانت تلك القصيدة تؤكد غيرته وخوفه على الدعوة السلفية وأئمتها وقادتها، ومنجزاتها، وكانت منذرة بسقوط الدولة السعودية الأولى التي قضى عليها العثمانيون بدعم خفي ومعلن من الدول الاستعمارية رأى ذلك الشوكاني بحدس المؤمن الفطن.

✍ وحين حاول بعض من بقي من أئمة آل سعود تأسيس الدولة السعودية الثانية ١٢٤٠-١٣٠٩هـ كانت بقية أقاليم الجزيرة العربية كلها بما فيها إقليم اليمن تعاني من التشرذم والتمزق وانعدام الاستقرار، ولم يستطع أي كيان منها أن يستقل بشخصيته أو يقف في وجه العواصف التي تأتيه من كل مكان، ومع كل ذلك فإن الدولة السعودية الثانية قد قامت في هذا الخضم المتلاطم واستمرت حوالي سبعين عاماً حكمها خلالها تسعة من أمراء البيت السعودي إلا أنهم بسبب تلك العواصف لم يتمكنوا من بسط نفوذهم على الأراضي التي حكمها أسلافهم، وكانت أيامهم صراعاً لا يعرف الاستقرار وأحداثاً لا تعرف التوقف؛ لذلك كانت اتصالاتهم وتواصلهم الثقافي مع من حولهم محدودين جداً وما تم من ذلك مع الأشقاء في اليمن كان بجهود فردية بحته وعبر أقاليم أخرى لم يمتد إليها سلطانها وإن بقي فيها تأثيرها الديني- كما أشرنا في ثنايا البحث-، وأشرنا كذلك إلى شيء مما رصده الأديب اليمني عبد الله خادم العمري عن ذلك التواصل في كتابه: (النهضة الأدبية في اليمن بين عهدي الحكم العثماني (١٠٤٥-١٣٣٣هـ) وأشار في عنوانه الفرعي إلى التواصل: (بيوتات العلم في مثلث التواصل: (صنعاء – تهامة

- المخـلاف السليمـاني) وهو نقل أمين عن كتب علامة المخلاف السليماني في القرن الثالث عشـر الحسن بن أحمد عاكش: (١٢٢١-١٢٨٩هـ) فقد نقل في كتابه صـورة حية للتواصل الثقافي الحقيقـي بين علماء وشعراء ومفكرين من اليمن ومن المخـلاف السليماني ومن الحجـاز ونقل بعض حواراتهم العلميـة والفكرية وبعض مطارحاتهم الشعريـة ومهاداتهم للمقامات، وقد خصص مجلداً لتلك المطارحات والتواصلات الثقافية الجيدة مشيراً إلى تواصل عاكش مع المساوى، وخيري الزمار مع صايم الدهر، وعاكش مع يحيى الشوكاني والأهدل. وقد أفاد بحثنا من كل ذلك - كما أفاد بحثنا من كتاب: (هدية الزمن) لأحمد فضل العبدلي الذي أشار فيه إلى وجـود عالم نجدي في بلاد حضرموت خلال أواخـر القرن الثالث عشر وأوائل الرابـع عشـر ونقل لـه بعض أبيات يقول بأنـه مدح بها أحمد بـن فضل بن محسن العبـدلي قيل سنة ١٣٣٠هـ كما نقلنا عنه إشارة إلى أحد علماء مكة الذين هاجروا إلى حضرمـوت وتولى التدريس بلحج وأكرمه أهـل حضرموت فأثنى ذلك العلامة علـى مديحهم بقصيدة، فـردّ عليه شاعرهم (سالم المحضـار) بقصيدة في عام ١٣١٣هـ، وبالرغم من سـوء الأحوال في تلـك الفترة العصيبـة إلا أن بعض بلدان اليمن وبعض بلدان الحرمين قد شهدت شيئاً من التواصل الثقافي الذي يمثل عمق الروابط وشدة الأواصر بين الشعبين.

✍ ومـن آثار التواصل الثقـافي ما تشير إليه بعض المصـادر المحايدة من أن تغلغل آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفكرها السلفي قد رسخ في الذهنية

اليمنيــة وبقيت آثاره حتى وقــت متأخر، حيث يروي المؤرخ عبد الله محمد الحبشي أن الإمــام أحمد حميد الدين (....-١٣٨٢هـ) قــد أمر بهدم قبر الصوفي (أحمد بن علوان) وقبور أخرى في الحديدة وتعز، ويعقب الحبشي على ذلك قائلاً: (وهذه الأفعال ربما أشعل وتيرتها النفوذ الوهابي) انظر العددان الثاني والثالث من دورية (المسار) ص١١٨-١١٩ الصادر عام ١٤٢٨هـ.

✍ وفي أواخــر القرن الثالث عشر كان ســوء الأحوال في شبه الجزيرة قد بلغ مــداه وعمت أقطار الجزيرة العربيــة أحداث جسام، أدت إلى زيــادة الانقسامات والتشــرذم في كثير من أقاليم الجزيــرة أمّا الدولة السعوديــة الثانية فقد (أخنى عليها الذي أخنى على لبد) ولكنها سقطت هذه المرة على يد الأقارب؛ فقد تصارع الإخوة على الحكم حتى تمكن الآخرون من تقاسمها وتمزيقها والقضاء على قادتها فرحــل آخر ملوكها: الإمام عبد الرحمن بن فيصــل (والد الملك عبد العزيز) إلى بعضــ دول الخليــج ثم إلى الكويــت في عام ١٣٠٩هـ بعد سقوط آخــر معاقل الدولة السعوديــة الثانيــة، ولم تكن أحوال اليمــن في تلك الفترة بأقل ســوءاً فقد كانوا في صراعات عنيفة مع العثمانيين ومع الإنجليز في عدن ولحج وما جاورها.

✍ وحــين استطــاع (الملك عبــد العزيــز) استعادة مدينــة الرياض مســاء اليوم الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ في معركة خاطفة مؤسساً بذلك لبداية عهد جديد ولدت فيــه المملكة العربية السعودية، وفي تلك الأثناء كان (الإمام يحيى) قد بويع بالإمامة على اليمن خلفاً لوالده المتوفى سنة ١٣٢٢هـ حيث بدأ صراعه مع الأتراك ومع منافسيه.

🖎 وهكذا بدأ الزعيمان صراعهما لتأسيس دولتيهما في وقت متقارب، وحين أوشك المَلِكَان على الانتهاء من مهمة التأسيس وجدا نفسيهما وبلديهما متجاورين، فبدأ نزاع الحدود وبدأت المفاوضات وبدأ الاتصال والتواصل وذلك منذ العام ١٣٤٥هـ، ومع أن المفاوضات بين البلدين قد طال أمدها، فقد كانت هناك بعض المحطات التي يمكن الإشارة إليها:

- ففي عام ١٣٥٠هـ تم توقيع أولى معاهدات الصداقة وحسن الجوار بين البلدين الجارين المملكة العربية السعودية، والمملكة المتوكلية اليمنية.

- وفي عام ١٣٥١هـ حاول الحسن الإدريسي التنصل من معاهدة مكة التي أبرمها مع الملك عبد العزيز عام ١٣٤٥هـ ومخابرته مع الملك عبد العزيز عام ١٣٤٩هـ التي تقضي بالتنازل عن الأراضي التي كان يحكمها الأدارسة وقام بحركة عصيان هرب على إثرها إلى اليمن التي سبق أن أبرمت مع الملك عبد العزيز معاهدة عام ١٣٥٠هـ، فبدأت المنازعات والمفاوضات بين البلدين التي انتهت بصدام مسلح على الحدود أدى إلى أن قامت بينهما الوساطات العربية والإسلامية التي انتهت بمعاهدة الطائف ١٣٥٣هـ وكانت تلك المعاهدة قد أنهت كل خلاف حدودي وهيأت البلدين لعهد جديد من الإخاء والتعاون.

🖎 وكان البلدان خلال فترة المفاوضات قد شهدا شيئاً من التواصل الثقافي تزامن بعضه مع الاتصال السياسي فمندوبوا البلدين في تلك المفاوضات كانوا من العلماء والأدباء والمفكرين أمثال: محمد محمد زبارة، وخالد أبو الوليد، وتركي

الماضي وآخرين من علماء ومفكري البلدين فكانت معاهدة الطائف تأكيداً للتواصل الثقافي، وكان البلدان خلال تلك الفترة يتهيئان لدخول عصر النهضة الحديثة الذي سُبقا إليه من دول عربية أخرى.

✍ وهكذا فقد استؤنفت مسيرة التواصل الثقافي بين البلدين منذ الاتصال بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز حيث بدأت الاتصالات الثقافية بين بعض علماء البلدين تؤتي ثمارها، فلقد رصد لنا العلامة اليمني (زبارة) بعض مراسلاته مع علماء الحرم المكي ومراسلاتهم له ومهاداة الكتب وكذلك رصد بعض مراسلاته الأدبية النثرية مع تركي الماضي كما بدأ اتصال بعض الشعراء اليمنيين بالملك عبد العزيز وبأدباء البلاد السعودية أمثال الشاعر اليمني الحضرمي الكبير علي أحمد باكثير الذي وفد إلى المملكة وبقي فيها عاماً كاملاً يتنقل بين مدنها ويلتقي بقادتها، وبأدبائها وشعرائها فقد كان (باكثير) نموذجاً حياً للتواصل الثقافي بين البلدين، لذلك اخترنا نماذج كثيرة من شعره الذي أكد به التواصل الثقافي بين البلدين، كما اخترنا نماذج لشعراء يمنيين كبار زاروا المملكة والتقوا بالملك عبد العزيز وبمفكريها فعبروا عن كل ذلك وعن مشاعرهم نحو الملك عبد العزيز وإنجازاته الوطنية، ومنهم الشاعر الكبير محمد محمود الزبيري، والشاعر المؤرخ الحضرمي عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، والشاعر محمد بن أحمد السياغي وآخرون ممن نشرت بعض قصائدهم في صحيفة أم القرى خلال الأعوام (١٣٤٨-١٣٦٠هـ).

✍ ولأن البحث كثير المحطات فسأكتفي فيما بقي من محطاته بالإشارات السريعة إلى أهم تلك المحطات دون دخول في التفاصيل..

✍ فقد تناول البحث هجرات الحضارمة وانصهارهم في المجتمع السعودي وتأثرهم به، وتأثيرهم فيه، وبخاصة في النسيج الثقافي والاجتماعي حتى أصبحت لهم بصمتهم في جوانب كثيرة.

✍ ولم ينس البحث تلك المبادرات التي أسهمت في التواصل الثقافي بين البلدين كمبادرة (آل الدباغ) حين رحلوا من الحجاز فأقاموا فترة في حضرموت وأسسوا بها مدرسة سموها (الفلاح) وكالعلامة عبد الله الرواف الذي رحل من القصيم إلى بلدان كثيرة ثم استقر معلماً وقاضياً (بالمكلا) حتى سنة ١٣٤٩هـ، يقابل ذلك هجرة الشاعر اليمني المعمر أحمد الحضراني الذي درس على علماء المسجد الحرام وتنقل بين مدن المملكة وشارك في نواديها ومنتدياتها ثم استقر بمدينة الطائف حتى توفي بها عام ١٤٠٧هـ.

وكالعلامة اليمني محمد المؤيد صاحب مكتبة (المؤيد) التراثية المشهورة بمدينة الطائف الذي استقر بمدينة الطائف حتى توفي وكانت مكتبته ملتقى أدبياً وفكرياً لعلماء وأدباء المملكة وغيرهم. وكان لتلك الهجرات المتبادلة أثرها الكبير على التواصل الثقافي بين الشعبين الشقيقين.

✍ وفي عهد الملك سعود وعهد الإمام أحمد تطور التواصل الثقافي بين البلدين تطوراً ملحوظاً، وكان الجسر الذي عبرت عليه قاطرة التواصل الثقافي هو جهود

نفر من علماء البلدين كالجاسر، والأكوع، والعقيلي، وغانم، ومحسن أبو طالب، وآخرون شكلوا بتواصلهم أمثلة حية ونماذج رائعة لتطوره وتكامله في هذا العهد وفي بعض العهود التي تلته.

✍ وفي أثناء قيام الثورة اليمنية عام ١٣٨٢هـ شهد التواصل الثقافي شيئاً من التعثر الذي استمر فترة، ثم زالت أسباب تعثره فعادت إليه الحياة.

✍ وفي أوائل عهد الملك فهد وأوائل عهد الرئيس اليمني علي عبد الله صالح استؤنفت مسيرة التواصل الثقافي بين البلدين حيث شاركت المملكة في معرض الكتاب الذي أقامته جامعة صنعاء عام ١٤٠١هـ، وفي سنة ١٤٠٢هـ كان أول أسبوع ثقافي يمني يقام في المملكة واستضافت المنتديات الثقافية في المملكة عدداً من المفكرين اليمنيين كالحضراني والنعمان، والشامي، والزنداني وغيرهم، وكانت للمهرجان الوطني بالحرس الوطني السعودي دعواته السنوية للمثقفين اليمنيين.

كما استؤنفت المبادرات الثقافية هنا وهناك وشارك مثقفو البلدين في معارض الكتب وفي المهرجانات والمنتديات الثقافية فتنامى وتعافى وازدهر التواصل الثقافي بين البلدين.

لكنه كغيره أصيب وتعثر في عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩٠م وذلك بسبب حرب الخليج الثانية وما صاحبها من تداعيات أدت إلى تعثر التواصل الثقافي بين البلدين خلال تلك الفترات التي استمرت حتى عام ٢٠٠٠م.

✍ وفي عام ٢٠٠٠م فتحت مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز التي وافق عليها الرئيس اليمني علي عبد الله صالح القاضية بتوقيع معاهدة ترسيم الحدود

البريـة والبحرية بين المملكة واليمن في ضوء معاهـدة الطائف فتحت هذه المبادرة صفحات جديدة في علاقات البلدين وتعاونهما واستؤنفت مسيرة التواصل الثقافي، بينهما ففي العام الذي تم فيه توقيع الاتفاقية كان الشاعر الكبير إبراهيم الحضراني يشارك في إحدى أمسيات المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) بالرياض وفي العـام التالي كان الشاعر اليمني الشـاب (طارق كرمان) يشارك في المهرجان نفسه وفي عام ١٤٢٣هـ كان العلامة إسماعيل الأكوع يحاضر في مركز حمد الجاسر الثقافي بالرياض.

✍ وفي عـام ٢٠٠٤م كان عدد من الشعراء والأكاديميين السعوديين يشاركون مؤسسـة العفيـف الثقافيـة احتفاءهـم بصنعـاء عاصمـة للثقافة للعـام ٢٠٠٤م فتنشر دوريـة العفيف مشاركاتهم وتعقد معهم القنـاة اليمنية الفضائية اللقاءات التلفزيونية.

✍ وفي العام نفسه تحتفي وزارة الثقافة اليمنية بعدد كبير من المثقفين السعوديين الذيـن شاركوا في بعض الفعاليات المنبرية بمناسبة الاحتفاء بصنعاء عاصمة للثقافة، وتضاعف احتفاءها بالمثقفين السعوديين فتطبعت لهم ولغيرهم المجموعات التالية:

١- مجموعة قصصية سعودية تضم سبعين قصة قصيرة لسبعين كاتباً وكاتبة من السعودية.

٢- كما طبعت الوزارة مجموعتين شعريتين لشاعرين سعوديين.

✍ وفي عـام ٢٠٠٨م زار وفد ثقـافي سعودي من منسوبي مركز حمد الجاسر

الثقافي محافظة حضرموت والتقوا بمثقفيها وحاضر بعضهم في جامعتها.

✍ وفي عام ٢٠٠٨م كانت الجامعات اليمنية تقيم نشاطاتها الثقافية في أحضان الجامعات السعودية وتتنقل بين الرياض وجده.

✍ وفي عام ٢٠٠٩م نفذت وزارة الثقافة السعودية أسبوعاً ثقافياً في اليمن الشقيق، وكان حافلاً بألوان المناشط الثقافية التي شارك بها عدد كبير من الأكاديميين والأكاديميات والشعراء والكتاب والفنانين السعوديين وتنقلوا في عواصم اليمن ومدنه وجامعاته ومسارحه.

✍ وفي عام ٢٠١٠م شارك عدد من الأكاديميين والمفكرين السعوديين أهالي حضرموت احتفاءهم باختيار مدينة (تريم) عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٠م وألقى بعضهم محاضرات في بعض مدن حضرموت (المكلا، وسيئون، وتريم).

✍ كما كثفت المنتديات الأدبية في البلدين نشاطاتها الثقافية وتضاعفت جهود مثقفي الشعبين، فزادت وتيرة المطارحات الشعرية، وأصبح التواصل الثقافي بين البلدين الجارين كتاباً مفتوحاً.

كل هذا وغيره من جهود ثقافية مؤسساتية أو رسمية أو تعليمية أو مبادرات ثقافية كلها تصب رحيقها في ذائقة مثقفي البلدين رصدها البحث رصداً موثقاً مدعماً بالأمثلة والنماذج الأدبية والفنية.

وبعد: فهذا جهد المقل، وهو جهد بشري قابل للصواب والخطأ، (وإن تجد عيباً فسد الخللا) والله حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

- عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر للحسن بن أحمد عاكش، صورة لدى الباحث مأخوذة عن نسخة حاسوبية أعدها للطبع المحقق إسماعيل البشري بعد أن حقق النسخة المخطوطة وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً بعناية محققه.
- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر لمصطفى بن فتح الله الحموي، نسخة مصورة لدى الباحث عن نسخة عائض الردادي المصورة عن النسخة الأصلية المحفوظة بدار الكتب المصرية ورقمها (١٠٩٣).

ثانياً: المقابلات الشخصية:

- مقابلة شخصية تاريخ ١٤٣١/٤/٢٠هـ مع الأستاذ/ عبد الرحمن الحميد مدير عام الشئون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب سابقاً، مدير عام إدارة الأندية الأدبية في وكالة وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية.
- مقابلة شخصية مع الأستاذ/ إبراهيم الخميس مدير القسم الثقافي بوكالة وزارة الإعلام والثقافة لشئون الإعلام الخارجي بتاريخ ١٤٣١/٦/٢٩هـ وقد أفادني بمعلومات جيدة حيث زودني ببيانات موثقة عن آخر الأسابيع الثقافية السعودية في اليمن والذي جرى تنفيذه في العام ٢٠٠٩م.
- مقابلة شخصية مع الأستاذ/ منصور الحيان مدير الشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب حالياً وقد تمت المقابلة بتاريخ ١٤٣١/٥/١هـ حيث

حصلت منه على معلومات شفهية عن بعض النشاطات الثقافية المتبادلة بين اليمن والمملكة العربية السعودية في عام ١٤٠١هـ.

ثالثاً: المصادر والمراجع المطبوعة

- القرآن الكريم.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز، طبع المكتبة التجارية بمكة المكرمة ١٤١٤هـ.
- شرح صحيح مسلم للإمام النووي، من مطبوعات دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٣٩٢هـ.

إبراهيم بن فوزان الفوزان

- الشعر الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، دون ذكر دار النشر وسنة النشر.
- خواطر وطنية وأدبية لإبراهيم الفوزان، مطابع القصيم، الرياض ١٤٢٦هـ.

إبراهيم حسن محمد الشعبي

- ديوان وحي الواجب، ط١، عام ١٤٢٤هـ دون ذكر اسم دار النشر.

إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي

- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر لإبراهيم بن عيسى النجدي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، من مطبوعات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس

المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤١٩هـ.

إبراهيم عبد الله الحوثي الصنعاني

- نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر لإبراهيم عبد الله الحوثي الصنعاني، مؤسسة التاريخ العربي بيروت ١٤٢٩هـ.

إبراهيم أحمد المقحفي

- معجم المدن والقبائل اليمنية، منشورات دار الكلمة للنشر، صنعاء، ١٩٨٥م.

إبراهيم كداف بن علي

- أضواء على نصيحة الإخوان، طبع دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ١٤٣١هـ.

أحمد إبراهيم الغزاوي

- الأعمال الشعرية الكاملة، للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي، من منشورات إثنينية عبد المقصود خوجه، جده ١٤٢١هـ.

أحمد بن أحمد بن أبي الرجال

- مطلع البدور ومجمع البحور، لأحمد بن أبي الرجال، تحقيق عبد الرقيب مطهر، من منشورات مؤسسة أهل البيت، صعدة باليمن ١٤٢٥هـ.

أحمد الجدع

- شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن عمّان، ط٢ ١٤٠٥هـ.

أحمد سالم باعطب

- عبد العزيــز الرفاعي صور ومواقف، من منشورات اثنينية عبد المقصود خوجه، جده، ١٤١٦هـ.

أحمد حافظ الحكمي

- الإمام محمد بن علي الشوكاني أديباً شاعراً، لأحمد حافظ الحكمي، بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام في الرياض، العدد (٧) الصادر في عام١٤١٧هـ

أحمد حسين العقبي

- التنافــس الإنجليــزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربيــة في القرن الثالث عشر، لأحمد حسين العقبي، من إصدارات دارة الملك عبد العزيز بالرياض: (سلسلة الرسائل الجامعية) ١٤٣٠هـ.

أحمد حسين شرف الدين

- اليمــن عبر التاريخ حتى القرن الرابع عشر، لأحمد شرف الدين، الطبعة الثالثة مطابع البادية بالرياض١٤٠٠هـ.

- تاريخ اليمن الثقافي، لأحمد حسين شرف الدين، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

أحمد بن عبد العزيز البسام

- الحيــاة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر

وأثـر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، لأحمد عبد العزيز البسام، دارة الملك عبد العزيز (سلسلة الرسائل الجامعية) الرياض ١٤٢٦هـ.

أحمد عبد الغفور عطار

- محمـد بـن عبـد الوهـاب، لأحمد عبـد الغفـور عطار،مكتبـة العرفـان بيروت ١٣٩٢هـ.

- الملـك فهـد قائد حركة الإسـلام والعروبة في القرن الخامسـ عشر، لأحمد عبد الغفور عطار، ط٢، من منشورات دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٢٥هـ.

أحمد عبد الله السومحي

- علـي أحمـد باكثير حياته- شعـره الوطني والإسلامي، مطابـع دار البلاد بجده ١٤٠٢هـ.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

- الـدرر الكامنـة في أخبار المائـة الثامنة، لأحمـد بن علي بن حجـر العسقلاني، منشورات دار الجيل، بيروت، دون ذكر سنة النشر.

أحمد بن علي زبارة

- ديوان من الماضي والحاضر، طبع دار النفائس ببيروت ١٤٠٠هـ.

أحمد بن عمر الزيلعي

- الأوضـاع السياسيـة والعلاقات الخارجية لمنطقة جـازان في العصور الإسلامية

الوسيطة لأحمد عمر الزيلعي، مطبعة الفرزدق بالرياض ١٤١٣هـ.

أحمد فضل العبدلي

- هديــة الزمــن في أخبــار ملوك لحج وعــدن، لأحمد فضل بن علي العبــدلي، طبع دار العودة بيروت١٤٠٠هـ، والطبعة الثانية صدرت عن مكتبة الجيل بصنعاء ١٤٢٥هـ.

أحمد محمد الشامي

- المجموعــة الشعرية الكاملة للشامــي، من منشورات اثنينية عبد المقصود خوجه، جده ١٤١٣هـ.
- رياح التغيير في اليمن لأحمد محمد الشامي الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ دون ذكر اسم دار النشر.
- من الأدب اليمني، نشر دار الشروق، بيروت ١٣٩٤هـ.
- مع الشعراء المعاصرين في اليمن، دار النفائس بيروت ١٤٠٠هـ.

إدجار أوبلانس

- اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م، ترجمة وتعليق عبد الخالق محمد لاشيد، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩٠م.

إسماعيل بن علي الأكوع

- هجــر العلــم ومعاقلــه في اليمــن لإسماعيــل الأكــوع، دار الفكــر المعاصر بيروت ١٤١٦هـ.

إسماعيل بن محمد الوشلي

- نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن، لإسماعيل محمد الوشلي، مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٤هـ.

إسماعيل حسين أبو زعنون – مراجعة حسن بن فهد الهويمل

- الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى، جمع إسماعيل أبو زعنون، مراجعة حسن الهويمل، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤٢٥هـ.

جاكلين بيرين

- اكتشاف جزيرة العرب (خمسة قرون من المغامرة والعلم) لجاكلين بيرين، ترجمة قدري قلعجي، من منشورات الفاخرية بالرياض، ودار الكتاب العربي بيروت دون ذكر سنة النشر.

ج. إنكارين

- مذكرات دبلوماسي في اليمن لـ (ج. إنكارين)، ترجمة محمد قايد طربوش، ومحمد إسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي بالقاهرة ١٩٩٣م.

ج.ج لوريمر

- تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل دول الخليج العربية، لـ (ج. ج لوريمر)، صوبه وعلق عليه سعد بن عمر آل عمر، مطابع العبيكان بالرياض ١٤١٧هـ.

جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري

- لسان العرب لابن منظور، (لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)، المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف والترجمة، دون ذكر سنة النشر.

جمال بدوي

- الفاطمية دولة التفاريح والتباريح، لجمال بدوي، ط٢، دار الشروق القاهرة ٢٠٠٨م.

جورج خير الله

- نهضة الجزيرة العربية، لجورج خير الله، ترجمة وديع فلسطين، من منشورات دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤٣٠هـ.

حجاب بن يحيى الحازمي

- القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره مع نماذج من شعره المخطوط، ط٢، طبع مطابع الشرق الأوسط بالرياض ١٤٢٤هـ.
- الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال ثمانية قرون، لحجاب بن يحيى الحازمي، مطابع الحميضي بالرياض ١٤٢٩هـ.
- نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير (٩٣٠-١٣٥٠هـ)، ط٢، مطابع دار اشبيليا بالرياض ١٤٢٤هـ.
- لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٢هـ.

الحسن بن أحمد الهمداني

- صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن عبد الله بن بليهد، مراجعة محمد بن سعد بن حسين، ط٣، دار الجوهرة بالرياض ١٤١١هـ.

الحسن بن أحمد عاكش

- الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني، للحسن بن أحمد عاكش، تحقيق إسماعيل البشري،من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٣هـ
- مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير، جمع وتدوين الحسن بن أحمد عاكش، تحقيق عبد الله أبو داهش، دون ذكر سنة النشر ومكانه.
- حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، للحسن بن أحمد عاكش، تحقيق إسماعيل البشري، مطابع العبيكان ١٤١٣هـ.
- عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر، للحسن بن أحمد عاكش، تحقيق إسماعيل البشري في مجلدين مأخوذة من الحاسوب وقد طبع هذا المخطوط مؤخراً في مجلدين من مطبوعات: إثراء للنشر والتوزيع -عمان- الأردن ١٤٢٩هـ.

حسن بن أحمد النعمي

- الحسن بن أحمد عاكش حياته وشعره وتحقيق ديوانه، لحسن بن أحمد النعمي من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٤هـ.

حمود منصور

- أضرار القات في الجمهورية العربية اليمنية، لحمود منصور، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤٠٩هـ.

حسن بن علي أبو طالب القاضي

- ديوان الجوهريات، لحسن بن علي أبو طالب القاضي، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٣٠هـ.

حسن بن فهد الهويمل

- اتجاهات الشعر المعاصر في (نجد)، لحسن بن فهد الهويمل من مطبوعات نادي القصيم الأدبي١٤٠٤هـ

حسن جابر الفيفي

- الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء، من منشورات نادي تبوك الأدبي ط٢ ١٤٢٥هـ.

حسين العرشي

- بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، لحسين العرشي، راجعه وحققه ونشره الأب أنستاس الكرملي، في عام ١٩٥٨م، ثم راجعه ونشره محمد سالم سحاب، طبع بمكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٩هـ.

خالد با طرفي

- عبد الله بالخير يتذكر، من منشورات إثنينية عبد المقصود خوجه، جده ١٤١٩هـ.

خالد بن محمد الخنين

- الملـك عبد العزيز في عيون شعراء الشام، من منشورات الأمانة العامة للاحتفاء بمناسبـة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

خالد بن ناجي حبيش

- السياسـة الخارجيـة اليمنية تجاه دول مجلس التعاون، الخليجـي لخالد ناجي حبيش، المكتب الحديث، الأريطة، الاسكندرية ٢٠٠٨م.

خير الدين الزركلي

- الأعلام لخير الدين الزركلي، ط٥، بيروت ١٩٨٠م.
- شبـه الجزيـرة في عهد الملك عبـد العزيز لخير الدين الزركلـي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٧م.

خالد عبد الرحمن الجريسي

- أخـلاق الملـك عبد العزيز، من منشـورات مؤسسة الجريسـي للتوزيع والإعلان، الرياض ١٤٢٨هـ.

خيرية قاسمية

- جوانـب من سياسة الملك عبد العزيز تجاه القضايـا العربية، دراسة لأوراق نبيه العظمـة، لخيرية قاسمية، دارة الملك عبد العزيز بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض ١٤١٩هـ.

دار الصحراء للنشر والتوزيع

- عبد الله بن عبد العزيز صور وسطور، من منشورات دار الصحراء للنشر والتوزيع بالرياض ١٤٢٤هـ.

ديفيد كوبر، وجورج ربنتر، ترجمة عبد الله الوليعي

- الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب، لديفيد كوبر، وجورج رينتر، ترجمة عبد الله الوليعي، طبع مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، الرياض ١٤١٧هـ.

روبن بدول – ترجمة عبد الله آدم نصيف

- الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية لـ (روبن بدول)، ترجمة عبد الله آدم نصيف، توزيع دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٥هـ.

المطهر الجرموزي

- تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار للمطهر الجرموزي، تحقيق عبد الحكيم الهجري، من منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء ١٤٢٣هـ.

بندر بن عمر بن ناحل

- الملك عبد العزيز وعبقريته العسكرية وحنكته السياسية لبندر بن عمر بن ناحل، من منشورات الحرس الوطني، الرياض ١٤٢٠هـ.

تركي بن محمد الماضي

- مذكرات (تركي بن محمد الماضي) لتركي بن محمد الماضي، تحقيق د. فهد بن تركي الماضي، مطابع دار الشبل في الرياض ١٤١٧هـ.

تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لتقي الدين بن محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق فؤاد سيد، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ.

دارة الملك عبد العزيز

- الملك فيصل بحوث ودراسات، من منشورات دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٢٩هـ.

سحر حسن عبد القادر أشقر

- الالتزام في مسرح با كثير، من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٣٠هـ.

سلفاتور أبونتي – ترجمة طه فوزي

- مملكة الإمام يحيى حميد الدين، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ.

سليمان شفيق الكمالي

- مذكرات سليمان شفيق الكمالي (باشا)، تحقيق محمد أحمد العقيلي، من منشورات نادي أبها الأدبي ١٤٠٥هـ.

سميرة بنت مبارك بلسود

- موانئ تهامة ومراسيها (الليث – القنفذة – حلي – جازان – دراسة تاريخية حضارية)، من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٣٠هـ.

سيد مصطفى سالم

- تكوين اليمن الحديث، لسيد مصطفى سالم، ط٤، توزيع دار الأمين للنشر والتوزيع ١٩٩٣م.

شهاب الدين الحيمي

- طيب السمر في أوقات السحر، لشهاب الدين الحيمي المتوفى سنة ١١٥١هـ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤١٠هـ.

شوقي ضيف

- في الأدب العربي المعاصر، لشوقي ضيف، دار المعارف ١٩٦٣م.

صالح بن إبراهيم الأحيدب

- آمال وآلام (مراثي شعرية ونثرية فصيحة وعامية في الملك فيصل) جمعت في ثلاثة مجلدات، طبع شركة مطابع حنيفة بالرياض، دون ذكر سنة النشر.

صالح بن سليمان بن سحمان

- ديوان الشاعر صالح بن سليمان بن سحمان، تحقيق إبراهيم الفوزان، طبع دار الفكر بدمشق ١٤٠١هـ.

صالح بن عون الغامدي

- العلاقـات السعودية اليمنية (دراسة وثائقيـة) ، لصالح عون الغامدي طبع دار الجامعة بالإسكندرية ١٩٩٢م.

صلاح رمضان محمود

- ذكريات الإمام الشوكاني، من منشورات وزارة الثقافة اليمنية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، بالتعاون مع دار العودة بيروت ١٩٨٣م.

صلاح البكري

- الجنـوب العربي قديماً وحديثا (٤٠٠ق.م – ١٩٦٧م) لصلاح البكري، طبع دار العلم بجده، دون ذكر سنة النشر.

ضياء الدين رجب

- ديوان: زحمة العمر، دار الأصفهاني للطبع والنشر، جده ١٤٠٠هـ.

عبد الحميد الخطيب

- الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، لعبد الحميد الخطيب، طباعة شركة مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٠هـ.

عبد الرحمن البهكلي

- نفـح العود في سيرة دولـة الشريف حمـود (١٢١٥-١٢٣٤هـ) ، لعبـد الرحمن البهكلي، تحقيق محمد أحمد العقيلي، من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤٠٢هـ.

عبد الرحمن الجبرتي

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن الجبرتي، طبع دار الجبل بيروت، دون ذكر سنة النشر.

عبد الرحمن إبراهيم الحفظي

- شعاع الراحلين: الديوان الثاني من شعر (آل الحفظي)، جمع: عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، من منشورات نادي أبها الأدبي، وقد طبعه بمصر في مطبعة دار المعارف عام ١٤٠٣هـ.

عبد الرحمن بن سليمان الأهدل

- النَّفَس اليماني لعبد الرحمن الأهدل، مراجعة/ سليمان محمد عبد الوهاب الأهدل، من منشورات مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٣١هـ.

عبد الرحمن بن صالح الشبيلي

- الشيخ حمد الجاسر في حوار تلفزيوني توثيقي، الرياض، مطابع سفير ١٤٢٤هـ.
- التأثير الثقافي المتبادل بين حضرموت وبلاد الحرمين، كتيب صغير يحتوي محاضرة للشبيلي ألقيت باليمن في محافظة حضرموت بمدينة: (تريم)، وطبعت في عام ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠م، دون ذكر دار النشر.
- اليمن في تراث الشيخ حمد الجاسر، لعبد الرحمن الشبيلي، طبع عام ١٤٣١هـ الموافق ٢٠٠٨م، وصدر عن مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي.

عبد الرحمن الديبع

- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، لعبد الرحمن الديبع، تحقيق إبراهيم المقحفي، طبع مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٥هـ.

عبد الرحمن عبد الله أحمد الحضرمي

- تهامة في التاريخ، من منشورات المعهد المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (قسم الدراسات العربية) دمشق ٢٠٠٥م.

عبد الرحمن الملا

- تاريخ هجر لعبد الرحمن الملا، مطابع الجواد بالأحساء ١٤١١هـ.

عبد الرحيم أبو بكر

- الشعر الحديث في الحجاز، من منشورات نادي المدينة المنورة ١٣٩٧هـ

عبد العزيز الرومي، محمد البلتاجي، سيد حجاب

- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (الرسائل) صنفها وأعدها للطبع: عبد العزيز الرومي،ومحمد البلتاجي، وسيد حجاب، من مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، في أسبوع الإمام محمد بن عبد الوهاب.

عبد العزيز الكثيري

- آل سعود الدولة والموقف، لعبد العزيز الكثيري، ١٤٢٣هـ، دون ذكر دار النشر ومكانها.

عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري

- لسـراة الليل هتف الصباح، لعبـد العزيز التويجري، ط٤، الـدار العربية للعلوم (ناشرون) ١٤٢٩هـ.

عبد الله الأغبري

- اليمـن ودول مجلس التعاون الخليجي، لعبـد الله الأغبري، من منشورات المكتب الجامعي الحديث، الأريطة، الاسكندرية ١٩٩٩م.

عبد الله الحامد

- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥-١٣٩٥هـ)، من منشورات نادي المدينة المنورة، طبع مطابع الفرزدق دون ذكر سنة النشر.

عبد الله بن حسين باسلامه

- يوميات حسين عبد الله با سلامه، تحقيق عبد الله حسين باسلامه، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤٣٠هـ.

عبد الله بن حمد الحقيل

- مسيرة التوحيد والبناء، لعبد الله بن حمد الحقيل، مطابع الفرزدق بالرياض ١٤١٩هـ.

عبد الله بن سالم الحميد

- شعراء من الجزيرة العربية، طبع دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع الرياض ١٤١٣هـ.

- شخصيات في الذاكرة، ط٢، مطابع بيت الخنساء الرياض ١٤٢٤هـ.

عبد الله بن محمد بن خميس

- ديوان: على ربى اليمامة، مطابع الفرزدق بالرياض ١٤٠٣هـ.

عبد الله بن محمد الحبشي

- مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن لعبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء دون ذكر سنة النشر.
- الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن (١٠٤٥-١٢٨٩هـ) لعبد الله محمد الحبشي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء ١٤٠٦هـ.

عبد الله بن يوسف الشبل

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته لعبد الله الشبل، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٠هـ.

عبد الله بن علي العمودي

- تحفة القارئ والسامع باختصار تاريخ اللامع، لعبد الله العمودي، تحقيق عبد الله أبو داهش، مطابع الجنوب بأبها ١٤٢١هـ.
- الأدارسة في تهامة، لعبد الله العمودي، تحقيق، عبد الله أبو داهش، مطابع مازن أبها ١٤١٤هـ.

عبد الله سعود القباع

- العلاقات السعودية اليمنية، لعبد الله القباع، مطابع الفرزدق بالرياض ١٤١٣هـ.

عبد الله بن محمد المطوع

- الدعـوة الإصلاحيـة في بلاد نجد على يد الإمام المجـدد محمد بن عبد الوهاب وأعلامها بعده، لعبد الله بن محمد المطوع، دار التدمرية بالرياض ١٤٢٥هـ.

عبد الله بن صالح العثيمين

- مراجعـات في مصادر التاريخ السعودي، لعبد الله صالح العثيمين، من منشورات مكتبة الملك فهد الرياض ١٤٣٠هـ.

- تاريخ المملكة العربية السعودية، من منشورات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤١٩هـ.

عبد الله بن عبد الرحمن البسام

- علمـاء نجد خلال ستة قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، الطبعة الأولى، عن مؤسسة الخدمات للطباعة، بيروت ١٣٩٨هـ.

عبد الله بن عبد الكريم الجرافي

- المقتطف من تاريخ اليمن، لعبد الله الجرافي، من منشورات دار العصر الحديث، بيروت ١٤٠٧هـ.

عبد الله بن عبد المحسن التركي

- الملك عبد العزيز أمة في رجل، من إصدارات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملك العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤١٩هـ.

عبد الله البردّوني

- المجموعة الشعرية الكاملة، للشاعر عبد الله البردّوني، من إصدارات الهيئة العامة للكتاب في اليمن، صنعاء ١٤٢٣هـ.

عبد الله خادم العمري

- النهضــة الأدبيــة في اليمن بين عهد الحكـم العثماني في اليمــن: (١٠٤٥-١٣٣٣هـ) وبيوتات العلم في مثلث التواصل: (صنعاء، تهامة، المخلاف السليماني)، لعبد الله خادم العمري، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء ١٣٢٥هـ.

عبد الله عبد العزيز إدريس

- الملك عبد العزيز كما صوره الشعراء العرب، لعبد الله بن إدريس، من منشورات نادي الرياض الأدبي ١٤٢٠هـ.

عبد الله محسن العزب

- تاريخ اليمن الحديث، لعبد الله محسن العزب، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، من منشورات المدينة، توزيع دار التنوير ببيروت ١٤٠٧هـ.

عبد الله محمد أبو داهش

- أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازهما في العصور الإسلامية الوسيطة، لعبد الله محمد أبو داهش، مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ.
- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، لعبـد الله أبو داهش، ط٢، من منشورات الأمانة العامة للاحتفال بمناسبة مرور

مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية الرياض ١٤١٩هـ.

- نشـأة الأدب السعودي بجنوبي البلاد السعودية، ط٢، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٩هـ.

عبد الله بن محمد عبد الله الحميد

- مـن أدب الرواية (أحمد بن محمد الحضراني)، توثيق عبد الله محمد الحميد، من إصدارات نادي أبها الأدبي ١٤٢٥هـ.

عبد الله محمد الشهيل

- فـترة تأسيس الدولة السعودية المعاصـرة (١٣٣٣-١٣٥١هـ)، لعبد الله الشهيل، مطابع الوطن للنشر والإعلام الرياض ١٤٠٧هـ.

عبد الله مرداد أبو الخير

- المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابـع عشر، لعبد الله مرداد أبو الخير، تحقيق محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، من مطبوعات نادي الطائف الأدبي ١٣٩٨هـ.

عبد المقصود خوجه

- كتـاب الإثنينيـة ج١، ج٢، ج٣، ج٤، ج٦، وكتاب الإثنينيـة الصادر بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على تأسيس الإثنينية.

عبد الملك بن أحمد بن قاسم آل حميد الدين

- الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن، لعبد الملك بن أحمد بن قاسم آل حميد الدين، مطابع دار الحارثي بالطائف ١٤١٥هـ.

عبد الواسع بن يحيى الواسعي

- تاريخ اليمن، لعبد الواسع بن يحيى الواسعي، طبع الدار اليمنية للنشر، صنعاء ١٤٠٢هـ.

عثمان بن بشر النجدي

- عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي، طبع مكتبة الرياض الحديثة، دون ذكر سنة النشر.

عصام ضياء الدين السيد

- عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية (١٣٣٨-١٣٧٣هـ)، ط١، دار الزهراء للنشر بالقاهرة، ١٤٠٩.

علي بن الحسن الخزرجي

- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، لعلي بن الحسن الخزرجي، تحقيق أربعة باحثين هم: عبد الله قائد العبادي، ومبارك بن محمد الدوسري، وعلي بن عبد الله الوصابي، وجميل بن أحمد الأشول، من منشورات الجيل الجديد ناشرون، صنعاء ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

- العقـود اللؤلؤيـة في تاريخ الدولـة الرسولية لعلي بن الحسـن الخزرجي، مطبعة الفجالة بمصر ١٣٢٩هـ.

علي بن قاسم الفيفي

- السمـط الحاوي لأسلوب الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي، مطابع الصفا بمكة المكرمة ١٤١١هـ.
- ديوان ومض الخاطر، مطابع الصفا ١٤١٣هـ.
- ديوان الطيف العابر، طبع عام ١٤٠٣هـ، دون ذكر دار النشر.
- ديوان الحوار المبين في أضرار التخزين والتدخين، مطابع الصفا بمكة المكرمة ١٤١٠هـ.

عمر عبد الجبار

- سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر، لعمر عبد الجبار، من مطبوعات تهامة للنشر جده ١٤٠٣هـ.

عمر بن أحمد جردي المدخلي

- النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية وصاحبها الشيخ عبد الله القرعاوي، ط٢، مطابع أضواء المدينة ١٤١٦هـ.

عيد مسعود الجهني

- الحـدود والعلاقـات السعودية اليمنيـة، لعيد مسعود الجهنـي، طبع دار المعارف بالرياض ١٤١٤هـ.

غازي عبد الرحمن القصيبي

- حياة في الإدارة، ط٣، المؤسسة العربية للنشر ١٩٩٩م.

فؤاد إسماعيل شاكر

- رحلة الربيع لفؤاد شاكر، من منشورات دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

فؤاد عبد السلام الفارسي

- عبد الله بن عبد العزيز في سطور، تقديم وزير الإعلام الأسبق: (فؤاد الفارسي)، من منشورات دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ.

فاروق عثمان أباظة

- سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) لفاروق عثمان أباظة، بحث مستل من منشورات مجلة دراسات الخليج (٩) نسخة مصورة لدى الباحث ناقصة والجزء الموجود لا توجد به معلومات الطباعة والنشر!.

فان در مولين

- الملك عبد العزيز والجزيرة العربية الناهضة، ترجمة (ويسي، أي، سي)، تعليق فهد السماري، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤١٩هـ.

فيلكس مانجان

- تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية،

لفيلكس مانجان، عرض وتعليق محمد خير البقاعي، من إصدارات دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤٢٤هـ.

لطف الله بن أحمد جحاف

- درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي، للطف الله جحاف، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٤٢٥هـ.

لويس بلي

- رحلة إلى الرياض، للفتنانت كونيل لويس بلي، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن عبد الله آل الشيخ وعويضة بن متيريك الجهني، من مطبوعات جامعة الملك سعود بالرياض ١٤١١هـ.

المركز الإسلامي للإعلام ببيروت

- الملك فهد عشرون عاماً من الإنجازات والتحديات، من منشورات المركز الإسلامي للإعلام بيروت ١٤٢٣هـ.

مجد الدين الفيروز أبادي

- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز أبادي طبع دار العلم للملايين، ط٥، بيروت دون ذكر سنة النشر.

مجدي محمد الخواجي

- بين شاعرين من شعراء تهامة: محمد بن حمير، والقاسم بن علي بن هتيمل،

لمجدي محمد الخواجي، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤٢٤هـ.

محاضرات نادي المدينة المنورة (العدد الثامن)

- الملك عبد العزيز في الأدب والتاريخ، بمناسبة الاحتفاء بمئوية تأسيس المملكة العربية السعودية١٤١٩هـ
- الملك سعود بحوث ودراسات (عن ندوة العقيق) بنادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٢٨هـ.

محاضرات نادي مكة الثقافي الأدبي

- محاضرات النادي العدد الأول ١٤١٠هـ دون ذكر اسم المطابع التي نفذت طباعته.

محمد أبو بكر حميد

- ديوان علي أحمد با كثير (أزهار الربى في شعر الصبا)، تحقيق محمد أبو بكر حميد، الدار اليمنية للنشر ١٤٠٨هـ.
- ديوان علي أحمد با كثير (سحر عدن وفخر اليمن)، تحقيق محمد أبو بكر حميد، دار حضرموت للنشر ١٤٢٩هـ، توزيع مكتبة كنوز المعرفة في جده.

محمد أحمد الحفظي

- اللجام المكين والزمام المتين، لمحمد أحمد الحفظي، تحقيق عبد الله محمد أبو داهش، مطابع مازن بأبها ١٤٠٥هـ.

محمد أمين المحبي

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين المحبي، طبع دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، دون ذكر سنة النشر.

محمد بن أحمد الحجري

- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، لمحمد أحمد الحجري، تحقيق إسماعيل الأكوع، ط٣، مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٥هـ.

محمد بن أحمد العقيلي

- المعجم الجغرافي لمنطقة جازان، لمحمد أحمد العقيلي، ط١، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٣٩٨هـ.
- من أدب جنوب الجزيرة بحوث ودراسات، لمحمد بن أحمد العقيلي، من منشورات نادي جده الأدبي، طبع مطابع البلاد بجده ١٤٠٤هـ.
- أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، لمحمد أحمد العقيلي، طبع دار البلاد للطباعة والنشر بجده ١٤١٢هـ.
- تاريخ المخلاف السليماني، لمحمد أحمد العقيلي، مطابع البلاد بجده ١٤١٠هـ. ط٢، الناشر شركة العقيلي.
- التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، لمحمد بن أحمد العقيلي، من منشورات نادي جازان الأدبي ١٤١٣هـ.

- أضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان، لمحمد أحمد العقيلي، منشورات نادي مكة الثقافي ١٤٠٠هـ.
- العقيلي في رسائل معاصريه، مطابع شركة العقيلي ١٤١٢هـ.
- شعراء الجنوب، ديوان مشترك، شارك فيه الشعراء ١- محمد بن أحمد العقيلي، ٢- محمد بن علي السنوسي، ٣- أحمد بن علي عبد الفتاح الحازمي، وطبع في مطابع الكمال بعدن ١٣٧٠هـ.
- مذكرات: (سليمان شفيق الكمالي) ، تحقيق محمد أحمد العقيلي، من منشورات نادي أبها الأدبي ١٤٠٥هـ.

محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني

- ديوان العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تقديم وإشراف علي صبح المدني، القاهرة، دون ذكر تاريخ النشر.
- منسك في هدي المصطفى في حجة الوداع، (قصيدة طويلة للأمير الصنعاني) ، حققها الدكتور: ناصر بن علي بن عايض بن حسن الشيخ، من مطبوعات دار المأمون للتراث بدمشق ١٤٣٠هـ.

محمد بن إسماعيل الكبسي

- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، لمحمد بن إسماعيل الكبسي، تحقيق خالد أبي زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد بصنعاء ١٤٢٦هـ.

محمد حسن عواد

- المجموعـة الشعرية الكاملة، لمحمد حسن عواد، من مطبوعات دار العلم العربي، جده ١٣٩٩هـ.

محمد جلال كشك

- السعوديون والحل الإسلامي، لمحمد جلال كشك، ط٢، ١٩٨٢م.

محمد بن علي الشوكاني

- البـدر الطالـع بمحاسن مـن بعد القرن السابـع، لمحمد بن علـي الشوكاني، دار المعرفة للطابعة والنشر بيروت، دون ذكر سنة النشر.
- ذكريـات الإمـام محمد بن علـي الشوكاني، تحقيق صـلاح رمضان محمود، من منشـورات وزارة الثقافـة في جمهوريـة اليمـن الديمقراطيـة الشعبية ١٩٨٣م، بالتعاون مع دار العودة للنشر بيروت.
- ديـوان الإمـام الشوكاني: (أسلاك الجوهر)، تحقيـق حسين عبد الله العمري، مطابع دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ.

محمد بن علي بن عقيل الحسني

- الملـك عبد العزيز وملحمة البناء، لمحمد بن علي بن عقيل الحسني، مؤسسة دار الريحاني للطبع والنشر ١٤١٩هـ.

محمد بن عمر الفاخري

- تاريـخ الفاخـري، لمحمد بـن عمر الفاخـري، تحقيق عبد الله الشبـل، ط٢، من

مطبوعـات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤١٩هـ.

محمد بن عمر بن عقيل الشهير بـ(أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري)

- مسائـل مـن تاريخ الجزيرة العربية، لأبي عبد الرحمـن بن عقيل الظاهري، من منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر بالرياض، ط٢، ١٤١٣هـ.

محمد بن ناصر الحازمي

- إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان، لمحمد بن ناصر الحازمي، تحقيق علي أبو زيد الحازمي، طبع دار الشريف بالرياض ١٤٢٢هـ.

محمد رشيد البارود الماجد

- الشيخ محمد بن عبـد الوهاب ومنهجه الإصلاحي، لمحمد رشيد البارود الماجد، مـن منشـورات مركز الملك فيصـل للبحـوث والدراسات الإسلاميـة، الرياض ١٤٢١هـ.

محمد صالح الشنطي

- الأدب العربي فنونه وتطوره وقضاياه، لمحمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل ١٤٢٨هـ.

محمد عبد الرحمن الربيع

- أدب المهجر الشرقي، لمحمد عبد الرحمن الربيع، من منشورات مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مطابع العمران بالجيزة، دون ذكر سنة النشر.

محمد عبد الله السلمان

- توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، لمحمد عبد الله السلمان، من منشورات جائزة المدينة المنورة ١٤١٦هـ.
- رشيد رضا، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لمحمد عبد الله السلمان، من إصدارات نادي القصيم الأدبي ١٤٠٨هـ.
- بطولات وقائع معركة الدرعية الخالدة (١٢٣٣هـ)، لمحمد عبد الله السلمان، من منشورات نادي الطائف الأدبي، مطابع دار الحارثي بالطائف ١٤١٩هـ.

محمد عبده غانم

- ديوان (موج وصخر)، لمحمد عبده غانم، طبع دار المعارف بمصر، دون ذكر سنة النشر.

محمد علي مغربي

- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، لمحمد علي مغربي، من منشورات تهامة للنشر والتوزيع جده ١٤٠١هـ.

محمد محمود الزبيري

- المجموعة الشعرية الكاملة، لمحمد محمود الزبيري، طبع دار العودة بيروت ١٩٨٦م.

محمد مسير مباركي

- ديوان: (معلقة صنعاء)، لمحمد مسير مباركي، من مطبوعات وزارة الثقافة

والسياحة اليمنية، صنعاء ٢٠٠٤م.

محمد كامل المحامي

- اليمن شماله وجنوبه، تاريخه وعلاقاته الدولية، لمحمد كامل المحامي، طبع دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨م.

محمد لطف الباري الحيمي

- الروض البسام فيما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام، لمحمد بن لطف الباري الحيمي، تحقيق عبد الله الحبشي، ط٢، مكتبة الإرشاد بصنعاء ١٤٢٨هـ.

محمد محمد زباره

- أئمة اليمن في القرن الرابع عشر، لمحمد محمد زبارة، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، دون ذكر سنة النشر.

- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، لمحمد محمد زباره، من منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الآداب بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- نيل الوطر في تراجم رجال القرن الثالث عشر، لمحمد محمد زباره، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٠هـ.

- نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، لمحمد محمد زباره، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء ١٩٧٩، شارك في التحقيق: عبد الله الجرافي.

- الإنبـاء عـن دولـة بلقيس وسبـأ، لمحمد محمـد زبـاره (مباحث دينيـة وأدبية وتاريخية)، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ.

محمود شاكر سعيد

- محمد بن علي السنوسي شاعراً، طبع عام ١٤١٠هـ، دون ذكر اسم دار النشر

مسعود الندوي

- محمـد بن عبـد الوهـاب مصلح مظلـوم، لمسعود النـدوي، ترجمة عبـد العليم البسنوي، مراجعـة وتقديم تقي الدين الهلالي، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٤هـ.

مؤسسة البابطين الثقافية

- معجـم الشعـراء العـرب المعاصريـن، للبابطـين، ط١، مـن منشـورات مؤسسة البابطين ١٩٩٥م.

-الموسوعات:

- موسوعـة الأدب العربـي السعودي الحديـث، شارك في إعدادهـا اللجنة العلمية المكونـة مـن: منصور الحازمي وعبـد الرحمن الأنصاري، ومـرزوق بن تنباك، وعبـد الله المعيقل وعـزت خطاب وآخرين، مـن منشورات دار المفـردات للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٢هـ.
- الموسوعة العربية العالمية، من منشورات مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض ١٤١٦هـ.

- الموسوعة اليمنية، ط٢، مؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء، بالتعاون مع مركز الوحدة العربية ببيروت ١٤٢٣هـ.

هاري سنت فلبي

- مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سنت فلبي، ترجمة مصطفى حسين، تعليق غيثان بن جريس، مطابع العبيكان بالرياض ١٤٢٦هـ.

هاشم سعيد النعمي

- تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط٢، من منشورات الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٤١٩هـ.

هانز لفريتز

- اليمن من الباب الخلفي لـ هانز لفريتز، تعريب خيري حمّاد، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، شارع محمد فريد ١٩٦٦م.

وزارة الإعلام

- المملكة العربية السعودية (مسيرة البناء) من إعداد وإصدار وزارة الإعلام السعودية (الإعلام الخارجي) الرياض ١٤١٧هـ.

- المملكة العربية السعودية (تاريخ وإنجاز) من إصدارات وزارة الإعلام السعودية الرياض ١٤٢٢هـ.

- هذه بلادنا (شيء من التاريخ)، من إصدارات وزارة الإعلام السعودية عام ١٤١٩هـ الرياض.

ياقوت الحموي

- معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

يوسف بن حسن العارف

- أضواء على مذكرات سليمان شفيق الكمالي، ليوسف العارف، من منشورات نادي أبها الأدبي ١٤١١هـ.

يحيى بن أبي بكر العامري

- غربال الزمان في وفيات الأعيان ليحيى بن أبي بكر العامري، تصحيح وتعليق محمد ناجي العمر، إشراف عبد الرحمن الإرياني، دار الخير للنشر والتوزيع، دمشق ١٤٠٥هـ.

يحيى محمد سيف

- أعلام الأدب والفن المسرحي في اليمن ليحيى محمد سيف، من مطبوعات الهيئة العامة للكتاب بالجمهورية اليمنية، صنعاء ٢٠٠٦م.

رابعاً: الدوريات:

- (الخميسية): كتاب دوري تصدره خميسية الشيخ حمد الجاسر، لرصد نشاطاتها، والعدد الأول ١٤٢٩هـ، كانت افتتاحيته بقلم معالي الدكتور: أحمد محمد الضبيب ص١٣، وفيها لمحة عن تأسيس خميسية الشيخ حمد الجاسر.
- (حوليات سوق حباشة): كتاب دوري يكتبه ويصدره الدكتور/ عبد الله أبو داهش وفي كل عدد منه عدد من الأبحاث التراثية التي لها صلة بموضوع بحثنا: ومن بحوثه:
- العدد الأول الصادر عن نادي أبها الأدبي لعام ١٤١٦-١٤١٧هـ ومن بحوثه:
١-الدرعية في عيون الشعراء (٩٨-١١٣) ٢- رسالة الصنعاني إلى العجيلي) ص١١٤-١٣٣.
- العدد الثاني الصادر عن دارة الملك عبد العزيز عام ١٤١٧-١٤١٨هـ ومن بحوثه:
تحقيق لامية الشوكاني في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧٤-١٠١.
- العدد الثالث الصادر عن نادي جازان الأدبي عام ١٤١٩-١٤٢٠هـ ومن بحوثه:
ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدان جنوبي الجزيرة العربية.
- العدد الرابع الصادر عن نادي الباحة الأدبي عام ١٤٢٠-١٤٢١هـ ومن بحوثه:
حلقات مفقودة من تاريخ الأدب العربي في جنوبي الجزيرة العربية ص١٧-٣٨.
- العدد السادس أصدره الباحث نفسه وطبعه بمطابع الجنوب بأبها عام ١٤٢١-

١٤٢٢هـ ومن بحوثه: تحقيق دالية الإمام الشوكاني التي وجهها للملك سعود ص٧٦.

- العدد السابع أصدره الباحث نفسه وطبعه بمطابع السروات بأبها عام ١٤٢٢-١٤٢٣هـ ومن بحوثه: دراسة وتحقيق لديوان (محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني) ص١٠٧-١٥٧.
- العدد الثامن أصدره الباحث نفسه وطبعه بمطابع البتراء للأوفست عام ١٤٢٤-١٤٢٥هـ ومن بحوثه: البلاد السعودية وولاتها في أعين شعراء اليمن ص٦٥-٨٩.
- العدد التاسع أصدره الباحث نفسه وطبعه بمطابع البتراء للأوفست عام ١٤٢٥-١٤٢٦هـ ومن بحوثه: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني يؤيد الإمام محمد بن عبد الوهاب ص١١٢-١١٦.

وهذه البحوث والموضوعات التي أشرنا إليها في الأعداد المذكورة من الكتاب الدوري: (حوليات سوق حباشة) كلها ذات صلة وثيقة بموضوع بحثنا: (التواصل الثقافي بين اليمن والمملكة العربية السعودية) وقد أفدنا منها، وأشرنا إلى المصدر في ثنايا البحث.

- (حولية العفيف) وبين أيدينا العدد الرابع الصادر عام ٢٠٠٤م كتاب دوري يصدر عن مؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء. وفيه بحوث ومحاضرات كثيرة كما أن به تغطية إعلامية كاملة للنشاط الأدبي والفكري الذي شارك به الشعراء

والأكاديميون السعوديون في مؤسسة (العفيف الثقافية) وقد نشروه تحت عنوان: (فعاليات من الأدب والفكر السعودي) حيث نشروا من خلاله قصائد الأمسية الشعرية التي أحياها الشعراء الأربعة: أحمد البهكلي، وأحمد الحربي، وعيسى جرابا، وموسى عقيل، كما نشروا محاضرة الدكتور علي الصميلي التي شارك بها في هذه المناسبة.

- (الأدب الإسلامي): مجلة فصلية وبين أيدينا العدد (٥٤) للربيعين والجمادين ١٤٢٨هـ وفيه (مقال للدكتور عائض الردادي) عن (ندوة الرفاعي) وصاحبها معالي الأستاذ / عبد العزيز الرفاعي ص٦٦-٧١.
- (الأدبية): (مجلة شهرية كان يصدرها نادي الرياض الأدبي) وقد أفدنا من العدد الثامن عشر من هذه الدورية الصادر في شهر ذي القعدة من عام ١٤١٤هـ، حيث يوجد به بحث للدكتور: محمد أبو بكر حميد بعنوان: (مرحلة مجهولة من الأدب السعودي) تحدث فيه عن علاقة (علي أحمد با كثير) بعدد من أدباء الحجاز ص٥٦-٩٠.
- (مرافئ) دورية نادي جازان الأدبي العدد السادس محرم ١٤٢٥هـ. وفي هذا العدد نشرت إحدى قصائد الشاعر أحمد يحيى البهكلي التي شارك بها في مؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء انظر ص
- (شعاع الأمل): مجلة تصدر عن جمعية الأمل الخيرية الحضرمية في حضرموت،

والعدد (٧٩) ربيع الأول ١٤٢٩هـ. هو العدد الصادر بمناسبة زيارة الوفد السعودي الثقافي لحضرموت في عام ١٤٢٩هـ، وقد اهتمت المجلة بهذه الزيارة فجعلت عنوان غلاف هذا العدد بخط عريض: (خميسية حمد الجاسر في حضرموت)، كما خصصوا ملف العدد الذي بلغت صفحاته ستاً وثلاثين صفحة لتغطية تلك الزيارة وما تم خلالها من فعاليات ثقافية. انظر الصفحات ٢٢-٥٧.

- (المنهل): مجلة شهرية أصدرها العلامة: (عبد القدوس الأنصاري) وهذا العدد (٤٥٤) الصادر في رمضان ١٤٠٧هـ، يضم بحثاً للعلامة: إسماعيل بن علي الأكوع: (السدود في اليمن) ص٧٨-٨٤.
- (المسار): دورية يمنية فكرية محكمة تصدر عن مركز التراث والبحوث اليمني، ويرأس تحريرها المفكر اليمني: زيد بن علي الوزير وقد حصل الباحث على عددين من هذه الدورية الأول عدد صادر في عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م ويشتمل هذا العدد على أبحاث علمية متنوعة ومن ضمنها بحث علمي جميل بعنوان: (علماء الحديث عند زيدية اليمن) للباحث برنارد هيكل من جامعة نيويورك ويحتل الصفحات ٣١-٥٦.

العدد الآخر من هذه الدورية (المسار): صادر في عام ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧م وعلى صفحات هذا العدد بحوث كثيرة ومنها بحثان مهمان ولهما صلة بموضوع بحثنا الأول بعنوان: (موقف الزيدية إزاء الصوفية) بقلم: د. و. ماديلونغ،

ترجمة: د. علي القباني وهذا البحث منشور على الصفحات ٩٢-١٢٠.

والبحث الثاني بعنوان: (أقوال الأدباء في القات) بقلم الباحث اليمني العلامة: عبد الرقيب مطهر حجر ويحتل الصفحات ١٤٩-١٩٧ وهو بحث علمي أدبي اجتماعي جميل. أورد فيه الباحث أشعاراً كثيرة لعدد من اليمنيين وفيهم بعض علماء الحوثيين بعضهم تفاعل مع قصيدة العلامة السلفي السعودي الشيخ: (حافظ الحكمي) التي رأى فيها تحريم القات وقد انقسم أولئك الشعراء إلى مؤيد ومعارض.

- (الدرعية): مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية، وتراث العرب وقد أفدت من العدد الرابع عشر من هذه الدورية الصادر في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٢٢هـ الموافق يوليو ٢٠٠١م وبخاصة من البحث الذي جاء فيه بعنوان: (من أسباب المعارضة المحلية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بقلم د. أحمد بن عبد العزيز البسام ص٢٣-٦٠.
- (العرب): مجلة شهرية يصدرها العلامة الشيخ (حمد الجاسر) وقد أفدنا من بحوث بعض أعداد هذه المجلة التي لها صلة بموضوع بحثنا ومنها:

١- (العرب): عدد شهري محرم وصفر من عام ١٤٠٨هـ في هذا العدد بحوث كثيرة بعضها بقلم علامة الجزيرة الشيخ الجاسر ومن أقربها إلى موضوع بحثنا وأهمها بحث بعنوان: (الصلات الأولى بين الدرعية وصنعاء) ص٤٣٣-٤٩٩.

٢- (العرب): عدد شهري رجب وشعبان من عام ١٤٠٩هـ ومن ضمن بحوثه بحث بعنوان: (فلبي، ورحلاته في البلاد العربية) وهو مقال تعقيبي بقلم الشيخ حمد الجاسر صحح فيه مقالة بهذا العنوان وبخاصة عن رحلات فلبي التي بدأها من جده عبر عسير ونجران ثم الجنوب وشبوه وتريم ص١٠٥-١٠٧.

٣- (العرب): عدد ذو القعدة والحجة من عام ١٤١١هـ وفي هذا العدد بحث بعنوان: (الدرعية في عيون الشعراء) لعبد الله أبو داهش ص٣٤٢-٣٤٦.

- صحيفة الجزيرة: العدد: (١٣٦٨٥) بتاريخ ١٤٣١/٤/٢هـ مقال للدكتور محمد أبو بكر حميد: (الإستراتيجية الأمنية في اتفاقيات الملك عبد العزيز مع اليمن).

- صحيفة الجزيرة العدد: (١٣٦٨٧) بتاريخ ١٤٣١/٣/٤هـ حوار مطول مع فخامة الرئيس اليمني: (علي عبد الله صالح) رئيس الجمهورية اليمنية أجراه مندوب قناة العربية الفضائية: (داوود شريان) ونشر في اليوم التالي في صحيفة الجزيرة.

-صحيفة الجزيرة العدد: (١٣٦٨٩) بتاريخ ١٤٣١/٤/٦هـ مقال للدكتور عبد العزيز جارالله الجار الله بعنوان: (معاهدة اليمن كانت تاريخية).

- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي (الثقافية) العدد: (١٣٣٦١) الصادر في يوم الخميس ١٤٣٠/٥/٤هـ في هذا العدد مقال للدكتور: محمد أبو بكر حميد بعنوان: (النساء الباحثات السعوديات في أدب باكثير).

- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي (الثقافية) العدد: (٣٠٧) بتاريخ

١٤٣١/٥/٨هـ. في الصفحة الثالثة من هذا العدد تغطية إعلامية موسعة عن زيارة الوفد السعودي من منسوبي خميسية حمد الجاسر لحضرموت وعددهم عشرون أديباً وأديبة، وعلى الصفحة الخامسة من هذا العدد مقال للواء عبد القادر كمال، أحد أعضاء الوفد السعودي بعنوان: (رجال من حضرموت).

- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي (الثقافية) العدد: (٣٠٨) بتاريخ ١٤٣١/٥/١٥هـ. على الصفحة التاسعة عشرة من هذا العدد مقال للأستاذ/ عبد الوهاب البريدي بعنوان: (التأثير الثقافي المتبادل بين بلاد الحرمين وحضرموت، الشيخ عبد الله الرواف نموذجا)
- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي (الثقافية) العدد: (٣١٠) بتاريخ ١٤٣١/٥/٢٩هـ. بدأت سلسلة مقالات اللواء: عبد القادر كمال بعنوان: (رجال من حضرموت) وكانت الحلقة الأولى بعد المقدمة عن القاضي (شريح).
- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي (الثقافية) العدد: (٣١١) بتاريخ١٤٣١/٦/٦هـ المقالة الثانية ص١٢ للواء عبد القادر كمال ضمن سلسلة مقالاته: (رجال من حضرموت).
- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي: (الثقافية) العدد: (٣١٢) بتاريخ ١٤٣١/٦/١٣هـ ص٢٠ المقالة الثالثة من سلسلة مقالات اللواء (كمال): (رجال من حضرموت).

وفي هذا العدد (٣١٢) كذلك تغطية إعلامية لندوة (باكثير) الكبرى التي أقيمت في القاهرة أوائل هذا العام انظر الصفحات ١٢-١٣منه.

- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي: (الثقافية) العدد: (٣١٣) بتاريخ ١٤٣١/٦/٢٠هـ المقال الرابع ص١٨ من سلسلة مقالات اللواء (كمال): (رجال من حضرموت)، وكانت مقالته الرابعة عن الطبيب الشاعر: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، ثم تتابعت مقالات اللواء (كمال) حتى بلغت الحلقة السادسة....

- صحيفة الجزيرة: ملحقها الثقافي: (الثقافية) العدد: (٣١٩) بتاريخ ١٤٣١/١١/٦هـ كتب الأستاذ/ فاروق باسلامة مقالة على ص٤ يشكر فيها الأديب السعودي اللواء: عبد القادر كمال على تلك السلسلة الذهبية من المقالات.

- صحيفة الرياض: العدد: (١٥٢٦٣) في ١٤٣١/٥/٢٣هـ، تصريح الشيخ اليمني (فضل العفيفي اليافعي) شيخ مشائخ (يافع) وعضو مجلس الشورى اليمني الذي تحدث فيه عن مواقف المملكة العربية السعودية حكومة وشعباً مع اليمن، وأن الملك عبد الله حريص على أمن واستقرار اليمن، وعلى دعمه في الظروف الاقتصادية والسياسية.

- صحيفة الرياض: العدد (١٢٠٢٢) الخميس ١/ربيع الأول ١٤٢٢هـ قصيدة للشاعر طارق عبد السلام خالد كرمان بعنوان: (مرحى بآل سعود أخوة كرما).

- صحيفة الشـرق الأوسط: عدد يوم ١٩/٢/١٩٨٤م، نشـرت بها قصيدة الشاعر اليمنـي الكبـير/ أحمـد بن محمـد الشامي التـي ألقاها في (نـدوة الرفاعي) بالرياض.
- صحيفـة المدينـة: العدد: (١٧٣٣٢) بتاريـخ ٢٧/١٠/١٤٣١هـ، مقال د. عبد الله مرعي ابن محفوظ، بعنوان: (سبب تسمية المملكة العربية السعودية).

خامساً: مواقع على الشبكة العنكبوتية ومراكز ثقافية:

- مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي وقد أفدنا منه في رصد بعض جوانب التواصل الثقـافي بين اليمن والمملكة وبخاصة ما يتعلق بجهود الشيخ الجاسر واهتماماته الكبـيرة بالشـأن الثقافي اليمني، وأفدنـا منه كذلك في متابعـة نشاطات الوفد السعـودي الذي انطلق من خميسية الشيخ حمد الجاسر لزيارة حضرموت، كما أفدنا منه بالحصول على محاضرة العلامة إسماعيل الأكوع التي ألقاها في عام ١٤٢٣هـ في خميسية الشيخ حمد الجاسر وفاءً لصديقه العلامة الجاسر رحمه الله وتأكيداً للتواصل الثقافي.
- موقع (ابن اليمن) أخذنا عنه ترجمة الشيخ (عبد الله بن حسين الأحمر) رئيس مجلس النواب اليمني المتوفى سنة ١٤٢٩هـ حيث أصدر عنه أصحاب الموقع كتاباً بعنـوان: (الشيـخ عبد الله بن حسين الأحمر خمسون عامـاً من العطاء) وطبع بمركز المسلم العربي في مصر، الجيزة ٢٠٠٨م.
- موقـع الدكتور عبد الولي الشميري، وقد أفدنـا منه كثيراً في تراجم بعض علماء

وأعلام اليمن من القدامى والمعاصرين وأشرنا إلى ذلك في ثنايا البحث.

- موقع وكالة سبأ اليمنية، أخذنا عنه نماذج من النشاطات الثقافية التي تحققت بين البلدين بعد توقيع معاهدة ترسيم الحدود البرية والبحرية بين المملكة واليمن في عام ٢٠٠٠م وبخاصة تلك النشاطات الثقافية التي نفذت من خلال الجهات الواقعة تحت إشراف مجلس التنسيق السعودي اليمني.

- موقع جائزة البابطين على الشبكة العنكبوتية وقد أخذنا عنه تراجم بعض الشعراء.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مطابع الحميضي ت: 2130130 الرياض

مطابع الحميضي
F: 4387817
T: 2130130
AL-HOMAIDHI P.P.



حجاب بن يحيى الحازمي :

- من مواليد مدينة ضمد في منطقة جازان بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٦٤هـ.
- حصل على بكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام بالرياض في عام١٣٨٩هـ.
- حصل على عدد من الجوائز والدروع والميداليات من جهات ثقافية مختلفة وكرّم في عدد من المناسبات الثقافية.
- رئيس وعضو في عدد من اللجان الثقافية والاجتماعية على مستوى المملكة.
- رئيس نادي جازان الأدبي سابقاً.
- عضو مجلس منطقة جازان سابقاً.
- عضو مجلس الأمناء في مؤسسة الشيخ حمد الجاسر (الخيرية) الثقافية.
- عضو مجلس إدارة جائزة الأمير محمد بن ناصر للتفوق ، ورئيس لجنة المواهب الأدبية والإبداعية بها .
- شارك في عدد من المهرجانات والمؤتمرات الأدبية والندوات الثقافية داخل المملكة وخارجها.
- حصل على جائزة الأمير محمد بن ناصر للتفوق (فرع الشخصية الثقافية) للعام١٤٣٠هـ.
- حصل على جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز للتميز للعام ١٤٣٣هـ .

صدرت له المؤلفات الآتية:

١. وجوه من الريف (**مجموعة قصصية**) صدرت طبعتها الأولى عن نادي جازان الأدبي عام ١٤٠١هـ.
٢. أبجديات في النقد والأدب، صدرت طبعته الأولى عن نادي جازان الأدبي عام ١٤٠٥هـ.
٣. نبذة تأريخية عن التعليم في تهامة وعسير عام ٩٣٠ - ١٣٥٠هـ صدر عن نادي جازان الأدبي عام١٤٠٩هـ .
٤. القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي حياته من شعره، صدرت طبعته الأولى عن نادي مكة الثقافي عام ١٤١٤هـ .
٥. لمحات عن الشعر والشعراء بمنطقة جازان خلال العهد السعودي، صدر عن نادي جازان الأدبي ١٤٢٢هـ.
٦. من حلل الشعراء وحيلهم الفنية، صدر عن المجلة العربية عدد شهر شوال من عام ١٤٢٣هـ .
٧. الحركة الثقافية والأدبية في منطقة جازان خلال عهد خادم الحرمين الشريفين صدرت طبعته الأولى عام ١٤٢٣هـ.
٨. الدور الأمني للمؤسسات الثقافية والتربوية ، صدر عن المجلة العربية بالرياض لعام ١٤٢٦هـ.
٩. الشعر والشعراء في جازان خلال ثمانية قرون ، وطبع بمطابع الحميضي بالرياض عام ١٤٢٩هـ.
١٠. جوانب من جهود الملك عبد العزيز في تحقيق الوحدة الوطنية، وطبع بمطابع الحميضي بالرياض عام ١٤٣٢هـ.
١١. المجموعة الشعرية الأولى: (**أغنيات للوطن**)، وطبع بمطابع دار أشبيليا بالرياض عام ١٤٣٣هـ.

حجاب بن يحيى الحازمي

التواصل الثقافي بين السعودية واليمن

الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ردمك ٢، - ٩٥٨٧ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

مطابع الحميضي ت 2138130 الرياض